عقود المرجان

في

تفسير القرآن

تأليف

السيد نعمة الله الجزائري

المتوفى سنة ١١١٢ هـ

تحقيق

مؤسسة شمس الضحى الثقافية

عقود المرجان
في
تفسير القرآن

تأليف

السيد نعمة الله الجزائري

المتوفى سنة ١١١٢ هـ

المجلد الثاني

شبكة الفكر
alfeker.net

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ
وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً
يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ

جميع الحقوق محفوظة لمؤسسة

احياء الكتب الإسلاميه

ايران قم المقدسه ارم ٤ پلاك ١٣٥

٠٠٩٨٢٥١ ٧٧١٩٦٥٧ - ٠٠٩٨٢٥١ ٢٩٣٦٣٥٢

◆ عقود المرجان في تفسير القرآن ج ٢
◇ تأليف السيد نعمة الله الجزائري
◆ انتشارات نوروحى
◇ چاپخانه اميران
◆ چاپ اول ١٣٨٨ — ٢٠٠٠ عدد
◇ قيمت دوره — ٥٠٠٠٠ تومان
◆ شابك — ٩٧٨-٩٦٤-٢٥٩٢-٢٧-٢
◇ شابك دوره — ٩٧٨-٩٦٤-٢٥٩٢-٢٤-١

٦.
سورة الأنعام

روى جابر عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: من قرأ ثلاث آيات من أوّل سورة الأنعام إلى قوله: «ما تكسبون» وكّل الله به أربعين ألف ملك يكتبون له مثل عبادتهم إلى يوم القيامة، و ينزل ملك من السماء السابعة و معه مرزبة من حديد، فإذا أراد الشيطان أن يوسوس له أو يوحي في قلبه شيئاً، ضربه بها ضربة ـ الحديث.(١)

عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: نزلت الأنعام جملة واحدة شيّعها سبعون ألف ملك لهم زجل بالتسبيح و التهليل و التكبير. فمن قرأها، سبّحوا له إلى يوم القيامة.(٢)

[١] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحيمِ * الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضَ وَ جَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَ النُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ».

«الحمد لله». أخبر بأنّه تعالى حقيق بالحمد. و نبّه على أنّه المستحقّ له على هذه النعم الجسام حمد أو لم يحمد، ليكون حجّة للّذين هم بربّهم يعدلون. و جمع السموات دون الأرض ـ و هي مثلهنّ ـ لأنّ طبقاتها مختلفة [بالذات] متفاوتة الآثار و الحركات. و قدّمها لشرفها و علوّ مكانها و تقدّم وجودها. «و جعل الظلمات». الجعل فيه معنى التضمين. و لذلك عبّر عن إحداث النور و الظلمة بالجعل، تنبيهاً على أنّهما لايقومان بأنفسهما كما زعمت الثنويّة. و جمع الظلمات لأنّ المراد بالظلمة الضلال و بالنور الهدى و الهدى واحد و الضلال متعدّد.

١ـ مجمع البيان ٤ / ٤٢١.
٢ـ تفسير القمّي ١ / ١٩٣.

و تقديمها لتقدّم الأعدام على الملكات. و من زعم أنّ الظلمة عرض يضادّ النور، احتجّ بهذه الآية، و لم يعلم أنّ عدم الملكة ـ كالعمى ـ ليس صرف العدم حتّى لا يتعلّق به الجعل. [«ثمّ الذين». عطف على قوله: «الحمد لله» على معنى ... أو على قوله: «خلق» على معنى...] «بربّهم يعدلون». تنبيه على أنّه خلق هذه الأشياء أسباباً لتكوّنهم و تعيّشهم، فمن حقّه أن يحمد عليها و لا يكفر. و الباء على الأوّل، و هو أن يعطف «ثمّ الذين» على «الحمد لله»، متعلّقة بكفروا و صلة يعدلون محذوفة، أي: يعدلون عنه، ليقع الإنكار على نفس الفعل. و على الثاني، و هو عطفه على قوله: «خلق»، متعلّقة بيعدلون. و المعنى: انّ الكفّار يعدلون بربّهم الأوثان؛ أي: يسوّونها به.[١]

عن الصادق عليه السلام: «الحمد لله الذي خلق السموات و الأرض» ردّ على الدهريّة الذين قالوا: إنّ الأشياء لا بدء لها و هي قائمة.[٢]

«و جعل الظلمات و النور». جعل يتعدّى إلى مفعول واحد، إذا كان بمعنى أحدث و أنشأ ـ كقوله: «و جعل الظلمات و النور» ـ و إلى مفعولين، إذا كان بمعنى صيّر. و الفرق بين الخلق و الجعل أنّ الخلق فيه معنى التقدير و في الجعل معنى التضمين؛ كإنشاء شيء من شيء، أو تصيير شيء شيئاً، أو نقله من مكان إلى مكان. و من ذلك: «و جعل منها زوجها».[٣] «و جعل الظلمات و النور». لأنّ الظلمات من الأجرام المتكاثفة و النور من النار. و أمّا إفراد النور للقصد إلى الجنس، أو لأنّ الظلمات كثيرة. لأنّه ما من جنس من أجناس الأجرام إلّا و له ظلّ و ظلّه هو الظلمة، بخلاف النور؛ فإنّه من جنس واحد و هو النار. و قوله: «ثمّ الذين» معطوف إمّا على قوله: «الحمد لله»، على معنى أنّ الله حقيق بالحمد على ما خلق ـ لأنّه ما خلقه إلّا نعمة ـ ثمّ الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته، و إمّا على قوله: «خلق السموات» على معنى أنّه خلق ما خلق ممّا لا يقدر عليه أحد سواه، ثمّ هم يعدلون به ما

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٩٢.
٢ـ الاحتجاج ١ / ١٤ ـ ٢٥.
٣ـ الأعراف (٧) / ١٨٩.

لايقدر على شيء منه. و ثمّ لاستبعاد أن يعدلوا به بعد وضوح آيات قدرته. و كذلك «ثمّ أنتم تمترون» استبعاد لأن يمتروا فيه بعد ما ثبت أنّه محييهم و مميتهم و باعثهم.[١]

«جعل الظلمات». عن الصادق عليه السلام: «الظلمات و النور» ردّ على الثنويّة الذين قالوا: النور و الظلمة هما المدبّران. «ثمّ الذين كفروا بربّهم يعدلون» ردّ على مشركي العرب الذين قالوا: إنّ أوثاننا آلهة.[٢]

عن أبي عبدالله عليه السلام: إذا قرأت: «ثمّ الذين كفروا بربّهم يعدلون» أن تقول: كذب العادلون بالله.[٣]

[٢] «هُوَالَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضىٰ أَجَلاً وَ أَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ».

«هو الذي خلقكم من طين»؛ أي: ابتدأ خلقكم. فإنّه المادّة الأولى و إنّ آدم الذي هو أصل البشر خلق منه. أو: خلق أباكم من طين. فحذف المضاف. «و أجل مسمّى»؛ أي: مثبت معيّن لايقبل التغيير و لا مدخل لغيره فيه. «تمترون». الامتراء: الشكّ. فالآية الأولى دليل التوحيد. فإنّ من قدر على خلق الموادّ وجمعها و إبداع الحياة فيها و إبقائها مايشاء، كان أقدر على جمع تلك الموادّ و إحيائها ثانياً.[٤]

«ثمّ قضى أجلاً»: أجل الموت. «و أجل مسمًّى عنده»: أجل القيامة. و قيل: الأجل الأوّل ما بين أن يخلق إلى أن يموت. و الثاني مابين الموت و البعث و هو البرزخ. و قيل: الأوّل النوم. و الثاني الموت.[٥]

عن السجّاد عليه السلام: خلق الله النبيّين من طينة علّيّين، قلوبهم و أبدانهم. و خلق قلوب المؤمنين من تلك الطينة. و خلق أبدان المؤمنين من دون ذلك. و خلق الكفّار من طينة سجّين. فمزج بين تلك الطينتين. فمن هذا يلد المؤمن الكافر و الكافر المؤمن. و من هنا يصيب

١ـ الكشّاف ٢ / ٣ ـ ٤.
٢ـ الاحتجاج ١ / ١٤ ـ ٢٥.
٣ـ تهذيب الأحكام ٢ / ٢٩٧، ح ٥١.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٩٢ ـ ٢٩٣.
٥ـ الكشّاف ٢ / ٤.

المؤمن السيّئة و الكافر الحسنة.[١]

«أجلاً». عن أبي عبدالله عليه السلام: الأجل المقضيّ هو المحتوم.[٢]

«أجلاً». عن أبي عبدالله عليه السلام: الأجل الذي غير مسمًّى موقوف يقدّم منه ما شاء و يؤخّر منه ما شاء. و أمّا الأجل المسمّى فهو الذي ينزل ليلة القدر و سمّي لملك الموت في تلك اللّيلة. و هو قوله: «إذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة و لايستقدمون».[٣] و الآخر له فيه المشيّة؛ إن شاء قدّمه، و إن شاء أخّره.[٤]

[٣] «وَ هُوَ اللهُ فِي السَّمٰوَاتِ وَ فِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَ جَهْرَكُمْ وَ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ».

«و هو الله في السموات»؛ أي: هو المعروف بالإلهيّة أو المتوحّد بالإلهيّة فيها. أو: هو الذي يقال له الله فيها لايشرك به في هذا الاسم. و يجوز أن يكون «الله في السموات» خبراً بعد خبر على معنى أنّه الله و أنّه في السموات و الأرض. يعني أنّه عالم بما فيها لايخفى عليه شيء منه كأنّ ذاته فيها. و قوله: «يعلم سرّكم» تقرير للمتوحّد بالإلهيّة. لأنّ الذي استوى في علمه السرّ و العلانية هو الله وحده. و كذلك إن جعلت «في السموات» خبراً بعد خبر؛ و إلّا فهو كلام مبتدأ بمعنى: هو يعلم سرّكم و جهركم، أو خبر ثالث.[٥]

«و هو الله». الضمير لله و الله خبره. «في السموات». متعلّق باسم الله. و المعنى: هو المستحقّ للعبادة فيها لا غير.[٦]

«ما تكسبون». و هو مايعرض في القلب ثمّ ينساه.[٧]

١ـ الكافي ٢ / ٢، ح ١.
٢ـ تفسير القمّيّ ١ / ١٩٤.
٣ـ الأعراف (٧) / ٣٤.
٤ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٣٥٤، ح ٥.
٥ـ الكشّاف ٢ / ٥.
٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٩٣.
٧ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٩٤. و فيه: «الكتمان ما عرض بقلبه ... .» و في كنزالدقائق عن القمّيّ : «و الكسب ما ... .» و هو الصحيح.

«و ما تكسبون» من خير أو شرّ. و لعلّه أريد بالسرّ و الجهر ما يخفى و ما يظهر من أحوال الأنفس، و بالمكتسب أحوال الجوارح.(١)

[٤] «وَ مَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ».

«من آية من آيات». من الأولى مزيدة للاستغراق، و الثانية للتبعيض. أى: ما يظهر لهم دليل قطّ من الأدلّة، أو معجزة من المعجزات، أو آية من آيات القرآن. «معرضين»؛ أى: تاركين للنظر فيه غير ملتفتين إليه.(٢)

[٥] «فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ».

«كذّبوا بالحقّ»؛ يعنى: القرآن. و هو كالدليل على ما قبله على معنى: انّهم لمّا أعرضوا عن القرآن و كذّبوا به ـ و هو أعظم الآيات ـ فكيف لايعرضون عن غيره؟ و لذلك رتّب عليه بالفاء. «أنباء ما كانوا»؛ أي: سيظهر لهم ما كانوا به يستهزئون عند نزول العذاب بهم في الدنيا و الآخرة، أو عند ظهور الإسلام و ارتفاع أمره.(٣)

«أنباء ما كانوا»؛ أي: يظهر لهم عند نزول العذاب بهم أنّ القرآن ما كان موضع استهزاء.(٤)

[٦] «أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَ أَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَاراً وَ جَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ».

«من قرن»؛ أي: من أهل زمان. و القرن مدّة أغلب أعمار الناس و هي سبعون سنة. و قيل: ثمانون. و قيل: القرن أهل عصر فيه نبيّ أو فائق في العلم، قلّت المدّة أو كثرت. و

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٩٣.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٩٣.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٩٣.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٦.

اشتقاقه من قرنت. «في الأرض»؛ أي: جعلنا لهم مكاناً فيها. أو: قرّرناهم. أو: أعطيناهم من القوى و الآلات ما تمكّنوا بها من أنواع التصرّفات. «ما لم نمكّن»: ما لم نجعل لكم في السعة و طول المقام يا أهل مكّة. أو: ما لم نعطكم من القوّة و السعة في المال و الاستظهار بالعدد و الأسباب. «فأهلكناهم». أي لم يغن ذلك عنهم شيئاً. و المعنى أنّه تعالى كما قدر أن يهلك من قبلكم ـ كعاد و ثمود ـ و ينشئ مكانهم آخرين يعمر بهم بلاده، قادر أن يفعل ذلك بكم.(١)

«مدراراً»؛ أي: غزيراً دارّاً. كقولهم: امرأة مذكار، إذا كانت كثيرة الولادة للذكور. و كذلك مئناث في الإناث.(٢)

[٧] «وَ لَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَاباً فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ».

«و لو نزّلنا» ـ الآية. نزلت في النضر بن الحارث و عبدالله بن أميّة و نوفل بن خويلد. قالوا: يا محمّد، لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله و معه أربعة من الملائكة يشهدون عليه أنّه من عند الله و أنّك رسوله. أي: لو أنزلنا عليك كتابة في صحيفة. أراد بالكتاب المصدر، و بالقرطاس الصحيفة. «فلمسوه بأيديهم». لأنّ اليد أبلغ في الإحساس من المعاينة. و لذلك لم يقل: فعاينوه. يعني لاحتمال أن يقولوا: «إنّما سكّرت أبصارنا».(٣) «لقال الذين كفروا إن هذا إلّا سحر مبين». يعني أنّه لو أتاهم الدليل مدركاً بالحسّ، لنسبوا ذلك إلى السحر، لعظم عنادهم و قساوة قلوبهم.(٤)

«بأيديهم». تقييده بالأيدي لدفع التجوّز. فإنّه قد يتجوّز به للفحص؛ كقوله: «و إنّا لمسنا السماء».(٥)(٦)

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٩٣ ـ ٢٩٤.
٢ـ مجمع البيان ٤ / ٤٢٧.
٣ـ الحجر (١٥) / ١٥.
٤ـ مجمع البيان ٤ / ٤٢٨.
٥ـ الجنّ (٧٢) / ٨.
٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٩٤.

[٨] «وَ قَالُوا لَوْ لَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَ لَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكاً لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ».

«و قالوا لولا أنزل». عن العسكريّ عليه السلام قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يوماً قاعداً بفناء الكعبة، إذ قال له ابن أبي أميّة المخزوميّ: يا محمّد، لقد ادّعيت أمراً هائلاً و زعمت أنّك رسول الله ربّ العالمين. و ماينبغي أن يكون مثلك رسوله بشراً مثلنا. و لو كنت نبيّاً، لكان معك ملك يصدّقك و نشاهده. بل لو أراد الله أن يبعث إلينا رسولاً نبيّاً، لكان ملكاً لا بشراً مثلنا. ما أنت إلّا مسحوراً. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: اللّهمّ أنت السامع لكلّ صوت. فأنزل عليه: «و قالوا لولا أنزل» ـ الآية. فقال صلى الله عليه وآله: أمّا قولك: لو كنت نبيّاً، لكان معك ملك يصدّقك أو لأرسل الله ملكاً، فالملك لاتشاهده هذه الأعيان. و لو شاهدتموه بأن يزاد في قوّة أبصاركم لقلتم: ليس هذا ملكاً بل بشراً. لأنّه إنّما كان يظهر لكم بصورة البشر الذي ألفتموه لتفهموا مقالته. فكيف كنتم تعلمون صدق الملك و أنّ ما يقوله حقّ ـ الحديث.(١)

«لقضي الأمر»؛ أي: أمر هلاكهم. «ثمّ لاينظرون» بعد نزوله طرفة عين. إمّا لأنّهم إذا عاينوا الملك قد نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله في صورة ـ و هي آية لا شيء أبين منها ـ ثمّ لايؤمنون، لم يكن بدّ من إهلاكهم، كما أهلك أصحاب المائدة. و إمّا لأنّه يزول الاختيارالذي هو قاعدة التكليف عند نزول الملك، فيجب إهلاكهم. و إمّا لأنّهم إذا شاهدوا ملكاً في صورته، زهقت أرواحهم من هول ما يشاهدون. و معنى ثمّ بعد ما بين الأمرين؛ قضاء الأمر و عدم الإنظار. و جعل عدم الإنظار أشدّ من قضاء الأمر، لأنّ مفاجأة الشدّة أشدّ من نفس الشدّة.(٢)

«الأمر». قيل: معناه: لقامت الساعة.(٣)

«لقضي الأمر». جواب لقولهم و بيان لما هو المانع ممّا اقترحوه و الخلل فيه. «لاينظرون» بعد نزوله طرفة عين.(٤)

١ـ الاحتجاج ١ / ٢٦ ـ ٣٠.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٧.
٣ـ مجمع البيان ٤ / ٤٢٩.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٩٤.

[٩] «وَ لَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَ لَلَبَسْنَا عَلَيْهِـمْ مَا يَلْبِسُونَ».

«و لو جعلناه ملكاً»؛ أي: لو جعلنا الرسول ملكاً كما اقترحوا. لأنّهم كانوا يـقولون: لولا أنزل على محمّد ملك. و تارة يقولون: «ما هذا إلّا بشر مثلكم».(١) «و لو شاء ربّنا لأنزل ملائكة».(٢) «لجعلناه رجلاً»: لأنزلناه في صورة رجل ـ كما كان ينزل جبرئيل على رسول الله ﷺ في أعمّ الأحوال في صورة دحية ـ لأنّهم لايبقون على رؤية الملائكة على صورتهم. «و للبسنا عليهم ما يلبسون»؛ أي: و لخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم حينئذ. فإنّهم يقولون إذا رأوا الملك في صورة الإنسان: هذا إنسان و ليس بملك. فإن قال لهم: الدليل على أنّي ملك أنّي جئت بالقرآن المعجز بأنّي ملك لا بشر، كذّبوه كما كذّبوا محمّداً. فإذا فعلوا ذلك، خذلوا كما هم مخذولون الآن. فهو لبس الله عليهم. و يجوز أن يراد: و للبسنا عليهم حينئذ مثل مايلبسون على أنفسهم الساعة في كفرهم بآيات الله البيّنة.(٣)

«و لو جعلناه ملكاً». جواب ثان، إن جعل الهاء للمطلوب. و إن جعلناه للرسول، فهو جواب اقتراح. فإنّهم تارة يقولون: «لولا أنزل عليه ملك». و تارة يقولون: «لو شاء ربّنا لأنزل ملائكة». و المعنى: و لو جعلناه قريناً لك ملكاً يعاينوه أو الرسول ملكاً، لمثّلناه رجلاً، لأنّ قوّة البشريّة لاتقوى على رؤية الملك في صورته.(٤)

«و للبسنا عليهم». قال الزجّاج: كانوا هم يلبسون على ضعفتهم في أمر النبيّ ﷺ و يقولون: إنّما هذا بشر مثلكم. فقال: لو أنزلنا ملكاً فرأوا الملك رجلاً، لكان يلحقهم فيه من اللّبس مثل ما لحق ضعفتهم منهم. أي: فإنّما طلبوا حال لبس لا حال بيان. و أضاف اللّبس إلى نفسه لأنّه يقع عند إنزاله الملائكة. و قيل: معناه: و لو أنزلنا ملكاً، لماعرفوه إلّا بالتفكّر، و هم لايتفكّرون، فيبقون في اللّبس الذي كانوا فيه.(٥)

١ـ المؤمنون (٢٣) / ٢٤.
٢ـ فصّلت (٤١) / ١٤.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٧ و ٨.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٩٤.
٥ـ مجمع البيان ٤ / ٤٢٩.

[١٠] «وَ لَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ».

تسلية للرسول ﷺ عمّا كان يلقى من قومه. «فحاق»: فأحاط.[١]

«فحاق»؛ أي: فنزل بهم وبال استهزائهم.[٢]

«فحاق بالّذين»؛ أي: فحاق بهم العذاب الذي كانوا يسخرون من وقوعه.[٣]

«ما كانوا»؛ أي: الشيء الذي كانوا به يستهزئون و هو الحقّ حيث أهلكوا من أجل الاستهزاء به.[٤]

[١١] «قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ».

«ثمّ انظروا». فإن قلت: أيّ فرق بين قوله: «فانظروا»[٥] و قوله: «ثمّ انظروا»؟ قلت: جعل النظر سبباً عن السير في قوله: «فانظروا». فكأنّه قيل: سيروا لأجل النظر و لاتسيروا سير الغافلين. و أمّا قوله: «سيروا في الأرض ثمّ انظروا» فمعناه إباحة السير في الأرض للتجارة و غيرها من المنافع و إيجاب النظر في آثار الهالكين. و نبّه على ذلك بثمّ لتباعد مابين الواجب و المباح.[٦]

«ثمّ انظروا» بالعين و القلب. «عاقبة المكذّبين». كانت باقية الآثار، فإذا سافروا في الأرض رأوها.[٧]

[١٢] «قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ قُلْ لِلّٰهِ كَتَبَ عَلىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ».

١ـ الكشّاف ٢ / ٨.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٩٤.
٣ـ مجمع البيان ٤ / ٤٣٠.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٨.
٥ـ آل عمران (٣) / ١٣٧: «فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذّبين».
٦ـ الكشّاف ٢ / ٨.
٧ـ مجمع البيان ٤ / ٤٣٠.

«قل لمن». سؤال تبكيت. و «قل لله» تقرير لهم. أي: هو لله لا خلاف بيني و بينكم و لاتقدروا أن تضيفوا شيئاً منه إلى غيره. «كتب على نفسه الرحمة»؛ أي: أوجبها على ذاته في هدايتكم إلى معرفته و نصب الأدلّة لكم على توحيده بما أنتم مقرّون به من خلق السموات و الأرض.[١]

«كتب على نفسه»؛ أي: التزمها على نفسه تفضّلاً و إحساناً. و المراد بالرحمة ما يـعمّ الدارين.[٢]

«ليجمعنّكم». قيل: إنّه احتجاج على من أنكر البعث و النشور. يقول: ليجمعنّكم إلى يوم القيامة الذي كرهتموه؛ أي: يجمع آخركم إلى أوّلكم قرناً بعد قرن إلى يوم القيامة و هو الذي لاريب فيه. و قيل: معناه: ليجمعنّ هؤلاء المشركين إلى هذا اليوم الذي يكفرون به. و أمّا السؤال بأنّه كيف يحذّر المشركين بالبعث و هم لايصدّقون به، فالجواب: انّه جار مجرى الإلزام. و أيضاً فإنّه تعالى إنّما ذكر ذلك عقيب الدليل. و أمّا نفي الريب عنه مع أنّ الكافرين مرتابون فيه، فجوابه: انّ الحقّ حقّ و إن ارتاب فيه المبطل. و أيضاً فإنّ الدلائل تزيل الشكّ و الريب. «الذين خسروا أنفسهم»؛ أي: أهلكوها بارتكاب الكفر. «فهم لايؤمنون»؛ أي: لايصدّقون بالحقّ.[٣]

«ليجمعنّكم». استئناف و قسم للوعيد على إشراكهم و إغفالهم النظر. أو: ليجمعنّكم في القبور مبعوثين إلى يوم القيامة فيجازيكم على شرككم. أو: في يوم القيامة، و إلى بمعنى في. و قيل: بدل من الرحمة بدل البعض. فإنّ من رحمته بعثه إيّاكم و إنعامه عليكم. «لاريب فيه»: في اليوم أو الجمع. «الذين خسروا». أي بتضييع رأس مالهم و هو الفطرة الأصليّة و العقل السليم. و موضع الذين نصب على الذمّ، أو رفع على الخبر ـ أي: و أنتم الذيـن أو عـلى الابتداء و الخبر «فهم لايؤمنون» و الفاء للدلالة على أنّ عدم إيمانهم مسبّب عن خسرانهم.

١ـ الكشّاف ٢ / ٨ ـ ٩. ٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٩٤.
٣ـ مجمع البيان ٤ / ٤٣١.

فإنّ إبطال العقل باتّباع الحواسّ و الوهم و الانهماك في التقليد و إغفال النظر، أدّى بهم إلى الإصرار على الكفر و الامتناع عن الإيمان.(١)

«الذين خسروا». فإن قلت: كيف جعل عدم إيمانهم مسبّباً عن خسرانهم و الأمر على العكس؟ قلت: معناه: الذين خسروا أنفسهم في علم الله لاختيارهم الكفر، فهم لا يؤمنون.(٢)

[١٣] «وَ لَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ».

«و له ما سكن»؛ أي: ما [سكن و] تحرّك. فاكتفى عنه بضدّه. و أمّا وجه ذكر الحركة و السكون من المخلوقات، فلما فيهما من التنبيه على حدوث العالم و إثبات الصانع. لأنّ الحركة تحتاج إلى محرّك.(٣)

«ما سكن»؛ أي: ما حلّ. من الحلول و السكون. أي خلقاً و ملكاً. و ذكر اللّيل و النهار و السموات و الأرض فيما قبل، لأنّ الأوّل يجمع المكان و الثاني يجمع الزمان و هما ظرفان لكلّ موجود.(٤)

«ما سكن». من السكنى، وتعديته [بفي] كما في قوله: «و سكنتم في مساكن الذين ظلموا».(٥) و المعنى ما اشتملا عليه. أو من السكون. أي: ما سكن فيهما أو تحرّك. فاكتفى بأحد الضدّين عن الآخر. «و هو السميع العليم». يجوز أن يكون وعيداً للمشركين على أقوالهم و أفعالهم.(٦)

[١٤] «قُلْ أَ غَيْرَ اللهِ أَتَّخِذُ وَلِيّاً فَاطِرِ السَّمٰوَاتِ وَ الأَرْضِ وَ هُوَ يُطْعِمُ وَ لَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَ لَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ».

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٩٤ ـ ٢٩٥.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٩.
٣ـ مجمع البيان ٤ / ٤٣١ ـ ٤٣٢.
٤ـ مجمع البيان ٤ / ٤٣١.
٥ـ إبراهيم (١٤) / ٤٥.
٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٩٥.

«قل أغير الله». إنكار لاتّخاذ غير الله وليّاً لا لاتّخاذ الوليّ. فلذلك قدّم و أولى الهمزة. و المراد بالوليّ المعبود. لأنّه ردّ لمن دعاه إلى الشرك. «فاطر السموات و الأرض»: مبدعهما. و عن ابن‌عبّاس: ماعرفت معنى الفاطر حتّى أتاني أعرابيّان يختصمان في بئر فقال أحدهما: أنا فطرتها؛ أي: ابتدأتها. و جرّه على الصفة لله فإنّه بمعنى الماضي. «يطعم و لايطعم»؛ أي: يَرزق و لايُرزق. «أوّل من». لأنّ النبيّ سابق أمّته في الدين. «و لاتكوننّ»؛ أي: قيل لي: و لاتكوننّ. و يجوز عطفه على قل.(١)

«وليّاً»؛ أي: مالكاً و مولًى. «أغير الله». النزول: قيل: إنّ أهل مكّة قالوا: يا محمّد ﷺ تركت ملّة قومك و قد علمنا أنّه لايحملك على ذلك إلّا الفقر. فإنّا نجمع لك من أموالنا حتّى تكون من أغنيائنا. فنزلت. «من أسلم»: استسلم لأمر الله.(٢)

[١٥] «قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ».

«قل إنّي أخاف». مبالغة أخرى في قطع أطماعهم، و تعريض لهم بأنّهم عصاة مستوجبون للعذاب. و الشرط معترض بين الفعل و المفعول به وجوابه محذوف دلّ عليه الجملة.(٣)

[١٦] «مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَ ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ».

«من يصرف عنه»؛ أي: يصرف العذاب عنه. و قرأ حمزة و الكسائيّ: «يَصْرِف» على أنّ الضمير فيه لله ـ و قد قرئ بإظهاره ـ و المفعول به محذوف أو يومئذ بحذف المضاف. «فقد رحمه»: نجاه و أنعم عليه. «و ذلك»؛ أي: الصرف و الرحمة.(٤)

[١٧] «وَ إِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَ إِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

١ـ تفسيرالبيضاويّ ١ / ٢٩٥.
٢ـ مجمع البيان ٤ / ٤٣٣.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٩٥.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٩٥.

«بضرّ»: ببليّة كمرض و فقر. «بخير»: بنعمة كصحّة و غنًى. «قدير»، فكان قادراً على حفظه و إدامته، فلايقدر على دفعه غيره. كقوله: «فلا رادّ لفضله»[١].[٢]

[١٨] «وَ هُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَ هُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ».

«فوق عباده»: تصوير لقهره و علوّه بالغلبة و القدرة. «الحكيم» في أمره و تدبيره. «الخبير» بالعباد و خفايا أمورهم.[٣]

[١٩] «قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ وَ أُوحِيَ إِلَيَّ هٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَ مَنْ بَلَغَ أَ إِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخْرىٰ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلٰهٌ وَاحِدٌ وَ إِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ».

«قل أيّ شيء». نزلت حين قالت قريش: يا محمّد، لقد سألنا عن اليهود و النصارى فزعموا أن ليس لك عندهم ذكر و لا صفة. فأرنا من يشهد لك أنّك رسول الله. و الشيء يقع على كلّ موجود.[٤]

رواه عليّ بن إبراهيم في التفسير عن الباقرعليه السلام.[٥]

«قل الله شهيد». يحتمل أن يكون تمام الجواب عند قوله: «قل الله» ـ بمعنى: الله اكبر شهادة ـ ثمّ ابتدأ: «شهيد بيني و بينكم»؛ و أن يكون «الله شهيد بيني و بينكم» هو الجواب لدلالته على أنّ الله إذا كان هو الشهيد بينه و بينهم فأكبر شيء شهادة شهيد له. «و من بلغ». عطف على ضمير المخاطبين من أهل مكّة. أي: لأنذركم به و أنذر كلّ من بلغه القرآن من العرب و العجم. و قيل: من الثقلين. و قيل: من بلغه إلى يوم القيامة.[٦]

«شهادة»؛ أي: يشهد لي بالبلاغ و عليكم بالتكذيب. «و من بلغ». عن النبيّصلى الله عليه وآله قال:

١ـ يونس (١٠) / ١٠٧.

٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٩٥.

٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٩٦.

٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٩٦.

٥ـ تفسير القمّيّ ١ / ١٩٥.

٦ـ الكشّاف ٢ / ١١.

من بلغه أنّي أدعو إلى أن لا إله إلّا الله، فقد بلغته الحجّة و قامت عليه. و في تفسير العيّاشيّ قال أبوجعفر و أبوعبدالله عليهما السلام: معناه: من بلغ أن يكون إماماً من آل محمّد عليهم السلام فهو ينذر بالقرآن كما أنذر رسول الله. و على هذا فيكون قوله: «و من بلغ» في موضع رفع عطفاً على الضمير في أنذر. «و أوحي»؛ أي: أنزل حجّة على صدقي. «آلهة أخرى» بعد قيام الحجّة بوحدانيّة الله تعالى.(١)

«قل الله»؛ أي: الله أكبر شهادة. «أئنّكم». تقرير لهم مع إنكار و استبعاد. «قل إنّما هو إله»؛ أي: بل أشهد أن لا إله إلّا هو. «تشركون». يعني الأصنام.(٢)

[٢٠] «الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ».

«الذين»: اليهود و النصارى. «يعرفونه»؛ أي: يعرفون رسول الله صلّى الله عليه و آله بحليته و نعته الثابت في الكتابين معرفة خاصّة. «كما يعرفون أبناءهم» بحلاهم و نعوتهم لايخفون عليهم و لايلتبسون بغيرهم. و هذا استشهاد لأهل مكّة بمعرفة أهل الكتاب به و بصحّة نبوّته. «خسروا أنفسهم» من المشركين و من أهل الكتاب الجاحدين «فهم لايؤمنون» به.(٣)

«خسروا» من أهل الكتاب و المشركين. «لايؤمنون». أي لتضييعهم ما به يكتسب الإيمان.(٤)

قيل لعبدالله بن سلام: إنّ الله أنزل على نبيّنا أنّ أهل الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم. فكيف هذه المعرفة؟ قال عبدالله بن سلام: نعرف نبيّ الله بالنعت الذي نعته الله. إذا رأيناه فيكم، عرفناه كما يعرف أحدنا ابنه إذا رآه بين الغلمان. و أيم الله الذي يحلف به ابن سلام، لأنا بمحمّد أشدّ معرفة منّي بابني. فقال له: كيف؟ قال عبدالله: عرفته بما نعته الله لنا في كتابنا فأشهد أنّه هو. فأمّا ابني فإنّي لاأدري ما أحدثت أمّه. قال: قد وفّقت و صدقت و

١ـ مجمع البيان ٤ / ٤٣٦ ـ ٤٣٧.

٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٩٦.

٣ـ الكشّاف ٢ / ١١ ـ ١٢.

٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٩٦.

أصبت.[١]

[٢١] «وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرىٰ عَلَى اللهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ».

«و من أظلم ممّن افترى على الله كذباً». كقولهم: الملائكة بنات الله، و «هؤلاء شفعاؤنا عندالله».[٢] «أو كذّب بآياته». كأن كذّبوا القرآن و المعجزات و سمّوها سحراً. و إنّما ذكر «أو»، و هم قد جمعوا بين الأمرين، تنبيهاً على أنّ كلّاً منهما وحده بالغ غاية الإفراط في الظلم على النفس. «لايفلح الظالمون»، فضلاً عمّن لا أحد أظلم منه.[٣]

[٢٢] «وَ يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ».

«يوم نحشرهم». ناصبه محذوف. تقديره: و يوم نحشرهم كان كيت كيت. فترك ليبقى على الإبهام الذي هو أدخل في التخويف. «أين شركاؤكم»: أين آلهتكم التي جعلتموها شركاء لله؟ «تزعمون». معناه: تزعمونهم شركاء. فحذف المفعولان. و إنّما يقال لهم ذلك على جهة التوبيخ. و يجوز أن يشاهدوهم، إلّا أنّهم حين لاينفعونهم و لايكون منهم ما رجوا من الشفاعة، فكأنّهم غيب عنهم؛ و أن يحال بينهم و بينهم في وقت التوبيخ ليفقدوهم في الساعة التي علّقوا بهم الرجاء فيها فيروا مكانه خزيهم و حسرتهم.[٤]

«تزعمون»: زعمتم نفعها.

[٢٣] «ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَ اللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ».

«تكن». قرأ ابن‌كثير: «لم تكن» ـ بالتاء ـ «فتنتُهم» بالرفع، على أنّها الاسم. و نافع بالتاء و النصب على أنّ الاسم «أن قالوا» و التأنيث للخبر؛ كقولهم: من كانت أمّك. و الباقون بالياء

١ـ مجمع البيان ٤ / ٤٣٧.
٢ـ يونس (١٠) / ١٨.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٩٦.
٤ـ الكشّاف ٢ / ١٢.

و النصب. «فتنتهم»؛ أي: معذرتهم التي يتوهّمون أن يتخلّصوا بها. من فتنت الذهب، إذا خلّصته.[1]

و المعنى: لم تكن عاقبة كفرهم الذي لزموه أعمارهم و قاتلوا عليه و افتخروا به و قالوا دين آبائنا إلّا جحوده و التبرّؤ منه و الحلف على الانتفاء من التديّن به. و يجوز أن يراد: لم يكن جوابهم إلّا أن قالوا. فسمّي فتنة لأنّه كذب.[2]

«و الله ربّنا». بالنصب على النداء أو المدح.[3]

«ربّنا». و عنه عليه السلام: ما كنّا مشركين بولاية عليّ عليه السلام.[4]

عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث طويل يذكر فيه أحوال يوم القيامة و أهل المحشر قال: ثمّ يجتمعون في موطن آخر فيستنطقون فيه فيقولون: «و الله ربّنا ما كنّا مشركين». فيختم الله على أفواههم فيستنطق الأيدي و الأرجل و الجلود فتشهد بكلّ معصية كانت منهم. ثمّ يرفع عن ألسنتهم الختم فيقولون لجلودهم: «لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله»[5].[6]

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ الله يعفو يوم القيامة عفواً لا يخطر على بال أحد؛ حتّى يقول أهل الشرك: «و الله ربّنا ما كنّا مشركين».[7]

«ما كنّا مشركين». و أمّا قول من يقول: معناه: ما كنّا مشركين عند أنفسنا و ما علمنا أنّا على خطأ في معتقدنا و حمل قوله: «انظر كيف كذبوا على أنفسهم» يعني في الدنيا، فتمحّل و تعسّف. و ما أدري ما يصنع من ذلك تفسيره بقوله: «يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم و يحسبون أنّهم على شيء ألا إنّهم هم الكاذبون»[8] بعد قوله: «و يحلفون على الكذب و هم يعلمون»[9]، فشبّه كذبهم في الآخرة بكذبهم في الدنيا.[10]

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٩٦.
٢ـ الكشّاف ٢ / ١٢.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٩٧.
٤ـ تفسير القمّيّ ١ / ١٩٩.
٥ـ فصّلت (٤١) / ٢١.
٦ـ التوحيد / ٢٦١، ح ٥.
٧ـ تفسير العيّاشيّ ١/ ٣٥٧، ح ١٥.
٨ـ المجادلة (٥٨) / ١٨.
٩ـ المجادلة (٥٨) / ١٤.
١٠ـ الكشّاف ٢ / ١٣.

[٢٤] «انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلىٰ أَنْفُسِهِمْ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ».

«انظر كيف كذبوا». فإن قلت: كيف صحّ أن يكذبوا حين يطّلعون على حقائق الأمور و على أنّ الكذب و الجحود لا وجه لمنفعته؟ قلت: الممتحن ينطق بما ينفعه و ما لاينفعه من غير تمييز بينهما حيرة و دهشاً. ألاتراهم يقولون: «ربّنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنّا ظالمون».(١) و أيقنوا بالخلود و لم يشكّوا فيه.(٢)

«على أنفسهم». أي بنفي الشرك عنها.(٣)

«ما كانوا يفترون»؛ أي: ضلّت عنهم أوثانهم التي كانوا يعبدونها و يفترون الكذب بقولهم: هؤلاء شفعاؤنا عندالله غداً، فذهبت عنهم في الآخرة فلم يجدوها و لم ينتفعوا بها.(٤)

[٢٥] «وَ مِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَ جَعَلْنَا عَلىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَ فِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَ إِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ».

«و منهم من يستمع إليك». قال القاضي [أبوعاصم العامريّ]: أصحّ الأقوال فيه ما روي: انّ النبيّ ﷺ كان يصلّي باللّيل و يقرأ القرآن في الصلاة جهراً، رجاء أن يسمع إلى قراءته إنسان فيتدبّر معانيه و يؤمن به. و كان المشركون إذا سمعوه آذوه و منعوه عن الجهر بالقراءة، فكان الله يلقي عليهم النوم و يجعل في قلوبهم أكنّة ليقطعهم عنه. و ذلك بعد ما بلغهم ما تقوم به الحجّة أو بعد ما علم الله أنّهم لاينتفعون بسماعه. فشبّه إلقاء النوم عليهم بجعل الغطاء على قلوبهم و الوقر على آذانهم، لأنّ ذلك يمنعهم عن التدبّر كالوقر و الغطاء. و هذا معنى قوله تعالى: «و إذا قرأت القرآن جعلنا بينك و بين الذين لايؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً».(٥) و يحتمل [ذلك] وجهاً آخر و هو أنّه تعالى يعاقب هؤلاء الكفّار

١ـ المؤمنون (٢٣) / ١٠٧.
٢ـ الكشّاف ٢ / ١٣.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٩٧.
٤ـ مجمع البيان ٤ / ٤٤١.
٥ـ الإسراء (١٧) / ٤٥.

الذين علم أنّهم لايؤمنون بعقوبات يجعلها في قلوبهم تكون موانع من أن يفهموا ما يسمعونه. و يحتمل أيضاً أن يكون سمّى الكفر الذي في قلوبهم كنّاً تشبيهاً و مجازاً و إعراضهم عن تفهّم القرآن وقراً توسّعاً. لأنّ مع الكفر و الإعراض لايحصل الايمان و الفهم كما لايحصل مع الكنّ و الوقر. و نسب ذلك إلى نفسه لأنّه الذي شبّه أحدهما بالآخر. كما يقال: جعل القاضي فلاناً عدلاً؛ أي: حكم عليه بذلك.(۱)

«و منهم من يستمع إليك» حين تتلو القرآن. و المراد أبوسفيان و الوليد و النضر و عتبة و شيبة و أبوجهل و أضرابهم؛ اجتمعوا فسمعوا رسول الله ﷺ يقرأ فقالوا [للنضر]: ما يقول؟ [فقال:] و الذي جعل الكعبة بيته، ما أدرى ما يقول إلّا أنّه يحرّك لسانه و يقول أساطير الأوّلين [مثل] ما حدّثتكم. «أكنّة»: أغطية. «أن يفقهوه»: كراهة أن يفقهوه.(۲)

«وقراً». الوقر: الثقل في الأذن. «وإن يروا كلّ آية»؛ أي: علامة و معجزة دالّة على نبوّتك، «لايؤمنوا بها» لعنادهم. «يجادلونك». يعني أنّهم إذا دخلوا عليك بالنهار، يجيئون مجيء مخاصمين مجادلين رادّين عليك قولك و لم يجيئوا مجيء من يريد الرشاد و النظر في الأدلّة على توحيد الله و نبوّة نبيّه. «إن هذا إلّا أساطير الأوّلين»؛ أي: ما هذا القرآن إلّا أحاديث الأوّلين الذين كانوا يسطرونها. و قيل: معنى الأساطير الترّهات و البسابس ـ مثل حديث رستم و اسفنديار ـ ممّا لا طائل تحته. و قيل: هو مثل قولهم في تحليل أكل الميتة: أتأكلون ما تقتلون بأيديكم و لاتأكلون ما قتله الله؟(۳)

الأساطير: الأباطيل. جمع أسطار، جمع سطر. و أصله السطر بمعنى الخطّ.(٤)

[٢٦] «وَ هُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَ يَنْأَوْنَ عَنْهُ وَ إِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَ مَا يَشْعُرُونَ».

«و هم ينهون عنه و ينأون عنه»؛ أي: يتباعدون عنه فراراً عنه. عن محمّد بن الحنفيّة و ابن‌عبّاس. أو: ينهون عن استماع القرآن لئلّايقع في قلوبهم صحّته و يتباعدون عن استماعه.

۱ـ مجمع البيان ٤ / ٤٣٣.

۲ـ تفسير البيضاويّ ۱ / ۲۹۷.

۳ـ مجمع البيان ٤ / ٤٤٣ ـ ٤٤٤.

٤ـ تفسير البيضاويّ ۱ / ۲۹۷.

و قيل: يعني به أباطالب بن عبدالمطّلب. و معناه: يمنعون الناس عن أذى النبيّ و لا يتّبعونه. عن عطا و مقاتل. و هذا لايصحّ. لأنّ هذه الآية معطوفة على ما تقدّمها و ما تأخّر عنها معطوفة عليها و كلّها في ذمّ الكفّار المعاندين للنبيّ صلّى الله عليه و آله. و قد ثبت إجماع أهل البيت على إيمان أبي طالب و إجماعهم حجّة. و الأشعار التي قالها أبوطالب و الخطب الدالّة على إسلامه ممّا يطول الكتاب بذكرها. «عنه»؛ أي: الكفّار الذين تقدّم ذكرهم ينهون الناس عن اتّباع النبيّ صلّى الله عليه و آله.(١)

[٢٧] «وَ لَوْ تَرىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَ لَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَ نَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ».

«و لو ترى» يا محمّد، أو أيّها السامع. «و لو ترى إذ وقفوا». جواب لو محذوف. أي: لو تراهم حين يوقفون على النار حتّى يعاينوها و يطّلعون عليها، أو يدخلونها فيعرفون مقدار عذابها، لرأيت أمراً شنيعاً. «و لانكذّب» «و نكون». نصبهما حمزة و حفص على الجواب بإضمار أن بعد الواو إجراءها مجرى الفاء.(٢)

«و لانكذّب». قرأ: «و لانكذّب» «و نكون» بالنصب حفص عن عاصم و حمزة. و قرأ ابن‌عامر: «و نكون» بالنصب. و قرأ الباقون بالرفع فيهما. من قرأ بالرفع، جاز فيه وجهان: أحدهما أن يكون معطوفاً على نردّ فيكون و لانكذّب و نكون داخلاً في التمنّي دخول نردّ فيه. و يحتمل الرفع وجهاً آخر و هو أن تقطعه من الأوّل. أي: نحن لانكذّب و نكون، سواء حصل الردّ أم لا. و حجّة من نصب أنّه أدخل ذلك في التمنّي لأنّ التمنّي غير موجب، فهو كالاستفهام و الأمر و النهي في انتصاب ما بعد ذلك كلّه من الأفعال إذا دخلت عليها الفاء و الواو. أي: يا ليتنا يكون لنا ردّ و انتفاء التكذيب و الكون من المؤمنين. و من رفع «و لانكذّب» و نصب «نكون» فإنّ الفعل الذي [هو] لانكذّب يحتمل [وجهين: أحدهما] أن

١ـ مجمع البيان ٤ / ٤٤٤ ـ ٤٤٦.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٩٧.

يكون داخلاً في التمنّي [فيكون في المعنى]كالنصب، و الآخر أن يخبر على البتات أن لانكذّب ردّ أم لم يردّ. و من نصبهما جميعاً، جعلهما داخلين في التمنّي.(١)

[٢٨] «بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَ لَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ».

«بل بدا لهم». الإضراب عن إرادة الإيمان المفهوم من التمنّي. و المعنى أنّه ظهر لهم ما كانوا يخفون من نفاقهم أو قبائح أفعالهم فتمنّوا ذلك ضجراً لا عزماً على أنّهم لو ردّوا لآمنوا. «و لو ردّوا» إلى الدنيا بعد الوقوف و الظهور، «لعادوا» إلى الكفر و المعاصي. «و إنّهم لكاذبون» فيما وعدوا من أنفسهم.(٢)

عن أبي عبدالله عليه السلام: لمّا كلّف الله المؤمنين في عالم الذرّ الدخول إلى نار أجّها، دخلوها، فجعلها عليهم برداً و سلاماً. و لمّا كلّف غيرهم دخولها قالوا: لا طاقة لنا بحرّها. ثمّ أظهروا الندم و قالوا: أقلنا نفعل كما فعلوا. فقال: قد أقلتكم. فصنعوا مثل المرّة الأولى. فذلك قوله: «و لو ردّوا لعادوا» ـ الآية.(٣)

«لكاذبون» في ذلك التمنّي. و وجه الكذب فيه، مع أنّ التمنّي لايجري فيه الكذب، أنّه متضمّن للوعد.

[٢٩] «وَ قَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَ مَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ».

«و قالوا». عطف على لعادوا، أو على أنّهم لكاذبون، أو على نهوا. أو استئناف بذكر ما قالوه في الدنيا. «إن هي». الضمير للحياة.(٤)

[٣٠] «وَ لَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَ لَيْسَ هٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَ رَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ».

١ـ مجمع البيان ٤ / ٤٤٦ ـ ٤٤٧.

٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٩٨.

٣ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٣٥٨، ح ١٨.

٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٩٨.

«إذ وقفوا». مجاز عن الحبس للسؤال و التوبيخ. و قيل: معناه: على قضاء ربّهم، أو جزائه. أو: عرفوه حقّ التعريف. «قال أليس هذا». كأنّه جواب قائل قال: ماذا قال ربّهم حينئذ؟ و الهمزة للتقريع على التكذيب و الإشارة إلى البعث و ما يتبعه من الثواب و العقاب. «بلى». إقرار مؤكّد باليمين لانجلاء الأمر غاية الانجلاء. «بما كنتم»: بسبب كفركم أو ببدله.(١)

[٣١] «قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَ هُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ».

«قد خسر الذين». إذ فاتهم النعيم و استوجبوا العذاب المقيم. و لقاء الله: البعث و ما يتبعه. «حتّى إذا جاءتهم». غاية لكذّبوا لا لخسر. لأنّ خسرانهم لا غاية له. «بغتة»: فجأة. و نصبها على الحال أو المصدر، فإنّها نوع المجيء. «يا حسرتنا» تعالي فهذا أوانك. «على ما فرّطنا»؛ أي: قصّرنا. «فيها»؛ أي: في الحياة الدنيا. أضمرت، و إن لم يجر ذكرها، للعلم بها. أو: في الساعة؛ أي: في شأنها و الإيمان بها. «يحملون أوزارهم». تمثيل لاستحقاقهم آصار الآثام. «ساء»؛ أي: بئس شيئاً يزرونه وزرهم.(٢)

«بلقاء الله»؛ أي: بثوابه و عقابه. «فيها». قيل: إنّ الهاء تعود إلى الجنّة. [أي:] في طلبها و العمل لها. كما روي عنه ﷺ أنّ ذلك حين يرى أهل النار منازلهم من الجنّة فيقولون: «يا حسرتنا». [و] يجوز أن يعود إلى معنى ما. أي: يا حسرتنا على الأعمال الصالحة التي فرّطنا فيها. فيكون ما موصولة. «و هم يحملون». جعل ما ينالهم من العذاب بمنزلة أثقل ما يحمل. يعني أنّهم يقاسون عذاب آثامهم مقاساة تثقل عليهم.(٣)

[٣٢] «وَ مَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ وَ لَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَ فَلَا

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٩٨.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٩٨.
٣ـ مجمع البيان ٤ / ٤٥٣.

تَعْقِلُونَ».

«و ما الحياة الدنيا»؛ أي: و ما أعمالها إلّا لعب و لهو يلهي الناس و يشغلهم عمّا يعقب منفعة دائمة و لذّة حقيقيّة. و هي جواب لقولهم: «إن هي إلّا حياتنا الدنيا». «و للدار». قرأ ابن‌عامر: «و لدار الآخرة». «خير» لدوامها و خلوص منافعها. و قوله: «للّذين يتّقون» تنبيه على أنّ ما ليس من أعمال المتّقين لعب ولهو.(١)

«إلّا لعب». قيل: المراد باللّهو و اللّعب أنّ الحياة الدنيا تنقضي و تفنى و لاتبقى فيكون لذّته فانية عن قريب كاللّهو و اللّعب. «تعقلون». قرأ أهل المدينة [و ابن‌ذكوان عن...] بالتاء، و الباقون بالياء.(٢)

[٣٣] «قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَ لٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ».

«قد نعلم». معنى قد زيادة الفعل و كثرته. «إنّه». الضمير للشأن.(٣)

«لايكذّبونك». عن الصادق عليه السلام: لايستطيعون إبطال قولك.(٤)

«لايكذّبونك» في الحقيقة، و إنّما يكذّبون الله.(٥) كقوله: «من يطع الرسول فقد أطاع الله».(٦)

«ليحزنك». قرأ نافع بضمّ الياء و كسر الزاء. [و قرأ نافع و الكسائيّ و الأعشى عن أبي‌بكر: «لايُكْذبونك» خفيف. و هو قراءة عليّ عليه السلام و المرويّ عن جعفر الصادق عليه السلام.] «لايكذّبونك»؛ أي: لاينسبونك إلى الكذب. مثل: فسّقت زيداً؛ أي: نسبته إلى الفسق. [و قد جاء في هذا المعنى أفعلته.] فيجوز على هذا أن يكون معنى القراءتين واحداً. «الذي يقولون» إنّك شاعر أو مجنون و نحو ذلك. «فإنّهم لايكذّبونك». دخلت الفاء لأنّ

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٩٨.

٢ـ مجمع البيان ٤ / ٤٥١ و ٤٥٣.

٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٩٨.

٤ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٣٥٩، ح ٢١.

٥ـ الكشّاف ٢ / ١٨.

٦ـ النساء (٤) / ٨٠.

الكلام يقتضيها. كأنّه قيل: إذا كان يحزنك قولهم، فاعلم أنّهم لايكذّبونك بحجّة و لايتمكّنون من إبطال ماجئت به ببرهان. و يدلّ عليه ماروي عن عليّ عليه السلام أنّه كان يقرأ: «و لايكذبونك» و يقول: إنّ المراد بها أنّهم لايأتون بحقّ هو أحقّ من حقّك.[١]

«ولكنّ الظالمين»؛ أي: لكنّهم يجحدون آيات الله و يكذّبونها. فوضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على أنّهم ظلموا بجحودهم أو جحدوا لتمرّنهم على الظلم. و الباء لتضمين الجحود معنى الكذب. روي أنّ أباجهل كان يقول: مانكذّبك و إنّك عندنا لصادق. و إنّما نكذّب ما جئتنا به.[٢]

[٣٤] «وَ لَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلىٰ مَا كُذِّبُوا وَ أُوذُوا حَتّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ وَ لَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ».

«و لقد كذّبت». تسلية لرسول الله صلى الله عليه و آله. «على ما كذّبوا»؛ أي: على تكذيبهم و إيذائهم. فتأسّ بهم و اصبر. «نصرنا». فيه إيماء بوعدة النصر للصابرين. «لكلمات الله»؛ أي: لمواعيده. من قوله: «ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا» ـ الآيات.[٣] «من نبأ»؛ أي: من قصصهم و ما كابدوا من قومهم.[٤]

«من نبأ». قال الأخفش: من هنا مزيدة. كما تقول: أصابنا من مطر. و قال غيره من النحويّين: لايجوز ذلك. لأنّ من لاتزاد في الإيجاب بل تزاد في النفي. و من هنا للتبعيض.[٥]

[٣٥] «وَ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقاً فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّماً فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَ لَوْ شَاءَ اللهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ».

١ـ مجمع البيان ٤ / ٤٥٤ ـ ٤٥٦.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٩٨ ـ ٢٩٩.
٣ـ الصافّات (٣٧) / ١٧١ ـ ١٧٣.
٤ـ تفسيرالبيضاويّ ١ / ٢٩٩.
٥ـ مجمع البيان ٤ / ٤٥٦ ـ ٤٥٧.

«و إن كان كبر». [كان يكبر] على النبيّ صلى الله عليه وآله كفر قومه و إعراضهم عمّا جاء به، فنزل: «لعلّك باخع نفسك على آثارهم»[١] «إنّك لاتهدي من أحببت»[٢] و هذه الآية. أي: إن استطعت منفذاً تنفذ فيه إلى ما تحت الأرض حتّى تطلع لهم آية يؤمنون بها أو سلّماً في السماء فتأتيهم منها بآية، فافعل. أي إنّك لاتستطيع ذلك. و المراد بيان حرصه على إسلام قومه و تهالكه عليهم و أنّه لو استطاع أن يأتيهم بآية من تحت الأرض أو من فوق السماء لأتى بها رجاء إيمانهم. و قيل: كانوا يقترحون الآيات، فكان يودّ أن يجابوا إليها لتمادي حرصه على إيمانهم، فقيل له: إن استطعت كذا فافعل، دلالة على أنّه بلغ من حرصه أن لو استطاع ذلك لفعله حتّى يأتيهم بما اقترحوا لعلّهم يؤمنون. «لجمعهم» بآية ملجئة، ولكنّه لايفعل لخروجه عن الحكمة. «من الجاهلين» الذين يجهلون ذلك و يرومون ما هو خلافه.[٣]

عن أبي جعفر عليه السلام: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يحبّ إسلام الحارث بن جابر بن نوفل بن عبد مناف. فدعاه و جهد به أن يسلم. فغلب عليه الشقا. فشقّ ذلك على رسول الله صلى الله عليه وآله. فأنزل الله: «و إن كان كبر عليك» ـ الآية.[٤]

«في الأرض». صفة لنفقاً. و «في السماء» صفة لسلّماً. و يجوز أن يكونا متعلّقين بتبتغي أو حالين من المستكنّ. و جواب الشرط الثاني محذوف. تقديره: فافعل. و الجملة جواب الأوّل.[٥]

«فتأتيهم بآية»: بحجّة تلجئهم إلى الايمان و تجمعهم على ترك الكفر، فافعل ذلك. و قيل: بآية أفضل ممّا آتيناهم. يعني لا آية أظهر من ذلك. «من الجاهلين»، بأن تتحسّر و تجزع لكفرهم.[٦]

١ـ الكهف (١٨) / ٦.

٢ـ القصص (٢٨) / ٥٦.

٣ـ الكشّاف ٢ / ١٩ ـ ٢٠.

٤ـ تفسير القمّيّ ١ / ١٩٧.

٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٩٩.

٦ـ مجمع البيان ٤ / ٤٥٨.

[٣٦] «إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَ الْمَوْتىٰ يَبْعَثُهُمُ اللهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ».

«إنّما يستجيب». يعني أنّ الذين تحرص على أن يصدّقوك بمنزلة الموتى الذين لايسمعون، و إنّما يستجيب من يسمع. كقوله: «إنّك لاتسمع الموتى».(١) «و الموتى يبعثهم الله». مثل لقدرته على إلجائهم على الاستجابة بأنّه هو الذي يبعث الموتى من القبور يوم القيامة. «ثمّ إليه يرجعون» للجزاء، فكان قادراً على هؤلاء الموتى بالكفر أن يحييهم بالإيمان و أنت لاتقدر على ذلك. و قيل: معناه: و هؤلاء الموتى ـ يعني الكفرة ـ يبعثهم الله ثمّ إليه يرجعون فحينئذ يستمعون. و أمّا قبل ذلك، فلا سبيل إلى استماعهم.(٢)

[٣٧] «وَ قَالُوا لَوْ لَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلىٰ أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ».

«لولا نزّل». بمعنى أنزل. و إنّما قالوا ذلك مع تكاثر الآيات النازلة على رسول الله صلى الله عليه وآله لتركهم الاعتداد بما أنزل عليه كأنّه لم‌ينزل عليه شيء من الآيات عناداً. «آيةً» تضطرّهم إلى الايمان، كنتق الجبل على بني إسرائيل و نحوه. أو: آيةً [إن] جحدوها جاءهم العذاب. «ولكنّ أكثرهم لايعلمون» أنّ الله قادر على أن ينزّل تلك الآية و أنّ صارفاً من الحكمة يصرفه عن إنزالها.(٣)

«لولا نزّل عليه آية». اقترحوا عليه مثل آيات الأوّلين كعصا موسى و ناقة ثمود. «لايعلمون» أنّ في إنزالنا كفاية و منتفعاً لمن نظر و تدبّر.(٤)

«لايعلمون» أنّ الآية إذا جاءت و لم‌يؤمنوا بها، يهلكوا. و عن أبي‌جعفر عليه السلام في قوله: «إنّ الله قادر على أن ينزّل آية»: و سيريك في آخر الزمان آيات منها دابّة الأرض و الدجّال و نزول عيسى بن مريم عليه السلام و طلوع الشمس من مغربها.(٥)

١ـ النمل (٢٧) / ٨٠.
٢ـ الكشّاف ٢ / ١٩ ـ ٢٠.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٢٠ ـ ٢١.
٤ـ مجمع البيان ٤ / ٤٥٩.
٥ـ تفسير القمّيّ ١ / ١٩٨.

[٣٨] «وَ مَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَ لَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ».

«و ما من دابّة» ـ الآية. الذي ورد في الأخبار عن السادة الأطهار عليهم السلام: انّ كلّ بعير يوقف موقف عرفة سبع حجج، يكون من نعم الجنّة. و انّ من نعم الجنّة ناقة عليّ بن الحسين عليه السلام. لأنّه حجّ عليها عشرين حجّة. و منها يعفور حمار رسول الله صلى الله عليه و آله، و كذا العضباء ناقة رسول الله صلى الله عليه و آله تركب عليها فاطمة عليها السلام، و كذلك كلب أصحاب الكهف. و منها حمارة بلعم بن باعورا. فإنّه كان يعلم الاسم الأعظم و قال له فرعون: ادع الله أن يحبس موسى و قومه حتّى ندركه. فركب حمارته قاصداً إلى البحر، فلم تسر تحته. و أنطقها الله سبحانه و قالت: كيف أمشي تحتك و أنت تريد إعانة فرعون؟ فضربها حتّى قتلها. و كذلك الذئب الذي قتل ابن شرطيّ كان له ابن يحبّه فأرسله سلطان جائر ليحشر له جماعة من المؤمنين يعذّبهم فلمّا أكل ولده اشتغل بذلك.(١)

«إلّا أمم أمثالكم»؛ أي: مكتوبة أرزاقها و آجالها و أعمارها كما كتبت آجالكم و أرزاقكم و أعماركم. «مافرّطنا»: ماتركنا و ماأغفلنا «في الكتاب»: في اللوح المحفوظ «من شيء» لم نكتبه. ثمّ تحشر تلك الأمم كلّها إلى ربّها فيعوضها و ينصف بعضها من بعض؛ كما روي أنّه يأخذ للجمّاء من القرناء. و أمّا قوله: «إلّا أمم»، مع إفراد الدابّة و الطائر، فلأنّهما دالّان على معنى الاستغراق و مغنيان عن أن يقال: و ما من دوابّ و لا طير [و] حمل قوله: «إلّا أمم» على المعنى. و أمّا زيادة «في الأرض» و «يطير بجناحيه» فلزيادة التعميم و الإحاطة. كأنّه قيل: و ما من دابّة قطّ في جميع الأرضين السبع و ما من طائر قطّ في جوّ السماء من جميع ما يطير بجناحيه، إلّا أمم أمثالكم محفوظة أحوالها غير مهمل أمرها. و الغرض الدلالة على عظم قدرته و سعة علمه.(٢)

١ـ انظر: ثواب الأعمال / ٧٤، ح ١، و الخصال / ٢٠٤، ح ٢٠، و تفسير القمّيّ ١ / ٢٤٨.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٢١.

[٣٩] «وَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَ بُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأِ اللهُ يُضْلِلْهُ وَ مَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ».

فإن قلت: كيف أتبعه «و الذين كذّبوا»؟ قلت: لمّا ذكر من خلائقه و آثار قدرته ما يشهد لربوبيّته و ينادي على عظمته، قال: و المكذّبون «صمّ» لايسمعون كلام المنبّه «بكم» لاينطقون بالحقّ خابطون في ظلمات الكفر، فهم غافلون عن التأمّل في ذلك. ثمّ قال إيذاناً بأنّهم من أهل الطبع: «من يشأ الله يضلله»؛ أي: يخذله و ضلاله، لم يلطف به، لأنّه ليس من أهل اللّطف. «و من يشأ يجعله على صراط مستقيم»؛ أي: يلطف به، لأنّ اللّطف يجدي عليه.(١)

«و الذين كذّبوا بآياتنا». عن أبي جعفر عليه السلام: «كذّبوا بآياتنا» كلّها في القرآن و بطنه. المراد أن كذّبوا بالأوصياء.(٢)

«في الظلمات»؛ أي: ظلمات الآخرة على الحقيقة، عقاباً لهم على كفرهم.(٣)

[٤٠] «قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ».

«قل أرأيتكم». استفهام و تعجيب. و الكاف حرف خطاب أكّد به الضمير لا محلّ له من الإعراب. لأنّك تقول: أرأيتك زيداً. فلو جعلت الكاف مفعولاً، كما قاله الكوفيّون، لزم تعدية الفعل إلى ثلاثة مفاعيل و للزم في الآية أن يقال: أرأيتموكم. بل الفعل معلّق أو المفعول محذوف. تقديره: أرأيتكم آلهتكم [تنفعكم] إذ تدعونها؟ قرأ نافع: «أرأيتكم» بتسهيل الهمزة التي بعد الراء. و حمزة إذا وقف وافق نافعاً. «إن كنتم صادقين» أنّ الأصنام آلهة. و جوابه محذوف. أي: فادعوه.(٤)

١ـ الكشّاف ٢ / ٢١ ـ ٢٢.

٢ـ تفسير القمّيّ ١ / ١٩٩ : و سمعته يقول: «كذّبوا بآياتنا» كلّها في بطن القرآن أن كذّبوا بالأوصياء كلّهم.

٣ـ مجمع البيان ٤ / ٤٦٢.

٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٠٠.

«أغير الله». بكّتهم بقوله: «أغير الله تدعون» بمعنى: أتخصّون آلهتكم بالدعوة فيما هـو عادتكم إذا أصابكم ضرّ أم تدعون الله دونها؟[١]

[٤١] «بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَ تَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ».

«بل إيّاه تدعون»: تخصّونه بالدعاء دون الآلهة فيكشف ما تدعونه إلى كشفه إن أراد أن يتفضّل عليكم و لم يكن مـفسدة. «و تـنسون مـا تـشركون»؛ أي: تـتركون آلهـتكم و لاتذكرونها في ذلك الوقت. لأنّ أذهانكم مغمورة بذكر ربّكم وحده إذ هو القادر على كشف الضرّ.[٢]

«بل إيّاه تدعون». لأنّهم كانوا إذا مسّهم الضرّ دعوا الله.[٣]

«تنسون ما تشركون»؛ أي: من شدّة الأهوال تنسون آلهتكم.[٤]

[٤٢] «وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ».

«من» زائدة. «بالبأساء و الضرّاء». صيغتا تأنيث لا مـذكّر لهـما. «فأخـذناهم»؛ أي: فكفروا و كذّبوا المرسلين فأخذناهم.[٥]

البأساء و الضرّاء: البؤس و الضرّ. و قيل: البأساء: القحط و الجوع. و الضرّاء: المرض و نقصان الأنفس و الأموال. و المعنى: انّا أرسلنا إليهم الرسل فكذّبوهم، فأخذناهم. «لعلّهم يتضرّعون»: يتذلّلون و يتخشّعون لربّهم.[٦]

«يتضرّعون». عن أبي عبدالله عليه السلام في حديث طويل: و هكذا التضرّع. و حرّك أصابعه يميناً و شمالاً.[٧] و في حديث آخر عن أبي عبدالله عليه السلام: و التضرّع رفع اليدين و التـضرّع

١ـ الكشّاف ٢ / ٢٢.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٢٢.
٣ـ مجمع البيان ٤ / ٤٦٤.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٠٠.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٠٠.
٦ـ الكشّاف ٢ / ٢٣.
٧ـ الكافي ٢ / ٤٨٠، ح ٣.

بهما.[١]

[٤٣] «فَلَوْ لَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَ لٰكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ».

«فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرّعوا». معناه نفي التضرّع. كأنّه قيل: فلم يتضرّعوا إذ جاءهم بأسنا. ولكنّه جاء بلولا ليفيد أنّه لم يكن لهم عذر في ترك التضرّع إلّا عنادهم و إعجابهم بأعمالهم التي زيّنها الشيطان لهم.[٢]

[٤٤] «فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ».

«فلمّا نسوا»؛ أي: تركوا ما دعاهم إليه الرسل.[٣]

«فلمّا نسوا ما ذكّروا به». يعني: فلمّا تركوا ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام و قد أمروا به، «فتحنا عليهم أبواب كلّ شيء». يعني دولتهم في الدنيا و ما بسط لهم فيها. و قوله: «أخذناهم بغتة» يعني بذلك قيام القائم عليه السلام حتّى كأن لم يكن لهم سلطان قطّ. فذلك قوله: «بغتة». فنزلت بخبره هذه الآية.[٤]

«ما ذكّروا به» من الباساء و الضرّاء. أي: تركوا الاتّعاظ به و لم ينفع فيهم. «فتحنا عليهم أبواب» الصحّة و السعة و صنوف النعمة ليزاوج بين نوبتي الضرّاء و السرّاء كما يفعل الأب المشفق بولده يخاشنه تارةً و يلاطفه أخرى طلباً لصلاحه. «أوتوا» من الخير و النعم، لم يزيدوا على الفرح و البطر من غير انتداب لشكر و لا قصد لتوبة. «مبلسون»؛ أي: متحسّرون آيسون.[٥]

١ـ الكافي ٢ / ٤٨١، ح ٦.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٢٣.
٣ـ مجمع البيان ٤ / ٤٦٦.
٤ـ تفسير القمّيّ ١ / ٢٠٠.
٥ـ الكشّاف ٢ / ٢٣.

قرأ ابن‌عامر: «فتّحنا» بالتشديد. روي عنه صلّى الله عليه و آله قال: مكر بالقوم و ربّ الكعبة.[١]

[٤٥] «فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَ الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ».

«فقطع دابر القوم»: آخرهم، فلم يترك منهم أحد. «و الحمد لله». إيذان بوجوب الحمد عند هلاك الظلمة و أنّه من أجلّ النعم و أجزل القسم.[٢]

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من أحبّ بقاء الظالمين، فقد أحبّ أن يعصى الله. إنّ الله حمد نفسه بهلاك الظالم فقال: «فقطع دابر القوم الذين ظلموا و الحمد لله ربّ العالمين».[٣]

[٤٦] «قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللّٰهُ سَمْعَكُمْ وَ أَبْصَارَكُمْ وَ خَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلٰهٌ غَيْرُ اللّٰهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ».

«قل أرأيتم». عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: «قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم» ـ الآية ـ يقول: إن أخذ الله منكم الهدى، من إله غير الله يأتيكم به؟[٤]

إنّما خصّ هذه الأشياء بالذكر، لأنّ بها يتمّ العبد ديناً و دنيا. و قال ابن‌عبّاس: يريد أنّه لايقدر هؤلاء الذين تعبدون أن يجعلوا لكم أسماعاً و أبصاراً و قلوباً، فكذلك يجب أن لاتعبدوا سواه. «إن أخذ». جوابه محذوف. تقديره: فمن يأتيكم به؟ إلّا أنّه أغنى عنه قوله: «من إله غير الله».[٥]

«سمعكم و أبصاركم» بأن يصمّكم و يعميكم. «و ختم على قلوبكم» بأن يغطّي عليها ما يذهب عنده فهمكم و عقلكم. «يأتيكم به»؛ أي: بذاك ـ إجراءً للضمير مجرى اسم الإشارة ـ أو بما أخذ و ختم عليه. «يصدفون»: يعرضون عن الآيات بعد ظهورها.[٦]

«نصرّف الآيات»: نكرّرها؛ تارة من جهة المقدّمات العقليّة، و تارة من جهة الترغيب

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٠١.

٢ـ الكشّاف ٢ / ٢٣ ـ ٢٤.

٣ـ معاني الأخبار / ٢٥٢.

٤ـ تفسير القمّيّ ١ / ٢٠١.

٥ـ مجمع البيان ٤ / ٤٦٨ ـ ٤٦٩.

٦ـ الكشّاف ٢ / ٢٤.

و الترهيب، و تارة بالتنبيه و التذكير بأحوال المتقدّمين. «ثمّ هم يصدفون». ثمّ لاستبعاد الإعراض بعد تصريف الآيات و ظهورها.(١)

«نصرّف الآيات»؛ أي: نبيّن لهم الآيات في القرآن. و قيل: تصريف الآيات توجيهها في الجهات التي تظهرها ثمّ الإظهار مرّة في جهة النعمة و مرّة في جهة الشدّة. «يصدفون»؛ أي: يعرضون عن تأمّل الآيات و الفكر فيها. و قيل: إعراضهم عنها كفرهم بها.(٢)

[٤٧] «قُلْ أَ رَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ».

«إن أتاكم عذاب الله». قيل: إنّهم كانوا يستدعون العذاب، فبيّن أنّه إذا نزل لايهلك به إلّا الكافرون. فإن هلك به مؤمن أو طفل، فإنّما يهلك محنة و يعوضه الله على ذلك أعواضاً كثيرة يستصغر [ذلك] في جنبها. و المراد بذلك عذاب الدنيا دون عذاب الآخرة.(٣)

و أمّا قوله: «قل أرأيتم إن أتاكم عذاب الله» ـ الآية ـ فإنّها نزلت لمّا هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة و أصاب أصحابه الجهد و العلل و المرض فشكوا ذلك إلى رسول الله، فأنزل الله: قل لهم يا محمّد: أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة فهل يهلك إلّا القوم الظالمون؟ أي: أنّه لايصيبكم إلّا الجهد و الضرّ في الدنيا. فأمّا العذاب الذي فيه الهلاك، فلايصيب إلّا القوم الظالمين.(٤)

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: يأخذ بني أميّة بغتة و يأخذ بني العبّاس جهرة.(٥)

«بغتة». لمّا كانت البغتة أن يقع الأمر من غير أن يشعر به و تظهر أماراته، قيل: «بغتة أو جهرة». «هل يهلك»؛ أي: مايهلك هلاك تعذيب و سخط إلّا القوم الظالمون.(٦)

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٠١.
٢ـ مجمع البيان ٤ / ٤٦٩.
٣ـ مجمع البيان ٤ / ٤٦٩.
٤ـ تفسير القمّيّ ١ / ٢٠١.
٥ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٣٦٠.
٦ـ الكشّاف ٢ / ٢٤.

[٤٨] «وَ مَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَ أَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ».

«مبشّرين» لمن آمن بهم «و منذرين» لمن عصاهم. و لم نرسلهم ليتلهّى بهم و يقترح عليهم الآيات بعد وضوح أمرهم بالبراهين القاطعة. «و أصلح» ما يجب إصلاحه ممّا كلّف.(١)

«فلا خوف عليهم» من العذاب. «و لا هم يحزنون» بفوت الثواب.(٢)

[٤٩] «وَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ».

«يمسّهم». جعل العذاب ماسّاً كأنّه حيّ يفعل بهم ما يريد من الآلام. كقوله: «إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيّظاً و زفيراً»(٣).(٤)

«يفسقون». أي بسبب خروجهم عن التصديق و الطاعة.(٥)

[٥٠] «قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ وَ لَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَ لَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمىٰ وَ الْبَصِيرُ أَ فَلَا تَتَفَكَّرُونَ».

«قل لاأقول لكم عندى خزائن الله» ـ الآية. اختلف المفسّرون في فائدة نفي هذه الأمور. فقيل: المراد إظهار التواضع لله تعالى حتّى لايعتقد فيه ما اعتقد في المسيح. و قيل: المقصود أنّه لايستقلّ بإيجاد المعجزات التي كانوا يقترحونها، «إن أتّبع إلّا ما يوحى إلىّ». يدلّ على أنّه ﷺ لم يكن يعمل على الاجتهاد في شيء من الأحكام و لايجوز لأمّته أن تعمل إلّا بالوحي النازل عليه؛ لقوله: «فاتّبعوه». فلايجوز العمل بالقياس. و أكّده بقوله: «قل هل يستوي الأعمى» الذي يعمل بالقياس «و البصير» الذي يعمل بالوحي.(٦)

١ـ الكشّاف ٢ / ٢٤.

٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٠١.

٣ـ الفرقان (٢٥) / ١٢.

٤ـ الكشّاف ٢ / ٢٤ ـ ٢٥.

٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٠١.

٦ـ تفسير النيسابوريّ ٧ / ١٤٨.

«لا أقول»؛ أي: لا أدّعي ما يستبعد في العقول أن يكون لبشر من ملك خزائن الله ـ و هي قسمة بين الخلق ـ و أرزاقه و علم الغيب و أنّي من الملائكة الذين هم أشرف جنس خلق الله و أفضله. أي: لم أدّع إلهيّة و لا ملكيّة ـ لأنّه ليس بعد الإلهيّة منزلة أرفع من منزلة الملائكة ـ حتّى تستبعدوا دعواي و تستنكرونها. و إنّما أدّعي ما كان مثله لكثير من البشر و هو النبوّة. «الأعمى و البصير». مثل للضالّ و المهتدي. و يجوز أن يكون مثلاً لمن اتّبع ما يوحى إليه و من لم يتّبع.[١] أو مثل للعالم و الجاهل أو مدّعي المستحيل كالألوهيّة أو الملكيّة و مدّعي المستقيم كالنبوّة.[٢]

«خزائن الله»: مقدوراته و خزائن رزقه. «الغيب»: ما لم يوح إليّ و لم ينصب عليه دليل. و هو من جملة المقول. «الأعمى و البصير».[٣]

«و لا أقول لكم إنّي ملك»؛ أي: لا أقدر على ما يقدر عليه الملك. و قد استدلّ بها على أنّ الملائكة أفضل من الأنبياء. و هذا بعيد. لأنّ الفضل الذي هو كثرة الثواب لا معنى له هاهنا و إنّما المراد: لا أقول إنّي ملك فأشاهد من أمر الله و غيبه عن العباد ما تشاهده الملائكة. «إن أتّبع». يريد: ما أخبركم إلّا بما أنزل الله إليّ. و قال الزجّاج: ما أنبأتكم به من غيب فيما مضى و فيما سيكون، فهو بوحي من الله. ثمّ أمره فقال: يا محمّد «قل هل يستوي الأعمى و البصير».[٤]

[٥١] «وَ أَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَ لَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ».

قال الصادق عليه السلام: أنذر بالقرآن من يرجون الوصول إلى ربّهم بترغيبهم فيما عنده. فإنّ القرآن شافع مشفّع.[٥]

١ـ الكشّاف ٢ / ٢٥ ـ ٢٦.

٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٠٢.

٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٠٢.

٤ـ مجمع البيان ٤ / ٤٧٠.

٥ـ مجمع البيان ٤ / ٤٧١.

«و أنذر به». الضمير راجع إلى قوله: «ما يوحى إليّ». و «الذين يخافون أن يحشروا» إمّا قوم داخلون في الإسلام مقرّون بالبعث إلّا أنّهم مفرّطون في العمل فينذرهم بما أوحي إليه «لعلّهم يتّقون»؛ أي: يدخلون في زمرة أهل التقوى من المسلمين؛ و إمّا أهل الكتاب، مقرّون بالبعث؛ و إمّا ناس من المشركين علم من حالهم أنّهم يخافون إذا سمعوا بحديث البعث أن يكون حقّاً فيهلكوا، فهم ممّن يرجى أن ينجع فيهم الإنذار دون المتمرّدين منهم، فأمر أن ينذر هؤلاء.[١]

«ليس». في موضع الحال من يحشروا. فإنّ المخوّف هو الحشر على هذه الحالة.[٢]

[٥٢] «وَ لَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَ الْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَ مَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ».

«و لاتطرد الذين». ذكر غير المتّقين من المسلمين و أمر بإنذارهم ليتّقوا، ثمّ أردفهم ذكر المتّقين منهم و أمره بإكرامهم و أن لايطيع فيهم من أراد بهم خلاف ذلك. و أثنى عليهم بأنّهم يواصلون دعاء ربّهم ـ أي عبادته ـ و يواظبون عليها. و المراد بذكر الغداة و العشيّ الدوام. و قيل: معناه: يصلّون صلاة الصبح و العصر. و وسمهم بالإخلاص في عبادتهم بقوله: «يريدون وجهه». روي: انّ رؤساء من المشركين قالوا لرسول الله ﷺ: لو طردت هؤلاء الأعبد ـ يعنون فقراء المسلمين، و هم عمّار و صهيب و خبّاب و سلمان و أضرابهم ـ و أرواح جبابهم ـ و كانت عليهم جباب من الصوف ـ جلسنا إليك و حادثناك. فقال ﷺ: ما أنا بطارد المؤمنين. فقالوا: فأقمهم عنّا إذا جئنا. فإذا قمنا، فأقعدهم عليك أين شئت. فقال: نعم، طمعاً في إيمانهم. قالوا: فاكتب بذلك كتاباً. فدعا بالصحيفة و بعليّ عليه السلام ليكتب. فنزلت. فرمى بالصحيفة. قال سلمان و خبّاب: فينا نزلت. فكان رسول الله ﷺ يقعد معنا و يدنو منّا و ندنو منه حتى تمسّ ركبتنا ركبته. و كان يقوم عنّا إذا أراد القيام. فنزلت: «و اصبر نفسك»

١ـ الكشّاف ٢ / ٢٦.

٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٠٢.

ـ الآية ـ[١] فترك القيام عنّا إلى أن نقوم عنه. و قال عليه السلام: الحمد لله الذي لم يمتني حتّى أمرني أن أصبر نفسي مع قوم من أمّتي. معكم المحيا و معكم الممات. «ما عليك». كقوله: «إن حسابهم إلّا على ربّي».[٢] و ذلك أنّهم طعنوا في دينهم و إخلاصهم فقال: «ما عليك من حسابهم من شيء» بعد شهادته لهم بالإخلاص في أعمالهم؛ على معنى: و إن كان الأمر على ما يقولون عند الله، فما يلزمك إلّا اعتبار الظاهر و الاتّسام بسيمة المتّقين. و إن كان لهم باطن غير مرضيّ، فحسابهم عليهم لازم لهم لا يتعدّاهم إليك؛ كما أنّ حسابك عليك لا يتعدّاك إليهم. و قيل: الضمير للمشركين. و المعنى: لا يؤاخذون بحسابك و لا أنت بحسابهم حتّى يهمّك إيمانهم و يحرّك الحرص عليه إلى أن تطرد المؤمنين. «فتطردهم». جواب النفي. و «فتكون» جواب النهي.[٣]

«و لا تطرد» ـ الآية. كان سبب نزولها: انّه كان بالمدينة قوم فقراء مؤمنون يسمّون أصحاب الصفّة. و كان رسول الله صلّى الله عليه و آله يتعاهدهم بنفسه و ربما حمل إليهم ما يأكلون. و كانوا يختلفون إلى رسول الله صلّى الله عليه و آله فيقرّبهم و يقعد معهم. و كان إذا جاء المترفون من أصحابه، أنكروا عليه ذلك و يقولون: اطردهم عنك. فجاء يوماً رجل من الأنصار إلى رسول الله صلّى الله عليه و آله و عنده رجل من أهل الصفّة، فقعد الأنصاريّ بالبعد منهما. فقال له رسول الله: تقدّم. فلم يفعل. فقال له رسول الله: لعلّك خفت أن يلزق فقره بك؟ فقال الأنصاريّ: اطرد هؤلاء عنك. فأنزل الله: «و لا تطرد» ـ الآية.[٤]

«بالغداة»: ابن عامر: «بالغدوة».[٥]

[٥٣] «وَ كَذٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَ هٰؤُلَاءِ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَ لَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ».

١ـ الكهف (١٨) / ٢٨.
٢ـ الشعراء (٢٦) / ١١٣.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٢٨.
٤ـ تفسير القمّيّ ١ / ٢٠٢.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٠٢.

«و كذلك»؛ أي: مثل ذلك الفتن العظيم «فتنّا» بعض الناس ببعض؛ أي: ابتليناهم بهم. و ذلك أنّ المشركين كانوا يقولون للمسلمين: «أهؤلاء» الذين «منّ الله عليهم من بيننا»؛ أي: أنعم عليهم بالتوفيق لإصابة الحقّ و لما يسعدهم عنده من دوننا و نحن المقدّمون و الرؤساء و هم العبيد و الفقراء، إنكاراً لأن يكون أمثالهم على الحقّ و ممنوناً عليهم من بينهم بالخير. و نحوه: «لو كان خيراً ماسبقونا إليه».(١) و معنى فتنّاهم ليقولوا ذلك: خذلناهم فافتتنوا، حتّى كان افتتانهم سبباً لهذا القول. لأنّه لايقول مثل قولهم هذا إلّا مخذول مفتون. «أليس الله». أي: الله أعلم بمن يقع منه الايمان و الشكر فيوفّقه للإيمان و من يصمّم على كفره فيخذله و يمنعه التوفيق.(٢)

[٥٤] «وَ إِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَ أَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ».

«الذين يؤمنون». هم الذين يدعون ربّهم. وصفهم بالايمان بالقرآن و اتّباع الحجّة بعد ما وصفهم بالمواظبة على العبادة. و أمره بأن يبدأهم بالتسليم أو يبلّغ سلام الله إليهم و يبشّرهم بسعة رحمة الله و فضله بعد النهي عن طردهم، إيذاناً بأنّهم الجامعون لفضيلة العلم و العمل و من كان كذلك كان ينبغي أن لايطرد و يبشّر من الله بالسلامة في الدنيا و الرحمة في الآخرة. «إنّه من عمل». بالكسر. استئناف لتفسير الرحمة. و قرأ نافع و ابن‌عامر و عاصم و يعقوب بالفتح على البدل منها. «بجهالة» في موضع الحال. أي: من عمل ذنباً جاهلاً بحقيقة ما يتبعه من المضارّ و المفاسد، أو متلبّساً بفعل الجهالة. فإنّ ارتكاب ما يؤدّي إلى الضرر، من أفعال أهل السفه و الجهل. «من بعده»: بعد العمل أو السوء. «و أصلح» بالتدارك و العزم على أن لاتعود إليه. «فإنّه». فتحه من فتح الأوّل غير نافع على إضمار مبتدأ أو خبر. أي: أمره

١ـ الأحقاف (٤٦) / ١١.

٢ـ الكشّاف ١ / ٢٨.

أو فعله غفرانه.(١)

[٥٥] «وَ كَذٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَ لِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ».

«و كذلك»؛ أي: مثل ذلك التفصيل الواضح نفصّل آيات القرآن في صفة المطيعين و المجرمين المصرّين منهم و الأوّابين. «و لتستبين سبيل». قرأ نافع بالتاء و نصب السبيل، على معنى: لتستوضح يا محمّد سبيلهم فتعامل كلّاً منهم بما يحقّ له فصّلنا هذا التفصيل. و ابن كثير و ابن عامر و أبوعمرو و يعقوب و حفص عن عاصم برفعه، على معنى: و لتستبين سبيلهم. و الباقون بالياء و الرفع على تذكير السبيل؛ فإنّه يذكّر و يؤنّث. و يجوز أن يعطف على علّة مقدّرة. أي: نفصّل الآيات ليظهر الحقّ و لتستبين.(٢)

[٥٦] «قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذاً وَ مَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ».

«نهيت»: صرفت و زجرت بما نصب لي من الأدلّة و أنزل عليّ من الآيات في أمر التوحيد «أن أعبد»: [عن] عبادة ما تعبدون من دون الله، أو ما تدعونها آلهة؛ أي: تسمّونها. «قل لا أتّبع». تأكيد لقطع أطماعهم. و إشارة إلى الموجب للنهي و علّة الامتناع عن مشايعتهم. و بيان لمبدأ ضلالهم و أنّ ما هم عليه هوًى و ليس بهدًى. و تنبيه لمن تحرّي الحقّ على أن يتّبع الحجّة و لا يقلّد. «قد ضللت»؛ أي: إن اتّبعت أهواءكم فقد ضللت. «و ما أنا من المهتدين». أي في شيء من الهدى حتّى أكون من عدادهم. و فيه تعريض بأنّهم كذلك.(٣)

[٥٧] «قُلْ إِنِّي عَلىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَ كَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلّٰهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَ هُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ».

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٠٣. ٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٠٣.

٣ـ تفسيرالبيضاويّ ١ / ٣٠٣.

«قل إنّي على بيّنة». لمّا نفى أن يكون الهوى متّبعاً، نبّه على ما يجب اتّباعه بقوله: «على بيّنة من ربّي و كذّبتم به». [أي:] إنّي من معرفة ربّي و أنّه لا معبود سواه على حجّة واضحة و شاهد صدق و كذّبتم به أنتم حيث أشركتم به غيره. ثمّ عقّبه بما دلّ على استعظام تكذيبهم بالله و شدّة غضبه عليهم لذلك و أنّهم أحقّاء بأن يعاجلوا بالعذاب المستأصل فقال: «ما عندي ما تستعجلون به». يعني العذاب الذي استعجلوه من قولهم: «فأمطر علينا حجارة من السماء».[١] «إن الحكم إلّا لله» في تأخير عذابكم. «يقضي الحقّ»؛ أي: القضاء الحقّ في كلّ ما يقضي من التأخير و التعجيل. «و هو خير الفاصلين»؛ أي: القاضين. و قرئ: «يقصّ الحقّ»؛ أي: يتّبع الحقّ و الحكمة فيما يحكم به و يقدّره. من قصّ أثره. و قيل: «على بيّنة من ربّي»: على حجّة من جهة ربّي؛ و هي القرآن. «و كذّبتم به»؛ أي: بالبيّنة. و ذكّر الضمير على تأويل البيان أو القرآن. فإن قلت: بم انتصب الحقّ؟ قلت: بأنّه صفة مصدر يقضي. أي: يقضي القضاء الحقّ. و يجوز أن يكون مفعولاً به. من قولهم: قضى الدرع، إذا صنعها. أي: يصنع الحقّ و يدبّره.[٢]

«يقصّ الحقّ». قرأ أهل الحجاز و عاصم: «يقصّ الحقّ» بالصاد، و الباقون: «يقضي الحقّ و هو خير الفاصلين».[٣]

[٥٨] «قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ وَ اللهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ».

«لو أنّ عندي» ـ الآية ـ أي: لو أنّي أمرت أن أعلمكم الذي أخفيتم في صدوركم من استعجالكم بموتي لتظلموا أهل بيتي من بعدي. فمثلهم كما قال الله عزّوجلّ: «كمثل الذي استوقد ناراً فلمّا أضاءت ما حوله».[٤] يقول: أضاءت الأرض بنور محمّد ﷺ كما تضيء

١ـ الأنفال (٨) / ٣٢.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٣٠.
٣ـ مجمع البيان ٤ / ٤٧٨.
٤ـ البقرة (٢) / ١٧.

الشمس.(١)

«لو أنّ عندي»؛ أي: في قدرتي و إمكاني. «ما تستعجلون به» من العذاب، «لقضي الأمر بيني و بينكم»: لأهلكتكم عاجلاً غضباً لربّي و لتخلّصت منكم سريعاً. «و الله أعلم بالظالمين» و بما يجب في الحكم من كنه عقابهم.(٢)

[٥٩] «وَ عِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَ يَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ وَ مَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَ لَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَ لَا رَطْبٍ وَ لَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ».

«و عنده مفاتح الغيب». جعل للغيب مفاتح على طريق الاستعارة، لأنّ المفاتح يتوصّل بها إلى ما في المخازن المستوثق منها بالأغلاق و الأقفال و من علم مفاتحها و كيف يفتح، توصّل إليها. فأراد أنّه هو المتوصّل إلى المغيبات وحده كمن عنده مفاتح أقفال المخازن و يعلم فتحها فهو المتوصّل إلى ما في المخازن. و المفاتح: جمع مفتح و هو المفتاح. و قيل: هي جمع مَفتح ـ بفتح الميم ـ و هو المخزن. «و لا حبّة و لا رطب و لا يابس». عطف على ورقة و داخل في حكمها. كأنّه قيل: و ما يسقط من شيء من هذه الأشياء إلّا بعلمه. و قوله: «إلّا في كتاب مبين» كالتكرار لقوله: «إلّا يعلمها». و الكتاب المبين علم الله أو اللّوح.(٣)

«إلّا يعلمها»، فيعلم أوقاتها أو ما في تعجيلها و تأخيرها من الحكمة فيظهرها على ما اقتضت حكمته. «و ما تسقط». مبالغة في إحاطة علمه بالجزئيّات. «إلّا في كتاب». بدل من الاستثناء الأوّل بدل الكلّ، على أنّ [الكتاب] المبين علم الله، أو بدل الاشتمال، إن أريد به اللّوح.(٤)

روي أنّ مفاتح الغيب خمس: «إنّ الله عنده علم الساعة» ـ الآية.(٥) و قال ابن عبّاس:

١ـ الكافي ٨ / ٣٨٠، ح ٥٧٤.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٣٠.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٣١.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٠٤.
٥ـ لقمان (٣١) / ٣٤.

معناه: انّ الله تعالى عنده خزائن الغيب من الأرزاق و الأعمار. و تأويل الآية أنّ الله تعالى عالم بكلّ شيء من مبتدآت الأمور و عواقبها و هو يعجّل ما تعجيله أصلح، و أنّه الذي يفتح باب العلم لمن يريد من الأنبياء، لايعلم الغيب سواه.(١)

عن أبي عبدالله عليه السلام: الورقة السقط. و الحبّة الولد. و ظلمات الأرض الأرحام. و الرطب ما يحيى الناس. و اليابس ما يقبض. و علم ذلك كلّه في كتاب مبين؛ أي: إمام مبين.(٢)

[٦٠] «وَ هُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَ يَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ».

«و هو الذي يتوفّاكم». استعير التوفّي من الموت للنوم، لما بينهما من المشاركة في زوال الإحساس و التمييز. فإنّ أصله قبض الشيء بتمامه. «و يعلم ما جرحتم بالنهار»: كسبتم فيه. خصّ اللّيل بالنوم و النهار بالكسب جرياً على المعتاد. «ثمّ يبعثكم»: يوقظكم. أطلق البعث ترشيحاً للتوفّي. «فيه»؛ أي: النهار. «أجل مسمًّى» ليبلغ المتيقّظ آخر أجله المسمّى في الدنيا. «ثمّ إليه مرجعكم» بالموت. «بما كنتم تعملون» بالمجازاة عليه.(٣)

«و هو الذي يتوفّاكم باللّيل»؛ أي: أنتم منسدحون باللّيل كلّه كالجيف. «و يعلم ما جرحتم بالنهار»: ما كسبتم من الآثام فيه. «ثمّ يبعثكم فيه»؛ أي: من القبور في شأن ذلك الذي قطعتم به أعماركم من النوم باللّيل و كسب الآثام بالنهار و من أجله. «ليقضى أجل مسمًّى». و هو الأجل الذي سمّاه الله تعالى و ضربه لبعث الموتى و جزائهم على أعمالهم. «ثمّ إليه مرجعكم». و هو المرجع إلى موقف الحساب. «بما كنتم تعملون». في ليلكم و نهاركم.(٤)

١ـ مجمع البيان ٤ / ٤٨٠ ـ ٤٨١.

٢ـ الكافي ٨ / ٢٤٨، ح ٣٤٩. معاني الأخبار / ٢١٥، ح ١.

٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٠٤.

٤ـ الكشّاف ٢ / ٣١ ـ ٣٢.

[٦١] «وَ هُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَ يُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَ هُمْ لَا يُفَرِّطُونَ».

«حفظة». ملائكة حافظين لأعمالكم و هم الكرام الكاتبين. فإن قلت: إنّ الله غنيّ بعلمه عن كتبة الملائكة. فما فائدتها؟ قلت: فيها لطف للعباد. لأنّهم إذا علموا أنّ الله رقيب عليهم و الملائكة [الذين] هم أشرف خلقه موكّلون بهم يحفظون عليهم أعمالهم و يكتبونها في صحائف تعرض على رؤوس الأشهاد في مواقف القيامة، كان ذلك أزجر لهم عن القبيح. «توفّته رسلنا»؛ أي: استوفت روحه. و هم ملك الموت و أعوانه. «لايفرّطون»؛ أي: لايتوانون و لا يؤخّرون.(١)

«توفّته». حمزة: «توفّاه».(٢)

[٦٢] «ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَ هُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ».

«ثمّ ردّوا إلى الله»؛ أي: إلى حكمه و جزائه. «مولاهم»؛ أي: مالكهم الذي يلي أمورهم. «الحقّ»: العدل الذي لايحكم إلّا بالحقّ. «له الحكم»: لا حكم فيه لغيره. «و هو أسرع الحاسبين» و لايشغله حساب عن حساب.(٣)

«و هو أسرع الحاسبين». يحاسب الخلائق في مقدار حلب شاة.(٤)

«و هو أسرع الحاسبين». روي عن عليّ عليه السلام أنّه سئل: كيف يحاسب الله سبحانه الخلق و لايرونه؟ قال: كما يرزقهم و لايرونه.(٥)

[٦٣] «قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَ خُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ».

١ـ الكشّاف ٢ / ٣٢.
٢ـ مجمع البيان ٤ / ٤٨٣.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٣٢.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٠٥.
٥ـ مجمع البيان ٤ / ٤٨٤.

«قل من ينجّيكم من ظلمات البرّ». مجاز عن مخاوفهما و أهوالهما. يقال لليوم الشديد: يوم مظلم. و يجوز أن يراد ما يشرفون عليه من الخسف في البرّ و الغرق في البحر فإذا دعوا و تضرّعوا كشف الله عنهم الخسف و الغرق فنجوا من ظلماتهما. «لئن أنجيتنا». على إرادة القول. «من هذه» الظلمة و الشدّة.(١)

«خفية». أبوبكر عن عاصم بكسر الخاء.(٢)

أهل الكوفة: «أنجانا» بالألف، إلّا أنّ عاصماً قرأ بالتفخيم و الباقون بالإمالة. و قرأ غيرهم: «لئن أنجيتنا». «ينجّيكم». خفيفة يعقوب و سهل.(٣)

و مرّ عيسى عليه السلام بقوم رفعوا أصواتهم بالدعاء، فقال: لاتدعون أصمّ نائياً. إنّما تدعون سميعاً قريباً.(٤)

[٦٤] «قُلِ اللهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَ مِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ».

«ينجّيكم». غير أهل الكوفة و أبي جعفر بالتخفيف.(٥)

«تشركون»: تعودون إلى الشرك و لاتوفون بالعهد. و إنّما وضع تشركون موضع لاتشكرون، تنبيهاً على أنّ من أشرك في عبادة الله، فكأنّه لم يعبده رأساً.(٦)

[٦٥] «قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَ يُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ».

«قل هو القادر». روي: انّه لمّا نزلت هذه الآية، قام النبيّ صلى الله عليه وآله فتوضّأ و صلّى، ثمّ سأل الله سبحانه أن لايبعث على أمّته عذاباً من فوقهم و لا من تحت أرجلهم و لايلبسهم شيعاً و لايذيق بعضهم بأس بعض. فنزل جبرئيل فقال: يارسول الله، لقد سمع الله مقالتك. و إنّه

١ـ الكشّاف ٢ / ٣٣.
٢ـ مجمع البيان ٤ / ٤٨٤.
٣ـ مجمع البيان ٤ / ٤٨٤.
٤ـ مجمع البيان ٤ / ٤٨٤.
٥ـ مجمع البيان ٤ / ٤٨٤.
٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٠٥.

أجارهم من خصلتين و لم يجرهم من الخصلتين الأخيرتين. فقال: يا جبرئيل، ما بقاء أمّتي مع قتل بعضهم بعضاً؟ فقام و عاد إلى الدعـاء. فـنزل: «الم أحسب النـاس أن يـتركوا» ـ الآيتين.(١) فقال: لا بدّ من فتنة تبتلى بها هذه الأمّة بعد نبيّها ليتميّز الصادق و الكاذب. لأنّ الوحي انقطع. و بقي السيف و افتراق الأمّة إلى يوم القيامة.(٢)

«هو القادر» الذي عرفتموه قادراً وهو الكامل القدرة. «عذاباً من فوقكم». كما أمطر على قوم لوط و على أصحاب الفيل الحجارة و على قـوم نـوح الطـوفان. «أو مـن تحت أرجلكم». كما أغرق فرعون و خسف بقارون. و قيل: «مـن فـوقكم»: مـن أكـابركم و سلاطينكم. «أو من تحت أرجلكم»: سفلتكم و عبيدكم. و قيل: هو حبس المطر و النبات. «أو يلبسكم شيعاً»: أو يخلطكم فرقاً مختلفين على أهواء شتّى كلّ فرقة منكم مشايعة لإمام. و معنى خلطهم أن ينشب القتال بينهم فيختلطوا أو يشتبكوا في مـلاحم القـتال. و عـن رسول الله ﷺ: سألت ربّي أن لا يبعث على أمّتي عذاباً من فوقهم أو مـن تحت أرجـلهم، فأعطاني ذلك. و سألته أن لا يجعل بأسهم بينهم، فمنعني. و أخبرني جبرئيل عليه السلام أنّ فناء أمّتي بالسيف. و معنى الآية الوعيد بأحد أصناف العذاب المعدودة.(٣)

«من فوقكم». عن أبي جعفر عليه السلام: «من فوقكم». هو الدخان و الصيحة. «أو من تحت أرجلكم». و هو الخسف. «أو يلبسكم شيعاً». و هو اختلاف في الدين و طعن بعضكم على بعض. «و يذيق بعضكم بأس بعض». و هو أن يقتل بعضكم بعضاً. و هذا كلّه في أهل القبلة. يقول الله: «انظر كيف نصرّف الآيات لعلّهم يفقهون».(٤)

«يذيق بعضكم». عن أبي عبدالله عليه السلام: هو سوء الجوار.(٥)

«نصرّف الآيات» بالوعد و الوعيد.(٦)

١ـ العنكبوت (٢٩) / ١ ـ ٣.
٢ـ مجمع البيان ٤ / ٤٨٧.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٣٣ ـ ٣٤.
٤ـ تفسير القمّيّ ١ / ٢٠٤.
٥ـ مجمع البيان ٤ / ٤٨٧.
٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٠٥.

[٦٦] «وَ كَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَ هُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ».

«و كذّب به». راجع إلى العذاب. «و هو الحقّ» لابدّ أن ينزل بهم. «بوكيل»: أي: بحفيظ وكّل إليّ أمركم أمنعكم من التكذيب إجباراً. إنّما أنا منذر. و قيل: الضمير في به للقرآن.[١] «قل لست عليكم بوكيل»: أي: لست بحافظ لأعمالكم لأجازيكم بها. إنّما أنا منذر و الله المجازي. و قيل: معناه: لم أؤمر بحربكم و لا أخذكم بالايمان كما يأخذ الموكّل بالشيء الذي يلزم بلوغ آخره.[٢]

[٦٧] «لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَ سَوْفَ تَعْلَمُونَ».

«لكلّ نبأ مستقرّ»: أي: لكلّ خبر قرار على غاية ينتهي إليها و يظهر عندها. قالوا: استقرّ يوم بدر ما كان يعدهم من العذاب. و سمّي الوقت مستقرّاً، لأنّه ظرف للفعل الواقع فيه. «و سوف تعلمون» ما يحلّ بكم من العذاب.[٣]

«لكلّ نبأ»: لكلّ شيء ينبأ به. يعني إنباءهم بأنّهم يعذّبون و إيعادهم به. «مستقرّ»: وقت استقرار و حصول لابدّ منه.[٤]

«تعلمون» عند وقوعه في الدنيا و الآخرة.[٥]

[٦٨] «وَ إِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَ إِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ».

«الذين يخوضون». عن أبي جعفر عليه السلام قال: منه القصّاص.[٦]

«يخوضون في آياتنا»: في الاستهزاء بها و الطعن فيها. وكانت قريش في أنديتهم يفعلون ذلك. «فأعرض عنهم» فلاتجالسهم، «حتّى يخوضوا في حديث غيره». فلا بأس أن تجالسهم

١ـ الكشّاف ٢ / ٣٤.
٢ـ مجمع البيان ٤ / ٤٨٨.
٣ـ مجمع البيان ٤ / ٤٨٨.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٣٤.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٠٦.
٦ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٣٦٢، ح ٣١.

حينئذ. «و إمّا ينسينّك الشيطان»؛ أي: و إن شغلك بوسوسته حتّى تنسى النهي عن مجالستهم، «فلاتقعد» معهم بعد أن تذكر النهي. و يجوز أن يراد: و إن كان الشيطان ينسينّك قبل النهي قبح مجالسة المستهزئين. لأنّها ممّا تنكره العقول. «فلاتقعد» بعد أن ذكّرناك قبحها و نبّهناك عليه معهم.(١)

«ينسينك» ابن عامر: «ينسّينّك» بالتشديد. «غيره». أعاد الضمير على معنى الآيات لأنّها القرآن. «مع القوم»؛ أي: معهم. فوضع الظاهر موضعه دلالة على أنّهم ظلموا بوضع التكذيب و الاستهزاء موضع التصديق و الاستعظام.(٢)

عن أبي عبدالله عليه السلام: ثلاثة مجالس يمقتها الله و يرسل نقمته على أهلها: مجلس فيه من يصف لسانه كذباً في فتياه؛ و مجلس ذكر أعدائنا فيه جديد و ذكرنا فيه رثّ؛ و مجلس فيه من يصدّ عنّا و أنت تعلم. ثمّ تلا ثلاث آيات من كتاب الله: «و لاتسبّوا الذين يدعون من دون الله فيسبّوا الله عدواً بغير علم». «و إذا رأيت الذين يخوضون». «و لاتقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال و هذا حرام لتفتروا على الله الكذب»(٣).(٤)

[٦٩] «وَ مَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَ لٰكِنْ ذِكْرىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ».

ناسخة لقوله: «فلا تقعد بعد الذكرى».(٥)

«و ما على الذين يتّقون»؛ أي: و ما يلزم المتّقين الذين يجالسونهم شيء ممّا يحاسبون عليه من ذنوبهم «ولكن» عليهم أن يذكّروهم «ذكرى» إذا سمعوهم يخوضون، بالقيام عنهم و إظهار الكراهة لهم و موعظتهم. «لعلّهم يتّقون»: لعلّهم يجتنبون الخوض حياء أو كراهة لمساءتهم. و يجوز أن يكون الضمير للّذين يتّقون؛ أي: يذكّرونهم إرادة أن يثبتوا على تقواهم و يزدادوها. و روي أنّ المسلمين قالوا: لئن كنّا نقوم كلّما استهزؤوا بالقرآن، لم نستطع

١ـ الكشّاف ٢ / ٣٤ـ ٣٥.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٠٦.
٣ـ النحل (١٦) / ١١٦.
٤ـ الكافي ٢ / ٣٧٨، ح ١٢.
٥ـ مجمع البيان ٤ / ٤٩٠.

أن نجلس في المسجد الحرام و أن نطوف، فرخّص لهم. «ذكرى». يجوز أن يكون [محلّه] نصباً على: ولكن يذكّرونهم ذكرى؛ أي: تذكيراً. أو محلّه الرفع على: ولكن عليهم ذكرى.[١]

[٧٠] «وَ ذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِباً وَ لَهْواً وَ غَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَ ذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيٌّ وَ لَا شَفِيعٌ وَ إِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذْ مِنْهَا أُولٰئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ».

«و ذر الذين». يجوز أن يكون تهديداً لهم؛ كقوله: «ذرني و من خلقت وحيداً».[٢] و من جعله منسوخاً بآية السيف، حمله على الأمر بالكفّ عنهم و ترك التعرّض لهم.[٣]

«دينهم»؛ أي: دينهم الذي كان يجب أن يأخذوا به. «لعباً ولهواً». و ذلك أنّ عبادة الأصنام و ما كانوا عليه من تحريم البحائر و السوائب و غير ذلك من باب اللّعب و اللّهو و اتّباع هوى النفس و العمل بالشهوة و من جنس الهزل دون الجدّ. أو: اتّخذوا ما هو لعب و لهو من عبادة الأصنام و غيرها ديناً لهم و اتّخذوا دينهم الذي كلّفوه و دعوا إليه ـ و هو دين الإسلام ـ لعباً و لهواً سخروا به و استهزؤوا. و قيل: جعل الله لكلّ قوم عيداً يعظّمونه و يصلّون فيه و يعمرونه بذكر الله. و الناس كلّهم من المشركين و أهل الكتاب اتّخذوا عيدهم لعباً و لهواً غير المسلمين. فإنّهم اتّخذوا عيدهم كما شرعه الله. و معنى ذرهم: أعرض عنهم و لاتبال بتكذيبهم و استهزائهم. «و ذكّر به»؛ أي: بالقرآن. «أن تبسل نفس»: مخافة أن تسلم إلى الهلكة و العذاب و ترتهن بسوء كسبها.[٤]

عن أبي عبدالله عليه السلام: ما اجتمع ثلاثة من الجاحدين إلّا حضرهم أضعافهم من الشياطين. فإن تكلّموا، تكلّم الشياطين بنحو كلامهم. و إذا ضحكوا، ضحكوا معهم. و إذا نالوا من أولياء الله، نالوا معهم. فمن ابتلي من المؤمنين بهم، فإذا خاضوا في ذلك، فليقم و

١ـ الكشّاف ٢ / ٣٥.
٢ـ المدّثّر (٧٤) / ١١.
٣ـ تفسيرالبيضاويّ ١ / ٣٠٦.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٣٥ ـ ٣٦.

لايكن شرك شيطان و جليسه. فإنّ لعنة الله لايردّها شيء. فإن لم يستطع، فلينكر بقلبه و ليقم و لو حلب شاة.[١]

«غرّتهم الحياة الدنيا» حتّى أنكروا البعث. «و لا شفيع» يدفع عنها العذاب.[٢]

«و إن تعدل»؛ أي: و إن تفد كلّ فداء. و العدل: الفدية. لأنّ الفادي يعدل المفديّ بمثله. «لايؤخذ منها». فاعل يؤخذ قوله: «منها» لا ضمير العدل. لأنّ العدل هنا مصدر فلايسند إليه الأخذ. «أولئك». إشارة إلى المتّخذين دينهم لعباً و لهواً.[٣]

«لايؤخذ منها»؛ أي: لايقبل. لأنّ الآخرة ليست بدار تكليف. (ع)

«أبسلوا بما كسبوا»؛ أي: سلّموا إلى العذاب بسبب أعمالهم القبيحة و عقائدهم الزائغة. «لهم شراب» ـ الآية. تأكيد و تفصيل لذلك. و المعنى: هم بين ماء مغلًى متجرجر في بطونهم و نار تشتعل بأبدانهم بسبب كفرهم.[٤]

[٧١] «قُلْ أَنَدْعُوا مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَ لَا يَضُرُّنَا وَ نُرَدُّ عَلىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدىٰ وَ أُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ».

أمر سبحانه نبيّه بخطاب الكفّار فقال: قل لهؤلاء الذين يدعون على عبادة الأصنام.[٥]

«أندعو»؛ أي: أنعبد. «ما لاينفعنا»؛ أي: ما لايقدر [على نفعنا و ضرّنا][٦]. «و نردّ»؛ أي: نرجع إلى الشرك بعد إذ هدانا الله فأنقذنا منه و رزقنا الإسلام. «كالّذي استهوته الشياطين»: كالّذي ذهبت به مردة الجنّ في المهامه. استفعال من هوى يهوي هوًى، إذا ذهب. و قرأ حمزة: «استهواه» بألف ممالة. و محلّ الكاف النصب على الحال من فاعل نردّ أي مشبهين الذي استهوته، أو على المصدر، أي: ردّاً مثل ردّ الذي استهوته. «حيران»: متحيّراً

١ـ الكافي ٢ / ١٨٧ ـ ١٨٨، ح ٦.

٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٠٦.

٣ـ الكشّاف ٢ / ٣٦.

٤ـ تفسيرالبيضاويّ ١ / ٣٠٦ ـ ٣٠٧.

٥ـ مجمع البيان ٤ / ٤٩٣.

٦ـ في النسخة: «عليه» بدل ما بين المعقوفتين.

عن الطريق. «له أصحاب»: لهذا المستهوي رفقة «يدعونه إلى الهدى»: إلى أن يهدوه الطريق المستقيم. أو: إلى الطريق المستقيم. و سمّاه هدًى تسمية للمفعول بـالمصدر. «ائـتنا»؛ أي: يقولون له: ائتنا. «هدى الله» الذي هو الإسلام، «هو الهدى» وحده، و ما عداه ضلال. «و أمرنا لنسلم». من جملة المقول، عطف على «إنّ هدى الله». و اللّام لتعليل الأمر. أي: أمرنا بذلك لنسلم. و قيل: هي بمعنى الباء. و قيل: زائدة.(١)

«كالّذي استهوته الشياطين»: كالذي ذهبت به مردة الجنّ و الغيلان «في الأرض»: في المهمه ضالاًّ عن الجادّة تقول له رفقته: «ائتنا». و قد تعسّف المهمه تابعاً للجنّ لايجيبهم و لايأتيهم. و هذا مبنيّ على ما تزعمه العرب و تعتقده أنّ الجنّ تستهوي الإنسان و الغيلان تستولي عليه. كقوله: «كالّذي يتخبّطه الشيطان من المسّ».(٢) فشبّه به الضالّ عن طريق الإسلام التابع لخطوات الشيطان و المسلمون يدعونه إليه فلايلتفت إليهم. و معنى استهوته: طلبت هويّه و حرصت عليه.(٣)

«قل» يامحمّدﷺ. «الهدى»؛ أي: دلالة الله لنا على توحيده.

«لنسلم»؛ أي: أن نسلم أو نسلّم في أمورنا و نفوّضها إلى الله.(٤)

[٧٢] «وَ أَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ اتَّقُوهُ وَ هُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ».

«و أن أقيموا». عطف على لنسلم. أي: للإسلام و لإقامة الصلاة. أو على موقعه. كأنّه قيل: و أمرنا أن نسلم و أن أقيموا. «تحشرون» يوم القيامة.(٥)

«و أن أقيموا»؛ أي: قيل لنا: أقيموا الصلاة.(٦)

[٧٣] «وَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَ يَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٠٧.
٢ـ البقرة (٢) / ٢٧٥.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٣٧.
٤ـ مجمع البيان ٤ / ٤٩٤.
٥ـ تفسيرالبيضاويّ ١ / ٣٠٧.
٦ـ مجمع البيان ٤ / ٤٩٤.

الْحَقُّ وَ لَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ وَ هُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ».

«و يوم»؛ أي: اذكر يوم. أو «يوم يقول» معطوف على «السموات». أي: خلق يوم [يقول] كن فيكون و هو يوم القيامة. و قيل: معناه: و يوم يقول كن فيكون «قوله الحقّ»؛ أي: يأمر فيقع أمره؛ أي: ما وعد به من الثواب و حذّر به من العقاب. و الحقّ صفة قوله. و قوله فاعل يكون. كما تقول: قلت، فكان قولك.(١)

«بالحقّ»؛ أي: قائماً بالحقّ و الحكمة. «و يوم يقول كن فيكون قوله الحقّ». جملة اسميّة قدّم فيها الخبر. أي: قوله الحقّ يوم يقول. و المعنى: انّه الخالق للسموات و الأرض [و] قوله الحقّ نافذ في الكائنات. و قيل: يوم منصوب بالعطف على السموات أو الهاء في «و اتّقوه» أو بمحذوف دلّ عليه بالحقّ. و «قوله الحقّ» مبتدأ و خبر، أو فاعل «يكون»، على معنى: و حين يقول لقوله الحقّ ـ أي: لقضائه ـ: كن، فيكون. و المراد به حين يكوّن الأشياء و يحدثها، أو حين تقوم القيامة فيكون التكوين حشر الأموات و إحياؤها. «يوم ينفخ». كقوله: «لمن الملك اليوم» ـ الآية.(٢) «و هو الحكيم الخبير». كالفذلكة.(٣)

«يوم ينفخ في الصور». لأنّ ذلك اليوم لايخالف الله في أوامره. لأنّها محتومة ليس فيها تخيير و لايقدر أحد على معصيته. و أمّا الصور، فهو قرن ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام نفختين، فتفنى الخلائق كلّهم بالنفخة الأولى و تحيون بالنفخة الثانية. و قال الحسن: هو جمع صورة. فيكون معناه: يوم ينفخ الروح في الصور. و الأوّل أولى.(٤)

[٧٤] «وَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَ تَتَّخِذُ أَصْنَاماً آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَ قَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ».

«و إذ»: و اذكر إذ قال. «لأبيه آزر». في آزر أقوال. قيل: إنّه اسم أب إبراهيم. قال الزجّاج ليس بين النسّابين اختلاف في أنّ اسم أب إبراهيم تارخ. و قيل: إنّ آزر عندهم ذمّ

١ـ مجمع البيان ٤ / ٤٩٥.

٢ـ المؤمن (٤٠) / ١٦.

٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٠٧.

٤ـ مجمع البيان ٤ / ٤٩٦.

في لغتهم بمعنى: يا مخطئ. و قيل: آزر اسم صنم. و ما قاله الزجّاج يقوّي ما قاله أصحابنا من أنّ آزر كان جدّاً لإبراهيم لأمّه أو كان عمّه؛ من حيث إنّه صحّ عندهم أنّ آباء النبيّ ﷺ إلى آدم كلّهم كانوا موحّدين.(١)

عن أبي عبدالله عليه السلام: انّ آزر أبا إبراهيم كان منجّماً لنمرود يصدر عن رأيه. فنظر ليلة في النجوم فأصبح يقول لنمرود: لقد رأيت عجباً. رأيت مولوداً في أرضنا يكون هلاكنا على يده و لايلبث إلّا قليلاً حتّى يحمل به. قال: و هل حملت به النساء؟ قال: لا. فحجب النساء عن الرجال و لم يدع امرأة إلّا جعلها في المدينة. و وقع آزر بأهله، فعلقت بإبراهيم فظنّ أنّه صاحبه. فأرسل القوابل فنظرن. فألزم الله ما في الرحم الظهر. فقلن: مانرى شيئاً. و كان فيما أوتي من العلم أنّه يحرق بالنار و لم يؤت علم أنّ الله ينجيه. فلمّا وضعت أمّ إبراهيم، أراد آزر أن يقتله، فلم تدعه أمّه. فقال لها: امضي به. فذهبت به إلى غار فأرضعته و جعلت على بابه صخرة. فصيّر الله في إبهامه لبناً يشرب منه و يشبّ في الشهر كما يشبّ غيره في السنة. فمكث ما شاء الله. ثمّ إنّ أمّه قالت لأبيه: لو أذنت لي حتّى أذهب إلى ذلك الصبيّ. فأذن لها فجاءت إليه و ضمّته إلى صدرها. فلمّا رجعت، سألها أبوه. فقالت: واريته في التراب. ثمّ كانت تأتيه بعد ذلك. فلمّا أرادت الانصراف يوماً، أخذ بثوبها و قال: اذهبي بي معك. فأستامرت أباه و أعلمته القصّة. فأذن لها. فلمّا رآه أبوه، وقعت عليه المحبّة منه. و كان إخوة إبراهيم يعملون الأصنام. و كان إبراهيم يكسرها و يقول: أتعبدون ما تنحتون؟ فقال آزر: هذا الذي يذهب بملكنا.(٢)

«أتتّخذ». استفهام إنكاريّ. أي: لاتفعل. الأصنام: جمع صنم. و الصنم ما كان له صورة. و الوثن ما كان غير مصوّر.(٣)

[٧٥] «وَكَذٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ لِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ».

١ـ مجمع البيان ٤ / ٤٩٧.

٢ـ الكافي ٨ / ٣٦٦، ح ٥٥٨.

٣ـ مجمع البيان ٤ / ٤٩٧ ـ ٤٩٨.

«و كذلك نري»؛ أي: مثل ما وصفناه من قصّة إبراهيم و قوله لأبيه ما قال نريه «ملكوت السموات و الأرض»؛ أي: القدرة التي تقوى بها دلالته على توحيد الله. و قيل: معناه: كما أريناك ـ يا محمّد ـ أريناه آياتنا و آثار قدرتنا فيما خلقنا من العلويّات و السفليّات ليستدلّ بها. و قال أبوجعفر عليه السلام: كشف الله عن الأرضين حتّى رآهنّ و ما تحتهنّ، و عن السموات حتّى رآهنّ و ما فيهنّ من الملائكة و حملة العرش. كذا قاله الطبرسيّ.[١]

و عن أبي محمّد العسكريّ عليه السلام قال: إنّ الخليل عليه السلام لمّا رفع في الملكوت، قوي بصره حتّى أبصر الأرض و من عليها. فرأى رجلاً و امرأة على فاحشة فدعا عليهما بالهلاك. فهلكا. ثمّ رأى آخرين فهمّ بالدعاء عليهما بالهلاك، فأوحي إليه: يا إبراهيم، اكفف دعوتك عن عبادي و إمائي. فإنّي أنا الغفور الرحيم الجبّار الحليم. لاتضرّني ذنوب عبادي، كما لاتنفعني طاعتهم. و لست أسوسهم بشفاء الغيظ كسياستك. فاكفف دعوتك عن عبادي. فإنّما أنت عبد نذير لا شريك في المملكة و لا مهيمن عليّ و لا على عبادي. و عبادي بين خلال ثلاث: إمّا تابوا إليّ فتبت عليهم و غفرت ذنوبهم. و إمّا كففت عذابي لعلمي بأنّه سيخرج من أصلابهم ذرّيّات مؤمنون، فإذا خرجوا منهم، حقّ عليهم عذابي. و إن لم يكن هذا و لا هذا، فإنّ الذي أعددته لهم من عذابي أعظم ممّا تريدهم به. فإنّ عذابي لعبادي على حسب جلالي يا إبراهيم. فخلّ بيني و بين عبادي. فإنّي أرحم بهم منك ـ الحديث.[٢]

و بالجملة فالّذي يستفاد من الأخبار: انّ الله سبحانه قوّى بصر إبراهيم حتّى نظر إلى السموات و ما فوقها و الأرض و ما تحتها بنظر العين. و ليس المراد كما قيل بأنّ الله نوّر قلبه و وسّع علمه حتّى أحاط بها إحاطة علميّة، لعدم الحاجة إلى هذا التأويل. و في الأحاديث أنّ هذه الحالة قد أتاها الله مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام. فإنّ النبيّ صلى الله عليه و آله لمّا عرج إلى السماء كشف لأميرالمؤمنين فرأى عجائب ما رأى فأخبر النبيّ عند هبوطه.[٣] و كذلك الأئمّة عليهم السلام حيث

١ـ مجمع البيان ٤ / ٤٩٨.
٢ـ بحار الأنوار ٩ / ٢٧٩.
٣ـ كنز الدقائق ٤ / ٣٦٣ ـ ٣٧٠.

أعطاهم النظر إلى الملكوت كلّما أرادوا و في أيّ وقت شاؤوا[١] و به يفضلون على إبراهيم كما لايخفى.

«فلمّا جنّ عليه اللّيل رأى كوكباً» ـ الآيات. قال جماعة من المفسّرين: إنّما قال ذلك عند مهلة النظر. لأنّه لمّا أكمل الله عقله و حرّك دواعيه على الفكر و التأمّل، رأى الكوكب فأعجبه حسنه و نوره ـ و قد كان قومه يعبدون الكواكب ـ فقال: هذا ربّي، على سبيل الفكر. فلمّا علم أنّ ذلك لايجوز على الإله، استدلّ بذلك على أنّه محدث مخلوق. و كذلك كان حاله في رؤية القمر و الشمس.[٢]

أقول: هذا خلاف ما دلّت عليه الأخبار و لايناسب منصب النبوّة.

القمر يسمّى لثلاث ليال من أوّل الشهر الهلال. ثمّ يسمّى قمراً إلى آخر الشهر. و سمّي قمراً لبياضه[٣]، أو لأنّه مأخوذ من قمره بمعنى غلبه.

في حديث الجاثليق الذي سأل أميرالمؤمنين عليه السلام عن قوله تعالى: «و يحمل عرش ربّك فوقهم يومئذ ثمانية»[٤] قال عليه السلام: إنّ الله تعالى خلق العرش من أنوار أربعة. نور أحمر منه احمرّت الحمرة؛ و نور أخضر منه اخضرّت الخضرة؛ و نور أصفر منه اصفرّت الصفرة؛ و نور أبيض منه البياض. و هو العلم الذي حمّله الله الحملة. ثمّ قال بعد كلام طويل: فالّذين يحملون العرش هم العلماء الذين حمّلهم الله علمه. و ليس يخرج عن هذه الأربعة شيء خلقه الله في ملكوته. و هو الملكوت الذي أراه الله أصفياءه و أراه خليله عليه السلام فقال: «و كذلك نري إبراهيم» ـ الآية.[٥]

أقول: هذا الحديث لاينافي ما قدّمناه من أنّ رؤية الخليل عليه السلام كانت بالعين، لتلازم الرؤيتين بالنسبة إليهم عليهم السلام.

«و كذلك»؛ أي: مثل هذا التبصير نبصّره. و هو حكاية حال ماضية. «ملكوت

١ـ كنز الدقائق ٤ / ٣٦٣ ـ ٣٧٠.

٢ـ مجمع البيان ٤ / ٥٠٠.

٣ـ مجمع البيان ٤ / ٥٠٠.

٤ـ الحاقّة (٦٩) / ١٧.

٥ـ الكافي ١ / ١٢٩ ـ ١٣٠، ح ١.

السموات و الأرض»: ربوبيّتها و ملكها. و قيل: عجائبها و بدائعها. و الملكوت أعظم من الملك. و التاء فيه للمبالغة. «و ليكون»»؛ أي: ليستدلّ و ليكون. أو: فعلنا ذلك ليكون.[١]

[٧٦] «فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَباً قَالَ هٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ».

«فلمّا جنّ» تفصيل و بيان لذلك. و قيل: عطف على «قال إبراهيم» و «كذلك نري» اعتراض. فإنّ أباه و قومه كانوا يعبدون الأصنام و الكواكب، فأراد أن ينبئهم على ضلالتهم و يرشدهم إلى الحقّ من طريق النظر و الاستدلال. و «جنّ عليه اللّيل»: ستره بظلامه. و الكوكب كان الزهرة أو المشتري. و قوله: «هذا ربّي» على سبيل الوضع ـ فإنّ المستدلّ على فساد قول، يحكيه على ما يقوله الخصم، ثمّ يكرّ عليه بالإفساد ـ أو على وجه النظر و الاستدلال. و إنّما قاله زمان مراهقته لا بلوغه، أو أوّل زمان بلوغه. «أفل»؛ أي: غاب. «لاأحبّ الآفلين»، فضلاً عن عبادتهم. فإنّ الانتقال و الاحتجاب بالأستار يقتضي الإمكان و الحدوث.[٢]

«رأى». أبوعمرو: «رئي» بفتح الراء و كسر الهمزة حيث كان. و ابن‌عامر و حمزة و الكسائيّ بكسر الراء و الهمزة.[٣]

[٧٧] «فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ».

«هذا ربّي»؛ أي: هذا النور الطالع ربّي.[٤]

«بازغاً»: مبتدئاً بالطلوع. «لئن لم يهدني». استعجز نفسه و أعان بربّه في درك الحقّ ـ فإنّه لايهتدى إليه إلّا بتوفيقه ـ إرشاداً لقومه و تنبيهاً لهم على أنّ القمر أيضاً لتغيّر

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٠٨.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٠٨.
٣ـ مجمع البيان ٤ / ٤٩٩.
٤ـ مجمع البيان ٤ / ٥٠٠.

حاله لايصلح للألوهيّة و أنّ من اتّخذه إلهاً فهو ضالّ.[١]

[٧٨] فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هٰذَا رَبِّي هٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ».

«فلمّا رأى الشمس بازغة قال هذا ربّي». ذكّر اسم الإشارة لتذكير الخبر و صيانة للرب عن شبهة التأنيث. «هذا أكبر». كبّره استدلالاً و إظهاراً لشبهة الخصم. «بريء ممّا تشركون» من الأجرام المحدثة المحتاجة إلى محدث يحدثها. ثمّ لمّا تبرّأ عنها، توجّه إلى موجدها و مبدعها الذي دلّت هذه الممكنات عليه و قال: «إنّي وجّهت» ـ الآية. و إنّما احتجّ بالأفول دون البزوغ، مع أنّه أيضاً انتقال، لتعدّد دلالته. لأنّه انتقال مع خفاء و احتجاب، و لأنّه رأى الكوكب الذي يعبدون في وسط السماء حين حاول الاستدلال.[٢]

«هذا»؛ أي: هذا النور الطالع ربّي، ليكون الخبر و المخبر عنه جميعاً على التذكير.[٣]

[٨٠] «وَ حَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللهِ وَ قَدْ هَدَانِ وَ لَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئاً وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ».

«و حاجّه»؛ أي: خاصموه في التوحيد. «أتحاجّونّي». قرأ نافع و ابن‌عامر بتخفيف النون. «في الله»: في وحدانيّته. «هدانِ» إلى توحيده «و لاأخاف» معبوداتكم في وقت. لأنّها لاتضرّ بنفسها و لاتنفع.[٤]

«إلّا أن يشاء»؛ أي: إلّا وقت مشيّة ربّي شيئاً يخاف. فحذف الوقت. يعني: لاأخاف معبوداتكم في وقت قطّ. لأنّها لاتقدر على منفعة و لا مضرّة إلّا إذا شاء ربّي أن يصيبني بمخوف من جهتها إن أصبت ذنباً أستوجب به إنزال المكروه مثل أن يرجمني بكوكب أو بشقّة من الشمس أو القمر أو يجعلها قادرة على مضرّتي. «وسع ربّي كلّ شيء علماً»؛ أي:

١ـ تفسيرالبيضاويّ ١ / ٣٠٨.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٠٨.
٣ـ مجمع البيان ٤ / ٥٠٠.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٠٨ ـ ٣٠٩.

ليس بعجب و لا مستبعد أن يكون في علمه إنزال المخوف به من جـهتها. «أفـلاتذكّرون» فتميّزون بين الصحيح و الفاسد و القادر و العاجز؟[١]

«إلّا أن يشاء ربّي» أن يغلب هذه الأصنام عليّ فتضرّني و تنفعني فيكون ذاك دليلاً على حدوثها. و قيل: معناه: إلّا أن يشاء ربّي أن يعذّبني ببعض ذنوبي.[٢]

[٨١] «وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَ لَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ».

«و كيف أخاف»؛ أي: أخاف لتخويفكم شيئاً مأمون الخوف لايتعلّق به ضرر بوجه «و» أنتم «لاتخافون» ما يتعلّق به كلّ خوف و هو إشراككم بالله «ما لم ينزّل به»: بإشراكه «سلطاناً»؛ أي: حجّة. كأنّه قال: و ما لكم تنكرون عليّ الأمن في موضع الخوف؟ و لم يقل: فأيّنا أحقّ بالأمن أنا أو أنتم، احترازاً من تزكية نفسه. فعدل عنه إلى قوله: «أيّ الفريقين»؛ يعني: فريقي المشركين و الموحّدين.[٣].

«تعلمون»؛ أي: تستعملون علومكم فيتميّزون بين الحقّ من الباطل.[٤]

[٨٢] «الَّذِينَ آمَنُوا وَ لَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَ هُمْ مُهْتَدُونَ».

«الذين آمنوا». من قول إبراهيم. و روي ذلك عن عليّ عليه السلام. «بظلم»؛ أي: بشرك. عند أكثر المفسّرين. «الأمن». أي من الله بحصول الثواب و الأمن من العقاب.[٥]

ثمّ استأنف الجواب عن السؤال بقوله: «الذين آمنوا و لم يلبسوا إيمانهم بظلم»؛ أي: يخلطوا إيمانهم بمعصية. تفسّقهم. و أبى تفسير الظلم بالكفر لفظ اللّبس.[٦]

«الذين آمنوا». استئناف منه، أو من الله، بالجواب عمّا استفهم عنه. و المراد بالظلم هنا

١ـ الكشّاف ٢ / ٤٢.
٢ـ مجمع البيان ٤ / ٥٠٥.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٤٢.
٤ـ مجمع البيان ٤ / ٥٠٥.
٥ـ مجمع البيان ٤ / ٥٠٦ ـ ٥٠٧.
٦ـ الكشّاف ٢ / ٤٢ ـ ٤٣.

الشرك؛ لما روي أنّ الآية لمّا نزلت شقّ ذلك على الصحابة و قالوا: أيّنا لم يظلم نفسه؟ فقال عليه السلام: ليس ما تظنّون. إنّما هو ما قال لقمان لابنه: «يا بنيّ لاتشرك بالله إنّ الشرك لظلم عظيم».[١] و لبس الإيمان به أن يصدّق بوجود الصانع الحكيم و يخلط به الإشراك به. و قيل: المعصية.[٢]

«و لم يلبسوا». عن الصادق عليه السلام قال: بما جاء به محمّد صلى الله عليه وآله من الولاية و لم يخلطوا بولاية فلان و فلان.[٣]

[٨٣] «وَ تِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ».

«و تلك حجّتنا». إشارة إلى جميع ما احتجّ به إبراهيم على قومه من قوله: «فلمّا جنّ» إلى قوله: «و هم مهتدون». «آتيناها»: أرشدناه إليها و وفّقناه لها. «درجات» في العلم و الحكمة.[٤]

«على قومه». متعلّق بحجّتنا إن جعل خبر تلك، وبمحذوف، إن جعل بدله. أي: آتيناها إبراهيم حجّة على قومه. «حكيم» في رفعه و خفضه. «عليم» بالقابل لأحدهما.[٥]

قرأ أهل الكوفة: «درجاتٍ» منوّناً، و الباقون: «درجاتِ من نشاء» بالإضافة.[٦]

[٨٤] «وَ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ كُلّاً هَدَيْنَا وَ نُوحاً هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَ سُلَيْمَانَ وَ أَيُّوبَ وَ يُوسُفَ وَ مُوسَىٰ وَ هَارُونَ وَ كَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ».

«كلّاً»؛ أي: كلّاً منهما. «من قبل»؛ أي: من قبل إبراهيم. عدّ هداه نعمة على إبراهيم من حيث إنّه أباه و من شرف الوالد يتعدّى إلى الولد.[٧]

١ـ لقمان (٣١) / ١٣.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٠٩.
٣ـ الكافي ١ / ٤١٣، ح ٣.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٤٣.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٠٩.
٦ـ مجمع البيان ٤ / ٥٠٧.
٧ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٠٩.

«هدينا». الهداية هنا بمعنى الإرشاد إلى الثواب دون الهداية التي هي نصب الأدلّة. ألاترى إلى قوله: «و كذلك نجزي المحسنين»؟ و ذلك لايليق إلّا بالثواب الذي يخصّ المحسنين دون الدلالة التي يشترك بها المؤمن و الكافر.[١]

«و من ذرّيّته». الضمير لنوح أو لإبراهيم. «و داوود»؛ أي: هدينا داوود.[٢]

«و من ذرّيّته». الضمير لنوح. لأنّه أقرب، و لأنّ يونس و لوطاً ليساً من ذرّيّة إبراهيم. فلو كان لإبراهيم، اختصّ البيان بالمعدودين في تلك الآية و التي بعدها و المذكورون في الآية الثالثة عطف على نوح.[٣]

«و من ذرّيّته». في خبر طويل عن الكاظم عليه السلام مع هارون الرشيد قال له: كيف قلتم: إنّا ذرّيّة رسول الله، و هو صلى الله عليه وآله لم يعقّب؟ و إنّما العقب للذكر لا للأنثى. و أنتم ولد لابنته و لايكون لها عقب. فقال عليه السلام بعد كلام طويل: بسم الله الرحمن الرحيم «و من ذرّيّته داوود و سليمان» ـ الآية. إنّ عيسى بن مريم عليهما السلام ليس له أب و ألحقه الله بذرّيّة الأنبياء من طريق مريم. و كذلك ألحقنا بذراريّ النبيّ من قبل أمّنا فاطمة عليها السلام.[٤]

«و أيّوب» ابن أموص من أسباط عيص بن إسحاق. «و كذلك نجزي المحسنين»، أي: نجزي المحسنين مثل ما جزينا إبراهيم برفع درجاته و كثرة أولاده و النبوّة فيهم.[٥]

[٨٥] «وَ زَكَرِيَّا وَ يَحْيَىٰ وَ عِيسَىٰ وَ إِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ».

«و عيسى». هو ابن مريم. و في ذكره دلالة على أنّ الذرّيّة يتناول أولاد البنت. «و إلياس». قيل: هو إدريس جدّ نوح. فيكون البيان مخصوصاً بمن في الآية الأولى. و قيل: هو من أسباط هارون أخي موسى. «من الصالحين»: الكاملين في الصلاح؛ و هو الإتيان بما ينبغي و التحرّز عمّا لاينبغي.[٦]

١ـ مجمع البيان ٤ / ٥١٢.

٢ـ الكشّاف ٢ / ٤٣.

٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٠٩.

٤ـ عيون الأخبار ١ / ٨٤، ح ٩.

٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٠٩.

٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٠٩ ـ ٣١٠.

[٨٦] «وَ إِسْمَاعِيلَ وَ الْيَسَعَ وَ يُونُسَ وَ لُوطاً وَ كُلّاً فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ».

«و اليسع». أهل الكوفة غير عاصم: «و اللَّيْسَع» بتشديد اللّام و فتحها و سكون الياء.[١]

«و يونس» ابن متّى. «و اليسع» ابن أخطوب. «و لوطاً» ابن هارون ابن أخي إبراهيم. «فضّلنا»: فضّلناهم بالنبوّة.[٢]

[٨٧] «وَ مِنْ آبَائِهِمْ وَ ذُرِّيَّاتِهِمْ وَ إِخْوَانِهِمْ وَ اجْتَبَيْنَاهُمْ وَ هَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ».

«و من آبائهم». في موضع النصب، عطفاً على كلّاً بمعنى: و فضّلنا بعض آبائهم.[٣]

«و من آبائهم». عطف على كلّاً أو نوحاً. أي: فضّلنا كلّاً منهم. أو: هدينا هؤلاء و بعض آبائهم و ذرّيّاتهم و إخوانهم. فإنّ منهم من لم يكن نبيّاً و لا مهديّاً. «و اجتبيناهم». عطف على فضّلنا أو هدينا. «و هديناهم إلى صراط». تكرير لبيان ما هدوا إليه.[٤]

[٨٨] «ذٰلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَ لَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ».

«ذلك هدى الله». إشارة إلى ما دانوا به. «يهدي به من يشاء». دليل على أنّه متفضّل بالهداية.[٥]

«و لو أشركوا» مع فضلهم و تقدّمهم و ما رفع لهم في الدرجات، لكانوا كغيرهم في حبوط أعمالهم. كما قال: «لئن أشركت ليحبطنّ عملك»[٦].[٧]

١ـ مجمع البيان ٤ / ٥٠٧.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣١٠.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٤٣.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣١٠.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣١٠.
٦ـ الزمر (٣٩) / ٦٥.
٧ـ الكشّاف ٢ / ٤٣.

[٨٩] «أُولٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحُكْمَ وَ النُّـبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْماً لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ».

«آتيناهم الكتاب». يريد الجنس. «فإن يكفر بها»؛ أي: بالكتاب و الحكم و النبوّة. أو: النبوّة. «هؤلاء»؛ أي: أهل مكّة. «قوماً ليسوا». هم الأنبياء المذكورون و من تابعهم؛ بدليل قوله: «أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده» و بدليل وصل قوله: «فإن يكفر بها هؤلاء» بما قبله. و قيل: هم أصحاب النبيّ ﷺ و كلّ من آمن به. و قيل: كلّ مؤمن من بني آدم. و قيل: الملائكة. و ادّعى الأنصار أنّها لهم. و عن مجاهد أنّهم الفرس. و معنى توكيلهم بها أنّهم وفّقوا للإيمان و القيام بحقوقها كما يوكّل الرجل بالشيء ليقوم به و يتعهّده و يحافظ عليه. و الباء في بها صلة كافرين، و في بكافرين تأكيد النفي.[1]

[٩٠] «أُولٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُـوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ».

«فبهداهم اقتده»: فاختصّ هداهم بالاقتداء و لاتقتد إلّا بهم. و هـذا مـعنى تـقديم المفعول. و المراد بهداهم طريقتهم في الإيمان بالله و توحيده و أصول الدين دون الشرائع؛ فإنّها مختلفة، و هي هدًى ما لم تنسخ، فإذا نسخت، لم يبق هدًى، بخلاف أصول الدين؛ فإنّها هدًى أبداً. «اقتده». الهاء للوقف تسقط في الدرج. و استحسن إيثار الوقف لثبات الهاء في المصحف.[2]

«فبهداهم اقتده». يعني ما يوافقوا عليه من أصول الدين. فليس فيه دليل على أنّه ﷺ متعبّد بشرع من قبله. و الهاء في اقتده للوقف. و من أثبتها في الدرج ساكنة ـ كابن كثير و نافع و أبي عمرو و عاصم ـ أجرى الوصل مجرى الوقف. و بحذف الهاء في الوصل خاصّة حمزة و الكسائيّ. و أشبعها ابن عامر برواية ابن ذكوان، على أنّها كناية المصدر. و بكسر الهاء

١ـ الكشّاف ٢ / ٤٣.　　٢ـ الكشّاف ٢ / ٤٣.

بغير إشباع برواية هشام. «عليه»؛ أي: على التبليغ أو القرآن. «أجراً»: جعلاً من جهتكم كما لم يسأل من قبلي من النبيّين. و هذا من جملة ما أمر بالاقتداء فيه. «إن هو»؛ أي: التبليغ أو القرآن أو الغرض «إلّا ذكرى»؛ أي: تذكيراً أو عظة لهم.[١]

[٩١] «وَ مَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلىٰ بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسىٰ نُوراً وَ هُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَ تُخْفُونَ كَثِيراً وَ عُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَ لَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ».

«و ماقدروا الله حقّ قدره»؛ أي: ماعرفوه حقّ معرفته في الرحمة على عباده و اللّطف بهم حين أنكروا بعثة الرسل و الوحي إليهم. و ذلك من أعظم رحمته و أجلّ نعمته. «و ما أرسلناك إلّا رحمةً للعالمين».[٢] أو: ماعرفوه حقّ معرفته في سخطه على الكافرين و شدّة بطشه بهم و لم يخافوه حين جسروا على تلك المقالة العظيمة من إنكار النبوّة. و القائلون هم اليهود؛ بدليل قراءة من قرأ: «تجعلونه» بالتاء و كذا: «تبدونها و تخفون». و إنّما قالوا ذلك مبالغة في إنكار إنزال القرآن على رسول الله ﷺ فألزموا ما لا بدّ لهم من الإقرار به من إنزال التوراة على موسى و أدرج تحت الإلزام توبيخهم و أن نعى عليهم سوء جهلهم لكتابهم و تحريفهم و إبداء بعض و إخفاء بعض فقيل: «جاء به موسى» و هو نور وهدًى للناس حتّى غيّروه و بعّضوه و جعلوه قراطيس مقطّعة و ورقات مفرّقة ليتمكّنوا ممّا راموا من الإبداء و الإخفاء. و روي أنّ مالك بن الصيف من أحبار اليهود قال له رسول الله ﷺ: أنشدك بالّذي أنزل التوراة على موسى، هل تجد فيها أنّ الله يبغض الحبر السمين؟ فأنت الحبر السمين؛ قد سمنت من مالك الذي تطعمك اليهود. فضحك القوم، فغضب و قال: ما أنزل الله على بشر من شيء. فقال له قومه: ويلك! ما هذا الذي بلغنا عنك؟ فقال: إنّه أغضبني. فنزعوه و جعلوا

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣١٠.

٢ـ الأنبياء (٢١) / ١٠٧.

مكانه كعب بن الأشرف. و قيل: القائلون قريش. و قد ألزموا إنزال التوراة لأنّهم كانوا يسمعون من اليهود بالمدينة ذكر موسى و التوراة و كانوا يقولون: لو أنّا أنزل علينا الكتاب، لكنّا أهدى منهم.(١)

«إذا قالوا». عن أبي عبدالله عليه السلام: كفّار قريش و اليهود.(٢)

«قراطيس»؛ أي: كتباً و صحفاً متفرّقة. أو: تجعلونه ذا قراطيس؛ أي: تودعونه إيّاها. [«تبدونها و تخفون كثيراً»؛ أي:] تظهرون بعضها و تكتمون بعضها و هو ما في الكتب [من] صفات النبيّ صلى الله عليه و آله. «و علّمتم ما لم تعلموا». قيل: إنّه خطاب للمسلمين يذكّرهم ما أنعم به عليهم. «و ذرهم». محمول على ضرب من التوعّد و التهديد.(٣)

«و تخفون». قرأ ابن كثير و أبوعمرو بالياء حملاً على قالوا و ماقدروا. «قل الله». أمره بأن يجيب عنهم إشعاراً بأن الجواب متعيّن لايمكن غيره، و تنبيهاً على أنّهم بهتوا بحيث لايقدرون على الجواب.(٤)

«و علّمتم». الخطاب لليهود. أي: علّمتم على لسان محمّد صلى الله عليه و آله ممّا أوحي إليه ما لم تعلموا أنتم ـ و أنتم حملة التوراة ـ و لم يعلمه آباؤكم الأقدمون الذين كانوا أعلم منكم. «إنّ هذا القرآن يقصّ على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون».(٥) و قيل: الخطاب لمن آمن من قريش؛ كقوله: «لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم».(٦) «قل الله»؛ أي: أنزله الله. فإنّهم لايقدرون أن يناكروك. «في خوضهم»؛ أي: في باطلهم الذي يخوضون فيه و لا عليك بعد إلزام الحجّة. و يقال لمن كان في عمل لايجدي عليه: إنّما أنت لاعب. و «يلعبون» حال من ذرهم أو من خوضهم. و يجوز أن يكون في خوضهم حالاً من يلعبون و أن يكون صلة له أو لذرهم.(٧)

١ـ الكشّاف ٢ / ٤٤.
٢ـ تفسير القمّيّ ١ / ٢١٠.
٣ـ مجمع البيان ٤ / ٥١٥.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣١١.
٥ـ النمل (٢٧) / ٧٦.
٦ـ يس (٣٦) / ٦.
٧ـ الكشّاف ٢ / ٤٤.

[٩٢] «وَ هٰذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَ لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرىٰ وَ مَنْ حَوْلَهَا وَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَ هُمْ عَلىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ».

«مبارك»: كثير المنافع و الفوائد. «و لتنذر». عطف على ما دلّ عليه صفة الكتاب. كأنّه قيل: أنزلناه للبركات و تصديق ما تقدّمه من الكتب و الإنذار. و سمّيت مكّة أمّ القرى، لأنّها مكان أوّل بيت وضع للناس و لأنّها قبلة أهل القرى كلّهم و لأنّها أعظم القرى شأناً. «و الذين يؤمنون بالآخرة» : يصدّقون بالعاقبة و يخافونها، «يؤمنون به»: بهذا الكتاب. و ذلك أنّ أصل الدين خوف العاقبة، فمن خافها، لم يزل به الخوف حتّى يؤمن. و خصّ الصلاة لأنّها عماد الدين و من حافظ عليها كانت لطفاً له في المحافظة على أخواتها.(١)

«أمّ القرى»؛ أي : مكّة. سمّيت [بذلك] لأنّ الأرض دحيت من تحتها. «و لتنذر» أبوبكر عن عاصم بالياء. أي: لينذر الكتاب. «من حولها»: أهل الشرق و الغرب.(٢)

[٩٣] «وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرىٰ عَلَى اللهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَ لَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَ مَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللهُ وَ لَوْ تَرىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَ الْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَ كُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ».

عن أبي جعفر عليه السلام: من ادّعى الإمامة دون الإمام عليه السلام.(٣)

«و من أظلم ممّن افترى». عن الصادق عليه السلام: نزلت في ابن أبي سرح. و كان أخا عثمان من الرضاعة، فأسلم و دخل المدينة. و كان له خطّ حسن و كان يكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه و آله. و كان إذا قال له: «سميع بصير»، يكتب: سميع عليم، و نحو هذا. فارتدّ كافراً و رجع إلى مكّة و قال لقريش: و الله مايدري محمّد ما يقول فلاينكر عليّ ذلك. فأنا أنزل مثل ما ينزل. فأنزل الله على نبيّه صلى الله عليه و آله: «و من أظلم ممّن افترى» ـ الآية. فلمّا فتح رسول الله مكّة، أمر رسول الله

١ـ الكشّاف ٢ / ٤٥.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣١١.
٣ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٣٧٠، ح ٦١.

بقتله. فجاء به عثمان آخذاً بيده فقال: يا رسول الله، اعف عنه. فسكت مرّتين. فقال: هو لك. فلمّا مرّ قال عليه السلام: لم أقل من رآه فليقتله؟ فقال رجل: لو أشرت إليّ لقتلته. فقال عليه السلام: الأنبياء لا يقتلون بالإشارة.[١]

«و من أظلم ممّن افترى على الله كذباً» فزعم أنّه بعثه نبيّاً، كمسيلمة و الأسود العنسيّ، و اختلق عليه أحكاماً، كعمرو بن لحيّ و متابعيه. «أو قال أوحي إليّ و لم يوح إليه»، كعبدالله بن أبي سرح. كان يكتب لرسول الله. فلمّا نزلت: «و لقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين»[٢] فلمّا بلغ قوله: «ثمّ أنشأناه خلقاً آخر» قال عبدالله بن أبي سرح: تبارك الله أحسن الخالقين، تعجّباً من تفصيل خلق الإنسان. فقال عليه السلام: اكتبها. فكذلك نزلت. فشكّ عبدالله و قال: لئن كان محمّد صادقاً، لقد أوحي إليّ كما أوحي إليه. و لئن كان كاذباً، لقد قلت كما قال. «و من قال سأنزل» كالّذين قالوا: «لو نشاء لقلنا مثل هذا»[٣].[٤]

«و لو ترى». حذف مفعوله لدلالة الظرف. أي: و لو ترى الظالمين. «غمرات الموت»: شدائده. من غمره الماء، إذا غشيه.[٥]

و جواب لو محذوف. أي: لرأيت أمراً عظيماً. «إذ الظالمون». يريد الذين ذكرهم من اليهود و المتنبّئة فيكون اللّام للعهد. و يجوز أن يكون للجنس فيدخل فيه هؤلاء لاشتماله. «باسطو أيديهم» يقولون: هاتوا أرواحكم، أخرجوها إلينا من أجسادكم. و هذه عبارة عن العنف في السياق و الإلحاح و التشديد في الإزهاق من غير تنفيس و إمهال و أنّهم يفعلون بهم فعل الغريم المسلّط يبسط يده إلى من عليه الحقّ و يعنف عليه في المطالبة و لا يمهله و يقول له: أخرج إليّ ما لي عليك الساعة. و لا أريم مكاني حتّى أنزعه من أحداقك. و قيل: معناه: باسطو أيديهم إليهم بالعذاب. «أخرجوا أنفسكم»: خلّصوها من أيدينا. أي: لا تقدرون على الخلاص. «اليوم تجزون». يجوز أن يريدوا وقت الإماتة و ما يعذّبون به من

١ـ الكافي ٨ / ٢٠٠ ـ ٢٠١، ح ٢٤٢.
٢ـ المؤمنون (٢٣) / ١٢.
٣ـ الأنفال (٨) / ٣١.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣١١ ـ ٣١٢.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣١٢.

شدّة النزع و أن يريدوا الوقت الممتدّ المتطاول الذي يلحقهم فيه العذاب في البرزخ و القيامة. و «الهون»: الهوان الشديد. و إضافة العذاب إليه كقولك: رجل سوء يريد العراقة في الهوان و التمكّن فيه. «عن آياته يستكبرون» فلايؤمنون بها.[١]

«الظالمون». عن أبي جعفر عليه السلام : الظالمون آل محمّد حقّهم. «عذاب الهون». قال: العطش.[٢]

«أخرجوا»؛ أي: يقولون: أخرجوا أنفسكم من سكرات الموت إن استطعتم و صدقتم فيما قلتم.[٣]

«غير الحقّ». أي: كادّعاء الشريك له أو الولد و دعوى النبوّة و الوحي كاذباً. «تستكبرون» فلاتتأمّلون فيها و لاتؤمنون.[٤]

[٩٤] «وَ لَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ تَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَ مَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَ ضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ».

«و لقد جئتمونا» للحساب و الجزاء. «فرادى»: منفردين عن الأموال و الأولاد و سائر ما آثرتموه من الدنيا، أو عن الأعوان و الأوثان التي زعمتم أنّها شفعاؤكم. و هو جمع فرد و الألف للتأنيث؛ ككسالى. «كما خلقناكم أوّل مرّة». بدل منه. أي: على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد. أو حال ثانية إن جوّز التعدّد فيها. أو حال من الضمير في فرادى. أي: مشبهين ابتداء خلقكم حفاة عراة غرلاً بهماً. أو صفة مصدر جئتمونا. أي: مجيئاً كخلقنا لكم. «و تركتم ما خوّلناكم»: ما تفضّلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الآخرة «وراء ظهوركم» ماقدّمتم منه شيئاً و لم تحتملوا نقيراً.[٥]

١ـ الكشّاف ٢ / ٤٦ ـ ٤٧.

٢ـ تفسير القمّيّ ١ / ٢١٠.

٣ـ مجمع البيان ٤ / ٥١٩.

٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣١٢.

٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣١٢.

«و لقد جئتمونا». قيل: هذا من كلام الله يخاطب به عباده إمّا عند الموت أو عند الحساب و البعث. و قيل: هذا من كلام الملائكة يؤدّونه عن الله إلى الذين يقبضون أرواحهم. «فرادى». قيل: معناه: واحداً واحداً. و قيل: كلّ واحد منهم منفرد عن شريكه في الغيّ و شقيقه.[١]

عن النبيّ صلى الله عليه وآله في حديث طويل لمّا قرأ هذه الآية: «و لقد جئتمونا» ـ الآية ـ لفاطمة بنت أسد قالت: [و ما فرادى؟ فقال: عراة. فقالت:] وا سوأتاه! قال: فسألت الله أن لايبدي عورتها فضمنت لها أن يبعثها كاسية فكفنتها بقميصي. ثمّ ذكرت لها ضغطة القبر فقالت: و اضعفاه! فضمنت لها أن يكفيها الله ذلك فاضطجعت في قبرها لذلك.[٢]

و قال الصادق عليه السلام: تنوّقوا بأكفانكم. فإنّها زينتكم يوم القيامة.[٣]

و قيل لأميرالمؤمنين عليه السلام : أنّى لهم بالأكفان و قد بليت؟ قال: إنّ الذي أحيى أبدانهم، جدّد أكفانهم.[٤]

«شفعاءكم». نزلت في النضر بن الحارث حين قال: سوف يشفع إلى اللّات و العزّى.[٥]

«شركاء»: أي: شركاء الله في ربوبيّتكم و استحقاق عبادتكم. «لقد تقطّع بينكم»: أي: تقطّع وصلكم و تشتّت جمعكم. و البين من الأضداد، يستعمل للوصل و الفصل. و قيل: هو الظرف أسند إليه الفعل على الاتّساع. و المعنى: وقع التقطّع بينكم. و يشهد له قراءة نافع و الكسائيّ و حفص عن عاصم بالنصب، على إضمار الفاعل لدلالة ما قبله عليه، أو أقيم مقام موصوفه و أصله: لقد تقطّع ما بينكم. و قد قرئ به. «و ضلّ عنكم» : ضاع و بطل «ما كنتم تزعمون» أنّها شفعاؤكم و أن لا بعث و لا جزاء.[٦]

[٩٥] «إِنَّ اللهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَ النَّوىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَ مُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ

١ـ مجمع البيان ٤ / ٥٢١.
٢ـ الخرائج و الجرائح ١ / ٩١، و الكافي ١ / ٤٥٤.
٣ـ الكافي ٣/١٤٩: تنوّقوا في الأكفان فإنّكم تبعثون بها.
٤ـ الاحتجاج ٢ / ٩٨.
٥ـ مجمع البيان ٤ / ٥٢١.
٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣١٢.

ذٰلِكُمُ اللهُ فَأَنّٰى تُؤْفَكُونَ».

«فالق الحبّ» بالنبات و الشجر. و قيل: المراد به الانشقاق الذي في الحنطة و النوى. «يخرج الحيّ». يريد به ما ينمو من الحيوان و النبات ليطابق ما قبله. «من الميّت»: ممّا لا ينمو كالنطف و الحبّ. «و مخرج الميّت من الحيّ»: و مخرج ذلك من الحيوان و النبات. ذكر بلفظ الاسم حملاً على فالق الحبّ. فإنّ قوله: «يخرج الحيّ» واقع موقع البيان له. «ذلكم الله»؛ أي: المحيي المميت هو الذي يحقّ له العبادة. «تؤفكون»: تصرفون عنه إلى غيره.[١]

«فالق الحبّ». عن الصادق عليه السلام في قوله: «فالق الحبّ و النوى» قال: الحبّ المؤمن. و ذلك قوله تعالى: «و ألقيت عليك محبّة منّي».[٢] و النوى الكافر الذي نأى عن الحقّ فلم يقبله.[٣]

و في حديث آخر عنه عليه السلام: فالق الحبّ أن يفلق العلم من الأئمّة عليهم السلام.[٤]

[٩٦] «فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَ جَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ حُسْبَاناً ذٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ».

«فالق الإصباح». شاقّ عمود الصبح عن ظلمة اللّيل أو عن بياض النهار. أو: شاقّ ظلمة الإصباح و هو الغبش الذي يليه. و الإصباح في الأصل مصدر أصبح إذا دخل في الصبح. و قرئ بفتح الهمزة على الجمع.[٥]

«جعل اللّيل سكناً». عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان عليّ بن الحسين عليهما السلام يأمر غلمانه ألّا يذبحوا حتّى يطلع الفجر و يقول: إنّ الله جعل اللّيل سكناً لكلّ شيء.[٦]

«جاعل اللّيل سكناً» يسكن إليه التعب بالنهار للاستراحة فيه. من سكن إليه، إذا

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣١٢.
٢ـ طه (٢٠) / ٣٩.
٣ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٣٧٠، ح ٦٥.
٤ـ تفسير القمّيّ ١ / ٢١١.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣١٣.
٦ـ التهذيب ٩ / ٦٠، ح ٢٥٤.

اطمأنّ إليه استئناساً به. أو: يسكن إليه الخلق. من قوله: «ليسكنوا فيه».[1] و نصبه بفعل دلّ عليه جاعل لا به؛ فإنّه في معنى الماضي. و يدلّ عليه قراءة الكوفيّين: «و جعل اللّيل» حملاً على معنى المعطوف عليه. فإنّ فالق بمعنى فلق و لذلك قرئ به. أو به على أنّ المراد به جعل مستمرّ في الأزمنة المختلفة. و على هذا يجوز أن يكون «و الشمس و القمر» عطفاً على محلّ اللّيل. و يشهد له قراءتهما بالجرّ. و الأحسن نصبهما بجعل مقدّر. «حسباناً»؛ أي: على أدوار مختلفة يحسب بها الأوقات و يكون على الحسبان. و هو مصدر حسب بالفتح. و قيل: جمع حساب؛ كشهاب و شهبان. «ذلك». إشارة إلى جعلهما حسباناً. أي: ذلك التسيير بالحساب المعلوم. «العزيز» الذي قهرهما و سيّرهما على الوجه المخصوص.[2]

[٩٧] «وَ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ».

«جعل لكم النجوم»؛ أي: خلقها. «في ظلمات البرّ و البحر»؛ أي: ظلمات اللّيل في البرّ و البحر. و إضافتها إليهما للملابسة. أو: في شبهات الطرق. و سمّاها ظلمات على الاستعارة. و هو إفراد لبعض منافعها بالذكر بعد ما أجملها بقوله: «لكم».[3]

«النجوم». في تفسير عليّ بن إبراهيم: النجوم آل محمّد عليهم السلام.[4]

[٩٨] «وَ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَ مُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ».

«من نفس واحدة». هو آدم عليه السلام. «فمستقرّ و مستودع»؛ أي: لكم استقرار في الأصلاب أو فوق الأرض و استيداع في الأرحام أو تحت الأرض. أو: موضع استقرار و استيداع. و قرأ ابن‌كثير و البصريّان بكسر القاف، على أنّه اسم فاعل و المستودع مفعول. أي: فمنكم

١ـ يونس (١٠) / ٦٧.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣١٣.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣١٣.
٤ـ مجمع البيان ٤ / ٥٢٦.

قارّ و منكم مستودع. لأنّ الاستقرار منّا دون الاستيداع. «لقوم يفقهون». ذكر مع ذكر النجوم «يعلمون» لأنّ أمرها ظاهر، ومع ذكر تخليق بني آدم «يفقهون» لأنّ إنشاءهم من نفس واحدة و تصريفهم بين أحوال مختلفة دقيق غامض يحتاج إلى استعمال فطنة و تدقيق نظر.(١)

عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت: «فمستقرّ و مستودع»؟ قال: ما يقول أهل بلدك؟ قال: قلت: يقولون: مستقرّ في الرحم و مستودع في الصلب. فقال: كذب السفهاء. ما استقرّ الايمان في قلبه فلاينزع منه أبداً. و المستودع الذي يستودع الايمان زماناً، ثمّ يسلبه. و كان الزبير منهم.(٢)

[٩٩] «وَ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُتَرَاكِباً وَ مِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَ جَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَ الزَّيْتُونَ وَ الرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَ غَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَ يَنْعِهِ إِنَّ فِي ذٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ».

«و هو الذي أنزل من السماء ماء»؛ أي: من السحاب. أو : من جانب السماء. «فأخرجنا». على تلوين الخطاب. «به»؛ أي: بالماء. «نبات كلّ شيء»: نبت كلّ صنف من النبات. و المعنى إظهار القدرة في إنبات الأنواع المفنّنة بماء واحد؛ كما في قوله: «يسقى بماء واحد و نفضّل بعضها على بعض في الأكل».(٣) «فأخرجنا منه»؛ أي: من النبات. أو : من الماء. «خضراً»؛ أي: شيئاً أخضر. و هو الخارج من الحبّة المتشعّب. «يخرج منه»؛ أي: من الخضر. «حبّاً متراكباً»؛ أي: السنبل. «ومن النخل»؛ أي: و أخرجنا من النخل. «من طلعها قنوان»؛ أي: و أخرجنا من النخل نخلاً من طلعها قنوان. أو: من النخل شيء من طلعها قنوان. و يجوز أن يكون من النخل خبر قنوان ومن طلعها بدل منه، و المعنى: و حاصلة من

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣١٣.
٢ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٣٧١، ح ٦٩.
٣ـ الرعد (١٣) / ٤.

طلع النخل قنوان. و هو الأعذاق، جمع قنو؛ كصنوان جوع صنو. «دانية»: قريبة من المتناول. أو: ملتفّة قريب بعضها من بعض. و إنّما اقتصر على ذكرها عن مقابلها، و هو ما طال من النخل و لم يكن داني الثمرة، لدلالتها [عليه] ـ كـ «سرابيل تقيكم الحرّ»[١] ـ و زيادة النعمة فيها. «و جنّات من أعناب». عطف على «نبات كلّ شيء». و لايجوز عطفه على قنوان؛ إذ العنب لايخرج من النخل. «و الزيتون و الرمّان». أيضاً عطف على نبات. أو نصب على الاختصاص لعزّة هذين الصنفين عندهم. «مشتبهاً و غير متشابه». حال من الرمّان أو من الجميع. أي: بعض ذلك متشابه و بعضه غير متشابه في الهيئة و القدر و اللّون و الطعم. «انظروا إلى ثمره»؛ أي: إلى ثمر كلّ واحد من ذلك. «إذا أثمر»: إذا أخرج ثمره كيف يثمره ضعيفاً لايكاد ينتفع به. «و ينعه»: و إلى حال نضجه. أو: إلى نضجه كيف يعود ذا نفع و لذّة. و هو في الأصل مصدر ينعت الثمرة، إذا أدرك. و قيل: جمع يانع؛ كتاجر و تجر. «لآيات لقوم يؤمنون»؛ أي: لآيات على وجود القادر الحكيم و توحيده. فإنّ حدوث الأجناس المختلفة و الأنواع المتفنّنة من أصل واحد ونقلها من حال إلى حال، لايكون إلّا بإحداث قادر يعلم تفاصيلها و يرجّح ما تقتضيه حكمته ممّا يمكن من أحوالها و لايعوقه من فعله ندّ يعارضه أو ضدّ يعانده. و لذلك عقّبه بتوبيخ من أشرك به.[٢]

«ثمره». حمزة و الكسائيّ بضمّ الثاء، جمع ثمرة.[٣]

«و جنّات». أبوبكر عن عاصم: «و جنّات» بالرفع ـ و هو قراءة أميرالمؤمنين عليه السلام ـ للعطف على قنوان. «ثمره». حمزة و الكسائيّ: «ثمره» بضمّتين.[٤]

[١٠٠] «وَ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَ خَلَقَهُمْ وَ خَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَ بَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ».

«و جعلوا لله شركاء الجنّ»؛ أي: الملائكة، بأن عبدوهم و قالوا: الملائكة بنات الله. و

١ـ النحل (١٦) / ٨١.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣١٣ ـ ٣١٤.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣١٤.
٤ـ مجمع البيان ٤ / ٥٢٧.

سمّاهم جنّاً لاجتنانهم، تحقيراً لشأنهم. أو: الشياطين، لأنّهم أطاعوهم كما يطاع الله، أو عبدوا الأوثان بتسويلهم و تحريضهم، أو قالوا: الله خالق الخير و كلّ نافع، و الشيطان خالق الشرّ و كلّ ضارّ، كما هو رأي الثنويّة. و مفعولا جعلوا «لله شركاء» و الجنّ بدل من شركاء. «و خلقهم». حال بتقدير قد. و المعنى: و قد عملوا أنّ الله خالقهم دون الجنّ و ليس من يخلق كمن لايخلق. «و خرقوا له»: افتعلوا و افتروا «بنين و بنات». فقالت اليهود: عزير ابن الله. و قالت النصارى: المسيح ابن الله. و قالت العرب: الملائكة بنات الله. «بغير علم»: من غير أن يعلموا حقيقة ما قالوه و يروا عليه دليلاً. و هو في موضع الحال من الواو أو المصدر. أي: خرقاً بغير علم. «عمّا يصفون». وهو أنّ له شركاء أو ولداً.[١]

[١٠١] «بَدِيعُ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَ لَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ».

«بديع السموات». من إضافة لصفة المشبّهة إلى فاعلها، أو إلى الظرف، بمعنى أنّه عديم النظير. و قيل: معناه المبدع. و رفعه على الخبر و المبتدأ محذوف، أو على الابتداء و خبره: «أنّى يكون له»؛ أي: من أين و كيف يكون له ولد؟ «و لم تكن له صاحبة» يكون منها الولد. «و هو بكلّ شيء عليم»؛ أي: لايخفى عليه خافية. و إنّما لم‌يقل به لتطرّق التخصيص إلى الأوّل. «و خرقوا». نافع بتشديد الراء للتكثير.[٢]

«و خلق كلّ شيء». أراد المخلوقات لا الأعمال كما يقوله الأشاعرة.[٣]

«أنّى يكون». في هذه الآية إبطال الولد من ثلاثة أوجه. أحدها: انّ مبتدع السموات و الأرض ـ و هي أجسام عظيمة ـ لايستقيم أن يوصف بالولادة. لأنّ الولادة من صفات الأجسام و مخترع الأجسام لايكون جسماً حتّى يكون والداً. و الثاني: انّ الولادة لاتكون إلّا بين زوجين من جنس واحد. و هو متعال عن مجانس، فلم‌يصحّ أن يكون له صاحبة،

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣١٤. ٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣١٤.
٣ـ مجمع البيان ٤ / ٥٣١.

فلم تصحّ الولادة. و الثالث: انّه ما من شيء إلّا و هو خالقه و العالم به. و من كان بهذه الصفة، كان غنيّاً عن كلّ شيء، و الولد إنّما يطلبه المحتاج.(١)

[١٠٢] «ذٰلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَ هُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ».

«ذلكم». إشارة إلى الموصوف بما سبق من الصفات. و هو مبتدأ. «الله ربّكم لا إله إلّا هو خالق كلّ شيء». أخبار مترادفة. «فاعبدوه». حكم مسبّب عن مضمونها. فإنّ من استجمع هذه الصفات، استحقّ العبادة.(٢)

فيما كتبه الرضا عليه السلام إلى المأمون من شرائع الدين: و إنّ أفعال العباد مخلوقة خلق تقدير لا خلق تكوين. «و الله خالق كلّ شيء». و لانقول بالجبر و التفويض.(٣)

و عنه عليه السلام في حديث آخر: أنّ أفعال العباد مقدّرة في علم الله قبل خلق العباد بألفي عام.(٤)

«وكيل»؛ أي: و [هو] مع تلك الصفات متولّي أموركم، فكلوها إليه و توسّلوا بعبادته إلى إنجاح مآربكم، و رقيب على أعمالكم فيجازيكم عليها.(٥)

[١٠٣] «لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ».

«لاتدركه الأبصار»: لاتحيط به. جمع بصر و هي حاسّة النظر. و استدلّ به المعتزلة على امتناع الرؤية. و هو ضعيف. لأنّه ليس الإدراك مطلق الرؤية، و لا النفي في الآية عامّاً في الأوقات، فلعلّه مخصوص ببعض الحالات، و لا في الأشخاص، فإنّه في قوّة قولنا لا كلّ بصر يدركه، مع أنّ النفي لايوجب الامتناع.(٦)

الجواب: انّ تحلية «الأبصار» بلام الاستغراق و تمدّحه تعالى بهذه الصفة، ممّا لايدلّ

١ـ الكشّاف ٢ / ٥٣.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣١٥.
٣ـ عيون الأخبار ٢ / ١٢٥.
٤ـ التوحيد / ٤١٦.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣١٥.
٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣١٥.

دلالة قطعيّة على نفي الرؤية مطلقاً.

عن الرضاؑ: «لاتدركه الأبصار» ـ الآية. ليست هي الأعين. إنّما هي الأبصار التي في القلوب. لاتقع عليه الأوهام. و لايدرك كيف هو. «و هو اللّطيف». في معناه وجوه: أحدها أنّه اللّطيف بعباده بسبوغ الإنعام. و ثانيها أنّه لطيف التدبير. حذف لدلالة الكلام عليه. و ثالثها أنّه اللّطيف الذي إذا دعوته لبّاك، و إن قصدته آواك، و إن أحببته أدناك، و إن أطعته كافاك، و إن عصيته عافاك، و إن أعرضت عنه دعاك، و إن أقبلت إليه هداك.[١]

«و هو يدرك»: يحيط علمه بها.[٢]

البصر: هو الجوهر اللّطيف الذي ركّبه الله في حاسّة النظر تدرك المبصرات. فالمعنى: انّ الأبصار لاتتعلّق [به و لاتدركه. لأنّه متعال أن يكون مبصراً في ذاته. لأنّ الأبصار إنّما تتعلّق] بما كان في جهة. و هو للطف إدراكه المدركات يدرك تلك الجواهر اللّطيفة التي لايدركها مدرك. «و هو اللّطيف»: يلطف عن أن تدركه الأبصار. «الخبير» بكلّ لطيف. فهو يدرك الأبصار لاتلطف عن إدراكه. و هذا من باب اللّطف.[٣]

[١٠٤] «قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَ مَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ».

«قد جاءكم بصائر من ربّكم». [هو] وارد على لسان رسول الله؛ لقوله «و ما أنا عليكم بحفيظ». و البصيرة نور القلب الذي به يستبصر؛ كما أنّ البصر نور العين الذي به يبصر. أي: جاءكم من الوحي و التنبيه على ما يجوز على الله و ما لايجوز، ما هو للقلوب كالبصائر. «فمن أبصر» الحقّ و آمن، «فلنفسه» أبصر الحقّ و إيّاها نفع. «و من عمي» فعلى نفسه عمي و إيّاها ضرّ بالعمى. «و ما أنا عليكم بحفيظ» أحفظ أعمالكم و أجازيكم عليها. إنّما أنا منذر؛ و الله هو الحفيظ عليكم.[٤]

١ـ مجمع البيان ٤ / ٥٣٣.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣١٥.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٥٤.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٥٥.

[١٠٥] «وَ كَذٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَ لِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَ لِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ».

«و كذلك»؛ أي: مثل ذلك التصريف نصرّف. و هو إجراء المعنى الدائر في المعاني المتعاقبة. من الصرف، و هو نقل الشيء من حال إلى حال.(١)

«و ليقولوا»؛ أي: ليقولوا: درست صرفنا. فحذف الجواب. و اللّام للعاقبة. لأنّ الغرض من التصريف إنّما هو تبيين الآيات لقوم يعلمون لا قولهم للنبيّ أنّه دارس اليهود و تعلّم منهم. لأنّه خلاف الواقع. و أمّا قراءة: «درستْ» بسكون التاء فمعناه أنّه قدمت هذه الآيات و عفت؛ كقولهم: أساطير الأوّلين. «و لنبيّنه». اللّام للتعليل. و الضمير للآيات باعتبار المعنى، أو القرآن، و إن لم يذكر لكونه معلوماً، أو للمصدر أي التبيين.(٢)

«درست». كانت قريش يقول لرسول الله إنّ الذي يخبرنا به من الأخبار يتعلّمه من علماء اليهود و يدرسه.(٣)

«درسْت». قرأ ابن‌كثير و أبوعمرو: «دارست»، و ابن‌عامر: «درسَتْ» بفتح السين و سكون التاء. و الباقون: «درست». من قرأ: «دارست» فمعناه: انّك دارست أهل الكتاب و ذاكرتهم.(٤)

و اللّام في «ليقولوا درست» معطوف على محذوف. تقديره: ليجحدوا و ليقولوا. و اللّام لام العاقبة. أي: ليقولوا درست ذلك يا محمّد؛ أي: تعلّمته من اليهود. قال الزجّاج: و هذه اللّام تسمّيها أهل اللّغة لام الصيرورة. أي: إنّ السبب الذي أدّاهم إلى أن قالوا درست، هو تلاوة الآيات. و كذلك «دارست»؛ أي دارست أهل الكتابين و قارأتهم و ذاكرتهم.(٥)

[١٠٦] «اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ».

«اتّبع ما أوحي إليك من ربّك» بالتديّن به. «لا إله إلّا هو». اعتراض أكّد به إيجاب

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣١٥، و الكشّاف ٢ / ٥٥.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣١٥، و الكشّاف ٢ / ٥٥.
٣ـ تفسير القمّيّ ١ / ٢١٢.
٤ـ مجمع البيان ٤ / ٥٣٣.
٥ـ مجمع البيان ٤ / ٥٣٥.

الاتّباع. أو حال مؤكّدة من ربّك بمعنى: منفرداً بالألوهيّة. «و أعرض عن المشركين»: لاتلتفت إلى آرائهم. و من جعله منسوخاً بآية السيف، حمل الإعراض عمّا يعمّ الكفّ عنهم.(١)

[١٠٧] «وَ لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكُوا وَ مَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً وَ مَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ».

«و لو شاء الله» توحيدهم و عدم إشراكهم، «ما أشركوا». و هو دليل على أنّ الله لا يريد إيمان الكافر و أنّ مراده واجب الوقوع. «حفيظاً»: رقيباً. «بوكيل» تقوم بأمورهم.(٢)

«و لو شاء الله ما أشركوا»؛ أي: لو شاء الله أن يتركوا الشرك قهراً و إجباراً، لاضطرّهم إلى ذلك؛ لكنّه ينافي التكليف و استحقاق الثواب و العقاب.(٣)

[١٠٨] «وَ لَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ».

«و لا تسبّوا»؛ أي: لا تذكروا آلهتهم التي يعبدونها بما فيها من القبائح. «عدواً»: تجاوزاً عن الحقّ إلى الباطل. «بغير علم»: على جهالة بالله و بما يجب أن يذكر به. قيل: كان المسلمون يسبّونها، فنهوا عنه لئلّا يسبّوا الله.(٤)

«كذلك زيّنّا»؛ أي: مثل ذلك التزيين زيّنّا لكلّ أمّة من أمم الكفّار سوء عملهم؛ أي: خلّيناهم و شأنهم و لم يكفّهم حتّى حسن عندهم سوء عملهم. أو: أمهلنا الشيطان حتّى زيّن لهم. أو: زيّنّاه في زعمهم و قولهم انّ الله أمرنا بهذا و زيّنه لنا. «فينبّئهم»؛ أي: يعاقبهم.(٥)

«و كذلك زيّنّا»؛ أي: كما زيّنّا لكم أعمالكم، زيّنّا لكلّ أمّة ممّن قبلكم أعمالهم من حسن

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣١٦.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣١٦.
٣ـ مجمع البيان ٤ / ٥٣٦.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣١٦.
٥ـ الكشّاف ٢ / ٥٦.

الدعاء إلى الله و ترك السبّ للأصنام و أن لا يأتوا بما ينفر الكفّار عن الإيمان. أو: زيّنّا عملهم بذكر ثوابه. «ولكنّ الله حبّب أليكم الايمان و زيّنه في قلوبكم و كرّه إليكم الكفر و الفسوق و العصيان»[١] فيكون المراد في الآية تزيين أعمال الطاعة. أو المراد: زيّنّا لكلّ أمّة عملهم بميل الطبائع إليه، ولكن قد عرّفناهم الحقّ مع ذلك ليأتوا الحقّ و يجتنبوا الباطل.[٢]

[١٠٩] «وَ أَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللهِ وَ مَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ».

«و أقسموا» ـ الآية. النزول: قالت قريش: يا محمّد، إنّ موسى كانت معه عصاً يضرب بها الحجر فتنفجر منه اثنتا عشرة عيناً، و عيسى كان يحيي الموتى، و ثمود كانت لهم ناقة. فأتنا بآية من الآيات حتّى نصدّقك. فقال: أيّ شيء تحبّون أن آتيكم به؟ قالوا: اجعل لنا الصفا ذهباً. و ابعث لنا بعض موتانا حتّى نسألهم عنك أ حقّ ما تقول أم باطل. و أرنا الملائكة يشهدون لك. و ائتنا بالله و الملائكة قبيلاً. فقال: إن فعلت بعض ما تقولون، أتصدّقوني؟ قالوا: نعم و الله. و طلب منه المسلمون ذلك أيضاً، حرصاً على الايمان. فقام يدعو أن يجعل الله الصفا ذهباً. فجاء جبرئيل عليه السلام فقال: إن شئت أصبح الصفا ذهباً، ولكن إن لم يصدّقوا، عذّبتهم. و إن شئت تركتهم حتّى يتوب تائبهم. فأنزل الله هذه الآية: «و أقسموا بالله» ـ الآية.[٣]

«و أقسموا بالله جهد أيمانهم». مصدر في موضع الحال. و الداعي لهم إلى هذا القسم و التأكيد فيه التحكّم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في طلب الآيات و استحقار ما رأوا منها. «لئن جاءهم آية» من مقترحاتهم. «عند الله». هو قادر عليها، يظهر منها ما يشاء و ليس شيء منها بقدرتي و إرادتي. «و ما يشعركم»: و ما يدريكم. استفهام إنكار. «أنّها»: أي: الآية المقترحة. «إذا جاءت لايؤمنون»: أي: لاتدرون أنّهم لايؤمنون. أنكر السبب مبالغة في نفي

١ـ الحجرات (٤٩) / ٧.
٢ـ مجمع البيان ٤ / ٥٣٧.
٣ـ مجمع البيان ٤ / ٥٤٠.

المسبّب، و فيه تنبيه على أنّه تعالى إنّما لم ينزلها لعلمه بأنّه إذا جاءت لا يؤمنون بها. و قيل: لا مزيدة. و قرأ ابن‌كثير و أبوعمرو: «إنّها» بالكسر. كأنّه قال: و ما يشعركم ما يكون منهم، ثمّ أخبرهم بما علم منهم. و الخطاب للمؤمنين. فإنّهم يتمنّون مجيء الآية طمعاً في إيمانهم، فنزلت. و قيل: للمشركين. إذ قرأ ابن‌عامر و حمزة: «لا تؤمنون» بالتاء.[١]

«جهد أيمانهم»: مجدّين مجتهدين. «آية» ممّا سألوا. «عند الله»؛ أي: هو القادر عليها. فلو علم صلاحكم في إنزالها، لأنزلها. «لا يؤمنون». ابن‌عامر و حمزة: «لا تؤمنون» بالتاء.[٢]

[١١٠] «وَ نُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَ أَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ نَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ».

«و نقلّب». عطف على لا يؤمنون. أي: و ما يشعركم أنّا حينئذ نقلّب أفئدتهم عن الحقّ فلا يفقهونه و أبصارهم فلا يبصرونه فلا يؤمنون بها «كما لم يؤمنوا به»؛ أي: بما أنزل من الآيات. «و نذرهم في طغيانهم»: و ندعهم متحيّرين لا نهديهم هداية المؤمنين.[٣]

«نقلّب»؛ أي: نطبع على قلوبهم و أبصارهم فلا يفقهون و لا يبصرون الحقّ كما كانوا عند نزول آياتنا، أو لا يؤمنون بها لكونهم مطبوعين على قلوبهم و ما يشعركم أنّا نذرهم في طغيانهم؛ أي: نخلّيهم و شأنهم و لا نكفّهم عن الطغيان حتّى يعمهوا فيه.[٤]

[١١١] «وَ لَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَ كَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَ حَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ».

«و لو أنّنا نزّلنا» كما اقترحوا فقالوا: «لو لا أنزل علينا الملائكة».[٥] «فأتوا بآبائنا».[٦] «أو تأتي بالله و الملائكة قبيلاً».[٧] و «قبلاً»: جمع قبيل بمعنى كفيل. أي: كفلاء بما بشّروا و

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣١٦.
٢ـ مجمع البيان ٤ / ٥٣٨ و ٥٤٠.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣١٦.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٥٨.
٥ـ الفرقان (٢٥) / ٢١.
٦ـ الجاثية (٤٥) / ٢٥.
٧ـ الإسراء (١٧) / ٩٢.

أنذروا به. أو جمع قبيل الذي هو جمع قبيله بمعنى: جماعات. أو مصدر بمعنى: مقابلة. و هو على الوجوه حال من كلّ. و إنّما جاز ذلك لعمومه.[١]

«كلّ شيء» يشهدون بالتوحيد و تصديق الرسول و يكفلوا لهم ما بشّرهم و أنذرهم، ما آمنوا.

«قبلاً». بكسر القاف و فتح الباء، نافع.[٢]

«قبلاً»: معاينة. «إلّا أن يشاء الله» أن يجبرهم على الايمان. و هو المرويّ عن أهل البيت عليهم السلام.[٣]

«قبلاً»؛ أي: معاينة. «أن يشاء الله» مشيّة إكراه و اضطرار. «ولكنّ أكثرهم يجهلون» فيقسمون بالله جهد أيمانهم على ما لا يشعرون من حال قلوبهم عند نزول الآيات. أو: ولكنّ أكثر المؤمنين يجهلون أنّ هؤلاء لا يؤمنون إلّا أن يضطرّهم فيطمعون في إيمانهم إذا جاءت الآية المقترحة.[٤]

[١١٢] «وَ كَذٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَ الْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَ لَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَ مَا يَفْتَرُونَ».

«و كذلك جعلنا لكلّ نبيّ عدوّاً»: كما خلّينا بينك و بين أعدائك، كذلك فعلنا بمن قبلك من الأنبياء و أعدائهم لم نمنعهم من العداوة لما فيها من الامتحان الذي هو سبب ظهور الثبات و الصبر و كثرة الثواب و الأجر. و انتصب شياطين على البدل من عدوّاً، أو على أنّهما مفعولان. كقوله: «و جعلوا لله شركاء الجنّ».[٥] «يوحي بعضهم»: يوسوس شياطين الجنّ إلى شياطين الإنس و كذلك بعض الجنّ إلى بعض و بعض الإنس إلى بعض. «و لو شاء ربّك» بأن يكفّهم و لا يخلّيهم و شأنهم.[٦]

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣١٧.
٢ـ تفسير النيسابوريّ ٨ / ٢.
٣ـ مجمع البيان ٤ / ٥٤١ و ٥٤٢.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٥٨ ـ ٥٩.
٥ـ الأنعام (٦) / ١٠٠.
٦ـ الكشّاف ٢ / ٥٩.

«و كذلك»؛ أي: كما أمرناك بعداوة قومك من المشركين، فقد أمرنا قبلك الأنبياء عليهم السلام بمعاداة أعدائهم من الجنّ و الإنس. و متى أمر الله رسوله بمعاداة قوم، فقد جعلهم أعداء له. «شياطين». عن ابن‌عبّاس: انّ ابليس جعل جنده فريقين؛ بعث فريقاً منهم إلى الجنّ، و فريقاً إلى الإنس. و الكلّ أعداء الرسول و المؤمنين. فتلتقي شياطين الإنس و شياطين الجنّ فيقول بعضهم لبعض: أضللت صاحبي بكذا، فأضلّ صاحبك بكذا. و ذلك وحي بعضهم إلى بعض. و عن أبي جعفر عليه السلام: انّ الشياطين تلتقي فيتعلّم بعضها من بعض ما يغوي به الخلق.(١)

«عدوّاً». عن الباقر عليه السلام: هم أعداء آل محمّد عليهم السلام.(٢)

«شياطين»؛ أي: مردة الفريقين. «زخرف القول»؛ الأباطيل المموّهة. من زخرفه، إذا زيّنه. «غروراً». مفعول له. أو مصدر في موضع الحال. «ما فعلوه»؛ أي معاداة الأنبياء عليهم السلام و إيحاء الزخارف.(٣)

[١١٣] «وَ لِتَصْغىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَ لِيَرْضَوْهُ وَ لِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ».

«و لتصغى». جوابه محذوف. تقديره: و ليكون ذلك، جعلنا لكلّ نبيّ عدوّاً، على أنّ اللّام لام الصيرورة و تحقيقها ما ذكر. و الضمير في إليه يرجع إلى ما رجع إليه الضمير في فعلوه. أي: و لتميل إلى ما ذكر من عداوة الأنبياء و وسوسة الشياطين أفئدة الكفّار «و ليرضوه» لأنفسهم «و ليقترفوا ما هم مقترفون» من الآثام.(٤)

«و لتصغى». عطف على غروراً إن جعل علّة. أو متعلّق بمحذوف. أي: و ليكون ذلك، جعلنا لكلّ نبيّ عدوّاً. و المعتزلة لمّا اضطرّوا فيه، قالوا: اللّام للعاقبة، أو لام القسم كسرت لمّا لم يؤكّد الفعل بالنون، أو لام الأمر. «و ليرضوه» لأنفسهم. «و ليقترفوا»؛ أي: يكتسبوا «ما

١ـ مجمع البيان ٤ / ٥٤٤ ـ ٥٤٥.
٢ـ الاحتجاج ١ / ٧٩.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣١٧.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٥٩.

هم مقترفون» من الآثام.[١]

«و لتصغى». قال أبوالفتح: هذه اللّام [هي] الجارّة أعني لام كي. و هي معطوفة على غروراً. أي: للغرور و لأن تصغى إليه [افئدة] الذين لايؤمنون.[٢]

[١١٤] «أَفَغَيْرَ اللهِ أَبْتَغِي حَكَماً وَ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً وَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ».

«أ فغير الله أبتغي حكماً». على إرادة القول. أي: قل يا محمّد: أفغير الله أطلب حاكماً يحكم بيني و بينكم و يفصل الحقّ من المبطل؟ «و هو الذي أنزل إليكم الكتاب» المعجز «مفصّلاً»: مبيّناً فيه الفصل بين الحقّ و الباطل و الشهادة لي بالصدق و عليكم بالافتراء. ثمّ عضد الدلالة على أنّ القرآن حقّ بعلم أهل الكتاب أنّه حقّ لتصديقه ما عندهم و موافقته له. «فلاتكوننّ من الممترين». من باب التهييج و الإلهاب؛ كقوله : «فلاتكوننّ من المشركين».[٣] أو: فلاتكوننّ من الممترين في أنّ أهل الكتاب يعلمون أنّه منزل من ربّك بالحقّ و لايريبك جحودهم و كفرهم به. و يجوز أن يكون «فلاتكوننّ» خطاباً لكلّ أحد، على معنى أنّه إذا تعاضدت الأدلّة على صحّته و صدقه، فماينبغي أن يمتري فيه أحد. و قيل: الخطاب لرسول الله ﷺ خطاباً لأمّته.[٤]

[١١٥] «وَ تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَ عَدْلاً لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ».

«كلمة ربّك». عن أبي عبدالله عليه السلام : انّ الإمام يسمع في بطن أمّه. فإذا ولد خطّ بين كتفيه: «و تمّت كلمة ربّك صدقاً و عدلاً لا مبدّل لكلماته».[٥]

و عن محمّد بن مروان قال: تلا أبوعبدالله عليه السلام : «و تمّت كلمة ربّك الحسنى صدقاً و

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣١٧.
٢ـ مجمع البيان ٤ / ٥٤٣.
٣ـ الأنعام (٦) / ١٤.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٦٠.
٥ـ الكافي ١ / ٣٨٧.

عدلاً». فقلت: جعلت فداك؛ إنّا نقرؤها: «و تمّت كلمة ربّك صدقاً و عدلاً». فقال: إنّ فيها الحسنى. كذا في الكافي.[١]

و الأخبار الواردة بأنّ كلمات الله هم الأئمّة عليهم السلام مستفيضة. و وجه المناسبة ظاهر.

«و تمّت كلمة». قرأ الكوفيّون و يعقوب: «كلمة»، و الباقون: «كلمات».[٢]

«صدقاً و عدلاً». نصب على التميز. و قيل: إنّهما مصدران انتصبا على الحال من الكلمة. أي: صادقة و عادلة. بيّن سبحانه صفة الكتاب المنزل فقال: و تمّ القرآن على وجه لايمكن الزيادة فيه و لا النقصان. و قيل: نزل شيئاً بعد شيء حتّى كمل على ما تقتضيه الحكمة. و قيل: المراد بالكلمة دين الله. و قيل: حجّة الله على الخلق. «صدقاً و عدلاً»: ما كان في القرآن من الأخبار، فهو صدق. و ما كان فيه من الأحكام، فهو عدل. «لا مبدّل لكلمات ربّك»؛ أي: لأحكامه. و قيل: معناه انّ القرآن محروس عن الزيادة و النقصان. قال الله تعالى: «و إنّا له لحافظون»[٣].[٤]

[١١٦] «وَ إِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ».

«و إن تطع» يا محمّد. و المراد أمّته. «أكثر من في الأرض». يعني الكفّار و أهل الضلال. و ذكر الأكثر لأنّه علم أنّ الأقلّ منهم يؤمن و يدعو إلى الحقّ. «عن سبيل الله»؛ أي: عن دينه. «إلّا الظنّ»؛ أي: مايتّبع هؤلاء الكفّار إلّا الظنّ و الخرص؛ أي: الكذب و التخمين. قال ابن‌عبّاس: كانوا يدعون النبيّ صلى الله عليه و آله و المؤمنين إلى أكل الميتة يقولون: أتأكلون ما قتلتم و لاتأكلون ما قتل ربّكم؟ فهذا ضلالهم.[٥]

«في الأرض». قيل: المراد أرض مكّة. «إلّا الظنّ». و هو ظنّهم أنّ آباءهم كانوا على

١ـ الكافي ٨ / ٢٠٥ ـ ٢٠٦، ح ٢٤٩.

٢ـ مجمع البيان ٤ / ٥٤٧، و تفسير البيضاويّ ١ / ٣١٨.

٣ـ الحجر (١٥) / ٩.

٤ـ مجمع البيان ٤ / ٥٤٧.

٥ـ مجمع البيان ٤ / ٥٤٩ ـ ٥٥٠.

الحقّ، أو جهالاتهم و آراؤهم الفاسدة. فإنّ الظنّ يطلق على ما يقابل العلم.[١]

[١١٧] «إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ».

«من يضلّ عن سبيله»؛ أي: من يسلك طريق الضلال ومن يسلك طريق الهدى. «من يضلّ» نصب على حذف الباء ليقابل «بالمهتدين». أو موضعه رفع بالابتداء و لفظها لفظ الاستفهام. أي: هو أعلم أيّ الناس يضلّ عن سبيله. أو موضعها نصب بفعل مضمر يدلّ عليه أعلم. أي: يعلم من يضلّ. و أفعل لايتعدّى هنا. لأنّها غير جارية على الفعل و لا معدولة عن الجارية على الفعل.[٢]

[١١٨] «فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ».

«فكلوا ممّا ذكر». عطف على ما تقدّم. لأنّه لمّا ذكر المهتدين كأنّه قيل: و من الهداية أن تحلّوا ما أحلّ الله و تحرّموا ما حرّم الله، فكلوا ـ الآية. و قيل: إنّ المشركين لمّا دعوا المسلمين إلى أكل الميتة، كأنّه سبحانه قال لهم: أعرضوا عن جهلهم و كلوا ممّا ذكر اسم الله عليه دون الميتة و ما لم يذكر اسم الله عليه و كذا ما ذكر عليه اسم الصنم.[٣]

[١١٩] «وَ مَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ وَ قَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَ إِنَّ كَثِيراً لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ».

«و ما لكم»؛ أي: أيّ شيء لكم؟ أو: ما يمنعكم؟ «فصّل لكم». أهل الكوفة غير حفص: «فصّل لكم» بالفتح «ما حرّم» بالضمّ. و أهل المدينة و حفص: «فصّل لكم ما حرّم» كليهما بالفتح. و الباقون بالضمّ فيهما. «ليضلّون». ابن كثير و أبوعمرو بفتح الياء، و أهل الكوفة

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣١٨.

٢ـ مجمع البيان ٤ / ٥٤٨ ـ ٥٥٠.

٣ـ مجمع البيان ٤ / ٥٥١.

بضمّها. «و قد فصّل»؛ أي: بيّن لكم المحرّمات. «اضطررتم إليه» من المحرّمات ممّا يمسك بـه الرمق. «بأهوائهم»: بمتابعة أهوائهم.[١]

«بغير علم»؛ أي: بتشهّيهم من غير تعلّق بدليل يفيد العلم. «بالمعتدين»: المتجاوزين الحقّ إلى الباطل و الحلال إلى الحرام.[٢]

[١٢٠] «وَ ذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَ بَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَـانُوا يَقْتَرِفُونَ».

«و ذروا». قيل: إنّ أهل الجاهليّة كانت ترى أنّ الزنى إذا ظهر، كان فيه إثم، و إذا استسرّ به صاحبه، لم يكن إثماً. فنزلت.[٣]

«و ذروا ظاهر الإثم و باطنه»: ما عملتم و ما نويتم.[٤]

«ظاهر الإثم و باطنه»: ما يعلن و ما يسرّ. أو: ما بالجوارح و ما بالقلب. و قيل: الزنى في الحوانيت و اتّخاذ الأخدان.[٥]

[١٢١] «وَ لَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ وَ إِنَّهُ لَفِسْقٌ وَ إِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَ إِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ».

تأكيد لما تقدّم. «و أنّه لفسق». يعني أكل ما لم يذكر اسم الله عليه. و فيه دليل على تحريم ذبائح أهل الكتاب. لأنّهم لا يعرفون الله ـ كما مرّ ـ فلا يصحّ منهم القصد. فأمّا ذبيحة المسلم إذا لم يسمّ الله عليها، فقيل: لا تحلّ و إن كان الترك نسياناً. عن مالك و جماعة منهم. و قيل: يحلّ أكلها و إن كان الترك عمداً. عن الشافعيّ. و قيل: يحلّ إذا كان الترك نسياناً لا عمداً؛ كما ذهب إليه أبوحنيفة. و هو المرويّ عن أئمّتنا عليهم السلام. «و إنّ الشياطين»؛ يعني: علماء

١ـ مجمع البيان ٤ / ٥٥٠ و ٥٥٢.

٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣١٩.

٣ـ مجمع البيان ٤ / ٥٥٢ ـ ٥٥٣.

٤ـ الكشّاف ٢ / ٦١.

٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣١٩.

الكافرين و رؤساءهم المتمرّدين «ليوحون»؛ أي: يأمرون من تابعهم من الكفّار «ليجادلوكم» في استحلال الميتة بأن يقولوا :كيف تأكلون ما تقتلونه أنتم و لاتأكلون ما يقتل الله؟ و قتيل الله أولى بالأكل من قتيلكم. و قيل: إنّ قوماً من مجوس فارس كتبوا إلى مشركي قريش ـ و كانوا أولياءهم في الجاهليّة ـ أنّ محمّداً و أصحابه يزعمون أنّهم يتّبعون أمر الله ثمّ يزعمون أنّ ما ذبحوه حلال و ما قتله الله حرام، فوقع ذلك في نفوسهم. فذلك إيحاؤهم إليهم. و قال ابن‌عبّاس: معناه: و إنّ الشياطين من الجنّ ـ و هم إبليس و جنوده ـ ليوحون إلىٰ أوليائهم من الإنس. و الوحي إلقاء المعنى إلى النفوس من وجه خفيّ. و هم يلقون الوسوسة إلى قلوب أهل الشرك. «و إن أطعتموهم» في تحليل الميتة و غيره، «إنّكم» مشركون مثلهم. لأنّ من استحلّ الميتة، فهو كافر بالإجماع، و من أكلها محرّماً لها مختاراً، فهو فاسق. و هو قول جماعة من المفسّرين. و قيل: إنّه مختصّ بذبائح العرب التي كانت تذبحها للأوثان.[1]

[١٢٢] «أَ وَ مَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَ جَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ».

«أ و من كان ميتاً». أهل المدينة بالتشديد. و الباقون بالتخفيف. قيل: إنّها نزلت في حمزة بن عبدالمطّلب و أبي جهل بن هشام. و ذلك أنّ أباجهل آذى رسول الله ﷺ فأخبر بذلك حمزة ـ و هو على دين قومه ـ فغضب و جاء و معه قوس، فضرب بها رأس أبي جهل و آمن. ذكر سبحانه مثل الفريقين و هو قوله: «أحييناه»؛ أي: هديناه إلى الإيمان. شبّه الكفر بالموت و الإيمان بالحياة. و المراد بالنور العلم و الحكمة. [سمّى سبحانه ذلك نوراً] و الجهل ظلمة، لأنّ العلم يهتدى به إلى الرشاد كما يهتدى بالنور في الطرقات. و قيل: المراد بالنور القرآن. «كمن مثله في الظلمات». يعني به الكافر الذي هو في ظلمة الكفر. و سمّى الكافر ميتاً،

١ـ مجمع البيان ٤ / ٥٥٣ ـ ٥٥٤.

لعدم الانتفاع بحياته. و سمّى المؤمن حيّاً للانتفاع به. «كذلك زيّن للكافرين». يعني أنّه زيّن لهؤلاء الكفر فعملوه مثل ما زيّن لأولئك الإيمان فعملوه، فوجه الشبه هو التزيين.(١)

«مثله»؛ أي: صفته.(٢)

«أ و من كان». قال بعض العلماء: « «أ و من كان ميتاً» إشارة إلى أوّل مراتب النفس الإنسانيّة و هي الاستعداد المحض المسمّاة بالعقل الهيولانيّ عند الحكيم. و قوله: «فأحييناه» إشارة إلى ثانية مراتبها المسمّاة بالعقل بالملكة؛ و هي أن يحصل لها العلوم الكلّيّة الأوّليّة. و قوله: «و جعلنا له نوراً» إشارة إلى ثالثة المراتب؛ و هي التي قد حصلت لها المعقولات المكتسبة ولكنّها لاتكون حاضرة بالفعل بل تكون بحيث متى أراد استحضارها قدر عليها و يسمّى عقلاً بالفعل أي الفعل القريب. و قوله: «يمشي به في الناس» إشارة إلى المرتبة الرابعة المسمّاة بالعقل المستفاد؛ و هو حضور المعارف بالفعل.(٣)

«نوراً يمشي به في الناس». عن أبي جعفر عليه السلام: إماماً يؤتمّ به. «كمن مثله في الظلمات». قال: الذي لايعرف الإمام.(٤)

[١٢٣] «وَ كَذٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَ مَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَ مَا يَشْعُرُونَ».

«و كذلك جعلنا»؛ أي: كما جعلنا في مكّة أكابر مجرميها ليمكروا فيها، جعلنا في كلّ ـ الآية.(٥)

«أكابر مجرميها» ـ الآية ـ أي: جعلنا ذا المكر من المجرمين كما جعلنا ذا النور من المؤمنين؛ إلّا أنّ أولئك اهتدوا بحسن اختيارهم و هؤلاء ضلّوا بسوء اختيارهم. لأنّ في كلّ واحد منهما الجعل بمعنى الصيرورة؛ إلّا أنّ الأوّل باللّطف و الثاني بالتمكين من المكر. و اللّام في

١ـ مجمع البيان ٤ / ٥٥٤ ـ ٥٥٦.

٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣١٩.

٣ـ تفسير النيسابوريّ ٨ / ١٤.

٤ـ الكافي ١ / ١٨٥، ح ١٣.

٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣١٩.

«ليمكروا» للعاقبة. «إلّا بأنفسهم». لأنّ عقابه يحلّ بهم.[١]

«جعلنا»؛ أي: خلّيناهم و ما كففناهم.[٢]

[١٢٤] «وَ إِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللهِ اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللهِ وَ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ».

«و إذا جاءتهم آية» ـ الآية. نزلت في الوليد بن المغيرة. قال: و الله لو كانت النبوّة حقّاً، لكنت أولى بها منك. لأنّي أكبر منك سنّاً و أكثر منك مالاً. و قيل: نزلت في أبي جهل. قال: زاحمنا بني عبد مناف في الشرف حتّى إذا صرنا كفرسي رهان قالوا: منّا نبيّ يوحى إليه. و إنّا لانؤمن به و لانتّبعه أبداً إلّا أن يأتينا وحي كما يأتيه. حكى سبحانه عن الأكابر الذين تقدّم ذكرهم اقتراحاتهم الباطلة فقال: و إذا جاءتهم آية؛ أي: معجزة دالّة على صدق النبيّ ﷺ قالوا: لن نصدّق بها حتّى نعطى معجزة مثل ما أوتي رسل الله، حسداً منهم للنبيّ ﷺ.[٣]

«الله أعلم» ـ الآية. استئناف للإنكار عليهم و أنّ الله لايصطفي للنبوّة إلّا من علم أنّه يصلح لها و هو أعلم بالمكان الذي يضعها فيه. «الذين أجرموا» من أكابرها. «صغار» و قماءة بعد كبرهم و عظمهم. «و عذاب شديد» في الدارين من الأسر و القتل و عذاب النار.[٤]

«الله أعلم». يعني أنّ النبوّة ليست بالنسب و المال و إنّما هي بفضائل نفسانيّة يخصّ الله بها من يشاء. و قرأ ابن‌كثير و حفص عن عاصم: «رسالته»، و الباقون: «رسالاته». «صغار»؛ أي: ذلّ و حقارة. «عند الله»؛ أي: في يوم القيامة. و قيل: تقديره من عند الله.[٥]

١ـ مجمع البيان ٤ / ٥٥٦. ٢ـ الكشّاف ٢ / ٦٣.

٣ـ مجمع البيان ٤ / ٥٥٩. ٤ـ الكشّاف ٢ / ٦٣.

٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٢٠.

[١٢٥] «فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَ مَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذٰلِكَ يَجْعَلُ اللهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ».

«فمن يرد الله». عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ الله إذا أراد بعبد خيراً، نكت في قلبه نكتة من نور فأضاء لها سمعه و قلبه حتّى يكون أحرص على ما في أيديكم منكم. و إذا أراد بعبد سوءاً، نكت في قلبه نكتة سوداء و أظلم لها سمعه و قلبه. ثمّ تلا هذه الآية: «فمن يرد الله» ـ الآية.[١]

عن الرضا عليه السلام: من يرد أن يهديه بإيمانه في الدنيا إلى جنّته و دار كرامته في الآخرة، يشرح صدره للتسليم و الثقة به و السكون إلى ما وعده من ثوابه حتّى يطمئنّ إليه. و من يرد أن يضلّه عن جنّته و دار كرامته في الآخرة لكفره و عصيانه له في الدنيا، يجعل صدره ضيّقاً حرجاً يشكّ في كفره و يضطرب في اعتقاده حتّى يصير كأنّما يصّعّد في السماء.[٢]

«يشرح صدره». كناية عن جعل النفس قابلة للحقّ مهيّأة لحلوله فيها. و أشار إليه صلى الله عليه و آله حين سئل عنه فقال: نور يقذفه الله في قلب المؤمن فينشرح له و ينفسح. فقالوا: هل لذلك أمارة يعرف بها؟ فقال: نعم؛ الإنابة إلى دار الخلود، و التجافي عن دار الغرور، و الاستعداد للموت قبل نزوله. ابن‌كثير: «ضيقاً» بالتخفيف. نافع و أبوبكر عن عاصم: «حرجاً» بالكسر؛ أي: شديد الضيق. و الباقون بالفتح، وصفاً بالمصدر. «يصّعّد». أبوبكر عن عاصم: «يصّاعد» بمعنى يتصاعد.[٣]

«ضيّقاً حرجاً». عن أبي عبدالله عليه السلام: قد يكون ضيّقاً و له منفذ يسمع منه و يبصر. و الحرج هو الملتئم الذي لا منفذ له يسمع به و يبصر.[٤]

«أن يهديه»؛ أي: يلطف به. و لا يريد أن يلطف إلّا بمن له لطف. «يشرح صدره»: يلطف

١ـ الكافي ٢ / ٢١٤، ح ٦.
٢ـ عيون الأخبار ١ / ١٣١، ح ٢٧.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٢٠.
٤ـ معاني الأخبار / ١٤٥، ح ١.

به حتّى يرغب في الإسلام و تسكن إليه نفسه و يحبّ الدخول فيه. «و من يرد أن يضلّه»: يخذله و يخلّيه و شأنه. و هو الذي لا لطف له. «ضيّقاً حرجاً»: يجعله ممنوع الألطاف حتّى يقسو قلبه و ينبو عن قبول الحقّ و ينسدّ فلايدخله الإيمان. «يصّعّد في السماء»: كأنّما يزاول أمراً غير ممكن. لأنّ صعود السماء مثل فيما يمتنع و يبعد من الاستطاعة. «الرجس». يعني الخذلان و منع التوفيق. وصفه بنقيض ما يوصف به التوفيق من الطيّب، أو أراد الفعل المؤدّي إلى الرجس و هو العذاب؛ من الارتجاس و هو الاضطراب.[١]

«كذلك»؛ أي: كما يضيق صدره و يبعد قلبه عن الحقّ. «الرجس»؛ أي: العذاب و الخذلان. وضع الظاهر موضع المضمر للتعليل.[٢]

[١٢٦] «وَ هٰذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيماً قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ».

«و هذا». إشارة إلى البيان الذي جاء به القرآن أو الإسلام و إلى ما سبق من التوفيق و الخذلان. «يذّكّرون» فيعلمون أنّ القادر هو الله.[٣]

«صراط ربّك»؛ أي: طريقته التي اقتضته الحكمة و عادته في التوفيق و الخذلان. «مستقيماً»: عادلا مطّرداً. و انتصابه على أنّه حال مؤكّدة.[٤]

[١٢٧] «لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ هُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ».

«لهم»؛ أي: لقوم يذّكّرون. «دار السلام»: دار الله. يعني الجنّة. أضافها إلى نفسه تعظيماً لها. أو: دار السلامة من كلّ آفة و كدر. «عند ربّهم»: في ضمانه. أو ذخيرة لهم لا يعلمون كنهها. «و هو وليّهم»: محبّهم و ناصرهم على أعدائهم. «بما كانوا يعملون»: بسبب أعمالهم. أو: متولّيهم بجزاء ما كانوا يعملون.[٥]

١ـ الكشّاف ٢ / ٦٤.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٢٠.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٢٠.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٦٤.
٥ـ الكشّاف ٢ / ٦٤.

[۱۲۸] «وَ يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَ قَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَ بَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ».

«يحشرهم». حفص عن عاصم بالياء. و الباقون بالنون.[١]

«و يوم نحشرهم». منصوب بمحذوف. أي: اذكر يوم نحشرهم. [أو: و يوم نحشرهم] قلنا: يا معشر الجنّ. أو: و يوم نحشرهم و قلنا: يا معشر الجنّ، كان ما لا يوصف لفظاعته. و الضمير لمن يحشر من الثقلين و غيرهم. و الجنّ هم الشياطين. «قد استكثرتم من الإنس»: أضللتم منهم كثيراً و جعلتموهم أتباعكم فحشر معكم منهم الجمّ الغفير. كما تقول: استكثر الأمير من الجنود. «و قال أولياؤهم من الإنس» الذين أطاعوهم و استمعوا إلى وسوستهم. «استمتع بعضنا ببعض»؛ أي: انتفع الإنس بالشياطين حيث دلّوهم على الشهوات و على أسباب التوصّل إليها، و انتفع الجنّ بالإنس حيث أطاعوهم و ساعدوهم على مرادهم و شهوتهم في إغوائهم. و قيل: استماع الإنس بالجنّ ما في قوله: «و أنّه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجنّ».[٢] و إنّ الرجل كان إذا نزل وادياً و خاف قال: أعوذ بربّ هذا الوادي. يعني به كبير الجنّ. و استمتاع الجنّ بالإنس اعتراف الإنس لهم بأنّهم يقدرون على الدفع عنهم و إجارتهم لهم. «و بلغنا أجلنا». يعنون يوم البعث. و هذا الكلام اعتراف منهم بما كان من طاعتهم للشياطين و اتّباع الهوى و التكذيب بالبعث و استسلام لربّهم و تحسّر على حالهم. «إلّا ما شاء الله»؛ أي: في الأوقات التي ينقلون فيها من عذاب النار إلى عذاب الزمهرير. فقد روي أنّهم يدخلون وادياً فيه من الزمهرير ما يميز بعض أوصالهم عن بعض فيتعاوون و يطلبون الردّ إلى الجحيم. أو يكون من قبيل قول الموتور لواتره الذي ظفر به: أهلكني الله إن نفّست عنك إلّا إذا شئت. و قد علم أنّه لا يشاء إلّا التشفّي منه بأقصى ما يقدر عليه من التشديد، فيكون الاستثناء من أشدّ الوعيد مع تهكّم بالموعد لخروجه في صورة

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٢١.
٢ـ الجنّ (٧٢) / ٦.

الاستثناء الذي فيه إطماع. «حكيم عليم» بأنّ الكفّار يستوجبون عذاب الأبد.[١]

«إلّا ما شاء الله». في معنى هذا الاستثناء أقوال: أحدها ما روي عن ابن عبّاس أنّه قال: كان وعيد الكفّار مبهماً غير مقطوع به، ثمّ قطع به في قوله تعالى: «إنّ الله لا يغفر أن يشرك به».[٢] و ثانيها أنّ الاستثناء باعتبار ما قبل دخول النار و هو عرصات القيامة و القبر. و ثالثها أنّ الاستثناء لغير الكفّار من عصاة المسلمين الذين في مشيّة الله إن شاء عذّبهم عدلاً و إن شاء عفا عنهم فضلاً. و رابعها أنّ معناه: إلّا ما شاء الله ممّن آمن منهم.[٣]

[١٢٩] «وَ كَذٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ».

«نولّي»؛ أي: نخلّيهم حتّى يتولّى بعضهم بعضاً كما فعل الشياطين و غواة الإنس.[٤]

«نولّي»: نكل بعضهم إلى بعض. أو: نجعل بعضهم يتولّى بعضاً فيغويهم[٥] أولياء بعض و قرناءهم في العذاب كما كانوا في الدنيا. «يكسبون» من الكفر و المعاصي.[٦]

[١٣٠] «يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ أَ لَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَ يُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هٰذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلىٰ أَنْفُسِنَا وَ غَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَ شَهِدُوا عَلىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ».

«رسل منكم». الرسل من الإنس خاصّة، ولكن لمّا جمعوا مع الجنّ في الخطاب، صحّ ذلك. كقوله: «يخرج منهما اللؤلؤ و المرجان»[٧] و المرجان يخرج من المالح دون العذب. و تعلّق بظاهره قوم و قالوا: بعث إلى كلّ من الثقلين رسل من جنسهم. و قيل: الرسل من الجنّ رسل الرسل. لقوله: «ولّوا إلى قومهم منذرين».[٨] «يومكم هذا»: يوم القيامة. «قالوا»: في

١ـ الكشّاف ٢ / ٦٤ ـ ٦٦.
٢ـ النساء (٤) / ٤٨.
٣ـ مجمع البيان ٤ / ٥٦٤ ـ ٥٦٥.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٦٦.
٥ـ كذا في المصدر. و الظاهر زيادة «يتولّى بعضاً فيغويهم» كما يظهر من عبارة الكشّاف.
٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٢١.
٧ـ الرحمن (٥٥) / ٢٢.
٨ـ الأحقاف (٤٦) / ٢٩.

الجواب قالوا: «شهدنا». ذمّ لهم على سوء نظرهم. فإنّهم اغترّوا بالحياة الدنيا و أعرضوا عن الآخرة حتّى كان عاقبة أمرهم أن اضطرّوا إلى الشهادة على أنفسهم بالكفر و الاستسلام للعذاب المخلّد تحذيراً للسامعين من مثل حالهم. «أنفسنا» بالجرم و العصيان. و هو اعتراف منهم بالكفر و استيجاب العذاب.(١)

«ألم يأتكم». فيما جاء عن الرضا عليه السلام من خبر الشاميّ و ما سأل عنه أميرالمؤمنين في جامع الكوفة حديث طويل وفيه: و سأله: هل بعث الله نبيّاً إلى الجنّ؟ فقال: نعم، بعث إليهم نبيّاً يقال له يوسف، فدعاهم إلى الله، فقتلوه.(٢)

«شهدوا على أنفسهم». فإن قلت: ما لهم مقرّين في هذه الآية جاحدين في قوله: «و الله ربّنا ما كنّا مشركين»(٣)؟ قلت: يتفاوت الأحوال و المواطن في ذلك اليوم المتطاول فيقرّون في بعضها و يجحدون في البعض. أو أريد شهادة أيديهم و أرجلهم و جلودهم حين يختم على أفواههم. و إنّما كرّر شهادتهم على أنفسهم لأنّ الأولى حكاية لقولهم كيف يقولون و الثانية ذمّ لهم و وصف لقلّة نظرهم لأنفسهم.(٤)

[١٣١] «ذٰلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرىٰ بِظُلْمٍ وَ أَهْلُهَا غَافِلُونَ».

«ذلك». إشارة إلى إرسال الرسل. و هو خبر مبتدأ محذوف. أي: الأمر ذلك. «أن لم يكن». تعليل للحكم. و أن مصدريّة أو مخفّفة من المثقّلة. أي: الأمر ذلك لانتفاء كون ربّك ـ أو لأنّ الشأن لم يكن ربّك ـ مهلك القرى بسبب ظلم فعلوه، أو ملتبسين بظلم، أو ظالماً، و هم غافلون لم يتنبّهوا برسول. أو بدل من ذلك.(٥)

[١٣٢] «وَ لِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَ مَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ».

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٢١.
٢ـ عيون الأخبار ١ / ٢٤٢.
٣ـ الأنعام (٦) / ٢٣.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٦٦.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٢١.

«و لكلّ» من المكلّفين «درجات»: مراتب «ممّا عملوا»: من أعمالهم، أو من أجلها. «عمّا يعملون» فيخفى عليه عمل أو قدر ما يستحقّ من عذاب أو عقاب. و قرأ ابن‌عامر بالتاء على تغليب الخطاب على الغيبة.(١)

[١٣٣] «وَ رَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَ يَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ».

«الغنيّ» عن العباد و العبادة. «ذوالرحمة» يترحّم عليهم بالتكليف تكميلاً لهم و يمهلهم على المعاصي. «يذهبكم»؛ أي: ما به إليكم حاجة [إن يشأ] يذهبكم أيّها العصاة. «ما يشاء» من الخلق. «أنشأكم من ذرّيّة قوم»؛ أي قرناً بعد قرن، لكنّه أبقاكم ترحّماً عليكم.(٢)

«أنشأكم من ذرّيّة»: من أولاد «قوم آخرين» لم يكونوا على صفتكم. و هم أهل سفينة نوح عليه السلام.(٣)

[١٣٤] «إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَ مَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ».

«إنّ ما توعدون» من البعث و أحواله «لآت»: لكائن لا محالة. «بمعجزين» طالبكم بالبعث.(٤)

[١٣٥] «قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ».

«على مكانتكم»: على غاية تمكّنكم و استطاعتكم. يقال: مكن مكانة، إذا تمكّن بأبلغ التمكّن. فيكون مصدراً. أو: على ناحيتكم و جهتكم التي أنتم عليها. من قولهم: مكان و مكانة. فيكون بمعنى المكان. و هو أمر تهديد. أي: اثبتوا على كفركم و عداوتكم. «إنّي

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٢١ ـ ٣٢٢.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٢٢.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٦٧.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٢٢.

عامل» ما كنت عليه من المصابرة و الثبات على الإسلام. «من تكون له عاقبة الدار». إن جعل من استفهاميّة، بمعنى: أيّنا تكون له العاقبة الحسنى التي خلق الله لها هذه الدار، فمحلّها الرفع و فعل العلم معلّق عنه. و إن جعلت خبريّة، فالنصب بتعلمون. أي: فسوف تعرفون الذي يكون له العاقبة. و فيه مع الإنذار إنصاف في المقال.[١] و هو أنّه لم يصرّح بسوء عاقبتهم، بل سوّى نفسه معهم في عدم العلم بالحال.

«مكانتكم». أبوبكر عن عاصم: «مكاناتكم» على الجمع. «تكون». حمزة و الكسائيّ بالياء.[٢]

«تكون». حجّة من قرأ بالياء لأنّ تأنيث العاقبة غير حقيقيّ.[٣]

[١٣٦] «وَ جَعَلُوا لِلّٰهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَ الْأَنْعَامِ نَصِيباً فَقَالُوا هٰذَا لِلّٰهِ بِزَعْمِهِمْ وَ هٰذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللهِ وَ مَا كَانَ لِلّٰهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلىٰ شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ».

«و جعلوا». أي مشركوا العرب.[٤]

«و جعلوا لله». يعني كفّار مكّة و من تقدّمهم من المشركين. و الجعل هنا بمعنى الوصف و الحكم. «من الحرث»؛ أي: ممّا خلق من الزرع «و الأنعام نصيباً»؛ أي: حظّاً. و هنا حذف يدلّ الكلام عليه؛ و هو: و جعلوا للأوثان منه نصيباً. لأنّهم جعلوا لها نصيباً «فقالوا هذا لله بزعمهم و هذا لشركائنا». يعني الأوثان. و إنّما جعلوا الأوثان شركاء لأنّهم جعلوا لها نصيباً من أموالهم ينفقونه عليها فشاركوها في نعمهم. «فما كان لشركائهم فلايصل إلى الله». لأنّهم كانوا يزرعون لله زرعاً و للأصنام زرعاً، فكان إذا زكا الزرع الذي زرعوه لله و لم يزك الزرع الذي زرعوه للأصنام، جعلوا بعضه للأصنام و صرفوه إليها و يقولون: إنّ الله غنيّ و الأصنام أحوج. و إن زكا الذرع الذي جعلوه للأصنام و لم يزك الذي جعلوه لله، لم يجعلوا منه شيئاً لله

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٢٢.
٢ـ مجمع البيان ٤ / ٥٦٨.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٢٢.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٢٢.

و قالوا: هو غنيّ. وكانوا يقسمون النعم فيجعلون بعضه لله و بعضه للأصنام. فما كان لله أطعموه، و ما كان للأصنام أنفقوه على الصنم. و كانوا إذا انخرق الماء من الذي لله في الذي للأصنام، لم يسدّوه، و إذا انخرق الماء من الذي للأصنام في الذي لله، سدّوه و قالوا: [الله] أغنى. و هو المرويّ عن أئمّتنا عليهم السلام. و قيل: إنّه كان إذا هلك ما جعل للأصنام، بدّلوه بما جعل لله، و إذا هلك ما جعل لله، لم يبدّلوه بما جعل للأصنام. «بزعمهم». الكسائيّ بضمّ الزاء. «ساء»: ساء الحكم حكمهم.(١)

«فلايصل إلى الله»؛ أي: لايصل إلى الوجوه التي كانوا يصرفونه إليها من صرف الضيفان و التصدّق على المساكين. «يصل إلى شركائهم» من إنفاق عليها بذبح النسائك عندها و الإجراء على سدنتها و نحو ذلك.(٢)

[١٣٧] «وَ كَذٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَ لِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَ لَوْ شَاءَ اللهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَ مَا يَفْتَرُونَ».

«و كذلك»؛ أي: مثل ذلك التزيين في قسمة القربات. «قتل أولادهم» بالوأد و نحرهم لآلهتهم «شركاؤهم» من الجنّة، أو من السدنة. و هو فاعل زيّن. و قرأ ابن‌عامر: «زيّن» على البناء للمفعول الذي هو القتل و نصب الأولاد و جرّ الشركاء بإضافة القتل مفصولاً بينهما بمفعوله، و هو ضعيف في العربيّة معدود من ضروريّات الشعر. كقوله: «فزججتها بمزجّة زجّ القلوص أبي مزادة». «ليردوهم»: ليهلكوهم بالإغواء. «و ليلبسوا»: ليخلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين إسماعيل أو ما وجب عليهم أن يتديّنوا به. و اللّام للتعليل، إن كان التزيين من الشياطين، و للعاقبة، إن كان من السدنة.(٣)

«من المشركين»؛ أي: مشركي العرب. «شركاؤهم» يعني الشياطين الذين زيّنوا لهم قتل البنات و وأدهنّ أحياء خيفة العيلة و الفقر و العار. و قيل: هم الغواة من الناس. و قيل:

١ـ مجمع البيان ٤ / ٥٧٠ ـ ٥٧١.

٢ـ الكشّاف ٢ / ٦٨.

٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٢٢ ـ ٣٢٣.

كان السبب في تزيين قتل البنات أنّ النعمان بن منذر أغار على قوم فسبى نساءهم و كان فيهم بنت قيس بن عاصم. ثمّ اصطلحوا فأرادت كلّ امرأة منهنّ عشيرتها غير ابنة قيس، فإنّها أرادت من سباها. فحلف قيس لاتولد له بنت إلّا وأدها. فصار ذلك سنّة فيما بينهم. «و لو شاء الله ما فعلوه»؛ أي: لو شاء أن يضطرّهم إلى ترك الفعل، لفعله ولكـن ذلك يـنافي التكليف.

«فذرهم»؛ أي: دعهم و كذبهم على الله. فإنّه يجازيهم. و فيه غاية التهديد.(١)

«قتل أولادهم». كان الرجل يحلف في الجاهليّة: لئن ولد له كذا غلاماً لينحرنّ أحدهم؛ كما حلف عبدالمطّلب. «و ليلبسوا»؛ أي: يوقعوهم في دين ملتبس.(٢)

[١٣٨] «وَ قَالُوا هٰذِهِ أَنْعَامٌ وَ حَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَ أَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَ أَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ».

«هذه». إشارة إلى ما جعل للآلهة. «حجر»؛ أي: حرام. فعل بمعنى مفعول ـ كـالذبح ـ يستوي فيه الواحد و الكثير و الذكر و الأنثى. «من نشاء». يعنون خدم الأوثان و الرجال دون النساء. «بزعمهم» من غير حجّة. «حرّمت ظهورها». يعني البـحائر و السـوائب و الحوامي. «لايذكرون اسم الله عليها» في الذبح و إنّما يذكرون أسماء الأصنام عليها. و قيل: لايحجّون على ظهورها و لايلبّون عليها. «افتراء». نصب على المصدر. لأنّ ما قالوه افتراء عليه. و الجارّ متعلّق بقالوا أو بمحذوف هو صفة له. أو على الحال أو المفعول له و الجارّ متعلّق به أو بالمحذوف. «بما كانوا يفترون»: بسببه أو بدله.(٣)

[١٣٩] «وَ قَالُوا مَا فِي بُطُونِ هٰذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَ مُحَـرَّمٌ عَلىٰ أَزْوَاجِنَا وَ إِنْ

١ـ مجمع البيان ٤ / ٥٧٢ ـ ٥٧٣. ٢ـ الكشّاف ٢ / ٧٠.

٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٢٣.

يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ».

«ما في بطون هذه الأنعام». يريدون أجنّة البحائر و السوائب. «خالصة»: حلال لذكورنا خاصّة دون الإناث إن ولد حيّاً؛ لقوله: «وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء» فالذكور و الإناث فيه سواء. و تأنيث الخالصة للمعنى. فإنّ «ما» في معنى الأجنّة. «سيجزيهم وصفهم»؛ أي: جزاء وصفهم الكذب على الله في التحليل و التحريم. من قوله: «و تصف ألسنتهم الكذب»[١].[٢]

«وإن يكن ميتة». ابن‌كثير: «و إن يكن» بالياء و «ميتةٌ» بالرفع. و أبوجعفر: «تكن» بالتاء «ميتةٌ» رفع. و أبوبكر عن عاصم: «ميتةً» بالنصب و «تكن» بالتاء. و الباقون: «ميتةً» نصب و «يكن» بالياء. وجه قراءة ابن‌كثير أنّه لمّا لم يكن تأنيث الميتة تأنيث ذوات الفروج جاز تذكير الفعل، و كان تامّة. و وجه قراءة أبي بكر أنّ ما في بطون الأنعام من الأنعام فلذلك أنّثها.[٣]

[١٤٠] «قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهاً بِغَيْرِ عِلْمٍ وَ حَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللهُ افْتِرَاءً عَلَى اللهِ قَدْ ضَلُّوا وَ مَا كَانُوا مُهْتَدِينَ».

«قد خسر». يريد بهم العرب الذين كانوا يقتلون بناتهم مخافة السبي و الفقر. «قتلوا». ابن‌كثير و ابن‌عامر بالتشديد بمعنى التكثير. «بغير علم»: لخفّة عقلهم و جهلهم بأنّ الله رازق أولادهم. و يجوز نصبه على الحال أو المصدر. «و حرّموا ما رزقهم» من البحائر و نحوها. «مهتدين» إلى الحقّ و الصواب.[٤]

[١٤١] «وَ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَ غَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَ النَّخْلَ وَ الزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ وَ الزَّيْتُونَ وَ الرُّمَّانَ مُتَشَابِهاً وَ غَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَ آتُوا

١ـ النحل (١٦) / ٦٢.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٢٣.
٣ـ مجمع البيان ٤ / ٥٧٤ ـ ٥٧٥.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٢٣ ـ ٣٢٤.

حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَ لَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ».

«جنّات» من الكروم. «معروشات»: مرفوعات على ما يحملها. «غير معروشات»: ملقيات على وجه الأرض. و قيل: المعروشات ما غرسه الناس فعرشوه و غير المعروشات ما نبت في البراري و الجبال. «مختلفاً أكله»: ثمره الذي يؤكل في الهيئة و الكيفيّة. و الضمير للزرع و الباقي مقيس عليه، أو للجمع على تقدير: أكل ذلك. و «مختلفاً» حال مقدّرة. لأنّه لم يكن كذلك عند الإنشاء. «متشابهاً و غير متشابه»: يتشابه بعض أفرادهما في اللّون و الطعم و لايتشابه بعضها. «من ثمره»: من ثمر كلّ واحد من ذلك. «إذا أثمر» و إن لم يدرك و لم يينع بعد. و قيل: فائدته رخصة المالك في الأكل منه قبل أداء حقّ الله.[1]

و عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّ أوّل شجرة نبتت على وجه الأرض النخلة من العجوة نزل بها آدم معه من الجنّة و بالفحل.[2]

«و إذا أثمر». فإن قلت: ما فائدة قوله: «إذا أثمر» و قد علم أنّه لم يثمر و لم يؤكل منه؟ قلت: ليعلم أنّ وقت الإباحة وقت إطلاع الشجر المثمر لئلّا يتوهّم أنّه لايباح إلّا إذا أدرك و أينع. «يوم حصاده». الآية مكّيّة و الزكاة إنّما فرضت بالمدينة. فأريد بالحقّ ما كان يتصدّق به على المساكين وقت الحصاد. «و لاتسرفوا» في الصدقة. كما روي عن ثابت بن قيس أنّه صرم خمسمائة نخلة ففرّق ثمرها كلّه و لم يدخل منه شيئاً إلى منزله. «و لاتبسطها كلّ البسط» ـ الآية[3].[4]

«و لاتسرفوا». عن الباقر عليه السلام: من الإسراف في الحصاد و الجذاذ أن يتصدّق الرجل بكفّيه جميعاً.[5]

«يوم حصاده». أهل البصرة و الشام و عاصم بفتح الحاء، و الباقون بكسرها.[6]

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٢٤.
٢ـ كمال الدين / ٢٩٥ ـ ٢٩٦، ح ٣.
٣ـ الإسراء (١٧) / ٢٩.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٧٢ ـ ٧٣.
٥ـ الكافي ٣ / ٥٦٦، ح ٦.
٦ـ مجمع البيان ٤ / ٥٧٧.

«و آتوا حقّه». وقد اختلف في الحقّ الذي يجب إخراجه بعد الحصاد. فقيل: هو الزكاة الواجبة. و قيل: المراد ما يتصدّق به يوم الحصاد نظراً إلى أنّ الآية مكّيّة و الزكاة مدنيّة. و يؤيّد هذا القول روايات كثيرة. منها ما رواه زرارة و محمّد بن مسلم و أبوبصير في الحسن عن أبي جعفرعليه السلام في قوله: «و آتوا حقّه يوم حصاده» قال: هذا ما يعطي من الصدقة. و يعطي المسكين القبضة بعد القبضة [و] من الجذاذ [الحفنة بعد] الحفنة حتّى يفرق.[1] و به قال الشيخ في الخلاف بوجوب حقّ في المال سوى الزكاة كالضغث و الكفّ عند الصرام. و أجاب العلّامةرحمه الله بأنّ المراد إيجاب الحقّ يوم الحصاد. فإنّ الزكاة تجب حينئذ. و لو سلّم المغايرة، فالأمر للندب. و لايخفى ما فيهما من عدم القوّة بعد ملاحظة الأخبار.

[١٤٢] «وَ مِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَ فَرْشاً كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ وَ لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ».

«و من الأنعام». عطف على جنّات. أي: و أنشأ من الأنعام ما يحمل الأثقال وما يفرش للذبح أو ينسج من وبره و صوفه و شعره الفرش. و قيل: الحمولة الكبار التي تصلح للحمل. و الفرش الصغار كالفصلان و العجاجيل. لأنّها دانية من الأرض للطافة أجرامها مثل الفرش المفروش عليها. «خطوات الشيطان» في التحليل و التحريم من عند أنفسكم كما فعل أهل الجاهليّة.[2]

[١٤٣] «ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَ مِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ».

«ثمانية أزواج». بدل من حمولة و فرشاً. «اثنين»»؛ أي: زوجين. يريد الذكر و الأنثى كالجمل و الناقة و الثور و البقرة و الكبش و النعجة و التيس و العنز. و الواحد إذا كان وحده، فهو فرد؛ فإذا كان معه غيره من جنسه، سمّي كلّ واحد منهما زوجاً. و هما زوجان

١ـ الكافي ١ / ١٦٠، ح ٢. ٢ـ الكشّاف ٢ / ٧٣.

بدليل: «خلق الزوجين الذكر و الأنثى».[١] و الدليل عليه قوله: «ثمانية أزواج» ثمّ فسّرها بقوله: «من الضأن اثنين و من المعز اثنين» «و من الإبل اثنين و من البقر اثنين» و المعز و الضأن جمع ماعز و ضائن.[٢]

«ثمانية». مفعول كلوا، و «لاتتّبعوا» اعتراض بينهما أو فعل دلّ عليه. «و من المعز». ابن‌كثير و أبوعمرو و ابن‌عامر: «مَعَز» بفتح العين. نصب «الذكرين» و «الأنثيين» بحرّم.[٣]

«ثمانية أزواج من الضأن اثنين». قيل: إنّ المراد بالاثنين الأهليّ و الوحشيّ من الضأن و المعز و البقر. و المراد بالاثنين من الإبل العراب و البخاتيّ. و هو المرويّ عن أبي جعفر عليه السلام. و إنّما خصّ هذه الثمانية لأنّها التي وقع تحريمهم فيها.[٤]

عن داوود الرقّيّ قال: سألني بعض الخوارج عن هذه الآية: «من الضأن اثنين» ـ الآية: ما الذي أحلّ من ذلك و ما الذي حرّم؟ فلم يكن عندي فيه شيء. فدخلت على أبي عبدالله عليه السلام و أنا حاجّ فأخبرته بما كان. فقال: إنّ الله أحلّ في الأضحيّة بمنى الضأن و المعز الأهليّة و حرّم أن يضحّى فيه البخاتيّ. و أحلّ البقر الأهليّة أن يضحّى بها و حرّم الجبليّة. فانصرفت إلى الرجل فأخبرته بهذا الجواب. فقال: هذا شيء حملته الإبل من الحجاز.[٥]

«نبّئوني»: أخبروني من جهة معلومة من جهة الله يدلّ على تحريم ما حرّمتم. «إن كنتم صادقين» في أنّ الله حرّمه.[٦]

[١٤٤] «وَ مِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَ مِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللهُ بِهٰذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللهِ كَذِباً لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ».

و الهمزة في «آلذاكرين» للإنكار. و المراد بالذكرين الذكر من الضأن و الذكر من المعز، و

١ـ النجم (٥٣) / ٤٥.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٧٣.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٢٤.
٤ـ مجمع البيان ٤ / ٥٨١.
٥ـ الكافي ٤ / ٤٩٢، ح ١٧.
٦ـ الكشّاف ٢ / ٧٤.

بالأنثيين الأنثى من الضأن و الأنثى من المعز على طريق الجنسيّة. و المعنى إنكار أن يحرّم الله من جنس الغنم ضأنها و معزها شيئاً من نوعي ذكورها و إناثها و لا ممّا تحمل إناث الجنسين و كذلك الذكران من جنسي الإبل و البقر و الأنثيان منهما و ما تحمل أنثاهما. و ذلك أنّهم كانوا يحرّمون ذكورة الأنعام و إناثها تارة و أولادهما كيفما كانت ذكوراً و أناثي أو مختلطة تارة و كانوا يقولون قد حرّمها الله، فأنكر ذلك عليهم.(١)

«أم كنتم شهداء»: بل كنتم. ومعنى الهمزة الإنكار. يعني: أم شاهدتم ربّكم حين أمركم بهذا التحريم؟ لأنّهم كانوا لايؤمنون برسول و هم يقولون إنّ الله حرّم الذي نحرّمه، فتهكّم بهم في قوله: «أم كنتم شهداء» على معنى: أعرفتم التوصية به شاهدين؟ لأنّكم لاتؤمنون بالرسل. «افترى» فنسب إليه تحريم ما لم يحرّم. «ليضلّ». و هو عمرو بن لحيّ بن قمعة الذي كان بحّر البحائر و سيّب السوائب.(٢)

[١٤٥] «قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَ لَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ».

فإن قلت: كيف فصل بين المعدود و بعضه و لم يوال بينه؟ قلت: قد وقع الفاصل بينهما اعتراضاً غير أجنبيّ من المعدود. و ذلك أنّ الله عزّ وجلّ منّ على عباده بإنشاء الأنعام لمنافعهم و بإباحتها لهم، فاعترض بالاحتجاج على من حرّمها، و الاحتجاج على من حرّمها تأكيد للتحليل. و الاعتراضات في الكلام لاتساق إلّا للتوكيد. «فيما أوحي إليّ». تنبيه على أنّ التحريم إنّما يثبت بوحي الله و شرعه لا بهوى الأنفس. «محرّماً»: طعاماً محرّماً من المطاعم التي حرّمتموها.(٣)

«إلّا أن يكون». ابن كثير و حمزة: «تكون» بالتاء، لتأنيث الخبر. و ابن عامر بالياء و رفع

١ـ الكشّاف ٢ / ٧٣ ـ ٧٤. ٢ـ الكشّاف ٢ / ٧٤.

٣ـ الكشّاف ٢/ ٧٤.

«ميتة» على أنّ كان هي التامّة.[١]

على قراءة ابن‌كثير و حمزة معناه: إلّا أن تكون العين أو النفس ميتة. و من قرأ بـالياء التحتانيّة يكون معناه: الموجود ميتة.[٢]

«يطعمه». الوصف للتأكيد. كما في قوله: «يطير بجناحيه».[٣] «إلّا أن يكون ميتة». و هي ما فارقته الروح بغير ذبح شرعيّ. «مسفوحاً»: مصبوباً؛ كالدم في العروق لا كالطحال و إن كان حراماً. أمّا الدليل من خارج. و خصّ المصبوب بالذكر لأنّ ما يختلط باللّحم منه مباح. و هذا مقيّد لإطلاق قوله: «حرّمت عليكم الميتة و الدم». و بذلك الإطلاق أخذ الشافعيّ. «فإنّه رجس»؛ أي: لحم الخنزير، أو هو نفسه. أي: هو قذر و خبيث تنفر عنه الطبائع. «أو فسقاً». عطف على لحم الخنزير. و ما بينهما اعتراض للتعليل. و هذا مجمل توضيحه قوله: «أهلّ لغير الله». و الإهلال رفع الصوت. و المراد ما ذبحوه و ذكروا عند الذبح اسم الصنم أو نحوه. «فمن اضطرّ» إلى تناول شيء من المذكورات. «غير باغ»؛ أي قاصد أكل الميتة، أو باغ على مضطرّ آخر مثله، أو خارج على الإمام. «و لا عاد» قدر الضرورة. عن الصادق عليه السلام: الباغي الذي يخرج على الإمام و العادي الذي يقطع الطريق، لا تحلّ له الميتة. «غفور رحيم» لا يؤاخذه على ذلك. و الآية محكمة دالّة على أنّه صلى الله عليه و آله لم يجد فيما أوحي إليه تلك الغاية محرّماً غير المذكورات. فلا ينافيه ورود التحريم بعد ذلك بالنسبة إلى أشياء أخر.[٤]

«فإنّه»؛ أي: لحم الخنزير؛ لتعوّده أكل النجاسة. «أو فسقاً». إنّما سمّي ما ذبح على اسم الصنم فسقاً لتوغّله في الفسق. و يجوز أن يكون مفعولاً له من أهلّ.[٥]

[١٤٦] «وَ عَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَ مِنَ الْبَقَرِ وَ الْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَ

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٢٥.
٢ـ مجمع البيان ٤ / ٥٨٣.
٣ـ الأنعام (٦) / ٣٨.
٤ـ مسالك الأفهام ٤ / ١٤٠ ـ ١٤٢.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٢٥.

إِنَّا لَصَادِقُونَ».

«كلّ ذي ظفر»: كلّ ما له إصبع كالإبل و السباع و الطيور. و قيل: كلّ ذي مخلب و حافر. وسمّي الحافر ظفراً مجازاً. و لعلّ المسبّب عن الظلم عموم التحريم.«شحومها»: الثروب و شحوم الكلى. و الإضافة لزيادة الربط. «ما حملت»؛ أي: ما علقت ظهورهما. «أو الحوايا»؛ أي: ما اشتمل على الأمعاء. جمع حاوية. و قيل: هو عطف على شحومهما و أو بمعنى الواو. «أو ما اختلط بعظم»: شحم الألية لاتّصالها بالعصعص. «ذلك»؛ أي: التحريم و الجزاء «ببغيهم»: بسبب ظلمهم.(١)

«ذي ظفر». قيل: المراد به ما ليس بمنفرج الأصابع كالإبل و الإوزّ و البطّ. و قيل: هو الإبل فقط. و قيل: كلّ ذي مخلب من الطائر. و قيل: كلّ ذي حافر من الدوابّ. «إلّا ما حملت ظهورهما» من الشحم و هو اللّحم السمين. «أو الحوايا»؛ أي: ما حملته الحوايا من الشحم، فإنّها غير محرّم. «أو ما اختلط بعظم»؛ أي: شحم الجنب أو الألية، لأنّه على العصعص و هو [غير] حرام أيضاً. و قيل: الألية لم تدخل في ذلك. لأنّه لم يستثن لعدم الاعتداد بعظم العصعص. «الحوايا»: ما يحوى في البطن فاجتمع و استدار. «جزيناهم»؛ أي: حرّمنا ذلك عقوبة لهم بقتلهم الأنبياء و أخذهم الربا و استحلالهم أموال الناس بالباطل. و قيل: بغيهم ظلمهم أنفسهم بارتكاب المحظورات. و قيل: إنّ ملوك بني إسرائيل كانوا يمنعون فقراءهم من أكل لحوم الطير و الشحوم، فحرّم الله ذلك ببغيهم على فقرائهم. قاله عليّ بن إبراهيم في تفسيره.(٢)

«إنّا لصادقون» في الإخبار و الوعد و الوعيد.(٣)

[١٤٧] «فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَ لَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ».

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٢٥.
٢ـ مجمع البيان ٤ / ٥٨٤ ـ ٥٨٥.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٢٥.

«ذو رحمة واسعة» يمهلكم على التكذيب، فلاتغترّوا بإمهاله؛ فإنّه لايهمل. «و لا يـردّ بأسه» حين ينزل. أو: ذو رحمة واسعة للمطيعين و ذو بأس للمجرمين. فأقـام مـقامه «و لايردّ بأسه» لتضمّنه التنبيه على إنزال البأس عليهم مع الدلالة على أنّه لازب بهم لايمكن ردّه عنهم.(١)

[١٤٨] «سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَ لَا آبَاؤُنَا وَ لَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتّٰى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ».

«سيقول». إخبار بما سوف يقولونه و بما قالوه. قال: «و قال الذين أشركوا لو شاء الله ماعبدنا من دونه من شيء».(٢) يعنون بكفرهم و تمـرّدهم أنّ شركـهم و شرك آبـائهم و تحريمهم ما أحلّ الله، بمشيّة الله و إرادته، و لولا مشيّته، لم يكن شيء من ذلك؛ كمذهب المجبّرة بعينه. «كذلك كذّب»؛ أي: جاؤوا بالتكذيب المطلق. لأنّ الله ركّب في العقول و أنـزل في الكتب ما دلّ على غناه و براءته من مشيّة القبائح و إرادتها و الرسل أخبروا بذلك، فمـن علّق وجود القبائح من الكفر و المعاصي بمشيّة الله و إرادته، فقد كذّب التكذيب كلّه؛ و هو تكذيب العقل و السمع. «ذاقوا بأسنا»: أنزلنا عليهم العذاب بتكذيبهم. «فتخرجوه». هذا من التهكّم و الشهادة بأنّ مثل قولهم محال أن تكون به حجّة. «إن تـتّبعون إلّا الظـنّ» في قولكم هذا. «إلّا تخرصون»: تقدّرون أنّ الأمر كما تزعمون، أو تكذبون.(٣)

«كذلك كذّب»؛ أي: مثل هذا التكذيب الذي كان من هؤلاء في أنّـه مـنكر «كـذّب الذين من قبلهم» أنبياءهم فيما أتوا به من قبل الله. «حتّى ذاقوا» العذاب المعجّل. و دلّ على أنّ لهم عذاباً مدّخراً عند الله. لأنّ الذوق أوّل إدراك الشيء. «قل» يا محمّد لهم جواب ما قالوه من أنّ الشرك بمشيّة الله. «هل عندكم من علم»؛ أي: حجّة تؤدّي إلى علم.(٤)

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٢٥.
٢ـ النحل (١٦) / ٣٥.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٧٦ ـ ٧٧.
٤ـ مجمع البيان ٤ / ٥٨٧.

[١٤٩] «قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ».

«فللّه الحجّة البالغة». يعني إن كان الأمر كما زعمتم أنّ ما أنتم عليه بمشيّة الله، فـللّه الحجّة البالغة عليكم على قود مذهبكم. «فلو شاء الله لهداكم أجمعين» منكم و من مخالفيكم في الدين. فإنّ تعليقكم دينكم بمشيّة الله يقتضي أن تعلّقوا دين من يخالفكم أيضاً بمشيّته فتوالوهم و لاتعادوهم و توافقوهم و لاتخالفوهم. لأنّ المشيّة تجمع بين ما أنتم عليه و ما هم عليه.(١)

«فللّه الحجّة البالغة». عن الباقر عليه السلام و قد سئل عن قول الله: «فللّه الحجّة البالغة» فقال: إنّ الله يقول للعبد يوم القيامة: عبدي أكنت عالماً؟ فإن قال: نعم، قال: أفلا عـملت مـا علمت؟ و إن قال: كنت جاهلاً، قال له: أفلا تعلّمت حتّى تعمل؟ فيخصمه بتلك الحـجّة البالغة.(٢)

و عن الكاظم عليه السلام: انّ لله على الناس حجّتين؛ حجّة ظـاهرة، و حـجّة بـاطنة. فأمّـا الظاهرة، فالرسل و الأنبياء و الأئمّة عليهم السلام. و أمّا الباطنة، فالعقول.(٣)

و عن أبي جعفر عليه السلام: نحن الحجّة البالغة على من دون السماء و فوق الأرض.(٤)

«قل فللّه الحجّة البالغة»؛ أي: إذا عجز هؤلاء عن إقامة حجّة على ما قالوه، فللّه الحجّة البالغة؛ أي: التي تبلغ قطع عذر المحجوج بأن تزيل كلّ شبهة عمّن نظر فيها. «فلو شاء الله لهداكم»: لألجأكم إلى الايمان و هداكم جميعاً إليه بفعل الإلجاء؛ لكنّه لم يفعله لأنّه مـناف للتكليف.(٥)

«فللّه الحجّة البالغة». و لو كان الأمر على ما قاله أهل الجبر من أنّ الله شاء منهم الكفر، لكانت الحجّة للكفّار على الله من حيث فعلوا ما شاء الله تعالى و لكانوا بذلك مطيعين و

١ـ الكشّاف ٢ / ٧٧.
٢ـ أمالي الطوسيّ ١ / ٨ ـ ٩.
٣ـ الكافي ١ / ١٦، ح ١٢.
٤ـ الكافي ١ / ١٩٢، ح ٣.
٥ـ مجمع البيان ٤ / ٥٨٧ ـ ٥٨٨.

لاتكون الحجّة لله عليهم على قولهم، من حيث إنّه خلق فيهم الكفر و أراد منهم الكفر. فأيّ حجّة له عليهم مع ذلك؟ (١)

[١٥٠] «قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللهَ حَرَّمَ هٰذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَ لَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَ هُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ».

«قل هلمّ شهداءكم»: أحضروهم. و هو اسم فعل لايتصرّف عند أهل الحجاز، و فعل يؤنّث و يجمع عند بني تميم. و أصله: هالمّ. من لمّ، إذا قصد. حذفت الألف لتقدير السكون في اللّام فإنّه الأصل. يعني أنّ أصله المم. «الذين يشهدون». يعني قدوتهم فيه. استحضرهم لتلزمهم الحجّة و تظهر بانقطاعهم ضلالتهم و أنّه لا متمسّك لهم كمن يقلّدهم. و لذلك قيّد الشهداء بالإضافة و وصفهم بما يقتضي العهد بهم. «فلا تشهد معهم»: فلا تصدّقهم فيه و بيّن له فساده. فإنّ تسليمه موافقة لهم في الشهادة الباطلة. «أهواء الذين كذّبوا بآياتنا». من وضع المظهر مقام المضمر للدلالة على أنّ مكذّب الآيات متّبع الهوى لا غير. «و الذين لايؤمنون بالآخرة» كعبدة الأوثان. «يعدلون»: يجعلون له عديلاً.(٢)

«يشهدون»؛ أي: الذين علم أنّهم يشهدون لهم و ينصرون قولهم و كان المشهود لهم يقلّدونهم، ليهدم ما يقومون به فيحقّ الحقّ و يبطل الباطل. فأضيف الشهداء لذلك و جيء بالذين للدلالة على أنّهم معروفون موسومون بالشهادة لهم و بنصرة مذهبهم. و الدليل عليه قوله: «فإن شهدوا فلاتشهد معهم».(٣)

«فإن شهدوا فلاتشهد معهم». معناه: فإن لم يجدوا شاهداً يشهد لهم على تحريمها غيرهم فشهدوا به بأنفسهم، فلاتشهد أنت معهم. لأنّ شهادهم تكون شهادة بالباطل. [فإن قيل: كيف دعاهم إلى الشهادة ثمّ قال: فلاتشهد معهم؟ فالجواب أنّه] قد أمرهم بأن يأتوا

١ـ مجمع البيان ٤ / ٥٨٨.

٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٢٦.

٣ـ الكشّاف ٢ / ٧٨.

بالعدول الذين يشهدون بالحقّ، و إذا لم يجدوا ذلك و شهدوا لأنفسهم، فلاينبغي أن تقبل شهادتهم أو تشهد معهم لأنّها ترجع إلى دعوى مجرّدة.[١]

«و لاتتّبع» كأهل الكتاب «الذين» كمن أخذوا دينهم من تقليد الآباء.[٢]

[١٥١] «قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَ بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَ لَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَ إِيَّاهُمْ وَ لَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَ مَا بَطَنَ وَ لَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ».

«قل تعالوا». أمر من التعالي. و أصله أن يقوله من كان في علوّ لمن كان في سفل، فاتّسع فيه للتعميم. «اتل»: أقرأ. «ما حرّم ربّكم». منصوب بأتل. و ما يحتمل الخبريّة و المصدريّة. و يجوز أن يكون استفهاميّة منصوبة بحرّم و الجملة مفعول أتل. لأنّه بمعنى: أتل أيّ شيء حرّم ربّكم. «عليكم». متعلّقة بحرّم أو أتل. «شيئاً». يحتمل المصدر و المفعول.[٣]

«أتل ما حرّم». عن أبي بصير قال: كنت جالساً عند أبي جعفر عليه السلام و هو متّك على فراشه، إذ قرأ الآيات المحكمات التي لم ينسخهنّ شيء من الأنعام فقال: شيّعها سبعون ألف ملك. «قل تعالوا أتل» ـ الآية.[٤]

«و بالوالدين». قال: الوالدين رسول الله و أميرالمؤمنين صلوات الله عليهما و على آلهما.[٥]

«الفواحش ما ظهر منها و ما بطن»؛ أي: المعاصي و القبائح كلّها ظاهرها و باطنها. و قيل: إنّ ما ظهر أفعال الجوارح و ما بطن أفعال القلوب. «ذلكم». خطاب لكافّة الخلق.[٦]

«بالحقّ» كالقود و قتل المرتدّ و رجم المحصن. «الفواحش»: كبائر الذنوب أو الزنى.

١ـ مجمع البيان ٤ / ٥٨٨.

٢ـ مجمع البيان ٤ / ٥٨٨.

٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٢٦ ـ ٣٢٧.

٤ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٣٨٣، ح ١٢٣.

٥ـ تفسير القمّيّ ١ / ٢٢٠.

٦ـ مجمع البيان ٤ / ٥٩٠ ـ ٥٩١.

«ما ظهر». بدل منه. «ذلكم». إشارة إلى ما تقدّم. «وصّاكم» بحفظه. «تعقلون»: ترشدون. فإنّ كمال العقل هو الرشد.(١)

[١٥٢] «وَ لَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَ الْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا وَ إِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَ لَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَ بِعَهْدِ اللهِ أَوْفُوا ذٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ».

«إلّا بالّتي هي أحسن»؛ أي: بالخصلة التي هي أحسن ما يفعل بمال اليتيم و هي حفظه و تثميره. و المعنى : احفظوه عليه. «حتّى يبلغ أشدّه»، فادفعوه إليه. «بالقسط»: بالسويّة و العدل. «لانكلّف نفساً إلّا وسعها»: ما لايعجز عنه. و إنّما أتبع الأمر بإيفاء الكيل و الميزان ذلك، لأنّ مراعاة الحدّ من القسط الذي لا زيادة فيه و لا نقصان بما يجري فيه الحرج، فأمر ببلوغ الوسع و أنّ ما وراءه معفوّ عنه. «و لو كان ذا قربى»؛ أي: و لو كان المقول له أو عليه في شهادة أو غيرها من أهل قرابة القائل.(٢)

«أشدّه». عن أبي عبدالله عليه السلام: إذا بلغ الغلام أشدّه ثلاث عشرة سنة و دخل في الأربع عشرة، وجب عليه ما وجب على المحتلمين، احتلم أو لم يحتلم، و كتبت عليه السيّئات و كتبت له الحسنات.(٣)

«و بعهد الله». يعني ما عهد إليكم من ملازمة العدل و تأدية أحكام الشرع. «تذكّرون». حمزة و حفص و الكسائيّ بتخفيف الذال حيث وقع إذا كان بالتاء، و الباقون بتشديدها. «تذكّرون»؛ أي : تتّعظون به.(٤)

«أشدّه»؛ أي: البلوغ الشرعيّ بأحد الأمور.

[١٥٣] «وَ أَنَّ هٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَ لَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٢٧.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٧٩.
٣ـ الكافي ٧ / ٦٩، ح ٧.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٢٧.

ذٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ».

«و أنّ هذا صراطي». الإشارة فيه إلى ما ذكر في السورة. فإنّها بأسرها في إثبات التوحيد و النبوّة و بيان الشريعة. و قرأ حمزة و الكسائيّ بكسر همزة إنّ على الاستئناف، و ابن‌عامر و يعقوب بالفتح و التخفيف، و الباقون مشدّدة بتقدير اللّام، على أنّه علّة لقوله: «فاتّبعوه». و قرأ ابن‌عامر: «صراطي» بفتح الياء. «السبل»: الأديان المختلفة و الطرق التابعة للهوى. فإنّ مقتضى الحجّة واحد و مقتضى الهوى متعدّد لاختلاف الطبائع و العادات. «ذلكم» الاتّباع. «تتّقون» الضلال و التفرّق عن الحقّ.(١)

عن بريد العجليّ عن أبي جعفر عليه السلام «و أنّ هذا صراطي مستقيماً فاتّبعوه» قال: تدري ما يعني بصراطي مستقيماً؟ قلت: لا. قال: ولاية عليّ و الأوصياء عليهم السلام. قال: [و تدري] ما يعني «فاتّبعوه»؟ قلت: لا. قال: يعني عليّ‌بن أبي طالب صلوات الله عليه. قال: و تدري ما يعني «و لاتتّبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله»؟ قلت: لا. قال: ولاية فلان [و فلان] و الله. قال: و تدري ما يعني «فتفرّق بكم عن سبيله»؟ قلت: لا. قال: يعني سبيل عليّ عليه السلام.(٢)

«و لاتتّبع السبل»: الطرق المختلفة في الدين من اليهوديّة و النصرانيّة و المجوسيّة و سائر البدع و الضلالات فتفرّقكم أيادي سبا عن صراط الله المستقيم و هو دين الإسلام. و عن النبيّ صلّى الله عليه و آله أنّه خطّ خطّاً ثمّ قال: هذا طريق الرشاد. ثمّ خطّ عن يمينه و عن شماله خطوطاً ثمّ قال: هذه سبل على كلّ سبيل منها شيطان يدعو إليه. ثمّ تلا هذه الآية.(٣)

[١٥٤] «ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَاماً عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَ تَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ وَ هُدىً وَ رَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ».

«ثمّ آتينا موسى». عطف على وصّاكم. و ثمّ للتراخي في الإخبار، أو للتفاوت في الرتبة، كأنّه قيل: ذلكم وصّاكم به قديماً و حديثاً. ثمّ أعظم من ذلك أنّا آتينا موسى الكتاب،

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٢٧.
٢ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٣٨٣ ـ ٣٨٤، ح ١٢٥.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٨٠.

تماماً للكرامة و النعمة. [«على الذي أحسن» :] على من أحسن القيام به. أو: [تماماً على] ما أحسنه موسى؛ أي: أجاده من العلم و الشرائع؛ أي: زيادة على علمه إتمـاماً [له]. «و تفصيلاً»: و بياناً مفصّلاً لكلّ ما يحتاج إليه في الدين. و هو عطف على تماماً. و نصبها يحتمل العلّة و الحال و المصدر. «لعلّهم»؛ أي: لعلّ بني اسرائيل «يؤمنون بلقاء ربّهم» للجزاء.(١)

[١٥٥] «وَ هٰذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَ اتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ».

«و هذا كتاب»؛ أي: القرآن. «ترحمون» بواسطة اتّباعه.(٢)

[١٥٦] «أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَ إِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ».

«أن تقولوا»؛ أي: كراهة أن تقولوا. علّة لأنزلناه. «إنّما». لعلّ الاختصاص في إنّما لأنّ الباقي المشهور حينئذ من الكتب السماويّة لم يكن غير كتبهم.(٣)

«أنزل»؛ أي: إنّما أنزل القرآن قطعاً للمعذرة لئلاّ تقولوا ـ يا أهل مكّة ـ: إنّما أنزل الكتاب على جماعتين اليهود و النصارى. فأنزلنا عليكم القرآن لنقطع حجّتكم. «لغافلين» عن تلاوة كتبهم و لم ينزل علينا الكتاب كما أنزل عليهم. لأنّهم كانوا أهله. و لو أريد منّا ما أريد منهم، لأنزل الكتاب علينا.(٤)

«و إن» هي مخفّفة من المثقّلة. و الأصـل: و إنّـه كـنّا، عـلى أنّ الهـاء ضـمير الشأن. «طائفتين»: أهل التوراة و أهل الإنجيل. «عن دراستهم»: عن قراءتهم. أي: لم نـعرف مـثل دراستهم.(٥)

[١٥٧] «أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٢٨.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٢٨.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٢٨.
٤ـ مجمع البيان ٤ / ٥٩٧.
٥ـ الكشّاف ٢ / ٨١.

رَبِّكُمْ وَ هُدىً وَ رَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللهِ وَ صَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ».

«لكنّا أهدى منهم» لحدّة أذهاننا و غزارة حفظنا لأيّام العرب و وقائعها و خطبها و أشعارها و أسجاعها و أمثالها على أنّا أمّيّون. «فقد جاءكم بيّنة من ربّكم». تبكيت لهم. و المعنى: إن صدّقتكم فيما كنتم تعدّون من أنفسكم، فقد جاءكم بيّنة من ربّكم. فحذف الشرط. و هو من أحسن الحذوف. «ممّن كذّب بآيات الله» بعد ما عرف صحّتها و صدقها أو تمكّن من معرفة ذلك «و صدف عنها» الناس فضلّ و أضلّ. «سوء العذاب». كقوله: «الذين كفروا و صدّوا عن سبيل الله زدناهم عذاباً فوق العذاب»[١].[٢]

«بيّنة»: أي: حجّة واضحة و هو القرآن. «صدف عنها»: أعرض. «بما كانوا»: أي: جزاء بما كانوا.[٣]

[١٥٨] «هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ».

«هل ينظرون». يعني أهل مكّة. و هم ما كانوا منتظرين لذلك، لكن لمّا كان يلحقهم لحوق المنتظر، شبّهوا بالمنتظرين. «لاينفع نفساً إيمانها» كالمحتضر إذا صار الأمر عياناً و الايمان برهاناً. «أو كسبت في إيمانها خيراً». دليل لمن لم يعتبر الايمان المجرّد عن العمل. و للمعتبر تخصيص هذا الحكم بذاك اليوم و حمل الترديد على اشتراط النفع بأحد الأمرين على معنى لاينفع نفساً خلت عنهما إيمانها. و العطف على لم يكن بمعنى: لاينفع نفساً إيمانها الذي أحدثته حينئذ و إن كسبت فيه خيراً.[٤]

«تأتيهم». عن أميرالمؤمنين عليه السلام: تأتيهم الملائكة. يعني بذلك العذاب في دار الدنيا كما

١ـ النحل (١٦) / ٨٨.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٨١.
٣ـ مجمع البيان ٤ / ٥٩٧.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٢٩.

عذّب القرون الأولى.[١]

«تأتيهم». حمزة و الكسائيّ: «يأتيهم» بالياء. «يأتي ربّك»؛ أي: أمر ربّك بالعذاب. و قال ابن‌عبّاس: يأتي أمر ربّك فيهم بالقتل.[٢]

«من قبل». عن أبي عبدالله عليه السلام : يعني في الميثاق. «أو كسبت في إيمانها خيراً». قال: الإقرار بالأنبياء و الاوصياء و أميرالمؤمنين عليه السلام.[٣]

«أن تأتيهم الملائكة». هم ملائكة الموت أو العذاب. «أو يأتي ربّك»؛ أي: كلّ آيات ربّك؛ بدليل «أو يأتي بعض آيات ربّك». يريد آيات القيامة و الهلاك الكلّيّ. و بعض الآيات أشراط الساعة كطلوع الشمس من مغربها و غير ذلك. و عن البراء: كنّا نتذاكر الساعة إذ أشرف علينا رسول الله صلى الله عليه و آله فقال: ما تتذاكرون؟ قلنا: نتذاكر الساعة. قال: إنّها لاتقوم حتّى تروا قبلها عشر آيات: الدخان، و دابّة الأرض، و خسفاً بالمشرق، و خسفاً بالمغرب، و خسفاً بجزيرة العرب، و الدجّال، و طلوع الشمس من مغربها، و يأجوج و مأجوج، و نزول عيسى، و ناراً تخرج من عدن. «لم تكن آمنت من قبل». و المعنى أنّ أشراط الساعة إذا جاءت ـ و هي آية ملجئة مضطرّة ـ ذهب أوان التكليف عندها، فلم‌ينفع الإيمان حينئذ نفساً غير مقدّمة إيمانها قبل ظهور الآيات أو مقدّمة إيمانها غير كاسبة خيراً في إيمانها. فلم‌يفرّق ـ كما ترى ـ بين النفس الكافرة إذا آمنت في غير وقت الإيمان و بين النفس التي آمنت في وقته فلم‌تكسب خيراً، ليعلم أنّ قوله: «الذين آمنوا و عملوا الصالحات» جمع بين قرينتين لاينبغي أن تنفكّ إحداهما عن الأخرى حتّى يفوز صاحبهما و يسعد و إلّا فالشقوة و الهلاك. «انتظروا». وعيد.[٤]

«يوم يأتي بعض آيات ربّك». عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله تعالى: «يوم يأتي بعض آيات ربّك» ـ الآية. فقال: الآيات هم الأئمّة عليهم السلام. و الآية المنتظرة القائم عليه السلام. فيومئذ لاينفع

١ـ التوحيد / ٢٦٦.
٢ـ مجمع البيان ٤ / ٥٩٨.
٣ـ الكافي ١ / ٤٢٨، ح ٨١.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٨٢.

نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل قيامه بالسيف و إن آمنت بمن تقدّمه من آبائه عليهم السلام.[١]

و عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: تخرج دابّة الأرض من الصفا معها خاتم سليمان و عصا موسى، تضع الخاتم على وجه كلّ مؤمن فينطبع فيه: هذا مؤمن حقّاً. و تضعه على وجه كلّ كافر فيكتب فيه: هذا كافر حقّاً. ثمّ ترفع الدابّة رأسها فيراها من بين الخافقين بإذن الله جلّ جلاله. و ذلك عند طلوع الشمس من مغربها. فعند ذلك ترفع التوبة.[٢] كذا رواه الصدوق في إكمال الدين و غيره.

فبالجملة فالأخبار الواردة بأنّ المراد من هذه الآية و الآيات الواردة فيها هي القيامة الصغرى ـ أعني زمان صاحب الدار عليه السلام ـ مستفيضة بل متواترة. نعم؛ يبقى الإشكال في عدم قبول التوبة في زمانه عليه السلام مع ما ورد من قوله تعالى: «ليظهره على الدين كلّه»[٣] و أنّ المراد منه دخول الخلق في دين الإسلام طوعاً أو كرهاً. فإذا لم تقبل التوبة، فما الفائدة في الدخول في دين الإسلام؟ و الجواب عنه من وجوه: الأوّل ما ورد في بعض الأخبار من أنّ من لاتقبل منهم التوبة من أحياهم الله من قبورهم للعذاب على يديه، فإيمانهم مضطرّون إليه لما شاهدوا من عذاب القبر. الثاني أنّه لايقبل الإيمان الظاهر نفاق كما كان يقبله النبيّ صلى الله عليه و آله و إيمان السيف في زمانه عليه السلام الغالب عليه النفاق بل كلّه منه. الثالث أنّ رفع التوبة بعد موته عليه السلام و ظهور آيات القيامة.

«بعض آيات ربّك». أطبق المفسّرون على أنّ المراد من هذه الآية القيامة الكبرى. و في بعض الأخبار دلالة عليه. و هو لاينافي ما حقّقناه في الحاشية من إرادة القيامة الصغرى. لأنّ للقرآن ظاهراً و باطناً.

[١٥٩] «إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ».

١ـ كمال الدين / ٣٣٦، ح ٨.
٢ـ كمال الدين / ٥٢٧.
٣ـ التوبة (٩) / ٣٣.

«فرّقوا دينهم»: اختلفوا فيه كما اختلفت اليهود و النصارى. و في الحديث: افترقت اليهود على إحدى و سبعين فرقة كلّها في الهاوية إلّا واحدة و هي الناجية. و افترقت النصارى على ثنتين و سبعين فرقة كلّها في الهاوية إلّا واحدة. و قيل: فرّقوا دينهم فكفروا ببعض و آمنوا ببعض. «و كانوا شيعاً»: فرقاً كلّ فرقة تشيّع إماماً لها. «لست منهم في شيء»: أي: من السؤال عنهم و عن تفرّقهم. و قيل: عن عقابهم. و قيل: هي منسوخة بآية السيف.(١)

أقول: قد طرح بعض الحديث و هو قوله: ستفترق أمّتي بعدي على ثلاثة و سبعين فرقة كلّها في الهاوية إلّا واحدة.(٢) و من الاتّفاقات الحسنة أنّ «شيعة عليّ» موافقة على «فرقة ناجية» في العدد. فافهم. (حسن عفي عنه)

«فرّقوا». حمزة و الكسائيّ: «فارقوا» بالالف.(٣)

«ينبّئهم» بالعقاب.(٤)

[١٦٠] «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَ مَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ».

«من جاء بالحسنة». عن أبي عبدالله عليه السلام: الحسنة الولاية.(٥) و عنه عليه السلام: انّ الله لمّا أعطى إبليس من القوّة ما أعطاه، قال آدم: يا ربّ، سلّطت إبليس على ولدي أجريته فيهم مجرى الدم بالعروق. فما لي و لولدي؟ قال: لك و لولدك السيّئة بواحدة و الحسنة بعشر أمثالها. قال: ربّ زدني. قال: التوبة مبسوطة إلى أن تبلغ النفس الحلقوم. فقال: يا ربّ زدني. قال: أغفر و لا أبالي.(٦)

عن أبي جعفر عليه السلام: من نوى الصوم ثمّ دخل على أخيه فسأله أن يفطر عنده، فليفطر

١ـ الكشّاف ٢ / ٨٢ ـ ٨٣.
٢ـ بحار الأنوار ٣٠ / ٣٣٥.
٣ـ مجمع البيان ٤ / ٦٠٠.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٢٩.
٥ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٣١.
٦ـ تفسير القمّيّ ١ / ٤٢.

و ليدخل عليه السرور. فإنّه يحتسب له بذلك اليوم عشرة أيّام. و هو قول الله: «من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها».[١]

عن أبي عبدالله عليه السلام : صوم ثلاثة أيّام في كلّ شهر يعدل صيام الدهر؛ لقول الله: «من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها».[٢]

«فله عشر أمثالها» على إقامة صفة الجنس المميّز مقام الموصوف. تقديره: عشر حسنات أمثالها. و هذا أقلّ ما وعد من الإضعاف. و قد وعد بالواحد سبعمائة و وعد ثواباً بغير حساب. و مضاعفة الحسنات فضل. و مكافأة السيّئة عدل. «و هم لايظلمون»؛ أي: لاينقص من ثوابهم و لايزاد على عقابهم.[٣]

[١٦١] «قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَ مَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ».

«ربّي» بالوحي و الإرشاد إلى ما نصب من الحجج. «ديناً قيّماً». بدل من محلّ «إلى صراط» إذ المعنى: و هداني صراطاً. أو مفعول فعل مضمر دلّ عليه الملفوظ. «قيّماً» فيعل من قام؛ كسيّد من ساد. و قرأ ابن‌عامر و عاصم و حمزة: «قيماً» بكسر القاف و التخفيف، على أنّه مصدر نعت به. و كان قياسه قوماً ـ كعوض ـ فأعلّ لإعلال فعله؛ كالقيام. «ملّة إبراهيم». عطف بيان لديناً. «حنيفاً». حال من إبراهيم.[٤]

«ديناً قيماً»؛ أي: مستقيماً على نهاية الاستقامة. و قيل: ثابتاً دائماً لاينسخ. «ملّة إبراهيم». إنّما وصف دين النبيّ صلى الله عليه و آله بأنّه ملّة إبراهيم، ترغيباً فيه للعرب، لجلالة إبراهيم في نفوسها و نفوس كلّ الأديان و لانتساب العرب إليه و اتّفاقهم على أنّه كان على الحقّ. «حنيفاً»: مخلصاً في العبادة. أو: مائلاً إلى الإسلام. «من المشركين»؛ أي: ما كان يدعو إلى

١ـ الكافي ٤ / ١٥٠، ح ٢.
٢ـ الكافي ٤ / ٩٢، ح ٦.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٨٣.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٢٩.

عبادة الأصنام.[١]

[١٦٢ ـ ١٦٣] «قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَ نُسُكِي وَ مَحْيَايَ وَ مَمَاتِي لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَ بِذٰلِكَ أُمِرْتُ وَ أَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ».

«إنّ صلاتي و نسكي»: عبادتي كلّها، أو قرباني، أو حجّي. «و محياي و مماتي»: و ما أنا عليه في حياتي و أموت عليه من الايمان و الطاعة. أو: طاعات الحياة و الخيرات المضافة إلى المماة كالوصيّة و التدبير. أو: الحياة و المماة أنفسهما. «و بذلك أمرت»؛ أي: بذلك القول و الإخلاص. «و محياي». نافع : «محياي» بإسكان الياء إجراء للوصل مجرى الوقف. «أوّل المسلمين». لأنّ إسلام كلّ نبيّ متقدّم على إسلام أمّته.[٢]

[١٦٤] «قُلْ أَ غَيْرَ اللهِ أَبْغِي رَبّاً وَ هُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَ لَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَ لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرىٰ ثُمَّ إِلىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ».

«أغير الله أبغي ربّاً» فأشركه في عبادتي؟ وهو جواب عن دعائهم إلى عبادة آلهتهم. «و هو ربّ كلّ شيء». حال من موضع العلّة للإنكار و الدليل له. أي: و كلّ ما سواه مربوب مثلي لايصلح للربوبيّة. «و لاتكسب كلّ نفس إلّا عليها» فلاينفعني في ابتغاء ربّ غيره ما أنتم عليه من ذلك. «و لاتزر وازرة». جواب عن قولهم: «اتّبعوا سبيلنا و لنحمل خطاياكم».[٣] «مرجعكم» يوم القيامة. «فينبّئكم بما كنتم فيه»: يبيّن الرشد من الغيّ و يميّز المحقّ من المبطل.[٤]

«أغير الله». الهمزة للإنكار. أي: منكر أن أبغي ربّاً غيره. كما قال: «أفغير الله تأمرونّي أعبد».[٥][٦]

١ـ مجمع البيان ٤ / ٦٠٤.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٢٩.
٣ـ العنكبوت (٢٩) / ١٢.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٣٠.
٥ـ الزمر (٣٩) / ٦٤.
٦ـ الكشّاف ٢ / ٨٤.

[١٦٥] «وَ هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَ رَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ».

«خلائف»: يخلف بعضكم بعضاً. أو: خلفاء الله في أرضه تتصرّفون فيها؛ على أنّ الخطاب عامّ. أو: خلفاء الأمم السابقة؛ على أنّ الخطاب للمؤمنين. «درجات». أي في الشرف و الغنى. «فيما آتاكم» من الجاه و المال.[١]

«درجات». منصوب إمّا على أنّه واقع موقع المصدر ـ فكأنّه قال: رفعة بعد رفعة ـ أو بحذف إلى، أي: إلى درجات ـ كقولك: دخلت البيت ـ أو على أنّه مفعول، من قولك: رفعته درجة، مثل كسوته ثوباً. و قوله: «ليبلوكم»؛ أي: ليختبركم فيما أعطاكم. أي: يعاملكم معاملة المختبر لينظر الغنيّ إلى الفقير فيشكر و ينظر الفقير إلى الغنيّ فيصبر و يتفكّر العاقل في الأدلّة فيعلم. «سريع العقاب». لأنّه، و إن كان في الآخرة، إلّا أنّ كلّ ما هو آت سريع. أو: سريع العقاب لمن استحقّه في دار الدنيا. فيكون تحذيراً عن مواقعة الخطيئة. و قيل: معناه: أنّه قادر على تعجيل العقاب. فاحذروا معاجلته في الدنيا.[٢]

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٣٠.

٢ـ مجمع البيان ٤ / ٦٠٦.

٧.
سورة الأعراف

عن النبيّ صلى الله عليه وآله: من قرأ سورة الأعراف في كلّ شهر، كان يوم القيامة من الذين لا خوف عليهم و لا هم يحزنون. فإن قرأها في كلّ جمعة، كان ممّن لايحاسب يوم القيامة. و قال أبوعبدالله عليه السلام: أما إنّ فيها آياً محكمة. فلاتدعوا قراءتها و تلاوتها. فإنّ لها يوم القيامة بهاء و إنّها تشهد يوم القيامة لمن قرأها عند ربّه.[١]

و عن النبيّ صلى الله عليه وآله: من قرأ الأعراف، جعل الله بينه و بين إبليس ستراً و كان آدم عليه السلام شفيعاً له يوم القيامة.[٢]

الأعراف: من علّقها عليه، لم يقف بين يدي حاكم إلّا قضى له على خصمه.[٣]

[١] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * المص».

عن ابن صدقة قال: أتى رجل من بني أميّة ـ وكان زنديقاً ـ جعفر بن محمّد عليهما السلام فقال له: قول الله في كتابه: «المص» أيّ شيء أراد بهذا؟ و أيّ شيء فيه من الحلال و الحرام؟ و أيّ شيء فيه ممّا ينتفع به الناس؟ قال: فاغتاظ من ذلك فقال: أمسك! ويحك! الألف واحد. و اللّام ثلاثون. و الميم أربعون. والصاد تسعون. فهذا مائة و إحدى و ستّون. إذا انقضت سنة إحدى و ستّين و مائة، ينقضي ملك أصحابك. فلمّا انقضت و صار يوم عاشوراء، دخل

١ـ مجمع البيان ٤ / ٦٠٨. ٢ـ مصباح الكفعميّ / ٤٣٩.

٣ـ مصباح الكفعميّ / ٦٠٥. و قد ذكر هذا في المصدر لسورة الأنفال.

المسوّدة الكوفة و ذهب ملكهم.[١]

«المص». الذي اخترناه في تفسير المص: أنا الله أعلم و أفصل.[٢]

[٢] «كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَ ذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ».

«كتاب». خبر مبتدأ محذوف. أي: هو كتاب. و «أنزل عليك» صفة له. و المراد بالكتاب السورة. «حرج منه»؛ أي: شكّ منه. سمّى الشكّ حرجاً، لأنّ الشاكّ ضيّق الصدر حرجه. أي: لاتشكّ في أنّه منزل من الله. أو: حرج من تبليغه. لأنّه كان يخاف قومه و تكذيبهم له و إعراضهم عنه و أذاهم له و كان يضيق صدره من الأداء و لا ينبسط له. فآمنه الله و نهاه عن المبالاة بهم. «لتنذر». متعلّق بأنزل. أي: أنزل إليك لإنذارك به. أو بالنهي، لأنّه إذا لم يخفهم أنذرهم، و كذا إذا أيقن أنّه من عند الله، شجّعه اليقين على الإنذار. لأنّ صاحب اليقين جسور متوكّل على عصمة ربّه. و قوله: «ذكرى» يحتمل الحركات الثلاث؛ النصب بإضمار فعلها كأنّه قيل: لتنذر به و تذكّر تذكيراً. لأنّ الذكرى اسم بمعنى التذكير. و الرفع، عطفاً على كتاب أو بأنّه خبر مبتدأ محذوف. و الجرّ، للعطف على محلّ أن تنذر. أي: للإنذار و للذكرى.[٣]

«كتاب». خبر المص. و المراد به السورة أو القرآن. «فلايكن». الفاء في فلايكن يحتمل العطف و الجواب. كأنّه قيل: إذا أنزل إليك لتنذر، فلايحرج صدرك.[٤]

«و ذكرى للمؤمنين». أكثر العلماء على أنّه على التقديم و التأخير و تقديره: كتاب أنزل إليك لتنذر به و ذكرى للمؤمنين، فلايكن في صدرك حرج.[٥]

[٣] «اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَ لَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ».

١ـ معاني الأخبار / ٢٨، ح ٥.
٢ـ مجمع البيان ١ / ١١٢.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٨٥ ـ ٨٦.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٣١.
٥ـ مجمع البيان ٤ / ٦١١.

«أنزل إليكم» من القرآن و السنّة. «من دونه»؛ أي: من دون الله. أي: لاتتولّوا من دونه شياطين الإنس والجنّ فيحملوكم على عبادة الأوثان و البدع. و يجوز أن يكون الضمير في من دونه لما أنزل. أي: و لاتتّبعوا من دون دين الله دين أولياء. «قليلاً ما تذكّرون» حيث تتركون دين الله و تتّبعون غيره. و قليلاً نصب بتذكّرون. أي: تذكّرون تذكّراً قليلاً. و ما مزيدة لتوكيد القلّة.(١)

«قليلاً ما تذكّرون»؛ أي: زماناً قليلاً، حيث تتركون دين الله. ابن‌عامر: «يتذكّرون».(٢)

[٤] «وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتاً أَوْ هُمْ قَائِلُونَ».

«كم». هنا للتكثير.(٣)

«أهلكناها» بالخذلان.(٤)

«فجاءها»؛ أي: جاء أهلها. «بياتاً». مصدر واقع موقع الحال بمعنى بائتين. «هم قائلون». حال معطوفة على بياتاً بمعنى قائلين. و قوله: «أهلكناها»: أردنا إهلاكها. و إنّما خصّ وقت البيات و القيلولة بالعذاب، لأنّهما وقت الغفلة و الدعة و كون نزول العذاب فيهما أشدّ و أفظع. و قوم لوط أهلكوا وقت السحر، و قوم شعيب وقت القيلولة.(٥)

[٥] «فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ».

«فما كان دعواهم»: ما كانوا يدعونه من دينهم و ينتحلون من مذهبهم إلّا اعترافهم ببطلانه و فساده و قولهم: «إنّا كنّا ظالمين» فيما كنّا عليه. و يجوز: فما كان استغاثتهم إلّا قولهم هذا. لأنّه لا مستغاث من الله بغيره. و يجوز: فما كان دعاؤهم ربّهم إلّا اعترافهم؛ لعلمهم أنّ الدعاء لاينفع و أن لات حين [دعاء] فلايزيدون على ذمّ أنفسهم و تحسّرهم على ما كان

١ـ الكشّاف ٢ / ٨٦.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٣١.
٣ـ مجمع البيان ٤ / ٦١١.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٣١.
٥ـ الكشّاف ٢ / ٨٧ ـ ٨٨.

منهم. و دعواهم نصب لخبر كان، و أن قالوا اسم له. و يجوز العكس.[١]

[٦] «فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَ لَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ».

«أرسل إليهم». و المعنى في قوله: «و لايسأل عن ذنوبهم المجرمون»[٢] سؤال استعلام لا سؤال تقريع. أو الأوّل في موقف الحساب و هذا عند حصولهم على العقوبة.[٣]

و قوله: «و لايسأل عن ذنوبهم المجرمون» محمول على تعدّد مواقف القيامة فيسألون في أحدها و لايسألون في آخر.[٤]

«أرسل إليهم». و هم الأمم يسألهم عمّا أجابوا به رسلهم. كما قال: «يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم»[٥].[٦]

[٧] «فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَ مَا كُنَّا غَائِبِينَ».

«فلنقصّنّ عليهم»؛ أي: على الرسل و المرسل إليهم ما كان منهم. «بعلم»؛ أي: عالمين بأحوالهم الظاهرة و الباطنة. «و ما كنّا غائبين» عمّا وجد منهم. فإن قلت: إذا كان عالماً بذلك و كان يقصّه عليهم، فما معنى سؤالهم؟ قلت: معناه التوبيخ و التقريع و التقرير إذا فاهو به بألسنتهم شهد عليهم أنبياؤهم.[٧]

[٨] «وَ الْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ».

«و الوزن». يعني وزن الأعمال و التميز بين راجحها و خفيفها. و رفعه على الابتداء و خبره «يومئذ» و «الحقّ» صفته. أي: الوزن يوم يسأل الله الأمم و رسلهم الوزن الحقّ؛ أي: العدل. و اختلف في كيفيّة الوزن. فقيل: توزن صحف الأعمال بميزان له لسان و كفّتان ينظر

١ـ الكشّاف ٢ / ٨٨.
٢ـ القصص (٢٨) / ٧٨.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٣٢.
٤ـ مجمع البيان ٤ / ٦١٥.
٥ـ المائدة (٥) / ١٠٩.
٦ـ الكشّاف ٢ / ٨٨.
٧ـ الكشّاف ٢ / ٨٨.

إليه الخلائق، تأكيداً للحجّة و إظهاراً للنصفة و قطعاً للمعذرة، كما يسألهم عن أعمالهم فيعترفون بها بألسنتهم و تشهد عليهم جوارحهم و الأنبياء و الملائكة، و كما تثبت في صحائفهم فيقرؤونها في موقف الحساب. و قيل: هي عبارة عن القضاء السويّ و الحكم العدل. «فمن ثقلت موازينه». جمع ميزان أو موزون. أي: فمن رجحت أعماله الموزونة و هي الحسنات. أو ما يوزن به حسناتهم.(١)

«و الوزن». اختلفوا في الوزن. فقيل: تظهر للحسنات صورة حسنة، و للسيّئات صورة سيّئة. و قيل: يوزن نفس المؤمن و الكافر حتّى أنّه يؤتى بالرجل العظيم الجثّة فلايزن جناح بعوضة. و قيل: الوزن عبارة عن العدل في الآخرة. و هذا هو الأحسن.(٢)

عن أبي عبدالله عليه السلام في حديث طويل و فيه قال له السائل: أ و ليس توزن الأعمال؟ قال: لا، لأنّ الأعمال ليست بأجسام و إنّما هي صفة ما عملوا و إنّما يحتاج إلى وزن الشيء من جهل عدد الأشياء و لم يعرف ثقلها و خفّتها و إنّ الله لايخفى عليه شيء. قال: فما معناه في كتابه: «فمن ثقلت موازينه»؟ قال: فمن رجح عمله.(٣)

«و الوزن». قال: المجازاة؛ إن خيراً فخير، و إن شرّاً فشرّ.(٤)

«موازينه». جمعه باعتبار اختلاف الموزونات و تعدّد الوزن. جمع موزون أو ميزان.(٥)

[٩] «وَ مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ».

«بآياتنا يظلمون»؛ أي: يكذّبون بها ظلماً. كقوله: «فظلموا بها»(٦).(٧)

[١٠] «وَ لَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَ جَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ».

١ـ الكشّاف ٢ / ٨٨ ـ ٨٩.
٢ـ مجمع البيان ٤ / ٦١٦.
٣ـ الاحتجاج ٢ / ٩٨ ـ ٩٩.
٤ـ تفسير القمّيّ ١ / ٢٢٤.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٣٢.
٦ـ الأعراف (٧) / ١٠٣.
٧ـ الكشّاف ٢ / ٨٩.

«مكّنّاكم في الأرض»؛ أي: جعلنا لكم فيها مكاناً و قراراً و أقدرناكم على التصرّف فيها. «معايش». و هي ما يعاش به من المطاعم و غيرها.(١)

«معايش». نافع همّزه تشبيهاً بـ[ما الياء فيه زائدة كـ] ـصحائف.(٢)

[١١] «وَ لَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ».

«و لقد خلقناكم»؛ أي: خلقناكم من أصلاب الرجال و «صوّرناكم» في أرحام النساء.(٣)

«و لقد خلقناكم»؛ يعني: خلقنا أباكم آدم طيناً غير مصوّر ثمّ صوّرناه بعد ذلك. ألاترى إلى قوله: «ثمّ قلنا للملائكة»؟ «من الساجدين»: ممّن يسجد لآدم.(٤)

«و لقد خلقناكم ثمّ صوّرناكم»؛ أي: و لقد خلقنا آدم طيناً ثمّ صوّرناه. نزّل خلقه و تصويره منزلة خلق الكلّ و تصويره. قيل: «ثمّ قلنا» لتأخير الإخبار.(٥)

عن أبي جعفرعليه السلام في قوله: «و لقد خلقناكم»: أمّا خلقناكم، فنطفة ثمّ علقة ثمّ مضغة ثمّ عظماً ثمّ لحماً. و أمّا صوّرناكم، فالعين و الأنف و الأذنين و الفم و اليدين و الرجلين، صوّر هذا ثمّ جعل الدميم و الوسيم و الجسيم و الطويل و القصير و أشباه ذلك.(٦)

[١٢] «قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ».

«خلقتني من نار». تعليل لفضله عليه. و قد غلط حيث رأى الفضل كلّه باعتبار العنصر و غفل عمّا يكون باعتبار الفاعل كما أشار إليه بقوله: «ما منعك أن تسجد لما خلقت

١ـ الكشّاف ٢ / ٨٩.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٣٢.
٣ـ تفسير القمّيّ ١ / ٢٢٤.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٨٩.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٣٢.
٦ـ تفسير القمّيّ ١ / ٢٢٤.

بيديّ»[١]. أي [بغير واسطة]، و باعتبار الصورة، كما نبّه عليه بقوله: «و نفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين»[٢] و باعتبار الغاية و هو ملاكه. و لذلك أمر الملائكة بسجوده لمّا بيّن أنّه أعلم منهم و أنّ له خواصّاً ليست لغيره. و لعلّ [إضافة] خلق الإنسان إلى الطين و الشيطان إلى النار باعتبار الجزء الغالب.[٣]

«طين». لم يعلم أنّ منافع الطين أكثر. لأنّ الأرض مستقرّ الخلق و فيها معايشهم.[٤]

و لا في «أن لاتسجد» زائدة، بدليل قوله: «ما منعك أن تسجد لما خلقت بيديّ» و فائدتها توكيدَ معنى الفعل الذي تدخل عليه. و أمّا فائدة سؤاله مع علمه تعالى بالمانع له، فهو التوبيخ و إظهار معاندته و افتخاره بأصله و ازدرائه بأصل آدم.[٥]

دخل أبوحنيفة على أبي عبداللهعليه السلام فقال: يا أباحنيفة، لاتقس. فإنّ أوّل من قاس إبليس حين قال: «خلقتني من نار و خلقته من طين». فقاس ما بين النار و الطين. و لو قاس نوريّة آدم بنوريّة النار، عرف ما بين النورين و صفاء أحدهما على الآخر.[٦]

أقول: روي هذا المضمون بأسانيد متكثّرة و هو ناع على العمل بقياس الأولويّة لأنّه الذي قاس به الشيطان فغلط و كفر. و الأخبار النافية لمطلق القياس متكثّرة لمن تتبّعها.

[١٣] «قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ».

«تتكبّر». عن الصادقعليه السلام: الاستكبار أوّل معصية عصي الله بها. و لمّا قال الله لإبليس: «اخرج إنّك من الصاغرين» قال: يا ربّ و ثواب عملي؟ قال: سلني من أمر الدنيا ما شئت لعملك أعطك. فأوّل ما سأل البقاء إلى يوم الدين، فقال: قد أعطيتك. فقال: سلّطني على ولد آدم. قال: سلّطتك. قال: أجرني فيهم مجرى الدم في العروق. قال: قد أجريتك. قال: لايولد لهم واحد إلّا يولد لي اثنان و أراهم و لايروني و أتصوّر لهم في كلّ صورة شئت. قال: قد

١ـ ص (٣٨) / ٧٥.
٢ـ ص (٣٨) / ٧٢.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٣٣.
٤ـ مجمع البيان ٤ / ٦٢٠.
٥ـ الكشّاف ٢ / ٨٩.
٦ـ علل الشرائع / ٨٦، ح ١.

أعطيتك. قال: يا ربّ زدني. قال: قد جعلت لك و لولدك صدورهم أوطاناً. قال: يا ربّ حسبي. فقال إبليس عند ذلك: «لأغوينّهم أجمعين» ـ الآية. قال السائل: فقلت: جعلت فداك؛ بما استوجب إبليس أن أعطاه الله ما أعطاه؟ فقال: بشيء كان منه شكره الله عليه. و هو أنّه ركع في السماء ركعتين في أربعة آلاف سنة.(١)

«فاهبط منها». أقول: قد سبق في الأخبار أنّه عبد الله تلك العبادة [و] ما كان مطمح نظره و لا مقصوده إلّا عاجل الدنيا، و لو كان مطلوبه من العبادة وجه الله و الدار الآخرة، ما كان الله أن يخذله و يمنعه الألطاف.

«فاهبط منها»؛ أي: من السماء التي هي مكان المطيعين المتواضعين إلى الأرض التي هى مقرّ المتكبّرين. «فما يكون لك»: فما يصحّ لك. «من الصاغرين»: من أهل الصغار و الهوان على الله و على أوليائه.(٢)

«منها»: من السماء أو الجنّة.(٣)

[١٤] «قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ».

«قال أنظرني إلى يوم يبعثون». ورد في الأخبار أنّ المراد به القيامة الصغرى لأنّ صاحب الدار عليه السلام يرجمه إذا خرج.(٤)

[١٥] «قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ».

«من المنظرين». فإن قلت: لم أجيب إلى استنظاره و إنّما استنظر ليفسد عباده؟ قلت: لما في ذلك من ابتلاء العباد و في مخالفته من أعظم الثواب. و [حكمه] حكم ما خلق في الدنيا من صنوف الزخارف و أنواع الملاذّ و الملاهي و الشهوات ليمتحن بها عباده.(٥)

١ـ تفسير القمّيّ ١ / ٤٢.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٩٠.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٣٣.
٤ـ كنز الدقائق ٥ / ٤٩.
٥ـ الكشّاف ٢ / ٩١.

[١٦] «قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ».

«فبما». لعلّ الشيطان يعتقد أنّ الغواية من الله.(١)

«فبما أغويتني»: فبسبب إغوائك إيّاي. و هو تكليفه إيّاه ما وقع به في الغيّ و لم يثبت كما يثبت الملائكة. و المعنى: فبسبب وقوعي في الغيّ لأجتهدنّ في إغوائهم حتّى يفسدوا بسببي كما فسدت بسببهم. و الباء متعلّقة بفعل القسم المحذوف. أي: فبسبب إغوائك أقسم. و يجوز أن يكون الباء للقسم. أي: أقسم بإغوائك لأقعدنّ. و إنّما أقسم بالإغواء لأنّه كان تكليفاً و التكليف من أحسن أفعال الله لكونه تعريضاً لسعادة الأبد فكان جديراً بأن يقسم به.(٢)

«صراطك المستقيم». عن أبي عبدالله عليه السلام: هو ولاية عليّ عليه السلام.(٣)

«لأقعدنّ لهم»: لأعترضنّ لهم على طريق الإسلام كما يعترض العدوّ على الطريق ليقطعه على السابلة. و انتصابه على الظرف؛ كقوله: «كما عسل الطريق الثعلب». و عن رسول الله صلى الله عليه و آله: انّ الشيطان قعد لابن آدم بأطرقة. قعد له بطريق الإسلام فقال له: تدع دين آبائك؟ فعصاه فأسلم. ثمّ قعد له بطريق الهجرة فقال له: تدع ديارك و تتغرّب؟ فعصاه فهاجر. ثمّ قعد له بطريق الجهاد فقال: تقاتل فتقتل فيقسم مالك و تنكح امرأتك. فعصاه فقاتل.(٤)

«فبما أغويتني». كان الشيطان أشعريّ المذهب.

[١٧] «ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَ مِنْ خَلْفِهِمْ وَ عَنْ أَيْمَانِهِمْ وَ عَنْ شَمَائِلِهِمْ وَ لَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ».

روي عن أبي جعفر عليه السلام قال: «لآتينّهم من بين أيديهم»: أهوّن عليهم الآخرة. «و من خلفهم»: آمرهم بجمع الأموال و البخل بها عن الحقوق لتبقى لورثتهم. «و عن أيمانهم»: أفسد عليهم أمر دينهم بتزيين الضلالة و تحسين الشبهة. «و عن شمائلهم» بتحبيب اللّذّات و

١ـ مجمع البيان ٤ / ٦٢٢.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٩١ ـ ٩٢.
٣ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٩، ح ٦.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٩٢ ـ ٩٣.

تغليب الشهوات على قلوبهم.[١]

«من بين أيديهم»: أي: من جميع الجهات. مثّل قصده إيّاهم بالتسويل و الإضلال من أيّ جهة يمكنه بإتيان العدوّ من الجهات الأربع. و لذلك لم يقل: من فوقهم و من تحتهم. و قيل: لم يقل: من فوقهم، لأنّ الرحمة تنزل منه. و لم يقل: من تحتهم، لأنّ الإتيان منه يوحش [الناس]. و يحتمل أن يقال: من بين أيديهم من حيث يعلمون و يقدرون التحرّز عنه. و من خلفهم من حيث لايعلمون و لايقدرون. و عن أيمانهم و عن شمائلهم من حيث يتيسّر لهم أن يعلموا أو يتحرّزوا ولكن لم يفعلوا لعدم تيقّظهم و احتياطهم. و إنّما عدّى الفعل إلى الأوّلين بحرف الابتداء لأنّه [موجّه إليهم، و إلى الأخيرين بحرف المجاوزة فإنّ الآتي] منهما كالمنحرف عنهم المارّ على عرضهم. و نظيره قولهم: جلست عن يمينه.[٢]

«شاكرين». قال أبوجعفر عليه السلام: يا زرارة، إنّما عمد لك و لأصحابك. فأمّا الآخرون فقد فرغ منهم.[٣]

«شاكرين»: مطيعين. و إنّما قاله ظنّاً؛ لقوله: «و لقد صدّق عليهم إبليس ظنّه»[٤] لمّا رأى فيهم مبدأ الشرّ متعدّداً و مبدأ الخير واحداً. و قيل: سمعه من الملائكة.[٥]

[١٨] «قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْؤُوماً مَدْحُوراً لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ».

«مذؤوماً»: أي: مذموماً. من ذأمه، إذا ذمّه. «مدحوراً»: مطروداً. «لمن تبعك». اللّام لتوطئة القسم. و جوابه: «لأملأنّ جهنّم». و هو سادّ مسدّ جواب الشرط. و معنى «منكم» منك و منهم فغلب المخاطب.[٦]

١ـ مجمع البيان ٤ / ٦٢٣.

٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٣٣ ـ ٣٣٤.

٣ـ الكافي ٨ / ١٤٥، ح ١١٨.

٤ـ سبأ (٣٤) / ٢٠.

٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٣٤.

٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٣٤.

[١٩] «وَ يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَ لَا تَقْرَبَا هٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ».

سئل الصادق عليه السلام عن جنّة آدم أ من جنان الدنيا كانت أم من جنان الآخرة، فقال: كانت جنّة من جنان الدنيا تطلع فيها الشمس و القمر. و لو كانت من جنان الآخرة، ما خرج منها أبداً.[١]

«و يا آدم»؛ أي: قلنا: يا آدم. «الشجرة». قيل: كانت السنبلة أو الكرم أو غيرهما. و إنّ اللّباس كان نوراً أو حلّة. «فتكونا»: فتصيرا من الذين ظلموا أنفسهم. و تكونا يحتمل الجزم على العطف و النصب على الجواب.[٢]

عن أبي عبدالله عليه السلام: لمّا أسكن الله آدم و زوجته الجنّة، نهاهما عن شجرة الحنطة. فنظر إلى منزلة محمّد و عليّ و أهل بيته عليهم السلام فقال: ربّنا لمن هذه المنزلة؟ فقال الله: ارفعا رؤوسكما. فوجدا أسماء مكتوبة على ساق العرش بنور من نور الجبّار. فقالا: يا ربّنا، ما أشرفهم لديك! فقال: لولاهم ما خلقتكما. هؤلاء خزنة علمي و أمنائي على سرّي. إيّاكما أن تنظرا إليهم بعين الحسد و تتمنّيا منزلتهم عندي فتدخلا بذلك في نهيي و عصياني فتكونا من الظالمين المدّعين منزلتهم بغير حقّ و أهبطكما عن جواري. فوسوس لهما الشيطان و حملهما على تمنّي منزلتهم، فنظرا إليهم بعين الحسد. فخذلا حتّى أكلا من شجرة الحنطة.[٣]

[٢٠] «فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَ قَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ».

«فوسوس»؛ أي: فعل الوسوسة لأجلهما. و هو في الأصل الصوت الضعيف الخفيّ. «ليبدي لهما»: ليظهر لهما. و اللّام للعاقبة، أو للغرض، على أنّه أراد أيضاً بوسوسته أن

١ـ تفسير القمّيّ ١ / ٤٣.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٣٤ ـ ٣٣٥.
٣ـ معاني الأخبار / ١٠٩ ـ ١١٠، ح ١.

يسوأهما بانكشاف العورة. و لذلك عبّر عنها بالسوأة. و فيه دليل على أنّ كشف العورة في الخلوة و عند الزوج من غير حاجة قبيح مستهجن في الطباع. «ووري عنهما»؛ أي: غطّي عنهما من عوراتهما. و كانا لا يريانها من أنفسهما و لا أحدهما من الآخر. «إلّا أن تكونا»: إلّا كراهة أن تكونا. «من الخالدين»: الذين لايموتون أو يخلدون في الجنّة. و استدلّ به على فضل الملائكة على الأنبياء. و جوابه: انّه كان من المعلوم أنّ الحقائق لاتنقلب و أنّها كانت رغبتهما في أن يحصل لهما أيضاً ما للملائكة من الكمالات الفطريّة و الاستغناء من الأطعمة و الأشربة. و ذلك لايدلّ على فضلهم مطلقاً.[١]

قال المأمون للرضا عليه السلام: ما معنى قول الله: «و عصى آدم ربّه فغوى»[٢]؟ فقال عليه السلام: إنّ الله أسكنه و زوجته الجنّة و قال لهما: «لاتقربا هذه الشجرة». يعني الحنطة. و لم يقل: و لا تأكلا من هذه الشجرة و لا ما كان جنسها. فلم يقربا تلك الشجرة و إنّما أكلا من غيرها لمّا أن وسوس الشيطان إليهما و قال: ما نهاكما ربّكما عن هذه الشجرة. و إنّما نهاكما أن تأكلا من غيرها. و أقسم لهما. و لم يكن آدم و حوّاء شاهدا قبل ذلك من يحلف بالله كاذباً. «فدلّاهما بغرور» [فأكلا منها] ثقة بيمينه. و كان ذلك من آدم قبل النبوّة. و لم يكن ذلك بذنب كبير استحقّ به دخول النار. و إنّما كان من الصغائر الموهوبة التي تجوز على الأنبياء قبل نزول الوحي عليهم. فلمّا اجتباه الله و جعله نبيّاً، كان معصوماً لايذنب صغيرة و لا كبيرة. قال الله: «عصى آدم ربّه فغوى * ثمّ اجتباه ربّه فتاب عليه». و قال: «إنّ الله اصطفى آدم و نوحاً»[٣].[٤]

وسوس له: أوهمه النصيحة له في ذلك. يحتمل أن يكون المراد بقوله: «إلّا أن تكونا ملكين» أنّ المنهيّ عن تناول الشجرة الملائكة خاصّة و الخالدين دونهما. فيكون كما يقول أحدنا لغيره: مانهيتك عن هذا إلّا أن تكون فلاناً، و إنّما يريد أنّ المنهيّ إنّما هو فلان دونك. و

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٣٤.
٢ـ طه (٢٠) / ١٢١.
٣ـ آل عمران (٣) / ٣٣.
٤ـ عيون الأخبار ١ / ١٩٥ ـ ١٩٦، ح ١.

هذا المعنى أوكد في الشبهة و اللّبس عليهما. ذكره المرتضى ﷺ.(١)

«من سوآتهما». يوجب أن يكون إبليس علم أنّ من أكل من هذه الشجرة بدت عورته و أنّ من بدت عورته لايترك في الجنّة فاحتال في إخراجهما منها بالوسوسة.(٢)

[٢١] «وَ قَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ».

«و قاسمهما»؛ أي: أقسم لهما على ذلك. أخرجه على زنة المفاعة للمبالغة. و قيل: أقسما له بالقبول. و قيل: أقسما عليه بالله أنّه لمن الناصحين فأقسم لهما، فجعل ذلك مقاسمة.(٣)

عن أبي عبدالله عليه السلام: انّ موسى سأل ربّه أن يجمع بينه و بين آدم، ففعل. فقال له موسى: يا آدم، أنت الذي خلقك الله بيده و نفخ فيك من روحه و أسجد لك ملائكته و أسكنك جواره و كلّمك قبلاً، ثمّ نهاك عن شجرة واحدة فلم تصبر عنها حتّى أهبطت إلى الأرض بسببها فلم تستطع أن تضبط نفسك عنها حتّى أغراك إبليس فأطعته. فأنت الذي أخرجتنا من الجنّة بمعصيتك. فقال له: ارفق بأبيك يا بنيّ. إنّ عدوّي أتاني من وجه المكر و الخديعة فحلف لي بالله أنّه لمن الناصحين. و ذلك أنّه قال منتصحاً: إنّي لشأنك يا آدم لمغموم. قلت: و كيف؟ قال: قد كنت آنس بك و بقربك منّي و أنت تخرج ممّا أنت فيه إلى ما أستكرهه. فقلت: و ما الحيلة؟ فقال: إنّ الحيلة هو ذا معك. أفلا أدلّك على شجرة الخلد و ملك لايبلى. فكلا منها أنت و زوجك فتصيرا معي في الجنّة أبداً من الخالدين. و حلف لي بالله كاذباً أنّه لمن الناصحين. و لم أظنّ يا موسى أنّ أحداً يحلف بالله كاذباً فوثقت بيمينه. فهذا عذري. فأخبرني يا بنيّ هل تجد فيما أنزل الله إليك أنّ خطيئتي كائنة من قبل أن أخلق؟ قال له موسى: بدهر طويل. قال رسول الله ﷺ: فحجّ آدم موسى. قالها ثلاثاً.(٤)

[٢٢] «فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَ طَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا

١ـ مجمع البيان ٤ / ٦٢٦ ـ ٦٢٧.

٢ـ مجمع البيان ٤ / ٦٢٦.

٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٣٤.

٤ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ١٠، ح ١٠.

مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَ نَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَ لَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَ أَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ».

«فدلّاهما»: فنزّلهما إلى الأكل من الشجرة. نبّه به على أنّه أهبطهما بذلك من درجة عالية إلى رتبة سافلة. فإنّ التدلية و الإدلاء إرسال الشيء من أعلى إلى أسفل. «بغرور»: بما غرّهما من القسم. فإنّهما ظنّا أنّ أحداً لا يحلف بالله كاذباً. أو: متلبّسين بغرور. «فلمّا ذاقا الشجرة»؛ أي: فلمّا وجدا طعمها آخذين في الأكل منها، أخذتهما العقوبة و شؤم المعصية فتهافت عنهما لباسهما. «بدت لهما سوآتهما»: ظهرت لهما عوراتهما. «و طفقا يخصفان عليهما من ورق الجنّة»؛ أي: أخذا يرقعان و يلزقان ورقة فوق ورقة. قيل: كان ورق التين. «ألم أنهكما». عتاب على مخالفة النهي و الاغترار بقول العدوّ. و فيه دليل على أنّ مطلق النهي للتحريم.[١]

[٢٣] «قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَ إِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَ تَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ».

«ظلمنا» بارتكاب المعصية.[٢]

«ظلمنا أنفسنا»؛ أي: بخسناها الثوب بترك المندوب إليه. و الظلم هو النقص. و من ذهب أنّهما فعلا صغيرة، فإنّه يحمل الظلم على تنقيص الثواب إذا كانت الصغيرة عنده تنقص من ثواب الطاعات. إذ لا خلاف أنّ آدم و حوّاء لم يستحقّا العقاب. و قيل: معناه: ظلمنا أنفسنا بالنزول إلى الأرض و مفارقة العيش الرغيد.[٣]

«و إن لم تغفر لنا». دليل على أنّ الصغائر يعاقب عليها إن لم تغفر. و قالت المعتزلة: لا يجوز المعاقبة عليها مع اجتناب الكبائر. و لذلك قالوا: إنّما قال ذلك على عادة المقرّبين في استعظام الصغير من السيّئات و استحقار العظيم من الحسنات.[٤]

[٢٤] «قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَ مَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ».

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٣٤ ـ ٣٣٥.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٣٥.
٣ـ مجمع البيان ٤ / ٦٢٩.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٣٥.

«قال اهبطوا». خطاب لآدم و حوّاء و ذرّيّتهما، أو لهما و لإبليس. كرّر الأمر له تبعاً ليعلم أنّهم قرناء أبداً، أو أخبر عمّا قال لهم متفرّقاً.[١]

عبدالله بن سنان قال: سئل الصادق عليه السلام و أنا حاضر: كم لبث آدم و زوجته في الجنّة حتّى خرجا منها؟ فقال: إنّ الله نفخ في آدم روحه بعد زوال الشمس يوم الجمعة، ثمّ برأ زوجته من أسفل أضلاعه، ثمّ أسجد له ملائكته و أسكنه جنّته من يومه ذلك. فو الله ما استقرّ فيها إلّا ستّ ساعات في يومه ذلك حتّى عصى الله فأخرجهما منها بعد غروب الشمس و ما باتا فيها و صيّرا بفناء الجنّة حتّى أصبحا فبدت لهما سوآتهما. فقال الله لهما: اهبطا من سمواتي إلي الأرض. فإنّه لايجاورني في جنّتي عاص و لا في سمواتي.[٢]

«بعضكم لبعض عدوّ». في موضع الحال. أي: متعادين. «مستقرّ»: استقرار. أو: موضع استقرار. «و متاع»: تمتّع. «إلى حين» إلى حين انقضاء آجالكم.[٣]

[٢٥] «قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَ فِيهَا تَمُوتُونَ وَ مِنْهَا تُخْرَجُونَ».

«تخرجون» للجزاء.[٤]

«فيها»: أي: في الأرض. «تخرجون». غير عاصم بضمّ التاء.[٥]

[٢٦] «يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَ رِيشاً وَ لِبَاسُ التَّقْوىٰ ذٰلِكَ خَيْرٌ ذٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ».

«قد أنزلنا»: أي: خلقناه لكم بتدبيرات سماويّة و أسباب نازلة. و نظيره قوله: «و أنزل لكم من الأنعام»[٦] و قوله: «و أنزلنا الحديد»[٧].[٨]

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٣٥.
٢ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ١٠ ـ ١١، ح ١١.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٣٥.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٣٥.
٥ـ مجمع البيان ٤ / ٦٢٨ ـ ٦٢٩.
٦ـ الزمر (٣٩) / ٦.
٧ـ الحديد (٥٧) / ٢٥.
٨ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٣٥.

«و لباس التقوى»: الثياب البياض.(١)

عن أبي جعفرعليه السلام: أمّا اللّباس، فالثياب التي تلبسون. و أمّا الريش، فالمتاع و المال. و أمّا لباس التقوى، فالعفاف. فإنّ العفيف لاتبدو له عورة و إن كان عارياً من الثياب، و الفاجر بادي العورة و إن كان كاسياً من الثياب. يقول الله: «و لباس التقوى ذلك خير». يقول: العفاف خير.(٢)

«ريشاً». مستعار من ريش الطائر. «ذلك»؛ أي: لباس التقوى. أو: ما يواري. لأنّه خير من لباس الزينة.(٣)

«سوآتكم» التي قصد الشيطان إبداءها و يغنيكم عن خصف الورق. روي أنّ العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة و يقولون: لانطوف في ثياب عصينا الله فيها، فنزلت. و لعلّه ذكر قصّة آدم مقدّمة لذلك حتّى يعلم أنّ انكشاف العورة أوّل سوء أصاب الإنسان من الشيطان و أنّه أغواهم كما أغوى أبويهم. «و ريشاً»: لباس التجمّل والمال. «و لباس التقوى»؛ أي: خشية الله. و قيل: الايمان. و قيل: السمت الحسن. و قيل: لباس الحرب. و رفعه على الابتداء و خبره «ذلك خير». و قرأ نافع و ابن‌عامر: «و لباسَ» بالنصب، عطفاً على لباساً. «ذلك»؛ أي: إنزال اللّباس «من آيات الله» الدالّة على فضله و رحمته. «يذّكّرون» فيعرفون نعمته أو يتّعظون فيتورّعون عن القبائح.(٤)

[٢٧] «يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَ قَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ».

«لايفتننّكم الشيطان» بأن يمنعكم دخول الجنّة بإغوائكم كما محن أبويكم بأن أخرجهما

١ـ تفسير القمّيّ ١ / ٢٢٥.
٢ـ تفسير القمّيّ ١ / ٢٢٥ ـ ٢٢٦.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٩٧.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٣٥.

من الجنّة. «ينزع عنهما». حال من أبويكم أو من فاعل أخرج. و إسناد النزع إليه للتسبيب. «من حيث لاترونهم». تعليل للنهي و تأكيد للتحذير من فتنته. «و قبيله»: جنوده. و رؤيتهم إيّانا من حيث لانراهم في الجملة لايقتضي امتناع رؤيتهم و تمثيلهم لنا. «أولياء» بإرسالهم عليهم و تمكينهم من خذلانهم.(١)

«إنّهم يراكم هو و قبيله». فيه دليل أنّ الجنّ لايرون و لايظهرون للإنس و أنّ إظهارهم أنفسهم ليس في استطاعتهم و أنّ زعم من يدّعي رؤيتهم زور و كذب.(٢)

عن العالم عليه السلام فيما طلب الشيطان من الله أنّه قال: و لايولد لهم واحد إلّا ولد لي اثنان و أراهم و لايروني و أتصوّر لهم في كلّ صورة شئت. فقال: قد أعطيتك.(٣) و إنّما لايراهم البشر لأنّ أجسامهم شفّافة لطيفة تحتاج في رؤيتها إلى فضل شعاع. و من ثمّ كانت الأنبياء و الأوصياء تراهم. و ذهب طائفة من العامّة و الخاصّة ـ منهم الشيخان ـ إلى أنّ الجنّ و الشياطين قادران على التكيّف بما يصحّ رؤيتها لنا. و هذا هو الأصحّ و الواقع.

[٢٨] «وَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَ اللهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ».

«و إذا فعلوا». الذين عبدوا الأصنام.(٤)

«و إذا فعلوا» ـ الآية. عن الصادق عليه السلام أنّه قال لمحمّد بن منصور: هل رأيت أحداً زعم أنّ الله أمر بالزنى و شرب الخمر وشيء من هذه المحارم؟ فقال: لا. فقال: إنّ هذا في أئمّة الجور ادّعوا أنّ الله أمرهم بالائتمام بهم و بأقوالهم فردّ الله ذلك عليهم و سمّى ذلك فاحشة.(٥)

«و إذا فعلوا فاحشة». الفاحشة ما تبالغ في قبحه من الذنوب. أي: إذا فعلوها اعتذروا بأنّ آباءهم كانوا يفعلونها فاقتدوا بهم و بأنّ الله أمرهم بأن يفعلوها. و كلاهما باطل. لأنّ

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٣٦.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٩٨.
٣ـ تفسير القمّيّ ١ / ٤٢.
٤ـ تفسير القمّيّ ١ / ٢٢٦.
٥ـ الكافي ١ / ٣٧٣، ح ٩.

أحدهما تقليد لايفيد العلم، و الثاني افتراء على الله و إلحاد في صفاته. كانوا يقولون: لو كره الله منّا ما نفعله، لنقلنا عنه. و في الأثر أنّ الله بعث محمّداً ﷺ إلى العرب و هم قدريّة مجبّرة يحملون ذنوبهم على الله. و تصديقه قول الله عزّ وجلّ: «و إذا فعلوا فاحشة». ـ الآية. و قيل: المراد بالفاحشة طوافهم بالبيت عرياناً.(١)

«و الله أمرنا»: إنّ الله أمر آباءنا بها.(٢)

[٢٩] «قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَ أَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَ ادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ».

«عند كلّ مسجد» حضرتكم الصلاة و لاتؤخّروها حتّى تعودوا إلى مساجدكم. «كما بدأكم»؛ أي: كما بدأكم من التراب تعودون إليه.(٣)

«بالقسط»؛ أي: بالعدل و بما قام في النفوس أنّه مستقيم حسن عند كلّ مميّز. [«و أقيموا وجوهكم»: و قل: أقيموا وجوهكم؛ أي: اقصدوا عبادته مستقيمين إليها غير عادلين] عنها إلى غيرها. «عند كلّ مسجد»: في وقت كلّ سجود. أو: في كلّ مكان سجود. و هو الصلاة. «كما بدأكم تعودون»؛ أي: كما أنشأكم ابتداء يعيدكم. احتجّ عليهم في إنكارهم الإعادة بابتداء الخلق. و المعنى: أنّه يعيدكم فيجازيكم على أعمالكم، فأخلصوا له العبادة.(٤)

«و أقيموا». عطف على «لايفتننّكم»؛ أي: احذروا الشيطان و أقيموا. «و أقيموا وجوهكم عند كلّ مسجد»؛ أي: أخلصوا وجوهكم لله في الطاعة فلاتشركوا به غيره. «كما بدأكم». وجه اتّصاله بما قبله أنّ معناه: و ادعوه مخلصين؛ فإنّكم مبعوثون و مجازون. و إن بعد ذلك في عقولكم، فاعتبروا بالابتداء و اعلموا أنّه كما بدأكم في الخلق الأوّل فإنّه يبعثكم.

١ـ الكشّاف ٢ / ٩٩.
٢ـ مجمع البيان ٤ / ٦٣٣.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٣٦.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٩٩.

عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: تحشرون يوم القيامة عراة حفاة غرلاً. «كما بدأنا أوّل خلق نعيده»[١].[٢]

«و أقيموا وجوهكم عند كلّ مسجد». عن أبي عبدالله عليه السلام: عند كلّ إمام.[٣] و في حديث آخر عنه عليه السلام: «هذه القبلة»[٤] أيضاً. و في حديث ثالث: أمروا أن يقيموا وجوههم شطر المسجد الحرام.[٥]

«تعودون». عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: «كما بدأكم تعودون» قال: خلقهم حين خلقهم مؤمناً و كافراً و شقيّاً و سعيداً. و كذلك يعودون يوم القيامة مهتد و ضالّ.[٦]

«كما بدأكم تعودون». من خلقه شقيّاً يوم خلقه، كذلك يعود إليه. و من خلقه سعيداً يوم خلقه، كذلك يعود سعيداً. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الشقيّ شقيّ في بطن أمّه. و السعيد سعيد في بطن أمّه.[٧]

[٣٠] «فَرِيقاً هَدىٰ وَ فَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللهِ وَ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ».

«فريقاً هدى». و هم الذين وفّقهم للإيمان. «عليهم الضلالة»؛ أي: كلمة الضلالة و علم الله أنّهم لايهتدون. و انتصاب قوله: «و فريقاً» بفعل يفسّره ما بعده. كأنّه قيل: و خذل فريقاً حقّ عليهم. «إنّهم»؛ أي: الذين حقّ عليهم الضلالة تولّوا الشياطين بالطاعة. و هذا على أنّ علم الله لا أثر له في ضلالتهم و أنّهم فعلوا باختيارهم و تولّيهم الشياطين.[٨]

«إنّهم اتّخذوا». تعليل لخذلانهم، أو تحقيق لضلالتهم.[٩]

«إنّهم اتّخذوا الشياطين». قال: هم القدريّة الذين يقولون لا قدر و يزعمون أنّهم

١ـ الأنبياء (٢١) / ١٠٤.
٢ـ مجمع البيان ٤ / ٦٣٥.
٣ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ١٢، ح ١٨.
٤ـ التهذيب ٢ / ٤٣، ح ١٣٤.
٥ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ١٢، ح ١٩، و التهذيب ٢ / ٤٣، ح ١٣٦.
٦ـ تفسير القمّيّ ١ / ٢٢٦.
٧ـ تفسير القمّيّ ١ / ٢٢٧.
٨ـ الكشّاف ٢ / ١٠٠.
٩ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٣٦.

قادرون على الهدى و الضلال و ذلك إليهم إن شاؤوا اهتدوا و إن شاؤوا ضلّوا. و هم مجوس هذه الأمّة. و كذّبوا أعداء الله المشيّة و القدرة لله.[١]

«الشياطين». عن أبي جعفر عليه السلام: يعني أئمّة الجور.[٢]

[٣١] «يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَ كُلُوا وَ اشْرَبُوا وَ لَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ».

«خذوا زينتكم»؛ أي: لباس زينتكم كلّما صلّيتم أو طفتم. و كانوا يطوفون عراة لأنّهم كانوا يقولون: لانعبد الله في ثياب أذنبنا فيها. و قيل: تفاؤلاً ليتعرّوا من الذنوب كما تعرّوا من الثياب. و كان بنوعامر في أيّام حجّهم لايأكلون الطعام إلّا قوتاً و لا يأكلون دسماً، يعظّمون بذلك حجّهم. فقال المسلمون: فإنّا أحقّ أن نفعل. فقيل لهم: «كلوا و اشربوا و لاتسرفوا».[٣]

«خذوا زينتكم». عن الرضا عليه السلام: هي الثياب عند كلّ صلاة. لأنّ الله جميل يحبّ الجمال.[٤]

و عن أبي عبدالله عليه السلام «خذوا زينتكم» قال: تمشّطوا عند كلّ فريضة ونافلة. فإنّ التمشّط يجلب الرزق و يحسّن الشعر و ينجز الحاجة و يزيد في ماء الصلب و يقطع البلغم. و كان رسول الله صلى الله عليه و آله ليسرّح تحت لحيته أربعين مرّة و من فوقها سبع مرّات و يقول: إنّه يزيد في الذهن.[٥]

عن الصادق عليه السلام و قد سأله طبيب نصرانيّ: أ في كتاب ربّكم و سنّة نبيّكم شيء من الطبّ؟ فقال عليه السلام: أمّا في كتاب الله، فقوله عزّ و جلّ: «كلوا و اشربوا و لاتسرفوا». و أمّا السنّة، فقوله صلى الله عليه و آله: الحمية رأس كلّ دواء. و الإسراف في الأكل أصل كلّ داء. فقال الطبيب: ماترك كتاب ربّكم و لا سنّة نبيّكم شيئاً من الطبّ لجالينوس.[٦]

١ـ تفسير القمّيّ ١ / ٢٢٦ ـ ٢٢٧.
٢ـ علل الشرائع / ٦٠، ح ٨١.
٣ـ الكشّاف ٢ / ١٠٠.
٤ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ١٢، ح ٢١ و ص ١٤، ح ٢٩.
٥ـ الخصال / ٢٦٨، ح ٣.
٦ـ مجمع البيان ٤ / ٦٣٨.

«كلّ مسجد». عن أبي عبدالله عليه السلام: يعني الائمّة عليهم السلام.[١]

«و لاتسرفوا» بتحريم الحلال، أو بالتعدّي إلى الحرام، أو بإفراط الطعام و الشره عليه.[٢]

[٣٢] «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَ الطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ».

هذه الآية ناعية على المتصوّفة و المتزهّدة الذين يأمرون متابعيهم من بهائم الناس بلبس الخشن و أكل الجشب لكن في الملأ و أمّا في الخلأ فيأكلون ما يريدون و يلبسون ما يتنعّمون. و مقالة السفيان الثوريّ و عبّاد البصريّ مع الصادق عليه السلام مذكورة تفصيلاً في كتاب الكافي.[٣] فليطالعها من أراد الاطّلاع على أحوالهم.

«قل من حرّم» ـ الآية. فيه دليل على أنّ الأصل في المطاعم و الملابس الإباحة.[٤]

«قل من حرّم زينة الله» من الثياب و من كلّ ما يتجمّل به. «و الطيّبات»: المستلذّات من المآكل و المشارب. و معنى الاستفهام إنكار تحريم هذه الأشياء. و قيل: كانوا إذا أحرموا، حرّموا الشاة و ما يخرج منها من لحمها و شحمها و لبنها. «يوم القيامة». أمّا في الدنيا فالكفّار يشاركونهم فيها.[٥]

«خالصة»؛ أي: خالصة يوم القيامة من الهموم و الأحزان. و أمّا في الدنيا فغير خالصة منها.[٦]

«خالصة». بالرفع، على أنّه خبر لقوله: «هي» أو خبر بعد خبر و الخبر الأوّل «للّذين آمنوا». من باب: هذا حلو حامض. و أمّا النصب، فعلى أنّه حال من قوله: «للّذين آمنوا».[٧]

١ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ١٣، ح ٢٢.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٣٧.
٣ـ الكافي ٦ / ٤٤٢ ـ ٤٤٣، ح ٨.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٣٧.
٥ـ الكشّاف ٢ / ١٠١.
٦ـ مجمع البيان ٤ / ٦٣٨.
٧ـ مجمع البيان ٤ / ٦٣٦.

[۳۳] «قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَ مَا بَطَنَ وَ الْإِثْمَ وَ الْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَ أَنْ تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَ أَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ».

محمّد بن منصور قال: سألت أباعبدالله عليه السلام عن قول الله عزّ و جلّ: «إنّما حرّم ربّي الفواحش ما ظهر منها و ما بطن». فقال: إنّ القرآن له بطن و ظهر. فجميع ما حرّم القرآن من ذلك أئمّة الجور. و جميع ما أحلّ أئمّة الحقّ.(۱)

«ما ظهر منها وما بطن». عن أبي الحسن عليه السلام: «ما ظهر منها» الزنى المعلن و نصب الرايات التي كانت ترفعها الفواجر للفواحش في الجاهليّة. «و ما بطن» يعني نكاح ما نكح من الآباء. لأنّ الناس كانوا قبل أن يبعث رسول الله صلى الله عليه وآله إذا كان للرجل زوجة مات عنها تزوّجها ابنه من بعده إذا لم تكن أمّه، فحرّم الله ذلك. و أمّا «الإثم» فإنّها الخمر بعينها؛ لقوله تعالى: «يسألونك عن الخمر و الميسر قل فيها إثم كبير».(۲) فأمّا الإثم في كتاب الله فهي الخمر و الميسر.(۳)

«الفواحش»: ماتفاحش قحبه؛ أي: تزايد. و قيل: هي ما يتعلّق بالفروج. «الإثم»: كلّ ذنب. «و البغي»: الظلم و الكبر. «ما لم ينزّل به سلطاناً». فيه تهكّم. لأنّه لايجوز أن ينزّل برهاناً بأن يشرك به غيره.(٤)

[۳٤] «وَ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَ لَا يَسْتَقْدِمُونَ».

«و لكلّ أمّة أجل». وعيد لأهل مكّة بالعذاب النازل في أجل معلوم عند الله كما نزل بالأمم. و قال: «ساعة» لأنّها أقلّ الأوقات في استعجال العذاب.(٥)

«جاء»؛ أي: قرب. «أجلهم». قيل: الأجل العمر الذي هو مدّة الحياة.(٦)

۱ـ الكافي ۱ / ۳۷٤، ح ۱۰.
۲ـ البقرة (۲) / ۲۱۹.
۳ـ الكافي ٦ / ٤۰٦، ح ۱.
٤ـ الكشّاف ۲ / ۱۰۱.
٥ـ الكشّاف ۲ / ۱۰۱.
٦ـ مجمع البيان ٤ / ٦٤۱.

عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى: «ثمّ قضى أجلاً و أجل مسمًّى»[١] قال: الأجل الذي غير المسمّى موقوف يقدّم منه ما يشاء و يؤخّر منه يشاء. و أمّا الأجل المسمّى، فهو الذي ينزل في ليلة القدر إلى مثلها من قابل. فذلك قوله تعالى: «لايستأخرون عنه ساعة و لايستقدمون». و في خبر آخر عنه عليه السلام: المسمّى ما سمّي لملك الموت في تلك اللّيلة. و هو الذي قال الله: «إذا جاء» ـ الآية.[٢]

[٣٥] «يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقىٰ وَ أَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ».

«إمّا يأتينّكم». هي إن الشرطيّة ضمّت إليها ما مؤكّدة لمعنى الشرط، و أمّا جزاء الشرط فهو الفاء و ما بعده من الشرط و الجزاء. و المعنى: فمن اتّقى و أصلح منكم.[٣]

«اتّقى» التكذيب. «و أصلح» عمله.[٤]

[٣٦] «وَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَ اسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ».

«و الذين كذّبوا» منكم.[٥]

[٣٧] «فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرىٰ عَلَى اللهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَ شَهِدُوا عَلىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ».

«من الكتاب». قيل: الكتاب اللّوح. أي: ممّا أثبت لهم فيه.[٦]

«من الكتاب»؛ أي: من العذاب. كنّي عنه بالكتاب لأنّ الكتاب ورد [به]. كقوله:

١ـ الأنعام (٦) / ٢.

٢ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٣٥٤، ح ٥ و ٦.

٣ـ الكشّاف ٢ / ١٠٢.

٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٣٧.

٥ـ الكشّاف ٢ / ١٠٢.

٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٣٨.

«حقّت كلمة العذاب على الكافرين».[١] و قيل: ينالهم جميع ما كتب لهم و عليهم حتّى إذا جاءتهم الملائكة لحشرهم يتوفّونهم إلى النار يوم القيامة. «أينما كنتم». توبيخ لهم. أي: هلّا دفعوا عنكم ما نزل بكم من العذاب؟ «و شهدوا»؛ أي: أقرّوا.[٢]

«أظلم»؛ أي: أشنع ظلماً. «من الكتاب»؛ أي: ما كتب لهم من الأرزاق و الأعمار. «حتّى إذا جاءتهم». حتّى غاية لنيلهم نصيبهم و استيفائهم له. [أي:] إلى وقت وفاتهم. و هي حتّى التي يبتدأ بعدها الكلام، و الكلام هنا الجملة الشرطيّة. و «يتوفّونهم» حال من الرسل؛ أي: متوفّيهم. و الرسل ملك الموت و أعوانه. و «ما» وقعت موصولة بأين في خطّ المصحف و كان حقّها أن تفصل لأنّها موصولة بمعنى: أين الآلهة التي تدعون؟ «ضلّوا عنّا»؛ أي: غابوا عنّا فلانراهم و لاننتفع بهم، اعترافاً منهم بأنّهم لم يكونوا على شيء فيما كانوا عليه و أنّهم لم يحمدوه في العاقبة.[٣]

[٣٨] «قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعاً قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَ لٰكِنْ لَا تَعْلَمُونَ».

«قال ادخلوا»؛ أي: يقول الله تعالى يوم القيامة لأولئك الذين قال فيهم: «فمن أظلم ممّن افترى على الله» و هم كفّار العرب. «في أمم». في موضع الحال. أي: كائنين في جملة أمم و في غمارهم مصاحبين لهم. أي: ادخلوا في النار مع أمم «قد خلت من قبلكم» و تقدّم زمانهم زمانكم. «لعنت أختها» التي ضلّت بالاقتداء بها. «ادّاركوا»؛ أي: تداركوا. بمعنى تلاحقوا و اجتمعوا في النار. «قالت أخراهم» منزلة. و هم الأتباع و السفلة. «لأولاهم» منزلة. و هي القادة و الرؤوس. و معنى لأولاهم: لأجل أولاهم. لأنّ خطابهم مع الله لا معهم. «عذاباً

١ـ الزمر (٣٩) / ٧١.
٢ـ مجمع البيان ٤ / ٦٤٢ ـ ٦٤٣.
٣ـ الكشّاف ٢ / ١٠٢.

ضعفاً»: مضاعفاً. «لكلّ ضعف». لأنّ كلّاً من القادة و الأتباع كانوا ضالّين مضلّين.[١]

«من الجنّ و الإنس». يعني كفّار الأمم الماضية من النوعين. «هؤلاء أضلّونا»: سوّلوا لنا الضلال فاقتدينا بهم. «ضعفاً»؛ أي: مضاعفاً، لأنّهم ضلّوا و أضلّوا. «ضعف». القادة بتضليلهم و الأتباع بتقليدهم. «تعلمون». عاصم برواية أبي‌بكر بالياء على الانفصال.[٢]

«خلت»؛ أي: مضت. لأنّه يخلو مكانها. «أختها». يعني التي سبقتها إلى النار و هي أختها في الدين لا في النسب. «أضلّونا». عن الصادق عليه السلام: يعني أئمّة الضلالة. «ضعفاً». قيل: المراد من الضعف هنا الحيّات و الأفاعيّ.[٣]

[٣٩] «وَ قَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ».

«و قالت أولاهم لأخراهم»: قال المتّبعون للتابعين. «من فضل»؛ أي: تفاوت في الكفر حتّى تطلبوا من الله أن يزيد في عذابنا و ينقص من عذابكم. و قيل: معناه: قالت الأمّة السابقة للأمّة المتأخّرة: ما كان لكم علينا من فضل في الرأي و العقل. و قد بلغكم ما نزل بنا من العذاب. فلم اتّبعتمونا؟ و قيل: «من فضل»؛ أي: تخفيف في العذاب. «تكسبون» من الكفر باختياركم لا باختيارنا لكم.[٤]

«فما كان». عطفوا هذا الكلام على قول الله للسفلة. «لكلّ ضعف»؛ أي: فقد ثبت أن لا فضل لكم علينا و أنّا متساوون في استحقاق الضعف. «فذوقوا العذاب». من قول القادة، أو من قول الله لهم جميعاً.[٥]

«فذوقوا». من قول الفريقين.[٦]

١ـ الكشّاف ٢ / ١٠٢ ـ ١٠٣.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٣٨.
٣ـ مجمع البيان ٤ / ٦٤٣ ـ ٦٤٤.
٤ـ مجمع البيان ٤ / ٦٤٤.
٥ـ الكشّاف ٢ / ١٠٣.
٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٣٨.

[٤٠] «إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَ اسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَ كَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ».

«لاتفتّح». عن أميرالمؤمنين عليه السلام: تفتح أبواب السماء في خمس مواقيت: عند نزول الغيث، و عند الزحف، و عند الأذان، و عند قراءة القرآن، ومع زوال الشمس، و عند طلوع الفجر.(١)

و عنه عليه السلام: أقفال السموات الشرك بالله. و مفاتيحها قول لا إله إلّا الله.(٢)

عن أبي جعفر عليه السلام قال: أمّا المؤمنون، فترفع أفعالهم و أرواحهم إلى السماء فتفتح أبوابها. و أمّا الكافر، فيصعد بعمله و روحه حتّى إذا بلغ إلى السماء نادى مناد: اهبطوا به إلى السجّين. و هو واد بحضر موت يقال له برهوت.(٣)

«لاتفتّح». قرأ أبو عمرو بالتخفيف، و حمزة و الكسائيّ به و بالياء، لأنّ التأنيث غير حقيقيّ.(٤)

«لاتفتّح»؛ أي: لايصعد لهم عمل صالح. «إليه يصعد الكلم الطيّب».(٥)

قيل: إنّ الجنّة في السماء. و المعنى: انّهم لايؤذن لهم في صعود السماء ليدخلوا الجنّة. و قيل: لاتصعد أرواحهم إذا ماتوا كما تصعد أرواح المؤمنين. و قيل: لاتنزل عليهم البركة و لايغاثون. «ففتحنا أبواب السماء».(٦) و قرئ: «الجمل» بوزن القفل و «الجمل» بوزن النصب و «الجمل» بوزن الحبل. ومعناها: القلس الغليظ، لأنّه حبال جمعت و جعلت جملة واحدة. و عن ابن عبّاس: انّ الله أحسن تشبيهاً من [أن] يشبّه بالجمل. يعني أنّ الحبل مناسب للخيط الذي يسلك في سمّ الابرة و البعير لايناسبه؛ إلّا أنّ قراءة العامّة أوقع، لأنّ سمّ الإبرة مثل في ضيق المسلك و الجمل مثل في عظم الجرم، فقيل: لايدخلون الجنّة حتّى يكون ما

١ـ الخصال / ٣٠٣.
٢ـ الخصال / ٤٥٦، ح ١.
٣ـ مجمع البيان ٤ / ٦٤٦.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٣٨.
٥ـ فاطر (٣٥) / ١٠.
٦ـ القمر (٥٤) / ١١.

لايكون أبداً.(١)

«حتّى يلج الجمل». عن أبي عبدالله عليه السلام: نزلت في طلحة و الزبير و جملهم. و الجمل جملهم.(٢)

[٤١] «لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَ مِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَ كَذٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ».

«مهاد»؛ أي: فراش. «غواش»: أغطية. «و كذلك»؛ أي: مثل ذلك الجزاء الفظيع. «الظالمين». لأنّهم ظلموا أنفسهم.(٣)

[٤٢] «وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا أُولٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ».

«لانكلّف». خبر الذين. و حذف العائد؛ أي: منهم. كقولهم: السمن منوان بدرهم.(٤)

«لانكلّف». جملة معترضة بين المبتدأ و الخبر للترغيب في اكتساب ما لايكتنهه وصف الواصف من النعيم الخالد مع التعظيم بما هو في الوسع و هو الإمكان الواسع من الإيمان و العمل الصالح.(٥)

[٤٣] «وَ نَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَ قَالُوا الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي هَدَانَا لِهٰذَا وَ مَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْ لَا أَنْ هَدَانَا اللهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَ نُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ».

عن أبي عبدالله عليه السلام: إذا كان يوم القيامة، دعي بالنبيّ و بأميرالمؤمنين و بالأئمّة من ولده عليهم السلام فينصبون للناس. فإذا رأتهم شيعتهم قالوا: «الحمد لله الذي هدانا لهذا» ـ الآية.

١ـ الكشّاف ٢ / ١٠٣ ـ ١٠٤.
٢ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ١٧، ح ٤٠.
٣ـ الكشّاف ٢ / ١٠٤.
٤ـ مجمع البيان ٤ / ٦٤٨.
٥ـ الكشّاف ٢ / ١٠٤.

يعني هدانا الله بولاية أميرالمؤمنين و الأئمّة من ولده عليهم السلام.[١]

عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه ذكر أهل الجنّة فقال: إذا دخلوا و رأوا بيوتهم فيها و فرشهم و الزرابيّ قالوا: «الحمد لله الذي هدانا لهذا».[٢]

«من غلّ». فسلمت قلوبهم و طهرت. «هدانا لهذا»؛ أي: وفّقنا لموجب هذا الفوز العظيم و هو الايمان و العمل الصالح. «لنهتدي». اللّام لتوكيد النفي. «لقد جاءت رسل ربّنا» فكان لنا لطفاً و تنبيهاً على الاهتداء، فاهتدينا. يقولون ذلك سروراً و تلذّذاً بالتكلّم به لا تقرّباً و تعبّداً؛ كما ترى من رزق خيراً في الدنيا [يتكلّم بنحو ذلك]. «و نودوا أن تلكم الجنّة». أن مخفّفة من المثقّلة. أي: و نودوا بأنّه تلكم الجنّة. و الضمير ضمير الشأن و الحديث. أو يكون بمعنى أي؛ لأنّ المناداة من القول. كأنّه قيل: و قيل لهم [أي] تلكم الجنّة أورثتموها. «بما كنتم تعملون»: بسبب أعمالكم لا بالتفضّل كما تقوله المبطلة.[٣]

«و ما كنّا». ابن‌عامر بغير واو على أنّها مبيّنة للأولى. «أن تلكم الجنّة» إذا رأوها من بعيد أو بعد دخولها. و المنادى له بالذات.[٤]

«أورثتموها». أبو عمرو و حمزة بإدغام الثاء بالتاء لأنّهما مهموستان متقاربتا المخرج. عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: ما من أحد إلّا و له منزل في الجنّة و منزل في النار. فأمّا الكافر فيرث المؤمن منزله من النار. و المؤمن يرث الكافر منزله في الجنّة. فذلك «أورثتموها بما كنتم تعملون».[٥]

[٤٤] «وَ نَادىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّاً فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ».

«أن قد وجدنا». يحتمل أن تكون مخفّفة من المثقّلة و أن تكون مفسّرة. و كذلك «أن لعنة

١ـ الكافي ١ / ٤١٨، ح ٣٣.
٢ـ كنز الدقائق ٥ / ٨٨ عن مجمع البيان.
٣ـ الكشّاف ٢ / ١٠٥ ـ ١٠٦.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٣٩.
٥ـ مجمع البيان ٤ / ٦٤٧ و ٦٤٩.

الله». و إنّما قالوا لهم ذلك اغتباطاً بحالهم و شماتة بأصحاب النار و زيادة في غمّهم و لتكون حكايته لطفاً لمن سمعها. و كذلك قول المؤذّن بينهم: «لعنة الله على الظالمين». [و إن قلت: لِمَ] لم يقل: ما وعدكم، كما قال: ما وعدنا؟ قلت: حذف ذلك إمّا تخفيفاً لدلالة ما وعدنا عليه، أو انّه أطلق ليتناول كلّ ما وعد الله من البعث و الحساب و الثواب و العقاب و سائر أحوال القيامة. لأنّهم كانوا مكذّبين بذلك أجمع، و لأنّ الموعود كلّه ممّا ساءهم و ما نعيم أهل الجنّة إلّا عذاب لهم فأطلق لذلك.[1]

«و نادىٰ»؛ يعني: سينادي. «ما وعد ربّنا» من الثواب في كتبه و على ألسنة رسله. هل وجدتم». سؤال توبيخ و شماتة. «ما وعد» من العذاب.[2]

«نعم». الكسائيّ بكسر العين. و هما لغتان. «مؤذّن». قيل: هو صاحب الصور. «بينهم»؛ أي: الفريقين.[3]

«فأذّن مؤذّن». عن أبي الحسن عليه السلام: المؤذّن أمير المؤمنين عليه السلام.[4]

«مؤذّن». قيل: إنّه مالك خازن النار. «لعنة الله»؛ أي: عذاب الله و سخطه. «على الظالمين»: من أنكر الولاية.[5]

«أن». ابن كثير و ابن عامر: «أنّ» بالتشديد و النصب.[6]

[٤٥] «الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَ يَبْغُونَهَا عِوَجاً وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ».

«الذين». صفة للظالمين مقرّرة. «عوجاً»: زيغاً و ميلاً عمّا هو عليه.[7]

«و يبغونها عوجاً»: يطلبون لها العوج بالشبهة التي يلتبسون بها.[8]

[٤٦] «وَ بَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَ عَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلّاً بِسِيمَاهُمْ وَ نَادَوْا أَصْحَابَ

١ـ الكشّاف ٢ / ١٠٦.
٢ـ مجمع البيان ٤ / ٦٥٠ ـ ٦٥١.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٣٩.
٤ـ الكافي ١ / ٤٢٦، ح ٧٠.
٥ـ مجمع البيان ٤ / ٦٥١.
٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٤٠.
٧ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٤٠.
٨ـ مجمع البيان ٤ / ٦٥١.

الْجَـنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَ هُمْ يَطْمَعُونَ».

«و بينهما حجاب»؛ أي: بين الفريقين؛ لقوله: «فضرب بينهم بسور له باب».[١] أو: بين الجنّة و النار، ليمنع وصول [أثر] إحداهما إلى الأخرى. «و على الأعـراف»؛ أي: أعـراف الحجاب. أي: أعاليه. و هو السور المضروب بينهما. جمع عرف. مستعار من عرف الفرس. «رجال»: طائفة من الموحّدين قصّروا في العمل فيحبسون بين الجنّة و النار حتّى يقضي الله فيهم ما يشاء. و قيل: قوم علت درجاتهم كالأنبياء و الشهداء أو خيار المؤمنين و علماؤهم أو الملائكة يرون في صورة الرجال. «بسيماهم»: بعلاماتهم التي أعلمهم الله بها كبياض الوجه و سواده. و إنّما يعرفون ذلك بالإلهام و تعليم الملائكة. «سلام عليكم»؛ أي: إذا نظروا إليهم سلّموا عليهم. «هم يطمعون». حال من الواو على الوجه الأوّل.[٢]

«الأعراف». عن أبي عبدالله عليه السلام: الأعراف كثبان بين الجنّة و النار. و الرجال الأئمّة عليهم السلام يقفون على الأعراف مع شيعتهم و قد سبق المؤمنون إلى الجنّة. فيقول الأئمّة لشيعتهم مـن أصحاب الذنوب: انظروا إلى إخوانكم في الجنّة قد سبقوا إليها بلا حساب. و هو قوله: «سلام عليكم لم يدخلوها و هم يطمعون». ثمّ يقال لهم: انظروا إلى أعدائكم في النار. و هو قوله: «و إذا صرفت أبصارهم» ـ الآية. ثمّ تقول الأئمّة عليهم السلام لمن في النار من أعدائهم: هؤلاء شيعتنا و إخواننا الذين كنتم تحلفون لا ينالهم الله برحمته. ثمّ تقول الأئمّة لشـيعتهم: «ادخـلوا الجـنّة لا خوف عليكم». ـ الآية.[٣]

عن أميرالمؤمنين عليه السلام: نحن أصحاب الأعراف؛ أنا و عمّي و أخي و ابن عمّي. و الله فالق الحبّ و النوى، لا يلج النار لنا محبّ، و لا يدخل الجنّة لنا مبغض. يقول الله عزّ و جلّ: «و على الأعراف رجال» ـ الآية.[٤]

عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: أقبل عليّ فقال: ما تـقول في أصـحاب الأعـراف؟

١ـ الحديد (٥٧) / ١٣.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٤٠.
٣ـ تفسير القمّيّ ١ / ٢٣١ ـ ٢٣٢.
٤ـ معاني الأخبار / ٥٩.

فقلت: ما هم إلّا مؤمنون أو كافرون. فقال: و الله ما هم بمؤمنين و لا كافرين. و لو كانوا مؤمنين، لدخلوا الجنّة. ولو كانوا كافرين، لدخلوا النار. ولكنّهم قد استوت حسناتهم سيّئاتهم فقصرت بهم الأعمال. فإن شاء الله أدخلهم الجنّة فبرحمته. و إن شاء أدخلهم النار بذنوبهم و لم يظلمهم.(١)

عن هشام عن أبي جعفرعليه السلام قال: سألته عن قول الله: «و على الأعراف رجال يعرفون كلّاً بسيماهم». قال: ألستم تعرفون عرفاء على قبائلكم لتعرفون من فيها من صالح أو طالح؟ قلت: بلى. قال: فنحن أولئك الرجال الذين يعرفون كلّاً بسيماهم. و قال النبيّ صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: يا عليّ، إنّك و الأوصياء من بعدك أعراف بين الجنّة و النار. لا يدخل الجنّة إلّا من عرفكم و عرفتموه. و لا يدخل النار إلّا من أنكركم و أنكرتموه.(٢)

«و نادوا». أي المؤمنون المذنبون لمن سبقهم إلى الجنّة بالسلام عليهم. «لم يدخلوها». يعني من تأخّر من المؤمنين في الأعراف عن دخول الجنّة.(٣)

روى الثقة عليّ بن إبراهيم في التفسير عن الصادق عليه السلام أنّه قال: كلّ أمّة يحاسبها إمام زمانهم و يعرف الأئمّة أولياءهم و أعداءهم بسيماهم. و هو قوله: «و على الأعراف رجال يعرفون كلّاً بسيماهم». فيعطون أولياءهم كتابهم بيمينهم فيمرّون إلى الجنّة بلا حساب. و يعطون أعداءهم كتابهم بشمالهم فيمرّون إلى النار بلا حساب.(٤)

أقول: فعلى هذا الخبر و كثير من الأخبار ممّا نقلناه هنا و لم نذكره يدلّ على أنّ المراد بالأعراف المعرفة و توسّم الناس و تمييز المؤمن عن غيره. و لعلّه من بطون الآية، فلا منافاة بين الأخبار و لا بينها و بين ما حكيناه من المفسّرين.

«لم يدخلوها» لا محلّ له لأنّه استئناف. كأنّ سائلاً سأل من حال أصحاب الأعراف فقيل له: «لم يدخلوها و هم يطمعون». يعني حالهم أنّ دخولهم الجنّة استأخر عن دخول

١ـ الكافي ٢ / ٣٨١، ح ١.

٢ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ١٧ ـ ١٨، ح ٤٢ و ٤٣.

٣ـ مجمع البيان ٤ / ٦٥٣.

٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٨٤.

أهل الجنّة فلم يدخلوها و هم محبوسون لكنّهم لم ييأسوا. و يجوز أن يكون له محلّ بأن يقع صفة لرجال.[١]

[٤٧] «وَ إِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ».

«و إذا صرفت». يعني الذين على الأعراف. و إنّما قال: «صرفت» لأنّ نظرهم نظر عداوة فلاينظرون إليهم إلّا إذا صرفت وجوههم إليهم.[٢]

«قالوا» تعوّذاً بالله. «لاتجعلنا» في النار.[٣]

[٤٨] «وَ نَادىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَ مَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ».

«رجالاً» من رؤساء الكفّار. «جمعكم»: كثرتكم. أو: جمعكم المال. «تستكبرون» عن الحقّ، أو على الخلق.[٤]

[٤٩] «أَ هٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَ لَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ».

«أهؤلاء». من تتمّة قولهم للرجال. و الإشارة إلى ضعفاء أهل الجنّة كانت الكفرة يحتقرونهم في الدنيا و يحلفون أنّ الله لايدخلهم الجنّة.[٥]

«ادخلوا الجنّة». يقال لأصحاب الأعراف ـ و هم من قصرت أعمالهم فلم يسبقوا إلى دخول الجنّة ـ بعد أن يحبسوا على الأعراف و ينظروا إلى [الفريقين] و يعرفوا كلّاً بسيماهم و يقولوا ما يقولون. و فائدة ذلك بيان أنّ الجزاء على قدر الأعمال و أنّ التقدّم و التأخّر على

١ـ الكشّاف ٢ / ١٠٧ ـ ١٠٨.
٢ـ مجمع البيان ٤ / ٦٥٤.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٤٠.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٤٠.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٤٠.

حسبها. و يعلم أنّ العصاة يوبّخهم كلّ أحد حتّى أقصر الناس عملاً.[١]

«ادخلوا الجنّة». من قول أهل الأعراف لضعفاء المؤمنين.[٢]

[٥٠] «وَ نَادىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ قَالُوا إِنَّ اللهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ».

سأل نافع مولى عمر بن الخطّاب أباجعفر الباقر عليه السلام فقال: أخبرني عن قول الله: «يوم تبدّل الأرض غير الأرض»[٣] أيّ أرض تبدّل؟ فقال عليه السلام: بخبز بيضاء يأكلون منها حتّى يفرغ الله من حساب الخلائق. فقال نافع: إنّهم عن الأكل لمشغولون! فقال أبوجعفر عليه السلام: هم في النار أشدّ شغلاً و يقولون: «أفيضوا علينا من الماء أو ممّا رزقكم الله». ما شغلهم إذ دعوا الطعام فأطعموا الزقّوم و دعوا الشراب فسقوا الحميم. فقال: صدقت يابن رسول الله.[٤]

«أفيضوا». و إنّما يطلبون ذلك مع يأسهم من الإجابة حيرة في أمرهم كما يقول المضطرّ الممتحن.[٥]

«أن أفيضوا»؛ أي: صبّوا علينا من الماء نسكّن به العطش أو ندفع به حرّ النار. «أو ممّا رزقكم الله» من الطعام.[٦]

[٥١] «الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْواً وَ لَعِباً وَ غَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هٰذَا وَ مَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ».

«لهواً و لعباً». حيث حرّموا ما شاؤوا بشهوتهم و اغترّوا بطول البقاء في الدنيا. «ننساهم»؛ أي: نتركهم في العذاب كما تركوا التأهّب و العمل للقاء هذا اليوم. و قيل: معناه: نعاملهم معاملة المنسيّ في النار فلانجيب لهم دعوة و لانرحم لهم عبرة كما تركوا الاستدلال

١ـ الكشّاف ٢ / ١٠٧.
٢ـ مجمع البيان ٤ / ٦٥٥.
٣ـ إبراهيم (١٤) / ٤٨.
٤ـ تفسير القمّيّ ١ / ٢٣٢ ـ ٢٣٥.
٥ـ الكشّاف ٢ / ١٠٨.
٦ـ مجمع البيان ٤ / ٦٥٦.

حتّى نسوا العلم و تعرّضوا للنسيان. و اختلف في هذه الآية فقيل: إنّ الجميع كلام الله على وجه الحكاية عن أهل الجنّة. و تمّ كلام أهل الجنّة عند قوله: «حرّمهما على الكافرين». و قيل: إنّه من كلام [أهل] الجنّة إلى قوله: «الحياة الدنيا»، ثمّ استأنف سبحانه الكلام بقوله: «فاليوم ننساهم».(١)

عن الرضا عليه السلام: يعني بالنسيان أنّه لم يثبهم كما يثيب أولياءه. و قد تقول العرب في باب النسيان: قد نسينا فلان فلايذكرنا. أي إنّه لم يأمر لهم بخير و لايذكرهم به.(٢)

«لهواً». و هو صرف الهمّ بما لايحسن أن يصرف به. و اللّعب: طلب الفرح بما لايحسن أن يطلب به. «يجحدون»؛ أي: ينكرون أنّها من عند الله.(٣)

[٥٢] «وَ لَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدىً وَ رَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ».

«فصّلناه»: بيّنّا معالمه مفصّلة. «على علم»: عالمين بوجه تفصيله حتّى جاء حكيماً. و فيه دليل على أنّه عالم بعلم. أو: مشتملاً على علم. فيكون حالاً من المفعول.(٤)

«هدًى». يجوز أن يكون مفعولاً. و قيل: مصدر وضع موضع الحال. «بكتاب». و هو القرآن. «فصّلناه»: بيّنّاه. «على علم»؛ أي: ونحن عالمون به. «هدًى»؛ أي: دلالة ترشدهم إلى الحقّ. «و رحمة» على جميع المؤمنين. لأنّهم المنتفعون به.(٥)

«هدًى». حال من منصوب « فصّلنا». كما أنّ «على علم» حال من مرفوعه. «على علم»؛ أي: عالمين كيف نفصّل أحكامه و مواعظه.(٦)

[٥٣] «هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ

١ـ مجمع البيان ٤ / ٦٥٦.
٢ـ التوحيد / ٢٥٩ - ٢٦٠.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٤١.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٤١.
٥ـ مجمع البيان ٤ / ٦٥٧.
٦ـ الكشّاف ٢ / ١٠٩.

خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ».

«إلّا تأويله»؛ أي: هل ينظرون إلّا عاقبة الجزاء عليه و ما يؤول مغبّة أمورهم إليه. و إنّما أضاف إليهم مجازاً لأنّهم كانوا جاحدين لذلك غير متوقّعين له. و إنّما كان ينتظر بهم المؤمنون لاعترافهم به. و قيل: إنّ تأويله ما وعدوا به من البعث و النشور و الحساب. «يوم يأتي تأويله»؛ أي: عاقبة ما وعدوا به، يقول الذين تركوا العمل به. «رسل ربّنا». اعترفوا بأنّ ما جاءت به الرسل كان حقّاً. «فهل لنا من شفعاء». تمنّوا أن يكون لهم من يشفع في إزالة العقاب. «فيشفعوا». نصب لأنّه جواب التمنّي بالفاء. «أو نردّ» إلى الدنيا.[١]

«أو نردّ»؛ أي: هل يكون لنا ردّ؟ «فنعمل»؛ أي: فأن نعمل. أي: فعمل منّا.[٢]

«إلّا تأويله»؛ أي: إلّا عاقبة أمره و ما يؤول إليه من تبيّن صدقه و ظهور صحّة ما نطق من الوعد والوعيد. «أو نردّ». جملة معطوفة على الجملة التي قبلها داخلة معها في حكم الاستفهام. كأنّه قيل: هل لنا من شفعاء؟ أو هل نردّ؟ و رافعه وقوعه موقعاً يصلح للاسم. كما تقول ابتداء: هل يضرب زيد؟ و لاتطلب له فعلاً آخر يعطف عليه. فلايقدّر: هل يشفع لنا شافع أو نردّ؟ و قرأ ابن‌اسحاق: «أو نردّ» بالنصب، عطفاً على «فيشفعوا».[٣]

«فنعمل غير الذي». جواب الاستفهام الثاني. «ضلّ عنهم»: بطل عنهم فلم‌ينفعهم.[٤]

[٥٤] «إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ وَ النُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ».

«في ستّة أيّام»؛ أي: في ستّة أوقات. كقوله: «ومن يولّهم يومئذ دبره».[٥] أو في مقدار ستّة أيّام. فإنّ المتعارف من اليوم زمان طلوع الشمس إلى غروبها و لم‌يكن حينئذ. و في

١ـ مجمع البيان ٤ / ٦٥٧ ـ ٦٥٨.

٢ـ مجمع البيان ٤ / ٦٥٧.

٣ـ الكشّاف ٢ / ١٠٩.

٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٤١.

٥ـ الأنفال (٨) / ١٦.

خلق الأشياء مدرّجاً مع القدرة على إيجادها دفعة حثّ على التأنّي في الأمور. «ثمّ استوى»؛ أي: استوى أمره و استولى. و العرش: الجسم المحيط بسائر الأجسام. سمّي به لارتفاعه أو للتشبيه بسرير الملك. فإنّ الأمور و التدابير معه. و قيل: الملك. «يغشي»: يغطّيه به. و لم‌يذكر عكسه للعلم به، أو لأنّ اللّفظ يحتملها. قرأ حمزة و الكسائيّ: «يغشّي» بالتشديد، للدلالة على التكرير. «يطلبه حثيثاً»؛ أي: يعقبه سريعاً كالطالب له لا يفصل بينهما شيء. «مسخّرات بأمره»؛ أي: بقضائه و تصريفه. و نصب الشمس و القمر و النجوم بالعطف على السموات و نصب مسخّرات على الحال. و قرأ ابن عامر كلّها بالرفع على الابتداء و الخبر. «له الخلق و الأمر». لأنّه الموجد و المتصرّف. «تبارك الله ربّ العالمين»: تعالى بالوحدانيّة في الألوهيّة و تعظّم بالتفرّد بالربوبيّة.(١)

«في ستّة أيّام». عن أميرالمؤمنين عليه السلام: و لو شاء أن يخلقها في أقلّ من لمح البصر، لخلق؛ ولكنّه جعل الأناة و المداراة مثالاً لأمنائه و إيجاباً للحجّة على الخلق.(٢)

«بأمره». متعلّق بمسخّرات. أي: خلقهنّ جاريات بمقتضى حكمته و تدبيره و كما يريد أن يصرفها. سمّى ذلك أمراً على التشبيه كأنّهنّ مأمورات بذلك.(٣)

عن أبي جعفر عليه السلام: انّ الله خلق الشهور اثني‌عشر شهراً و هي ثلاثمائة و ستّون يوماً فحجر منها ستّة أيّام خلق فيها السموات و الأرض. فمن ثمّ تقاصرت الشهور.(٤) و طرحت هذه الستّة من أصل السنة فصارت ثلاثمائة و أربعون و خمسون.(٥)

و عن أميرالمؤمنين عليه السلام: من بات بأرض قفر فقرأ: «إنّ ربّكم الله» إلى: «العالمين» حرسته الملائكة و تباعدت عنه الشياطين إلى الصباح. فمضى الرجل فإذا هو بقرية خراب فبات فيها و لم‌يقرأ الآية، فتغشّاه الشيطان فإذا هو آخذ بخطمه.(٦) فقال له صاحبه: أنظره. و استيقظ الرجل فقرأ الآية، فقال الشيطان لصاحبه: أرغم الله أنفك. احرسه الآن حتّى يصبح.

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٤١ ـ ٣٤٢.
٢ـ الاحتجاج ١ / ٣٧٩.
٣ـ الكشّاف ٢ / ١٠٩.
٤ـ الخصال / ٤٨٦، ح ٦٢.
٥ـ الخصال / ٦٠٢، ح ٧.
٦ـ الخطم: مقدّم الأنف و الفم. (هامش النسخة)

فلمّا أصبح، رأى آثار شعورهم فأخبر به أميرالمؤمنين عليه السلام.(١)

و سأل اليهود النبيّ صلى الله عليه و آله عن خلق السموات و الأرض، فقال: خلق الأرض يوم الأحد و الاثنين. و خلق الجبال و ما فيهنّ يوم الثلثاء. و خلق الشجر و الماء و المدائن و العمران و الخراب يوم الأربعاء. و خلق يوم الخميس السماء. و خلق يوم الجمعة النجوم و الشمس و القمر و الملائكة.(٢)

«ثمّ استوى على العرش»؛ يعني: استوى تدبيره و علا أمره. و عن الكاظم عليه السلام: استوى على ما دقّ و جلّ.(٣)

و قال صلى الله عليه و آله: خلق الجنّة يوم الخميس و سمّاه مونساً.(٤)

و قال أميرالمؤمنين عليه السلام: الأرض مسيرة خمسمائة سنة. الخراب مسيرة أربعمائة عام و العمران مائة عام. و الشمس ستّون فرسخاً في ستّين فرسخاً. و القمر أربعون فرسخاً في أربعين فرسخاً. بطونهما يضيئان لأهل السماء و ظهورهما لأهل الأرض. و خلق الشمس قبل القمر.(٥)

«ثمّ استوى». و في الكافي عن الصادق عليه السلام: ثمّ استوى في كلّ شيء فليس شيء أقرب إليه من شيء، و لم يبعد منه بعيد و لم يقرب منه قريب. استوى في كلّ شيء.(٦)

[٥٥] «ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَ خُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ».

«و خفية». بكسر الخاء أبوبكر.(٧)

عن أبي عبدالله عليه السلام: التضرّع أن تحرّك إصبعك السبّابة ممّا يلي وجهك. و هو دعاء

١ـ الكافي ٢ / ٦٢٥ ـ ٦٢٦، ح ٢١.

٢ـ روضة الواعظين / ٣٩٤.

٣ـ الاحتجاج ٢ / ١٥٧.

٤ـ روضة الواعظين / ٣٩٤.

٥ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٧.

٦ـ الكافي ١ / ١٢٧ ـ ١٢٨، ح ٦ و ٧، و تفسير الصافي ٢ / ٢٠٤ ـ ٢٠٥.

٧ـ مجمع البيان ٤ / ٦٦٠.

الخفية.(١)

«تضرّعاً»: أي: ذوي تـضرّع و خـفية. فـإنّ الإخـفاء دليـل الإخـلاص. «لايحبّ المعتدين»: المجاوزين ما أمروا به في الدعاء و غيره. نبّه به على أنّ الداعي ينبغي أن لايطلب ما لايليق به كرتبة الأنبياء والصعود إلى السماء. و قيل: هو الصياح في الدعاء و الإسهاب فيه. و عنه صلى الله عليه وآله: سيكون قوم يعتدون في الدعاء. و حسب المرء أن يقول: اللّهمّ إنّي أسألك الجنّة و ما قرّب إليها من قول و عمل. و أعوذ بك من النار و ما قرّب إليها من قول و عمل. ثمّ قرأ: «إنّه لايحبّ المعتدين».(٢)

[٥٦] «وَ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَ ادْعُوهُ خَوْفاً وَ طَمَعاً إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ».

«و لاتفسدوا». عن أبي عبدالله عليه السلام: كانت فاسدة فأصلحها الله بنبيّه صلى الله عليه وآله. فأفسدوها حين تركوا أميرالمؤمنين عليه السلام.(٣)

«خوفاً و طمعاً»: ذوي خوف من الردّ لقصور أعمالكم و عدم استحقاقكم و طمع في إجابته تفضّلاً و إحساناً لفرط رحمته. «إنّ رحمة الله قريب من المحسنين». ترجيح للطمع و تنبيه على ما يتوسّل به إلى الإجابة. و تذكير قريب لأنّ الرحمة بمعنى الرحم، أو لأنّه صفة محذوف، أي: أمر قريب.(٤)

«قريب». إنّما ذكّر لأنّ تأنيث الرحمة غير حقيقيّ.(٥)

[٥٧] «وَ هُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ

١ـ الكافي ٢ / ٤٨١، ح ٥.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٤٢.
٣ـ تفسير القمّيّ ١ / ٢٣٦.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٤٢.
٥ـ الكشّاف ٢ / ١١١.

لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ».

«بشراً». عاصم: «بُشراً» مخفّف بُشُر جمع بشير. و نافع: «نُشُراً» بالنون المضمومة و الشين المعجمة، جمع نشور بمعنى ناشر. و ابن‌عامر: «نُشْراً» بالتخفيف. و حمزة بفتح النون على أنّه مصدر في موضع الحال بمعنى ناشرات أو مفعول مطلق. فإنّ الإرسال و النشر متقاربان.(١)

«الرياح». ابن كثير و حمزة و الكسائيّ: «الريح» على الوحدة. «بين يدي رحمته»: قدّام رحمته. يعني المطر. فإنّ الصبا تثير السحاب و الشمال تجمعه و الجنوب تدرّه و الدبور تفرّقه. «إذا أقلّت»؛ أي: حملت. و اشتقاقه من القلّة. فإنّ المقلّ للشيء يستقلّه. «ثقالاً» بالماء. جمعه لأنّ السحاب بمعنى السحائب. «سقناه»؛ أي: السحاب. و أفرد الضمير باعتبار اللّفظ. «لبلد»؛ أي: لأجله، أو لإحيائه، أو لسقيه. «فأنزلنا به»؛ أي: بالبلد أو بالسحاب أو بالسوق أو بالريح. و كذلك «فأخرجنا به». و يحتمل فيه عود الضمير إلى الماء. و إذا كان للبلد، فالباء للإلصاق في الأوّل و للظرفيّة في الثاني. و إذا كان لغيره، فهي للسببيّة فيهما. «من كلّ الثمرات»: من كلّ أنواعها. «كذلك نخرج الموتى». الإشارة إلى إخراج الثمرات أو إلى إحياء البلد الميّت. أي: كما نحييه بالنبات و الثمرات، نخرج الموتى من الأجداث بردّ النفوس إلى الأبدان. «تذكّرون» فتعلمون أنّ من قدرعلى ذلك، قدر على هذا.(٢)

[٥٨] «وَ الْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَ الَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِداً كَذٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ».

«و البلد الطيّب»؛ أي: الأرض الكريمة التربة.(٣)

«و البلد الطيّب». مثل للأئمّة عليهم السلام يخرج علمهم بإذن ربّهم. «و الذي خبث». مثل

١ـ انظر: تفسير البيضاويّ ١ / ٣٤٣، و مجمع البيان ٤ / ٦٦٣.

٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٤٣.

٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٤٣.

لأعدائهم لايخرج علمهم «إلّا نكداً»؛ أي: كذباً فاسداً.(١)

و روى ابن شهرآشوب أنّه قال عمرو بن العاص للحسينعليه السلام: ما بال لحاكم أوفر من لحانا؟ فقالعليه السلام: «و البلد الطيّب» ـ الآية.(٢)

«يخرج نباته»؛ أي: زرعه خروجاً حسناً نامياً من غير كدّ و لا عناء. «بإذن ربّه»؛ أي: بأمره و إرادته. «و الذي خبث»؛ أي: الأرض السبخة لايخرج ريعها إلّا قليلاً لاينتفع به. و هذا باعث للإنسان على طلب الخير من مظانّه. «نصرّف الآيات»؛ أي: الدلالات المختلفة. أي: كما بيّـنّا هذا المثل، نبيّن الدلالات للشاكرين. و روي عن ابن‌عبّاس و جماعة: انّ هذا مثل ضربه الله للمؤمنين و الكافرين فأخبر بأنّ الأرض كلّها جنس واحد إلّا أنّ [منها طيّبة تلين بالمطر و يحسن نباتها و يكثر ريعها و] منها سبخة لاتنبت شيئاً فإن أنبتت فما لا منفعة [فيه]. و كذلك القلوب كلّها لحم و دم ثمّ منها ليّن يقبل الوعظ، و منها قاس لايقبله. فليشكر الله من لان قلبه لذكره.(٣)

«نكداً». نصب على الحال. «نصرّف الآيات»: نردّدها و نكرّرها. «يشكرون» فيتفكّرون فيها و يعتبرون بها.(٤)

[٥٩] «لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلٰـهٍ غَـيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ».

لمّا ذكر الله سبحانه الأدلّة على وحدانيّته، ذكر بعده حال من كذّب الرسل، تسلية لنبيّناصلى الله عليه وآله على احتمال الأذى من قومه و تحذيراً من الاقتداء بأولئك. فقال: «لقد أرسلنا نوحاً»؛ أي: حمّلناه الرسالة عليهم. و هو أوّل نبيّ بعد إدريس. و قيل: إنّه كان نجّاراً و ولد في العام الذي مات فيه آدمعليه السلام [قبل موت آدم في الألف الأولى]. و بعث في الألف الثانية و هو ابن أربعمائة. و قيل: ابن خمسين. فلبث في قومه ألف سنة إلّا خمسين عاماً. و كان في تلك

١ـ تفسير القمّيّ ١ / ٢٣٦.
٢ـ المناقب ٤ / ٦٧.
٣ـ مجمع البيان ٤ / ٦٦٦.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٤٣.

الألف ثلاثة قرون عايشهم و عمّر فيهم. و كان يدعوهم ليلاً و نهاراً فلايزيدهم دعاؤه إلّا فراراً. و كان يضربه قومه حتّى يغشى عليه، فإذا أفاق قال: اللّهمّ اهد قومي فإنّهم لايعلمون.[١]

«لقد». جواب قسم محذوف. «نوحاً». نوح بن لمك بن متوشلخ بن إدريس. و هو أوّل نبيّ بعث بعده و هو ابن خمسين أو أربعين سنة. «يوم»؛ أي: يوم القيامة. أو: يوم الطوفان.[٢]

و قيل: اسم نوح عبدالغفّار. و إنّما سمّي نوحاً لأنّه كان ينوح على نفسه.[٣] و به رواية.[٤] و في أخرى اسمه عبدالأعلى.[٥] و في أخرى عبدالملك.[٦] و في رواية: سمّي نوحاً لأنّه بكى خمسمائة عام.[٧] (حسن)

«من إله غيره». أبوجعفر و الكسائيّ: «غيره» بخفض الراء.

من جرّ «غيره» جعله صفة لإله على اللّفظ و جعل «لكم» مستقرّاً أو غير مستقرّ ولكن بإضمار الخبر. أي: ما لكم في الوجود، أو في العالم. و من رفعه، جعله بدلاً من قوله: «من إله» و «غيره» بمنزلة الاسم الذي بعد إلّا.[٨]

في العيّاشيّ: كانت شريعة نوح عبادة الله وحده بالتوحيد و الإخلاص و الصلاة و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و الحلال و الحرام. و لم يفرض عليهم أحكام حدود و لا فرض مواريث.[٩] (حسن)

[٦٠] «قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ».

«قال الملأ من قومه»؛ أي: الأشراف و الرؤساء الذين يملؤون الصدور هيبة و جمالاً.

١ـ مجمع البيان ٤ / ٦٦٨.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٤٣.
٣ـ تفسير القمّيّ ١ / ٣٢٨.
٤ـ علل الشرائع / ٢٨، ح ١.
٥ـ علل الشرائع / ٢٨، ح ٣.
٦ـ علل الشرائع / ٢٨، ح ٢.
٧ـ علل الشرائع / ٢٨، ح ٢.
٨ـ مجمع البيان ٤ / ٦٦٧.
٩ـ كنز الدقائق ٥ / ١١٣ عن تفسير العسكريّ عليه السلام.

«لنراك في ضلال»؛ أي: نعلمك، لدعائك إيّانا إلى ترك عبادة الأصنام.(١)

[٦١] «قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَ لٰكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ».

«ضلالة». لم يقل ضلال كما قالوا. و ذلك أنّ الضلالة أخصّ من الضلال فكانت أبلغ في نفي الضلال عن نفسه. كأنّه قال: ليس فيّ شيء من الضلال. كما لو قيل [لك: ألك] تمر؟ فقلت: [ما لي] تمرة.(٢)

«ولكنّي»؛ يعني: لكنّي على هدًى لأنّي رسول.(٣)

[٦٢] «أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَ أَنْصَحُ لَكُمْ وَ أَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ».

جمع الرسالات لاختلاف أوقاتها أو لتنوّع معانيها كالعقائد و المواعظ و الأحكام، أو لأنّ المراد بها ما أوحي إليه و إلى الأنبياء قبله كصحف شيث و إدريس.(٤)

«أنصح لكم». يقال: نصحته، و نصحت له. و في زيادة اللّام مبالغة و دلالة على إمحاض النصيحة و أنّها وقعت خالصة للمنصوح له مقصوداً بها جانبه لا غير. فربّ نصيحة ينتفع بها الناصح فيقصد النفعين جميعاً. و لا نصيحة أمحض من نصيحة الله و رسله.(٥)

«أبلّغكم». أبوعمرو بتخفيف اللّام. «و أنصح لكم» في تبليغ الرسالة على وجهها من غير زيادة و لا نقصان. «و أعلم من الله»؛ أي: من توحيده و عدله و دينه. أو: من بطشه و شدّة عذابه. لأنّ قوم نوح لم يسمعوا قطّ أنّ [الله] عذّب قوماً بخلاف من بعدهم.(٦)

[٦٣] «أَ وَ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلىٰ رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَ لِتَتَّقُوا وَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ».

«أو عجبتم». الهمزة للإنكار. و الواو للعطف على محذوف. أي: أكذبتم و عجبتم؟ «على

١ـ مجمع البيان ٤ / ٦٦٩.
٢ـ الكشّاف ٢ / ١١٣ ـ ١١٤.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٤٣.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٤٤.
٥ـ الكشّاف ٢ / ١١٥.
٦ـ مجمع البيان ٤ / ٦٦٧ و ٦٦٩.

رجل»؛ أي: على لسان رجل.[١]

«أ و عجبتم». استفهام إنكار. «أن جاءكم»؛ أي: لأن جاءكم. «ذكر»؛ أي: بيان و رسالة من ربّكم على رجل مثلكم ليخوّفكم العقاب. و قيل: إنّ على بمعنى مع. [أي: مع] رجل تعرفون مولده ليعلمكم بمواضع المخافة. و العجب إنّما هو من إهمال أمرهم، لأنّ الرسالة ممّا تشتمل على صلاح الخلق. «و لتتّقوا» الشرك و المعاصي. «و لعلّكم ترحمون»: رجاء أن يرحمكم.[٢]

[٦٤] «فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَ الَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَ أَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً عَمِينَ».

«و الذين معه»: الذين آمنوا به؛ وهم عقب هبة الله بن آدم. فأمّا ولد قابيل فإنّهم كذّبوه و قالوا: إنّ الجنّ كانوا قبلنا فبعث الله إليهم ملكاً. فلو أراد أن يبعث إلينا، لبعث إلينا ملكاً من الملائكة. «في الفلك»: السفينة. «عمين». أي: عن الحقّ جاهلين به.[٣]

«في الفلك». متعلّق بمعه أو بأنجيناه. «و أغرقنا» في الطوفان. «و الذين معه». كانوا أربعين رجلاً و أربعين امرأة. «عمين»: عمي القلوب عن الحقّ. و أصله عميين فخفّفت.[٤]

[٦٥] «وَ إِلىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ».

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لمّا بعث الله هوداً، سلّم له العقب من ولد سام. و أمّا الآخرون فقالوا: من أشدّ منّا قوّة؟ فأهلكوا بالريح العقيم. و أوصاهم هود و بشّرهم بصالح.[٥]

«هوداً»: هود بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح. و قيل: هود بن عبدالله بن رياح بن

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٤٤.
٢ـ مجمع البيان ٤ / ٦٦٩.
٣ـ مجمع البيان ٤ / ٦٦٩ ـ ٦٧٠.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٤٤.
٥ـ كمال الدين / ١٣٦، ح ٥.

حلوث[١] بن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح.[٢] (حسن)

عن الباقرعليه السلام في حديث: و أمّا هود، فإنّه أرسل إلى عاد بنبوّة خاصّة.[٣] (حسن)

«أخاهم» في النسب لا في الدين. «هوداً». قصّة هود هو: انّ عاداً كانوا ينزلون اليمن و كان مساكنهم في رمال يقال لها رمل عالج و الدهناء ما بين عمّان إلى حضرموت. و كان لهم زرع و نخل و أعمار طويلة. و كانوا يعبدون الأصنام. فبعث الله إليهم هوداً ـ و كان من أشرفهم نسباً ـ فدعاهم إلى التوحيد. فكذّبوه، فأمسك الله عنهم المطر سبع سنين. و كان الناس إذا نزل بهم البلاء، التجؤوا إلى بيت الله الحرام في مكّة، المسلم و الكافر. و أهل مكّة يومئذ العماليق من ولد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوحعليه السلام. و كان سيّد العماليق معاوية بن بكر و [كانت] أمّه من عاد. فبعث عاد وفداً إلى مكّة يستسقوا لهم. فنزلوا على معاوية و هو في خارج الحرم، فأكرمهم. فقال بعضهم: ادخلوا الحرم فاستسقوا. فقال رجل منهم قد آمن بهود سرّاً: و الله لاتستقون بدعائكم ولكن إن آمنتم بنبيّكم سقيتم. فزجروه و خرجوا إلى مكّة للاستسقاء. فلمّا استسقوا، أرسل لهم سحابة بيضاء و حمراء و سوداء، ثمّ نادى مناد من السماء: اختروا. فاختاروا السوداء و كان فيها العذاب. فساق الله تلك السحابة إلى عاد. فلمّا رأوها، سرّوا بها و قالوا: هذا عارض ممطرنا. يقول الله: «بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم».[٤] فسخّرها الله عليهم سبع ليال و ثمانية أيّام حسوماً ـ أي: دائمة ـ فلم تدع من عاد. [أحداً]. و اعتزل هود ومن معه من المؤمنين [في حظيرة] مايصيبه و من معه إلّا ما تتلذّذ به النفوس.[٥]

«قال ياقوم». استأنف به و لم يعطف كأنّه جواب سائل قال: فما قال لهم حين أرسل؟ و كذلك جوابهم. «أفلاتتّقون» عذاب الله؟ و كأنّ قومه كانوا أقرب من قوم نوح ولذلك [قال: أفلاتتّقون]؟[٦]

١ـ المصدر: جلوث.

٢ـ مجمع البيان ٤ / ٦٧٣.

٣ـ كمال الدين / ١٣٦، ح ٥.

٤ـ الأحقاف (٤٦) / ٢٤.

٥ـ مجمع البيان ٤ / ٦٧٥ ـ ٦٧٦.

٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٤٤.

[٦٦] «قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَ إِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ».

«قال الملأ الذين كفروا من قومه». إذ كان من أشرافهم من آمن كمرثد بن سعد. «في سفاهة»: متمكّناً في خفّة عقل راسخاً فيها حيث فارقت دين قومك.(١)

[٦٧] «قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَ لٰكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ».

«قال ياقوم» ـ الآية. في إجابة الأنبياء الكفرة عن كلماتهم الحمقاء بما أجابوا و الإعراض عن مقابلتهم، كمال النصح و الشفقة و هضم النفس و حسن المجادلة. و هكذا ينبغي لكلّ ناصح.(٢)

[٦٨] «أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَ أَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ».

«أبلّغكم». أبوعمرو مخفّفاً. و في قوله: «أنا لكم ناصح أمين» تنبيه على أنّهم عرفوه بالأمرين.(٣)

«و أنا لكم». سفيان قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: ما يجوز أن يزكّي الرجل نفسه؟ قال: نعم، إذا اضطرّ إليه. أما سمعت قول يوسف: «اجعلني على خزائن الأرض إنّي حفيظ عليم»(٤) و قول العبد الصالح: «و أنا لكم ناصح أمين»؟(٥)

«أمين» في تأدية الرسالة.(٦)

[٦٩] «أَ وَ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلىٰ رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَ اذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَ زَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ».

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٤٤.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٤٥.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٤٥.
٤ـ يوسف (١٢) / ٥٥.
٥ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ١٨١، ح ٤٠.
٦ـ مجمع البيان ٤ / ٦٧٤.

«ذكر»؛ أي: نبوّة و معجزة. «رجل منكم». أي: في النسب نشأ بينكم. و قيل: معناه: كيف تتعجّبون من بعثة رجل منكم و لاتتعجّبون من عبادة حجر؟[١]

«إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح». أي في مساكنهم أو في الأرض. فإنّ شدّاد بن عاد ممّن ملك معمورة الأرض من رمل عالج إلى بحر عمّان. خوّفهم من عقاب الله ثمّ ذكّرهم بإنعامه. «بسطة»: قامة و قوّة. «لعلّكم تفلحون»: لكي يفضي بكم ذكر النعم إلى شكرها المؤدّي إلى الفلاح.[٢]

«آلاء الله» عن أبي عبدالله عليه السلام: آلاء الله ولايتنا.[٣]

عن أبي عبدالله عليه السلام: انّ لله تعالى بيت ريح مقفل عليه لو فتحت لأذرت ما بين السماء و الأرض. و ما أرسل على قوم عاد إلّا قدر خاتم.[٤]

[٧٠] «قَالُوا أَ جِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ وَ نَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ».

«أجئتنا». أى من السماء. لأنّهم كانوا يعتقدون أنّ الله لايرسل إلّا الملائكة فكأنّهم قالوا: أجئتنا من السماء كما يجيء الملك.[٥]

«لنعبد الله وحده». استبعدوا اختصاص الله بالعبادة و الإعراض عمّا أشرك آباؤهم، انهماكاً في التقليد و حبّاً لما ألفوه. ومعنى المجيء في «أجئتنا» إمّا المجيء من مكان اعتزل به عن قومه أو من السماء على آلهتكم، أو القصد على المجاز كقولهم: ذهب يشتمني. «تعدنا» من العذاب المدلول عليه بقوله: «أفلاتتّقون».[٦]

[٧١] «قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَ غَضَبٌ أَ تُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا

١ـ مجمع البيان ٤ / ٦٧٤.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٤٥.
٣ـ الكافي ١ / ٢١٧، ح ٣.
٤ـ مجمع البيان ٤ / ٦٧٦.
٥ـ الكشّاف ٢ / ١١٧.
٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٤٥.

أَنْتُمْ وَ آبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ».

«قد وقع»؛ أي: وجب عليكم و حلّ بكم لامحالة فهو كالواقع. «رجس»؛ أي: عذاب. «و غضب». [و الغضب من الله إرادة العذاب بمستحقيّه.] و مثله السخط. «أتجادلونني»: تخاصمونني. «في أسماء»؛ أي: في أصنام صنعتموها أنتم و آباؤكم و اخترعتم أسماء سمّيتموها آلهة و ما فيها [من] معنى الإلهيّة شيء. و قيل: معناه سمّيتهم لبعضها أنّه يسقيهم المطر و الآخر أنّه يأتيهم بالرزق و الآخر أنّه يشفي المرضى و الآخر أنّه يصحبهم في السفر. «من سلطان»؛ أي: حجّة و برهان. «فانتظروا» عذاب الله فإنّه نازل بكم.[1]

«في أسماء»؛ أي: ما هي إلّا أسماء ليس تحتها مسمّيات لأنّكم تسمّونها آلهة و معنى الإلهيّة فيها معدوم.[2]

[٧٢] «فَأَنْجَيْنَاهُ وَ الَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَ قَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَ مَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ».

«فأنجيناه»؛ أي: فخلّصنا هوداً و من آمن معه من العذاب. «و قطعنا دابر الذين»؛ أي: استأصلنا الذين «كذّبوا» بالأنبياء بعذاب الاستئصال فلم يبق لهم نسل و لا ذرّيّة. «و ماكانوا مؤمنين». يعني أنّ المعلوم من حالهم أنّه لو لم يهلكهم ماكانوا ليؤمنوا. و في هذه الآية دلالة على أنّ قوم هود استئصلوا فلا عقب لهم.[3]

«و ماكانوا مؤمنين». فإن قلت: ما فائدة نفي الإيمان عنهم مع إثبات التكذيب بآيات الله؟ قلت: هو تعريض بمن آمن منهم كمرثد بن سعد و من نجا مع هود. كأنّه قال: قطعنا دابر الذين كذّبوا بآياتنا منهم و لم يكونوا مثل من آمن منهم، ليؤذن أنّ الهلاك خصّ المكذّبين و نجا الله المؤمنين.[4]

١ـ مجمع البيان ٤ / ٦٧٤ ـ ٦٧٥.
٢ـ الكشّاف ٢ / ١١٨.
٣ـ مجمع البيان ٤ / ٦٧٥.
٤ـ الكشّاف ٢ / ١١٩.

[٧٣] «وَ إِلىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هٰذِهِ نَاقَةُ اللهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللهِ وَ لَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ».

روي: انّ عاداً لمّا أهلكت، عمّرت ثمود بلادهم و خلفوهم في الأرض و عمّروا أعماراً طوالاً و كانوا في سعة من العيش. فعتوا و عبدوا الأوثان. فبعث الله إليهم صالحاً. و كانوا قوماً عرباً. فدعاهم فتبعه القليل منهم. فحذّرهم و أنذرهم. فسألوه آية. فقال: أيّ آية تريدون؟ قالوا: تخرج معنا إلى عيدنا في يوم معلوم لهم فتدعو إلهك و ندعوا آلهتنا. فإن استجيب لك اتّبعناك. و إن استجيب لنا اتّبعتنا. فخرج معهم و دعوا أوثانهم فلم يجبهم. فقال سيّدهم جندع ـ و أشار إلى صخرة منفردة ـ: أخرج لنا من هذه الصخرة ناقة جوفاء وَبْراء حتّى نصدّقك. فصلّى و دعا ربّه، فتمخّضت الصخرة مثل الناقة بولدها فانصدعت عن ناقة جوفاء وبراء كما يريدون. ثمّ نتجت ولداً مثلها في العظم. فآمن به جندع و جماعة من قومه. فمكثت الناقة مع ولدها و كانت ترد الماء غبّاً فإذا كان يومها، وضعت رأسها في البئر فشربت الماء كلّه ثمّ تتفحّج فيحلبون ما شاؤوا حتّى تمتلئ أوانيهم فيشربون و يدّخرون. و كانت أنعامهم تهرب من الناقة. فشقّ ذلك عليهم و زيّنت عقرها لهم امرأتان و كانتا كثيرتي المواشي. فعقروها و طبخوا لحمها. فهرب ولدها و دخل الصخرة. فقال لهم صالح عليه السلام: تصبحون غداً [و] وجوهكم مصفرّة و بعد غد محمرّة و اليوم الثالث مسودّة، ثمّ يصحبكم العذاب. فلمّا رأوا العلامات، همّوا أن يقتلوه، فأنجاه الله إلى أرض فلسطين. و لمّا كان اليوم الرابع و ارتفع الضحى، تحنّطوا بالصبر و تكفّنوا بالأنطاع فأتتهم صيحة من السماء فقطّعت قلوبهم فهلكوا.(١)

عن الباقر عليه السلام: انّ الأنبياء عليهم السلام بعثوا خاصّة و عامّة. و أمّا صالح، فإنّه أرسل إلى ثمود و هي قرية واحدة و هي لاتكمل أربعين بيتاً على ساحل البحر صغيرة.(٢)

١ـ الكشّاف ٢ / ١٢٠ ـ ١٢١.
٢ـ كمال الدين / ٢٢٠.

جاء رجل من أهل الشام إلى عليّ بن الحسين عليه السلام فقال: أبوك الذي قتل المؤمنين. فقال: ويلك! كيف قطعت إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قتل المؤمنين؟ قال: قوله: إخواننا قد بغوا علينا فقاتلناهم على بغيهم. فقال: ويلك! أما تقرأ القرآن: «و إلى مدين أخاهم شعيباً»، «و إلى ثمود أخاهم صالحاً»؟ فكانوا إخوانهم في دينهم أو في عشيرتهم؟ فقال له الرجل: بل في عشيرتهم. قال: فهؤلاء كذلك. قال: فرّجت عنّي.(١)

«ثمود» ابن عابر بن إرم بن سام بن نوح أخو ادريس. «قد جاءتكم بيّنة»؛ أي شاهد على صحّة نبوّتي. كأنّه قيل: ما هذه البيّنة؟ فقال: «هذه ناقة الله لكم آية». و إضافتها إلى الله للتعظيم. «آية». نصب على الحال. و العامل فيها ما دلّ عليها اسم الإشارة من معنى الفعل. «بسوء»؛ أي: لاتضربوها و لاتطردوها.(٢)

كان قاتل الناقة رجل اسمه قدار بن سالف، قتلها إجابة لمعشوقته. و روي عن النبيّ صلى الله عليه و آله قال: يا عليّ، أتدري من أشقى الأوّلين؟ قال: الله و رسوله أعلم. قال: عاقر الناقة. قال: أتدري من أشقى الآخرين؟ قال: الله و رسوله أعلم. قال: قاتلك.(٣) اه. و كان قدار رجلاً أحمر أشقر أزرق ولد زنىً لايعرف له أب. (حسن)

[٧٤] «وَ اذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَ بَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُوراً وَ تَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتاً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللهِ وَ لَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ».

«و بوّأكم في الأرض»؛ أي: نزّلكم بين الحجاز و الشام.(٤)

«من سهولها»؛ أي: تبنون من سهولها الدور و القصور لتكونوا فيها وقت الصيف. «و تنحتون من الجبال بيوتاً» لتكونوا فيها وقت الشتاء.(٥)

١ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٢٠، ح ٥٣.
٢ـ الكشّاف ٢ / ١٢٠ ـ ١٢١.
٣ـ مجمع البيان ٤ / ٦٨٢.
٤ـ الكشّاف ٢ / ١٢٢.
٥ـ مجمع البيان ٤ / ٦٧٩.

«بيوتاً». انتصاب بيوتاً على الحال المقدّرة. لأنّ الجبال لاتكون بيوتاً في حال النحت. كما تقول: خط هذا الثوب قميصاً. أو المفعول، على أنّ التقدير: من الجبال. أو تنحتون بمعنى تتّخذون.(١)

[٧٥ ـ ٧٦] «قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحاً مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ».

«قال الملأ». ابن‌عامر: «و قال» بالواو. «استكبروا» عن الإيمان. «استضعفوا»: استضعفوهم و استذلّوهم. «لمن آمن». بدل من الذين استضعفوا بدل الكلّ، إن كان الضمير لقومه، و بدل البعض إن كان للّذين. «أنّ صالحاً». قالوه على الاستهزاء. «إنّا بما أرسل». عدلوا عن الجواب السويّ الذي هو نعم، تنبيهاً على أنّ إرساله أظهر من أن يشكّ فيه عاقل و يخفى على ذي رأي و أنّما الكلام فيمن آمن به و من كفر به. فلذلك قال: «قال الذين استكبروا إنّا بالّذي آمنتم به كافرون» على المقابلة و وضعوا «آمنتم به» موضع «أرسل به» ردّاً لما جعلوه معلوماً مسلّماً.(٢)

[٧٧] «فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَ عَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَ قَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ».

«فعقروا الناقة»: نحروها. أسند إلى جميعهم فعل بعضهم للملابسة، أو لأنّه كان برضاهم. «و عتوا عن أمر ربّهم»؛ أي: استكبروا عن امتثاله و هو ما بلّغهم صالح بقوله: «ذروها».(٣)

[٧٨] «فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ».

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٤٦، و الكشّاف ٢ / ١٢٢.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٤٧.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٤٧.

«الرجفة»: الزلزلة. «جاثمين»: خامدين لايتحرّكون موتى.[١]

«الرجفة»: صيحة من السماء زلزلت الأرض بها.[٢]

[٧٩] «فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَ قَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَ نَصَحْتُ لَكُمْ وَ لٰكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ».

«فتولّى عنهم». ظاهره أن تولّيه عنهم كان بعد أن أبصرهم جاثمين. و لعلّه خاطبهم به بعد هلاكهم، كما خاطب رسول الله صلى الله عليه و آله أهل قليب بدر و قال: إنّا وجدنا ما وعدنا ربّنا» -الآية.[٣] أو ذكر ذلك على وجه التحسّر عليهم.[٤]

[٨٠] «وَ لُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَ تَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ».

«لوطاً». لوط بن هاران بن تارخ، ابن أخي إبراهيم عليه السلام. عن أبي جعفر عليه السلام: انّ لوطاً لبث في قومه ثلاثين سنة ـ و كان نازلاً فيهم و لم يكن منهم ـ يدعوهم إلى الله و ينهاهم عن الفواحش، فلم يطيعوه. و كانوا لايتطهّرون من الجنابة، بخلاء أشحّاء على الطعام، فأعقبهم البخل الداء الذي لا دواء له في فروجهم. و ذلك أنّهم كانوا على طريق السيّارة إلى الشام و مصر و كان ينزل بهم للضيفان، فدعاهم البخل إلى [أن] كانوا إذا نزل بهم الضيف فضحوه. و إنّما فعلوا ذلك لينكل النازلة عليهم من غير شهوة بهم إلى ذلك. فأوردهم البخل ذلك الداء حتّى صاروا يطلبونه من الرجال و يعطون عليه الجعل. و كان لوط سخيّاً كريماً يقري الضيف إذا نزل به. فنهوه عن ذلك فقالوا: لاتقرينّ ضيفاً. فإنّك إن فعلت فضحناك في ضيفك. و كان إذا نزل به الضيف، كتم أمره مخافة قومه ـ الحديث.[٥]

«أتأتون الفاحشة». أبوبصير عن أحدهما عليهما السلام قال: إنّ إبليس أتاهم في صورة حسنة

١ـ تفسير البيضاوىّ ١ / ٣٤٧، و الكشّاف ٢ / ١٢٤.
٢ـ مجمع البيان ٤ / ٦٧٩ ـ ٦٨٠.
٣ـ الأعراف (٧) / ٤٤.
٤ـ تفسير البيضاوىّ ١ / ٣٤٧ ـ ٣٤٨.
٥ـ مجمع البيان ٤ / ٦٨٥ ـ ٦٨٦.

فجاء إلى شبّان منهم فأمرهم أن يقعوا به. و لو طلب منهم أن يقع عليهم، لأبوا عليه. فلمّا واقعوا به التذّوه. ثمّ ذهب عنهم و تركهم فأحال بعضهم على بعض.[١]

«و لوطاً»؛ أي: و أرسلنا لوطاً. «إذ قال»: وقت قوله لهم. أو: و اذكر لوطاً، و إذ بدل منه.

«أتأتون». توبيخ و تقريع على تلك الفعلة المتمادية في القبح. «ماسبقكم»: مافعلها من قبلكم أحد قطّ. و الباء للتعدية. و من الأولى لتأكيد النفي و الاستغراق، و الثانية للتبعيض. و الجملة استئناف مقرّرة للإنكار. كأنّه وبّخهم أوّلاً بإتيان الفاحشة ثمّ باختراعها فإنّه أسوأ.[٢]

[٨١] «إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ».

«أإنّكم لتأتون». بيان لقوله: «أتأتون الفاحشة» و هو أبلغ في الإنكار و التوبيخ. قرأ نافع و حفص: «إنّكم» على الإخبار المستأنف. و «شهوة» مفعول له، أو مصدر في موقع الحال. و في التقييد بها وصفهم بالبهيميّة الصرفة و تنبيه على أنّ العاقل ينبغي أن يكون الداعي له إلى المباشرة طلب الولد و بقاء النوع لا قضاء الوطر.[٣]

عبدالرحمن بن الحجّاج قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام و ذكر عنده إتيان النساء في أدبارهنّ فقال: ما أعلم آية أحلّت ذلك إلّا واحدة: «إنّكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء».[٤]

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ما كان في شيعتنا فلايكون فيهم من يؤتى في دبره.[٥]

«بل أنتم». أضرب عن الإنكار إلى الإخبار عنهم بالحال التي توجب ارتكاب القبائح و تدعو إلى اتّباع الشهوات و هو أنّهم قوم عادتهم الإسراف و تجاوز الحدود في كلّ شيء فمن ثمّ أسرفوا في باب قضاء الشهوة حتّى تجاوزوا المعتاد إلى غير المعتاد. و نحوه: «بل أنتم قوم عادون»[٦].[٧]

١ـ علل الشرائع / ٥٤٨، ح ٣.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٤٨.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٤٨.
٤ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٢٢، ح ٥٦.
٥ـ الخصال / ١٣١، ح ١٣٧.
٦ـ الشعراء (٢٦) / ١٦٦.

[٨٢] «وَ مَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ».

«و ماكان جواب قومه». يعني ما أجابوه بما يكون جواباً عمّا كلّمهم به لوط من إنكار الفاحشة و تعظيم أمرها و وسمهم بسمة الإسراف الذي هو أصل الشرّ كلّه، ولكنّهم جاؤوا بشيء آخر لايتعلّق بكلامه و نصيحته من الأمر بإخراجه و من معه من المؤمنين من قريتهم ضجراً بهم و بنصحهم. و قولهم: «إنّهم أناس» سخريّة بهم و بتطهّرهم من الفواحش و افتخار بما كانوا فيه من القذارة. كما يقول الشُّطّار من الفسقة لبعض الصلحاء إذا وعظهم: أبعدوا عنّا هذا المتقشّف و أريحونا من هذا المتزهّد.(٨)

[٨٣ ـ ٨٤] «فَأَنْجَيْنَاهُ وَ أَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ * وَ أَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَراً فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ».

«و أهله»؛ أي: من آمن به. «إلّا امرأته». استثناء من أهله، فإنّها كانت تسرّ الكفر.(٩)

«من الغابرين»؛ أي: من الذين غبروا في ديارهم. أي: بقوا فهلكوا. و التذكير لتغليب الذكور على الإناث. و كانت كافرة. و روي أنّها التفتت فأصابها حجر فماتت. قيل: كانت المؤتفكة خمس مدائن. و قيل: كانوا أربعة آلاف بين الشام و المدينة. فأمطر الله عليهم الكبريت و النار. و قيل: خسف بالمقيمين منهم و أمطرت الحجارة على مسافريهم و شذاذهم. و قيل: أمطر عليهم ثمّ خسف بهم. «مطراً»: نوعاً عجيباً من المطر و هو الحجارة.(١٠)

«المجرمين»: أهل قرية سدوم. فأمطر الله عليهم الحجارة.(١١)

٧ـ الكشّاف ٢ / ١٢٥.

٨ـ الكشّاف ٢ / ١٢٥ ـ ١٢٦.

٩ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٤٨.

١٠ـ الكشّاف ٢ / ١٢٦.

١١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٤٨.

[٨٥] «وَ إِلىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَ الْمِيزَانَ وَ لَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ».

«و إلى مدين أخاهم شعيباً»؛ أي: و أرسلنا إلى مدين. قيل: أنّه مدين بن إبراهيم الخليل فنسب القبيلة إليه. و شعيب عليه السلام كان من ذرّيّة إبراهيم الخليل عليه السلام. «قد جاءتكم بيّنة». يريد المعجزة التي كانت له و ليس في القرآن أنّها ما هي. و ما روي من محاربة عصا موسى التنّين حين دفع إليه غنمه و ولادة الغنم التي دفعها [إليه] الدرع خاصّة و كانت الموعودة له من أولادها و وقوع عصا آدم على يده في المرّات السبع فتأخّر عن هذه المقاولة. و يحتمل أن يكون كرامة لموسى أو إرهاصاً لنبوّته. «الكيل»؛ أي: آلة الكيل؛ لقوله: «و الميزان». أو أطلق الكيل على المكيال كالعيش على المعاش. «و الميزان»؛ أي: وزن الميزان. أو يكون الميزان مصدراً كالميعاد. «و لاتبخسوا الناس أشياءهم»؛ أي: لاتنقصوهم حقوقهم. و إنّما قال: «أشياءهم» للتعميم تنبيهاً على أنّهم كانوا يبخسون الجليل و الحقير. و قيل: كانوا مكّاسين لايدعون شيئاً إلّا مكسوه. «و لاتفسدوا» بالكفر و الحيف. «بعد إصلاحها»: بعد ما أصلح أمرها أو أهلها الأنبياء و أتباعهم بالشرائع و أصلحوا فيها؛ كالإضافة في «مكر الليل و النهار».[١] «ذلكم خير». الإشارة إلى العمل بما أمرهم به و نهاهم عنه. و معنى الخيريّة إمّا لزيادة مطلقاً أو في الإنسانيّة و حسن الأحدوثة و جمع المال.[٢]

«و لاتبخسوا الناس». روي أنّهم كانوا إذا دخل الغريب بلدهم، أخذوا دراهمه الجياد و قالوا: هي زيوف، فقطّعوها قطاعاً، ثمّ أخذوها بنقصان ظاهر أو أعطوه بدلها زيوفاً.[٣]

[٨٦] «وَ لَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَ

١ـ سبأ (٣٤) / ٣٣.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٤٨ ـ ٣٤٩.
٣ـ الكشّاف ٢ / ١٢٧.

تَبْغُونَهَا عِوَجاً وَ اذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ وَ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ».

«بكلّ صراط»: بكلّ طريق من طرق الدين كالشيطان. و صراط الحقّ، و إن كان واحداً، لكنّه يتشعّب إلى معارف و حدود و أحكام. و كانوا إذا رأوا واحداً يسعى في شيء منها، منعوه. و قيل: كانوا يقطعون على الطريق فيقولون لمن يريد شعيباً: إنّه كذّاب. فلايفتننك عن دينك. و يوعدون لمن آمن به. و قيل: كانوا يقطعون الطريق. «عن سبيل الله». يعني الذي قعدوا عليه. فوضع الظاهر موضع المضمر بياناً لكلّ صراط و دلالة على عظم ما يصدّون عنه وَ تقبيحاً لما كانوا عليه. أو الايمان بالله. «به»؛ أي: بالله. أو: بكلّ صراط. «و تبغونها»؛ أي: تطلبون سبيل الله «عوجاً» بإلقاء الشبهة، أو وصفها للناس بأنّها معوجّة. «قليلاً». أي: عَددكم أو عُددكم.[١]

«فكثّركم». قال ابن عبّاس: و ذلك أنّ مدين بن إبراهيم تزوّج بنت لوط فولدت حتّى كثر أولاده. أو: كثّركم بأن جعلكم أغنياء بعد أن كنتم فقراء. «المفسدين». مثل قوم عاد و ثمود و لوط.[٢]

«المفسدين» من الأمم من قبلكم و اعتبروا.[٣]

[٨٧] «وَ إِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَ طَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَنَا وَ هُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ».

«فاصبروا»؛ أي: لايغرّنّكم تفرّق الناس عنّي. فإنّ جميل العاقبة لي.[٤]

«بيننا»: بين الفريقين بنصر المحقّين على المبطلين. فهو وعد للمؤمنين و وعيد للكافرين.[٥]

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٤٩.

٢ـ مجمع البيان ٤ / ٦٨٩.

٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٤٩.

٤ـ مجمع البيان ٤ / ٦٨٩.

٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٤٩.

[٨٨] «قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَ وَ لَوْ كُنَّا كَارِهِينَ».

«من قريتنا»؛ أي: من بلدتنا التي هي مستقرّك و وطنك. «أو لتعودنّ»: لترجعنّ إلى ملّتنا التي كنت عليها. لأنّه كان عندهم و في ظنّهم أنّه كان قبل ذلك على دينهم. فلذلك أطلقوا لفظ العود. و قد كان عليه السلام يخفي دينه فيهم. و يحتمل أن يكون المراد: و لتدخلنّ في ديننا و طريقتنا. لأنّ العود يذكر و يراد به الابتداء ـ كما قال الزجّاج ـ و يكون بمعنى الصيرورة؛ كقوله:

تلك المكارم لا قعبان من لبن شيباً بماء فعادا بعد أبوالا[١]

فإن قلت: كيف خاطبوا شعيباً بالعود في كفرهم و كيف أجابهم بقوله: «إن عدنا في ملّتكم» و الأنبياء لايجوز عليهم الكفر؟ قلت: لمّا قالوا له: «لنخرجنّك يا شعيب و الذين آمنوا معك» فعطفوا على ضميره الذين دخلوا في الإيمان منهم بعد كفرهم قالوا: «لتعودنّ» فغلبوا الجماعة على الواحد فجعلوهم عائدين جميعاً إجراء للكلام على حكم التغليب. و على ذلك أجرى شعيب جوابه فقال: «إن عدنا» و هو يريد عود قومه إلّا أنّه نظم نفسه في جملتهم ـ و إن كان بريئاً من ذلك ـ إجراء للكلام على حكم التغليب. «أ و لو كنّا كارهين». الهمزة للاستفهام. و الواو للحال. تقديره: أتعيدوننا في ملّتكم في حال كراهتنا و مع كوننا كارهين؟[٢]

[٨٩] «قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللهِ كَذِباً إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللهُ مِنْهَا وَ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَ بَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَ أَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ».

«إن عدنا»: إن هممنا بالعود بعد الخلاص منها.[٣]

١ـ مجمع البيان ٤ / ٦٩٠ ـ ٦٩١. ٢ـ الكشّاف ٢ / ١٢٩ ـ ١٣٠.

٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٤٩.

«و مايكون لنا»؛ أي: و ماينبغي و مايصحّ. «إلّا أن يشاء الله». فإن قلت: ما معنى المشيّة و الله تعالى لايشاء عود المؤمنين إلى الكفر؟ قلت: معناه: إلّا أن يشاء الله خذلاننا و منعنا الألطاف لعلمه أنّه لاينتفع فينا و يكون عبثاً. و يجوز أن يكون قوله: «إلّا أن يشاء الله» حسماً لطمعهم في العود. لأنّ مشيّة الله في العود محال خارج من الحكمة. «على الله توكّلنا» في أن يثبّتنا على الايمان و يوفّقنا لازدياد الإيقان. «ربّنا افتح بيننا»؛ أي: احكم و أظهر أمرنا حتّى يتفتّح بيننا «و بين قومنا» و ينكشف بأن تنزل عليهم عذاباً يتبيّن معه أنّهم على الباطل. «خير الفاتحين». كقوله: «و هو خير الحاكمين». فإن قلت: كيف أسلوب قوله: «قد افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملّتكم»؟ قلت: هو إخبار مقيّد بالشرط. و فيه وجهان: أحدهما أن يكون كلاماً مستأنفاً فيه معنى التعجّب. كأنّهم قالوا: ما أكذبنا على الله إن عدنا في الكفر بعد الإسلام! لأنّ المرتدّ أبلغ في الافتراء من الكافر. لأنّ الكافر مفتر على الله الكذب حيث يزعم أنّ لله نداً و لا ندّ له و المرتدّ مثله في ذلك و زائداً عليه حيث يزعم أنّه قد تبيّن له ما خفي عليه من التمييز بين الحقّ و الباطل. و الثاني أن يكون قسماً على حذف اللّام بمعنى: و الله لقد افترينا على الله كذباً.(١)

«كذباً» فيما دعوناكم إليه. «إلاّ أن يشاء الله». فيه أقوال: أحدها أن يراد بالملّة الشريعة فالمراد بها الفروع لا الأصول. فإنّ في شريعتهم أشياء يجوز أن يتعبّد الله بها. فكأنّه قال: إلّا أن [يشاء الله أن] يتعبّدنا بها و ينقلنا إليها و ينسخ ما نحن فيه من الشريعة. و ثانيها أنّ المراد: إلّا أن يشاء الله أن يمكّنكم من إكراهنا و يخلّي بينكم و بينه فنعود إلى إظهارها مكرهين. و ثالثها أن يعود [الهاء] في قوله: «فيها» إلى القرية لا إلى الملّة فيكون المعنى: إنّا سنخرج من قريتكم و لانعود فيها إلّا أن يشاء الله بما ينجزه لنا من الوعد في الإظهار عليكم و الظفر بكم فنعود إليها. و رابعها: إلّا أن يشاء الله مشيّة إلجاء و اضطرار أن يردّكم إلى الحقّ فنكون جميعاً على ملّة واحدة. «علماً». نصب على التمييز.(٢)

١ـ الكشّاف ٤ / ١٣٠ ـ ١٣١.
٢ـ مجمع البيان ٤ / ٦٩١ ـ ٦٩٢.

[٩٠] «وَ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْباً إِنَّكُمْ إِذاً لَخَاسِرُونَ».

«و قال الملأ» أشرافهم للّذين دونهم يثبّطونهم عن الإيمان.[١]

«لئن اتّبعتم شعيباً» و تركتم دينكم. «لخاسرون»، لاستبدالكم ضلالته بهداكم، أو لفوات ما يحصل لكم بالبخس و التطفيف. لأنّه ينهى عنهما. و هو سادّ مسدّ جواب الشرط و القسم الموطّأ باللّام.[٢]

[٩١] «فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ».

«فأخذتهم الرجفة». قيل: بعث الله عليهم صيحة واحدة فماتوا. عن أبي عبدالله عليه السلام. و قيل: إنّه كان لشعيب قومان؛ قوم أهلكوا بالرجفة، و قوم هم أصحاب الظلّة. «أصبحوا في دارهم جاثمين»؛ أي: ميّتين ملقين على وجوههم.[٣]

«الرجفة»: الزلزلة. و في سورة الحجر: «فأخذتهم الصيحة».[٤] و لعلّها كانت من مباديها. «دارهم»؛ أي: مدينتهم.[٥]

«فأخذتهم». أرسل الله عليهم سحابة فيها نار فالتهبت عليهم ناراً و رجفت بهم الأرض فاحترقوا كالجراد المقليّ و صاروا رماداً و هو عذاب يوم الظلّة.[٦]

[٩٢] «الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ».

«الذين كذّبوا». مبتدأ و خبره: «كأن لم يغنوا»؛ أي: استؤصلوا كأن لم يقيموا بها. و المغنى: المنزل. «هم الخاسرون» ديناً و دنيا، لا الذين صدّقوه و اتّبعوه كما زعموا، فإنّهم الرابحون في الدارين. و للتنبيه على هذا و المبالغة فيه، كرّر الموصول و استأنف بالجملتين و أتى بهما

١ـ الكشّاف ٢ / ١٣١.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٥٠.
٣ـ مجمع البيان ٤ / ٦٩٣ ـ ٦٩٤.
٤ـ الحجر (١٥) / ٨٣.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٥٠.
٦ـ مجمع البيان ٤ / ٦٩٣.

اسميّتين.[١]

[٩٣] «فَتَوَلّٰى عَنْهُمْ وَ قَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَ نَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسىٰ عَلىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ».

«لقد أبلغتكم». قاله تأسّفاً لشدّة حزنه عليهم. ثمّ أنكر على نفسه فقال: «كيف آسى»؛ أي: ليسوا أهل حزن لاستحقاقهم ما نزل بكفرهم. أو قاله اعتذاراً عن عدم شدّة حزنه عليهم و المعنى: لقد بالغت في الإبلاغ و الإنذار فلم تصدّقوا قولي. فكيف آسى عليكم؟[٢]

«فكيف آسى» و إن كان على لفظ الاستفهام المراد به النفي. و فيه دلالة على أنّه لايجوز للمسلم أن يدعو للكافر بالخير و أنّه لايجوز الحزن على هلاك الكافرين و الظالمين.[٣]

[٩٤] «وَ مَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَ الضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ».

«و ما أرسلنا في قرية». حقيقة المعنى فيها أنّه سبحانه يدبّر خلقه الذين يعصونه بأن يأخذهم تارة بالشدّة و تارة بالرخاء، فإذا أفسدوا على الأمرين جميعاً، أخذهم فجأة ليكون ذلك أعظم في الحسرة و أبلغ في العقوبة. «في قرية» من القرى التي أهلكناها بالعذاب أو في سائر القرى. «يضّرّعون»؛ أي: يتوبون و يعلمون أنّه مقدّمة العذاب. و يعني بالبأساء ما نالهم من الشدّة في أنفسهم و بالضرّاء ما نالهم في أموالهم. و قيل: إنّ البأساء الجوع، و الضرّاء الفقر.[٤]

«البأساء»؛ أي: البؤس و الضرّ. «يضّرّعون»: كي يتضرّعوا و يتذلّلوا.[٥]

[٩٥] «ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتّٰى عَفَوْا وَ قَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَ

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٥٠.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٥٠.
٣ـ مجمع البيان ٤ / ٦٩٤.
٤ـ مجمع البيان ٤ / ٦٩٥.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٥٠.

السَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ».

«بدّلنا»؛ أي: أعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء و المشقّة و الشدّة السلامة و السعة، ابتلاء لهم بالأمرين. «عفوا»؛ أي كثروا عدداً و عُدداً. يقال: عفا النبات، إذا كثر. و منه إعفاء اللّحى. «قد مسّ آباءنا». يقولون ذلك القول كفراناً لنعمة الله تعالى و نسياناً لذكره و اعتقاداً بأنّه من عادة الدهر تعاقب الناس بين السرّاء و الضرّاء و قد مسّ آباءنا منه مثل ما قد مسّنا. «بغتة»: فجأة. «لايشعرون» بنزول العذاب.(۱)

«حتّى عفوا»؛ أي: سمنوا. و قيل: أعرضوا عن الشكر.(۲)

«قد مسّ». يعني هذا عادة الزمان و ليس هو ابتلاء من الله.(۳)

[۹۶] «وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ وَ لٰكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ».

«أهل القرى» المدلول عليها بقوله: «وما أرسلنا في قرية». و قيل: مكّة و ما حولها. «لفتحنا»؛ أي: لوسّعنا عليهم الخير و يسّرناه لهم. و قيل: المراد المطر و النبات. «كذّبوا» الرسل. «يكسبون» من الكفر و المعاصي.(٤)

«لفتحنا». ابن عامر بالتشديد.(٥)

[۹۷] «أَ فَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتاً وَ هُمْ نَائِمُونَ».

«أفأمن» المكذّبون لك يامحمّد.(٦)

«أفأمن». عطف على قوله: «فأخذناهم و هم لايشعرون». و ما بينهما اعتراض. و المعنى: أ بعد ذلك أمن أهل القرى؟ «بياتاً»: تبييتاً. أو: وقت بيات. أو: مبيتاً. أو مبيتين. و هو

۱ـ تفسير البيضاويّ ۱ / ۳۵۰.
۲ـ مجمع البيان ٤ / ٦۹٥.
۳ـ الكشّاف ۲ / ۱۳۳.
٤ـ تفسير البيضاويّ ۱ / ۳۵۰ ـ ۳۵۱.
٥ـ تفسير البيضاويّ ۱ / ۳۵۱.
٦ـ مجمع البيان ٤ / ٦۹۸.

في الأصل مصدر بمعنى البيوتة و يجيء بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم. «و هم نائمون». حال من ضمير هم البارز أو المستتر في بياتاً.[١]

«بياتاً». بمعنى البيوتة. يقال: بات بياتاً.[٢]

[٩٨] «أَ وَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَ هُمْ يَلْعَبُونَ».

«أو أمن». ابن‌كثير و نافع و ابن‌عامر: «أوْ» بالسكون على الترديد. «ضحًى»: ضحوة النهار. و هو في الأصل ضوء الشمس إذا ارتفعت. «يلعبون»: يلهون من فرط الغفلة. أو: يشتغلون بما لاينفعهم.[٣]

[٩٩] «أَ فَأَمِنُوا مَكْرَ اللهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ».

«أفأمنوا مكر الله». تقرير لقوله: «أفأمنوا أهل القرى». و مكر الله استعارة لاستدراج العبد و أخذه من حيث لايحتسب. «الخاسرون»: الذين خسروا بالكفر و ترك النظر و الاعتبار.[٤]

[١٠٠] «أَ وَ لَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَ نَطْبَعُ عَلىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ».

«لم يهد». يعقوب بالنون. «أ و لم يهد». أنكر سبحانه تركهم الاعتبار بمن تقدّمهم من الأمم فقال: « أو لم يهد»؟ هو استفهام يراد به التقرير. أي: أ و لم يبيّن الله؟ و بالنون: أ و لم نبيّن؟ و قيل: معناه: أ و لم يهد ما تلوناه من أنباء القرى؟ و قيل: تقديره: أ و لم يهد لهم مشيّتنا. لأنّ قوله: «أن لو نشاء» في موضع رفع بأنّه فاعل يهد.[٥]

«يرثون الأرض»؛ أي: يخلفون من خلا قبلهم و يرثون ديارهم. و إنّما عدّي يهد باللّام

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٥١.

٢ـ الكشّاف ٢ / ١٣٣.

٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٥١.

٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٥١.

٥ـ مجمع البيان ٤ / ٦٩٩ ـ ٧٠٠.

لأنّه بمعنى يبيّن. «أن لو نشاء»: الشأن لو نشاء أصبناهم بجزاء ذنوبهم كما أصبنا من قبلهم. و هو فاعل يهد.[١]

«أصبناهم»: كما أصبنا من قبلهم. «و نطبع». معطوف على ما دلّ عليه معنى «أ و لم يهد». كأنّه قيل: يغفلون عن الهداية و نطبع على قلوبهم. أو على «يرثون الأرض». أو يكون منقطعاً بمعنى: و نحن نطبع على قلوبهم.[٢]

[١٠١] «تِلْكَ الْقُرىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبائِها وَ لَقَدْ جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ فَما كانُوا لِيُؤْمِنُوا بِما كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذٰلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلىٰ قُلُوبِ الْكافِرِينَ».

«بما كذّبوا من قبل». قد عرفت أن المراد ـ كما في الأخبار ـ ولاية آل محمّد عليهم السلام، لأنّهم كذّبوا بها في عالم الذرّ و الأرواح. و في قوله: «و ما وجدنا لأكثرهم من عهد» أنّ الأكثر نقض عهد الولاية الذي أقرّ به في ذلك العالم. فكيف التوفيق بين الأخبار؟ قلت: يمكن الجمع بوجوه. الأوّل: تعدّد الميثاق في ذلك العالم، فوقع في واحد إنكار و في الآخر إقرار. الثاني: انّ الإقرار و التصديق وقع من الأرواح الصرفة المجرّدة عن الذوات التي استخرجت من صلب آدم، و الإنكار قد وقع بعد التعليق بذلك الموادّ. الثالث: أن يكون الإقرار لساناً و الإنكار اعتقاداً. و في الأخبار دلالة عليه. الرابع: انّ الإقرار قد صدر في ذلك العالم قبل وقوع التكليف بدخول النار التي أجّجها و كلّف الفريقين دخولها و الإنكار بعده. فتأمّل.

«تلك القرى»؛ يعني: قرى الأمم المارّ ذكرهم. «نقصّ عليك». حال، إن جعل القرى خبراً و يكون إفادته بالتقييد بها. و خبر، إن جعلت صفة. و يجوز أن يكونا خبرين. و من للتبعيض. أي: نقصّ بعض أنبائها و لها أنباء غيرها لا نقصّها. «بالبيّنات»: المعجزات. «ليؤمنوا» عند مجيئهم بها. «بما كذّبوا»؛ أي: بما كذّبوه من قبل الرسل، بل كانوا مستمرّين على التكذيب. أو: ما كانوا ليؤمنوا مدّة عمرهم بما كذّبوا به أوّلاً حين جاءتهم الرسل و لم يؤثّر قطّ

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٥١.

٢ـ الكشّاف ٢ / ١٣٤ ـ ١٣٥.

فيهم دعوتهم المتطاولة و الآيات المتتابعة. و اللّام لتأكيد النفي و الدلالة على أنّهم ماصلحوا للإيمان لمنافاته لحالهم في التصميم على الكفر و الطبع على قلوبهم.[١]

«نقصّ عليك» لتتفكّر فيها و تخبر قومك بها ليتذكّروا و يعتبروا و يحذروا الإصرار على مثل حال أولئك المغترّين بطول الإمهال. «فما كانوا ليؤمنوا بما كذّبوا من قبل»؛ أي: فما أهلكناهم إلّا و قد كانوا في معلومنا لايؤمنون أبداً. و يريد بقوله: «من قبل» الهلاك و هو بمنزلة قوله: «و لو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه».[٢] «بما كذّبوا». أي: انّ كفرهم يحملهم على أن لايتركوه إلى الايمان. «فما كانوا ليؤمنوا» بعد إذ جاءتهم الرسل بالمعجزات بما كذّبوا به من قبل رؤيتهم تلك البيّنات. و قيل: معناه: ماكان هؤلاء الخلف ليؤمنوا بما كذّب به أوائلهم من الأمم. «كذلك نطبع». قيل: إنّ الله سبحانه شبّه الكفر بالصدأ لأنّه يذهب عن القول حلاوة الايمان كما يذهب الصدأ بصفاء المرآة. و لمّا صاروا عند أمر الله لهم بالايمان إلى الكفر، جاز أن يضيف الله الطبع إلى نفسه. كما قال: «زادتهم رجساً إلى رجسهم»[٣].[٤]

«بما كذّبوا من قبل». عن أبي جعفر عليه السلام: انّ الله خلق الخلق و هم ذرّ، فكلّمهم في ذلك العالم. فبعضهم أنكر ولاية آل محمّد عليهم السلام و بعضهم أقرّ بلسانه وحده. فلمّا برزوا إلى الدنيا، لم يكونوا ليؤمنوا بما كذّبوا به من قبل. يعني عالم الذرّ.[٥]

[١٠٢] «وَ مَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَ إِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ».

«و ماوجدنا لأكثرهم من عهد». يعني أنّ أكثرهم نقض عهد الله و ميثاقه في الايمان و التقوى. «و إن وجدنا»: و إنّ الشأن و الحديث وجدنا أكثرهم خارجين عن الطاعة. و الآية اعتراض و يجوز أن يرجع الضمير إلى الأمم المذكورين و أنّهم كانوا إذا عاهدوا الله في ضرّ و مخافة لئن أنجيتنا لنؤمننّ، ثمّ نجّاهم، نكثوا. كما قال فرعون لموسى: «لئن كشفت عنّا الرجز»

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٥١.
٢ـ الأنعام (٦) / ٢٨.
٣ـ التوبة (٩) / ١٢٥.
٤ـ مجمع البيان ٤ / ٧٠٠ ـ ٧٠١.
٥ـ تفسير القمّيّ ١ / ٢٣٦.

إلى قوله: «ينكثون».[١] و الوجود بمعنى العلم بدليل دخول إن المخـفّفة و اللّام الفـارقة. و لايسوغ ذلك إلّا في المبتدأ و الخبر و الأفعال الداخلة عليها.[٢]

«لأكثرهم»: لأكثر الناس. و الآية اعتراض. أو: لأكثر الأمم المذكورين.[٣]

عن أبي عبداللهعليه‌السلام: المراد منه عهد الولاية الذي أخذ في عالم الذرّ.[٤]

[١٠٣] «ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسىٰ بِآيَاتِنَا إِلىٰ فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ».

«من بعدهم». الضمير للرسل في قوله: «و لقد جاءتهم رسلهم» أو للأمم. «فظلموا بها»؛ أي: كفروا بآياتنا. أجرى الظلم مجرى الكفر لأنّهما من واد واحد. «إنّ الشرك لظلم عظيم».[٥] فظلموا الناس بسببها حين أوعدوهم و صدّوهم عنها و آذوا من آمن بها و لأنّه إذا وجب الإيمان بها فكفروا بعد الإيمان، كان كفرهم ظلماً. لأنّهم وضعوا الكفر غير موضعه أعـني الإيمان.[٦]

[١٠٤] «وَ قَالَ مُوسىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ».

«يا فرعون». يقال لملوك المصر: الفراعنة. و كان اسمه قابوس أو الوليد بن مصعب.[٧]

[١٠٥] «حَقِيقٌ عَلىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ».

«حقيق علىٰ». كان أصله: «حقيق عليّ أن لاأقول» كما قرأ نافع، فقلب لأمن اللّـبس على. [و] قيل: وضع على مكان الباء لإفادة التمكّن.[٨]

١ـ الأعراف (٧) / ١٣٤ ـ ١٣٥.
٢ـ الكشّاف ٢ / ١٣٦.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٥١.
٤ـ لم نعثر عليه فيما حضرنا من المصادر.
٥ـ لقمان (٣١) / ١٣.
٦ـ الكشّاف ٢ / ١٣٦.
٧ـ الكشّاف ٢ / ١٣٦.
٨ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٥٢.

القلب هنا تقديم ضمير المجرور المتكلّم على حقيق. أي: أنا حقيق على أن لا أقول، لعدم الالتباس إذ يعلم أنّ المراد حقيق عليّ. (حسن)

«حقيق على أن لا أقول». و فيه إشكال و لايخلو من وجوه: أحدها أن يكون ممّا تقلب من الكلام لأمن الإلباس. و الثاني: ما لزمك فقد لزمته. فلمّا كان قول الحقّ حقيقاً عليه، كان هو حقيقاً على قول الحقّ أي لازماً له. و الثالث أن تضمن حقيق معنى حريص. و الرابع ـ و هو الأوجه في نكت القرآن ـ أن يغرق موسى في وصف نفسه بالصدق في ذلك المقام. لا سيّما و قد روي أنّ عدوّ الله فرعون قال له ـ لمّا قال: «إنّي رسول من ربّ العالمين» ـ: كذبت. فيقول: أنا حقيق على قول الحقّ؛ أي: واجب على قول الحقّ أن أكون أنا قائله و القائم به و لايرضى إلّا بمثلي ناطقاً به.(١)

«فأرسل معي»: خلّهم حتّى يذهبوا معي راجعين إلى الأرض المقدّسة التي هي وطنهم و مولد آبائهم. و ذلك أنّ يوسف عليه السلام لمّا توفّي و انقرضت الأسباط، غلب فرعون نسلهم و استعبدهم. فأنقذهم الله بموسى. و كان بين اليوم الذي دخل يوسف مصراً و اليوم الذي دخله موسى أربعمائة عام.(٢)

[١٠٦] «قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ».

[١٠٧] «فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ».

«فألق عصاه». عن أميرالمؤمنين عليه السلام العوسجة أوّل شجرة غرست على وجه الأرض. و منها عصا موسى.(٣)

«ثعبان مبين»: لايشكّ في أنّه ثعبان. روي أنّه كان ثعباناً ذكراً أشعر فاغراً فاه بين لحييه ثمانون ذراعاً، وضع لحيه الأسفل في الأرض و لحيه الأعلى على سور القصر، ثمّ توجّه نحو

١ـ الكشّاف ٢ / ١٣٧ ـ ١٣٨.
٢ـ الكشّاف ٢ / ١٣٨.
٣ـ عيون الأخبار ١ / ٢٤٥.

فرعون ليأخذه. فوثب فرعون من سريره و هرب و أحدث. و لم يكن أحدث قبل ذلك. و هرب الناس و صاحوا. و حمل [على] الناس، فانهزموا، فمات منهم خمسة و عشرون ألفاً من الزحام. و دخل فرعون البيت فصاح: يا موسى، خذه و أنا أومن بك و أرسل معك بني إسرائيل. فأخذه موسى فعاد عصاً.(١)

[١٠٨] «وَ نَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ».

«للناظرين». متعلّق ببيضاء. أي: بيضاء للنظّارة. يعني أنّ بياضها بياض عجيب خارج عن العادة يجتمع الناس للنظر إليه كما يجتمع النظّارة للعجائب. و ذلك أنّه أرى فرعون يده و قال: ما هذه؟ قال: يدك. ثمّ أدخلها جيبه و نزعها، فإذا هي بيضاء بياضاً نورانيّاً غلب شعاعها شعاع الشمس. و كان موسى آدم شديد الأدمة.(٢)

[١٠٩] «قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ».

«إنّ هذا لساحر عليم». قاله هو و أشراف قومه على سبيل التشاور في أمره [فحكي عنه في سورة الشعراء و عنهم هاهنا].(٣)

[١١٠] «يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَا ذَا تَأْمُرُونَ».

[١١١] «قَالُوا أَرْجِهْ وَ أَخَاهُ وَ أَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ».

«قالوا أرجه». كأنّه اتّفقت آراؤهم عليه فأشاروا به إلى فرعون. و الإرجاء: التأخير. أي: أخّر أمره. و أصله: أرجئه ـ كما قرأ أبوعمرو و يعقوب ـ من أرجأت. و كذلك «أرجئه» على قراءة ابن [كثير على الأصل في الضمير. أو: أرجِهِ، أرجيت كما قرأ نافع في رواية] ورش. و أمّا قراءته في رواية قالون فهي: «أرجه» محذوف الياء فللاكتفاء بالكسرة عنها. و

١ـ الكشّاف ٢ / ١٣٨.
٢ـ الكشّاف ٢ / ١٣٨.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٥٣.

أمّا قراءة ابن‌عامر برواية ابن‌ذكوان: «أرجئه» بالهمزة و كسر الهاء، فلايرتضيه النحاة. فإنّ الهاء لاتكسر إلّا إذا كان قبلها كسرة أو ياء ساكنة. و وجهه أنّ الهمزة لمّا كانت تقلب ياء، أجريت مجراها.(١)

عن يونس بن ظبيان قال: قال: إنّ موسى و هارون حين دخلا إلى فرعون، لم‌يكن في جلسائه يومئذ ولد سفاح ـ و لو كان فيهم ولد سفاح، لأمر بقتلهما ـ فقالوا: «أرجه و أخاه». أمروا بالتأنّي و النظر. ثمّ وضع يده على صدره قال: وكذلك نحن لايسرع إلينا إلّا كلّ خبيث الولادة.(٢)

و عن أبي جعفر عليه السلام قال: كانت عصا موسى لآدم، فصارت إلى شعيب. و إنّها لعندنا. و إنّ عهدي بها آنفاً. و هي خضراء كهيئتها حين انتزعت من شجرتها. و إنّها لتنطق إذا استنطقت. أعدّت لقائمنا و إنّه يصنع بها ما كان يصنع موسى و إنّها لتلقف ما يأفكون.(٣)

«حاشرين»: جامعين للسحرة.(٤)

[١١٢] «يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ».

«ساحر». حمزة و الكسائي: «سحّار».(٥)

[١١٣] «وَ جَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْراً إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ».

«و جاء السحرة». كانوا ثمانين ألفاً. و قيل: سبعين ألفاً. «لأجراً»؛ أي: جعلاً على الغلبة.(٦)

«أإنّ» بهمزتين مخفّفتين، ابن‌عامر و أهل الكوفة.(٧)

«قالوا أإنّ لنا». استأنف به كأنّه جواب سائل قال: ما قالوا إذ جاؤوا؟ و قرأ ابن‌كثير و

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٥٣.
٢ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٢٤، ح ٦٢.
٣ـ الكافي ١ / ٢٣١، ح ١.
٤ـ مجمع البيان ٤ / ٧٠٨.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٥٣.
٦ـ الكشّاف ٢ / ١٣٩.
٧ـ مجمع البيان ٤ / ٧٠٩.

نافع و حفص عن عاصم: «إنّ لنا» على الإخبار و إيجاب الأجر كأنّهم قالوا: لابدّ لنا من أجر. و التنكير للتعظيم.[١]

[١١٤] «قَالَ نَعَمْ وَ إِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ».

«قال نعم و إنّكم». معطوف على محذوف سدّ مسد حرف الإيجاب. كأنّه قال: نعم، إنّ لكم لأجراً و إنّكم لمن المقرّبين. أراد أنّي لا أقتصر بكم على الثواب وحده. و إنّ لكم ما هو فوقه و هو القرب و التعظيم. روي أنّه قال لهم: تكونون أوّل من يدخل و آخر من يخرج.[٢]

[١١٥] «قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَ إِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ».

«إمّا أن تلقي». تخييرهم إيّاه أدب حسن راعوه معه، كما يفعله أهل الصناعات إذا التقوا، كالمتناظرين قبل أن يتخاوضوا في الجدال. و قولهم: «و إمّا أن نكون نحن» فيه ما يدلّ على رغبتهم في أن يلقوا قبله من تأكيد ضميرهم المتّصل بالمنفصل و تعريف الخبر. و قد سوّغ لهم موسى عليه السلام ما تراغبوا فيه قلّة مبالاة [بهم] وثقة بأنّ المعجزة لا يغلبها سحر أبداً.[٣]

[١١٦] «قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَ اسْتَرْهَبُوهُمْ وَ جَاؤُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ».

«سحروا أعين الناس»: أروها بالحيل و الشعوذة و خيّلوا إليها ما الحقيقة بخلافه؛ كقوله: «يخيّل إليه من سحرهم أنّها تسعي».[٤] روي أنّهم ألقوا حبالاً غلاظاً و خشباً طوالاً، فإذا هي أمثال الحيّات قد ملأت الأرض و ركب بعضها بعضاً. «و استرهبوهم». كأنّهم طلبوا رهبتهم. «بسحر عظيم» في باب السحر. روي أنّهم لوّنوا حبالهم و خشبهم و جعلوا فيها ما

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٥٣.
٢ـ الكشّاف ٢ / ١٣٩.
٣ـ الكشّاف ٢ / ١٤٠.
٤ـ طه (٢٠) / ٦٦.

يوهم الحركة. قيل: جعلوا فيها الزئبق.[١]

«قال ألقوا». أمر تهديد و تقريع؛ كقوله: «اعملوا ما شئتم».[٢] «سحروا أعين الناس». لأنّهم أروهم شيئاً لم يعرفوا حقيقته و خفي ذلك عليهم لبعدهم منه. فإنّهم لم يخلّوا الناس يدخلون فيما بينهم. و في هذا دلالة على أنّ السحر لاحقيقة له. لأنّها لو صارت حيّات حقيقة، لم يقل الله: «سحروا أعين الناس» بل كان يقول: فلمّا ألقوا، صارت حيّات. «بسحر عظيم». لأنّهم كانوا ثمانين ألفاً و كان مع كلّ واحد منهم عصاً أو حبل، فلمّا ألقوه استعظمه الناس.[٣]

[١١٧] «وَ أَوْحَيْنَا إِلىٰ مُوسىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ».

حفص: «تلقف» بتخفيف القاف. [و الباقون: «تلقّف».][٤]

«ما يأفكون»؛ أي: الذي يقلبونه عن الحقّ إلى الباطل و يزوّرونه. روي: انّها لمّا تلقّفت ملء الوادي من الخشب و الحبال [و] رفعها موسى فعادت عصاً كما كانت و أعدم الله بقدرته تلك الأجرام العظيمة أو فرّقها أجزاء لطيفة، قالت السحرة: لو كان هذا سحراً، لبقيت حبالنا و عصيّنا.[٥]

[١١٨] «فَوَقَعَ الْحَقُّ وَ بَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ».

«فوقع»؛ أي: حصل و ثبت.[٦]

«الحقّ»: صحّة نبوّة موسى.[٧]

[١١٩] «فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَ انْقَلَبُوا صَاغِرِينَ».

١ـ الكشّاف ٢ / ١٤٠.
٢ـ فصّلت (٤١) / ٤٠.
٣ـ مجمع البيان ٤ / ٧١٠ ـ ٧١١.
٤ـ مجمع البيان ٤ / ٧١١.
٥ـ الكشّاف ٢ / ١٤١.
٦ـ الكشّاف ٢ / ١٤١.
٧ـ مجمع البيان ٤ / ٧١٢.

«و انقلبوا صاغرين»: صاروا أذلّاء منهزمين. أو: رجعوا إلى المدينة أذلّاء مقهورين. و الضمير لفرعون و قومه.[١]

[١٢٠] «وَ أُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ».

«و ألقي السحرة»؛ أي: خرّوا سجّداً كأنّما ألقاهم ملق، لشدّة خرورهم. و قيل: لم يتمالكوا ممّا رأوا فكأنّهم ألقوا. عن قتادة: كانوا أوّل النهار كفّاراً سحرة، وفي آخره شهداء بررة.[٢]

«و ألقي السحرة ساجدين» تبعاً لموسى و هارون. فإنّهما سجدا لله شكراً.[٣]

[١٢١ ـ ١٢٢] «قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسىٰ وَ هَارُونَ».

«ربّ موسى»: أبدلوا الثاني عن الأوّل لئلّا يتوهّم أنّهم أرادوا به فرعون.[٤]

[١٢٣] «قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هٰذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ».

«قال فرعون آمنتم به». على الإخبار ـ أي: فعلتم هذا الفعل الشنيع ـ توبيخاً لهم و تقريعاً. و قرئ بحرف الاستفهام ومعناه الإنكار و الاستبعاد. «إنّ هذا لمكر»؛ أي: إنّ صنيعكم هذا لحيلة احتلتموها أنتم و موسى في مصر قبل أن تخرجوا منها إلى هذه الصحراء، قد تواطأتم على ذلك لغرض لكم و هو أن تخرجوا منها القبط و تسكنوا بني إسرائيل. و كان هذا الكلام من فرعون تمويهاً على الناس لئلّايتّبعوا السحرة في الإيمان. و روي أنّ موسى قال للساحر الأكبر: أتؤمن بي إن غلبتك؟ قال: أومن بك. و فرعون يسمع. فلذلك قال ما قال. «فسوف تعلمون». وعيد أجمله ثمّ فصّله بقوله: «لأقطّعنّ» ـ اهـ.[٥]

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٥٤.

٢ـ الكشّاف ٢ / ١٤١.

٣ـ مجمع البيان ٤ / ٧١٢.

٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٥٤.

٥ـ الكشّاف ٢ / ١٤١.

عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قاله: كن لما لاترجو أرجى منك لما تـرجـوا. إلى أن قـال: و خرجت سحرة فرعون يطلبون العزّة لفرعون، فرجعوا مؤمنين.[١]

«آذن لكم» بالإيمان.[٢]

[١٢٤] «لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَ أَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ».

«من خلاف»: من كلّ شقّ طرفاً. و قيل: إنّ أوّل من قطع من خلاف و صلب فرعون.[٣]

[١٢٥] «قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ».

«إلى ربّنا منقلبون» بالموت لا محالة، فلانبالي بوعيدك. أو: إنّا منقلبون إلى ثواب ربّنا إن فعلت بنا ذلك. كأنّهم استطابوه شغفاً على لقاء الله. أو: مصيرك و مصيرنا إلى ربّنا فيحكم بيننا.[٤]

[١٢٦] «وَ مَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ».

«و ماتنقم منّا»؛ أي: و ما تنكر منّا «إلّا أن آمنّا» و هو خير الأعمال و أصل المناقب. «أفرغ علينا صبراً» يغمرنا كما يفرغ الماء. أو: صبّ علينا ما يطهّرنا من الآثام و هو الصبر على وعيد فرعون. «و توفّنا مسلمين»: ثابتين على الإسلام. و قيل: إنّه فعل بهم ما أوعدهم به. و قيل: لم يقدر عليهم؛ لقوله: «أنتما و من اتّبعكما الغالبون»[٥].[٦]

«ربّنا أفرغ علينا صبراً» عند القطع حتّى لانرجع كفّاراً.[٧]

[١٢٧] «وَ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَ قَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَ

١ـ الكافي ٥ / ٨٣ ـ ٨٤، ح ٣.
٢ـ مجمع البيان ٤ / ٧١٤.
٣ـ الكشّاف ٢ / ١٤١.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٥٤.
٥ـ القصص (٢٨) / ٣٥.
٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٥٤ ـ ٣٥٥.
٧ـ مجمع البيان ٤ / ٧١٥.

يَذَرَكَ وَ آلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَ نَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَ إِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ».

«ليفسدوا». روي أنّهم قالوا ذلك لأنّه وافق السحرة على الايمان ستّمائة ألف نفس، فأرادوا بالفساد ذلك و خافوا أن يغلبوا على الملك.[١]

«ليفسدوا في الأرض» بتغيير الناس عليك و دعوتهم إلى مخالفتك. «و يذرك». عطف على يفسدوا. أو جواب للاستفهام بالواو؛ كقوله:

ألم أك جاركم و يكون بيني و بينكم الإخاءة و الوداد

على معنى: أ يكون منك ترك موسى و يكون [منه] تركه إيّاك. «و آلهتك»: معبوداتك. قيل: كان يعبد الكواكب. و قيل: صنع لقومه أصناماً و أمرهم أن يعبدوها تقرّباً إليه و لذلك قال: «أنا ربّكم الأعلى».[٢]

«قال». أي فرعون. «سنقتّل» كما كنّا نفعل من قبل ليعلم أنّا على ما كنّا عليه من القهر و الغلبة و لايتوهّم أنّه المولود الذي حكم المنجّمون و الكهنة بذهاب ملكنا على يده.[٣]

«يذرك و آلهتك». قال السدّيّ: كان يعبد ما يستحسن من البقر. و روي أنّه كان أيضاً يأمرهم بعبادة البقر ولذلك أخرج السامريّ لهم العجل. «سنقتّل أبناءهم» الذين فيهم النجدة و يصلحون للقتال. «و نستحيي نساءهم»؛ أي: نستبقيهنّ للخدمة. و كان فرعون قد انقطع طمعه من قتل موسى و قومه لما رأى من عظم شأنه، فانتقل إلى عذاب المستضعفين منهم ليوهم أنّه يتمّ له ذلك فيهم [أيضاً].[٤]

«سنقتّل». ابن كثير و نافع بالتخفيف.[٥]

[١٢٨] «قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللهِ وَ اصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلّٰهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَ الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ».

١ـ الكشّاف ٢ / ١٤٣.
٢ـ النازعات (٧٩) / ٢٤.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٥٥.
٤ـ مجمع البيان ٤ / ٧١٦.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٥٥.

ورد في كثير من الأخبار أنّ «المتّقين» هم أهل البيت عليهم السلام و سيورثون الأرض و يكون الملك لهم بلا منازع و شريك. و هو إشارة إلى بطن الآية.

«استعينوا بالله». قال لهم لمّا سمعوا قول فرعون و تضجّروا منه، تسكيناً لهم.[١]

«إنّ الأرض». اللّام للعهد ـ أي: أرض مصر ـ أو للجنس.[٢]

«و العاقبة». وعد لهم بالنصرة، و تذكير لما وعدهم من هلاك القبط.[٣]

[١٢٩] «قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَ مِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَ يَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ».

«قالوا»: قال بنوإسرائيل. «من قبل أن تأتينا» بالرسالة، بقتل الأبناء، «و من بعد ما جئتنا» بإعادته. «أن يهلك عدوّكم» تصريحاً بما كنّى عنه أوّلاً، لمّا رأى أنّهم لم يتسلّوا بذلك. و لعلّه أتى بفعل الطمع لعدم جزمه بأنّهم المستخلفون بأعيانهم و أولادهم. و قد روي أنّ مصر إنّما فتح لهم زمن داوود عليه السلام. «كيف تعملون» من شكر و كفران و طاعة و عصيان.[٤]

«ما جئتنا» بحبس فرعون لهم على الايمان.[٥]

«عسى» في كلام الله للإيجاب.[٦]

[١٣٠] «وَ لَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَ نَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ».

«بالسنين»؛ أي: بسني القحط. و السنة من الأسماء الغالبة كالدابّة و النجم. قال ابن عبّاس: أمّا السنون، فكانت لباديتهم و أهل مواشيهم. و أمّا نقص الثمرات، فكانت [في] أمصارهم. «لعلّهم يذّكّرون» فيتنبّهوا على أنّ ذلك لإصرارهم على الكفر و تكذيبهم لآيات الله و لأنّ الناس في حال الشدّة أرقّ أفئدة. و قيل: عاش فرعون أربعمائة سنة و لم ير

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٥٥.
٢ـ الكشّاف ٢ / ١٤٣.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٥٥.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٥٥.
٥ـ تفسير القمّيّ ١ / ٢٣٧.
٦ـ مجمع البيان ٤ / ٧١٧.

مكروهاً في ثلاثمائة و عشرين سنة. و لو أصابه في تلك المدّة وجع أو حمًّى، لما ادّعى الربوبيّة.[١]

[١٣١] «فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هٰذِهِ وَ إِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسىٰ وَ مَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللهِ وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ».

«الحسنة» من الخصب و الرخاء. «لنا»؛ أي: مختصّة بنا و نحن مستحقّوها. «سيّئة» من ضيق و جدب. «يطّيّروا بموسى و من معه»؛ أي: يطّيّروا بهم و يتشاءموا و يقولوا: هذه بشؤمهم و لولا مكانهم لما أصابتنا. و قال: «فإذا جاءتهم الحسنة» بإذا و تعريف الحسنة «و إن تصبهم سيّئة» بإن و تنكير السيّئة، لأنّ جنس الحسنة وقوعه كالواجب لكثرته و السيّئة لاتقع إلّا في الندرة. «طائرهم عند الله»؛ أي: سبب خيرهم و شرّهم حكمه و مشيّته و ليس شؤم أحد و لا يمنه سبباً فيه. كقوله: «قل كلّ من عند الله».[٢] أو يكون معناه: انّ سبب شؤمهم عند الله؛ و هو عملهم المكتوب عنده الذي يجري عليهم ما يسوؤهم لأجله و يعاقبون له بعد موتهم بما وعدهم الله في قوله: «النار يعرضون عليها».[٣] و لا طائر أشأم من هذا.[٤]

[١٣٢] «وَ قَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ».

«و قالوا مهما». هي ما المضمّنة معنى الجزاء ضمّت إليها ما المزيدة المؤكّدة للجزاء في قولك: متى ما تخرج أخرج، إلّا أنّ الألف قلبت هاء استثقالاً و هو المذهب السديد البصريّ. و من الناس من يزعم أنّ مه هي الصوت الذي يصوت به الكافّ و ما للجزاء. كأنّه قيل: كفّ ما تأتنا به من آية لتسحرنا. و محلّ مهما الرفع بمعنى أيّما شيء تأتنا. و «من آية» بيان لمهما و الضميران في «به» و «بها» راجعان إلى مهما إلّا أنّ أحدهما ذكّر على اللّفظ و الآخر أنّث

١ـ الكشّاف ٢ / ١٤٤.
٢ـ النساء (٤) / ٧٨.
٣ـ غافر (٤٠) / ٤٦.
٤ـ الكشّاف ٢ / ١٤٤ ـ ١٤٥.

على المعنى لأنّه في معنى الآية. فإن قلت: كيف سمّوها آية ثمّ قالوا لتسحرنا؟ قلت: ماسمّوها آية لاعتقادهم أنّها آية، و إنّما سمّوها اعتباراً لتسمية موسى و قصدوا بذلك الاستهزاء و التلهّي.[١]

«لتسحرنا» لتسحر بها أعيننا و تشبّه علينا.[٢]

[١٣٣] «فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَ الْجَرَادَ وَ الْقُمَّلَ وَ الضَّفَادِعَ وَ الدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَ كَانُوا قَوْماً مُجْرِمِينَ».

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لمّا آمنت السحرة و رجع فرعون مغلوباً و أبى هو و قومه إلّا الإقامة على الكفر، قال هامان لفرعون: إنّ الناس قد آمنوا بموسى. فانظر من دخل في دينه فاحبسه. فحبس كلّ من آمن به من بني إسرائيل. فتابع الله عليهم بالآيات و أخذهم بالسنين و نقص الثمرات، ثمّ بعث عليهم الطوفان و ما بعده. «و القمّل». أراد به القمّل المعروف. و قيل: السوس الذي يخرج من الحبوب.[٣]

«الطوفان»: ماء طاف بهم و غشي أماكنهم و حروثهم من مطر و سيل. و قيل: الجدري. و قيل: موت الحيوان. «و القمّل»: كبار القردان، أو الدبا أولاد الجراد. روي: انّهم مطروا ثمانية أيّام في ظلمة شديدة و دخل الماء بيوتهم حتّى قاموا فيه إلى تراقيهم. و كانت بيوت بني إسرائيل مشتبكة ببيوتهم و لم يدخل فيها قطرة. و ركد على أراضيهم فمنعهم من الحرث و التصرّف فيها. و دام ذلك عليهم أسبوعاً فقالوا: يا موسى، ادع لنا ربّك يكشف عنّا و نحن نؤمن بك. فدعا فكشف عنهم و نبت لهم من الكلأ و الزرع ما لم يعهد مثله، و لم يؤمنوا. فبعث الله عليهم الجراد فأكلت زروعهم و ثمارهم و سقوفهم و ثيابهم. ففزعوا إليه ثانياً، فدعا فرجع الجراد عنهم. فلم يؤمنوا، فسلّط [الله] عليهم القمّل فأكل ما أبقاه [الجراد] و كان يدخل في أطعمتهم و يدخل في أثوابهم و جلودهم فيمصّها. ففزعوا إليه، فرفع عنهم. فقالوا:

١ـ الكشّاف ٢ / ١٤٥ ـ ١٤٦.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٥٦.
٣ـ مجمع البيان ٤ / ٧٢١ ـ ٧٢٢.

قد تحقّقنا الآن أنّك ساحر. ثمّ أرسل الله عليهم الضفادع بحيث لايكشف ثوب و لا طعام إلّا وجدت فيه، و كانت تثب إلى قدورهم و هي تغلي و أفواههم عند التكلّم. ففزعوا إليه و تضرّعوا، فأخذ عليهم العهود و دعا فكشف الله عنهم. فنقضوا العهد. ثمّ أرسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دماء حتّى كان يجتمع القبطيّ مع الإسرائيليّ على إناء فيكون ما يليه دماء و ما يلي الإسرائيليّ ماء، و يمصّ الماء من فم الإسرائيليّ فيصير دماً في فيه. و قيل: سلّط الله عليهم الرعاف. «آيات». حال. «مفصّلات»: مبيّنات لايشكل على عاقل أنّها آيات الله و نقمته عليهم. أو: مفصّلات لامتحان أحوالهم؛ إذ كان بين كلّ آيتين منها شهر و كان امتداد كلّ واحدة أسبوعاً. «فاستكبروا» عن الإيمان.(١)

و في أخبارنا هذا المضمون مرويّ أيضاً.

[١٣٤] «وَ لَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَ لَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ».

«بما عهد عندك»؛ أي: بما تقدّم إليك أن تدعوه به؛ فإنّه يجيبك كما أجابك في آياتك. و قيل: بما عهد عندك أنّا لو آمنّا لرفع عنّا العذاب.(٢)

«بما عهد». ما مصدريّة. و المعنى: بعهده عندك. و هو النبوّة. و الباء إمّا أن يتعلّق بقوله: «ادع لنا» على وجهين. أحدهما: أسعفنا إلى ما نطلب إليك من الدعاء لنا بحقّ ما عندك من عهد الله و كرامته بالنبوّة. أو: ادع [الله] لنا متوسّلاً إليه بعهده عندك. و إمّا أن يكون قسماً مجاباً بلنؤمننّ. أي: أقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت ـ اه.(٣)

«الرجز»: العذاب المفصّل. أو: الطاعون أرسل عليهم بعد ذلك.(٤)

عن الرضا عليه السلام: الرجز الثلج. ثمّ قال: خراسان بلاد رجز.(٥)

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٥٦ ـ ٣٥٧.
٢ـ مجمع البيان ٤ / ٧٢٤.
٣ـ الكشّاف ٢ / ١٤٨.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٥٧.
٥ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٢٥، ح ٦٨.

و عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه أصابهم ثلج أحمر و لم يروه قبل ذلك فماتوا فيه و جزعوا و أصابهم ما لم يعهدوا قبله.(١)

[١٣٥] «فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلىٰ أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ».

«إلى أجل»؛ أي: حدّ من الزمان «هم بالغوه» لا محالة فمعذّبون فيه لا ينفعهم ما تقدّم لهم من الإمهال و كشف العذاب إلى حلوله. «إذا هم ينكثون». جواب لمّا. يعني فاجؤوا النكث و بادروه لم يؤخّروه.(٢)

«بالغوه». هو أجل الغرق.(٣)

[١٣٦] «فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَ كَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ».

«فانتقمنا»؛ أي: أردنا الانتقام منهم. و اليمّ: البحر الذي لا يدرك قعره. و قيل: هو لجّة البحر و معظم مائه. و اشتقاقه من التيمّم لأنّ المستنفعين به يقصدونه. «غافلين» لقلّة فكرهم.(٤)

[١٣٧] «وَ أَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَ مَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَ تَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنىٰ عَلىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَ دَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَ قَوْمُهُ وَ مَا كَانُوا يَعْرِشُونَ».

«و أورثنا» ـ الآية. يعني بني إسرائيل. فأورثهم الله بعد إهلاك فرعون و قومه القبط جهات الشرق و الغرب. يعني به ملك فرعون من أدناه إلى أقصاه. و قيل: هي أرض الشام شرقها و غربها. قال الزجّاج: كان من بني إسرائيل داوود و سليمان ملكوا الأرض. «التي باركنا فيها» بإخراج الزروع و الثمار و العيون و الأنهار. «و تمّت كلمة ربّك»؛ أي: صحّ

١ـ مجمع البيان ٤ / ٧٢٣.
٢ـ الكشّاف ٢ / ١٤٨.
٣ـ مجمع البيان ٤ / ٧٢٤.
٤ـ الكشّاف ٢ / ١٤٨.

كلام ربّك بإنجاز الوعد بإهلاك عدوّهم و استخلافهم في الأرض. و قيل: إنّ الكلمة الحسنى قوله: «و نريد أن نمنّ» ـ الآية.[١] و قيل: أراد وعد الله لهم الجنّة. «بما صبروا» على أذى فرعون و قومه. «ما كان يصنع»؛ أي: ما كانوا يبنونه من الأبنية و القصور. «و ما كانوا يعرشون» من الأشجار و من الأعناب و الثمار. و قيل: «يعرشون»: يسقفون من البيوت و القصور. عن ابن عبّاس. قال أبوعبيدة: «يعرشون»: يبنون.[٢]

«و تمّت»؛ أي: مضت عليهم و استمرّت. من قولك: تمّ على الأمر، إذا مضى عليه. «يعرشون» من الأبنية المشيّدة في السماء كصرح هامان و غيره.[٣]

«يعرشون». ابن عامر و أبوبكر بضمّ الراء. و هي لغة في الكسر. (ع)

[١٣٨] «وَ جَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلٰهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ».

«و جاوزنا ببني إسرائيل». هذا آخر ما اقتصّ الله من نبأ فرعون و قومه ثمّ أتبعه اقتصاص نبأ بني إسرائيل و ما فعلوه بعد إنقاذهم من الهلاك و المشاقّ، ليعلم حال الإنسان و أنّه كما وصفه ظلوم كفّار. و ليسلّي رسول الله ﷺ ممّا رأى من بني إسرائيل بالمدينة.[٤]

«و جاوزنا ببني إسرائيل»؛ أي: قطعنا بهم «البحر»؛ يعني: النيل نهر مصر، بأن جعلنا لهم فيه طرقاً يابسة حتّى عبروا فمرّوا «على قوم يعكفون على أصنام لهم»؛ أي: يقبلون عليها ملازمين لها يعبدونها. قيل: كانت تماثيل بقر. و ذلك أوّل شأن العجل. «اجعل»؛ أي: انصب لنا شيئاً نعبده كما لهم أوثان يعبدونها. «إنّكم قوم تجهلون». لطلبهم الأوثان بعد ما رأوا الآيات و المعجزات و توهّموا أنّه يجوز عبادة غير الله.[٥]

«على قوم»: العمالقة الذين أمر موسى بقتالهم. «يعكفون». حمزة و الكسائيّ بكسر

١ـ القصص (٢٨) / ٥.
٢ـ مجمع البيان ٤ / ٧٢٤ ـ ٧٢٥.
٣ـ الكشّاف ٢ / ١٤٩.
٤ـ الكشّاف ٢ / ١٤٩ ـ ١٥٠.
٥ـ مجمع البيان ٤ / ٧٢٦ ـ ٧٢٧.

الكاف.(١)

بعض اليهود قال لأميرالمؤمنين عليه السلام: مادفنتم نبيّكم حتّى اختلفتم! فقال عليه السلام: إنّما اختلفنا عنه لا فيه؛ ولكنّكم ما جفّت أرجلكم من البحر حتّى قلتم لنبيّكم: «اجعل لنا إلهاً» ـ الآية.(٢)

[١٣٩] «إِنَّ هٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَ بَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ».

«متبرّ». يعني القوم الذين عبدوا الأصنام مدمّر مهلك ما هم فيه من عبادة الأصنام و باطل عملهم لايجدي لهم نفعاً.(٣)

[١٤٠] «قَالَ أَ غَيْرَ اللهِ أَبْغِيكُمْ إِلٰهاً وَ هُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ».

«أغير الله أبغيكم»؛ أي: ألتمس و أطلب غير الله [لكم]؟ فحذف حرف الجرّ فوصل الفعل. «على العالمين»؛ أي: عالمي زمانكم. أي: و هو سبحانه خصّكم بفضائل لم يعطها أحداً غيركم [و هو أن أرسل إليكم رجلين منكم لتكونوا أقرب إلى القبول و] خلّصكم من فرعون و قومه و أهلكهم و أورثكم أرضهم و ديارهم.(٤)

[١٤١] «وَ إِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَ يَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَ فِي ذٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ».

«و إذ أنجيناكم». خاطب بني إسرائيل الذين كانوا في زمن النبيّ صلى الله عليه و آله فقال لهم على وجه الامتنان عليهم بما أنعمه على أسلافهم: و اذكروا إذ خلّصناكم «من آل فرعون يسومونكم»؛ أي: يولّونكم إكراهاً و يحملونكم إذلالاً «سوء العذاب».(٥)

«يسومونكم»؛ أي: يبغونكم شدّة العذاب. من سام السلعة، إذا طلبها. و قوله:

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٥٧ ـ ٣٥٨.

٢ـ نهج البلاغة / ٥٣١، الحكمة ٣١٧.

٣ـ مجمع البيان ٤ / ٧٢٧.

٤ـ مجمع البيان ٤ / ٧٢٧.

٥ـ مجمع البيان ٤ / ٧٢٧ ـ ٧٢٨.

«يسومونكم» استئناف لا محلّ له. و يجوز أن يكون حالاً من المخاطبين أو من آل فرعون.(١)

«يقتّلون». نافع بالتخفيف. «يقتّلون أبناءكم و يستحيون نساءكم»: يكثرون قتل أولادكم و يستبقون نساءكم للخدمة. «و في ذلكم»؛ أي: فيما فعل بكم من النجاة. «بلاء»؛ أي: نعمة «من ربّكم عظيم» قدرها. و قيل: معناه: و في تخليته إيّاكم و قوم فرعون ابتلاء عظيم.(٢)

[١٤٢] «وَ وَاعَدْنَا مُوسىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَ أَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَ قَالَ مُوسىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَ أَصْلِحْ وَ لَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ».

«و واعدنا». روي: انّ موسى وعد بني إسرائيل ـ و هو بمصر ـ إن أهلك الله عدوّهم، أتاهم بكتاب من عند الله فيه بيان ما يأتون و ما يذرون. فلمّا هلك فرعون، سأل موسى ربّه الكتاب فأمره بصوم ثلاثين [يوماً] و هو شهر ذي القعدة. فلمّا أتمّ الثلاثين، أنكر خلوف فيه فسوّك. فقالت الملائكة: كنّا نشمّ من فيك رائحة المسك فأفسدته بالسواك. و قيل: أوحى الله إليه: أما علمت أنّ خلوف فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك؟ فأمره الله أن يزيد عليها عشرة أيّام من ذي الحجّة لذلك. و قيل: أمره الله بأن يصوم ثلاثين يوماً و أن يعمل فيه ما يقرّبه إلى الله، ثمّ أنزلت عليه التوراة في العشر. و «ميقات ربّه» ما وقّت له من الوقت و ضربه له. «أربعين ليلة». نصب على الحال. أي: تمّ بالغاً هذا العدد. «و أصلح» ما يجب أن يصلح من أمور بني إسرائيل. «اخلفني»: كن خليفتي فيهم. «سبيل المفسدين»: من دعاك منهم إلى الفساد.(٣)

روى الشيخ في الأمالي عن الخدريّ قال: قال رسول الله ﷺ لعليّ عليه السلام في غزوة تبوك: اخلفني في أهلي. فقال عليه السلام: يا رسول الله، إنّي أكره أن تقول العرب: خذل ابن عمّه و تخلّف

١ـ الكشّاف ٢ / ١٥٠ ـ ١٥١.
٢ـ مجمع البيان ٤ / ٧٢٨.
٣ـ الكشّاف ٢ / ١٥١.

عنه. فقال: أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى؟ قال: بلى. قال: فاخلفني.[١]

[١٤٣] «وَ لَمَّا جَاءَ مُوسىٰ لِمِيقَاتِنَا وَ كَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَ لٰكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلّٰى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَ خَرَّ مُوسىٰ صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَ أَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ».

«لميقاتنا»؛ أي: وقتنا الذي وقّتنا له و حدّدناه. «و كلّمه» من غير واسطة كما يكلّم الملك. و تكليمه أن يخلق الكلام منطوقاً به في بعض الأجرام كما خلقه في اللّوح. و روي أنّه كان يسمع الكلام من كلّ جهة. «أرني أنظر إليك»؛ أي: أرني نفسك أنظر إليك. فإن قلت: الرؤية عين النظر. فكيف قال: «أرني أنظر إليك»؟ [قلت: معنى أرني نفسك: اجعلني متمكّناً من رؤيتك بأن تتجلّى لي فأنظر إليك و أراك. فإن قلت: فكيف قال: «لن تراني» و لم يقل: لن تنظر إليّ لقوله: «أنظر إليك»؟] قلت: لمّا قال أرني بمعنى: اجعلني متمكّناً من الرؤية التي هي الإدراك، علم أنّ الطلبة هي الرؤية لا النظر الذي لا إدراك معه، فقيل: «لن تراني» و لم يقل: لن تنظر إليّ. فإن قلت: كيف طلب موسى ذلك و هو من أعلم الناس بالله و صفاته و تعاليه عن الرؤية التي هي إدراك ببعض الحواسّ؟ قلت: ما كان طلب الرؤية إلّا ليبكّت هؤلاء الذين دعاهم سفهاء في قوله: «أتهلكنا بما فعل السفهاء».[٢] و ذلك أنّهم حين طلبوا الرؤية أنكر عليهم و أعلمهم الخطأ و نبّههم على الحقّ فلجّوا و تمادوا في لجاجهم و قالوا: لن نؤمن لك حتّى نراه، فأراد أن يسمعوا النصّ الجليّ من عند الله باستحالة ذلك ـ و هو قوله: «لن تراني» ـ لينزاح عنهم ما دخلهم من الشكّ. لن تأكيد للنفي في الأزمنة المستقبلة. «ولكن انظر إلى الجبل». معنى الاستدراك أنّ النظر إليّ محال فلاتطلبه، ولكن عليك بنظر آخر، و هو أن تنظر إلى الجبل الذي يرجف بك و بمن طلبت الرؤية لأجلهم كيف أفعل به و كيف أجعله دكّاً بسبب طلبك الرؤية، لتستعظم ما أقدمت عليه بما أريك من عظم أثره. كأنّه

١ـ أمالي الطوسيّ ١ / ٢٦٧.
٢ـ الأعراف (٧) / ١٥٥.

عزّ و علا حقّق عند طلب الرؤية ما مثّله عند نسبة الولد إليه في قوله: «و تخرّ الجبال هدّاً ❁ أن دعوا للرحمن ولداً».[۱] «فإن استقرّ مكانه» كما كان، «فسوف تراني». تعليق لوجود الرؤية بوجود ما لايكون من استقرار الجبل مكانه حتّى يدكدكه دكّاً و يسوّيه بالأرض. «تجلّى»؛ أي: ظهر له اقتداره و تصدّى له أمره و إرادته.[۲]

و روى الثقة العيّاشيّ عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: «دكّاً» قال: ساخ الجبل في البحر فهو يهوي حتّى الساعة.[۳] و قال: لمّا خرّ موسى صعقاً، مات. فلمّا أن ردّ الله روحه أفاق فقال: «سبحانك تبت إليك و أنا أوّل المؤمنين» بأنّه لايراك أحد.[٤]

و في بصائر الدرجات عنه عليه السلام قال: [إنّ] الكرّوبين قوم من شيعتنا من الخلق الأوّل جعلهم الله خلف العرش. لو قسّم نور واحد منهم على أهل الأرض لكفاهم. و إنّ موسى لمّا سأل ربّه ما سأل، أمر واحداً من الكرّوبين فتجلّى للجبل فجعله دكّاً.[٥]

و قال أمين الإسلام الطبرسيّ: جاء في الخبر أنّ الله أبرز من العرش مقدار الخنصر فتدكدك به الجبل. و قيل: صار الجبل ستّة أجبل، وقعت ثلاثة بالمدينة: أحد و قار[٦] و رضوى، و ثلاثة بمكّة: ثور و ثبير و حرى.[۷]

و في علل الشرائع أنّه سئل أميرالمؤمنين عليه السلام عن الذرّ الذي يدخل في كوّة البيت فقال: إنّ الله لمّا تجلّى للجبل، تقطّع ثلاث قطع. فقطعة ارتفعت في السماء. و قطعة غاصت تحت الأرض. و قطعة بقيت. فهذا الذرّ من ذلك الغبار غبار الجبل.[۸]

أقول: الأحاديث الدالّة على أنّ سؤال موسى إنّما كان لقومه، مستفيضة بل متواترة. و تأويل الأشاعرة باطل.

«دكّاً»: مدكوكاً مفتّتاً. و قرأ حمزة و الكسائيّ: «دكّاء» [؛ أي:] أرضاً مستوية. و منه

۱ـ مريم (۱۹) / ۹۰ـ ۹۱.
۲ـ الكشّاف ۲ / ۱۵۱ ـ ۱۵۵.
۳ـ تفسير العيّاشيّ ۲ / ۲۷، ح ۷۵.
٤ـ تفسير العيّاشيّ ۲ / ۲۷، ح ۷٦.
٥ـ بصائر الدرجات / ۸۹، ح ۲.
٦ـ المصدر: ورقان.
۷ـ مجمع البيان ٤ / ۷۳۱ - ۷۳۲.
۸ـ علل الشرائع / ٤۹۷، ح ۱.

ناقة دكّاء، للّتي لا سنام لها. «تبت إليك» من الجرأة و الإقدام على السؤال بغير إذن.[١]

«المؤمنين» بأنّك لاترى.[٢]

[١٤٤] «قَالَ يَا مُوسىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَ بِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ».

عن أبي عبداللهعليه السلام قال: أوحى الله تعالى إلى موسى: أتدري لما اصطفيتك بكلامي دون خلقي؟ قال: لا. قال: يا موسى، إنّي قلبت عبادي ظهراً لبطن فلم أجد فيهم أحداً أذلّ لي نفساً منك. إنّك إذا صلّيت وضعت خدّك على التراب. أو قال: على الأرض.[٣]

«برسالتي». أهل الحجاز: «برسالاتي».[٤]

«اصطفيتك»: اخترتك. «على الناس» في زمانك. «برسالتي». يعني التوراة. «و بكلامي»: بتكليمي إيّاك. «آتيتك»: أعطيتك من الرسالة. «الشاكرين» على النعمة.[٥]

[١٤٥] «وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَ تَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَ أْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ».

عن السمّان قال: قلل أبو عبداللهعليه السلام: ما يقول الناس في أولي العزم و صاحبكم أميرالمؤمنينعليه السلام؟ قال: قلت: مايقدّمون على أولي العزم أحداً. فقالعليه السلام: إنّ الله قال لموسى: «و كتبنا له في الألواح من كلّ شيء موعظة» و لم يقل: كلّ شيء. و قال لصاحبكم: «و من عنده علم الكتاب».[٦] و قال: «و لا رطب و لا يابس إلّا في كتاب مبين».[٧] و علم هذا الكتاب عنده. و قال في عيسى: «و لأبيّن لكم بعض الذي تختلفون فيه».[٨][٩]

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٥٩.

٢ـ مجمع البيان ٤ / ٧٣٢.

٣ـ الكافي ٢ / ١٢٢.

٤ـ مجمع البيان ٤ / ٧٣٣.

٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٥٩.

٦ـ الرعد (١٣) / ٤٣.

٧ـ الأنعام (٦) / ٥٩.

٨ـ الزخرف (٤٣) / ٦٣.

٩ـ الاحتجاج ٢ / ١٣٧ ـ ١٣٨.

«من كلّ شيء» ممّا يحتاجون إليه من أمر الدين. «موعظة و تفصيلاً». بدل من الجارّ و المجرور. أي: كتبنا له كلّ شيء من المواعظ و تفصيل الأحكام. و الألواح كانت عشرة أو سبعة عشر من زمرّد أو زبرجد أو ياقوت أحمر أو صخرة ليّنها الله لموسى فقطّعها بيده. «فخذها». على إضمار القول، عطفاً على كتبنا. أي الألواح، أو كلّ شيء. «بقوّة»؛ أي: بجدّ و عزيمة. «بأحسنها»؛ أي: أحسن ما فيها كالصبر و العفو بالإضافة إلى الانتصار و الاقتصاص على طريق الندب و الحثّ على الأفضل. كقوله: «و اتّبعوا أحسن ما أنزل إليكم».[١] أو بواجباته. فإنّ الواجب أحسن من غيره. «دار الفاسقين»: دار فرعون و قومه بمصر خاوية على عروشها ـ أو منازل عاد و ثمود و أضرابهم ـ لتعتبروا فلاتفسقوا. أو: دارهم في الآخرة و هي جهنّم.[٢]

«بأحسنها»؛ أي: الفرائض و النوافل. فإنّها أحسن من المباحات.[٣]

[١٤٦] «سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَ إِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَ إِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَ إِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَ كَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ».

«سأصرف عن آياتي»؛ أي: سأصرف عن نيل الكرامة المتعلّقة بآياتي و الاعتزاز بها ـ كما يناله المؤمنون في الدنيا و الآخرة ـ المستكبرين في الأرض بغير الحقّ، كما فعل بقوم موسى و فرعون. فإنّه أنجى قوم موسى و أهلك قوم فرعون. و الآيات هي الأدلّة و معجزات الأنبياء. و قيل: معناه: سأمنع الكاذبين و المتكبّرين آياتي و معجزاتي و أصرفها عنهم و أخصّ بها الأنبياء عليهم السلام فلاأظهرها إلّا عليهم.[٤]

«سأصرف عن آياتي» المنصوبة في الآفاق و الأنفس «الذين يتكبّرون» بالطبع على

١ـ الزمر (٣٩) / ٥٥.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٥٩ ـ ٣٦٠.
٣ـ مجمع البيان ٤ / ٧٣٤.
٤ـ مجمع البيان ٤ / ٧٣٥.

قلوبهم فلايتفكّرون فيها و لايعتبرون بها. و قيل: سأصرفهم عن إبطالها و إن اجتهدوا. كما فعل فرعون فعاد [عليه] بإهلاكهم. «كلّ آية» منزلة أو معجزة. «لايؤمنوا بها» لعنادهم، أو لاختلال عقولهم بسبب انهماكهم في الهوى. «ذلك»؛ أي: الصرف بسبب تكذيبهم و عدم تدبّرهم للآيات.[1]

«بغير الحقّ». حال. أي: يتكبّرون غير محقّين. لأنّ التكبّر بالحقّ لله وحده.[2]

[١٤٧] «وَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَ لِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ».

«و لقاء الآخرة»؛ أي: و لقائهم الدار الآخرة أو ما وعد الله في الآخرة. «حبطت أعمالهم» فلاينتفعون بها. «يعملون». أي: إلّا جزاء أعمالهم.[3]

[١٤٨] «وَ اتَّخَذَ قَوْمُ مُوسىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَ لَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَ كَانُوا ظَالِمِينَ».

«من بعده»؛ أي: من بعد ذهابه للميقات. «من حليّهم» التي استعاروها من القبط حين همّوا بالخروج من مصر. و إضافتها إليهم لأنّها كانت في أيديهم أو ملكوها بعد هلاكهم. و هو جمع حلي كثدي و ثديّ. «عجلاً جسداً»: بدناً ذا لحم. أو: جسداً من الذهب خالياً من الروح. و نصبه على البدل. «له خوار»: صوت البقر. روي أنّ السامريّ لمّا صاغ العجل ألقى في فمه من تراب أثر فرس جبرئيل فصار حيّاً. و قيل: صاغه بنوع من الحيل فيدخل الريح جوفه و يصوت. و إنّما نسب الاتّخاذ إليهم و هو فعله إمّا لأنّهم رضوا به، أو لأنّ المراد اتّخاذهم إلهاً إيّاه. «ألم يروا أنّه لايكلّمهم». تقريع على فرط ضلالتهم و إخلالهم بالنظر. و المعنى: ألم يروا حين اتّخذوه إلهاً أنّه لايقدر على كلام و لا على إرشاد سبيل حتّى حسبوا أنّه

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٦٠.
٢ـ الكشّاف ٢ / ١٥٩.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١/ ٣٦٠.

خالق الأجسام؟ «اتّخذوه». تكرير للذمّ. أي: اتّخذوه إلهاً. «و كانوا ظالمين»؛ أي: واضعين الأشياء في غير مواضعها فلم يكن اتّخاذ العجل بدعاً منهم.(١)

عن النبيّ صلى الله عليه وآله: أكرموا البقرة. فإنّه سيّد البهائم، ما رفعت طرفها إلى السماء حياء من الله منذ عبد العجل.(٢)

«حليّهم». حمزة و الكسائي بكسر الحاء و اللّام. و يعقوب بسكون اللّام و فتح الحاء. «من حليّهم» التي استعاروها من قوم فرعون. و كان بنوإسرائيل بمنزلة أهل الجزية في القبط. و كان لهم يوم عيد يتزيّنون فيه و يستعيرون من القبط الحليّ. فوافق ذلك عيدهم فاستعاروا حليّ القبط. فلمّا أخرجهم الله من مصر و غرق فرعون، بقيت تلك الحليّ في أيديهم، فاتّخذ السامريّ منها عجلاً. و كان السامريّ مطاعاً مهيباً فيما بينهم، فأرجف أنّ موسى قد مات لمّا لم يرجع على رأس الثلاثين، فدعاهم إلى عبادة العجل فأطاعوه.(٣)

[١٤٩] «وَ لَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَ رَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَ يَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ».

«و لمّا سقط في أيديهم»: وقع البلاء في أيديهم. أي وجدوه وجدان من يده فيه. يقال ذلك للنادم عند ما يجده ممّا خفي عليه.(٤)

«ترحمنا» بالتاء «ربّنا» بالنصب «و تغفر» بالتاء كوفيّ غير عاصم.(٥)

عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ فيما ناجى موسى أن قال: يا ربّ هذا السامريّ صنع العجل. فالخوار مَن صنعه؟ قال: فأوحى الله إليه: يا موسى، إنّ تلك فتنتي. فلاتفصّحني عنها.(٦)

«و لمّا سقط في أيديهم»؛ أي: اشتدّ ندمهم و حسرتهم على عبادة العجل. لأنّ من شأن من اشتدّ ندمه و حزنه أن يعضّ يده غمّاً فتصير يده مسقوطاً فيها لأنّ فاه قد وقع فيها. و

١ـ تفسير البيضاويّ ١/ ٣٦٠.
٢ـ علل الشرائع / ٤٩٤، ح ٢.
٣ـ مجمع البيان ٤ / ٧٣٧ ـ ٧٣٨.
٤ـ مجمع البيان ٤ / ٧٣٨.
٥ـ مجمع البيان ٤ / ٧٣٨.
٦ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٢٩، ح ٨٠.

سقط مسند إلى في أيديهم. و هو من باب الكناية. و قال الزجّاج: معناه: سقط الندم في أيديهم؛ أي: في قلوبهم و أنفسهم. كما يقال: حصل في يده مكروه ـ و إن كان محالاً أن يكون في اليد ـ تشبيهاً لما يحصل في القلب و في النفس بما يحصل في اليد و يرى بالعين. «و رأوا أنّهم قد ضلّوا»؛ أي: تبيّنوا ضلالهم تبيّناً كأنّهم أبصروه بعيونهم.[١]

«لم يرحمنا» بإنزال التوراة.[٢]

[١٥٠] «وَ لَمَّا رَجَعَ مُوسىٰ إِلىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَ عَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَ أَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَ أَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَ كَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَ لَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ».

«أسفاً». الأسف: الشديد الغضب. «فلمّا آسفونا انتقمنا منهم».[٣] و قيل: هو الحزين. «خلفتموني». و هذا الخطاب إمّا أن يكون لعبدة العجل من السامريّ و أشياعه، أو لوجوه بني إسرائيل و هم هارون و المؤمنون معه، و يدلّ عليه قوله: «اخلفني في قومي».[٤] أي: بئس ما خلفتموني في قومي حيث عبدتم العجل، أو حيث لم تكفّوا من عبد غير الله. و فاعل بئس مضمر يفسّره «ما خلفتموني». و المخصوص بالذمّ محذوف. أي: بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم. فإن قلت: أيّ معنًى لقوله: «من بعدي» بعد قوله: «خلفتموني» ؟ قلت: معناه: من بعد ما رأيتم منّي من توحيد الله و نفي الشركاء عنه. أو: من بعد ما كنت أحمل بني إسرائيل على التوحيد و أكفّهم عمّا طمحت نحوه أبصارهم من عبادة البقر حين قالوا: «اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة». و من حقّ الخلفاء أن يسيروا بسيرة المستخلف و لا يخالفوه. «أعجلتم». ضمن معنى سبق فعدّي تعديته. و المعنى: أعجلتم من أمر ربّكم و هو انتظار موسى حافظين لعهده و ما وصّاكم به فبنيتم الأمر على أنّ الميعاد قد بلغ آخره و

١ـ الكشّاف ٢ / ١٦٠.

٢ـ تفسير البيضاوي ١ / ٣٦٠.

٣ـ الزخرف (٤٣) / ٥٥.

٤ـ الأعراف (٧) / ١٤٢.

لم أرجع إليكم فحدّثتم أنفسكم بموتي فغيّرتم كما غيّرت الأمم بعد أنبيائهم؟ روي أنّ السامريّ قال لهم حين أخرج لهم العجل: هذا إلهكم و إله موسى. إنّ موسى لن يرجع و قد مات. و روي أنّهم عدّوا عشرين يوماً بلياليها فجعلوها أربعين ثمّ أحدثوا [ما] أحدثوا.[١]

«ألقى الألواح»: طرحها لما لحقه من شدّة الضجر عند استماعه حديث العجل، غضباً لله و حميّة لدينه. و كان في نفسه حديداً شديد الغضب. و كان هارون ألين منه جانباً، و لذلك كان أحبّ إلى بني إسرائيل من موسى. و روي: انّ التوراة كانت سبعة أسباع. فلمّا ألقى الألواح، تكسّرت، فرفع منها ستّة أسباعها و بقي سبع واحد. و كان فيما رفع تفصيل كلّ شيء، و فيما بقي الهدى و الرحمة. «برأس أخيه»؛ أي: بشعر رأسه. «يجرّ إليه» بذؤابته، ظنّاً بأخيه أنّه فرّط في الكفّ. «ابن أُمَّ» بالفتح، تشبيهاً بخمسة عشر. و كان أخاه لأبيه و أمّه، لكنّه قصد العطف و الرقّة و لأنّها كانت مؤمنة و قاست به المخاوف و الشدائد فذكّره بحقّها. «استضعفوني». يعني أنّه لم يأل جهداً في كفّهم حتّى أنّهم أرادوا قتله. «فلاتشمت بي الأعداء»؛ أي: لاتفعل بي ما هو أمنيّتهم من الاستهانة بي و لاتجعلني في عقوبتك لي قريناً للظالمين و لاتعتقد أنّي واحد من الظالمين مع براءتي من ظلمهم.[٢]

عن أبي جعفر عليه السلام أنّه سأل رجلاً من أهل اليمن: هل تعرف صخرة في موضع كذا و كذا؟ قال: نعم و رأيتها. فقال عليه السلام: تلك الصخرة التي حيث غضب موسى فألقى الألواح، فما ذهب من الألواح التقمته الصخرة. فلمّا بعث رسول الله صلى الله عليه و آله ردّته إليه. و هي عندنا.[٣]

«و أخذ برأس أخيه». فيه وجوه. منها: انّه انّما فعل ذلك مستعظماً لفعلهم متفكّراً فيما كان منهم، كما يفعل الإنسان بنفسه عند الغضب و شدّة التفكّر فيقبض على لحيته و يعضّ على شفته. فأجرى موسى عليه السلام أخاه مجرى نفسه. و منها: انّه عليه السلام أراد أن يظهر ما اعتراه من الغضب على قومه لإكباره منهم ما صاروا إليه من الكفر و الارتداد، فصدر ذلك منه للتألّم

١ـ الكشّاف ٢ / ١٦٠ ـ ١٦١.
٢ـ الكشّاف ٢ / ١٦١.
٣ـ بصائر الدرجات / ١٤٧، ح ٧.

بضلالهم و إعلامهم عظم الحال عنده لينزجروا عنه في مستقبل الأحوال. قاله الشيخ المفيد.[١]

«و أخذ برأس أخيه». عن أبي عبدالله عليه السلام: انّما فعل ذلك لأنّه لم يفارقهم حين عبدوا العجل و لم يلحق بموسى. و كان إذا فارقهم ينزل بهم العذاب. ألاترى أنّه قال لهارون: «ما منعك إذ رأيتهم ضلّوا ألّا تتّبعن أفعصيت أمري»[٢]؟ قال هارون: لو فعلت ذلك لتفرّقوا. و «إنّي خشيت أن تقول فرّقت بين بني إسرائيل و لم ترقب قولي».[٣]

«ابن امّ». حمزة و الكسائي و ابن‌عامر و أبوبكر عن عاصم: «أمّ» بالكسر.[٤]

[١٥١] «قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَ لِأَخِي وَ أَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ».

[١٥٢] «إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ ذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ كَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ».

عن أبي جعفر عليه السلام قال: حجّ مع رسول الله صلى الله عليه و آله من أهل المدينة و الأطراف سبعون ألف إنسان أو يزيدون، على نحو عدد أصحاب موسى عليه السلام السبعين ألفاً الذين أخذ عليهم بيعة هارون عليه السلام فنكثوا و اتّبعوا العجل و السامريّ. و كذلك أخذ رسول الله البيعة لعليّ عليه السلام بالخلافة [على] عدد أصحاب موسى فنكثوا البيعة و اتّبعوا العجل و السامريّ سنّة بسنّة و مثلاً بمثل.[٥]

«و كذلك نجزي المفترين». لا فرية أعظم من قول السامريّ أنّ هذا إلهكم و إله موسى.[٦]

[١٥٣] «وَ الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَ آمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا

١ـ مجمع البيان ٤ / ٧٤١.
٢ـ طه (٢٠) / ٩٢ ـ ٩٣.
٣ـ علل الشرائع / ٦٨، ح ١.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٦١.
٥ـ الاحتجاج ١ / ٦٨.
٦ـ الكشّاف ٢ / ١٦٢.

لَغَفُورٌ رَحِيمٌ».

«ثمّ تابوا». هذا حكم عامّ يدخل تحته متّخذو العجل و من عداهم.(١)

[١٥٤] «وَ لَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَ فِي نُسْخَتِهَا هُدىً وَ رَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ».

«و لمّا سكت عن موسى الغضب». هذا مثل كأنّ الغضب كان يغريه على ما فعل و يقول له: قل لقومك كذا و ألق الألواح و جرّ برأس أخيك، فترك النطق بذلك و قطع الإقراء. و لم يستحسن هذه الكلمة و لم يستفصحها كلّ ذي طبع سليم إلّا لذلك و لأنّه من قبيل شعب البلاغة.(٢)

«و لمّا سكت عن موسى الغضب» باعتذار هارون أو بتوبتهم. «و في نسختها». قيل: فيما نسخ من الألواح المنكسرة. «للّذين هم لربّهم يرهبون». حذف المفعول و اللّام للتعليل. أي: يرهبون معاصي الله لربّهم.(٣)

«و في نسختها» أي: فيما نسخ منها؛ أي: كتب. و النسخة فعلة بمعنى مفعول. «لربّهم يرهبون». دخلت اللّام لتقدّم المفعول. لأنّ تأخّر الفعل عن مفعوله يكسبه ضعفاً.(٤)

[١٥٥] «وَ اخْتَارَ مُوسىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَ إِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَ ارْحَمْنَا وَ أَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ».

«قومه»؛ أي: من قومه. قيل: اختار من اثني عشر سبطاً من كلّ سبط ستّة، ثمّ خرج بهم إلى طور سيناء بعد أن خلف عنهم كالب و يوشع. فلمّا دنا موسى من الجبل، وقع عليه عمود الغمام حتّى تغشّى الجبل كلّه. و دنا موسى و دخل فيه، ثمّ دخل القوم فوقعوا سجّداً، فسمعوه

١ـ الكشّاف ٢ / ١٦٢.

٢ـ الكشّاف ٢ / ١٦٣.

٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٦١ ـ ٣٦٢.

٤ـ الكشّاف ٢ / ١٦٣.

و هو يكلّم موسى يأمره و ينهاه افعل و لاتفعل. فلمّا انكشف الغمام، طلبوا منه الرؤية، فأنكر عليهم. فقالوا: «أرنا الله جهرة».[١] «لن نؤمن لك حتّى نرى الله جهرة».[٢] قال: «ربّ أرني أنظر إليك». يريد أن يسمعوا الردّ من جهته، فأجيب: «لن تراني» و رجف بهم الجبل فصعقوا. و لمّا كانت الرجفة، قال موسى: «لو شئت أهلكتهم من قبل و إيّاي». و هذا تمنّ منه للإهلاك قبل أن يرى ما رأى من تبعة طلب الرؤية.[٣]

«قال ربّ»؛ يعني: انّك قدرت على إهلاكهم قبل ذلك بحمل فرعون على إهلاكهم و بإغراقهم في البحر و غيرها فترحّمت عليهم بالإنقاذ منها. فإن ترحّمت مرّة أخرى، لم يبعد من عميم إحسانك.[٤]

«أتهلكنا بما فعل السفهاء منّا»؛ يعني: أتهلكنا جميعاً ـ يعني نفسه و إيّاهم ـ لأنّهم طلبوا الرؤية سفهاً وجهلاً؟ «فتنتك»؛ أي: محنتك و ابتلاؤك حتّى كلّمتني و سمعوا كلامك فاستدلّوا بالكلام على الرؤية استدلالاً فاسداً حتّى افتتنوا و ضلّوا. «تضلّ» بالمحنة الجاهلين غير الثابتين في معرفتك و تهدي العالمين بك الثابتين بالقول الثابت. و جعل ذلك إضلالاً من الله، لأنّ المحنة و الابتلاء سببه. «وليّنا»: القائم بأمورنا.[٥]

«منّا». فأحياهم الله.[٦]

«فتنتك»، حيث أوجدت في العجل خواراً فزاغوا. «خير الغافرين» تغفر السيّئة و تبدّلها بالحسنة.[٧]

[١٥٦] «وَ اكْتُبْ لَنَا فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَ فِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ

١ـ النساء (٤) / ١٥٣.
٢ـ البقرة (٢) / ٥٥.
٣ـ الكشّاف ٢ / ١٦٤.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٦٢.
٥ـ الكشّاف ٢ / ١٦٤ ـ ١٦٥.
٦ـ التوحيد / ٤٢٤.
٧ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٦٢.

وَ الَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ».

«و اكتب»؛ أي: أثبت و اقسم. «حسنة»: حياة طيّبة. «وفي الآخرة» الجنّة. «هدنا»؛ أي: تبنا. «أصيب به من أشاء»؛ أي: من وجب عليّ في الحكمة تعذيبه و لم يكن في العفو عنه مساغ لكونه مفسدة. «كلّ شيء»: المسلم و الكافر. «فسأكتبها»؛ أي: اكتب هذه الرحمة كتبة خاصّة منكم يا بني إسرائيل للّذين يكونون في آخر الزمان من أمّة محمّد صلى الله عليه و آله الذين هم بجميع كتبنا يؤمنون.(١)

عن ابن عبّاس قال: لمّا نزلت: «و رحمتي وسعت كلّ شيء» قال إبليس: أنا من ذلك الشيء. فنزعها الله من إبليس بقوله: «فسأكتبها للّذين يتّقون» ـ الآية. قالت اليهود: نحن نتّقي و نؤتي الزكاة و نؤمن بآيات ربّنا. فنزعها منهم و جعلها لهذه الأمّة بقوله: «الذين يتّبعون الرسول النبيّ» ـ الآية.(٢)

«فسأكتبها» في الآخرة. «يؤمنون» فلايكفرون بشيء منها.(٣)

[١٥٧] «الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَ الْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ يُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَ يُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَ يَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَ الْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَ عَزَّرُوهُ وَ نَصَرُوهُ وَ اتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ».

«الذين». مبتدأ خبره «يأمرهم». أو بتقدير: هم الذين. «الأمّيّ»: الذي لايكتب و لايقرأ. وصفه به تنبيهاً على أنّ كمال علمه مع حاله إحدى معجزاته.(٤)

«رحمتي وسعت كلّ شيء». عن أبي عبدالله عليه السلام يقول: علم الإمام وسع كلّ شيء من شيعتنا. «فسأكتبها للّذين يتّقون». قال: ولاية غير الإمام و طاعته. «مكتوباً عندهم في

١ـ الكشّاف ٢ / ١٦٥.

٢ـ مجمع البيان ٤ / ٧٤٧.

٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٦٢.

٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٦٢ ـ ٣٦٣.

التوراة و الإنجيل». يعني النبيّ و الوصيّ و القائم. «يأمرهم بالمعروف» إذا قام. «و ينهاهم عن المنكر». و المنكر من أنكر فضل الإمام و جحده. «و يحلّ لهم الطيّبات»: أخذ العلم من أهله. «و يحرّم عليهم الخبائث»: قول من خالف عنهم. «إصرهم»: الذنوب التي كانوا فيها قبل معرفة الإمام و فضله. «و الأغلال»: ما كانوا يقولون ممّا لم يكونوا أمروا به من ترك فضل الإمام. «آمنوا به»؛ يعني: بالإمام. «هم المفلحون» ؛ يعني: «الذين اجتنبوا الجبت و الطاغوت أن يعبدوها».[١] و الجبت و الطاغوت فلان و فلان و فلان. و العبادة طاعة الناس لهم.[٢]

عن الصوفيّ قال: قلت لأبي جعفرعليه السلام: لم سمّي النبيّ صلى الله عليه وآله الأمّيّ؟ فقال: ما يقول الناس؟ قلت: يزعمون أنّه لم يكتب. فقال: كذبوا. عليهم لعنة [الله]. أنّى ذلك و الله يقول في محكم تنزيله: «و يعلّمهم الكتاب و الحكمة»؟ فكيف كان يعلّمهم ما لا يحسن؟ و الله لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقرأ و يكتب باثنين و سبعين لساناً. و إنّما سمّي الأمّيّ لأنّه كان من أهل مكّة و مكّة من أمّهات القرى. و ذلك قول الله عزّ و جلّ: «لتنذر أمّ القرى و من حولها»[٣].[٤]

«يحلّ لهم الطيّبات» ممّا حرّم عليهم كالشحوم.[٥]

«و يحلّ»؛ أي: يحلّ لهم ما حرّم عليهم أحبارهم و رهبانهم و ما كان يحرّمه أهل الجاهليّة من البحائر و السوائب و غيرهما و يحرّم عليهم الميتة و الدم و لحم الخنزير. «فالّذين آمنوا». يروى أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال لأصحابه: أيّ الخلق أعجب إيماناً؟ قالوا: الملائكة. فقال: الملائكة عند ربّهم. فما لهم لا يؤمنون؟ قالوا: فالنبيّون. قال: النبيّون يوحى إليهم. فما لهم لا يؤمنون؟ قالوا: فنحن يا نبيّ الله. قال: أنا فيكم. فما لكم لا تؤمنون؟ إنّما هم قوم يكونون بعدكم فيجدون كتاباً في ورق فيؤمنون به. فهو معنى قوله: «و اتّبعوا النور» ـ الآية. «المفلحون»: الفائزون بالثواب.[٦]

«الخبائث» كالدم و لحم الخنزير، أو كالربا و الرشوة. «إصرهم». ابن عامر:

١ـ الزمر (٣٩) / ١٧.

٢ـ الكافي ١ / ٤٢٩، ح ٨٣، عن أبي جعفرعليه السلام.

٣ـ الأنعام (٦) / ٩٢.

٤ـ علل الشرائع / ١٢٤ ـ ١٢٥، ح ١.

٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٦٣.

٦ـ مجمع البيان ٤ / ٧٥٠.

«آصارهم».[١]

«إصرهم». الإصر: الثقل الذي يأصر صاحبه؛ أي: يحبسه عن الحراك لثقله. و هو مَثل لثقل تكاليفهم نحو اشتراط قتل الأنفس في صحّة توبتهم. و كذلك الأغلال مَثل لما كان في شرائعهم من الأشياء الشاقّة نحو بتّ القضاء بالقصاص عمداً كان أو خطأ من غير شرع الدية و قطع الأعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة من الجلد و الثوب و إحراق الغنائم و تحريم السبت. و عن عطاء: كانت بنوإسرائيل إذا قامت تصلّي، لبسوا المسوح و غلّوا أيديهم إلى أعناقهم. و ربّما نقب الرجل ترقوته و جعل فيها طرف السلسلة و أوثقها إلى السارية يحبس نفسه على العبادة. «عزّروه»؛ أي: منعوه حتّى لايقدر عليه عدوّ. و منه التعزير للضرب دون الحدّ لأنّه منع عن معاودة القبيح.[٢]

عن أبي عبدالله عليه السلام: النور في هذا الموضع أميرالمؤمنين و الأئمّة عليهم السلام.[٣]

«معه»؛ أي: مع نبوّته. يعني القرآن. و إنّما سمّاه نوراً لأنّه بإعجازه ظاهر أمره مظهر غيره، أو لأنّه كاشف الحقائق مظهر لها. و يجوز أن يكون معه متعلّقاً باتّبعوا. أي: و اتّبعوا النور المنزل مع اتّباع النبيّ، فيكون إشارة إلى اتّباع الكتاب و السنّة. «هم المفلحون»: الفائزون بالرحمة الأبديّة. و مضمون الآية جواب [دعاء] موسى عليه السلام.[٤]

[١٥٨] «قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَ يُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَ رَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَ كَلِمَاتِهِ وَ اتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ».

«يا أيّها الناس» ـ الآية. الخطاب عامّ و كان رسول الله صلّى الله عليه و آله مبعوثاً إلى كافّة الثقلين و سائر الرسل إلى أقوامهم.[٥]

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٦٣.

٢ـ الكشّاف ٢ / ١٦٥ ـ ١٦٦.

٣ـ الكافي ١ / ١٩٤، ح ٢.

٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٦٣.

٥ـ الكشّاف ٢ / ١٦٦.

«جميعاً». حال من إليكم. «الذي له ملك». صفة لله و إن حيل بينهما بما هو متعلّق المضاف إليه لأنّه كالمتقدّم عليه. أو مدح منصوب أو مرفوع. أو مبتدأ خبره: «لا إله إلّا هو». وهو على الوجوه الأوّل بيان لما قبله. فإنّه من ملك العالم كان هو الإله لا غيره. «و كلماته»: ما أنزل عليه و على سائر الرسل من كتبه و وحيه. و إنّما عدل عن التكلّم إلى الغيبة لإجراء هذه الصفات الداعية إلى الايمان به و الاتّباع له.(١)

[١٥٩] «وَ مِنْ قَوْمِ مُوسىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَ بِهِ يَعْدِلُونَ».

«يهدون». هم المؤمنون التائبون من بني إسرائيل. لمّا ذكر الذين تزلزلوا في الدين و أقدموا على عبادة العجل و سؤال الرؤية، ذكر أنّ منهم أمّة ثابتين يهدون الناس و بالحقّ يعدلون بينهم في الحكم. أو أراد الذين وصفهم ممّن أدرك النبيّ ﷺ و آمن به من أعقابهم. و قيل: إنّ بني إسرائيل لمّا قتلوا أنبياءهم و كفروا ـ و كانوا اثني عشر سبطاً ـ تبرّأ سبط منهم و سألوا الله أن يفرّق بينهم و بين إخوانهم. ففتح الله لهم نفقاً في الأرض فساروا فيه سنة و نصفاً حتّى خرجوا من وراء الصين. و هم هنالك مسلمون يستقبلون قبلتنا و كلّمهم النبيّ ﷺ ليلة الإسراء و علّمهم عشر سور من القرآن.(٢)

[١٦٠] «وَ قَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطاً أُمَماً وَ أَوْحَيْنَا إِلىٰ مُوسىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَ ظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَ السَّلْوىٰ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَ مَا ظَلَمُونَا وَ لٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ».

«و قطّعناهم»: صيّرناهم قطعاً متميّزاً بعضهم عن بعض. «اثنتي عشرة». مفعول ثان لقطّع. فإنّه متضمّن معنى صيّر. أو حال و تأنيثه للحمل على الأمّة أو القطعة. «أسباطاً». [بدل منه ولذلك جمع. أو تميز له على أنّ كلّ واحد من أثنتي عشرة أسباط.] و كأنّه قيل:

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٦٣.
٢ـ الكشّاف ٢ / ١٦٧.

اثنتي‌عشرة قبيلة. «أمماً». على الأوّل بدل بعد بدل، أو نعت أسباطاً. و على الثاني بدل من أسباطاً.(١)

الأسباط في ولد إسحاق بمنزلة القبائل في ولد إسماعيل. فولد كلّ ولد من أولاد يعقوب سبطاً و ولد كلّ ولد من أولاد إسماعيل قبيلة.(٢)

«فانبجست»؛ أي: فضرب فانبجست؛ أي: انفجرت.(٣)

«أناس»؛ أي: كلّ أمّة من تلك الأمم اثنتي‌عشرة. «و ظلّلنا»؛ أي: جعلناه ظليلاً عليهم في التيه. «و كلوا». على إرادة القول. «و ماظلمونا»؛ أي: مارجع إلينا ضرر ظلمهم بكفرانهم النعم.(٤)

«و ماظلمونا». عن أبي الحسن الماضي عليه السلام في قول الله: «و ماظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون» قال: انّ الله أعزّ و أمنع من أن يظلم و أن ينسب نفسه إلى الظلم، ولكنّ الله خلطنا بنفسه فجعل ظلمنا ظلمه و ولايتنا ولايته، ثمّ أنزل بذلك قرآناً على نبيّه فقال: «و ماظلمونا» يعني ببغضهم أولياءنا و معونة أعدائهم عليهم «ولكن كانوا أنفسهم يظلمون».(٥) إذ حرموها الجنّة و أوجبوا عليها خلود النار.(٦)

[١٦١] «وَ إِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هٰذِهِ الْقَرْيَةَ وَ كُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَ قُولُوا حِطَّةٌ وَ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ».

«و إذ قيل»؛ أي: و اذكر إذ قيل.(٧)

«نغفر». أهل المدينة و ابن‌عامر: «تُغفر» بالتاء و ضمّها و فتح الفاء.(٨)

«خطيئاتكم». ابن‌عامر: «خطيئتكم» بالهمز و رفع التاء من غير ألف على التوحيد.

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٦٣.
٢ـ مجمع البيان ٤ / ٧٥٢.
٣ـ مجمع البيان ١ / ٢٥٠.
٤ـ الكشّاف ٢ / ١٦٩.
٥ـ الكافي ١ / ٤٣٥.
٦ـ الاحتجاج ١ / ٣٧٩، عن أميرالمؤمنين عليه السلام.
٧ـ الكشّاف ٢ / ١٧٠.
٨ـ مجمع البيان ٤ / ٧٥٤.

«سنزيد المحسنين». وعد بالغفران و الزيادة عليه. و إنّما أخرج الثاني مخرج الاستئناف للدلالة على أنّه تفضّل محض ليس في مقابلة ما أمروا به.(١)

[١٦٢] «فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزاً مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ».

«فأرسلنا»؛ أي: أنزلنا.(٢)

[١٦٣] «وَ سْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَ يَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذٰلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ».

«و اسألهم». معناه التقرير و التقريع بقديم كفرهم و تجاوزهم لحدود الله و الإعلام بأنّ هذا من علومهم التي لاتعلم إلّا بكتاب أو وحي فإذا أعلمهم به من لم يقرأ كتابهم، علم أنّه من جهة الوحي. و القرية أيلة. و قيل: مدين. «حاضرة البحر»: قريبة منه. «إذ يعدون في السبت»؛ أي: يتجاوزون حدّ الله فيه. و [هو] اصطيادهم في يوم السبت و قد نهوا عنه. و السبت مصدر سبتت اليهود، إذا عظّمت سبتها بترك الصيد و الاشتغال بالتعبّد. فمعناه: يعدون في تعظيم هذا اليوم. و كذلك قوله: «يوم سبتهم» معناه: يوم تعظيمهم أمر السبت. و قوله: «إذ يعدون» بدل من القرية. و المراد بالقرية أهلها. كأنّه قيل: و اسألهم عن [أهل] القرية وقت عدوانهم في السبت و هو بدل الاشتمال. و يجوز أن يكون منصوباً بكانت أو بحاضرة. و قوله: «إذ تأتيهم» منصوب بيعدون. و يجوز أن يكون بدلاً بعد بدل. و قوله «شرّعاً»؛ أي: ظاهرة على وجه الماء. و عن الحسن: تشرّع على أبوابهم كأنّها الكباش البيض. يقال: شرع علينا فلان، إذا دنا منّا و أشرف علينا.(٣)

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٦٤.

٢ـ الكشّاف ٢ / ١٧٠.

٣ـ الكشّاف ٢ / ١٧٠ ـ ١٧١.

«القرية». عن أبي جعفرعليه السلام قال: إنّ قوماً من أهل أيلة كانت الحيتان سيقت إليهم يوم السبت ليختبر الله طاعتهم. فشرعت إليهم يوم سبتهم في أنهارهم و سواقيهم، فبادروا إليها يصطادونها. فانحازت طائفة منهم ذات اليمين و قالوا: ننهاكم عن عقوبة الله أن تتعرّضوا لخلاف أمره. و اعتزلت طائفة منهم ذات اليسار فلم تعظهم فقالت للطائفة التي وعظتهم: «لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذّبهم عذاباً شديداً»؟ فقالت الطائفة التي وعظتهم: «معذرة إلى ربّكم و لعلّهم يتّقون».(١)

«و يوم لايسبتون لاتأتيهم». و اختلف في أنّهم كيف اصطادوا فقيل: إنّهم ألقوا الشبكة في الماء يوم السبت حتّى كان يقع فيها السمك، ثمّ كانوا لايخرجون الشبكة من الماء إلى يوم الأحد. و هذا تسبيت محظور. و قيل: اتّخذوا الحياض و كانوا يسوقون الحيتان إليها يمكنها الخروج عنها فيأخذونها يوم الأحد. و قيل: إنّهم اصطادوها و تناولوها باليد في يوم السبت. قيل: كانت هذه القصّة زمن داوود.(٢)

«كذلك نبلوهم»: مثل ذلك البلاء الشديد. و قيل: كذلك متعلّق بما قبله. أي: لاتأتيهم مثل إتيانهم يوم السبت. «بما»: بسبب فسقهم.(٣)

و عن أبي عبداللهعليه السلام قال: جاء قوم إلى أميرالمؤمنينعليه السلام بالكوفة فقالوا: إنّ هذه الجراري تباع في أسواقنا. فتبسّمعليه السلام ثمّ قال: قوموا. فأتى الفرات و تكلّم كلمات، فإذا هي بجرّيّة رافعة رأسها. فقالعليه السلام: من أنت؟ فقال: نحن من أهل القرية التي كانت حاضرة البحر من أهل السبت، فعرض الله علينا ولايتك فقعدنا عنها، فمسخنا الله. فبعضنا في البرّ و بعضنا في البحر. فأمّا الذين في البحر، فنحن الجراري. و أمّا الذين في البرّ، فالضبّ و اليربوع. فقال: سمعتم مقالتها؟ قلنا: اللّهمّ نعم. و إنّها لتحيض كما تحيض نساؤكم.(٤)

[١٦٤] «وَ إِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً

١ـ تفسير القمّيّ ١ / ٢٤٤ ـ ٢٤٥.
٢ـ مجمع البيان ٤ / ٧٥٦.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٦٤.
٤ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٣٥.

قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ».

«و إذ قالت». معطوف على «إذ يعدون». «أمّة»؛ أي: جماعة من القرية الذين ركبوا الصعب و الذلول في موعظتهم حتّى أيسوا من قبولهم لآخرين كانوا لايقلعون عن وعظهم. «لم تعظون قوماً الله مهلكهم»: مخترمهم و مطهّر الأرض منهم. «أو معذّبهم عذاباً شديداً». و إنّما قالوا ذلك لعلمهم أنّ الوعظ لاينفع فيهم. «قالوا معذرةٌ»؛ أي: موعظتنا إبلاء عذر إلى الله و لئلّاننسب في النهي عن المنكر إلى بعض التفريط «و لعلّهم يتّقون»: و لطمعنا في أن يتّقوا بعض الاتّقاء. [و قرئ: «معذرة» بالنصب.][1]

«معذرة». قرأ حفص بالنصب على المصدر أو العلّة. أي: اعتذرنا به معذرة. أو: وعظناهم معذرة.[2]

[١٦٥] «فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَ أَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ».

«فلمّا نسوا». قال: فقال الله: «فلمّا نسوا ما ذكّروا به»؛ يعني: لمّا تركوا ما وعظوا به، مضوا على الخطيئة، فقالت الطائفة التي وعظتهم لانبايتكم في هذه المدينة التي عصيتم الله فيها مخافة أن يعمّنا البلاء. فخرجوا إلى قريب من المدينة فباتوا. فلمّا أصبح أولياء الله غدوّاً لينظروا ما حال أهل المعصية فأتوا باب المدينة، فإذا هو لم ينفتح، فوضعوا سلّماً على رأس المدينة فأشرفوا على القوم، فإذا هم قردة يتعاوون. فكسروا الباب و دخلوا. فعرفت القردة أنسابها من الإنس و لم تعرف الإنس أنسابها من القردة. فقالوا لهم: ألم ننهكم؟[3]

«فلمّا نسوا». يعني أهل القرية. أي: تركوا ما ذكّرهم به الصالحون ترك الناسي لما ينساه. «أنجينا الذين ينهون» و أخذنا الراكبين المنكر. و قيل: الأمّة [الذين قالوا: «لم تعظون»] هم الموعوظون لمّا وعظوا قالوا للواعظين: لم تعظون منّا قوماً تزعمون أنّ الله مهلكهم أو

١ـ الكشّاف ٢ / ١٧١.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٦٥.
٣ـ تفسير القمّيّ ١ / ٢٤٤ ـ ٢٤٥.

معذّبهم؟ «بئيس»؛ أي: شديد.(۱)

«الذين ظلموا». و أمّا الفرقة الثالثة و هم من لم ينهوا و لم يذهبوا، فقد مسخوا ذرّاً. عن الصادق عليه السلام.(۲)

«بئيس». أبوبكر: «بيئس» على فيعل كضيغم. و ابن‌عامر: [«بئس»] بكسر الباء و سكون الهمزة. و نافع: [«بيس»] بقلب الهمزة ياء.(۳)

[۱٦٦] «فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ».

«فلمّا عتوا»؛ أي: تكبّروا عن ترك ما نهوا عنه. «قلنا». عبارة عن مسخهم. كقوله: «إنّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون».(٤) و المعنى: انّ الله عذّبهم أوّلاً بعذاب شديد، فعتوا بعد ذلك فمسخهم. و قيل: إنّه تكرير لما قبله. و العذاب البئيس هو المسخ.(٥)

روي أنّ الممسوخ لم تبق أكثر من ثلاثة أيّام و أنّ هذه مثل لها فنهى الله عزّ وجلّ عن أكلها.(٦)

[۱٦۷] «وَ إِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَ إِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ».

«تأذّن ربّك». من الإيذان و هو الإعلام. لأنّ العازم على الأمر يحدّث نفسه به و يؤذنها بفعله. و أجري مجرى فعل القسم كعلم الله و شهد الله. و لذلك أجيب بما يجاب به القسم و هو قوله: «ليبعثنّ». [و المعنى: و إذ حتم ربّك و كتب على نفسه ليبعثنّ] على اليهود «إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب». فكانوا يؤدّون الجزية إلى المجوس إلى أن بعث الله محمّداً صلّى الله عليه و آله فضربها عليهم إلى آخر الدهر. «ليبعثنّ»: ليسلّطنّ.(۷)

۱ـ الكشّاف ۲ / ۱۷۱ ـ ۱۷۲.
۲ـ الخصال ۲ / ۱۰۰، ح ٥٤.
۳ـ تفسير البيضاويّ ۱ / ۳٦٥.
٤ـ النحل (۱٦) / ٤۰.
٥ـ الكشّاف ۲ / ۱۷۳.
٦ـ الفقيه ۳ / ۲۱۳، ح ۹۸۹.
۷ـ الكشّاف ۲ / ۱۷۳.

«من يسومهم». سلّط عليهم بعد سليمان بخت نصّر فخرّب ديارهم و قتل مقاتليهم.[١]

«و إذ تأذّن»؛ أي: و اذكر ـ يا محمّد ـ إذ آذن و أعلم ربّك. فإنّ تأذّن و آذن بمعنىً. و قيل: معناه: أقسم القسم الذي يسمع بالأذن. و عن ابن عبّاس: معناه: قال ربّك. «من يسومهم». عن المفسّرين و الباقر عليه السلام: المراد بهم أمّة محمّد صلّى الله عليه و آله.[٢]

[١٦٨] «وَ قَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَماً مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَ مِنْهُمْ دُونَ ذٰلِكَ وَ بَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَ السَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ».

«و قطّعناهم»؛ أي: فرّقناهم فيها فلايكاد يخلو بلد من فرقة منهم. «الصالحون»: الذين آمنوا منهم بالمدينة، أو الذين وراء الصين.[٣]

«و قطّعناهم» تتمّة لإدبارهم حتّى لايكون لهم شوكة [قطّ]. «أمما». مفعول ثـان أو حال.[٤]

«و منهم دون ذلك»؛ أي: دون الصالح في الدرجة و المنزلة. و هم الذين امتثلوا بعض الأوامر دون بعض. و كان ذلك قبل أن يبعث عيسى فيهم. «و بلوناهم»؛ أي: اختبرناهم. «بالحسنات»: بالرخاء. «و السيّئات»: و المصائب.[٥]

«و منهم دون ذلك»؛ أي: ناس دون ذلك الوصف منحطّون عنه. و هم الكفرة و الفسقة. و محلّ دون الرفع على أنّه صفة لموصوف محذوف. أي: و منهم ناس منحطّون عن الصلاح. «بالحسنات و السيّئات»؛ أي: النعم و النقم.[٦]

[١٦٩] «فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هٰذَا الْأَدْنىٰ وَ يَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَ إِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٦٥.
٢ـ مجمع البيان ٤ / ٧٦٠.
٣ـ الكشّاف ٢/ ١٧٣.
٤ـ تفسير البيضاوى ١ / ٣٦٦.
٥ـ مجمع البيان ٤ / ٧٦٠.
٦ـ الكشّاف ٢ / ١٧٣.

أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقَّ وَ دَرَسُوا مَا فِيهِ وَ الدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَ فَلَا تَعْقِلُونَ».

«فخلف من بعدهم»؛ أي: من بعد المذكورين «خلف» وهم الذين كانوا في زمن رسول الله ﷺ «ورثوا» التوراة؛ أي: بقيت في أيديهم بعد أسلافهم يقرؤونها و يقفون على ما فيها من الأحكام و لايعملون بها. «عرض هذا الأدنى»؛ أي: حطام هذا الشيء الدني، يعني الدنيا. و المراد ما كانوا يأخذون من الرشاء في الأحكام و على تحريف الكلم للتسهيل على العامّة. «سيغفر لنا»؛ أي: لايؤاخذنا الله. و فاعل سيغفر [الجارّ و المجرور و هو] لنا أو هو مصدر يأخذون. «وإن يأتهم». الواو للحال. أي يرجون المغفرة و هم مصرّون عائدون إلى مثل فعلهم، و غفران الذنوب إنّما يكون بالتوبة. «ميثاق الكتاب». يعني قوله في التوراة: من ارتكب ذنباً عظيماً، لايغفر إلّا بالتوبة. «ودرسوا ما فيه»: ما في الكتاب من اشتراط التوبة في [غفران الذنوب]. «خير» من ذلك العرض الخسيس. «للّذين يتّقون» الرشاء و المحارم. و قوله: «أن لايقولوا على الله» عطف بيان لميثاق الكتاب، أي الميثاق المذكور في الكتاب و فيه أنّ إثبات المغفرة بغير توبة خروج عن ميثاق الكتاب. و إن فسّر ميثاق الكتاب بما تقدّم كان «أن لايقولوا» مفعولاً له. «درسوا ما فيه». عطف على لم يؤخذ لأنّه تقرير. فكأنّه قيل: أخذ عليهم ميثاق الكتاب و درسوا.(١)

[١٧٠] «وَ الَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَ أَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ».

«الذين يمسّكون». مرفوع بالابتداء و خبره «إنّا لانضيع». أو مجرور عطفاً على «الذين يتّقون». و «إنّا لانضيع» اعتراض.(٢)

«يمسّكون». أبوبكر بتسكين الميم. أي: يتمسّكون بالتوراة و لايحرّفونه.(٣)

١ـ الكشّاف ٢ / ١٧٤.
٢ـ الكشّاف ٢ / ١٧٤ ـ ١٧٥.
٣ـ مجمع البيان ٤ / ٧٦٣.

«أقاموا الصلاة». أفرد بالذكر لأنّها عماد الدين و فارقة بين الكفر و الإيمان.[١]

[١٧١] «وَ إِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَ ظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَ اذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ».

«و إذ نتقنا الجبل فوقهم»: قلعناه و رفعنا فوقهم الطور. و الظلّة: كلّ ما أظلّك من سقيفة أو سحاب. «و ظنّوا أنّه واقع»؛ أي: ساقط عليهم. و ذلك أنّهم أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة لغلظها و ثقلها، فرفع الله الطور على رؤوسهم مقدار عسكرهم ـ و كان فرسخاً في فرسخ ـ و قيل لهم: إن قبلتموها بما فيها، و إلّا ليقعنّ عليكم. فلمّا نظروا إلى الجبل، خرّ كلّ رجل منهم ساجداً على حاجبه الأيسر و هو ينظر بعينه إلى الجبل فرقاً من سقوطه. فلذلك لاترى يهوديّاً يسجد إلّا على حاجبه الأيسر و يقولون: هي السجدة التي رفعت بها عنّا العقوبة. «خذوا ما آتيناكم»؛ أي: و قلنا: خذوا ما آتيناكم من الكتاب بقوّة و عزم على احتمال تكاليفه. «و اذكروا ما فيه» من الأوامر و النواهي و لاتنسوه.[٢]

[١٧٢] «وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هٰذَا غَافِلِينَ».

«و إذ أخذ ربّك» ـ الآية. اعلم أنّ هذه الآية من مطارح الأنظار بين علماء الإسلام. و قد ذكروا فيها ضروباً من التفسير:

الأوّل: ما قاله أهل الحديث من علمائنا و طائفة من أهل الخلاف من أنّها إشارة إلى العهد الذي أخذها الله على الأرواح بالإقرار له بالربوبيّة في عالم الميثاق و سمّي عالم الأرواح و عالم الذرّ. و الأخبار الواردة فيه من طرف الخاصّة ممّا تقرب من التواتر. و هي على اختلاف ألفاظها ترجع إلى شيء واحد و هو ما قلناه. روى الثقة العيّاشيّ في التفسير و غيره في غيره عن أبي حمزة الثماليّ عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ الله أهبط وحيه إلى الأرض إلى آدم و

١ـ الكشّاف ٢ / ١٧٥.

٢ـ الكشّاف ٢ / ١٧٥.

هو بواد الروحاء بين مكّة و الطائف. فمسح على ظهر آدم ثمّ صرخ بذرّيّته و هم ذرّ، فخرجوا كما يخرج النحل من كورها، فاجتمعوا على شفير الوادي. فقال الله: يا آدم، هؤلاء ذرّيّتك أخرجتهم من ظهرك لآخذ عليهم الميثاق لي بالربوبيّة و لمحمّد صلى الله عليه و آله بالنبوّة، كما أخذته في السماء. قال آدم: فما تريد منهم في الميثاق؟ قال الله: أن لا يشركوا بي شيئاً ـ الحديث.[1] و فيه دلالة على تعدّد الميثاق كما قدّمناه و جمعنا به بين ظاهر الأخبار المختلفة. و أمّا سيّدنا المرتضى و شيخنا المفيد و أمين الإسلام الطبرسيّ، فطعنوا في هذه الأخبار و اعترضوا على ظاهرها و بأنّها غير منطبقة على ألفاظ الآية. و قد حقّقنا الأجوبة عنها في المجلّد السادس من شرحنا على تهذيب الأحكام.

الثاني: ما ذكروه من حمل الآية على الاستعارة و المجاز؛ و هو: انّ الله أخذ من كلّ مكلّف يخرج من ظهر آدم و ظهور ذرّيّته العهد إليه بالربوبيّة من حيث أكمل عقله و دلّه بآثار الصنع على حدوثه و أنّ له محدثاً أحدثه يستحقّ العبادة منه. فذلك هو أخذ العهد و الإشهاد لهم على أنفسهم بأنّه تعالى ربّهم. و قوله: «قالوا بلى» يريد أنّهم لم يمتنعوا من آثار الصنع فيهم و دلائل حدوثهم اللّازم لهم و حجّة العقل عليهم في إثبات صانعهم. فكأنّه سبحانه لمّا ألزمهم الحجّة بعقولهم على حدوثهم قال لهم: «ألست بربّكم»؟ فلمّا لم يقدروا على الامتناع من لزوم دلائل الحدوث لهم، كانوا كالقائلين: بلى شهدنا. و قوله تعالى: «أن تقولوا يوم القيامة» ـ الآية ـ ألا ترى أنّه احتجّ عليهم بما لا يقدرون يوم القيامة أن يتأوّلوا في إنكاره و لا يستطيعون؟ و هذا المعنى هو الذي اقتصر عليه أكثر المفسّرين. و الرازيّ في تفسيره الكبير، و إن ذكر القول الأوّل و قوّاه و أجاب عن الشبه الواردة عليه، إلّا أنّه لم يقطع الرأي عليه كما هي عادته في المسائل.

الثالث: ما قاله المرتضى من أنّه سبحانه عنى بالآية جماعة من ذرّيّة بني آدم خلقهم و أكمل عقولهم و قرّرهم على ألسن رسله عليهم السلام بمعرفته و ما يجب من طاعته فأقرّوا بذلك و

١ـ انظر: تفسير العيّاشيّ ٢ / ٢١٨ ـ ٢٢٠.

أشهدهم على أنفسهم به، لئلّايقولوا يوم القيامة إنّا كنّا عن هذا غافلين، أو يعتذروا بشرك آبائهم.

أقول: لايخفى أنّ الإضراب عن تفسير الآية بالأخبار و الالتجاء إلى هذه الأقوال مشكل.

«من ظهورهم ذرّيّتهم». اعترض المرتضى بأنّ الواجب من ظهره على ما في الحديث. و الجواب أنّ المراد أصول الذرّ و ما تعاقب منها.

«من ظهورهم». بدل من بني آدم بدل البعض. «أن تقولوا»: كراهة أن لاتقولوا.[١]

«ذرّيّتهم». ابن‌كثير و أهل الكوفة: «ذرّيّتهم» على التوحيد. و الباقون على الجميع. «أن تقولوا». أبوعمرو بالياء.[٢]

[١٧٣] «أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَ كُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَ فَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ».

«أو تقولوا». عطف على أن تقولوا. و قرأ أبوعمرو بالياء. «كنّا ذرّيّة من بعدهم» فاقتدينا بهم. لأنّ التقليد عند قيام الدليل و التمكّن من العلم به، لايصلح عذراً. «المبطلون». يعني آباءهم المشركين.[٣]

[١٧٤] «وَ كَذٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ».

«يرجعون» عن التقليد و اتّباع الباطل.[٤]

[١٧٥] «وَ اتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ».

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٦٧.

٢ـ مجمع البيان ٤ / ٧٦٤.

٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٦٧.

٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٦٧.

عن الرضا عليه السلام أنّه أعطي بلعم بن باعوراء الاسم الأعظم، فكان يدعو به و يستجيب له. فمال إلى فرعون. فلمّا مرّ فرعون في طلب موسى و أصحابه، قال فرعون لبلعم: ادع الله على موسى و أصحابه ليحبسه علينا. فركب حمارته ليمرّ في طلب موسى، فامتنعت عليه حمارته. فأقبل يضربها، فأنطقها الله عزّ و جلّ فقالت: ويلك! على ما تضربني؟ أتريد أن أجيء معك لتدعو على نبيّ الله و قوم مؤمنين؟ فلم يزل يضربها حتّى ماتت و انسلخ الاسم الأعظم من لسانه. و هو قوله تعالى: «فانسلخ منها فأتبعه الشيطان» ـ الآية. فقال الرضا عليه السلام: لا يدخل الجنّة من البهائم إلّا ثلاثة: حمارة بلعم، و كلب أصحاب الكهف، و الذئب و سببه أنّه بعث ملك ظالم رجلاً شرطيّاً ليحشر قوماً من المؤمنين و يعذّبهم، و كان للشرطيّ ابن يحبّه، فجاء ذئب فأكل ابنه، فحزن الشرطيّ عليه. فأدخل الله ذلك الذئب الجنّة لمّا أحزن الشرطيّ.(۱)

كان عالم من علماء بني إسرائيل اسمه بلعم أوتي علم بعض كتب الله « فانسلخ منها» بأن كفر بها و نبذها وراء ظهره. فلحقه الشيطان و صار قريناً له، فصار «من الغاوين»؛ أي: الكافرين.(۲)

[۱۷٦] «وَ لَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَ لٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَ اتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ».

«و لو شئنا لرفعناه»؛ أي: لعظّمناه ورفعناه إلى منازل الأبرار من العلماء بتلك الآيات. «ولكنّه أخلد إلى الأرض»؛ أي: مال إلى الدنيا و رغب فيها. و قيل: مال إلى السفالة. فإن قلت: كيف علّق رفعه بمشيّة الله و لم يعلّق بفعله الذي يستحقّ به الرفع؟ قلت: المعنى: و لو لزم العمل بالآيات و لم ينسلخ منها، لرفعناه بها. و ذلك أنّ مشيّة الله رفعه تابعة للزومه الآيات،

۱ـ تفسير القمّيّ ۱ / ۲٤۸. ۲ـ الكشّاف ۲ / ۱۷۸.

فذكر التابع و أراد المتبوع. «فمثله كمثل الكلب»؛ أي: صفته التي هي مثل في الخسّة و الضعة كمثل الكلب في أخسّ أحواله و أذلّها و هي حال دوام اللّهث و اتّصاله سواء هيّج أو لم يهيّج. و كان حقّ الكلام أن يقال لكنّه أخلد إلى الأرض فحططناه و وضعنا منزلته. فوضع قوله: «كمثل الكلب» موضع فحططناه أبلغ حطّ، لأنّ تمثيله بالكلب في أخسّ أحواله و أذلّها في معنى ذلك. و محلّ الجملة الشرطيّة النصب على الحال. كأنّه قيل: كمثل الكلب ذليلاً لاهثاً في الحالتين. و قيل: لمّا دعا بلعم على موسى، خرج لسانه فوقع على صدره و جعل يلهث كما يلهث الكلب. «ذلك مثل القوم الذين كذّبوا بآياتنا» من اليهود بعد ما قرؤوا نعت رسول الله ﷺ في التوراة و ذكّروا الناس بقرب مبعثه و كانوا يستفتحون به. «فاقصص» قصّة بلعم التي هي مثل قصصهم. «لعلّهم يتفكّرون» فيحذرون مثل عاقبته إذ ساروا نحو سيرته و يعلمون أنّك علمته من جهة الوحي فتزداد الحجّة لزوماً لهم.[١]

«إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث» لضعف فؤاد الكلب. اللّهث: إدلاع اللسان من التنفّس الشديد.[٢] و المعنى: إن وعظته فهو ضالّ و إن لم تعظه فهو ضالّ في كلّ حال. كما أنّ كلّ شيء يلهث إنّما يلهث في حال الإعياء و الكلال إلّا الكلب فإنّه يلهث في كلّ حال. و قيل: إنّما شبّهه بالكلب في الخسّة و قصور الهمّة و سقوط المنزلة، ثمّ وصف الكلب بما هو عادته من اللّهث. «ذلك مثل القوم». عن أبي جعفر عليه السلام: الأصل في بلعم، ثمّ ضربه الله مثلاً لكلّ مؤثر هواه على هدى الله من أهل القبلة.[٣]

[١٧٧] «سَاءَ مَثَلاً الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَ أَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ».

«ساء مثلاً»؛ أي: ساء مثلاً مثل القوم.[٤]

«ساء مثلاً»؛ أي: ساء مثل القوم. أو: ساء أصحاب مثل القوم. «و أنفسهم». إمّا أن يكون معطوفاً على كذّبوا فيدخل في حيّز الصلة، أي الذين جمعوا بين التكذيب بآيات الله و ظلم

١ـ الكشّاف ٢ / ١٧٨ ـ ١٧٩.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٦٨.
٣ـ مجمع البيان ٤ / ٧٦٩ ـ ٧٧٠.
٤ـ مجمع البيان ٤ / ٧٨٠.

أنفسهم. و إمّا أن يكون كلاماً منقطعاً عن الصلة. أي: و ماظلموا إلّا أنفسهم بالتكذيب. و تقديم المفعول به للاختصاص.[۱]

[۱۷۸] «مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَ مَنْ يُضْلِلْ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ».

«فهو المهتدي». حمل على اللّفظ. «فأولئك». حمل على المعنى.[۲]

«المهتدي». كتبت هاهنا بالياء. ليس في القرآن غيره بالياء. و أثبت الياء هاهنا في اللّفظ جميع القراء.[۳]

[۱۷۹] «وَ لَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَ لَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَ لَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ».

«لجهنّم». اللّام لام العاقبة.[٤]

«كثيراً من الجنّ و الإنس». هم المطبوع على قلوبهم الذين علم الله أنّه لا لطف لهم. و جعلهم في أنّهم لايلقون أذهانهم إلى معرفة الحقّ و لاينظرون بعيونهم إلى ما خلق الله نظر اعتبار و لايسمعون آيات الله سماع تدبّر كأنّهم عدموا فهم القلوب و الأبصار و الأسماع. و جعلهم ـ لأنّه لايأتي منهم إلّا أفعال أهل النار ـ مخلوقين للنار، دلالة على تمكّنهم فيما يؤهّلهم لدخول النار. و المراد وصف حال اليهود في عظم ما أقدموا عليه من تكذيب رسول الله ﷺ مع علمهم أنّه النبيّ الموعود و أنّهم من جملة الكثير الذين لايكاد الايمان يتأتّى منهم كأنّهم خلقوا للنار. «كالأنعام» في عدم الفقه و النظر للاعتبار و الاستماع للتدبّر. «بل هم أضلّ» من الأنعام عن الفقه و الاعتبار و التدبّر. و قيل: الأنعام تبصر منافعها و مضارّها فتلزم بعض ما

۱ـ الكشّاف ۲ / ۱۷۹.
۲ـ الكشّاف ۲ / ۱۷۹.
۳ـ مجمع البيان ٤ / ۷۷۰.
٤ـ مجمع البيان ٤ / ۷۷۱.

تبصره و هؤلاء أكثرهم يعلم أنّه معاند فيقدم على النار.[١]

«بل هم أضلّ». عن أميرالمؤمنين عليه السلام: انّ الله ركّب في الملائكة عقلاً بلا شهوة و ركّب في البهائم شهوة بلا عقل، و ركّب في بني آدم كليهما. فمن غلب عقله شهوته، فهو خير من الملائكة. و من غلب شهوته عقله، فهو شرّ من البهائم.[٢]

[١٨٠] «وَ لِلّٰهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَ ذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ».

«و لله الأسماء الحسنى». عن أبي عبدالله عليه السلام: نحن أسماء الله الحسنى التي لايقبل الله من العباد عملاً إلّا بمعرفتنا.[٣]

«الأسماء الحسنى»: الرحمن الرحيم.[٤]

«و لله الأسماء الحسنى» التي هي أحسن الأسماء لأنّها تدلّ على معان حسنة من تمجيد و تحميد و تقديس و غير ذلك. «فادعوه بها»: فسمّوه بتلك الأسماء. «و ذروا الذين»؛ أي: اتركوا تسمية الذين يميلون عن الحقّ و الصواب فيها فيسمّونه بغير الأسماء الحسنى. و ذلك أن يسمّوه بما لايجوز عليه ـ كقولهم: يا أبا المكارم، يا أبيض الوجه، يا نخيّ ـ أو أن يأبوا تسميته ببعض أسمائه الحسنى، نحو أن يقولوا يا الله و لايقولوا يا رحمن. و يجوز أن يراد: و لله الأوصاف الحسنى، و هو الوصف بالعدل و الخير و الإحسان و انتفاء شبه الخلق، فصفوه بها و ذروا الذين يلحدون في أوصافه فيصفونه بمشيّته القبائح و خلق الفحشاء و المنكر و بما يدخل في التشبيه كالرؤية و نحوها. و قيل: إلحادهم في أسمائه تسميتهم الأصنام آلهة و اشتقاقهم اللّات من الله و العزّى من العزيز.[٥]

١ـ الكشّاف ٢ / ١٧٩ ـ ١٨٠.
٢ـ علل الشرائع / ٤ ـ ٥، ح ١.
٣ـ الكافي ١ / ١٤٣ ـ ١٤٤.
٤ـ تفسير القمّيّ ١ / ٢٤٩.
٥ـ الكشّاف ٢ / ١٨٠ ـ ١٨١.

[۱۸۱] «وَ مِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَ بِهِ يَعْدِلُونَ».

«و ممّن خلقنا». لمّا قال: «و لقد ذرأنا لجهنّم كثيراً» فأخبر أنّ كثيراً من الثقلين من أهل النار، أتبعه قوله: «و ممّن خلقنا». و عنه صلى الله عليه و آله أنّه كان يقول إذا قرأها: «هذه لكم». و قيل: هم الذين آمنوا من أهل الكتاب. و قيل: هم العلماء و الدعاة إلى الدين.(١)

«أمّة». عن أبي عبدالله عليه السلام: هم الأئمّة عليهم السلام.(٢)

«يعدلون»؛ أي: عادلين في الأمر.(٣)

[۱۸۲] «وَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ».

و الاستدراج: الاستصعاد أو الاستنزال درجة بعد درجة. أي: سنستدنيهم قليلاً قليلاً إلى ما يهلكهم و يضاعف عقابهم. «من حيث لايعلمون» ما يراد بهم. و ذلك أن يواتر نعمه عليهم مع انهماكهم في الغيّ فكلّما جدّد عليهم نعمة ازدادوا بطراً و جدّدوا معصية فيتدرّجون في المعاصي بسبب ترادف النعم ظانّين أنّ مواترة النعم أثرة من الله و تقريب و إنّما هي خذلان و تبعيد.(٤)

«من حيث لايعلمون». عن أبي عبدالله عليه السلام: انّ الله إذا أراد بعبد خيراً فأذنب ذنباً، أتبعه بنقمة و يذكّره الاستغفار. و إذا أراد بعبد شرّاً فأذنب ذنباً، أتبعه بنعمة لينسيه الاستغفار و يتمادى بها. و هو قول الله: «سنستدرجهم من حيث لايعلمون» بالنعم عند المعاصي.(٥)

[۱۸۳] «وَ أُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ».

«و أملي لهم». عطف على سنستدرجهم و هو داخل في حكم السين.(٦)

١ـ الكشّاف ٢ / ١٨١.
٢ـ الكافي ١ / ٤١٤، ح ١٣.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٦٨.
٤ـ الكشّاف ٢ / ١٨٢.
٥ـ الكافي ٢ / ٤٥٢، ح ١.
٦ـ الكشّاف ٢ / ١٨٢.

«و أملي». الإملاء: الإمهال. «كيدي متين»؛ أي: أخذي شديد.[١]

«متين». عن أميرالمؤمنين عليه السلام: بالأمل و الرجاء.[٢]

[١٨٤] «أَ وَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ».

«ما بصاحبهم» محمّد صلى الله عليه وآله «من جنّة»؛ أي: جنون. و كانوا يقولون شاعر مجنون. روي أنّ النبيّ علا الصفا فدعاهم فخذاً فخذاً يحذّرهم بأس الله فقال قائلهم: إنّ صاحبكم هذا المجنون بات يهوّت إلى الصباح.[٣]

«نذير مبين»: موضح إنذاره.[٤]

[١٨٥] «أَ وَ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ وَ أَنْ عَسىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ».

«في ملكوت السموات و الأرض»: فيما يدلّان عليه من عظم الملك. و الملكوت: الملك العظيم. و «أن» مخفّفة من الثقيلة. و الأصل: و أنّه عسى. أي: ألم ينظروا أنّ الشأن و الحديث «عسى أن يكون قد اقترب أجلهم» و لعلّهم يموتون عمّا قليل فيسارعوا إلى النظر و طلب الحقّ و ما ينجيهم قبل مفاجأة الأجل؟ و يجوز أن يراد باقتراب الأجل اقتراب الساعة و يكون من كان التي فيها ضمير الشأن. «فبأيّ حديث». متعلّق بقوله: «عسى أن يكون». كأنّه قيل: لعلّ أجلهم قد اقترب. فما لهم لايبادرون إلى الايمان بالقرآن قبل الفوت؟ و ماذا ينتظرون بعد وضوح الحقّ؟ وبأيّ حديث أحقّ منه يريدون أن يؤمنوا؟[٥]

«بعده»؛ أي: بعد القرآن.[٦]

[١٨٦] «مَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَ يَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ».

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٦٩.
٢ـ الكافي ٨ / ٣٨٨.
٣ـ الكشّاف ٢ / ١٨٢.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٦٩.
٥ـ الكشّاف ٢ / ١٨٢ ـ ١٨٣.
٦ـ مجمع البيان ٤ / ٧٧٠.

«و يذرهم». أهل العراق بالياء و الجزم كوفيّ غير عاصم. و الباقون بالنون و الرفع. من قرأ بالنون، فالتقدير: و إنّا نذرهم. و من قرأ بالياء، ردّه إلى اسم الله. أي: و هو يذرهم. و يكون مقطوعاً عن الأوّل على الوجهين و لم يكن جواباً. و من جزمه فإنّه عطفه على موضع الفاء و ما بعده من قوله: «فلا هادي له».(١)

«و يذرهم». قال: يكله إلى نفسه.(٢)

«يذرهم في طغيانهم يعمهون»؛ أي: يتركهم في ضلالتهم يتحيّرون. و العمه في القلب كالعمى في العين.(٣)

[١٨٧] «يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْئَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ».

بعث قريش العاص بن وائل السلميّ و النضر بن الحارث و عتبة بن أبي‌معيط إلى نجران ليتعلّموا من علماء اليهود مسائل يسألوا بها رسول الله ﷺ. و كان فيها: اسألوا محمّداً: متى تقوم الساعة؟ فان ادّعى علم ذلك، فهو كاذب. فإنّ علم الساعة لم يطلع الله عليها ملكاً مقرّباً و لا نبيّاً مرسلاً. فلمّا سألوا رسول الله ﷺ عنها، نزلت الآية.(٤)

قيل: جاء قوم من اليهود فقالوا: يا محمّد، أخبرنا عن الساعة متى هي إن كنت نبيّاً. فنزلت الآية. و لمّا تقدّم الوعيد بالساعة سألوا عن وقتها. و الساعة هي القيامة. «أيّان مرساها»؛ أي : متى وقتها؟ «قل إنّما علمها»: علم وقت قيامها عند الله لم يطلع [عليه] أحداً من خلقه ليكون العباد على حذر منه فيكون ذلك أدعى لهم إلى الطاعة و أزجر عن المعصية. «لايجلّيها»؛ أي: لايبيّن وقتها إلّا هو. أو: لايأتي بها إلّا هو. «ثقلت»؛ أي: ثقل

١ـ مجمع البيان ٤ / ٧٧٤.

٢ـ تفسير القمّيّ ١ / ٢٤٩.

٣ـ مجمع البيان ٤ / ٧٧٦.

٤ـ تفسير القمّيّ ١ / ٢٤٩.

علمها على أهل السموات و الأرض لشدّة أهوالها. أو المراد نفس السموات و الأرض. أي لاتطيق حملها لو كانت أحياء لشدّة ما فيها. «إلّا بغتة»؛ أي: فجأة لتكون أعظم و أهـول. «حفيّ عنها»؛ أي: عالم بها قد أكثرت المسألة عنها. «إنّما علمها عند الله». إنّما أعاد هذا القول لأنّه أراد بالأوّل علم وقت قيامها و بالثاني علم كيفيّتها و تفصيل ما فيها.[1]

[١٨٨] «قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَ لَا ضَرّاً إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ وَ لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْـغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَ مَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَ بَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ».

«قل لاأملك». قيل: إنّ أهل مكّة قالوا: ألايخبرك ربّك بالسعر الرخيص قبل أن يغلو فتشتريه فتربح عليه و بالأرض التي تريد أن تجدب فترتحل منها إلى أرض قد أخصبت؟ فنزلت. «إلّا ما شاء الله» أن يملّكني إيّاه. «لاستكثرت من الخير». التقدير: لا أعلم الغيب إلّا ما شاء الله أن يعلّمنيه. و لو كنت أعلم الغيب لادّخرت من السنة المخصبة للسنة المجدبة. أو: لاستكثرت من الأعمال الصالحة قبل اقتراب الأجل و لم أشتغل بغيرها و لاخترت الأفضل فالأفضل. «و مامسّني السوء»؛ أي: ما أصابني الفقر و الفاقة و الضرّ. و قيل: معناه: ما بي جنون كما تزعمون. فيكون ابتداء. [و قيل: معناه:] و مامسّني سوء من جهة الأعداء لأنّي كنت أحترز منه. «لقوم يؤمنون». خصّهم لأنّهم المنتفعون بالذكر.[2]

[١٨٩] «هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً فَمَـرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَـيْتَنَا صَـالِحاً لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ».

«هو الذي خلقكم». ذكر ما يدلّ على وحدانيّته. «من نـفس واحـدة». يـعني آدم. «زوجها». يعني حوّاء ليأنس بها. «فلمّا تغشّاها»؛ أي: جامعها. «حملاً خفيفاً». و هو الماء الذي في رحمها و كان خفيفاً. «فمرّت به»: فاستمرّت بالحمل على الخفّة تقوم و تقعد و تجيء

١ـ مجمع البيان ٤ / ٧٧٧ ـ ٧٧٨.
٢ـ مجمع البيان ٤ / ٧٧٩.

و تذهب كما كانت من قبل لم يمنعها ذلك الحمل من شيء من التصرّف. «فلمّا أثقلت»؛ أي: صارت ذات ثقل. يعني كبر الحمل في بطنها. «دعوا الله ربّهما». يعني آدم وحوّاء سألا الله عند كبر الولد في بطنها.(١)

«صالحاً»: ولداً سويّاً قد صلح بدنه. «من الشاكرين» على هذه النعمة.(٢)

[١٩٠] «فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ».

«جعلا»؛ أي: جعل أولادهما له شركاء فيما آتى أولادهما فسمّوه عبد العزّى و عبد مناف. و هذا المعنى قاله المفسّرون بأجمعهم.

«جعلا له شركاء». يجوز أن يكون الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله صلّى الله عليه و آله و هم آل قصيّ. يعني: خلقكم من نفس قصيّ و جعل من جنسها زوجها عربيّة قرشيّة ليسكن إليها. فلمّا آتاهما ما طلبا من الولد الصالح السويّ، جعلا له شركاء فيما آتاهما حيث سمّيا أولادهما الأربعة بعبد مناف و عبد العزّى و عبد قصيّ و عبد الدار. و جعل الضمير في يشركون لهما و لأعقابهما الذين اقتدوا بهما في الشرك.(٣)

عليّ بن محمّد بن الجهم قال: حضرت مجلس المأمون و عنده الرضا عليه السلام فقال له: يابن رسول الله صلّى الله عليه و آله أليس من قولك أنّ الأنبياء معصومون؟ قال: بلى. قال: فما معنى قول الله: «جعلا له شركاء فيما آتاهما»؟ فقال عليه السلام: إنّ حوّاء ولدت لآدم خمسمائة بطن في كلّ بطن ذكر و أنثى. و إنّ آدم و حوّاء عاهدا الله لئن آتيتنا صالحاً لنكوننّ من الشاكرين. فلمّا آتاهما صالحاً من النسل خلقاً سويّاً بريئاً من الزمانة و العاهة، كان ما آتاهما [صنفين] صنفاً ذكراناً و صنفاً أناثى فجعل الصنفان لله تعالى ذكره شركاء فيما آتاهما و لم يشكراه كشكر أبويهما له عزّ و جلّ. قال الله: «فتعالى الله عمّا يشركون». فقال المأمون: أشهد أنّك ابن رسول الله حقّاً. كذا رواه الصدوق في كتاب عيون الأخبار.(٤)

١ـ مجمع البيان ٤ / ٧٨١.

٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٧٠.

٣ـ الكشّاف ٢ / ١٨٧ ـ ١٨٨.

٤ـ العيون ١ / ١٩٥ ـ ١٩٧.

روى الثقة الجليل عليّ بن إبراهيم في كتاب التفسير عن الباقر عليه السلام قال: لمّا علقت حوّاء من آدم و تحرّك ولدها في بطنها، ارتاعت من ذلك فأخبرت آدم، فقال لها: أبشري إنّه نطفة يخلق الله منها خلقاً ليبلونا فيه. فأتاها إبليس فقال لها: كيف أنتم؟ فقالت له: أمّا أنا ففي بطني ولد يتحرّك. فقال لها إبليس: إن نويتي أن تسمّيه عبدالحارث، ولدتيه غلاماً و عاش و إلّا مات بعد ستّة أيّام. فوقع في قلبها شيء فأخبرت آدم. فقال: قد جاءك الخبيث، فلاتقبلي. فإنّي أرجو أن يبقى لنا. لكنّه وقع في نفس آدم مثل ما وقع في نفس حوّاء من مقالة الخبيث. فلمّا وضعته غلاماً، لم يعش إلّا ستّة أيّام حتّى مات. فدخلهما من قول الخبيث ما شكّكهما. فحملت حملاً آخر، فأتاها الخبيث فقال: لو سمّيته عبد الحارث لعاش. و إنّما الذي في بطنك كبعض ما في بطون هذه الأنعام إمّا بقرة و إمّا ناقة و نحوهما. فدخلهما من قول الخبيث ما استمالهما إلى تصديقه. «فلمّا أثقلت دعوا الله ربّهما لئن آتيتنا صالحاً لنكوننّ من الشاكرين فلمّا آتاهما صالحاً» أي لم تلد ناقة و لا معزاً، أتاها الخبيث فقال: إن سمّيته عبدالحارث و جعلتني لي فيه نصيباً، عاش و بقي لكم. فأخبرت آدم، فوقع في قلب آدم مثلها و قالت حوّاء له: لئن لم تنو أن تسمّيه عبدالحارث، لم أدعك أن تقربني. فقال لها: أما إنّك سبب المعصية الأولى و سيدلّيك بغرور. و قد تابعتك و أجبت إلى أن أجعل للحارث فيه نصيباً و أن أسمّيه عبدالحارث. فأسرّا النيّة بينهما. فلمّا وضعته سويّاً، فرحا بذلك و أمنا ما كانا خافا من أن يكون ناقة أو بقرة و أملا ألّا يموت يوم السادس. فلمّا كان يوم السابع، سمّياه عبدالحارث. و قال عليه السلام: إنّ آدم و حوّاء أشركا شرك طاعة لا شرك عبادة.[1]

أقول: و هذا المعنى الوارد في هذا الخبر قد ردّه كثير من المفسّرين كأمين الإسلام الطبرسيّ و الفاضل البيضاويّ. و اقتصر كثير منهم على المعنى الوارد في الحديث الأوّل تحرّزاً من نسبة الإشراك إلى آدم و حوّاء. و هو غير محتاج إليه. لأنّ إشراك الطاعة قد وقع منهما لمّا أكلا من الشجرة، و خلاف الأولى قد وقع منهما و جاز عليهما.

١ـ تفسير القمّيّ ١ / ٢٥١ ـ ٢٥٣.

فيكون قوله عليه السلام: «شرك طاعة لا شرك عبادة» جامعاً بين الخبرين فيرتفع التنافي.

[١٩١] «أَ يُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئاً وَ هُمْ يُخْلَقُونَ».

«أيشركون» من الأصنام. «ما لايخلق شيئاً»: ما لايقدر على خلق شيء كما يخلق الله. «و هم يخلقون». لأنّ الله خالقهم، أو عبدتهم يخلقونهم فهم أعجز من عبدتهم.(١)

[١٩٢] «وَ لَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْراً وَ لَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ».

«و لا أنفسهم ينصرون» بل عبدتهم يحفظونهم من الحوادث.(٢)

[١٩٣] «وَ إِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَ دَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ».

«و إن تدعوهم»؛ أي: المشركين. أو: الأصنام.(٣)

«و إن تدعوهم إلى الهدى»؛ أي: إن تدعوا هذه الأصنام إلى ما هو على هدًى و رشاد و تطلبون منهم الهداية كما تطلبون من الله الخير و الهدى، لايجيبوكم إلى مرادكم ـ كما قال: «فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين» ـ سواء عليكم أدعوتموهم أم صمتّم. [فإن قلت:] لم وضعت الجملة الاسميّة موضع الفعليّة؟ قلت: لأنّهم كانوا إذا حزنهم أمر دعوا الله دون أصنامهم فكانت حالهم المستمرّة أن يكونوا صامتين عن دعوتهم، فقيل: إن دعوتموهم لم يفترق الحال بين إحداثكم دعاءهم و بين ما أنتم عليه من صمتكم عنهم.(٤)

«لايتّبعوكم». نافع بالتخفيف و فتح الباء. «صامتون». لم يقل: أو صمتّم، للمبالغة في عدم إفادة الدعاء من حيث إنّه مسوًّى بالثبات على الصمات.(٥)

١ـ الكشّاف ٢ / ١٨٨.

٢ـ الكشّاف ٢ / ١٨٨.

٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٧١.

٤ـ الكشّاف ٢ / ١٨٨.

٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٧١.

[١٩٤] «إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ».

«إنّ الذين تدعون»؛ أي: تعبدونهم و تسمّونهم آلهة. و قوله: «عباد أمثالكم» استهزاء بهم. أي: قصارى أمرهم أن يكونوا عقلاء أحياء. فإن ثبت ذلك، فهم عباد أمثالكم. ثمّ أبطل أن يكونوا عباداً أمثالهم فقال: «ألهم أرجل يمشون بها» ـ الآية. و قيل: عباد مملوكون أمثالكم.(١)

«أمثالكم». لمّا كانت الأصنام غير ممتنعة ممّا يريد الله، كانت في معنى العباد. فإنّ التعبّد التذلّل.(٢)

[١٩٥] «أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ».

«ادعوا شركاءكم» و استعينوا بهم في عدواني «ثمّ كيدون» جميعاً أنتم و شركاؤكم «فلاتنظرون». فإنّي لا أبالي بكم لثقتي(٣) بعصمة الله. و كانوا قد خوّفوه بآلهتهم فأمر أن يخاطبهم بذلك.(٤)

«أ لهم». يعني أنّكم أفضل منهم فكيف تعبدونهم. «يبطشون». أبوجعفر بضمّ الطاء. «شركاءكم»؛ أي: هذه الأوثان التي تدّعون أنّها آلهة فتشركونها في أموالكم [و] تجعلون لها حظّاً من المواشي و غيرها و توجّهون عبادتكم إليها إشراكاً بالله لها.(٥)

«فلاتنظرون». فلاتمهلون.(٦)

[١٩٦] «إِنَّ وَلِيِّيَ اللهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَ هُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ».

١ـ الكشّاف ٢ / ١٨٩.
٢ـ مجمع البيان ٤ / ٧٨٥.
٣ـ النسخة: لتوليتي.
٤ـ الكشّاف ٢ / ١٨٩.
٥ـ مجمع البيان ٤ / ٧٨٦.
٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٧١.

«وليّي»؛ أي: ناصري عليكم الذي أعطاني الكتاب.[١]

«يتولّى الصالحين»؛ أي: ينصر المطيعين لله تارة بالحجّة و أخرى بالدفع عنهم.[٢]

[١٩٧] «وَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَ لَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ».

«و الذين تدعون»؛ أي: الأصنام. «نصركم»؛ أي: لا [يقدرون أن] يدفعوا عنكم الأذى.[٣]

[١٩٨] «وَ إِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَ تَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَ هُمْ لَا يُبْصِرُونَ».

«تدعوهم»؛ أي: الأصنام «إلى الهدى» و الرشد. و قيل: معناه: و إن دعوتم المشركين إلى الدين. «لايسمعوا» دعاءكم «و تراهم» فاتحة أعينهم نحوكم على ما صوّرتموهم عليه من الصور. جعل الله انفتاح عيونهم في مقابلتهم نظراً منهم إليهم مجازاً. و قيل: معناه: لايقبلوا. و منه: سمع الله لمن حمده. [و قيل:] «و تراهم»؛ أي: مشركي العرب. «و هم لايبصرون». أي الحجّة.[٤]

«ينظرون إليك». لأنّهم صوّروا أصنامهم بصورة من قلب حدقته إلى الشيء ينظر إليه. «لايبصرون»؛ أي: لايدركون المرائي.[٥]

[١٩٩ ـ ٢٠٠] «خُذِ الْعَفْوَ وَ أْمُرْ بِالْعُرْفِ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ * وَ إِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ».

عن أبي عبدالله عليه السلام: العفو الوسط.[٦]

«خذ العفو». أمره بمكارم الأخلاق. أي: خذ من الناس ما فضل عن النفقة. فكان

١ـ الكشّاف ٢ / ١٨٩.
٢ـ مجمع البيان ٤ / ٧٨٦.
٣ـ مجمع البيان ٤ / ٧٨٦.
٤ـ مجمع البيان ٤ / ٧٨٦ ـ ٧٨٧.
٥ـ الكشّاف ٢ / ١٨٩.
٦ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٤٣.

رسول الله ﷺ يأخذ الفضل من أموالهم ليس فيها شيء موقّت. ثمّ نزل آية الزكاة فصارت منسوخاً بها. فإن هذه السورة مكّيّة. عن ابن‌عبّاس و جماعة. و قيل: معناه: خذ العفو من أخلاق الناس و اقبل الميسور منها. فيكون أمراً بالتساهل و ترك الاستقصاء في القضاء. و قيل: هو العفو في قبول العذر من المعتذر و ترك المؤاخذة بالإساءة. و في الخبر: أن تعفو عمّن ظلمك و تعطي من حرمك و تصل من قطعك. «بالعرف»؛ أي: المعروف. و هو كلّ ما حسن فعله في العقل أو الشرع و لم يكن منكراً عند العقلاء. «وأعرض عن الجاهلين» بعد قيام الحجّة و الإياس من قبولهم و لاتقابلهم بالسفه. فإنّه يحطّ من قدرك. و ليست منسوخة بآية القتال. فإنّها عامّة خصّ منها الكافر الذي يجب قتله. قال ابن زيد: لمّا نزلت هذه الآية، قال رسول الله ﷺ: كيف يا ربّ و الغضب؟ فنزل قوله: «و إمّا ينزغنّك من الشيطان نزغ»؛ أي: عرض لك منه وسوسة أو عارض، أو منعك عمّا أمرت به من هذه الأشياء، فاسأل الله أن يعيذك منه. «إنّه سميع» لدعائك «عليم» بما عرض لك. و قيل: إنّ النزغ أوّل الوسوسة، و المسّ لايكون إلّا بعد التمكّن. و لذلك فصّل الله بين النبيّ ﷺ و غيره فقال: «و إمّا ينزغنّك» و قال في الناس: «إذا مسّهم طائف من الشيطان».[١]

[٢٠١] «إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ».

«طائف». أهل البصرة و ابن‌كثير: «طيف» بغير ألف. و المراد به خطرة من خطرات الشيطان. «إنّ الذين اتّقوا»؛ أي: اجتنبوا المعاصي. «إذا مسّهم طائف»: إذا وسوس إليهم الشيطان و أغراهم بمعصيته، تذكّروا ما فيه من العقاب فتركوه. و قال الحسن: إذا طاف عليهم الشيطان بوسوسته. و قيل: هو الرجل يغضب الغضبة فيتذكّر فيكظم غيظه. و قيل: هو الرجل يهمّ بالذنب فيذكر الله و يتركه. «فإذا هم مبصرون» للرشد.[٢]

«إذا مسّهم». عن الصادق عليه السلام في أخبار كثيرة: هو العبد يهمّ بالذنب ثمّ يتذكّر

١ـ مجمع البيان ٤ / ٧٨٨.

٢ـ مجمع البيان ٤ / ٧٩٠.

فيمسك.(١)

«طائف»؛ أي: لمّة منه. و هو اسم فاعل من طاف يطوف. كأنّها طافت بهم و دارت حولهم فلم تقدر أن تؤثّر فيهم.(٢)

[٢٠٢] «وَ إِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ».

«و إخوانهم يمدّونهم». يعني إخوان المشركين من شياطين الجنّ و الإنس يمدّونهم في الضلال؛ أي: يزيّنون لهم [ما هم فيه]. «ثمّ لا يقصرون»؛ أي: ثمّ لا يقصر هؤلاء مع ذلك كما يقصر الذين آمنوا و اتّقوا. و قيل: معناه: لا يقصر الشياطين عن إغوائهم و لا يقصرون هم عن ارتكاب الفواحش. «يمدّونهم». أهل المدينة بضمّ الياء و كسر الميم.(٣)

«و إخوانهم». إنّما أتى به جمعاً و الشيطان مفرد، لأنّ المراد به الجنس.(٤)

[٢٠٣] «وَ إِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْ لَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هٰذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَ هُدىً وَ رَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ».

«و إذا لم تأتهم». معناه: انّك إذا جئتهم بآية كذّبوا بها و إذا أبطأت عنهم يقترحونها و يقولون: هلّا جئتنا بها من قبل نفسك؟ فليس كلّ ما تقوله وحي من السماء. «قل» لهم: «إنّما أتّبع ما يوحى إليّ»؛ أي: لست آتي بالآيات من عندي و إنّما يظهرها الله على حسب ما يعلم من المصلحة في ذلك لا بحسب اقتراح الخلق. و ليس لي أن أسأله إنزال الآيات إليّ إلّا بعد إذنه لي في السؤال. «هذا بصائر»؛ أي: هذا القرآن دلائل ظاهرة و براهين ساطعة من ربّكم يبصر الإنسان بها أمر دينه. «و هدًى و رحمة»؛ أي: دلالة تهدي إلى الرشد و نعمة في الدين و الدنيا.(٥)

١ـ الكافي ٢ / ٤٣٤، ح ٧.

٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٧٢.

٣ـ مجمع البيان ٤ / ٧٨٨ و ٧٩٠.

٤ـ الكشّاف ٢ / ١٩١.

٥ـ مجمع البيان ٤ / ٧٩٠.

«بصائر»؛ أي: بمنزلة بصائر القلوب.[١]

[٢٠٤] «وَ إِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَ أَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ».

«و أنصتوا». اختلف في الوقت المأمور بالإنصات للقرآن. فقيل: إنّه في الصلاة خاصّة خلف الإمام الذي يؤتمّ به إذا سمعت قراءته. عن ابن‌عبّاس و جماعة. و هو المرويّ عن أبي جعفرعليه السلام. قالوا: كان المسلمون يتكلّمون في صلاتهم، فنهوا عن ذلك و أمروا بالاستماع. و قيل: إنّه في الصلاة و الخطبة جميعاً. يعني خطبة يوم الجمعة. قال الشيخ الطوسيّ: و أقوى الأقوال الأوّل. لأنّه لا حال يجب فيه الإنصات لقراءة القرآن إلّا حالة قراءة الإمام في الصلاة. فأمّا خارج الصلاة، فلا خلاف أنّ الاستماع غير واجب. و روي عن أبي عبداللهعليه السلام قال: يجب الإنصات للقرآن في الصلاة و غيرها. قال: و ذلك على وجه الاستحباب. و قال الزجّاج: يجوز أن يكون «فاستمعوا له» أي: اعملوا بما فيه و لاتجاوزوا. مأخوذ من قول القائل: سمع الله لمن حمده. و قيل: إنّها نزلت في ابتداء التبليغ ليتعلّموا أو يتفقّهوا.[٢]

[٢٠٥] «وَ اذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَ خِيفَةً وَ دُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَ الْآصَالِ وَ لَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ».

«في نفسك». أي بالكلام من التسبيح و التحميد و التهليل. و روى زرارة عن أحدهماعليهما السلام قال: معناه: إذا كنت خلف إمام تأتمّ به، فأنصت و سبّح في نفسك. يعني فيما لايجهر الإمام فيه بالقراءة. «و دون الجهر من القول»؛ أي: ارفعوا أصواتكم قليلاً لا كثيراً حتّى يكون عدلاً بين ذلك. و قيل: إنّه أمر للإمام أن يرفع صوته في الصلاة بالقراءة مقدار ما يسمع من خلفه. عن ابن عبّاس. «بالغدوّ و الآصال»؛ أي: الغدوّات و العشيّات. و المراد به دوام الذكر و اتّصاله. و قيل: إنّما خصّ هذين الوقتين لأنّهما حال فراغ القلب عن طلب المعاش فيكون الذكر فيهما ألصق بالقلب. «تضرّعاً و خيفة». مصدران على الحال. أي:

١ـ الكشّاف ٢ / ١٩٢.

٢ـ مجمع البيان ٤ / ٧٩١ ـ ٧٩٢.

متضرّعاً خائفاً. «من الغافلين» عمّا أمرتك به من الدعاء و الذكر.(۱)

«و لاتكن من الغافلين». عن أبي عبدالله عليه السلام: من كان معه كفنه في بيته، لم يكن من الغافلين و كان مأجوراً كلّما نظر إليه. كذا في الكافي.(۲) و عن أبي جعفر عليه السلام: من قرأ عشر آيات في ليلة، لم يكن من الغافلين.(۳)

[۲۰٦] «إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَ يُسَبِّحُونَهُ وَ لَهُ يَسْجُدُونَ».

«إنّ الذين عند ربّك». يعني الأنبياء و الرسل و الأئمّة عليهم السلام.(٤)

«و يسبّحونه»؛ أي: ينزّهونه عمّا لايليق به. «و له يسجدون»؛ أي: يخضعون. و قيل: يصلّون. و قيل: يسجدون في الصلاة. و هو أوّل سجدات القرآن. و لا خلاف في استحبابها. و أوجبها أبوحنيفة.(٥)

۱ـ مجمع البيان ٤ / ۷۹۲.

۲ـ الكافي ۳ / ۲٥٦.

۳ـ ثواب الأعمال / ۱۲۹.

٤ـ تفسير القمّيّ ۱ / ۲٥٤.

٥ـ مجمع البيان ٤ / ۷۹۳.

٨.
سورة الأنفال

عن أبي عبدالله عليه السلام: من قرأ سورة الأنفال و البراءة في كلّ شهر، لم يدخله نفاق و كان من شيعة أميرالمؤمنين عليه السلام حقّاً و يأكل يوم القيامة من موائد الجنّة مع شيعته حتّى يفرغ الناس من الحساب. كذا في تفسير العيّاشيّ.[١]

و عن النبيّ صلّى الله عليه و آله: من قرأ سورة الأنفال و براءة، فأنا شفيع له و شاهد يوم القيامة أنّه بريء من النفاق، و أعطي من الأجر عدد كلّ منافق و منافقة، و كان العرش و حملته يصلّون عليه.[٢]

و في خواصّ المصباح: الأنفال: من كتبها بماء ورد و زعفران و علّقها، أمن من الحيّة و السبع و العدوّ و الضلال في الطريق.[٣] (م ح)

[١] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلّٰهِ وَ الرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللهَ وَ أَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَ أَطِيعُوا اللهَ وَ رَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ».

قرأ أهل البيت عليهم السلام و جماعة: «يسألونك الأنفال». يعني يطلبونها منك.

اختلف المفسّرون في الأنفال هنا. فقيل: هي الغنائم التي غنمها رسول الله صلّى الله عليه و آله يوم بدر، سألوا رسول الله صلّى الله عليه و آله: كيف تقسم و لمن الحكم في قسمتها؟ أللمهاجرين أم للأنصار؟ أم لهم جميعاً؟ فقيل لهم: هي لرسول الله و هو الحاكم فيها خاصّة يحكم فيها كيف يشاء ليس لأحد

١ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٤٦، ح ١.
٢ـ مجمع البيان ٤ / ٧٩٤.
٣ـ المصباح / ٦٠٥. و قد ورد هذا في المصدر لسورة الأعراف.

غيره فيها حكم. و قيل: هي النفل الذي يعيّنه النبيّ صلى الله عليه وآله لمن عمل عملاً من الكفّار[1] زيادة على السهام فالحكم فيها إلى النبيّ. و قيل: هي الخمس الذي جعله الله لأهل الخمس. و صحّت الرواية عن أبي جعفر و أبي عبدالله عليهما السلام أنّ الأنفال كلّ ما أخذ من دار الحرب بغير قتال، و كلّ أرض انجلى عنها أهلها بغير قتال، و ميراث من لا وارث له، و قطائع الملوك إذا كان في أيديهم من غير غصب، و الآجام و بطون الأودية و الأرضون الموات و نحو ذلك. و هي مخصوصة بالنبيّ و من بعده الإمام عليه السلام.(١)

«فاتّقوا الله» في الاختلاف و التخاصم. «و أصلحوا ذات بينكم»: ما بينكم من الأحوال حتّى تكون أحوال محبّة و ألفة. «مؤمنين»: كاملي الإيمان.(٢)

[٢ ـ ٣] «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَ إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ».

«إنّما المؤمنون» الكاملون. «وجلت»؛ يعني: فزعت استعظاماً له و تهيّباً من جلاله و عزّة سلطانه و بطشه بالغواة و العصاة و عقابه. و قيل: هو الرجل يريد أن يهمّ بمعصية فيقال له: اتّق الله، فينزع. «زادتهم إيماناً»: ازدادوا بها يقيناً و طمأنينة نفس. لأنّ تظاهر الأدلّة أقوى للمدلول.(٣)

«وجلت قلوبهم» خوفاً من عقوبته و وعيده و عدله على المعاصي بالعذاب. فأمّا إذا ذكر نعم الله على عباده و فضله و ثوابه على الطاعات، اطمأنّت قلوبهم و سكنت نفوسهم إلى عفو الله. [كما قال:] «ألا بذكر الله تطمئنّ القلوب».(٤) فلا تنافي بين الآيتين. و وجه آخر و هو أن يكون وجله و خوفه إنّما هو من نفسه و معاصيه فإذا ذكر الله وجل و خاف منها و

١ـ يعني رحمه الله من قال له النبيّ صلى الله عليه وآله تحريضاً: من قتل قتيلاً فله سلبه، و مثل ذلك.

١ـ مجمع البيان ٤ / ٧٩٥ ـ ٧٩٦، و الكشّاف ٢ / ١٩٤.

٢ـ الكشّاف ٢ / ١٩٥.

٣ـ الكشّاف ٢ / ١٩٥ ـ ١٩٦.

٤ـ الرعد (١٣) / ٢٨.

إذا ذكر عفو الله و رحمته اطمأنّ.[١]

[٤] «أُولٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ».

«المؤمنون»؛ أي: الكاملون في الإيمان. «حقّاً». صفة للمصدر المحذوف. أي: ايماناً حقّاً. أو مصدر مؤكّد للجملة. أي: حقّ ذلك حقّاً. «درجات»: كرامة و علوّ منزلة. «و مغفرة»: تجاوز عن سيّئاتهم. «رزق كريم»؛ أي: نعيم الجنّة.

[٥] «كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَ إِنَّ فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ».

«كما أخرجك». [الكاف] متعلّق بما دلّ عليه «قل الأنفال». أي: قل: إنّ الأنفال ينزعها عنكم مع كراهتكم لذلك، لأنّه أصلح لكم، كما أخرجك ربّك من المدينة مع كراهة فريق من المؤمنين ذلك، لأنّ الخروج كان أصلح لكم من كونكم في بيتكم. و معنى «أخرجك» أي: أمرك به. و قيل: يتعلّق بيجادلونك. أي: يجادلونك في الحقّ كارهين له كما يجادلونك حين أخرجك ربّك كارهين للخروج كراهية طباع لقلّتهم و كثرة العدوّ. فإنّهم جادلوه بعد خروجهم كما جادلوه عند الخروج فقالوا: هلاّ أخبرتنا بالقتال حتّى نستعدّ لذلك؟[٢]

«و إنّ فريقاً من المؤمنين لكارهون»؛ أي: أخرجك في حال كراهتهم.[٣]

«لكارهون» للخروج للجهاد.[٤]

[٦] «يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَ هُمْ يَنْظُرُونَ».

«يجادلونك». في تلقّي النفير لإيثارهم عليه العير. «بعد ما تبيّن»: بعد إعلام رسول الله صلى الله عليه و آله بأنّهم منصورون. و جدالهم قولهم: ما كان خروجنا إلّا للعير. و هلّا قلت لنا لنستعدّ و نتأهّب؟ و ذلك لكراهتهم القتال. ثمّ شبّه حالهم في فرط رعبهم ـ و هم يسار بهم

١ـ مجمع البيان ٤ / ٧٩٨. ـ الكشّاف ٢ / ١٩٦.

٢ـ مجمع البيان ٤ / ٨٠٠ ـ ٨٠١. ٣ـ الكشّاف ٢ / ١٩٧.

٤ـ مجمع البيان ٤ / ٨٠١.

إلى الظفر و الغنيمة ـ بحال من يساق إلى القتل و الموت. و قيل: كان خوفهم لقلّة عددهم و أنّهم كانوا رجّالة ما كان فيهم إلّا فارسان و قريش الذين وافوا بدراً كانوا قريب الألف و أكثرهم فرسان و المسلمون كانوا ثلاثمائة و ثلاثة عشر رجلاً.[١]

[٧] «وَ إِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَ تَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَ يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَ يَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ».

«و إذ يعدكم الله». إذ منصوب باذكروا. «أنّها لكم». بدل من إحدى الطائفتين. و الطائفتان العير و النفير. «غير ذات الشوكة»؛ أي: العير. لأنّه لم يكن فيها إلّا أربعون فارساً و الشوكة كانت في النفير لعددهم و عدّتهم. و الشوكة: الحدّة. مستعارة من واحدة الشوك. «أن يحقّ الحقّ» ؛ أي: يثبته و يعليه. «بكلماته»: بآياته المنزلة في محاربة ذات الشوكة و بما أمر الملائكة من نزولهم للنصرة و بما قضى من أسرهم و قتلهم و طرحهم في قليب بدر. «دابر». و الدابر: الآخر. و قطع الدابر عبارة عن الاستئصال. يعني أنّكم تريدون الفائدة العاجلة و الله يريد معالي الأمور و عمارة الدين.[٢]

«يريد الله أن يحقّ الحقّ» ـ الآية. عن أبي جعفر عليه السلام: تفسيرها في الباطن أنّ هذا شيء يريد الله و لم يفعله بعد. أي: يحقّ حقّ آل محمّد عليهم السلام. و أمّا قوله: «بكلماته» فهو عليّ عليه السلام. هو كلمة الله في الباطن. «و يقطع دابر الكافرين». هم بنوأميّة يقطع دابرهم.[٣]

و حاصل القصّة: انّ عير قريش أقبلت من الشام فيها أموالهم و خزائنهم و معها أربعون راكباً منهم أبوسفيان و عمرو بن العاص. فأخبر جبرئيل رسول الله صلى الله عليه و آله فأخبر به المسلمين فأعجبهم تلقّي العير لكثرة الخير و قلّة القوم. فلمّا خرجوا، بلغ أهل مكّة خبر خروجهم فنادى أبوجهل فوق الكعبة: يا أهل مكّة، النجاء النجاء على كلّ صعب و ذلول [عيركم] أموالكم إن أصابها محمّد لن تفلحوا أبداً. و قد رأت عاتكة بنت عبد المطّلب رؤيا فقالت

١ـ الكشّاف ٢ / ١٩٩، و تفسير البيضاويّ ١ / ٣٧٦. ٢ـ الكشّاف ٢ / ١٩٩ ـ ٢٠٠.

٣ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٥٠، ح ٢٤.

لأخيها العبّاس: رأيت كأنّ ملكاً نزل من السماء فأخذ صخرة من الجبل ثمّ حلق بها، فلم يبق بيت من بيوت مكّة إلّا أصابه حجر من تلك الصخرة. فحدّث به العبّاس، فقال أبوجهل: ما ترضى رجالهم أن يتنبّؤوا حتّى تتنبّأ نساؤهم! فخرج أبوجهل بجميع أهل مكّة، و هم النفير. في المثل السائر: لا في العير و لا في النفير. فقيل له: إنّ العير أخذت طريق الساحل و نجت. فارجع بالناس إلى مكّة. فقال: لا والله لايكون ذلك أبداً حتّى تنحر الجزور و نشرب الخمور و نقيم القينات ببدر فيتسامع جميع العرب بمخرجنا و أنّ محمّداً لم يصب العير. فمضى بهم إلى بدر. و بدر ماء كانت العرب [تجتمع] فيه لسوقهم يوماً في السنة. فنزل جبرئيل و قال: يا محمّد ﷺ إنّ الله وعدكم إحدى الطائفتين؛ إمّا العير و إمّا قريشاً. فاستشار النبيّ ﷺ أصحابه فقال: ما تقولون؟ إنّ القوم قد خرجوا من مكّة على كلّ صعب و ذلول. فالعير أحبّ اليكم أم النفير؟ قالوا: بل العير أحبّ إلينا من لقاء العدوّ. فتغيّر وجه رسول الله ﷺ [ثمّ ردّد عليهم] و قال: إنّ العير قد مضت على ساحل البحر. و هذا أبوجهل قد أقبل. فقالوا: عليك بالعير. فغضب رسول الله و قام إليه أبوبكر و عمر و نهياه عن لقاء العدوّ. ثمّ قام إليه وجوه المهاجرين و الأنصار و أرجعوا إليه الرأي. و قال بعضهم: لو أمرتنا لخضنا هذا البحر. فجزاهم خيراً. ثمّ سار بهم إلى بدر، كما سيأتي تمام القصّة مجزّأة على الآيات.

[٨] «لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَ يُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ».

و أمّا قوله: «ليحقّ الحقّ» فإنّه يعني: ليحقّ حقّ آل محمّد عليهم السلام حين يقوم القائم عليه السلام. فإذا قام، أبطل باطل بني أميّة. و ذلك قوله: «ليحقّ الحقّ».(١)

«ليحقّ الحقّ». متعلّق بمحذوف. أي: فعل ما فعل من إثبات الإسلام و إبطال الكفر، ليحقّ الحقّ. فإن قلت: أليس هذا تكريراً؟ قلت: لا. لأنّ المعنيين متباينان. و ذلك أنّ الأوّل

١ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٥٠، ح ٢٤.

تميز بين الإرادتين و هذا بيان لغرضه فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها لهم و مانصرهم و لا خذل أولئك إلّا لهذا الغرض الذي هو سيّد الأغراض. و يجب أن يقدّر المحذوف متأخّراً حتى يفيد معنى الاختصاص. و قيل: قد تعلّق بيقطع.[١]

[٩] «إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ».

«إذ تستغيثون». بدل من «إذ يعدكم». و قيل: [يتعلّق] بقوله: «ليحقّ الحقّ». و استغاثتهم أنّهم لمّا علموا أنّه لا بدّ من القتال، طفقوا يدعون الله، فاستجاب دعوتهم و أمدّهم بالملائكة.[٢]

«أنّي ممدّكم»؛ أي: بأنّي. و «مردفين» بكسر الدال بمعنى متبعين بعضهم بعضاً، أو متبعين لغيرهم من الملائكة؛ لقوله في سورة آل عمران: «بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين».[٣] و بفتح الدال بمعنى متبعين بفتح الباء.[٤]

«مردفين»؛ أي: مردفين خلفهم ملائكة أخرى. كما قالوا: أردفت زيداً خلفي.[٥]

[١٠] «وَ مَا جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرىٰ وَ لِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَ مَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ».

«و ما جعله الله»؛ أي: ما جعل الله. الإمداد إلّا بشارة لكم بالنصر كالسكينة لبني‌إسرائيل. يعني أنّكم استغثتم و تضرّعتم لقلّتكم و ذلّتكم، فكان الإمداد بالملائكة بشارة لكم بالنصر و ربطاً على قلوبكم. «و ما النصر إلّا من عند الله»؛ أي: لا تحسبوا النصر من الملائكة. فإنّ الناصر لكم و للملائكة هو الله. [أو:] و ما النصر بالملائكة و غيرهم من الأسباب إلّا من عندالله، و المنصور من نصره الله.[٦]

١ـ الكشّاف ٢ / ٢٠٠.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٢٠٠.
٣ـ آل عمران (٣) / ١٢٤.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٢٠١، تفسير البيضاويّ ١ / ٣٦٦.
٥ـ مجمع البيان ٤ / ٨٠٥.
٦ـ الكشّاف ٢ / ٢٠٢.

[١١] «إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَ يُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَ يُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَ لِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَ يُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ».

«يغشيّكم». قرأ أهل الكوفة: «إذ يغشيكم» بضمّ الياء و سكون الغين «النعاس» بالنصب. و قرأ ابن‌كثير و أبوعمرو: «يغشاكم» بالألف و فتح الياء، و «النعاس» بالرفع. و الباقون بضمّ الياء و فتح الغين و التشديد «النعاس» بالنصب. و النعاس: أوّل النوم. «أمنة»؛ أي: أماناً. «منه»؛ أي: من العدوّ. و قيل: من الله. فإنّ الإنسان لا يأخذه النوم في حال الخوف، فآمنهم الله بزوال الخوف عن قلوبهم [و] قوّاهم بالاستراحة على القتال من العدوّ. «ماء»؛ أي: مطراً. «ليطهّركم به». و ذلك أنّ الكفّار سبقوا المسلمين إلى الماء، فنزلوا على كثيب رمل و أصبحوا محدثين و مجنبين و أصابهم الظمأ و وسوس لهم الشيطان و قال: إنّ عدوّكم سبقكم إلى الماء و أنتم تصلّون مع الجنابة و الحدث و تسوخ أقدامكم في الرمل. فمطرهم الله حتى اغتسلوا من الجنابة و لبدت به الأرض. «رجز الشيطان»؛ أي: الاحتلام. أو قوله: ليس لكم بهم طاقة. «و ليربط على قلوبكم»؛ أي: يشجّعكم. «و يثبّت به»؛ أي: يثبّت أقدامكم في الحرب بتلبّد الرمل. و قيل: بالصبر و قوّة القلب.(١)

عن أمير المؤمنين عليه السلام: اشربوا ماء السماء. فإنّه يطهّر البدن و يدفع الأسقام. قال تبارك و تعالى: «و ينزّل عليكم» ـ الآية.(٢)

عن أبي جعفر عليه السلام: «و ينزّل عليكم من السماء». السماء في الباطن رسول الله صلى الله عليه و آله، و الماء عليّ عليه السلام. جعل الله عليّاً من رسول الله صلى الله عليه و آله. «ليطهّركم به»: ليطهّر قلب من والاه. «رجز الشيطان». من والى عليّاً عليه السلام يذهب الله [الرجز] عنه و يثبّته على ولايته.(٣)

«رجز الشيطان». لأنّ الشيطان تمثّل لهم و وسوس إليهم بأنّكم كيف تكونون على الحقّ و أنتم تصلّون على الجنابة و قد عطشتم، و لو كنتم على حقّ ماغلبكم هؤلاء على الماء، و

١ـ مجمع البيان ٤ / ٨٠٥ و ٨٠٨ ـ ٨٠٩.
٢ـ الخصال / ٦٣٦ ـ ٦٣٧.
٣ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٥٠٢، ح ٢٥.

ما ينتظرون بكم إلّا أن يجهدكم العطش، فإذا قطع العطش أعناقكم، مشوا إليكم فقتلوا من أحبّوا او ساقوا بقيّتكم إلى مكّة. فحزنوا حزناً شديداً. فأنزل الله المطر حتّى جرى الوادي.(١)

[١٢] «إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَ اضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ».

«إذ يوحي». يجوز أن يكون بدلاً ثالثاً من «إذ يعدكم» و أن ينتصب بيثبّت. «سألقي». كأنّهم قالوا كيف نثبّتهم، فقيل: قولوا لهم: «سألقي». فالضاربون المؤمنون.(٢)

«أنّي معكم»؛ أي: مع الملائكة بالمعونة و النصر. «فثبّتوا الذين آمنوا»؛ أي: بشّروهم بالنصر. فكان الملك يسير أمام الصفّ في صورة الرجل و يقول: أبشروا. فإنّ الله ناصركم. وقيل: معناه: قاتلوا معهم المشركين. «الرعب»؛ أي: الخوف من أوليائي. «فوق الأعناق». يعني الرؤوس. «بنان». يعني الأطراف من اليدين و الرجلين.(٣)

و في يوم بدر التقى أمير المؤمنين عليه السلام مع الوليد بن عتبة فضربه على حبل عاتقة فأخرج السيف من إبطه. فقال عليّ عليه السلام: فأخذ يمينه المقطوعة بيساره فضرب بها هامتي. فظننت أنّ السماء قد وقعت على الأرض.(٤)

[١٣] «ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللهَ وَ رَسُولَهُ وَ مَنْ يُشَاقِقِ اللهَ وَ رَسُولَهُ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ».

«شاقّوا»؛ أي: حاربوا الله و رسوله. «شديد العقاب» في الدنيا بالإهلاك و في الآخرة بالتخليد في النار.(٥)

[١٤] «ذٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَ أَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ».

١ـ الكشّاف ٢ / ٢٠٣ ـ ٢٠٤.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٢٠٤.
٣ـ مجمع البيان ٤ / ٨٠٩.
٤ـ تفسير القمّيّ ١ / ٢٦٥.
٥ـ مجمع البيان ٤ / ٨٠٩.

«ذلكم»؛ أي: العقاب من القتل و الأسر. «فذوقوه». لأنّ عذاب الدنـيا بـالنسبة إلى عذاب الآخرة كالذوق له.(١)

«ذلكم فذوقوه». كقولك: زيداً فاضربه. «و أنّ للكافرين». عطف على ذلكم. أو نصب على أنّ الواو بمعنى مع و المعنى: ذوقوا هذا العـذاب العـاجل مـع الآجـل الذي لكـم في الآخرة.(٢)

[١٥] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ».

«زحفاً». حال من «الذين كفروا». و الزحف هو الجيش الدهم الذي يرى لكثرته كأنّه يزحف؛ أي: يدبّ دبيباً. من زحف الصبيّ، إذ ادبّ على استه قليلاً قليلاً. سمّي بالمصدر. و المعنى: إذا لقيتموهم للقتال و هم كثير جمّ و أنتم قليل فلاتفرّوا، فضلاً [عن] أن تدانوهم في العدد أو تساووهم. أو حال من الفريقين. أي: إذا لقيتموهم متزاحفين هم و أنتم. أو حال من المؤمنين، كأنّهم أشعروا بما كان سيكون منهم يوم حنين حين تولّوا مدبرين و هم زحف من الزحوف اثناعشر ألفاً و تقدمة نهي عن الفرار يومئذ.(٣)

[١٦] «وَ مَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَ مَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ».

«إلّا متحرّفاً». هو الكرّ بعد الفرّ يخيّل عدوّه أنّه منهزم ثمّ يعطف عليه. و هو من باب خدع الحرب و مكايدها. «أو متحيّزاً»؛ أي: أو منحازاً. «إلى فئة»؛ أي: جماعة أخرى من المسلمين سوى الفئة التي هو فيها. و «إلّا متحرّفاً» نصب على الحال. و إلّا لغـو، أو عـلى الاستثناء من المولّين. أي: و من يولّهم إلّا رجلاً منهم متحرفاً أو متحيّزاً.(٤)

عن أبي عبدالله عليه السلام: من فرّ من رجلين في القتال، فقد فرّ. و من فرّ من ثلاثة في القتال،

١ـ مجمع البيان ٤ / ٨٠٩.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٢٠٥.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٢٠٦.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٢٠٦.

فلم يفرّ.(۱)

«بغضب». هذا إذا لم يزد العدوّ عن الضعف؛ لقوله: «الآن خفّف الله عنكم».(۲) و قيل: الآية مخصوصة بأهل بيته و من حضر معه الحرب.(۳)

«بغضب»؛ أي: احتمل غضب الله و استحقّه.(٤)

[۱۷] «فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَ لٰكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ وَ مَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لٰكِنَّ اللهَ رَمىٰ وَ لِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَناً إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ».

«فلم تقتلوهم». لمّا كسروا أهل مكّة و قتلوا و أسروا، أقبلوا على التفاخر. و كان القائل يقول: قتلت و أسرت. و لمّا جاءت قريش للقتال، قال رسول الله ﷺ: هذه قريش قد جاءت بخيلائها و فخرها يكذّبون رسول الله ﷺ. اللّهمّ إنّي أسألك ما وعدتني. فقال له جبرئيل: خذ قبضة من تراب فارمهم بها. فقال لعليّ عليه السلام لمّا التقى الجمعان: أعطني قبضة من حصى الوادي. فرمى بها في وجوههم و قال: شاهت الوجوه. فلم يبق مشرك إلّا شغل بعينيه. فانهزموا و ردفهم المؤمنون يقتلونهم و يأسرونهم. فقيل لهم: «فلم تقتلوهم». و الفاء جواب شرط محذوف. أي: إن افتخرتم بقتلهم، فأنتم لم تقتلوهم، «ولكنّ الله قتلهم» لأنّه الذي أنزل الملائكة و ألقى الرعب في قلوبهم و قوّى قلوبكم. «و مارميت» أنت يا محمّد. يعني الرمية التي رميتها، لم ترمها أنت على الحقيقة. لأنّك لو رميتها لما يبلغ أثرها إلّا ما يبلغه أثر رمي البشر. ولكنّها كانت رمية الله حيث أثّرت ذلك الأثر العظيم. «و ليبلي المؤمنين»: و ليعطيهم «بلاء حسناً»؛ أي: عطاء جميلاً. أي للإحسان إلى المؤمنين فعل ما فعل.(٥)

«و مارميت إذ رميت». عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ يوم بدر: ايتني بكفّ حصيات مجموعة في مكان واحد. فأخذتها ثمّ شممتها، فإذا رائحتها كالمسك. فأتيته

١ـ الكافي ٥ / ٣٤، ح ١.
٢ـ الأنفال (٨) / ٦٥.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٧٨.
٤ـ مجمع البيان ٤ / ٨١٤.
٥ـ الكشّاف ٢ / ٢٠٧ ـ ٢٠٨.

بها. فرمى بها وجوه المشركين. و تلك الحصيات أربع منهنّ كنّ من الفردوس و حصاة من المشرق و حصاة من المغرب و حصاة من تحت العرش مع كلّ حصاة ألف مائة ملك مدداً لنا. لم يكرم الله بهذه الفضيلة أحداً قبلنا ـ الحديث.(١)

«ولكنّ الله». ابن عامر و حمزة و الكسائيّ: «لكن» بالتخفيف و رفع ما بعده في الموضعين. «و ليبلي المؤمنين»؛ أي: و لينعم عليهم نعمة عظيمة بالنصر و الغنيمة و مشاهدة الآيات، فعل ما فعل.(٢)

[١٨] «ذٰلِكُمْ وَ أَنَّ اللهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ».

«ذلكم». إشارة إلى البلاء الحسن. و محلّه الرفع. أي الغرض ذلكم. «و أنّ الله». عطف على ذلكم. يعني أنّ الغرض إبلاء المؤمنين و توهين الكافرين.(٣)

«موهن». أهل الحجاز و أبوعمرو: «موهّن» بالتشديد و نصب «كيد». و حفص عن عاصم: «موهن» بالتخفيف «كيد» بالجرّ على الإضافة. و الباقون بالتخفيف و التنوين «كيد» بالنصب.(٤)

[١٩] «إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَ إِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَ إِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَ لَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئاً وَ لَوْ كَثُرَتْ وَ أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ».

«إن تستفتحوا». قيل: الآية خطاب للمؤمنين. أي: إن تستنصروا، فقد جاءكم النصر. و إن تنتهوا عن التكاسل في القتال و الرغبة عمّا يستأثره الرسول، فهو خير لكم. و إن تعودوا إليه، نعد عليكم بالإنكار أو تهييج العدوّ. و لن تغني حينئذ كثرتكم، إذا لم يكن الله معكم بالنصر. فإنّه مع الكاملين في إيمانهم. و يؤيّد ذلك «يا أيّها الذين آمنوا». «فئتكم»؛ أي:

١ـ الخصال / ٥٧٦.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٧٩.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٢٠٨.
٤ـ مجمع البيان ٤ / ٨١٥.

جماعتكم.[۱]

«و أنّ الله». أهل المدينة و ابن‌عامر و حفص بفتح ألف «انّ» و الباقون بكسرها.[۲]

[۲۰] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَ رَسُولَهُ وَ لَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَ أَنْتُمْ تَسْمَعُونَ».

«تسمعون» أوامره و نواهيه.[۳]

[۲۱] «وَ لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَ هُمْ لَا يَسْمَعُونَ».

«كالّذين قالوا». قيل: هم اليهود [و] قريظة و النضير. عن ابن‌عبّاس. و قيل: إنّهم مشركو العرب. لأنّهم قالوا: سمعنا. لو نشاء لقلنا مثل هذا.[٤]

«و هم لايسمعون»؛ أي: لايقبلون. من باب: سمع الله لمن حمده. أو سماعاً ينتفعون به.

[۲۲] «إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ».

«إنّ شرّ الدوابّ»؛ أي: من يدبّ على وجه الأرض. أو: إنّ شرّ البهائم الذين هم صمّ عن الحقّ لايعقلونه. جعلهم من جنس البهائم و جعلهم شرّها.[۵]

[۲۳] «وَ لَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْراً لَأَسْمَعَهُمْ وَ لَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَ هُمْ مُعْرِضُونَ».

«و لو علم الله» في هذه الصمّ البكم. «خيراً»؛ أي: انتفاعاً باللّطف. «لأسمعهم»: للّطف بهم حتّى يسمعوا سماع المصدّقين. و لو أسمعهم؛ أي: و لو لطف بهم، لما نفع فيهم اللّطف. فلذلك منعهم ألطافه. أو: و لو لطف بهم فصدّقوا، لارتدّوا بعد ذلك. و قيل: هم بنوعبدالدار بن قصيّ، لم‌يسلم منهم إلّا رجلان. و كانوا يقولون: نحن صمّ بكم عمي عمّا جاء به محمّد. فقتلوا جميعاً بأحد. و قيل: هم المنافقون أو أهل الكتاب.[٦]

۱ـ تفسير البيضاويّ ۱ / ۳۷۹.

۲ـ مجمع البيان ٤ / ۸۱۵.

۳ـ مجمع البيان ٤ / ۸۱۷.

٤ـ مجمع البيان ٤ / ۸۱۷.

۵ـ الكشّاف ۲ / ۲۰۹.

٦ـ الكشّاف ۲ / ۲۰۹ ـ ۲۱۰.

«و لو علم الله فيهم». نزلت في بني‌عبدالدار بن قصيّ قالوا: أحي لنا قصيّ بن كلاب ليشهد بنبوّتك.(١)

[٢٤] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلّٰهِ وَ لِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللّٰهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ قَلْبِهِ وَ أَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ».

«استجيبوا». الاستجابة الطاعة. روي: انّ رسول الله صلّی الله علیه و آله مرّ على باب أبيّ بن كعب فناداه و هو في الصلاة، فعجل. ثمّ جاء فقال عليه السلام: ما منعك عن إجابتي؟ قال: كنت أصلّي. قال: ألم تخبر فيما أوحي إليّ: «استجيبوا لله و للرسول»؟ قال: لا جرم لاتدعوني إلّا أجبتك. و هذا ممّا اختصّ به رسول الله. يعني يجوز قطع الصلاة لندائه، أو أنّ إجابته لاتقطع الصلاة، أو أنّ دعاءه للرجل لأمر لايحتمل التأخير فيجوز قطع الصلاة لمثله.(٢)

«لما يحييكم». الحياة الجنّة.(٣)

«لما يحييكم». عن أبي عبدالله: نزلت في ولاية عليّ عليه السلام.(٤)

«لما يحييكم» من علوم الديانات و الشرائع. لأنّ العلم حياة كما أنّ الجهل موت. و قيل: لمجاهدة الكفّار، لأنّ في تركها القتل. و قيل: للشهادة، لأنّه حيّ في الدارين. «يحول بين المرء و قلبه». يعني أنّه يميته فتفوته الفرصة التي هو واجدها في الدنيا و هي التمكّن من إخلاص القلب و ردّه سليماً كما يريده الله. و قيل: معناه أنّ الله قد يملك على العبد قلبه فيفسخ عزائمه و يغيّر نيّاته و مقاصده و يبدله بالخوف أمناً و ضدّه و ما أشبه ذلك. فأمّا ما يثاب عليه العبد و يعاقب من أفعال القلوب، فلا. و المجبّرة على أنّه يحول بين المرء و الايمان إذا كفر و بينه و بين الكفر إذا آمن. تعالى عمّا يقول الظالمون. و قيل: معناه أنّه يطّلع على كلّ ما يخطره العبد بباله لايخفى عليه شيء من ضمائره فكأنّه بينه و بين قلبه.(٥)

١ـ مجمع البيان ٤ / ٨١٨.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٢١٠.
٣ـ تفسير القمّيّ ١ / ٢٧١.
٤ـ الكافي ٨ / ٢٤٨، ح ٣٤٩.
٥ـ الكشّاف ٢ / ٢١٠ ـ ٢١١، تفسير البيضاويّ ١ / ٣٨٠، مجمع البيان ٤ / ٨٢٠.

«إنّ الله يحول بين المرء و قلبه». عن أبي جعفرعليه السلام: يعني: يحول بين المؤمن و معصيته تقوده إلى النار و بين الكافر و طاعته يستكمل بها الايمان. و اعلموا أنّ الأعمال بخواتيمها. كذا في تفسير عليّ بن إبراهيم.[١]

و روى الصدوق(ره) في كتاب التوحيد عن أبي عبدالله‌عليه السلام أنّه قال: يحول بين المرء و بين أن يعلم أنّ الباطل حقّ.[٢]

و في تفسير العيّاشيّ عن أبي عبدالله‌عليه السلام: هو أن يشتهي الشيء بسمعه و بصره و لسانه ويده، فإذا غشي شيئاً ممّا يشتهي، فإنّه لا يأتيه إلّا و قلبه منكر لا يقبل الذي يأتي، يعرف أنّ الحقّ ليس فيه.[٣]

[٢٥] «وَ اتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ».

عن أبي جعفرعليه السلام: أصابت الناس فتنة بعد ما قبض رسول الله حتّى تركوا عليّاًعليه السلام و بايعوا غيره. و هي الفتنة التي فتنوا فيها.[٤]

و عن عليّ بن الحسين‌عليهما السلام أنّ هذه الفتنة في ليلة القدر. يقول: إنّ محمّداً حين يموت يقول أهل الخلاف لأمر الله: مضت ليلة القدر مع رسول الله. فهذه فتنة أصابتهم خاصّة.[٥]

قال الزبير يوم هزم أصحاب الجمل: لقد قرأت هذه الآية و ما أحسب أنّي من أهلها حتّى كان اليوم أيقنت و أعلم أنّي من أهلها.[٦]

«لا تصيبنّ». قرأ أميرالمؤمنين‌عليه السلام و زيد بن ثابت و جعفر بن محمّدعليهما السلام و الربيع بن أنس و أبوالعالية: «لتصيبنّ» و معنى القراءتين ضدّان. و يمكن أن يكون حذفت الألف من

١ـ تفسير القمّيّ ١ / ٢٧١.
٢ـ التوحيد / ٣٨٥، ح ٦.
٣ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٥٢، ح ٣٧.
٤ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٥٣، ح ٤.
٥ـ الكافي ١ / ٢٤٨ و ٢٤٩.
٦ـ تفسير القمّيّ ١ / ٢٧.

لاتصيبنّ تخفيفاً. أي: لاتقربوها فتصيبكم. كقوله: «لاتموتنّ إلّا و أنتم مسلمون».[١] و في حديث أبي أيّوب الأنصاريّ أنّه قال النبيّ ﷺ لعمّار: سيكون بعدي هنات حتّى يختلف السيف بينهم. فإذا رأيت ذلك، فعليك بهذا الأصلع. يعني عليّ بن أبي طالب. فإن سلك الناس كلّهم وادياً و سلك عليّ عليه السلام وادياً، فاسلك وادي عليّ عليه السلام ـ الحديث.[٢]

[٢٦] «وَ اذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَ أَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَ رَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ».

«و اذكروا». خطاب للمهاجرين أو كفّار قريش معهم. (ع)

«إذا». مفعول اذكروا للظرف. «في الأرض». يعني مكّة قبل الهجرة. «الناس». لأنّ الناس كانوا أعداءهم. «فآواكم» إلى المدينة «و أيّدكم» بنصره بمظاهرة الأنصار و الإمداد بالملائكة يوم بدر. «من الطيّبات»: من الغنائم و غيرها.[٣]

«أن يتخطّفكم الناس»: يستلبكم المشركون من العرب.[٤]

[٢٧] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللهَ وَ الرَّسُولَ وَ تَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ».

«لاتخونوا». معنى الخون النقص. كما أنّ معنى الوفاء التمام.[٥]

«لاتخونوا الله». نزلت في أبي لبابة. و ذلك أنّ رسول الله ﷺ حاصر يهود بني قريظة فسألوه الصلح على أن يسيروا إلى أرض الشام مثل ما صالح بني النضير، فأبى إلّا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ. فقالوا: أرسل إلينا أبالبابة. و كان مناصحاً لهم، لأنّ ماله كان عندهم. فأتاهم فقالوا: ما ترى يا أبالبابة؟ أننزل على حكم سعد بن معاذ؟ فأشار إلى حلقه

١ـ آل عمران (٣) / ١٠٢.
٢ـ مجمع البيان ٤ / ٨١٨ و ٨٢١ ـ ٨٢٢.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٢١٣.
٤ـ مجمع البيان ٤ / ٨٢٢.
٥ـ الكشّاف ٢ / ٣١٢.

أنّه الذبح فلاتفعلوا. فأتاه جبرئيل و أخبره. قال أبولبابة: فوالله مازالت قدماي من مكانهما حتّى عرفت أنّي خنت الله و رسوله. فنزلت الآية فيه. فشدّ نفسه إلى سارية في المسجد و قال: لاأذوق طعاماً و لا شراباً. حتّى خرّ مغشيّاً. فتاب الله عليه و حلّه النبيّ صلى الله عليه وآله بيده، ثمّ تصدّق بثلث ماله.(۱)

و عن أبي جعفر عليه السلام: خيانة الله و رسوله معصيتهما. و أمّا خيانة الأمانة، فكلّ إنسان مأمون على ما افترض الله عزّ و جلّ عليه.(۲)

«لاتخونوا الله». قيل: كانوا يفشون ما يسمعون من النبيّ صلى الله عليه وآله حتّى يبلغ المشركين، فنزلت.(۳)

[۲۸] «وَ اعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَ أَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَ أَنَّ اللهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ».

«أموالكم و أولادكم فتنة». لأنّهما سبب الوقوع في الفتنة و هي الإثم أو العذاب أو محنة من الله ليبلوكم كيف تحافظون فيهم على حدوده. «أجر عظيم». فعليكم بطلبه و لاتحرصوا على جمع المال و حبّ الأولاد. و قيل: هي من جملة ما نزل في أبي‌لبابة و ما فرط منه لأجل ماله و ولده.(٤)

عن أميرالمؤمنين عليه السلام: «لايقولنّ أحدكم: اللّهمّ إنّي أعوذ بك من الفتنة. لأنّه ليس أحد إلّا و هو مشتمل على فتنة. و لكن من استعاذ، فليستعذ من مضلّات الفتن. فإنّ الله يقول: «و اعلموا أنّما أموالكم و أولادكم فتنة». كذا في مجمع البيان.(٥)

و روى ابن شهرآشوب في كتاب المناقب قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يخطب على المنبر فجاء الحسن و الحسين عليهما السلام و عليهما قميصان أحمران يمشيان و يعثران. فنزل رسول الله من المنبر فحملهما و وضعهما على يديه. ثمّ قال: صدق الله حيث قال: «إنّما أموالكم و أولادكم

۱ـ تفسير القمّيّ ۱ / ۳۰۳ـ ۳۰٤.
۲ـ تفسير القمّيّ ۱ / ۲۷۲.
۳ـ مجمع البيان ٤ / ۸۲۳.
٤ـ الكشّاف ۲ / ۲۱٤.
٥ـ مجمع البيان ۲ / ۸۲٤.

فتنة». و في خبر آخر: لقد قمت إليهما و ما معي عقل.[١]

[٢٩] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً وَ يُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ وَ اللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ».

«فرقاناً»؛ أي: نصراً. لأنّه يفرق بين الحقّ و الباطل بالإذلال و الإعزاز. و منه قوله تعالى: «يوم الفرقان».[٢] أو: مخرجاً من الشبهات و توفيقاً و شرحاً للصدور.[٣]

[٣٠] «وَ إِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَ يَمْكُرُونَ وَ يَمْكُرُ اللهُ وَ اللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ».

«و إذ يمكر بك» ـ الآية. ذكّره مكر قريش به إذ كان بمكّة ليذكر نعمة الله و يشكره عليها. أي: و اذكر إذ يمكرون بك. و ذلك أنّ قريشاً لمّا أسلمت الأنصار و بايعوه خافوا أن يعظم أمره، فاجتمعوا في دار الندوة متشاورين في أمره. فدخل عليهم إبليس في صورة شيخ نجديّ فقال: قد سمعت باجتماعكم فأردت [أن] أحضركم للرأي. فقال أبوالبختريّ: أرى أن تحبسوه في بيت و تشدّوا وثاقه و تسدّوا بابه غير كوّة تلقون إليه الطعام و الشراب حتّى يموت. فقال إبليس: بئس الرأي. يأتيكم من يخلّصه من أيديكم. فقال هشام بن عمرو: أرى أن تحملوه على جمل و تخرجوه من بين أظهركم. فقال: بئس الرأي. يفسد قوماً غيركم و يقاتلكم بهم. فقال أبوجهل: أرى أن تأخذوا من كلّ بطن غلاماً و تعطوه سيفاً صارماً فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرّق دمه في القبائل فلا تقوى بنوهاشم على حرب قريش كلّهم. فإذا طلبوا العقل، عقلناه. فقال الشيخ: صدق الفتى. هو أجودكم رأياً. فتفرّقوا على رأي أبي‌جهل. و في رواية عليّ‌بن إبراهيم إنّ هذا الرأي للشيخ النجديّ و أنّه أمرهم بإدخال أبي‌لهب معهم فأخبر جبرئيل رسول الله ﷺ و أمره أن لايبيت في مضجعه و أذن له

١ـ المناقب ٣ / ٣٨٥.
٢ـ الأنفال (٨) / ٤١.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٢١٤.

في الهجرة. فأمر عليّاً عليه السلام فنام في مضجعه و قال له: اتّشح ببردتي. و باتوا مترصّدين حول حجرته. فلمّا أصبحوا ثاروا إلى مضجعه فأبصروا عليّاً عليه السلام فبهتوا. فخيّب الله سعيهم. و اقتصّوا أثره فأبطل مكرهم.[۱]

«ليثبتوك»؛ أي: ليسجنوك، أو يوثقوك، أو يثخنوك بالضرب و الجرح. «و يمكرون»: يخفون المكايد. «و يمكر الله»: يخفي ما أعدّ لهم حتّى يأتيهم بغتة. و مكره أشدّ تأثيراً من مكر غيره.[۲]

«و يمكر الله» بردّ مكرهم عليهم؛ أو بمجازاتهم عليه، أو بمعاملة الماكرين معهم بأن أخرجهم إلى البدر و قلّل المسلمين في أعينهم حتّى حملوا عليهم فقتلوا.[۳]

[۳۱] «وَ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَا إِنْ هَـٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ».

«عليهم» ؛ أي: على هؤلاء الكفّار. قالوا: قد أدركناه بآذاننا و لو أردنا لأتينا بمثل هذا القرآن. و إنّما قالوا ذلك مع ظهور عجزهم عناداً و عداوة. و قد يحمل الإنسان شدّة العداوة على أن يقول ما لايعلم. «أساطير الاولّين»؛ أي: قصص الأوّلين و أخبارهم المسطورة. يعني أنّه مثلها لا أنّه وحي من الله. «قالوا قد سمعنا». قائل هذا القول النضر بن الحارث الذي قتله رسول الله صلى الله عليه وآله صبراً يوم بدر. و هو الذي جاء من بلاد فارس بنسخة حديث رستم و اسفنديار فزعم أنّ القرآن مثل ذلك و أنّه من جملة تلك الأساطير. و هو القائل: «اللّهمّ إن كان هذا هو الحقّ» ـ الآية.

[۳۲] «وَ إِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ».

۱ـ الكشّاف ۲ / ۲۱۵، و تفسير القمّيّ ۱ / ۲۷۲ ـ ۲۷٦.

۲ـ الكشّاف ۲ / ۲۱۵ ـ ۲۱٦.

۳ـ تفسير البيضاويّ ۱ / ۳۸۲.

«و إذ قالوا». قائله أبوجهل. «إن كان هذا»؛ يعني:إن كان القرآن هو الحقّ، فعاقبنا على إنكاره بالسجّيل كما فعلت بأصحاب الفيل، أو بعذاب آخر. و مراده نفي كونه حقّاً. و إذا انتفى كونه حقّاً، لم يستوجب منكره عذاباً. فكان تعليق العذاب بكونه حقّاً مع اعتقاد أنّه ليس بحقّ، كتعليقه بالمحال في قولك: إن كان الباطل حقّاً، فأمطر علينا حجارة. و قوله: «هو الحقّ» تهكّم بمن يقول على سبيل التخصيص و التعيين: و هذا هو الحقّ.(١)

عن الصادق عليه السلام: لمّا نصب رسول الله صلى الله عليه وآله عليّاً عليه السلام يوم غدير خمّ و قال: من كنت مولاه فعليّ مولاه، قال له النعمان بن الحارث: لم ترض حتّى نصبت هذا الغلام! فولّى و هو يقول: «اللّهمّ إن كان» ـ الآية. فرماه الله بحجر على رأسه.(٢)

[٣٣] «وَ مَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَ أَنْتَ فِيهِمْ وَ مَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ».

«و ما كان الله ليعذّبهم» ؛ أي: أهل مكّة بعذاب الاستئصال و أنت مقيم بين أظهرهم لفضلك يا محمّد. فإنّ الله بعثك رحمة للعالمين فلايعذّبهم إلّا بعد إخراجك عنهم. عن ابن‌عبّاس: انّ الله سبحانه لم يعذّب قومه حتّى أخرجوه منها. «و هم يستغفرون»؛ أي: و فيهم بقيّة من المؤمنين لم يهاجروا لعذر و كانوا على عزم الهجرة. فلمّا خرجوا، أذن الله في فتح مكّة. و في تفسير عليّ بن إبراهيم: لمّا قال النبيّ صلى الله عليه وآله لقريش: إنّي أقتل ملوك الدنيا و أجري الملك إليكم، فأجيبوني إلى ما أدعوكم إليه، تملكون بها العرب و يدين لكم العجم، فقال أبوجهل: «اللّهمّ إن كان هذا» ـ الآية ـ حسداً لرسول الله. ثمّ قال: غفرانك اللّهمّ ربّنا، فأنزل الله: «و ما كان الله» ـ الآية.(٣)

[٣٤] «وَ مَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللهُ وَ هُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَ مَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ».

١ـ الكشّاف ٢ / ٢١٦.
٢ـ شواهد التنزيل ٢ / ٣٨١.
٣ـ مجمع البيان ٤ / ٨٢٩.

«و ما لهم»؛ أي: و ما كان الله معذّبهم و أنت فيهم و هو معذّبهم إذا فارقتهم. «و هم يصدّون عن المسجد الحرام»؛ أي: كيف لايعذّبون و حالهم أنّهم يصدّون عن المسجد الحرام كما صدّوا رسول الله ﷺ عام الحديبيّة و إخراجهم رسول الله ﷺ و المؤمنين من الصدّ. و كانوا يقولون: نحن ولاة البيت الحرام فنصدّ من نشاء و ندخل من نشاء. و ماكانوا أولياء المسجد مع إشراكهم. ليس أولياؤه إلّا المتقّون من المسلمين لا كلّ مسلم فكيف بالكفرة عبدة الأصنام. «أكثرهم لايعلمون». يعني أنّ بعضهم يعلم لكنّه يعاند.(١)

«و ما لهم ألّا يعذّبهم». إن قيل: كيف يجمع بين الآيتين و في الأولى نفي تعذيبهم في الثانية إثبات ذلك؟ جوابه من وجوه ثلاثة. أحدها: انّ المراد بالأوّل عذاب الاستئصال كما فعل بالأمم الماضية، و بالثانية عذاب القتل بالأسر و السيف و غير ذلك بعد خروج المؤمنين من بينهم. و الآخر: انّه أراد: و ما لهم ألّا يعذّبهم في الآخرة؟ و يريد بالأوّل عذاب الدنيا. و الثالث: انّ الأوّل استدعاء للاستغفار. يريد أنّه لايعذّبهم عذاب دنيا و لا آخرة إذا استغفروا و تابوا. فلمّا لم يفعلوا، عذّبوا. ثمّ بيّن أنّ استحقاقهم للعذاب بصدّهم الناس عن المسجد الحرام.(٢)

[٣٥] «وَ مَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَ تَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ».

«إلّا مكاء و تصدية». المكاء: الصفير. و التصدية: التصفيق. يعني أنّهم وضعوهما مكان الصلاة و الذكر. و ذلك أنّهم كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال و النساء مشبّكون بين أصابعهم يصفرون فيها و يصفقون. و كانوا يفعلون ذلك إذا قرأ رسول الله ﷺ في صلاته يخلطون عليه. «فذوقوا العذاب»؛ أي: عذاب القتل و الأسر يوم بدر بسبب كفركم.(٣)

١ـ الكشّاف ٢ / ٢١٧.
٢ـ مجمع البيان ٤ / ٨٢٩ ـ ٨٣٠.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٢١٨.

[٣٦] «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ».

«ليصدّوا». قيل: نزلت في المطعمين يوم بدر. كان يطعم كلّ واحد منهم عشر جزائر. و قيل: قالوا لكلّ من كانت له تجارة في العير: أعينوا بهذا المال على حرب محمّد لعلّنا ندرك منه ثارنا بما أصيب منّا ببدر. و قيل: نزلت في أبي‌سفيان و قد استأجر ليوم أحد ألفين من الأحابيش سوى من استجاش من العرب و أنفق عليهم أربعين أوقيّة. و الأوقيّة اثنان و أربعون مثقالاً. «عن سبيل الله»؛ أي: كان غرضهم في الإنفاق الصدّ عن اتّباع محمّد ﷺ و هو سبيل الله. «حسرة»؛ أي: يكون عاقبة أمرها ندماً و حسرة. «ثمّ يغلبون» آخر الأمر فيرجعون طلقاء. «و الذين كفروا»: و الكافرون منهم.(١)

[٣٧] «لِيَمِيزَ اللهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَ يَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ».

«ليميز الله» الفريق «الخبيث» من الكفّار «من» الفريق «الطيّب» من المؤمنين «فيجعل» الفريق «الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً». عبارة عن الجمع و الضمّ حتّى يتراكبوا من الازدحام. «اولئك». إشارة إلى الفريق الخبيث. و قيل: ليميز المال الخبيث الذي أنفقه المشركون في عداوة رسول الله ﷺ من المال الطيّب الذي أنفقه المسلمون في نصرته فيركمه فيجعله في جهنّم في جملة ما يعذّبون به. كقوله: «فتكوى بها جباههم و جنوبهم».(٢) و اللّام على هذا متعلّق بقوله: «ثمّ تكون عليهم حسرة». و على الأوّل بيحشرون. «أولئك»؛ أي: الذين كفروا.(٣)

«ليميز». حمزة و الكسائيّ: «ليميّز» بالتشديد.(٤)

١ـ الكشّاف ٢ / ٢١٨ ـ ٢١٩.
٢ـ التوبة (٩) / ٣٥.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٢١٩.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٨٣.

[٣٨] «قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَ إِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ».

«قل للّذين كفروا» من أبي‌سفيان و أصحابه. أي: قل لأجلهم هذا القول و هـو: «إن ينتهوا» و لو كان بمعنى خاطبهم به لقيل: إن تنتهوا يغفر لكم. أي: إن ينتهوا عمّا هم عليه من عداوة رسول الله صلى الله عليه و آله و قتاله بالدخول في الإسلام، يغفر لهم ما قد سلف من العداوة. «و إن يعودوا» لقتاله «فقد مضت سنّة الأوّلين» منهم الذين حاق بهم مكرهم يوم بـدر. أو قـد مضت سنّة الذين تحزّبوا على أنبيائهم من الأمم فدمّروا. فليتوقّعوا مثل ذلك إن لم‌ينتهوا. و قيل: معناه: انّ الكفار إذا انتهوا عن الكفر و أسلموا، غفر لهم ما سلف من الكفر و المعاصي. و فسّروا «إن يعودوا» بالارتداد.(١)

[٣٩] « وَ قَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَ يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ».

«و قاتلوهم» ؛أي: الكفّار. «فتنة»؛أي: شرك. أي: حتّى لايكون كافر بغير عهد لأنّه إذا كان بغير عهد يكون عزيزاً في قومه و يدعو الناس إلى دينه فيكون الفتنة في الدين. و روى زرارة و غيره عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لم‌يجئ تأويل هذه الآية. و لو قد قام قائمنا بعد، سيرى من يدركه ما يكون من تأويل هذه الآية. و ليبلغنّ دين محمّد ما بلغ اللّيل حتّى لايكون مشرك على وجه الأرض. «فإن انتهوا»؛ أي: فإن رجعوا عـن الكـفر، فـإنّ الله يجـازيهم بأعمالهم مجازاة البصير بها باطنها و ظاهرها.(٢)

[٤٠] «وَ إِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَ نِعْمَ النَّصِيرُ».

«و إن «و إن تولّوا» عن دين الله «فاعلموا» أيها المؤمنون «أنّ الله مولاكم»؛ أي: سيّدكم

١ـ الكشّاف ٢ / ٢١٩ ـ ٢٢٠.

٢ـ مجمع البيان ٤ / ٨٣٤.

و ناصركم.(١)

[٤١] «وَ اعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّٰهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِي الْقُرْبىٰ وَ الْيَتَامىٰ وَ الْمَسَاكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللّٰهِ وَ مَا أَنْزَلْنَا عَلىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَ اللّٰهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

«أنّما غنمتم». الغنيمة: ما أخذ من أموال أهل الحرب بقتال. و هي هبة من الله لمسلمين. و الفيء: ما أخذ بغير قتال. قوله: «من شيء» [أي: ممّا] قلّ أو كثر. «فإنّ لله خمسه» ـ الآية. و قد اختلف في كيفيّة قسمة الخمس و مستحقّه على أقوال. أحدها: ما قاله أصحابنا من أنّه يقسم على ستّة أسهم؛ فسهم لله، و سهم للرسول ـ و هذان السهمان مع سهم ذي القربى للإمام القائم مقام الرسول ـ و سهم ليتامى آل محمّد، و سهم لمساكينهم، و سهم لأبناء سبيلهم. و هو المرويّ عن أئمّتنا عليهم السلام. روي عن أبي‌العالية و الربيع أنّه يقسم على ستّة أسهم إلّا أنّهما قالا سهم الله للكعبة و الباقي كما تقدّم. و ثانيها: انّ الخمس يقسم على خمسة أسهم. و انّ سهم الله و الرسول واحد و يقسم هذا السهم على الكراع و السلاح. و هو المرويّ عن ابن‌عبّاس و جماعة. و ثالثها: انّه يقسم على أربعة أسهم. سهم ذوي القربى لقرابة النبيّ صلى الله عليه و آله. و الأسهم الثلاثة لمن ذكر بعد ذلك من سائر المسلمين. و هو مذهب الشافعيّ. و رابعها: انّه يقسم ثلاثة أسهم. لأنّ سهم الرسول سقط بوفاته عندهم، لأنّ الأنبياء لا يورّثون فيما يزعمون. و سهم ذي القربى قد سقط. لأنّ أبابكر و عمر لم يعطياهم. و هو مذهب أبي‌حنيفة و أهل العراق. و اختلف في ذوي القربى. فقيل: هم بنوهاشم خاصّة من ولد عبدالمطّلب. و إليه ذهب أصحابنا. و قيل: بنوهاشم بن عبدمناف و بنوالمطّلب بن عبد مناف. و هو مذهب الشافعيّ. و قال جماعة: إنّ اليتامى و المساكين و ابن السبيل يعمّ جميع الناس. و هو خلاف مذهبنا.(٢)

١ـ مجمع البيان ٤ / ٨٣٤.

٢ـ مجمع البيان ٤ / ٨٣٥ ـ ٨٣٦.

«فإنّ لله». مبتدأ خبره محذوف. أي: فثابت أنّ لله خمسه.[١]

«فإنّ لله». ذكر الله للتبرّك و إلّا فهو سهم للرسول و من بعده من الأئمّة. (ع)

«إن كنتم». يجوز أن يكون متعلّقاً بقوله: «فاعلموا أنّ الله مولاكم». أي: فأيقنوا أنّ الله ناصركم إن كنتم شاهدتم من نصرته ما شاهدتم. و يجوز أن يكون معناه: اعلموا أنّ ما غنمتم من شيء فإنّ لله خمسه و للرسول يأمران فيه بما يريدان، إن كنتم آمنتم بالله. فاقبلوا ما أمرتم به من الغنيمة و اعملوا به. «و ما أنزلنا على عبدنا»؛ أي: و آمنتم بما أنزلنا على محمّد ﷺ من القرآن. و قيل: من النصر. و قيل: من الملائكة. أي: علمتم أنّ ظفركم على عدوّكم كان بنا. «يوم الفرقان». يعني يوم بدر. لأنّ الله فرق فيه بين المسلمين و المشركين بإعزاز هؤلاء و قمع أولئك. «يوم التقى الجمعان»: جمع المسلمين و هم ثلاثمائة و بضعة عشر رجلاً و جمع الكفّار و هم بين تسعمائة إلى ألف من صناديد قريش، فهزموهم و قتلوا منهم زيادة على السبعين و أسروا منهم مثل ذلك. و كان في سنة اثنتين من الهجرة.[٢]

[٤٢] «إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَ هُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوىٰ وَ الرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَ لَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَ لٰكِنْ لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَ يَحْيىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَ إِنَّ اللهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ».

«بالعدوة». العدوة: شفير الوادي. و للوادي عدوتان و هما جانباه. «إذ أنتم بالعدوة». يعني أنّ الله قادر على نصركم ـ أيّها المسلمون ـ و أنتم أقلّة أذلّة، إذ أنتم نزول بشفير الوادي الأقرب إلى المدينة. «و هم»: و المشركين. يعني أصحاب النفير. «بالعدوة القصوى»: نزول بالشفير الأقصى من المدينة. «و الركب». يعني أباسفيان و أصحابه و هم العير. «أسفل منكم»: في موضع أسفل منكم إلى جانب البحر. ذكر الله مقاربة الفئتين و كثرة العدد و نزوله على الماء و العير أسفل منهم فيها أموالهم، ثمّ مع ذلك كلّه نصر المسلمين عليهم ليعلم أنّ

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٨٤.

٢ـ مجمع البيان ٤ / ٨٣٦ ـ ٨٣٧.

النصر من عنده سبحانه. إنّما نصب أسفل لأنّ تقديره: بمكان أسفل، فهو في موضع جرّ لأنّه غير منصرف.[١]

«و الركب». و هذا ممّا يحرّض المشركين على القتال. (ع)

«و لو تواعدتم». إشارة إلى تصوير ما دبّره سبحانه من أمر وقعة بدر ليقضي أمراً كان مفعولاً من إعزاز دينه و إعلاء كلمته، حين وعد المسلمين إحدى الطائفتين مبهمة غير مبيّنة حين خرجوا ليأخذوا العير راغبين في الخروج و خرج بقريش مرعوبين ممّا بلغهم من تعرّض رسول الله لأموالهم حتّى نفروا ليمنعوا عيرهم، و سبّب الأسباب حتّى أناخ هؤلاء بالعدوة الدنيا و هؤلاء بالعدوة القصوى و وراءهم العير يحامون عنها، حتّى قامت الحرب على ساق. «و لو تواعدتم» أنتم و أهل مكّة على موعد تلتقون فيه للقتال، لخالف بعضكم بعضاً فمنعكم قلّتكم و كثرتهم عن الوفاء بالموعد و منعهم ما في قلوبهم من هيبة رسول الله ﷺ فلم يتّفق لكم من التلاقي ما سبّبه الله. «ليقضي الله». متعلّق بمحذوف. أي: دبّر ذلك ليقضي أمراً واجباً قضاؤه و هو نصر المؤمنين. «ليهلك». بدل من ليقضي. استعير الهلاك و الحياة للكفر و الإسلام. أي: ليصدر كفر من كفر عن وضوح بيّنة حتّى لاتبقى له على الله حجّة و يصدر إسلام من أسلم عن علم بأنّه دين الحقّ. لأنّ واقعة بدر من الآيات الغرّ التي من كفر بعدها كان مكابراً لنفسه.[٢]

«من هلك»؛ أي: ليموت من مات عن بيّنة و يعيش من عاش عن حجّة شاهدها.[٣]

«من حيّ». نافع و أبوبكر: «حيي» بياءين مظهرين. و الباقون بالإدغام.[٤]

[٤٣] «إِذْ يُرِيكَهُمُ اللهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَ لَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَفَشِلْتُمْ وَ لَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَ لٰكِنَّ اللهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ».

«إذ يريكهم». نصب بإضمار اذكر. أو هو بدل ثان من «يوم الفرقان». أو متعلّق بقوله:

١ـ مجمع البيان ٤ / ٨٣٨ ـ ٨٣٩.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٢٢٤.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٨٥.
٤ـ مجمع البيان ٤ / ٨٣٨.

«لسميع عليم». أي: ليعلم المصالح إذ يقلّلهم في عينك في منامك؛ أي: في رؤياك. و ذلك أنّ الله أراهم إيّاه في رؤياه قليلاً فأخبر أصحابه بذلك فكان تثبيتاً لهم و تشجيعاً على عدوّهم. «لفشلتم»؛ أي: لجبنتم و لتنازعتم في الرأي و ترجّحتم بين الفرار و الثبات. «سلّم» ؛ أي: عصم و أنعم بالسلامة من الفشل و الاختلاف.(١)

«في منامك». و هذا جائز. لأنّ الرؤيا في النوم هو تصوّر يتوهّم معه الرؤية في اليقظة و لايكون إدراكاً و لا علماً، بل كثير ممّا يراه الإنسان في نومه يكون تعبيره بالعكس ممّا رآه؛ كما يكون تعبير البكاء ضحكاً. قال الرمّانيّ: و يجوز أن يريه الله الشيء في المنام على خلاف ما هو به. لأنّ الرؤيا في المنام تخييل للمعنى من غير قطع و إن جامعه قطع من الإنسان على المعنى. و إنّما ذلك على مثل ما يخيّل السراب ماء من غير قطع على أنّه ماء. و لايجوز أن يلهمه اعتقاداً للشيء على خلاف ما هو به. لأنّ ذلك يكون جهلاً لايجوز أن يفعله الله. و الرؤيا على أربعة أقسام: رؤيا من الله و لها تأويل، و رؤيا من وساوس الشيطان، و رؤيا من غلبة الأخلاط، و رؤيا من الأفكار. و كلّها أضغاث أحلام إلّا الرؤيا من قبل الله التي هي إلهام في المنام. و رؤيا النبيّ هذه كانت بشارة له و للمؤمنين بالغلبة.(٢)

[٤٤] «وَ إِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَ يُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً وَ إِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ».

«و إذ يريكموهم». الضميران مفعولان. يعني: و إذ يبصّركم إيّاهم. «قليلاً». إمّا بأن يستر الله بعضهم بساتر أو يحدث في أعينهم ما يستقلّون به الكثير كالأحول. و قليلاً نصب على الحال. و إنّما قلّلهم في أعينهم تصديقاً لرؤيا رسول الله ﷺ و ليعاينوا ما أخبرهم به فيزداد يقينهم و يثبتوا. قال ابن مسعود: لقد قلّلوا في أعيننا حتّى قلت لرجل إلى جنبي: أتراهم سبعين؟ فقال: أراهم مائة. فأسرنا رجلاً منهم فسألناه فقال: نحن [كنّا] ألفاً.

١ـ الكشّاف ٢ / ٢٢٤ ـ ٢٢٥.

٢ـ مجمع البيان ٤ / ٨٤٠.

«يقلّلكم في أعينهم» حتّى قال قائل منهم: إنّما هم أكلة جزور. فإن قلت: ما الغرض في تقليل المؤمنين في أعينهم؟ قلت: قد قلّلهم في أعينهم قبل اللقاء ثمّ كثّرهم فيها بعده ليجترئوا عليهم ثمّ تبهتم الكثرة فيهابوا حين يرون ما لم يكن في حسابهم. و ذلك قوله: «يرونهم مثليهم رأي العين» و لئلّا يستعدّوا لهم.(١)

[٤٥] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَ اذْكُرُوا اللهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ».

«إذا لقيتم»؛ أي: إذا حاربتم جماعة من الكفّار. و اللقاء اسم للقتال. «و اذكرو الله». أي في مواطن الحرب مستظهرين بذكره داعين له على عدوّكم: اللاهمّ قطع دابرهم. «تفلحون»؛ أي: تظفرون بمرادكم من النصرة و المثوبة. و فيه إشعار بأنّ على العبد أن لا يفتر عن ذكر ربّه أشغل ما يكون قلباً و أن يكون نفسه مجتمعة لذلك و إن كانت متفرّقة عن غيره. و ناهيك بما في خطب أمير المؤمنين عليه السلام في أيّام صفّين و في مشاهده مع البغاة و الخوارج من البلاغة و البيان و بليغات المواعظ دليلاً على أنّهم كانوا لا يشغلهم عن ذكر الله شاغل و إن تفاقم [الأمر].(٢)

[٤٦] «وَ أَطِيعُوا اللهَ وَ رَسُولَهُ وَ لَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَ تَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَ اصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ».

«فتفشلوا». منصوب بإضمار أن، أو مجزوم لدخوله في حكم النهي. و الريح: الدولة. شبّهت في نفوذ أمرها و تمشّيه بالريح و هبوبها. فقيل: هبّت رياح فلان، إذا دالت له الدولة. و قيل: لم يكن قطّ نصر إلّا بريح يبعثها الله. و في الحديث: نصرت بالصبا. و أهلكت عاد بالدبور. حذّرهم بالنهي عن التنازع و اختلاف الرأي نحو ما وقع لهم بأحد لمخالفتهم رسول الله من فشلهم و ذهاب ريحهم.(٣)

١ـ الكشّاف ٢ / ٢٢٥ ـ ٢٢٦. ٢ـ الكشّاف ٢ / ٢٢٦.

٣ـ الكشّاف ٢ / ٢٢٦ ـ ٢٢٧.

[٤٧] «وَ لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَراً وَ رِئَاءَ النَّاسِ وَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَ اللهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ».

«و لاتكونوا كالّذين». هم أهل مكّة حين نفروا لحماية العير فأتاهم رسول أبي‌سفيان ـ و هم بالجحفة ـ أن ارجعوا فقد سلمت عيركم، فأبى أبوجهل [و قال:] حتّى نقدم بدراً نشرب الخمور و تعزف علينا القيان و نطعم بها من حضرنا من العرب. فذلك بطرهم و رئاؤهم الناس بإطعامهم. فوافوها فسقوا كؤوس المنايا مكان الخمر و ناحت عليهم النوائح مكان القيان. فأمر المسلمون أن يكونوا من أهل التقوى و الحزن من خشية الله.(١)

[٤٨] «وَ إِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَ قَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَ إِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ وَ اللهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ».

عن عليّ بن الحسين عليه السلام قال: لمّا عطش القوم يوم بدر، انطلق عليّ عليه السلام بالقربة ليستقي و هو على القليب، إذ جاءت ريح شديدة. ثمّ مضت، ثمّ جاءت ريح أخرى، ثمّ ريح ثالثة. فحكى للنبيّ صلى الله عليه و آله. فقال: أمّا الريح الأولى، فجبرئيل مع ألف من الملائكة. و الثانية ميكائيل مع ألف من الملائكة. و الثالثة إسرافيل مع ألف من الملائكة. و قد سلّموا عليك. و هم مدد لنا. و هم الذين رآهم إبليس فنكص على عقبيه.(٢)

«و إذ زيّن»؛ أي: واذكروا إذ زيّن الشيطان أعمالهم التي عملوها في معاداة الرسول و وسوس إليهم أنّهم لايغلبون و أوهمهم الشيطان أنّ [اتّباع] خطوات الشيطان و طاعته ممّا يجيرهم. فلمّا تلاقى الفريقان، نكص الشيطان و تبرّأ منهم. أي: بطل كيده حين نزلت جنود الله. يعني أنّه [كان] على سبيل الوسوسة و لم‌يتمثّل لهم. و قيل: لمّا اجتمعت قريش و أجحفت على السير، ذكرت التي بينها و بين بني‌كنانة من الحرب فكاد ذلك يثنيهم. فتمثّل

١ـ الكشّاف ٢ / ٢٢٧.

٢ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٦٥، ح ٧٠.

لهم إبليس على صورة سراقة بن مالك الكنانيّ ـ و كان من أشرافهم ـ في جند من الشياطين معه راية و قال: لا غالب لكم اليوم. و إنّي مجيركم من بني‌كنانة. فلمّا رأى الملائكة تنزل، نكص. و قيل: كانت يده في يد الحارث بن هشام. فلمّا نكص، قال له الحارث: إلى أين؟ أتخذلنا في هذه الحالة؟ فقال: إنّي أرى ما لاترون. و دفع في صدر الحارث و انطلق. و انهزموا. فلمّا بلغوا مكّة قالوا: هزم الناس سراقة. فبلغ ذلك سراقة فقال: و الله ما شعرت بمسيركم حتّى بلغتني هزيمتكم. فلمّا أسلموا، علموا أنّه الشيطان.(١)

«نكص على عقبيه». زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان إبليس يوم بدر يقلّل المسلمين في أعين الكفّار و يكثّر الكفّار في أعين المسلمين. فشدّ عليه جبرئيل بالسيف. فهرب منه و هو يقول: يا جبرئيل، إنّي مؤجّل، حتّى وقع في البحر. قال: فقلت لأبي جعفر عليه السلام: لأيّ شيء يخاف و هو مؤجّل؟ قال: يقطع بعض أطرافه.(٢)

[٤٩] «إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هٰؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَإِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ».

«إذ يقول». متعلّق بما قبله. معناه: و إذ زيّن لهم الشيطان إذ يقول المنافقون. فلذلك حذف الواو.(٣)

«و الذين في قلوبهم». يجوز أن يكون من صفة المنافقين و أن يراد الذين هم على حرف ليسوا بثابتي الأقدام في الإسلام. و قيل: هم المشركون. «غرّ هؤلاء». يعنون أنّ المسلمين اغترّوا بدينهم و أنّهم ينصرون من أجله فخرجوا و هم ثلاثمائة و بضعة عشر إلى زهاء ألف. ثمّ قال جواباً لهم: «و من يتوكّل على الله فإنّ الله عزيز»: غالب يسلّط القليل الضعيف على الكثير القويّ.(٤)

١ـ الكشّاف ٢ / ٢٢٧ ـ ٢٢٨. ٢ـ الكافي ٨ / ٢٧٧، ح ٤١٩.
٣ـ مجمع البيان ٤ / ٨٤٥. ٤ـ الكشّاف ٢ / ٢٢٨.

[٥٠] «وَ لَوْ تَرىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَ أَدْبَارَهُمْ وَ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ».

«و لو ترى»: و لو عاينت و شاهدت. لأنّ لو تردّ المضارع إلى معنى الماضي. و «إذ» نصب على الظرف. و «الملائكة» رفعها بالفاعل و «يضربون» حال منهم. و يجوز أن يكون في يتوفّى ضمير الله و الملائكة مرفوعة بالابتداء و يضربون خبر. «و أدبارهم»: أستاههم، ولكنّ الله كريم يكنّي. و إنّما خصّهما بالضرب لأنّ الخزي و النكال في ضربهما أشدّ. و قيل: يضربون ما أقبل منهم و ما أدبر. «و ذوقوا». معطوف على يضربون على إرادة القول. «عذاب الحريق»؛ أي: مقدّمة عذاب النار. أو ذوقوا عذاب الآخرة، بشارة لهم به. و قيل: كانت معهم مقامع من حديد كلّما ضربوا بها التهبت النار. أو يقال لهم يوم القيامة: ذوقوا. و جواب لو محذوف. أي: لرأيت أمراً فظيعاً منكراً.[١]

«يتوفّى». ابن‌عامر: «تتوفّى» بتاءين. «الذين كفروا».و المراد بهم قتلى بدر. عن أكثر المفسّرين. و روي أنّ رجلاً قال: يا رسول الله ﷺ إنّي رأيت بظهر أبي‌جهل مثل الشراك. و قال ﷺ: ذاك ضرب الملائكة. «و ذوقوا عذاب الحريق»؛ أي: و يقول [الملائكة] للكفّار استخفافاً بهم: ذوقوا بعد هذا عذاب الحريق في الآخرة. و قيل: إنّه كان مع الملائكة يوم بدر مقامع من حديد، كلّما ضربوا المشركين بها، التهبت النار في جراحاتهم. فذلك قوله: «ذوقوا عذاب الحريق».[٢]

[٥١] «ذٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَ أَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ».

«ذلك». يجوز أن يكون من كلام الله تعالى و من كلام الملائكة. و ذلك رفع بالابتداء و «بما قدّمت» خبره و «أنّ الله» عطف عليه. أي: ذلك العذاب بسبب كفركم و معاصيكم و بأنّ الله ليس بظلّام للعبيد. لأنّ تعذيب الكفّار من العدل كإثابة المؤمنين. و قيل: ظلّام للتكثير

١ـ الكشّاف ٢ / ٢٢٨ ـ ٢٢٩.
٢ـ مجمع البيان ٤ / ٨٤٥ ـ ٨٤٦.

لأجل العبيد، أو لأنّ العذاب من العظم بحيث لولا الاستحقاق لكان المعذّب بمثله ظلّاماً بليغ الظلم.[١]

[٥٢] «كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ فَأَخَذَهُمُ اللهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ».

«كدأب آل فرعون». الكاف في محلّ الرفع. أي: دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون. و دأبهم عملهم و عادتهم. و «كفروا» تفسير لدأب آل فرعون.[٢]

«فرعون». اسمه وليد بن ريّان.

«و الذين من قبلهم»؛ أي: قبل آل فرعون.[٣]

[٥٣] «ذٰلِكَ بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَ أَنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ».

«ذلك» إشارة إلى ما حلّ بهم. يعني: ذلك العذاب و الانتقام بسبب أنّ الله لم يصحّ في حكمته أن يغيّر نعمة عند قوم حتّى يغيّروا ما بهم من الحال. فإن قلت: فما كان من تغيير آل فرعون و مشركي مكّة حتّى غيّر الله نعمته عليهم؟ و لم يك لهم حال مرضيّة فيغيّروها إلى حال مسخوطة. قلت: كما تغيّر الحال المرضيّة إلى المسخوطة، تغيّر الحال المسخوطة إلى أسخط منها. و أولئك كانوا قبل بعثة الرسول إليهم كفرة عبدة أصنام، فلمّا بعث إليهم بالآيات البيّنات فكذّبوه و أرادوا إراقة دمه، غيّروا حالهم إلى أسوأ حال ممّا كانت، فغيّر الله ما أنعم به عليهم من الإمهال و عاجلهم بالعذاب.[٤]

«نعمة أنعمها». قال السدّيّ: النعمة التي أنعمها عليهم محمّد صلى الله عليه و آله فكذّبوه و كفروا بـه،

١ـ الكشّاف ٢ / ٢٢٩.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٢٢٩.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٨٧.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٢٣٠.

فنقله إلى الأنصار.[١]

«على قوم»؛ أي: مثل تغيير قريش حالهم في صلة الرحم و الكفّ عن تعرّض الآيات و الرسل بمعاداة الرسول و من تبعه منهم و التكذيب بالآيات و نحو ذلك.[٢]

[٥٤] «كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَ أَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَ كُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ».

«كدأب آل فرعون». إنّما كرّر «كدأب آل فرعون» لأنّه أراد بالأوّل بيان حالهم في استحقاق عذاب الآخرة و في الثاني بيان استحقاقهم لعذاب الدنيا. و قيل: إنّ في الأوّل تشبيه حالهم بحال أولئك في التكذيب و في الثاني تشبيه حالهم بحالهم في الاستئصال. و قيل: إنّ الأوّل في أخذهم بالعذاب و الثاني في كيفيّة العذاب. «كدأب». لأنّ تعجيل العقاب لهؤلاء بالإهلاك كتعجيله لأولئك بعذاب الاستئصال.[٣]

«كدأب آل فرعون». التكرير للتأكيد. «كذّبوا». فيه زيادة دلالة على كفران النعم و جحود الحقّ. «و أغرقنا». بيان للأخذ بالذنوب. «وكلّ»؛ أي: و كلّ من القبط و قتلى قريش كانوا ظالمين أنفسهم بالكفر و المعاصي.[٤]

[٥٥] «إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ».

«الذين كفروا»؛ أي: أصرّوا على الكفر فلايتوقّع منهم إيمان. و هم بنوقريظة. عاهدهم رسول الله ﷺ أن لايمالئوا عليه، فنكثوا بأن أعانوا مشركي مكّة بالسلاح و قالوا: نسينا و أخطأنا. ثمّ عاهدهم و نكثوا و مالوا معهم يوم الخندق و انطلق معهم كعب بن الأشرف إلى مكّة فحالفهم.[٥]

١ـ مجمع البيان ٤ / ٨٤٨.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٨٨.
٣ـ مجمع البيان ٤ / ٨٤٨.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٢٣٠.
٥ـ الكشّاف ٢ / ٢٣٠.

«إنّ شرّ الدوابّ». عن أبي جعفر عليه السلام: نزلت في بني أميّة. فهم أشرّ خلق الله. هم «الذين كفروا» في باطن القرآن.(١)

«الذين كفروا». هم بنو قريظة من اليهود. «فهم». الفاء لعطف جملة على جملة. كأنّه قال: كفروا مصمّمين على الكفر فهم لايؤمنون. «منهم»؛ أي: من جملة المشركين.(٢)

[٥٦] «الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَ هُمْ لَا يَتَّقُونَ».

«الذين عاهدت». بدل من الذين كفروا. جعلهم شرّ الدوابّ لأنّ شرّ الناس الكفّار و شرّ الكفّار المصرّون منهم و شرّ المصرّين الناكثون للعهد.(٣)

[٥٧] «فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ».

«فإمّا تثقفنّهم»؛ أي: فإمّا تصادفنّهم و تظفرنّ بهم. «فشرّد»؛ أي: ففرّق عن محاربتك بقتلهم شرّ قتلة من وراءهم من الكفرة حتّى لايجسر عليك بعدهم أحد اعتباراً بهم و اتّعاظاً بحالهم. «لعلّهم يذّكّرون»؛ أي: لعلّ المشرّدين من ورائهم يتّعظون.(٤)

[٥٨] «وَ إِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ».

«و إمّا تخافنّ من قوم» معاهدين «خيانة» و نكثاً بأمارات تلوح لك، «فانبذ إليهم»: فاطرح إليهم العهد «على سواء»؛ أي على طريق مستو قصد. و ذلك أن تظهر لهم نبذ العهد و تخبرهم أخباراً مكشوفاً بيّناً أنّك قطعت ما بينك و بينهم، و لاتناجزهم الحرب و هم على توهّم بقاء العهد فيكون ذلك خيانة منك. «لايحبّ الخائنين». فلايكن منك إخفاء العهد و الخداع. و قيل: على استواء في العلم بنقض العهد. و قيل: على استواء في العداوة. و الجارّ و المجرور في موضع الحال. كأنّه قيل: فانبذ إليهم ثابتاً على طريق سويّ، أو حاصلين على

١ـ تفسير القمّيّ ١ / ٢٧٩.
٢ـ مجمع البيان ٤ / ٨٤٨ ـ ٨٤٩.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٢٣٠.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٢٣٠ ـ ٢٣١.

استواء في العلم أو العداوة، على أنّه حال من النابذ و المنبوذ إليهم معاً.[١]

«خيانة». قال: نزلت في معاوية لمّا خان أمير المؤمنينعليه السلام.[٢]

«على سواء»؛ أي: على عدل؛ [أي:] إن كان بينك و بينهم عهد بغير مال، فأعلمهم بأنّك قد نقضت عهدهم. و إن كان على مال، فردّ المال عليهم ثمّ انقض العهد. قال الواقديّ: نزلت هذه الآية في بني قينقاع و بها سار النبيّصلى الله عليه وآله إليهم.[٣]

«و إمّا تخافنّ». عن أمير المؤمنينعليه السلام في حديث طويل و فيه: فقدمت الكوفة و قد اتّسقت لي الوجوه كلّها إلّا الشام. فأحببت أن أتّخذ الحجّة و أقضي العذر. و أخذت بقول الله: «و إمّا تخافنّ من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء». فبعثت جرير بن عبدالله إلى معاوية حجّة عليه، فردّ كتابي و دفع بيعتي.[٤]

[٥٩] «وَ لَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ».

«و لاتحسبنّ»[٥] يا محمّد أعداءك الكافرين قد سبقوا أمر الله و أعجزوه.[٦]

«سبقوا»؛ أي: فاتوا من أن تظفر بهم. «و لايعجزون»؛ أي: لايفوتون و لايجدون طالبهم عاجزاً عن إدراكهم. «إنّهم». على طريق الاستئناف.[٧]

[٦٠] «وَ أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَ مِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَ عَدُوَّكُمْ وَ آخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ وَ مَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَ أَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ».

«ما استطعتم». قالعليه السلام: منه الخضاب بالسواد.[٨]

١ـ الكشّاف ٢ / ٢٣١.
٢ـ تفسير القمّيّ ١ / ٢٧٩.
٣ـ مجمع البيان ٤ / ٨٥٠.
٤ـ كشف المحجّة / ١٨٤.
٥ـ قرأ ابن‌عامر و أبوجعفر و حمزة و حفص: «و لايحسبنّ» بالياء، و الباقون بالتاء. (مجمع البيان ٤ / ٨٥١)
٦ـ الكشّاف ٢ / ٢٣١.
٧ـ مجمع البيان ٤ / ٨٥٢.
٨ـ الفقيه ١ / ٧٠، ح ٢٨٢.

«من قوّة»؛ أي: كلّ ما يتقوّى به في الحرب من عددها. و عن عقبة: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول على المنبر: ألا إنّ القوّة الرمي. قالها ثلاثاً. و مات عقبة عن سبعين قوساً في سبيل الله. و قيل: هي الحصون. و الرباط: اسم للخيل التي يربط في سبيل الله.[١]

«و عدوّكم»: مشركي مكّة أو كفّار العرب. «من دونهم»؛ أي: و ترهبون كفّاراً آخرين دون هؤلاء. قيل: هم بنوقريظة. و قيل: أهل فارس. و قيل: هم المنافقون لاتعرفون عداوتهم، لأنّهم يصلّون و يظهرون الإسلام، الله يعلم عداوتهم، لأنّه مطّلع على سرائرهم. و قيل: هم كفّار الجنّ. «في سبيل الله»؛ أي: الجهاد. يوفّر عليكم ثوابه في الآخرة. «لاتظلمون»؛ أي: لاتنقصون شيئاً منه.[٢]

[٦١] «وَ إِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَ تَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ».

«جنحوا للسلم». عن أبي عبدالله عليه السلام: الدخول في أمرنا.[٣]

«و إن جنحوا». هي منسوخة بقوله: «فلا تهنوا و تدعوا إلى السلم و أنتم الأعلون».[٤][٥]

«جنحوا» ـ الآية. قيل: هي منسوخة بآية السيف. و قيل: مخصوصة بأهل الكتاب.[٦]

«و إن جنحوا»؛ أي: مالوا إلى الصلح و ترك الحرب. «فاجنح لها»: اقبلها منهم. و إنّما أنّث لأنّ السلم بمعنى المسالمة. و قيل: إنّ هذه الآية منسوخة بقوله: «اقتلوا المشركين».[٧] و قيل: إنّها ليست بمنسوخة لأنّها في الموادعة لأهل الكتاب و الأخرى لعباد الأوثان. و هذا هو الصحيح. لأنّ قوله: «اقتلوا المشركين» في سنة تسع في سورة براءة و صالح رسول الله صلى الله عليه وآله وفد أهل نجران بعدها.[٨]

١ـ الكشّاف ٢ / ٢٣٢.
٢ـ مجمع البيان ٤ / ٨٥٣.
٣ـ الكافي ١ / ٤١٥، ح ١٦.
٤ـ محمّد صلى الله عليه وآله (٤٧) / ٣٥.
٥ـ تفسير القمّيّ ١ / ٢٧٩.
٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٨٩.
٧ـ التوبة (٩) / ٥.
٨ـ مجمع البيان ٤ / ٨٥٣.

[٦٢] «وَ إِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَ بِالْمُؤْمِنِينَ».

«و إن يريدوا أن يخدعوك» أي الذين يطلبون منك الصلح أن يقصدوا بالتماس الصلح دفع أصحابك و الكفّ عن القتال حتّى يقووا فيبدؤوكم بالقتال من غير استعداد منكم، فإنّ الله يتولّى كفايتك. هو الذي قوّاك [بالنصر] من عنده و أيّدك بالمؤمنين الذين ينصرونك.(١)

[٦٣] «وَ أَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَ لٰكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ».

«و ألّف بين قلوبهم». أراد بالمؤمنين الأنصار و هم الأوس و الخزرج. عن أبي جعفر و أكثر المفسّرين. و أراد بتأليف القلوب ما كان بين الأوس و الخزرج من المعاداة و القتال. فإنّه لم يكن حيّان من العرب بينهما من المعاداة مثل ما كان بين هذين الحيّين. فألّف الله بين قلوبهم بحسن تدبيره و بالإسلام الذي هداهم إليه. قال الزجّاج: هذا من الآيات العظام. و ذلك أنّه ﷺ بعث إلى قوم أنفتهم شديدة بحيث لو لطم رجل من قبيلة لطمة، قاتل عنه [قبيلته]، فألّف الايمان بين قلوبهم حتّى قاتل الرجل أباه و أخاه و ابنه فأعلم الله أنّ هذا ما تولّاه منهم إلّا هو.(٢)

[٦٤] «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ وَ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ».

«حسبك الله». حثّ على قتال الكفّار. نزلت بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال.(٣)

«و من اتّبعك». الواو بمعنى مع و ما بعده منصوب. تقول: حسبك و زيداً درهم. و لا تجرّ لأنّ عطف الظاهر المجرور على المكنّى ممتنع. و المعنى: كفاك و كفى أتباعك من المؤمنين الله

١ـ مجمع البيان ٤ / ٨٥٤. ٢ـ مجمع البيان ٤ / ٨٥٤.
٣ـ مجمع البيان ٤ / ٨٥٦.

ناصراً. أو يكون في محلّ الرفع. أي: كفاك الله و كفاك المؤمنون.(١)

[٦٥] «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ».

«حرّض المؤمنين»؛ أي: رغّبهم بالثواب الموعود على القتال و بالنصر و الظفر و اغتنام الأموال. «إن يكن منكم عشرون». اللّفظ لفظ الخبر و المراد به الأمر. «لا يفقهون» أمر الله و لا يصدّقونه فيما وعد من الثواب.(٢)

«قوم لا يفقهون»؛ أي: بسبب أنّ الكفار قوم جهلة يقاتلون على غير احتساب و طلب ثواب كالبهائم، فيقلّ ثباتهم و يستحقّون خذلان الله، خلاف من يقاتل على بصيرة و معه ما يستوجب [به] النصر.(٣)

عن أميرالمؤمنين عليه السلام في حديث طويل يقول في آخره ـ و قد أكره على بيعة أبي‌بكر ـ مغضباً: اللّهمّ إنّك تعلم أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله قال: إن تمّوا عشرين فجاهدهم. و هو قوله في كتابه: «إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين». اللّهمّ إنّهم لم يتمّوا عشرين. قالها ثلاثاً ثمّ انصرف.

«يكن». ابن‌كثير و نافع و ابن‌عامر: «تكن» بالتاء في الآيتين.(٤)

[٦٦] «الْآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنْكُمْ وَ عَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللهِ وَ اللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ».

«أنّ فيكم ضعفاً». أراد به ضعف البصيرة و العزيمة و لم يرد ضعف البدن. فإنّ الذين

١ـ الكشّاف ٢ / ٢٣٤.
٢ـ مجمع البيان ٤ / ٨٥٦.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٢٣٥.
ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٦٨، ح ٧٦.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٢٩٠.

أسلموا في الابتداء لم يكونوا كلّهم أقوياء البدن، و لكن كانوا أقوياء البصيرة و اليقين، و لمّا كثر المسلمون و اختلط بهم من كان أضعف يقيناً و بصيرة، نزل: «الآن خفّف الله عنكم». «بإذن الله»؛ أي: علم الله أو أمره بأن يثبت الواحد الاثنين. و قيل: إنّ هذه الآية نزلت بعد الآية الأولى بمدّة و إن قرن بينهما في المصحف و هي ناسخة للأولى. و قيل: إنّ التغليظ كان على أهل بدر، ثمّ جاءت الرخصة.[١]

«أنّ فيكم ضعفاً». قيل: كان فيهم قلّة في الابتداء، ثمّ لمّا كثروا بعد، نزل التخفيف. و المراد الضعف في البدن. و قيل: في البصيرة و الاستقامة في الدين. و كانوا متفاوتين في ذلك. فإن قلت: لم كرّر المعنى الواحد ـ و هو مقاومة الجماعة لأكثر منها مرّتين ـ قبل التخفيف و بعده؟ قلت: للدلالة على أنّ الحال مع القلّة و الكثرة واحدة لاتتفاوت. لأنّ الحال قد تتفاوت بين مقاومة العشرين المائتين و المائة الألف و بين مقاومة المائة المائتين و الألف الألفين.[٢]

[٦٧] «مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرىٰ حَتّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَ اللهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَ اللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ».

«أن يكون له أسرى». أهل البصرة بالتاء و لفظ «أسرى». و الباقون بالياء و «أسرى». و أبوجعفر بالتاء و «أسارى» بالجمع. أبوعبيدة السلمانيّ قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله لأصحابه يوم بدر في الأسارى: إن شئتم قتلتموهم. و إن شئتم فاديتموهم فاستشهد منكم بعدّتهم. و كان الأسارى سبعين. فقالوا: نأخذ الفداء نتقوّى على عدوّنا و يستشهد منّا بعدّتهم. قال أبوعبيدة: طلبوا الخيرتين، فقتل منهم يوم أحد سبعون. و قال أبوجعفر الباقر عليه السلام: كان الفداء يوم بدر على كلّ رجل من المشركين أربعين أوقيّة. و الأوقيّة أربعون مثقالاً. إلّا العبّاس؛ فإنّ فداءه مائة أوقيّة ذهباً. و كان أخذ منه يوم أسر عشرون أوقيّة ذهباً. فقال: ذاك غنيمة. ففاد

١ـ مجمع البيان ٤ / ٨٥٦ ـ ٨٥٧.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٢٣٥.

نفسك و ابني أخيك نوفلاً و عقيلاً. فقال: أين الذهب؟ فقال: الذي سلّمته إلى زوجك أمّ‌الفضل و قلت لها: إن حدث بي حدث، فهو للفضل و لعبدالله. فقال: من أخبرك بهذا؟ قال: الله تعالى. فقال: أشهد أنّك رسول الله. ما اطّلع على هذا أحد إلّا الله.[١]

«حتّى يثخن». الإثخان: كثرة القتل و المبالغة فيه. يعني حتّى يذلّ الكفر و يضعفه بإشاعة القتل في أهله و يعزّ الإسلام بالقهر و الاستيلاء ثمّ الأسر بعد ذلك. و معنى «ما كان»: [ما] صحّ له و ما استقام. و كان هذا يوم بدر. فلمّا كثر المسلمون نزل: «فإمّا منّاً بعد و إمّا فداء».[٢] و روي أنّهم لمّا أخذوا الفداء نزلت الآية. «عرض الدنيا»: حطامها. لأنّه حدث قليل اللّبث. يريد الفداء. «و الله يريد الآخرة». يعني ما هو مناسب الجنّة من إعزاز الإسلام بالإثخان في القتل. «و الله عزيز» يغلب أوليائه على أعدائه و يتمكّنون منهم قتلاً و أسراً و يطلق لهم الفداء، و لكنّه «حكيم» يؤخّر ذلك إلى أن يكثروا و يعزّوا و هم يعجلون.[٣]

«عرض الدنيا»: مال الدنيا. لأنّه في معرض الفناء.[٤]

[٦٨] «لَوْ لَا كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ».

«لولا كتاب»؛ أي: لولا حكم منه سبق إثباته في اللّوح المحفوظ أنّه لايعاقب أحداً بخطاء. و كان هذا خطاء في الاجتهاد. لأنّهم نظروا في استبقائهم سبباً في إسلامهم و توبتهم و أنّ فداءهم يتقوّى به على الجهاد و خفي عليهم أنّ قتلهم أعزّ للإسلام و أهيب لمن وراءهم. و قيل: كتابه أنّه سيحلّ لهم الفدية التي أخذوها. و قيل: إنّ أهل بدر مغفور لهم. و قيل: إنّه لايعذّب قوماً إلّا بعد أخذ الحجّة و تقديم النهي. و لم يتقدّم نهي عن ذلك.[٥]

«سبق». و هو: «ما كان الله معذّبهم»[٦] ـ الآية.[٧]

١ـ مجمع البيان ٤ / ٨٥٧ و ٨٥٩ ـ ٨٦٠.
٢ـ محمّد صلى الله عليه وآله (٤٧) / ٤.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٢٣٥ ـ ٢٣٧.
٤ـ مجمع البيان ٤ / ٨٥٨.
٥ـ الكشّاف ٢ / ٢٣٧.
٦ـ الأنفال (٨) / ٣٣.

[٦٩] «فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلالاً طَيِّباً وَ اتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ».

«فكلوا». الفاء للسببيّة. أي: أبحت لكم الغنائم فكلوا. روي أنّهم أمسكوا عن الغنائم فنزلت. و قيل: هي إباحة للفداء. «حلالاً». صفة للمصدر. أي: أكلاً حلالاً. «و اتّقوا الله» و لاتقدموا على شيء لم يعهد فيه إليكم. «رحيم» يرحمكم باستباحة الفداء قبل الإذن فيه.(۸)

[۷۰] «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرىٰ إِنْ يَعْلَمِ اللهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ وَ اللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ».

«من الأسرى». أبوجعفر و أبوعمرو: «من الأسارى».

عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى: «يا أيّها النبيّ قل لمن» ـ الآية ـ: نزلت في العبّاس و عقيل و نوفل. قال: إنّ رسول الله نهى يوم بدر أن يقتل أحد من بني‌هاشم و أبوالبختريّ. و بعد أخذ الفداء، رجع الأسرى كلّهم مشركين إلّا العبّاس و عقيل و نوفل. و فيهم نزلت هذه الآية.(۹)

و قال عليه السلام: أوتي النبيّ صلى الله عليه وآله بمال دراهم فقال للعبّاس: [ابسط رداءك و خذ من هذا المال طرفاً. فبسط رداءه فأخذ منه طائفة. ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله:] هذا من ذا الذي قال الله تعالى: «إن يعلم الله في قلوبكم خيراً» ـ الآية.(۱۰)

كان القتلى من المشركين يوم بدر سبعين. قتل منهم عليّ عليه السلام سبعة و عشرين. و كان الأسرى سبعين أسرهم عليّ عليه السلام كلّهم. و قتل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله تسعة رجال. و قيل: أحدعشر رجلاً. و لمّا سمع رسول الله صلى الله عليه وآله أنين العبّاس و هو في قيده، لم‌ينم حتّى فكّ عنه القيد فنام.(۱۱)

«خيراً»: خلوص إيمان و صحّة نيّة. «ممّا أخذ» من الفداء إمّا يخلفكم في الدنيا أضعافه،

۷ـ مجمع البيان ٤ / ۸۵۸.

۸ـ الكشّاف ۲ / ۲۳۷ ـ ۲۳۸.

۹ـ الكافي ۸ / ۲۰۲، ح ۲٤٤.

۱۰ـ قرب الإسناد / ۱۲.

۱۱ـ مجمع البيان ٤ / ۸۵۸ ـ ۸۵۹.

أو الثواب في الآخرة. قال العبّاس: أبدلني الله خيراً من ذلك. لي الآن عشرون عبداً أدناهم ليضرب في عشرين ألفاً. و أعطاني زمزم و ما أحبّ أنّ لي بها جميع أموال أهل مكّة. و أنا أنتظر المغفرة من ربّي.[1]

[٧١] «وَ إِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَ اللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ».

«و إن يريدوا» الذين أطلقتهم من الأسارى أن ينصروا أعداءك مرّة أخرى بعد بدر، فقد خانوه يوم بدر.[2]

«إن يريدوا خيانتك»؛ أي: نكث ما بايعوك من الإسلام و الردّة و استحباب دين آبائهم، «فقد خانوا الله من قبل» في كفرهم به و نقض ما أخذ على كلّ عاقل من ميثاقه. «فأمكن منهم» كما رأيتم يوم بدر. فسيمكن منهم إن أعادوا الخيانة. و قيل: المراد بالخيانة منع ما ضمنوا من الفداء.[3]

[٧٢] «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ هَاجَرُوا وَ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَ الَّذِينَ آوَوْا وَ نَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ لَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَ إِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ».

«إنّ الذين آمنوا» ـ الآية. نزلت في الميراث. و كانوا يتوارثون بالهجرة و جعل الله الميراث للمهاجرين و الأنصار دون ذوي الأرحام. و كان الذي آمن و لم يهاجر، لا يرث من أجل أنّه لم يهاجر و لم ينصر. و كانوا يعملون بذلك حتّى نزلت: «و أولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض» فنسختها. قوله: «و هاجروا» أي من مكّة. «في سبيل الله»؛ أي: في إعزاز دينه. «و الذين آووا» الرسول و المهاجرين بالمدينة؛ أي: أسكنوهم منازلهم. يعني الأنصار. [«و

١ـ الكشّاف ٢ / ٢٣٨. ٢ـ مجمع البيان ٤ / ٨٦١.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٢٣٩.

نصروا»؛ أي: و نصروهم بعد الإيواء على أعدائهم] و بذلوا المهج في نصرتهم، «بعضهم أولياء بعض». أي في النصرة و إن لم يكن بينهم قرابة من أقربائهم من الكفّار. و قيل: في التوارث. عن ابن‌عبّاس. و قيل: في نفوذ أمان بعضهم على بعض. «و الذين آمنوا و لم يهاجروا» إلى المدينة، «ما لكم من ولايتهم»؛ أي: من ميراثهم «من شيء حتّى يهاجروا» فيحصل بينكم التوارث. فإنّ الميراث كان منقطعاً في ذلك الوقت بين المهاجرين و غير المهاجرين. و روي عن أبي جعفر عليه السلام أنّهم كانوا يتوارثون بالمؤاخاة الأولى. و قيل: معناه: ليس عليكم نصرتهم. [«و إن استنصروكم في الدين فعليكم النصر». معناه:] إذا طلبوا الإعانة في الدين. فعليكم نصرتهم. «إلّا على قوم»؛ أي: إلّا [أن] يطلبوا منكم النصرة لهم على قوم من المشركين الذين بينكم و بينهم أمان و عهد يجب الوفاء به، فلا تنصروهم عليهم لما فيه من نقض العهد.(١)

«و الذين آمنوا و لم يهاجروا» ـ الآية. نزلت في الأعراب. و ذلك أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله صالحهم على أن يدعهم في ديارهم و لا يهاجروا إلى المدينة و على أنّه إذا أرادهم رسول الله، غزا بهم و ليس لهم من الغنيمة شيء. و أوجبوا على النبيّ صلى الله عليه وآله إذا أرادهم الأعراب من غيرهم أو دهاهم دهم من عدوّهم أن ينصرهم إلّا على قوم بينهم و بين الرسول عهد و ميثاق إلى مدّة.(٢)

عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام في حديث طويل قال فيه هارون له: لم ادّعيتم [أنّكم] ورثة النبيّ صلى الله عليه وآله و العمّ يحجب ابن العمّ و قبض رسول الله و قد توفّي أبو طالب قبله و العبّاس عمّه حيّ. فقلت له: إن رأى يعفيني أمير المؤمنين عن هذه المسألة. قال: لا أو تجيب. قال: آمنّي. فقال: قد آمنتك قبل الكلام. فقلت: إنّه لم يثبت مع ولد الصلب ميراث و لم ينطق به الكتاب، إلّا أنّ تيماً و عديّاً و بني أميّة قالوا: العمّ و الد، رأياً منهم بلا أثر عن الرسول. قال هارون: زدني يا موسى. قلت: المجالس بالأمانات و خاصّة مجلسك. فقال: لا بأس عليك.

١ـ مجمع البيان ٤ / ٨٦٢.

٢ـ تفسير القمّيّ ١ / ٢٨٠.

فقلت: إنّ النبيّ ﷺ لم يوارث من لم يهاجر و لا ثبت له ولاية حتّى يهاجروا. قال: ما حجّتك فيه؟ قلت: قول الله: «و الذين آمنوا و لم يهاجروا» ـ الآية. و إنّ عمّي العبّاس لم يهاجر. فقال: لاتفت بهذا أحداً. فقلت: لا.[١]

[٧٣] «وَ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَ فَسَادٌ كَبِيرٌ».

«و الذين كفروا» ـ الآية. ظاهره إثبات الموالاة بينهم كما [قال] في المسلمين: «بعضهم أولياء بعض». و معناه نهي المسلمين عن موالاة الذين كفروا و موارثتهم و إيجاب مباعدتهم و إن كانوا أقارب و أن يتركوا يتوارثون بعضهم بعضاً. «إلّا تفعلوه»؛ أي: إن لاتفعلوا ما أمرتكم به من تواصل المسلمين و تولّي بعضهم بعضاً حتّى في التوارث تفضيلاً لنسبة الإسلام على نسبة القرابة و لم تقطعوا العلائق بينكم و بين الكفّار، يحصل فتنة في الأرض «و فساد كبير»: و مفسدة عظيمة. لأنّ المسلمين ما لم يصيروا يداً واحدة على المشركين، كان الشرك ظاهراً و الفساد زائداً.[٢]

[٧٤] «وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ هَاجَرُوا وَ جَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَ الَّذِينَ آوَوْا وَ نَصَرُوا أُولٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ».

«هم المؤمنون حقّاً». لأنّهم صدّقوا إيمانهم و حقّقوه بتحصيل مقتضياته من هجرة الوطن و مفارقة الأهل و الانسلاخ من المال لأجل الدين. و ليس بتكرار. لأنّ هذه الآية واردة للثناء عليهم و الشهادة لهم مع الموعد الكريم و الأولى للأمر بالتواصل.[٣]

[٧٥] «وَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَ هَاجَرُوا وَ جَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولٰئِكَ مِنْكُمْ وَ أُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ».

١ـ العيون ١ / ٨٢ ـ ٨٣. ٢ـ الكشّاف ٢ / ٢٤٠.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٢٤٠.

«آمنوا من بعد». يريد اللاحقين بعد السابقين إلى الهجرة. كقوله: «و الذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربّنا اغفرلنا و لإخواننا الذين سبقونا بالإيمان».[١] ألحقهم بهم و جعلهم منهم تفضّلاً منه و ترغيباً.[٢]

«أولوالأرحام». قال: نسخت قوله: «و الذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم».[٣][٤]

«أولوالأرحام». عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لاتعود الإمامة في أخوين بعد الحسن و الحسين عليهما السلام أبداً. إنّما جرت من عليّ بن الحسين عليه السلام. كما قال الله تعالى: «و اولوالأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله». فلايكون بعد عليّ بن الحسين عليهما السلام إلّا في الأعقاب و أعقاب الأعقاب.[٥]

«و أولوالأرحام». معناه: ذووالأرحام و القرابة بعضهم أحقّ بميراث بعض من غيرهم. قالوا: صار ذلك نسخاً لما قبله من التوارث بالمعاقدة و الهجرة و غير ذلك من الأسباب. و قد كانوا يتوارثون بالمؤاخاة. فإنّ النبيّ صلى الله عليه و آله آخى بين المهاجرين و الأنصار. «في كتاب الله»؛ أي: حكم الله. و قيل: اللّوح المحفوظ. كما قال: «ما أصاب من مصيبة في الأرض و لا في أنفسكم إلّا في كتاب».[٦] و قيل: في القرآن. و في الآية دلالة على أنّ من كان أقرب إلى الميّت في النسب، كان أولى بالميراث، سواء كان ذاسهم منهم أو لم يكن، عصبة أو غير عصبة.[٧]

١ـ الحشر (٥٩) / ١٠.

٢ـ الكشّاف ٢ / ٢٤٠.

٣ـ النساء (٤) / ٣٣.

٤ـ تفسير القمّيّ ١ / ٢٨١.

٥ـ الكافي ١ / ٢٨٥ ـ ٢٨٦، ح ١.

٦ـ الحديد (٥٧) / ٢٢.

٧ـ مجمع البيان ٤ / ٨٦٤ ـ ٨٦٥.

۹.
سورة التوبة

عن أبي عبدالله عليه السلام: من قرأ سورة الأنفال و براءة في كلّ شهر، لم يدخله نفاق ـ الحديث.[۱] و قد مرّ في ذكر الأنفال.

و عن أبي عبدالله عليه السلام: الأنفال و براءة واحدة ترك البسملة في أوّلها قراءة و كتابة. و عن عليّ عليه السلام: إنّما لم تنزل البسملة فيها لأنّها للأمان و الرحمة و نزلت براءة لرفع الأمان و السيف. إن قيل: كيف يجوز أن ينقض النبيّ صلى الله عليه و آله العهد؟ فالقول في جوازه على ثلاثة أوجه: إمّا أن يكون قد ظهر من المشركين خيانة؛ و إمّا أن يكون العهد مشروطاً بأن يبقى إلى أن يرفعه الله بوحي؛ و إمّا أن يكون مؤجّلاً إلى مدّة. و قد وردت الرواية بأنّ النبيّ صلى الله عليه و آله شرط عليهم ما ذكرناه. و قد روي أيضاً أنّ المشركين قد نقضوا العهد و همّوا بذلك فأمر الله أن ينقض العهد.[۲]

أجمع المفسّرون و نقلة الأخبار أنّه لمّا نزلت براءة، دفعها رسول الله صلى الله عليه و آله إلى أبي‌بكر، ثمّ أخذها منه و دفعها إلى أميرالمؤمنين عليه السلام. و في هذا سرّ لطيف لايخفى.

أقول: لمّا نزلت، دفعها رسول الله صلى الله عليه و آله إلى أبي‌بكر ليقرأها إلى أهل مكّة، فمضى بها. ثمّ نزل جبرئيل و قال: يا محمّد، إنّ الله يقول: لايؤدّيها إلّا أنت أو رجل منك. فأمر عليّاً عليه السلام بأخذها من أبي‌بكر. فركب ناقته العضباء فلحق أبابكر على ثلاثة أيّام من المدينة فأخذها منه. فقال أبوبكر: هل نزل فيّ شيء؟ قال عليه السلام: لا، و لكن أمر الله أن يؤدّيها إلّا النبيّ أو رجل

۱ـ ثواب الأعمال / ۱۳۲، و تفسير العيّاشيّ ۲ / ۷۳.　　۲ـ مجمع البيان ۵ / ٤ ـ ۵.

منه. فرجع أبوبكر و قرأهاعليه‌السلام إلى أهل مكّة. و بهذا فضّل‌عليه‌السلام على موسى النبيّ عليه‌السلام. فإنّه لمّا أمره الله بتبليغ الرسالة إلى فرعون قال: «إنّي قتلت منهم نفساً فأخاف أن يقتلون»[١] و إنّه‌عليه‌السلام مع كونه قاتلاً لأكثر صناديد القريش، ما خاف منهم و قرأ عليهم السورة يوم الأضحى يوم الحجّ الأكبر. و نادى مناديه: لايطوفنّ أحد بالبيت عرياناً. و لايحجّنّ بالبيت مشرك. و من كانت له مدّة فإلى مدّته، و إلّا فمدّته أربعة أشهر أوّلها الحادي‌عشر من ذي الحجّة و المحرّم و صفر و ربيع الأوّل و عشر من ربيع الآخر. (حسن عني عنه)

[١] « بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَ رَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ».

«براءة»؛ أي: هذه براءة «من الله»؛ أي: انقطاع العصمة و رفع الأمان و خروج من العهد «إلى الذين عاهدتم». خطاب للنبيّ‌صلى‌الله‌عليه‌وآله و المسلمين. أي: تبرّؤوا ممّن كان بينكم و بينهم عهد. فإنّ الله و رسوله بريئان منهم. قال الزجّاج: معناه أنّهما بريئان من إعطائهم العهود و الوفاء لهم بها إذا نكثوا.[٢]

عن أبي عبدالله‌عليه‌السلام: كان الفتح في سنة ثمان، و براءة في سنة تسع، و حجّة الوداع في سنة عشر.[٣] و أخذها عليّ‌عليه‌السلام من أبي‌بكر فقدم مكّة يوم النحر بعد الظهر و هو يوم الحجّ الأكبر فقرأها عليهم. و الأربعة أشهر عشرين من ذي الحجّة و المحرّم و صفر و ربيع الأوّل و عشر من ربيع الآخر. قال: لايحجّ بعد هذا العام مشرك. و لايطوفنّ بالبيت عريان. و من كان بينه و بين رسول الله‌صلى‌الله‌عليه‌وآله عهد، فهو إلى مدّته. و من لا عهد له، فأجله أربعة أشهر حتّى يرجع إلى مأمنه.[٤]

أقول: روى زرارة عنه‌عليه‌السلام إنكار دفع السورة إلى أبي‌بكر و أخذ أميرالمؤمنين عنه.[٥] (حسن)

١ـ القصص (٢٨) / ٣٣.

٢ـ مجمع البيان ٥ / ٥.

٣ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٧٣، ح ٢.

٤ـ تفسير العيّاشيّ ٢/ ٧٣ ـ ٧٤، ح ٤ و ٧.

٥ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٧٤، ح ٦.

[٢] «فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللهِ وَ أَنَّ اللهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ».

«فسيحوا في الأرض». خطاب للمشركين. أي: سيروا في الأرض آمنين من السيف أربعة أشهر و اعلموا أنّكم لاتفوتون في سلطانه و ملكه.(١)

[٣] «وَ أَذَانٌ مِنَ اللهِ وَ رَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَ رَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللهِ وَ بَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ».

«و أذان». عطف على براءة.(٢)

عن أميرالمؤمنينعليه السلام: كنت أنا الأذان في الناس.(٣)

و قالعليه السلام: ألا و إنّي مخصوص في القرآن بأسماء. احذروا أن تغلبوا عليها فتضلّوا في دينكم. أنا المؤذّن في الدنيا و الآخرة. قال‌الله: «فأذّن مؤذّن بينهم أن لعنة الله على الظالمين».(٤) و أنا ذلك المؤذّن. و قال الله: «و أذان من الله و رسوله». و أنا ذلك الأذان.(٥)

«و أذان من الله و رسوله» ـ الآية. بيّن سبحانه أنّه يجب إعلام المشركين ببراءة منهم لئلّاينسبوا المسلمين إلى الغدر فقال: «و أذان من‌الله»؛ أي: أذنوا الناس. يعني أهل العهد. «بريء من المشركين». قيل: إنّ البراءة الأولى لنقض العهد، و البراءة الثانية لقطع الموالاة و الإحسان، فليس بتكرار. «فإن تبتم» في هذه المدّة عن الشرك [«فهو خير لكم و إن تولّيتم»:] و إن بقيتم على الكفر، فاعلموا أنّكم لاتعجزونه عن أن يحلّ عذابه في الدنيا عليكم. «و بشّر الذين كفروا بعذاب أليم»؛ أي: أخبرهم مكان البشارة بعذاب موجع، و هو عذاب الآخرة.(٦)

١ـ مجمع البيان ٥ / ٥.
٢ـ مجمع البيان ٥ / ٨.
٣ـ معاني الأخبار / ٢٩٦، ح ٥.
٤ـ الأعراف (٧) / ٤٣.
٥ـ معاني الأخبار /٥٩.
٦ـ مجمع البيان ٥ / ٩.

عن أبي عبدالله عليه السلام: الحجّ الأكبر يوم النحر، و الأصغر العمرة.(۱)

عن أبي عبدالله عليه السلام: [إنّما سمّي الأكبر] لأنّها كان سنة حجّ فيها المسلمون و المشركون و لم يحجّ المشركون بعدها.(۲)

[٤] «إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئاً وَ لَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَداً فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ».

«إلّا الذين عاهدتم». استثنى الله من براءته قوماً من بني‌كنانة و بني‌ضمرة كان قد بقي من أجلهم تسعة أشهر أمر بإتمامها، لأنّهم لم يظاهروا على المؤمنين و لم ينقضوا عهد رسول الله صلى الله عليه و آله. و قال ابن‌عبّاس: أراد بذلك من كان بينه و بينه عهد و لم يتعرّض له بعداوة. لأنّه صلى الله عليه و آله صالح أهل هجر و أهل البحرين و لم ينبذ إليهم بنقض عهدو كانوا أهل ذمّة إلى أن مضى لسبيله. «لم ينقصوكم»؛ أي: لم ينقصوا من شروط العهد شيئاً «و لم يظاهروا عليكم أحداً» من أعدائكم.(۳)

«فأتمّوا إليهم». قال ابن‌عبّاس: بقي لحيّ من كنانة من عهدهم تسعة أشهر فأتمّ إليهم عهدهم.(٤)

[٥] «فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَ خُذُوهُمْ وَ احْصُرُوهُمْ وَ اقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَ آتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ».

«فإذا انسلخ الأشهر الحرم» التي هي عشرون من ذي الحجّة إلى عشر من ربيع الآخر، إذ حرّمنا فيها دماء المشركين و جعلنا لهم أن يسيحوا فيها آمنين. «حيث وجدتموهم» في الأشهر الحرم أو في غيرها في الحلّ أو الحرم. و هذا ناسخ لكلّ آية وردت في الصلح. «و

۱ـ معاني الأخبار /۲۹٥، ح ۲.

۲ـ علل الشرائع ۲ / ۱٤۹.

۳ـ مجمع البيان ٥ / ۹ ـ ۱۰.

٤ـ الكشّاف ۲ / ۲٤۷.

احصروهم»؛ أي: احبسوهم و استرقّوهم. أو: امنعوهم دخول مكّة و التصرّف في بلاد الإسلام. «كلّ مرصد»؛ أي: بكل طريق تظنّون أنّهم يمرّون فيه، و ضيّقوا المسالك عليهم لتمكنوا من أخذهم. و قوله: «لهم» معناه: لقتلهم و أسرهم. «فإن تابوا» عن الكفر و انقادوا للشرع «و أقاموا الصلاة»: و قبلوا إقامة الصلاة و إيتاء الزكاة. لأنّ عصمة الدم لاتقف على إقامة الصلاة و أداء الزكاة، فثبت أنّ المراد به القبول. «فخلّوا سبيلهم»؛ أي: دعوهم يتصرّفون في بلاد الإسلام. و استدلّوا بهذه الآية على أنّ [من] ترك الصلاة متعمّداً يجب قتله، لأنّ الله قالَ في المشركين إذا لم يقيموها وجب قتلهم.(١)

«و خذوهم»: و أسروهم. لأنّ الأخيذ الأسير.(٢)

«و أقاموا الصلاة» تصديقاً لإيمانهم و توبتهم.(٣)

[٦] «وَ إِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ».

«و إن أحد من المشركين» الذين أمرتك بقتالهم بعد الأربعة أشهر «استجارك» لأجل سمع دعواك و احتجاجك عليه بالقرآن، فآمنه و بيّن له ما يريد و أمهله حتى يتدبّر كلام الله. فإن دخل في الإسلام، نال خير الدارين. و إن لم يدخل في الإسلام، فلاتقتله فتكون قد غدرت به، و لكن أوصله إلى ديار قومه التي يأمن فيها على نفسه و ماله. «ذلك بأنّهم»؛ أي: ذلك الأمان لهم بأنّهم قوم لايعلمون الإيمان و الدلائل، فآمنهم حتّى يسمعوا و يتدبّروا و يتعلّموا. و في هذا دلالة على أنّ المتلوّ و المسموع كلام الله لا أنّه حكاية له.(٤)

«استجارك»: استأمنك و طلب منك جوارك.(٥)

١ـ مجمع البيان ٥ / ١٢ ـ ١٣.

٢ـ الكشّاف ٢ / ٢٤٧.

٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٩٦.

٤ـ مجمع البيان ٥ / ١٣.

٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٦٨.

[٧] «كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللهِ وَ عِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ».

«كيف»؛ أي: كيف يفي الله و رسوله لهم بالعهد و هم نكثوه؟[١]

«كيف يكون»: كيف يكون لهؤلاء عهد صحيح مع إضمارهم الغدر و النكث؟ و هذا يكون على التعجّب و الإنكار.[٢]

«إلّا الذين»؛ أي: لكن الذين عاهدتهم منهم «عند المسجد الحرام» و لم يظهر منهم نكث ـ كبني كنانة و بني ضمرة ـ فتربّصوا أمرهم و لا تقاتلوهم. «فما استقاموا لكم» على العهد، «فاستقيموا لهم» على مثله. «يحبّ المتّقين». أي إنّ التربّص بهم من أعمال المتّقين.[٣]

[٨] «كَيْفَ وَ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَ لَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَ تَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَ أَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ».

«كيف و إن يظهروا». تكرار لاستبعاد ثبات المشركين على العهد. و حذف الفعل لكونه معلوماً. أي: كيف يكون لهم عهد و حالهم أنّهم إن يظهروا عليكم بعد ما سبق لهم [من] تأكيد الأيمان و المواثيق، لم ينظروا في حلف و لا عهد و لا يبقوا عليكم.

«لا يرقبوا فيكم إلّاً»؛ أي: لا يراعوا حلفاً. و قيل: قرابة.[٤]

«و لا ذمّة»: عهداً، أو حقّاً.[٥]

«يرضونكم». كلام مبتدأ في وصف حالهم من مخالفة الظاهر الباطن، مقرّر لاستبعاد الثبات على العهود و إباء القلوب مخالفة ما فيها من الأضغان لما يجرون على ألسنتهم من الكلام الجميل. «فاسقون»: متمرّدون لا يتحرّزون عن الكذب و النكث كما يوجد في بعض الكفرة.[٦]

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٩٦.
٢ـ مجمع البيان ٥ / ١٤.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٢٤٩.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٢٤٩ ـ ٢٥٠.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٩٧.
٦ـ الكشّاف ٢ / ٢٥٠.

[۹] «اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ».

«اشتروا»؛ أي: استبدلوا «بآيات الله»؛ أي: القرآن أو الإسلام «ثمناً قليلاً» و هو اتّباع الأهواء و الشهوات «فصدّوا عن سبيله»؛ أي: عدلوا عنه، أو صرفوا غيرهم. و قيل: هم الأعراب الذين جمعهم أبوسفيان و أطعمهم.(۱)

«اشتروا بآيات الله» ـ الآية. ورد في قوم من العرب جمعهم أبوسفيان لعداوة النبيّ صلى الله عليه و آله.

و قيل: ورد في اليهود الذين كانوا يأخذون الرشا من العوامّ على الحكم بالباطل.(۲)

[۱۰] «لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلّاً وَ لَا ذِمَّةً وَ أُولٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ».

«لايرقبون في مؤمن». فائدة الإعادة أنّ الأوّل في صفة الناقضين للعهد و الثاني في صفة الذين اشتروا.(۳)

«المعتدون»؛ أي: المجاوزون الغاية في الظلم و الشرارة.(٤)

[۱۱] «فَإِنْ تَابُوا وَ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَ آتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ».

«فإن تابوا» عن الكفر و نقض العهود، «فإخوانكم»؛ أي: فهم إخوانكم. «و نفصّل الآيات»؛ أي: نبيّنها. و هذا اعتراض. كأنّه قيل: و إنّ من تأمّل تفصيلها فهو العالم، بعثاً و تحريصاً على تأمّل ما فصّل من أحكام المشركين المعاهدين و على المحافظة عليها.(٥)

[۱۲] «وَ إِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَ طَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ».

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: دخل عليّ أناس من أهل البصرة فسألوني عن طلحة و الزبير،

۱ـ الكشّاف ۲ / ۲۵۰.
۲ـ مجمع البيان ۵ / ۱۷.
۳ـ مجمع البيان ۵ / ۱۷.
٤ـ الكشّاف ۲ / ۲۵۰.
۵ـ الكشّاف ۲ / ۲۵۱.

فقلت لهم: كانا من أئمّة الكفر. إنّ عليّاًعليه السلام يوم البصرة لمّا صفّ الجنود، قال لأصحابه: لاتعجلوا على القوم حتّى أعذر فيما بيني و بين الله و بينهم. فقام إليهم قال: يا أهل البصرة، هل تجدون عليّ جوراً في حكم؟ قالوا: لا. وعدّ من هذا كثيراً، ثمّ قال لأصحابه: يقول الله في كتابه: «و إن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم و طعنوا في دينكم فقاتلوا أئمّة الكفر إنّهم لا أيمان لهم». فقال أميرالمؤمنينعليه السلام: و الذي فلق الحبّة و برأ النسمة و اصطفى محمّداًصلى الله عليه وآله بالنبوّة، إنّهم لأصحاب هذه الآية، و ماقوتلوا منذ نزلت.[١]

عن أمير المؤمنينعليه السلام: لقد عهد إليّ رسول اللهصلى الله عليه وآله [و] قال: يا عليّ، لتقاتلنّ الفئة الباغية و الفئة الناكثة و الفئة المارقة. و هم أئمّة الكفر.[٢]

«و طعنوا في دينكم»؛ أي: عابوه. «فقاتلوا أئمّة الكفر»؛ أي: قاتلوهم. فوضع الظاهر موضع الضمير إشعاراً بأنّهم إذا نكثوا في حال الشرك تمرّداً و طغياناً ثمّ آمنوا و أقاموا الصلاة و صاروا إخواناً للمسلمين ثمّ رجعوا فارتدّوا عن الإسلام و قعدوا يطعنون في دين الله، فهم أئمّة الكفر و ذووالرئاسة [فيه]. و قالوا: إذا طعن الذمّيّ في الإسلام، جاز قتله. «لا أيمان» لهم» على الحقيقة. «لعلّهم». متعلّق بقوله: «فقاتلوا». أي: ليكن غرضكم في المقاتلة انتهاؤهم.[٣]

«لا أيمان». ابن عامر بكسر الهمزة. و هي قراءة الصادقعليه السلام.[٤]

«فقاتلوا أئمّة الكفر»؛ أي: رؤساء الكفر و الضلالة. خصّهم لأنّهم يضلّون أتباعهم. و قيل: كلّ كافر إمام لنفسه في الكفر و لغيره في الدعاء إليه. و قال ابن عبّاس: أراد به رؤساء قريش مثل أبي‌سفيان و الحارث بن هشام. و كان حذيفة بن اليمان يقول: لم يأت أهل هذه الآية بعد. «إنّهم لا أيمان لهم». من قرأ بالكسر معناه: لاتؤمنوهم بعد نكثهم العهد. أو إنّهم إذا آمنوا إنساناً لايفون له به. أو: إنّهم كفروا فلا إيمان لهم.[٥]

١ـ قرب الإسناد / ٤٦.
٢ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٧٨.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٢٥١.
٤ـ مجمع البيان ٥ / ١٦.
٥ـ مجمع البيان ٥ / ١٧ ـ ١٨.

[١٣] «أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْماً نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَ هَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَ هُمْ بَدَؤُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ».

«قوماً نكثوا أيمانهم» التي حلفوها في المعاهدة. «بإخراج الرسول» من مكّة حين شاوروا في أمره بدار الندوة حتّى أذن الله له في الهجرة. «بدؤوكم» بالمقاتلة. لأنّ رسول الله ﷺ جاءهم أوّلاً بالكتاب المنير و تحدّاهم به فعدلوا [عن المعارضة] لعجزهم عنها إلى القتال. فهم البادئون، و البادئ أظلم. فما يمنعكم أن تقاتلوهم بمثله؟ «أتخشونهم». تقرير بالخشية منهم و توبيخ عليها. «أحقّ أن تخشوه» فتقاتلوا أعداءه.(١)

«أتخشونهم»؛ أي: أتخافون أن ينالكم من قتالهم مكروه؟ استفهام و المراد به تشجيع المؤمنين. «مؤمنين»: مصدّقين بثواب الله و عقابه.(٢)

[١٤] «قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَ يُخْزِهِمْ وَ يَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَ يَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ».

«قاتلوهم». بشّرهم بالنصرة و الظفر عليهم. «يعذّبهم الله». أي قتلاً و أسراً. و «يخزهم» أي: يذلّهم. «صدور قوم مؤمنين». يعني صدور بني‌خزاعة الذين بيّت عليهم بنوبكر لأنّهم كانوا حلفاء النبيّ ﷺ.(٣)

[١٥] «وَ يُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَ يَتُوبُ اللهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَ اللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ».

«و يذهب غيظ قلوبهم»: و يكون ذلك النصر شفاء لقلوبهم لما نالهم من الأذى. «و يتوب». استأنف سبحانه فقال: «و يتوب»؛ أي: يقبل توبة من تاب منهم مع فرط تعدّيهم، رحمة منه و فضلاً. «و الله عليم» بتوبتهم «حكيم» في أمركم بقتالهم إذا نكثوا قبل أن يتوبوا.(٤)

١ـ الكشّاف ٢ / ٢٥٢.
٢ـ مجمع البيان ٥ / ١٨.
٣ـ مجمع البيان ٥ / ١٩.
٤ـ مجمع البيان ٥ / ١٩.

«و يتوب». وجه النظم البشارة بأنّ فيهم من يتوب و يرجع إلى الايمان.[۱]

«من يشاء». إخبار بأنّ بعض أهل مكّة يتوب عن كفره. و كان ذلك أيضاً. فقد أسلم أناس منهم و حسن إسلامهم.[۲]

[١٦] «أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَ لَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَ لَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللهِ وَ لَا رَسُولِهِ وَ لَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَ اللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ».

«أم» منقطعة. و معنى الهمزة فيها التوبيخ على وجود الحسبان. و المعنى: انّكم لا تتركون على ما أنتم عليه حتّى يتبيّن الخلّص منكم؛ و هم الذين جاهدوا في سبيل الله لوجه الله و لم يتّخذوا بطانة من الذين يضادّون المؤمنين. «و لمّا». معناها التوقّع و قد دلّت على أنّ تبيّن ذلك و اتّضاحه متوقّع كائن و أنّ الذين لم يخلصوا دينهم لله، يميّز بينهم و بين المخلصين. و قوله «و لم يتّخذوا» معطوف على جاهدوا، داخل في حيّز الصلة. كأنّه قيل: و لمّا يعلم الله المجاهدين منكم و المخلصين غير المتّخذين وليجة من دون الله. و المراد بنفي العلم نفي المعلوم.[۳]

«و لم يتّخذوا». فيه دلالة على تحريم موالاة الكفّار و الفسّاق و الإلف بهم.[٤]

«و لا المؤمنين وليجة». عن أبي جعفر عليه السلام: المؤمنين هنا الأئمّة عليهم السلام و الوليجة الذي يقام دون وليّ الأمر.[٥]

[١٧] «مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ».

«ما كان»؛ أي: ما صحّ لهم و ما استقام. «مساجد الله»؛ أي: المسجد الحرام. و جمعه لأنّه قبلة المساجد و إمامها، فعامره كعامر جميع المساجد، لأنّ كلّ بقعة منها مسجد. أو يراد

١ـ مجمع البيان ٥ / ١٩.

٢ـ الكشّاف ٢ / ٢٥٢.

٣ـ الكشّاف ٢ / ٢٥٣.

٤ـ مجمع البيان ٥ / ٢٠.

٥ـ الكافي ١ / ٥٠٨.

جنس المساجد. و إذا لم يصلحوا بأن يعمروا جنسها، دخل تحت ذلك لأنّها أفضلها. «شاهدين». حال من الواو في يعمروا. و المعنى: ما استقام لهم أن يجمعوا بين أمرين متنافيين، عمارة متعبّدات الله مع الكفر بالله. و معنى هذه الشهادة ظهور كفرهم و أنّهم نصبوا أصنامهم حول البيت و كانوا يطوفون عراة و يقولون: لانطوف عليها بثياب قد أصبنا فيها المعاصي، و كلّما طافوا شوطاً، سجدوا لها. و قيل: هو قولهم: لبّيك لا شريك لك إلّا شريك هو لك تملكه و ما ملك. و قيل: أقبل المهاجرون و الأنصار على أسارى بدر فعيّروهم بالشرك. فطفق عليّ عليه السلام يعيّر العبّاس بقتال رسول الله صلى الله عليه وآله و قطيعة الرحم و أغلظ له في القول. فقال العبّاس: تذكرون مساوينا و تكتمون محاسننا. و نحن أفضل منكم أجراً. إنّا لنعمر المسجد الحرام و نحجب الكعبة و نسقي الحجيج و نفك العاني. فنزلت: «حبطت أعمالهم» التي هي العمارة و ما قاله العبّاس.(١)

[١٨] «إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ أَقَامَ الصَّلَاةَ وَ آتَى الزَّكَاةَ وَ لَمْ يَخْشَ إِلَّا اللهَ فَعَسَىٰ أُولٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ».

«إنّما» ؛ أي: إنّما يعتدّ بعمارة هؤلاء. و العمارة تتناول رمّ ما استرمّ منها و قمّها و تنظيفها و تنويرها بالمصابيح و تعظيمها و اعتيادها(٢) للعبادة و الذكر و درس العلم و صيانتها عن أحاديث الدنيا فضلاً عن فضول الحديث. و إنّما لم يذكر الايمان بالرسول لاشتمال الإيمان بالله عليه، أو لأنّه دلّ عليه بذكر الصلاة و الزكاة. «و لم يخش إلّا الله». يعني الخشية و التقوى في أبواب الدين؛ و إلّا فالمؤمن يخشى المحاذير. و قيل: كانوا يخشون الأصنام و يرجونها فأريد نفي تلك الخشية عنهم. «فعسى». تبعيد للمشركين عن مواقف الاهتداء و حسم لأطماعهم في الانتفاع بأعمالهم التي استعظموها و أمّلوا عاقبتها بأنّ الذين آمنوا و عملوا بالشرائع و استشعروا الخشية و التقوى، اهتداؤهم دائر بين عسى و لعلّ، فما بال المشركين يقطعون أنّهم

١ـ الكشّاف ٢ / ٢٥٣ ـ ٢٥٤.

٢ـ كذا في المصدر أيضاً. و الظاهر أنّ الصحيح «اعتدادها» أو «إعدادها».

مهتدون. و في هذا الكلام و نحوه لطف للمؤمنين في ترجيح الخشية على الرجاء و رفض الاغترار بالله.[۱]

«مساجد الله». أهل البصرة و ابن‌كثير: «مسجد الله». و «لم يخش» راجع إلى قوله: «أتخشونهم فالله أحقّ أن تخشوه».[۲]

[۱۹] «أَ جَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَ عِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ جَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللهِ وَ اللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ».

قرأ محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام و جماعة: «سُقاة الحاجّ و عَمَرة المسجد الحرام» جمع ساقي و عامر. السقاية و العمارة مصدران من سقى و عمر. و معناه الإنكار. أي: لاتجعلوا. و تقديره: أجعلتم أهل سقاية [الحاجّ] و أهل عمارة المسجد كمن آمن بالله؟ أو يكون تقديره: أجعلتم السقاية و العمارة مثل إيمان من آمن. و سقاية الحاجّ سقيهم الشراب. قيل: كان نبيذ زبيب يسقون الحاجّ في الموسم. «لايستوون». أي في الفضل و الثواب. «لايهدي القوم الظالمين» إلى طريق ثوابه. روى أبوالقاسم الحسكانيّ عن ابن‌بريدة عن أبيه قال: بينا شيبة و العبّاس يتفاخرون، إذ مرّ بهما أميرالمؤمنين عليّ‌بن أبي‌طالب فقال: بماذا تتفاخران؟ فقال العبّاس: لقد أوتيت من الفضل ما لم يؤت أحد: سقاية الحاجّ. و قال شيبة: أوتيت عمارة المسجد الحرام. فقال عليّ عليه السلام: لقد أوتيت على صغري ما لم تؤتيا. فقالا: و ما أوتيت يا عليّ؟ فقال: ضربت خراطيمكما بالسيف حتّى آمنتما بالله. فقام العبّاس مغضباً يجرّ ذيله حتّى دخل على رسول الله فقال: أماترى إلى ما يستقبلني به عليّ عليه السلام؟ فقال: ادعوا لي عليّاً. فدعي له. فقال: و ما دعاك إلى ما استقبلت به عمّك؟ فقال: يا رسول‌الله ، صدمته بالحقّ. فمن شاء فليغضب. و من شاء فليرض. فنزل جبرئيل فقال: يا محمّد، ربّك يقرئك السلام و يقول: اتل عليهم: «أجعلتم سقاية الحاجّ» ـ الآية. فقال العبّاس: إنّا قد رضينا ـ ثلاث مرّات.[۳]

۱ـ الكشّاف ۲ / ۲٥٤ ـ ۲٥٥. ۲ـ مجمع البيان ٥ / ۲۰ ـ ۲۲.

۳ـ مجمع البيان ٥ / ۲۲ ـ ۲٤.

[٢٠] «الَّذِينَ آمَنُوا وَ هَاجَرُوا وَ جَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللهِ وَ أُولٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ».

«أعظم درجة» من غيرهم من المؤمنين الذين لم يفعلوا هذه الأشياء. «الفائزون»؛ أي: الظافرون بالبغية.[١]

[٢١ ـ ٢٢] يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَ رِضْوَانٍ وَ جَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ».

«يبشّرهم» في الدنيا على ألسنة الرسل. «أجر عظيم»: جزاء على العمل مضاعف.[٢]

«يبشّرهم». حمزة: «يُبْشِرهم» بالتخفيف.[٣]

«أبداً». تأكيد للخلود. لأنّه بمعنى المكث الطويل قد يطلق. (ع)

[٢٣] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَ إِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ».

«يا أيّها الذين آمنوا». روي عن أبي جعفر و أبي عبدالله عليهما السلام أنّها نزلت في حاطب بن أبي‌بلتعة، حيث كتب إلى قريش يخبرهم بخبر النبيّ صلى الله عليه و آله لمّا أراد فتح مكّة. ثمّ نهى سبحانه عن موالاة الكافرين و إن كانوا في النسب [الأقربين] فقال: «يا أيّها الذين آمنوا لاتتّخذوا آباءكم». و هذا في أمر الدين. و أمّا في أمر الدنيا، فلا بأس بمعاشرتهم؛ لقوله سبحانه: «و صاحبهما في الدنيا معروفاً».[٤] و قال ابن‌عبّاس: لمّا أمر الله سبحانه المؤمنين بالهجرة و أرادوا الهجرة، فمنهم من تعلّقت به زوجته و منهم من تعلّق به أبواه و أولاده، فكانوا يمنعونهم من الهجرة، فيتركون الهجرة لأجلهم. فبيّن سبحانه أنّ أمر الدين مقدّم على النسب. «إن استحبّوا الكفر على الإيمان»؛ أي: آثروه على الإيمان. «و من يتولّهم منكم» فترك طاعة

١ـ مجمع البيان ٥ / ٢٤.

٢ـ مجمع البيان ٥ / ٢٤.

٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٣٩٩.

٤ـ لقمان (٣١) / ١٥.

الله لأجلهم و أطلعهم على أسرار المسلمين، «فأولئك هم الظالمون» لنفوسهم.[١]

«الكفر على الايمان». عن أبي عبدالله عليه السلام: الايمان ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام.[٢]

[٢٤] «قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَ أَبْنَاؤُكُمْ وَ إِخْوَانُكُمْ وَ أَزْوَاجُكُمْ وَ عَشِيرَتُكُمْ وَ أَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَ تِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَ مَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَ رَسُولِهِ وَ جِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَ اللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ».

«قل»؛ أي: قل ـ يا محمّد ـ لهؤلاء المتخلّفين عن الهجرة إلى دارالسلام.[٣]

«و عشيرتكم». أبوبكر: «و عشيراتكم». والعشيرة: الأقرباء. مأخوذ من العشرة. «اقترفتموها»؛ أي: اكتسبتموها. «كسادها»: فوات وقت نفاقها. «أحبّ»: الحبّ الاختياريّ دون الطبيعيّ، فإنّه لايدخل تحت التكليف و التحفّظ عنه. «فتربّصوا». جواب [و] وعيد. و الأمر عقوبة عاجلة أو آجلة. و قيل: فتح مكّة.[٤]

[٢٥] «لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَ يَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَ ضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ».

«لقد». اللّام للقسم.[٥]

«في مواطن كثيرة». عن محمّد بن عميرة[٦] قال: كان المتوكّل اعتلّ علّة شديدة فنذر إن عافاه الله أن يتصدّق بمال كثير. فعوفي، فجمع العلماء فسألهم عن ذلك، فاختلفوا فيه. فقال بعضهم: عشرة آلاف. و قال بعضهم: مائة ألف ألف. فكتب إلى محمّد بن عليّ الرضا عليه السلام، فكتب إليه: الكثير ثمانون؛ لقول الله تعالى: «و لقد نصركم الله في مواطن كثيرة». و كانت

١ـ مجمع البيان ٥ / ٢٥ ـ ٢٦.

٢ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٨٤.

٣ـ مجمع البيان ٥ / ٢٦.

٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٠٠.

٥ـ مجمع البيان ٥ / ٢٧.

٦ـ المصدر: عمير.

المواطن ثمانين موطناً.[١]

«و يوم حنين»؛ أي: موطن يوم حنين. أو يقدّر في الأوّل ـ أي: أيّام مواطن ـ حتّى يصحّ عطف الزمان على المكان. (ع)

«كثرتكم». كانوا اثني عشر ألفاً. وكان المشركون أربعة آلاف.[٢]

«بما رحبت»؛ أي: برحبها. و الباء بمعنى مع. و المراد: لم تجدوا من الأرض موضعاً للفرار إليه. «مدبرين»؛ أي: منهزمين.[٣]

ذكر المفسّرون و أصحاب السير: انّ رسول الله ﷺ لمّا فتح مكّة، خرج منها متوجّهاً إلى حنين لقتال هوازن و ثقيف في آخر شهر رمضان وقد اجتمعوا بأوطاس مع أهلهم و أموالهم ليشتدّوا في القتال. فخرج رسول الله ﷺ من مكّة في اثني عشر ألفاً بعد أن أقام بها خمسة عشر يوماً، و دفع لواه الأكبر إلى عليّ عليه السلام. فصلّى رسول الله ﷺ الغداة فانحدر في وادي حنين. فخرجت عليهم كتائب القوم من كلّ ناحية فانهزمت بنوسليم و من وراءهم و خلّى الله بينهم و بين عدوّهم لإعجابهم بكثرتهم لقول أبي‌بكر: لن نغلب اليوم من قلّة. و أصابهم بهذه الكلمة إمّا من حيث العجب أو من العين، لما روي من أنّ أبابكر أعانهم و عليّاً عليه السلام أعانهم. و قد حقّق العلماء أنّ العين و تأثيرها لايكون إلّا في أراذل الناس، كما أوضحناه في شرح كتاب التوحيد للصدوق و بقي عليّ عليه السلام و معه الراية يقاتلهم في نفر قليل من بني‌هاشم. و مرّ المنهزمون برسول الله ﷺ لا يلوون على شيء و كان العبّاس آخذاً بلجام بغلته فناداهم: يا أصحاب بيعة الشجرة، إلى أين تفرّون عن رسول الله؟ فرجع أكثرهم و رجعت الأنصار فكسروا أجفان سيوفهم و أحسنوا القتال و انهزمت هوازن. فغنم المسلمون أموالهم و ستّة آلاف من ذراريهم ، فأرسل بها إلى الجعرانة و خرج إلى قسمتها بعد محاصرة الطائف و لم‌يقسم للأنصار يومئذ و قال لهم: إنّ الناس يرجعون إلى رحالهم

١ـ تفسير القمّيّ ١ / ٢٨٤ ـ ٢٨٥.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٢٥٩.
٣ـ مجمع البيان ٥ / ٢٨.

بالشاة و العير و أنتم ترجعون برسول الله ﷺ فرضوا بذلك.

[٢٦] «ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلىٰ رَسُولِهِ وَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَ أَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَ عَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ ذٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ».

«سكينته»؛ أي: رحمته التي تسكن إليها النفس و يزول معها الخوف. «على رسوله و على المؤمنين» حين رجعوا إليهم و قاتلوهم. و قيل: على المؤمنين الذين ثبتوا مع رسول الله ﷺ. و عن أبي الحسن الرضا عليه السلام: السكينة ريح من الجنّة تخرج طيبة لها صورة كصورة وجه الإنسان تكون مع الأنبياء. «و أنزل جنوداً». يعني الملائكة. قيل: إنّ الملائكة لم تقاتل إلّا يوم بدر، ولكنّها نزلت لتقوية قلوب المؤمنين و تشجيعهم. «و عذّب الذين كفروا» بالقتل و الأسر و سلب الأموال و الأهل و الأولاد.(١)

«جنوداً». يعنى الملائكة. و كانوا ثمانية آلاف. و قيل: ستّة عشر ألفاً.(٢)

«و عذّب الذين». قال رجل من المشركين ـ و هو أسير في أيدي المسلمين ـ: أين الخيل البلق والرجال عليهم الثياب البيض؟ فإنّما كان قتلنا بأيديهم و ماكنّا نراكم فيهم إلّا كهيئة الشامة. قالوا: تلك الملائكة.(٣)

[٢٧] «ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ عَلىٰ مَنْ يَشَاءُ وَ اللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ».

«ثمّ يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء» منهم بالتوفيق للإسلام و يتجاوز عنهم. روي: انّ ناساً جاؤوا إلى رسول الله ﷺ فأسلموا و قالوا: يا رسول الله، أنت خير الناس و أبرّهم و قد سبي أهلونا و أولادنا و قد أخذت أموالنا. فقال: اختاروا؛ إمّا سباياكم و إمّا أموالكم. فقالوا: ماكنّا نعدل بالأحساب شيئاً. فقال رسول الله للمسلمين: إنّهم اختاروا الاحساب. فمن بيده سبي و طابت نفسه أن يردّه، فشأنه. ومن لاتطيب، فليعطنا وليكن

١ـ مجمع البيان ٥ / ٢٨.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٢٦٠.
٣ـ تفسير القمّيّ ١ / ٢٨٨.

قرضاً علينا حتّى نصيب شيئاً فنعطيه مكانه. فقالوا: رضينا و سلّمنا.[١]

[۲۸] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هٰذَا وَ إِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ».

«نجس». يقال: رجل نجس و قوم نجس ، لأنّه مصدر. يعني أنّ المشركين أنجاس فامنعوهم عن المسجد الحرام. والعام هو سنة تسع الذي نادى عليّ عليه السلام فيه بالبراءة و قال: لايحجّن بعد هذا العام مشرك. و اختلف في نجاسة الكافر. فقال قوم من الفقهاء: هو نجس العين. و ظاهر الآية يدلّ عليه. و هو مذهب أصحابنا. و قال آخرون: إنّما سمّاهم الله نجساً لخبث اعتقادهم و أفعالهم و أقوالهم. و أجازوا للذمّيّ دخول المساجد. قالوا: و إنّما يمنعون من دخول مكّة للحجّ. و قال قتادة: سمّاهم نجساً لأنّهم يجنبون و لايغتسلون. فمنعوا من دخول المسجد لأنّ الجنب لايجوز له دخول المسجد. «و إن خفتم عيلة»؛ أي: فقراً و حاجة و كانوا قد خافوا انقطاع المتاجر بمنع المشركين عن دخول الحرم. «يغنيكم الله من فضله»؛ أي: من جهة أخرى بأن يرغّب الناس من أهل الآفاق في حمل الميرة إليكم. فإنّه أسلم أهل نجد و صنعاء و حملوا الطعام إلى مكّة على ظهور الابل و كفاهم الله ما كانوا يتخوّفون. و قيل: معناه: يغنيكم بالجزية المأخوذة من أهل الكتاب. و قيل: بالمطر و النبات. و قوله: «إن شاء الله» إشارة إلى أنّه سبحانه يعلم أنّ منهم من يبقى إلى وقت فتح البلدان و اغتنام أموال الأكاسرة فيستغني منها و منهم من لايبقى.[٢]

«إن شاء». إشارة [إلى] أنّ الغنى من الله لا من الاجتهاد في الطلب.[٣]

[۲۹] «قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَ لَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَ لَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَ

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٠١.
٢ـ مجمع البيان ٥ / ٣٢ ـ ٣٣.
٣ـ مجمع البيان ٥ / ٣٣.

رَسُولُهُ وَ لَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَ هُمْ صَاغِرُونَ».

«لايؤمنون بالله». ـ لأنّ اليهود مثنّية والنصارى مثلّثة ـ و لا بالقيامة لأنّهم فيه على خلاف ما يجب. «الجزية». سمّيت جزية لأنّهم يجزون بها من منّ عليهم بالإعفاء عن القتل. «عن يد»؛ أي: عن طاعة و انقياد منهم. كما يقال: أعطى بيده، إذا انقاد. و اختلف فيمن تضرب عليه الجزية. فعند أبي‌حنيفة أنّها تضرب على كلّ كافر حربيّ و ذمّيّ إلّا على مشركي العرب وحدهم. و عند الشافعيّ لاتؤخذ من مشركي العجم. و المأخوذ عند أبي‌حنيفة في أوّل كلّ سنة من الفقير الذي له كسب اثناعشر درهماً، و من المتوسّط ضعفها، و من المكثر ثمانية و أربعون. و لاتؤخذ من فقير لاكسب له. و عند الشافعيّ تؤخذ في آخر السنة من كلّ واحد دينار فقيراً كان أو غنيّاً كان له كسب أو لم يكن.[۱]

[۳۰] «وَ قَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَ قَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ ذٰلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ».

«عزير». نافع و ابن‌كثير: «عزيرُ» بغير تنوين.[۲]

«يضاهئون ». غير عاصم: «يضاهون» بغير الهمزة.[۳]

«و قالت اليهود عزير ابن الله». مبتدأ و خبر. و عزير اسم أعجميّ، و لعجمته و تعريفه امتنع صرفه. و من نوّن فقد جعله عربيّاً. هو قول ناس منهم ممّن كان بالمدينة. و سبب هذا القول أنّ اليهود قتلوا الأنبياء بعد موسى‌عليه السلام فرفع الله عنهم التوراة و محاها من قلوبهم، فخرج عزير و هو غلام يسيح في الأرض لطلب العلم، فعلّمه جبرئيل‌عليه السلام التوراة فأملاها عليهم عن ظهر لسانه، فقالوا: ماجمع الله التوراة في صدره و هو غلام إلّا لأنّه ابنه. و الدليل على أنّ هذا القول كان فيهم أنّ الآية تليت عليهم فما أنكروا و لاكذّبوا مع تهالكهم على

۱ـ الكشّاف ۲ / ۲۶۲ ـ ۲۶۳.

۲ـ لم‌نعثر عليه فيما حضرنا من المصادر.

۳ـ مجمع البيان ۵ / ۳۵.

التكذيب. «قولهم بأفواههم»؛ أي: قول لايعضده برهان، فما هو إلّا لفظ يفوهون به. «يضاهئون قول الذين كفروا من قبل»؛ أي: قول اليهود الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ يضاهي قول قدمائهم ـ يعني أنّه كفر قديم ـ [أو يضاهئ] قول المشركين: الملائكة بنات الله.(١)

«قالت النصارى المسيح ابن الله». عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لن يغضب لله شيء كغضب الطلح و السدر. إنّ الطلح كان كالأترج و السدر كالبطّيخ. فلمّا قالت اليهود: «يد الله مغلولة» تقبّض حملها فصغر فصار له عجم و اشتدّ العجم. فلمّا قالت النصارى: «المسيح ابن الله» خرج لها هذا الشوك و تقبّض حملها و صار النبق إلى هذا الحمل. و ذهب حمل الطلح إلى أن يقوم قائمنا. ثمّ قال: من سقى طلحة أو سدرة، فكأنّما سقى مؤمناً من ظمأ.(٢)

«قاتلهم الله». عن أميرالمؤمنين عليه السلام: «قاتلهم الله»؛ أي: لعنهم الله. فسمّى اللّعنة قتالاً.(٣)

«قاتلهم الله». أي هم أحقّاء بأن يقال لهم هذا تعجّباً من شناعة قولهم. «أنّى يؤفكون»: كيف يصرفون عن الحقّ؟(٤)

[٣١] «اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَ رُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ وَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَ مَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلٰهاً وَاحِداً لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ».

«اتّخذوا أحبارهم». لأنّهم أطاعوهم في الأمر بالمعاصي كما تطاع الأرباب. «و المسيح». لأنّهم جعلوه ابناً له فأهّلوه للعبادة.(٥)

«و ماأمروا». أي المربوبين، أو الأرباب. فكيف يجوز عبادتهم؟

[٣٢] «يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَ يَأْبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَ لَوْ كَرِهَ

١ـ الكشّاف ٢ / ٢٦٣ ـ ٢٦٤.
٢ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٨٦.
٣ـ الاحتجاج ١ / ٣٧٢.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٢٦٤.
٥ـ الكشّاف ٢ / ٢٦٤ ـ ٢٦٥.

الْكَافِرُونَ».

«يريدون أن يطفئوا». عن أميرالمؤمنين﵇: نزلت في المغيّرين لقوله. يعني أنّهم أثبتوا في الكتاب ما لم يقله الله ليلبسوا على الخليقة، فأعمى الله قلوبهم حتّى تركوا فيه ما دلّ على ما أحدثوه فيه و حرّفوه منه.(١)

و عن الصادق﵇ في حديث طويل ذكر فيه شقّ فرعون بطون الحبالى في طلب موسى﵇: كذلك بنوأميّة و بنوالعبّاس لمّا وقفوا على أنّ زوال ملك الجبابرة على يدي القائم﵇ وضعوا سيوفهم في قتل أهل البيت، طمعاً في قتل القائم﵇ فأبى الله أن يكشف أمره لواحد منهم إلّا أن يتمّ نوره.(٢)

«يريدون». أخبر سبحانه عن هؤلاء الكفّار من اليهود و النصارى أنّهم يريدون أن يطفئوا نور الله و هو القرآن و الإسلام. عن أكثر المفسّرين. و قيل: الدلالة و البرهان، لأنّهما يهتدى بهما كالأنوار. «بأفواههم». يعني به النفخ. و فيه تصغير شأنهم و تضعيف كيدهم. لأنّ الفم يؤثّر في الأنوار الضعيفة لا القويّة. «و يأبى الله»؛ أي: يمتنع.(٣)

«يريدون». مثّل حالهم في طلبهم أن يبطلوا نبوّة محمّدﷺ بالتكذيب بحال من يريد أن ينفخ في نور عظيم منبثّ في الآفاق يريد الله أن يزيده و يبلغه الغاية القصوى من الإشراق و الإضاءة ليطفئه بنفخه و يطمسه. «و يأبى الله»؛ أي: لم يرد الله إلّا أن يتمّ نوره.(٤)

[٣٣] «هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ».

«أرسل». عن أبي‌الحسن﵇: أرسله بولاية عليّ﵇ التي من الهدى و دين الحقّ «ليظهره على الدين كلّه» عند قيام القائم﵇. «و الله متمّ» ولاية القائم «و لو كره الكافرون» بولاية عليّ﵇. قال له محمّد بن الفضيل: هذا تنزيله؟ قال: نعم. أمّا هذا الحرف فتنزيل، و

١ـ الاحتجاج ١ / ٣٧١.
٢ـ كتاب الغيبة للطوسيّ / ١٠٦.
٣ـ مجمع البيان ٥ / ٣٨.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٢٦٥.

أمّا غيره فتأويل.[١]

«بالهدى»؛ أي: الحجج و البيّنات. «و دين الحقّ». هو الإسلام. «ليظهره على الدين»: ليعلي دين الإسلام على جميع الأديان بالحجّة و الغلبة و القهر لها حتّى لايبقى على وجه الأرض دين إلّا مغلوباً و لايغلب أحد أهل الإسلام بالحجّة. و أمّا الظهور بالغلبة، فهو أنّ كلّ طائفة من المسلمين قد غلبوا على ناحية من نواحي أهل الشرك. و قال أبوجعفر عليه السلام: إنّ ذلك يكون عند خروج القائم من آل محمّد عليهم السلام فلايبقى أحد إلّا أقرّ بمحمّد صلى الله عليه و آله. و هو قول السدّي.[٢]

[٣٤] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِنَ الْأَحْبَارِ وَ الرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَ الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَ الْفِضَّةَ وَ لَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ».

«ليأكلون»؛ أي: يأخذون الرشا على الحكم. «و يصدّون»؛ أي: يمنعون غيرهم عن سلوك سبيل الله. «و الذين يكنزون»؛ أي: يجمعون المال و لايؤدّون زكاته. فقد روي عن النبيّ صلى الله عليه و آله أنّه قال: كلّ مال لم يؤدّ زكاته، فهو كنز و إن كان ظاهراً. و كلّ مال أدّيت زكاته، فليس بكنز و إن كان مدفوناً في الأرض. و أكثر المفسّرين على أنّ قوله: «و الذين يكنزون» على الاستئناف و أنّ المراد بذلك مانعو الزكاة من هذه الأمّة.[٣]

«و الذين يكنزون». عن أبي عبدالله عليه السلام قال: موسّع على شيعتنا أن ينفقوا ممّا في أيديهم بالمعروف. فإذا قام قائمنا، حرّم على كلّ ذي كنز كنزه حتّى يأتيه [به] فيستعين به على عدوّه. و هو قول الله عزّوجلّ في كتابه: «و الذين يكنزون الذهب» ـ الآية.[٤]

«الذهب و الفضّة». خصّهما لأنّهما أصل الأموال و كنزهما مستلزم لكنز غيرهما من

١ـ الكافي ١ / ٤٣٢.
٢ـ مجمع البيان ٥ / ٣٨.
٣ـ مجمع البيان ٥ / ٤٠.
٤ـ الكافي ٤ / ٦١.

الأموال غالباً.[١]

[٣٥] «يَوْمَ يُحْمىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوىٰ بِهَا جِباهُهُمْ وَ جُنُوبُهُمْ وَ ظُهُورُهُمْ هٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ».

«يحمى عليها»؛ أي: يوقد على الكنوز أو على الذهب و الفضّة في نار جهنّم حتّى تصير ناراً فتكوى بتلك الكنوز المحماة جنوبهم و جباههم و ظهورهم. إنّما خصّ هذه الأعضاء لأنّها معظم البدن. و قيل: لأنّ صاحب المال إذا رأى فقيراً، قبض جبهته و زوى ما بين عينيه و طوى عنه كشحه و ولّاه ظهره. «هذا ما كنزتم لأنفسكم». يقال لهم في حال الكيّ أو بعده. «فذوقوا» العذاب بسبب ما كنزتم و منعتم حقّ الله منه.[٢]

«لأنفسكم»؛ أي: لتنتفع به نفوسكم و تلتذّ و ماعلمتم الضرر.[٣]

[٣٦] «إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَ قَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ».

«إنّ عدّة الشهور». عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: «إنّ عدّة الشهور» ـ الآية ـ فقال: أمّا السنة فهي جدّي رسول الله صلى الله عليه و آله و شهورها اثناعشر شهراً أميرالمؤمنين إلى المهديّ عليهم السلام. و الأربعة الحرم الذين هم الدين القيّم أربعة منهم باسم واحد: عليّ أميرالمؤمنين، و أبي عليّ بن الحسين، و عليّ بن موسى، و عليّ بن محمّد عليهم السلام. فالإقرار بهؤلاء هو الدين القيّم. فقولوا بهم جميعاً.[٤]

«اثنا عشر» قرأ أبوجعفر: «اثنا عشر» بسكون العين. «عدّة»؛ أي: عدد. «عند الله»؛ أي: في حكم الله. «في كتاب الله»؛ أي: اللّوح المحفوظ. أو: الكتب المنزلة على الأنبياء. أو:

١ـ الكشّاف ٢ / ٢٦٨.
٢ـ مجمع البيان ٥ / ٤٠ ـ ٤١.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٢٦٩.
٤ـ كتاب الغيبة للطوسيّ / ٩٦.

القرآن. أو: الحكم و القضاء و القدر. «يوم خلق». متّصل بقوله: «عند الله». و العامل فيه الاستقرار. «أربعة حرم»: رجب و ذوالقعدة و ذوالحجّة و المحرّم. و معنى حرم أنّه يعظّم انتهاك المحارم فيها أكثر ممّا يعظّم في غيرها. و كانت العرب تعظّمها، حتّى لو أنّ رجلاً لقي قاتل أبيه فيها، لم يهجه لحرمتها. «ذلك الدين القيّم»؛ أي: ذلك الحساب المستقيم الصحيح لا ما كانت العرب تفعله من النسيء. و قيل: معناه: ذلك القضاء المستقيم الحقّ. «فلاتظلموا فيهنّ»؛ أي: في هذه الأشهر كلّها أو في الحرم منها بترك الأوامر و ارتكاب النواهي. «المشركين كافّة»؛ أي: قاتلوهم جميعاً مؤتلفين غير مختلفين، كما يقاتلونكم كذلك. فيكون كافّة حالاً من المسلمين. «مع المتّقين» بالنصرة و الولاية.[1]

«ذلك الدين القيّم»؛ أي: تحريم الأشهر الأربعة هو الدين المستقيم، دين إبراهيم و إسماعيل، أخذته العرب وراثة منهما. «فلاتظلموا فيهنّ»؛ أي: في الحرم. «أنفسكم»؛ أي: لاتجعلوا حرامها حلالاً. و عن عطاء: مايحلّ للناس أن يغزوا في الحرم و لا في الأشهر الحرم إلّا أن يقاتلوا، و مانسخت. و عن عطاء [الخراسانيّ]: أحلّت القتال في الأشهر الحرم براءة من الله.[2]

[٣٧] «إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَاماً وَ يُحَرِّمُونَهُ عَاماً لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَ اللهُ لَايَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ».

«النسيء». أبوجعفر: «النسيّ» بالتشديد من غير همز. و قرأ جعفر بن محمّدعليه‌السلام مخفّفاً على وزن الهَدْي. «إنّما النسيء». يعني تأخير الأشهر الحرم عمّا رتّبها الله عليه. و كانت العرب تحرّم الشهور الأربعة. و ذلك ممّا تمسّكت به من ملّة إبراهيم و إسماعيل. و هم كانوا أصحاب غارات و حروب، فربما كان يشقّ عليهم أن يمكثوا ثلاثة أشهر متوالية لايغزون

١ـ مجمع البيان ٥ / ٤١ ـ ٤٤.

٢ـ الكشّاف ٢ / ٢٦٩.

فيها، فكانوا يؤخّرون تحريم المحرّم إلى صفر فيحرّمونه و يستحلّون المحرّم فيمكثون بذلك زماناً ثمّ يزول التحريم إلى المحرّم. «زيادة في الكفر». لأنّهم أحلّوا ما حرّم الله و بالعكس فأضافوه إلى كفرهم.(١) و الذي كان يقوم [به] رجل من بني كنانة يقال له نعيم، كان رئيس الموسم. كان يقول: أخّرنا حرمة المحرّم إلى صفر. و هكذا في بقيّة الشهور. و قال مجاهد: كان المشركون يحجّون في كلّ شهر. فحجّوا في ذي الحجّة عامين، ثمّ حجّوا في المحرّم عامين، و كذلك باقي الشهور حتّى وافقت حجّة الوداع في ذي الحجّة، فقال ﷺ: ألا إنّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات و الأرض.(٢)

«ليواطئوا عدّة ما حرّم الله»؛ أي: ليوافقوا العدّة التي هي الأربعة و قد خالفوا التخصيص الذي هو أحد الواجبين. و ربما زادوا في عدد الشهور فيجعلونها ثلاثةعشر أو أربعةعشر شهراً ليتّسع لهم الوقت. و لذلك قال الله: «إنّ عدّة الشهور عند الله اثناعشر شهراً» من غير زيادة زادوها.

«يحلّونه عاماً». أي النسيء. أي: إذا أحلّوا شهراً من الأشهر الحرم عاماً، رجعوا فحرّموه في العام القابل.(٣)

«يضلّ». يعقوب بكسر الضاد على أنّ الفعل لله. «ليواطئوا»؛ أي: ليوافقوا عدّة الأربعة المحرّمة. و اللّام متعلّقة بيحرّمونه. «فيحلّوا ما حرّم» لمواطاة العدّة وحدها من غير مراعاة الوقت. «زيّن لهم»؛ أي: خذلهم حتّى حسبوا قبيح أفعالهم حسناً. «لايهدي القوم الكافرين» هداية موصلة إلى الاهتداء.(٤)

[٣٨] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى

١ـ ما يأتي بعد هذه العبارة قول الفرّاء و تلخيص المصنّف عنه لايفيد المعنى. فراجع المصدر.

٢ـ مجمع البيان ٥ / ٤٤ ـ ٤٦.

٣ـ الكشّاف ٢ / ٢٧٠.

٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٠٤.

الْأَرْضِ أَ رَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ».

«اثّاقلتم». بعضهم لا كلّهم لمكان الحرّ و إدراك الثمار.[١]

«اثّاقلتم»؛ أي: تباطأتم «إلى الأرض». ضمن معنى الميل فعدّي بإلى. و كان ذلك في غزوة تبوك أمروا بها بعد رجوعهم من الطائف في وقت عسرة و قيظ مع بعد الشقّة و كثرة العدوّ فشقّ عليهم. «إلى الأرض»؛ أي: أرضكم و دياركم. «من الآخرة»: بدل الآخرة و نعيمها. «متاع»؛ أي التمتّع بها. «في الآخرة»؛ أي: في جنب الآخرة.[٢]

[٣٩] «إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَ يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَ لَا تَضُرُّوهُ شَيْئاً وَ اللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

«إلّاتنفروا» إلى ما استنفرتم إليه. «عذاباً» بالإهلاك بسبب فظيع كقحط و ظهور عدوّ. «غيركم». أي مطيعين كأهل اليمن و أبناء فارس. «و لاتضرّوه»؛ أي: لايقدح تثاقلكم في نصرة دينه. فإنّه الغنيّ عن كلّ شيء. و قيل: الضمير للرسول. لأنّ الله وعده العصمة.[٣]

[٤٠] «إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَ أَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَ جَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا وَ اللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ».

أعلمهم سبحانه أنّهم إن تركوا نصرة رسوله ﷺ لم يضرّه ذلك، كما لم يضرّه قلّة ناصريه بمكّة و همّ به الكفّار فتولّى الله نصرته. «إذ أخرجه الذين كفروا» من مكّة [فخرج] يريد المدينة. «ثاني اثنين»: هو و أبوبكر. و معناه: نصره الله منفرداً [من كلّ شيء] إلّا من أبي بكر. و الغار غار ثور جبل بمكّة. «إذ يقول» لأبي بكر: لاتخف. إنّ الله مطّلع علينا يحفظنا و ينصرنا. و لمّا دخل الغار، أرسل الله زوج حمام حتّى باضا في أسفل الغار و العنكبوت نسج

١ـ مجمع البيان ٥ / ٤٧. ٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٠٤ ـ ٤٠٥.

٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٠٥.

بيتاً فأعمى الله أبصارهم عن دخول الغار. و جاء فارس من الملائكة في صورة الإنس فوقف على باب الغار و هو يقول: اطلبوه في هذه الشعاب، فليس هاهنا. «سكينته عليه»؛ أي: ألقى في قلب النبيّ ﷺ ما سكن به و علم أنّهم غير واصلين إليه. «و أيّده بجنود»؛ أي: بملائكة يصرفون وجوه الكفّار عن أن يروه. و قيل: المراد به يوم بدر. و قال بعضهم: يجوز أن يكون الضمير في عليه راجعة إلى أبي‌بكر. و هو بعيد. لأنّ الضمائر قبل هذا و بعده تعود إلى النبيّ بلا خلاف، فكيف يتخلّلها ضمير يرجع إلى غيره؟ هذا، و قد قال الله في هذه السورة: «ثمّ أنزل الله سكينته على رسوله و على المؤمنين».[١] و كذلك في سورة الفتح. «كفروا». أي: جعل كلمتهم نازلة دنيّة أو أراد أنّه أسفل وعيدهم النبيّ ﷺ و تخويفهم إيّاه و أبطله بأن نصره عليهم، فعبّر عن ذلك بأنّه جعل كلمتهم السفلى. «و كلمة الله هي العليا»؛ أي: المرتفعة المنصورة. و قيل: إنّ كلمة الكفّار هي كلمة الشرك. و كلمة الله هي كلمة التوحيد. أي: جعل الله المشركين أذلّة أسفلين و أعزّ الإسلام و المسلمين.[٢]

«ثاني». حال. و «إذ هما» بدل.[٣]

«لصاحبه». عن أبي عبدالله عليه السلام: قد أخذته الرعدة. فلمّا رأى رسول الله ﷺ حاله قال له: تريد أن أريك أصحابي من الأنصار في مجالسهم يتحدّثون و أريك جعفراً و أصحابه في البحر يغوصون؟ قال: نعم. فمسح بيده على وجهه، فرآهم. فأضمر تلك الساعة أنّه ساحر.[٤]

«سكينته». عن الرضا عليه السلام: «سكينته على رسوله». هكذا نزلت.[٥]

«كلمة الذين كفروا». عن أبي‌الحسن عليه السلام: هو الكلام الذي تكلّم به عتيق.[٦]

«و كلمة الله هي العليا». أي بلا جعل جاعل. لأنّه لايجوز أن يدعو إلى خلاف

١ـ التوبة (٩) / ٢٦.
٢ـ مجمع البيان ٥ / ٤٨ ـ ٥٠.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٢٧٢.
٤ـ الكافي ٨ / ٢٦٢ ـ ٢٦٣، ح ٣٧٧.
٥ـ الكافي ٨ / ٣٧٨.
٦ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٨٩.

الحكمة.[١]

«ثاني اثنين». ورد في الأخبار أنّ النبيّ ﷺ لمّا خرج إلى الغار لقي أبابكر في الطريق و أخذه معه خوفاً من أن يدلّ الكفّار عليه. و أمّا إطلاق الصاحب عليه فقد أطلقه الله على الكافر في قوله: «إذ يقول لصاحبه و هو يحاوره».[٢] و على الحمار أطلق في فصيح الكلام: و إذا خلوت به فبئس الصاحب! و أمّا حزنه و رعدته ، فقد قصد بها إسماع المشركين صوته ليستدلّوا به على وجود النبيّ ﷺ. و الكلام هنا طويل جدّاً. و قد فصّلنا في كتابنا الموسوم بالأنوار النعمانيّة.

[٤١] «انْفِرُوا خِفافاً وَ ثِقَالاً وَ جَاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ في سَبِيلِ اللهِ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ».

«انفروا». أي غزو هرقل ملك الروم لمّا سمعوا أنّه يريد غزو الإسلام. (ع)

«انفروا»؛ أي: اخرجوا إلى الغزو. «خفافاً و ثقالاً»؛ أي: شيوخاً و شبّاناً. أو: أغنياء و فقراء. لأنّ الغنيّ مثقل. و الأولى أن يكون معناه: خفّ عليكم أو ثقل. «و جاهدوا بأموالكم». يدلّ على أنّ الجهاد بالنفس و المال واجب على من استطاع بهما. «ذلكم خير لكم»؛ أي: الخروج إلى الجهاد خير من ترك الجهاد إلى مباح. «إن كنتم تعلمون» أنّ الله صادق في وعده و وعيده. قال السدّيّ: لمّا نزلت هذه الآية، اشتدّ شأنها على الناس، فنسخها الله بقوله: «ليس على الضعفاء و لا على المرضى» ـ الآية[٣].[٤]

[٤٢] «لَوْ كَانَ عَرَضاً قَرِيباً وَ سَفَراً قَاصِداً لاَتَّبَعُوكَ وَ لٰكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَ سَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَ اللهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ».

١ـ مجمع البيان ٥ / ٤٩.

٢ـ في سورة الكهف (١٨) الآية ٣٤: «فقال لصاحبه و هو يحاوره أنا أكثر منك مالاً...». و في الآية ٣٧: «قال له صاحبه و هو يحاوره: أكفرت بالّذي...». و ما أطلق فيها ـ كما ترى ـ لفظ الصاحب للكافر بل أطلق لمن كان معه.

٣ـ التوبة (٩) / ٩١.

٤ـ مجمع البيان ٥ / ٥٠ ـ ٥١.

«عرضاً». العرض: ما عرض لك من منافع الدنيا.[١]

«لو كان عرضاً قريباً»؛ أي: غنيمة حاضرة. «قاصداً»؛ أي: قريباً هيّناً غير شاقّ. «لاتّبعوك» في طلب المال. «ولكن بعدت عليهم الشقّة»؛ أي: المسافة. يعني غزوة تبوك أمروا فيها بالخروج إلى الشام. «و سيحلفون». معناه: انّ هؤلاء سيعتذرون إليك في قعودهم عن الجهاد و يحلفون لو تمكّنّا من الخروج، لخرجنا معكم. ثمّ أخبر سبحانه أنّهم «يهلكون أنفسهم» بما أسرّوه من الشرك أو اليمين الكاذبة و العذر الباطل لما يستحقّون عليها من العذاب. «و الله يعلم» كذبهم في هذا الاعتذار. فوقع ما أخبر به النبيّ من الحلف. و فيه دلالة على أنّ القدرة قبل الفعل.[٢]

«و سيحلفون» ـ يعني المتخلّفين عند رجوعك من غزوة تبوك معتذرين يقولون: بالله «لو استطعنا لخرجنا معكم»: لو استطعنا استطاعة العدّة أو الأبدان. كأنّهم تمارضوا. «يهلكون». إمّا أن يكون بدلاً من سيحلفون، أو حالاً بمعنى مهلكين، و معناه أنّهم يوقعونها في الهلاك بالحلف الكاذب.[٣]

[٤٣] «عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ تَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ».

«عفا الله». عن الرضا عليه السلام لمّا سأله المأمون عن هذه الآية و أنّها منافية لعصمة الأنبياء فقال عليه السلام: هذا ممّا نزل بإيّاك أعني و اسمعي يا جارة. خاطب نبيّه بذلك و المراد منه أمّته. كقوله: «لئن أشركت ليحبطنّ عملك»[٤].[٥]

«عفا الله عنك». ثمّ خاطب النبيّ بما فيه بعض العتاب في إذنه لمن استأذنه في التأخير عن الخروج معه إلى تبوك فقال: «عفا الله عنك». لأنّه كان الأولى أن يلزمهم الخروج معه حتّى إذا لم يخرجوا معه ظهر نفاقهم. لأنّه متى أذن لهم ثمّ تأخّروا، لم يعلم أنّ التأخّر كان لنفاقهم أو

١ـ الكشّاف ٢ / ٢٧٣.
٢ـ مجمع البيان ٥ / ٥٠.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٢٧٣ ـ ٢٧٤.
٤ـ الزمر (٣٩) / ٦٥.
٥ـ عيون الأخبار ١ / ٢٠٢.

لغيره. قال قتادة: اثنان فعلهما النبيّ لم يؤمر بهما: إذنه للمنافقين؛ و أخذه الفداء من الأسارى. فعاتبه الله كما تسمعون. و هذا من لطيف المعاتبة؛ بدأ بالعفو قبل العتاب. قال الجبّائيّ: قد كان هذا صغيرة. لأنّه لايقال في المباح: لم فعلته؟ و هذا غير صحيح لأنّه يجوز أن يقال فيما غيره أفضل منه: لم فعلته؟ و كيف يكون إذنه لهم قبيحاً و قد قال في موضع آخر: «فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم»؟[١] و قيل: معناه: أدام الله لك العفو؛ لم أذنت لهؤلاء في الخروج؟ لأنّهم استأذنوا فيه تملّقاً و لو خرجوا لازدادوا الفساد و لم يعلم النبيّ صلى الله عليه وآله ذلك من سريرتهم.[٢]

[٤٤] «لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ وَ اللهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ».

بيّن حال المؤمنين والمنافقين في الاستئذان. «لايستأذنك»؛ أي: لا يطلب منك الإذن في القعود عن الجهاد معك بالمعاذير الفاسدة. و قيل: معناه: لايستأذنك [في] الخروج ، لأنّه مستغن عنه بدعائك إلى ذلك ، بل يتأهّب له. «أن يجاهدوا»: في أن يجاهدوا. «إنّما يستأذنك» في التأخّر عن الجهاد. و قيل: في الخروج ، لأنّهم يستأذنون تملّقاً.[٣]

[٤٥] «إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ ارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ».

«و ارتابت»: اضطربت و شكّت. «يتردّدون»؛ أي: في شكّهم يذهبون و يرجعون. و أراد به المنافقين. أي: يتوقّعون الإذن لشكّهم في دين الله و فيما وعد المجاهدين.[٤]

«يتردّدون» ؛ أي: يتحيّرون. لأنّ التردّد ديدن المتحيّر.[٥]

١ـ النور (٢٤) / ٦٢.
٢ـ مجمع البيان ٥ / ٥١ ـ ٥٢.
٣ـ مجمع البيان ٥ / ٥٢ ـ ٥٣.
٤ـ مجمع البيان ٥ / ٥٣.
٥ـ الكشّاف ٢ / ٢٧٥.

[٤٦] «وَ لَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَ لٰكِنْ كَرِهَ اللهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَ قِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ».

«و لو أرادوا الخروج»؛ أي: الخروج مع النبيّ ﷺ نصرة له، كما أراد المؤمنون كذلك، «لأعدّوا» للخروج عدّة كالسلاح. «انبعاثهم»؛ أي: خروجهم إلى الغزو، لعلمه أنّهم لو خرجوا لكانوا يمشون بالنميمة بين المسلمين و كانوا عيوناً للمشركين. «فثبّطهم» عن هذا الخروج لا الذي أمرهم به لأنّه طاعة. و بالجملة، فالذي كرهه غير الذي أمر به. «مع القاعدين»؛ أي: النساء و الصبيان. و يحتمل أن يكون القائلون لهم ذلك أصحابهم الذين نهوهم عن الخروج مع النبيّ ﷺ للجهاد.(١)

«ولكن». كأنّه قيل: ماخرجوا ولكن تثبّطوا عن الخروج.(٢)

«عدّة». عنه ﷺ: العدّة النيّة.(٣)

[٤٧] «لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالاً وَ لَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَ فِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَ اللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ».

«لو خرجوا»؛ أي: لو خرج هؤلاء المنافقون معكم إلى الجهاد، مازادوكم إلّا شرّاً و فساداً و تجنّباً عن لقاء العدوّ. «و لأوضعوا خلالكم»؛ أي: لأسرعوا في الدخول بينكم بالفساد و النميمة. و التقدير: و لأوضعوا إبلهم خلالكم يتخلّل الراكب الرجلين حتّى يدخل بينهما فيقول ما لاينبغي. «يبغونكم»؛ أي: يبغون لكم المحنة باختلاف الكلمة و الفرقة . أو: يبغون أن تكونوا مشركين. «سمّاعون»؛ أي: عيون للمنافقين ينقلون إليهم ما يسمعون منكم. «بالظالمين»: المنافقين الذين ظلموا أنفسهم.(٤)

[٤٨] «لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَ قَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَ ظَهَرَ أَمْرُ اللهِ وَ

١ـ مجمع البيان ٥ / ٥٤.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٢٧٥.
٣ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٨٩، ح ٦٠.
٤ـ مجمع البيان ٥ / ٥٥.

هُمْ كَارِهُونَ».

«لقد ابتغوا الفتنة»؛ أي: لقد طلب هؤلاء المنافقون اختلاف كلمتكم و تفرّق آرائكم «من قبل» غزوة تبوك؛ أي: في يوم أحد حيث انصرف عبدالله بن أبيّ بأصحابه و خذل النبيّ ﷺ فصرف الله عن المسلمين فتنتهم. و قيل: أراد بالفتنة صرف الناس عن الايمان و إلقاء الشبهة إلى ضعفاء المسلمين. و قيل: أراد بالفتنة الفتك بالنبيّ في غزوة تبوك ليلة العقبة. و كانوا اثني‌عشر رجلاً من المنافقين وقفوا على الثنيّة ليفتكوا بالنبيّ. «و قلّبوا لك»؛ أي: احتالوا في توهين أمرك و إيقاع الاختلاف بين المؤمنين و في قتلك بكلّ ما أمكنهم فيه فلم‌يقدروا عليه. و قيل: إنّهم كانوا يريدون في كيده وجهاً من التدبير، فإذا لم يتمّ ذلك، تركوه و طلبوا غيره. فهذا تقليب الأمور. «جاء الحقّ»؛ أي النصر الذي وعده الله و ظهر دين الإسلام.[1]

[٤٩] «وَ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَ لَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ».

«و منهم من يقول». النزول: قيل: إنّ رسول الله ﷺ لمّا استنفر الناس إلى تبوك قال: انفروا لعلّكم تغنمون بنات الأصفر. فقال جدّ بن قيس من بني‌الخزرج: ائذن لي و لاتفتنّي ببنات الأصفر. فإنّي أخاف أن أفتتن بهنّ. فقال: إنّي أذنت لك. فنزلت. «و منهم»؛ أي: من المنافقين. «ائذن لي» في القعود عن الجهاد. «و لاتفتنّي» ببنات الأصفر. يعني بنات الروم. و قيل: معناه : لاتوقعني في الإثم بالعصيان لمخالفة أمرك في الخروج إلى الجهاد و ذلك غير متيسّر لي. «سقطوا»؛ أي: في العصيان و الكفر وقعوا بمخالفتهم أمرك في الخروج إلى الجهاد. و قيل: معناه: لاتعذّبني بتكليف الخروج في شدّة الحرّ. ألا قد سقطوا في حرّ أعظم من ذلك و هو حرّ جهنّم. كما قال: «لاتنفروا في الحرّ» ـ الآية. «لمحيطة»؛ أي: ستحيط بهم.[2]

١ـ مجمع البيان ٥ / ٥٥ ـ ٥٦.
٢ـ مجمع البيان ٥ / ٥٦ ـ ٥٧.

«لمحيطة»: محيطة بهم الآن. لأنّ أسباب الإحاطة معهم فكأنّهم في وسطها.[١]

[٥٠] «إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَ إِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَ يَتَوَلَّوْا وَ هُمْ فَرِحُونَ».

«إن تصبك». خطاب للنبيّ صلى الله عليه وآله. «حسنة»؛ أي: فتح و غنيمة، يحزن المنافقون. «مصيبة»؛ أي: شدّة و آفة. «أخذنا أمرنا»: حذرنا و احترزنا بالقعود من قبل هذه المصيبة؛ أي: سلمنا من مواقع الهلاك. «و يتولّوا»؛ أي: رجعوا إلى بيوتهم فرحين بما أصاب المؤمنين من الشدّة.[٢]

«من قبل» بالتخلّف عن المؤمنين.

«مصيبة» مثل ما جرى يوم أحد. «أمرنا»: الحذر و التيقّظ. «من قبل» ما وقع.[٣]

[٥١] قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَ عَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ».

«ما كتب الله لنا»؛ [أي: كلّ ما يصيبنا] من خير أو شرّ، فهو ممّا كتبه الله في اللّوح المحفوظ من أمرنا، و ليس على ما تظنّون من إهمالنا من غير أن يرجع أمرنا إلى تدبيره. «هو مولانا» يتولّى أمورنا و لانتوكّل إلّا عليه.[٤]

«ما كتب الله لنا» لايتغيّر بموافقتكم و لا مخالفتكم.[٥]

[٥٢] «قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَ نَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ».

«قل» لهؤلاء المنافقين: هل تنتظرون بنا إلّا إحدى الخصلتين الحميدتين: إمّا الغلبة و الغنيمة في العاجل، و إمّا الشهادة مع الثواب الدائم في الآجل؟ و نحن نتوقّع لكم أن يوقع الله

١ـ الكشّاف ٢ / ٢٧٧.
٢ـ مجمع البيان ٥ / ٥٧.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٢٧٨.
٤ـ مجمع البيان ٥ / ٥٧ ـ ٥٨.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٠٨.

بكم عذاباً من عنده يهلككم به أو بأن ينصرنا عليكم فيقتلكم بأيدينا. «فتربّصوا». أمر معناه التهديد. كقوله: «اعملوا ما شئتم».(١) و قيل: تربّصوا مواعيد الشيطان في إبطال دين الله. و نحن متربّصون مواعيد الله في إظهار دينه و نصرة نبيّه.(٢)

عن أبي جعفرعليه السلام: «إحدى الحسنيين» إمّا موت في طاعة الله أو إدراك ظهور إمام. و نحن نتربّص بهم أن يصيبهم الله بعذاب من عنده. قال: هو المسخ «أو بأيدينا». هو القتل.(٣)

«بعذاب». و هو قارعة من السماء كما نزلت على عاد و ثمود.(٤)

[٥٣] «قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْماً فَاسِقِينَ».

«قل». أمر على صورة الخبر؛ كقوله: «قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمـن».(٥)

«طوعاً أو كرهاً»؛ أي: طائعين من غير إلزام من الله و رسوله أو ملزمين. و سمّي الإلزام إكراهاً لأنّهم منافقون فكان إلزامهم الإنفاق شاقّاً عليهم كالإكراه. أو: طائعين من غير إكراه من رؤسائكم ـ لأنّ رؤساء أهل النفاق كانوا يحملون على الإنفاق لما يرون من المصلحة فيه ـ أو مكرهين من جهتهم. و روي أنّ الآية نزلت في الجدّ بن قيس حين تخلّف عن غزوة تبوك و قال لرسول الله صلى الله عليه وآله: هذا مالي أعينك به و اتركني.(٦)

«قل أنفقوا». بيّن سبحانه أنّ هؤلاء المنافقين لاينتفعون بما ينفقونه. «طوعاً أو كرهاً»؛ أي: طائعين أو مكرهين. لأنّهم فاسقون متمرّدون عن طاعة الله.(٧)

«إنّكم كنتم». تعليل له على سبيل الاستئناف و ما بعده بيان له.(٨)

[٥٤] «وَ مَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَ بِرَسُولِهِ وَ لَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَ هُمْ كُسَالَىٰ وَ لَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَ هُمْ كَارِهُونَ».

١ـ فصّلت (٤١) / ٤٠.
٢ـ مجمع البيان ٥ / ٥٨.
٣ـ الكافي ٨ / ٢٨٦ ـ ٢٨٧.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٢٧٨.
٥ـ مريم (١٩) / ٧٥.
٦ـ الكشّاف ٢ / ٢٨٠.
٧ـ مجمع البيان ٥ / ٥٩.
٨ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٠٨.

«تقبل». حمزة و الكسائيّ: «يقبل» بالياء. لأنّ تأنيث النفقات غير حقيقيّ. «كسالى»: متثاقلين. «و لاينفقون». لأنّهم لايرجون بها ثواباً و لايخافون على تركها عقاباً.[۱]

«كارهون». فإن قلت: الكراهية خلاف الطواعية. و قد جعلهم الله طائعين في قوله: «طوعاً» ثمّ وصفهم بأنّهم لاينفقون إلّا و هم كارهون. قلت: المراد بطوعهم أنّهم يبذلونه من غير إلزام من رسول الله ﷺ أو من رؤسائهم و ما طوعهم ذلك إلّا عن كراهة و اضطرار.[۲]

«و مامنعهم أن تقبل». عن أبي عبدالله عليه السلام: لاينفع مع الكفر عمل. ثمّ قرأ: «و ما منعهم» ـ الآية.[۳]

[٥٥] «فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَ لَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ تَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَ هُمْ كَافِرُونَ».

«إنّما يريد الله». فإن قلت: إن صحّ تعليق التعذيب بإرادة الله، فما بال زهوق أنفسهم و هم كافرون؟ قلت: المراد الاستدراج بالنعم. كقوله: «إنّما نملي لهم ليزدادوا إثماً».[٤] كأنّه قيل: و يريد أن يديم عليهم نعمته إلى أن يموتوا وهم كافرون ملتهون بالتمتّع عن النظر للعاقبة.[٥]

«ليعذّبهم» بسبب ما يكابدون لجمعها من المتاعب و ما يرون فيها من الشدائد و المصائب. «و هم كافرون»: فيموتوا كافرين مشتغلين بالتمتّع عن النظر في العاقبة فيكون ذلك استدراجاً لهم. و أصل الزهوق: الخروج بصعوبة.[٦]

[٥٦] «وَ يَحْلِفُونَ بِاللهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَ لٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ».

«لمنكم»: من جملة المسلمين. «و ما هم منكم» لكفر قلوبهم. «يفرقون»: يخافون منكم أن تفعلوا بهم ما تفعلون بالمشركين فيظهرون الإسلام تقيّة.[۷]

۱ـ تفسير البيضاويّ ۱ / ٤۰۸.
۲ـ الكشّاف ۲ / ۲۸۰.
۳ـ الكافي ۲ / ٤٦٤، ح ۳.
٤ـ آل عمران (۳) / ۱۷۸.
٥ـ الكشّاف ۲ / ۲۸۰.
٦ـ تفسير البيضاويّ ۱ / ٤۰۸.
۷ـ تفسير البيضاويّ ۱ / ٤۰۸.

[٥٧] «لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلاً لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَ هُمْ يَجْمَحُونَ».

«مدّخلاً». يعقوب: «مدخلاً» بفتح الميم. «لو يجدون ملجأ» ـ الآية ـ أي: لو يجدون هذه المذكورات لدخولها على خلاف رسول الله ﷺ عدلوا إليها. و قيل: لأعرضوا عنكم [إليه]. و معنى الآية: انّهم من حيث خبث سريرتهم و حرصهم على إظهار ما في نفوسهم من النفاق، لو أصابوا شيئاً من هذه الأشياء، لولّوا إليه ليجاهروا بما يضمرونه و أعرضوا عنك.(١)

«ملجأ»: مكاناً يلجؤون إليه متحصّنين به من رأس جبل و قلعة أو جزيرة. «أو مغارات»؛ أي: غيراناً. «أو مدّخلاً»؛ أي: نفقاً يندسّون فيه و ينجحرون. «و هم يجمحون»؛ أي: يسرعون إسراعاً لايردّهم شيء مثل الفرس الجموح؛ و هو الذي إذا حمل لم يردّه اللّجام.(٢)

«مدّخلاً». أصله: مدتخلاً فقلب و أدغم. (ع)

[٥٨] «وَ مِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَ إِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ».

«من يلمزك». لأنّه ﷺ استعطف قلوب أهل مكّة بتوفير الغنائم عليهم. أي: يعيبك في قسمة الصدقات و يطعن عليك. قيل: هم المؤلّفة قلوبهم. و قيل: هو ابن ذي الخويصرة رأس الخوارج. كان رسول الله ﷺ يقسم غنائم حنين، فقال: اعدل يا رسول الله. فقال: ويلك! إن لم أعدل، فمن يعدل؟ و قيل: هو أبوالجواظ من المنافقين. فقال: ألاترون إلى صاحبكم إنّما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم و هو يزعم أنّه يعدل! فقال رسول الله ﷺ: لا أباً لك! أما كان موسى راعياً؟ أما كان داوود راعياً؟ فلمّا ذهب قال ﷺ: احذروا هذا و أصحابه؛ فإنّهم منافقون.(٣)

١ـ مجمع البيان ٥ / ٦٢. ٢ـ الكشّاف ٢ / ٢٨١.

٣ـ الكشّاف ٢ / ٢٨١ ـ ٢٨٢.

«يلمزك». يعقوب بضمّ الميم.[١]

«فإن أعطوا منها رضوا». عن أبي عبدالله عليه السلام: هم أكثر من ثلثي الناس.[٢]

[٥٩] «وَ لَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللهُ وَ رَسُولُهُ وَ قَالُوا حَسْبُنَا اللهُ سَيُؤْتِينَا اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ رَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللهِ رَاغِبُونَ».

«و لو أنّهم». جواب لو محذوف. أي: لكان خيراً لهم [ما آتاهم الله] و رسوله من الغنيمة و إن قلّ. «حسبنا» ما قسم لنا، سيرزقنا غنيمة فيؤتينا أكثر من هذا اليوم. «راغبون» في أن يغنمنا و يخوّلنا فضله.[٣]

[٦٠] «إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَ الْمَسَاكِينِ وَ الْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَ فِي الرِّقَابِ وَ الْغَارِمِينَ وَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللهِ وَ اللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ».

«إنّما الصدقات»؛ أي: زكاة الأموال. و الفقراء و المساكين، قيل: هما صنف واحد و ذكر الثاني تأكيداً. و الأكثرون على أنّهما صنفان. و في الفرق أقوال. و المرويّ عن أبي جعفر عليه السلام أنّ الفقير هو المتعفّف الذي لايسأل، و المسكين الذي يسأل.[٤] «و العاملين عليها»: سعاة الزكاة و جباتها. و أمّا المؤلّفة فكانوا قوماً من الأشراف زمن النبيّ صلى الله عليه و آله فكان يطيعهم سهماً من الزكاة يتألّفهم به على الإسلام و يستعين بهم على قتال العدوّ. و عن أبي جعفر عليه السلام أنّه ثابت بعد النبيّ بشرط الإمام العادل.[٥]

«و في الرقاب»؛ أي: في فكّ الرقاب من العتق. و أراد به المكاتبين أو العبيد تحت الشدّة يشترون من الزكاة فيعتقون. «و الغارمين». و هم الذين ركبتهم الديون في غير معصية و لا

١ـ مجمع البيان ٥ / ٦٢.
٢ـ الكافي ٢ / ٤١٢، ح ٤.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٢٨٢.
٤ـ ما ذكره المؤلّف رحمه الله في شرح الآية مقتبس من مجمع البيان. و فيه بعد ذكر هذا القول: «عن ابن عبّاس». ثمّ قال بعد نقل قول آخر: «و روي ذلك عن أبي جعفر عليه السلام». فالظاهر أنّه رحمه الله أخطأ في النسبة إلّا أن يحتمل سقط في النسخة الموجودة عنده ⇦ ⇨ من المجمع.
٥ـ مجمع البيان ٥ / ٦٥.

إسراف يقضى عنهم ديونهم. «و في سبيل الله». و يدخل فيه جميع مصالح المسلمين عند أصحابنا. «و ابن السبيل»: المسافر المنقطع به و إن كان غنيّاً في بلده.[١]

«فريضة». في معنى المصدر المؤكّد. لأنّ قوله: «إنّما الصدقات» معناه: فرض الله الصدقات لهم. فإن قلت: لم عدل عن اللّام إلى في الأربعة الأخيرة؟ قلت: للإيذان بأنّهم أرسخ في استحقاق التصدّق عليهم ممّن سبق ذكره. لأنّ في للوعاء. فنبّه على أنّهم أحقّاء بأن توضع فيهم الصدقات و يجعلوا مظنّة لها و مصبّاً. و ذلك لما في فكّ الرقاب [من الكتابة أو الرقّ أو الأسر و في فكّ الغارمين من الغرم] من التخليص و الإنقاذ [و لجمع الغازي الفقير أو المنقطع في الحجّ بين الفقر و العبادة] و كذلك ابن السبيل جامع بين الفقر و الغربة عن الأهل. و تكرير في في قوله: «و في سبيل الله و ابن السبيل» فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب و الغارمين. و أمّا وقوع هذه الآية في تضاعيف ذكر المنافقين و مكايدهم، فللدلالة بكون هذه الأصناف مصارف الصدقات خاصّة دون غيرهم على أنّهم ليسوا منهم حسماً لأطماعهم و إشعاراً بأنّهم بعداء عن مصارفها. فما لهم و ما لها؟ و ما سلّطهم على التكلّم فيها و لمن قاسمها؟[٢]

ذهب أصحابنا و أكثر العامّة إلى أنّ الأصناف إشارة إلى مصرف الزكاة، فيجوز إعطاؤها الصنف. و ذهب الشافعيّ و جماعة إلى أنّ الواجب قسمتها على الأصناف. و تحقيق الكلام في مكان آخر.

[٦١] «وَ مِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَ يَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَ يُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ رَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ الَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ».

«يؤذون النبيّ». قيل: نزلت في رجل من المنافقين يقال له نبيل[٣] بن الحارث. و كان ينمّ

١ـ مجمع البيان ٥ / ٦٥.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٢٨٣ ـ ٢٨٤.
٣ـ المصدر: نبتل.

حديث النبيّ ﷺ إلى المنافقين. فقيل له: لاتفعل. فقال: إنّما محمّد أذن؛ من حدّثه شيئاً، صدّقه. نقول ما نشاء، ثمّ نأتيه و نحلف فيصدّقنا. و هو الذي قال فيه النبيّ ﷺ: من أراد أن ينظر إلى الشيطان، فلينظر إلى نبيل بن الحارث. «أذن خير». في رواية أبي‌بكر عن عاصم: «أذن خير» بالضمّ و التنوين فيهما. أي: كونه أذناً خير لكم، لأنّه يقبل عذركم و يستمع إليكم. و لو لم يقبل عذركم، لكان شرّاً لكم. فكيف تعيبونه بما هو خير لكم و أصلح؟[١]

«قل أذن». نافع بسكون الذال فيهما. «و يقولون هو أذن»؛ أي: يسمع كلّ ما يقال له و يصدّقه. سمّي بالجارحة للمبالغة؛ كأنّه من فرط استماعه صار جملته آلة السماع. كما سمّي الجاسوس عيناً. روي أنّهم قالوا: محمّد أذن سامعة نقول ما نشاء، ثمّ نأتيه فيصدّقنا بما نقول. «أذن خير لكم». تصديق لهم بأنّه أذن ولكن لا على الوجه الذي ذمّوا به بل من حيث إنّه يسمع الخير و يقبله. ثمّ فسّر ذلك بقوله: «يؤمن بالله»: يصدّق به. «و يؤمن للمؤمنين»: يصدّقهم لما علم من خلوصهم. و اللّام مزيدة للتفرقة بين إيمان التصديق ـ فإنّه بمعنى التسليم ـ و إيمان الأمان الذي هو نقيض الكفر. فمعنى الإيمان للمؤمنين أنّه يسلّم لهم ما يقولونه و يصدّقه. «و رحمة»؛ أي: «هو رحمة للّذين آمنوا»؛ أي: أظهروا الايمان «منكم» حيث يقبلهم و لايكشف سرّهم. و فيه تنبيه على أنّه ليس يقبل قولكم جهلاً بحالكم، بل رفقاً بكم و ترحّماً عليكم.[٢]

«للمؤمنين» ظاهراً من غير اعتقاد منه في صدقهم.[٣]

«و يؤمن للمؤمنين» و لايصدّق المنافقين.[٤]

«و رحمة». حمزة بالجرّ عطفاً على «خير».[٥]

١ـ مجمع البيان ٥ / ٦٨ و ٦٦ ـ ٦٧.

٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤١٠، و الكشّاف ٢ / ٢٨٤ ـ ٢٨٥.

٣ـ تفسير القمّيّ ١ / ٣٠٠.

٤ـ مجمع البيان ٥ / ٦٩.

٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤١٠.

[٦٢] «يَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَ اللهُ وَ رَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ».

«يحلفون». قيل: إنّها نزلت في رهط من المنافقين تخلّفوا عن غزوة تبوك، فلمّا رجع رسول الله ﷺ من تبوك، أتوا المؤمنين يعتذرون إليهم من تخلّفهم و يحلفون، فنزلت الآية.(١)

«ليرضوكم»: لترضوا عنهم. و الخطاب للمؤمنين. «يرضوه» بالطاعة والوفاق. و توحيد الضمير لتلازم الرضاءين، أو لأنّ الكلام في إيذاء الرسول و إرضائه «إن كانوا مؤمنين» صدقاً.(٢)

[٦٣] «أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللهَ وَ رَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِداً فِيهَا ذٰلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ».

«من يحادد»؛ أي: يجاوز حدود الله التي أمر المكلّفين بها.(٣)

«يحادد»: يشاقق. مفاعلة من الحدّ. «فإنّ له». على حذف الخبر. أي: فحقّ [أنّ له]. «الخزي العظيم». يعني الهلاك الدائم.(٤)

[٦٤] «يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِؤُا إِنَّ اللهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ».

«يحذر المنافقون». عن الباقر عليه السلام: نزلت في اثني عشر رجلاً من المنافقين وقفوا على العقبة ليفتكوا برسول الله ﷺ لمّا رجع من تبوك. فأخبره جبرئيل و أمره أن يرسل إليهم و يضرب وجوه رواحلهم. فقال لحذيفة: اضرب وجوه رواحلهم. فضربها حتّى نحّاهم. و لم يعرفهم حذيفة. فقال له رسول الله ﷺ: هذا فلان و فلان إلى آخرهم. فقال حذيفة: ألاتقتلهم؟ فقال: أكره أن تقول العرب: لمّا ظفر بأصحابه، أقبل يقتلهم. و قال بعضهم لبعض

١ـ مجمع البيان ٥ / ٦٨.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤١٠.
٣ـ مجمع البيان ٥ / ٦٩.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤١٠.

لمّا أرادوا الفتك به: إن فطن، نقول: إنّا كنّا نخوض و نلعب. و إن لم يفطن، نقتله. و قيل: إنّ جماعة من المنافقين قالوا في غزوة تبوك: يظنّ هذا الرجل أنّه يفتح قصور الشام و حصونها. هيهات! هيهات! فأطلع الله نبيّه ﷺ على ذلك فقال: احبسوا عليّ الركب. فدعاهم فقال لهم: قلتم كذا و كذا. فقالوا: يا نبيّ الله، إنّما كنّا نخوض و نلعب. و حلفوا على ذلك. فنزلت الآية: «و لئن سألتهم».[١]

«يحذر المنافقون». كانوا يحذرون أن يفضحهم الله بالوحي فيهم. و الضمير في «عليهم» و «تنبّئهم» للمؤمنين، و في «قلوبهم» للمنافقين. و صحّ ذلك لأنّ المعنى يقود إليه. و يجوز أن يكون الضمائر للمنافقين. لأنّ السورة إذا نزلت في معناهم فهي نازلة عليهم. كأنّها تقول لهم: في قلوبكم كيت و كيت. يعني أنّها تذيع أسرارهم عليهم فكأنّها تخبرهم بها. و قيل: معنى يحذر الأمر بالحذر. أي: ليحذر المنافقون. و معنى قوله: «مخرج ما تحذرون»: مبرز إنزال السورة. أو: إنّ الله مظهر ما كنتم تحذرون إظهاره من نفاقكم.[٢]

«يحذر المنافقون». قيل: إنّ ذلك الحذر إنّما أظهروه على وجه الاستهزاء. لأنّهم لمّا رأوا رسول الله يخبر عن كلّ شيء، قال بعضهم لبعض: احذروا ألّا ينزل فيكم وحي! يقولونه و يضحكون.[٣]

[٦٥] «وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَ نَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَ آيَاتِهِ وَ رَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِؤُنَ».

«و لئن سألتهم»؛ أي: إذا سألتهم عن الطعن في الدين و الاستهزاء بالنبيّ ﷺ يقولون: إنّما كان منّا على طريق اللّهو و اللّعب. و كان العذر أشدّ من الجرم.[٤]

«قل أبالله». لم يعبأ باعتذارهم لأنّهم كانوا كاذبين فيه فجعلوا كأنّهم معترفون

١ـ مجمع البيان ٥ / ٧٠ ـ ٧١.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٢٨٦.
٣ـ مجمع البيان ٥ / ٧١.
٤ـ مجمع البيان ٥ / ٧٢.

باستهزائهم حتّى وبّخوا بإخطائهم موقع الاستهزاء.(١)

[٦٦] لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ».

«لاتعتذروا». لأنّه لاينفعكم بعد ظهور سرّكم. «قد كفرتم»؛ أي: أظهرتم كفركم باستهزائكم بعد إظهاركم الايمان. «إن نعف عن طائفة منكم» بإحداثهم التوبة و إخلاصهم الايمان بعد النفاق، «نعذّب طائفة» بأنّهم كانوا مصرّين على النفاق. أو: إن نعف عن طائفة منكم لم يؤذوا رسول الله و لم يستهزئوا فلم نعذّبهم في العاجل، [نعذّب في العاجل] طائفة كانوا يستهزئون.(٢)

«إن نعف عن طائفة». روي أنّ هاتين الطائفتين كانوا ثلاثة نفر؛ استهزأ اثنان، و ضحك واحد و هو الذي تاب من نفاقه و اسمه مخشيّ بن حمير فعفا الله عنه.(٣) و عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: يا رسول الله، اهلكني اسمي! فسمّاه رسول الله صلى الله عليه وآله عبدالله بن عبدالرحمن. فقال: يا ربّ اجعلني شهيداً حيث لايعلم أحد أنا أين. فقتل يوم اليمامة و لم يعلم أين قتل. فهو الذي عفا الله عنه.(٤)

«إن نعف». يعقوب: «يُعْفَ» بالياء و ضمّها و فتح الفاء. «تعذّب» بالتاء.(٥)

[٦٧] «الْمُنَافِقُونَ وَ الْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَ يَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ».

«المنافقون» ـ الآية. أريد به نفي أن يكونوا من المؤمنين و تكذيبهم في قولهم ـ «و يحلفون بالله أنّهم لمنكم» ـ و تقرير قوله: «و ما هم منكم». ثمّ وصفهم بما يدلّ على مضادّة

١ـ الكشّاف ٢ / ٢٨٦.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٢٨٦ ـ ٢٨٧.
٣ـ مجمع البيان ٥ / ٧٢.
٤ـ تفسير القمّيّ ١ / ٣٠٠ ـ ٣٠١.
٥ـ لم نعثر عليه فيما حضرنا من المصادر.

حالهم لحال المؤمنين. «يأمرون بالمنكر»؛ أي: بالكفر و المعاصي. «عن المعروف»: عن الإيمان و الطاعات. «و يقبضون أيديهم» شحّاً بالصدقات و الإنفاق في سبيل الله. «نسوا الله فنسيهم»: أغفلوا ذكره، فتركهم من رحمته و فضله. «هم الفاسقون»؛ أي: الكاملون في الفسق الذي هو التمرّد في الكفر.(١)

«بعضهم»؛ أي: بعضهم مضاف إلى بعض في الاجتماع على النفاق. «و يقبضون أيديهم»؛ أي: يمسكونها عن الجهاد. «الفاسقون»: الخارجون عن الإيمان.(٢)

«فنسيهم». عن أميرالمؤمنين عليه السلام: «نسوا الله» في دار الدنيا، «فنسيهم»؛ أي: تركهم من الثواب في الآخرة.(٣)

[٦٨] «وَعَدَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَ الْمُنَافِقَاتِ وَ الْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَ لَعَنَهُمُ اللهُ وَ لَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ».

«خالدين فيها»: مقدّرين الخلود فيها. «هي حسبهم». لأنّه لا عذاب فوقها. «و لعنهم»؛ أي: أهانهم و جعلهم ملحقين بالشياطين الملاعين. «عذاب مقيم»: نوع من العذاب سوى الصلي بالنار. و يجوز أن يكون المراد: لهم عذاب مقيم معهم في العاجل لاينفكّون عنه؛ و هو ما يقاسونه من تعب النفاق و الظاهر المخالف للباطن خوفاً من المسلمين و ما يحذرونه أبداً من الخزي و نزول العذاب إن اطّلع على أسرارهم.(٤)

«و لعنهم»؛ أي: أبعدهم من جنّته.(٥)

[٦٩] «كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَ أَكْثَرَ أَمْوَالاً وَ أَوْلَاداً فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَ خُضْتُمْ كَالَّذِي

١ـ الكشّاف ٢ / ٢٨٧. ٢ـ مجمع البيان ٥ / ٧٣ ـ ٧٤.

٣ـ التوحيد / ٢٥٩. و فيه: «فنسيهم» في الآخرة؛ أي: لم يجعل لهم في ثوابه شيئاً فصاروا منسيّين من الخير.

٤ـ الكشّاف ٢ / ٢٨٧ ـ ٢٨٨. ٥ـ مجمع البيان ٥ / ٧٤.

خَاضُوا أُولٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَ الآخِرَةِ وَ أُولٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ».

«كالّذين». الكاف محلّها رفع على معنى: أنتم مثل الذين. أو نصب. أي: فعلتم مثل [ما فعل] الذين؛ و هو أنّكم استمتعتم و خضتم كما استمتعوا وخاضوا. و قوله: «كانوا أشدّ منكم» بيان للتشبيه و تمثيل فعلهم بفعلهم. و الخلاق: النصيب. و هو ما خلق للإنسان؛ أي: قدّر من خير. فإن قلت: أيّ فائدة في قوله: «فاستمتعوا بخلافهم» و قوله: «كما استمتع» مغن عنه؟ كما أغنى قوله: «كالّذي خاضوا» عن أن يقال: و خاضوا فخضتم كالّذي خاضوا. قلت: فائدته أن يذمّ الأوّلين بالاستمتاع بما أوتوا من حظوظ الدنيا و رضاهم بها عن النظر في العاقبة و أن يخسّس أمر الاستمتاع و يهجّن أمر الراضي به، ثمّ يشبّه بعد ذلك حال المخاطبين بحالهم. كما تريد أن تنبّه بعض الظلمة على سماجة فعله فتقول: أنت مثل فرعون. كان يقتل بغير جرم و يعذّب، و أنت تفعل مثل فعله. و أمّا «و خضتم كالّذي خاضوا» فمعطوف على ما قبله مستند إليه مستغن باستناده إليه عن تلك المقدّمة.[١]

«فاستمتعوا»؛ أي: صرفوا حظوظهم من الدنيا في شهواتهم المحرّمة. «و أكثر أموالاً و أولاداً». فلم ينفعهم ذلك شيئاً. «و خضتم» في الكفر و الاستهزاء بالمؤمنين، كما خاض الأوّلون. «أعمالهم» من الطاعات. «في الدنيا و الآخرة». لأنّهم لم يستحقّوا عليه [في الدنيا] مدحاً و في الآخرة ثواباً. «الخاسرون»: خسروا أنفسهم و أهلكوها بفعل المعاصي.[٢]

[٧٠] «أَ لَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَ عَادٍ وَ ثَمُودَ وَ قَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَ أَصْحَابِ مَدْيَنَ وَ الْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَ لٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ».

«ألم يأتهم» ـ أي هؤلاء المنافقين ـ خبر من كان قبلهم من القرون و أنّه سبحانه أهلكها بتكذيب الرسل؟ أهلك قوم نوح بالغرق، و عاداً قوم هود بالريح الصرصر، و ثمود قوم صالح

١ـ الكشّاف ٢ / ٢٨٨ ـ ٢٨٩.　　٢ـ مجمع البيان ٥ / ٧٤.

بالرجفة. و قوم إبراهيم بسلب النعمة و هلاك نمرود، و أصحاب مدين ـ و هم قوم شعيب ـ بعذاب يوم الظلّة. «و المؤتفكات»؛ أي: المنقلبات؛ و هي ثلاث قرًى ـ و كان فيها قوم لوط ـ أهلكهم الله بالخسف و قلب المدينة عليهم.(١)

«و قوم إبراهيم»: نمرود و توابعه. (ع)

«و أصحاب مدين». أهلكوا بالنار يوم الظلّة.(٢)

«و المؤتفكات». قيل: قريات المكذّبين المتمرّدين، و ائتفاكهنّ انقلاب أحوالهنّ من الخير إلى الشرّ.(٣)

«المؤتفكات». جويريّة بن مسهر قال: أقبلنا مع أميرالمؤمنين من قتل الخوارج؛ حتّى إذا قطعنا في أرض بابل، حضرت صلاة العصر، فنزل أميرالمؤمنين عليه السلام و نزل الناس. فقال أميرالمؤمنين عليه السلام: أيّها الناس، إنّ هذه أرض ملعونة. فقد عذّبت في الدهر ثلاث مرّات. و في خبر آخر: مرّتين، و هي تتوقّع الثالثة. و هي إحدى المؤتفكات.(٤)

«بالبيّنات»؛ أي: المعجزات. «ليظلمهم». أي بإهلاكهم.(٥)

[٧١] «وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ يُطِيعُونَ اللهَ وَ رَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ».

«و المؤمنون». صفوان الجمّال قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: تأتيني المرأة المسلمة قد عرفتني بعملي و عرفتها بحبّها إيّاكم و ولايتها لكم و ليس لها محرم. قال: فإذا جاءتك المرأة المسلمة فاحملها. فإنّ المؤمن محرم المؤمنة. و تلا هذه الآية: «و المؤمنون و المؤمنات» ـ الآية.(٦)

١ـ مجمع البيان ٥ / ٧٥.
٢ـ مجمع البيان ٤ / ٦٩٣.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤١٢.
٤ـ الفقيه ١ / ١٣٠.
٥ـ مجمع البيان ٥ / ٧٥.
٦ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٩٦، ح ٨٧.

«بالمعروف». و هو ما أوجب فعله أو رغّب فيه عقلاً أو شرعاً. و المنكر: ما نهى الله عن فعله أو زهّد فيه عقلاً أو شرعاً.(١)

«سيرحمهم». أي لا محالة. فإنّ السين مؤكّدة للوقوع.(٢)

[٧٢] «وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَ مَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَ رِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ ذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ».

«طيّبة»: يطيب فيها العيش، أو تستطيبها النفس. و في الحديث أنّها قصور من اللّؤلؤ و الزبرجد و الياقوت. «جنّات عدن». [عنه عليه الصلاة و السلام:] لا يسكنها غير ثلاثة: النبيّون و الصدّيقون والشهداء. يقول الله: طوبى لمن دخلك.(٣)

«جنّات عدن». في احتجاج عليّ عليه السلام يوم الشورى قال: نشدتكم بالله: هل فيكم أحد قال رسول الله صلى الله عليه و آله: من سرّه أن يحيى حياتي و يموت [مماتي] و يسكن جنّتي التي وعدني ربّي ـ جنّات عدن، قضيب غرسه الله بيده ثمّ قال له كن فيكون ـ فليوال عليّ بن أبي طالب عليه السلام و ذرّيّته من بعده ـ إلى قوله: ـ غيري؟ قالوا: لا.(٤)

«جنّات عدن»؛ أي: جنّات إقامة و خلد. وقيل: هي بطنان الجنّة؛ أي: وسطها. و قيل: إنّ عدناً أعلى درجة في الجنّة.(٥)

«هو الفوز العظيم». عن عليّ بن الحسين عليهما السلام قال: إذا صار أهل الجنّة في الجنّة و دخل وليّ الله إلى جنانه و مساكنه و اتّكى كلّ مؤمن منهم على أريكته، حفّته خدّامه و تهدّلت عليه الثمار و تفجّرت حوله العيون وجرت من تحتها الأنهار و بسطت له الزرابيّ و وضعت له النمارق و أتته الخدّام بما شاءت شهوته، من قبل أن يسألهم ذلك، و تخرج عليهم الحور العين من الجنان. فيمكثون بذلك ما شاء الله. ثمّ إنّ الجبّار يشرف عليهم فيقول لهم: أوليائي و

١ـ مجمع البيان ٥ / ٧٧.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤١٢.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤١٢.
٤ـ الخصال / ٥٥٨.
٥ـ مجمع البيان ٥ / ٧٧.

أهل طاعتي و سكّان جنّتي في جواري، ألا هل أنبّئكم بخير ممّا أنتم فيه؟ فيقولون: ربّنا، و أيّ شيء خير ممّا نحن فيه فيما اشتهت أنفسنا و لذّت أعيننا؟ [قال: فيعود عليهم بالقول، فيقولون: ربّنا نعم، فأتنا بخير ممّا نحن فيه. فيقول لهم ـ تبارك و تعالى ـ : رضاي عنكم و محبّتي لكم خير و أعظم ممّا أنتم فيه. قال:] فيقولون: ربّنا نعم. يا ربّنا، رضاك عنّا و محبّتك لنا خير و أطيب لأنفسنا. ثمّ قرأ عليّ بن الحسين هذه الآية: «وعد الله المؤمنين» إلى: «هو الفوز العظيم».[۱]

«و رضوان من الله أكبر». ذكر المفسّرون في كون الرضوان أكبر وجوهاً. الأوّل: انّه لايوجد شيء من الله سبحانه إلّا بالرضوان و هو الداعي إليه الموجب له.[۲] الثاني: انّ ما يصل من السرور إلى القلب برضوان الله أكبر من جميع ذلك.[۳] الثالث: انّه سبب للتعظيم و الكرامة و هي أكبر أصناف الثواب.[٤] أقول: لعلّ الوجه فيه: انّ ما تقدّم عليه من الكرامة بالجنّات و المساكن و ما فيهما، إنّما هي كلّها غذاء للأبدان، فهي أغذية حسّيّة. و أمّا الرضوان و أضرابه من أنواع العلوم و ضروب المعارف، فهي أغذية معنويّة للأرواح. و كما أنّ الأرواح أشرف من الأبدان، يكون ما فيه حياتها و نموّها و سرورها أفضل و أكمل. و لهذا لم يرغب الصدّيقون إلّا في طلب هذه الدرجة الرفيعة. و ناهيك قول سيّد الموحّدين عليه السلام: ماعبدتك خوفاً من نارك، و لا طمعاً في جنّتك. و إنّما وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك.[٥] و لمّا اختلفت الرغبات في درجات الآخرة، عدّد سبحانه صنوف الدرجات إلى أن انتهى إلى مرتبة الرضوان. لأنّه ليس فوقها درجة.

[۷۳] «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَ الْمُنَافِقِينَ وَ اغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ

۱ـ تفسير العيّاشيّ ۲ / ۹٦ ـ ۹۷، ح ۸۸.

۲ـ مجمع البيان ٥ / ۷۷، عن الجبّائيّ. و فيه: «إنّما صار الرضوان أكبر من الثواب لأنّه لايوجد شيء منه إلّا بالرضوان و هو...» و ظاهر أنّ الضمير في «منه» يرجع إلى «الثواب».

۳ـ مجمع البيان ٥ / ۷۷، عن الحسن.

٤ـ الكشّاف ۲ / ۲۹۰.

٥ـ بحار الأنوار ٤۱ / ١٤.

الْمَصِيرُ».

«جاهد الكفّار و المنافقين». عن أبي عبدالله عليه السلام: هكذا نزلت. فجاهد رسول الله صلى الله عليه وآله الكفّار، و جاهد عليّ عليه السلام المنافقين. فجهاد عليّ جهاد رسول الله صلوات الله عليهما.(١)

«و المنافقين». عن أبي جعفر عليه السلام: بإلزام الحجّة.(٢)

«و المنافقين». قيل: إنّ جهاد المنافقين بإقامة الحدود عليهم، و كان نصيبهم من الحدود أكثر. و روي في قراءة أهل البيت عليهم السلام: «جاهد الكفّار بالمنافقين». قالوا: لأنّ النبيّ لم يقاتل المنافقين و إنّما كان يتألّفهم. و لأنّ المنافقين لايظهرون الكفر فلايباح قتلهم. «و اغلظ عليهم»: أسمعهم الكلام الغليظ و لاترقّ عليهم.(٣)

«جاهد الكفّار» بالسيف «و المنافقين» بالحجّة.(٤)

[٧٤] «يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا وَ لَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَ كَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَ هَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَ مَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَ رَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْراً لَهُمْ وَ إِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللهُ عَذَاباً أَلِيماً فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ مَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لَا نَصِيرٍ».

«يحلفون بالله». خرج المنافقون مع رسول الله صلى الله عليه وآله إلى غزوة تبوك. فكان إذا خلا بعضهم ببعض، سبّوا رسول الله و أصحابه و طعنوا في الدين. فنقل ذلك حذيفة إلى رسول الله. فقال لهم صلى الله عليه وآله: ما هذا الذي بلغني عنكم؟ فحلفوا بالله ماقالوا شيئاً من ذلك. فنزلت. و «كلمة الكفر» طعنهم في الإسلام بعد إظهاره. «بما لم ينالوا». و هو قتل النبيّ صلى الله عليه وآله ليلة العقبة و التنفير بناقته. و قيل: همّوا بإخراجه من المدينة. «في الدنيا» بما ينالهم من الحسرة و الغمّ و سوء الذكر. «من وليّ»: أي: محبّ.(٥)

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٧٧.

٢ـ تفسير القمّيّ ١ / ٣٠١. و فيه: بإلزام الفرائض.

٣ـ مجمع البيان ٥ / ٧٧.

٤ـ الكشّاف ٢ / ٢٩٠.

٥ـ مجمع البيان ٥ / ٧٨ ـ ٨٠.

«يحلفون». عن زيد بن أرقم قال: لمّا أقام النبيّ عليّاً عليه السلام بغدير خمّ و بلّغ فيه عن الله ما بلّغ ثمّ نزل، انصرفنا إلى رحالنا. و كان إلى جانب خبائي خباء لنفر من قريش و هم ثلاثة و معي حذيفة اليمان. فسمعنا كأحد الثلاثة و هو يقول: و الله إنّ محمّداً الأحمق يرى أنّ الأمر يستقيم من بعده لعليّ! و قال آخر: ألم تعلم أنّه مجنون قد كاد أن يصرع عند امرأة ابن أبي‌كبشة؟ و قال الثالث: دعوه؛ إن شاء أن يكون أحمق و إن شاء أن يكون مجنوناً. و الله مايكون ما يقول أبداً. فغضب حذيفة من كلامهم فرفع جانب الخباء فقال: هذا و رسول الله بين أظهركم؟ و الله لأخبرنّه بمقالتكم. فقالوا: اكتم علينا. فقال: ما أنا نصحت الله و رسوله إن كتمته هذا الحديث. فقالوا: لنحلفنّ أنّا لم نقل و أنّك قد كذبت علينا. ثمّ أتى رسول الله ـ و عليّ عليه السلام إلى جانبه محتب بحمائل سيفه ـ فأخبره بمقالة القوم. فبعث إليهم رسول الله. فأتوه فقالوا: و الله ماقلنا شيئاً. فإن كنت أبلغت شيئاً، فمكذوب علينا. فهبط جبرئيل بهذه الآية: «يحلفون» ـ الآية.(١)

«بما لم ينالوا». عن حذيفة بن اليمان قال: الذين نفّروا برسول الله صلّى الله عليه و آله ناقته في منصرفه من تبوك أربعةعشر رجلاً: أبوالشرور و أبوالدواهي و أبوالمعازف و أبوه و طلحة و سعد بن أبي‌وقّاص و أبوعبيدة و أبوالأعور و المغيرة و سالم مولى أبي‌حذيفة و خالد بن وليد و عمرو بن العاص و أبوموسى الأشعريّ و عبد الرحمن بن عوف. و هم الذين أنزل الله فيهم: «و همّوا بما لم ينالوا».(٢)

«و مانقموا»: أي؛ ماأنكروا و ماعابوا. «أن أغناهم الله». و ذلك أنّهم كانوا قبل أن يقدم رسول الله [المدينة] في ضنك من العيش لايركبون الخيل و لايحوزون الغنيمة فأثروا بالغنائم.(٣)

[٧٥ ـ ٧٦] «وَ مِنْهُمْ مَنْ عاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتانا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَ لَنَكُونَنَّ مِنَ

١ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٩٨ ـ ٩٩.

٢ـ الخصال / ٤٩٩، ح ٦.

٣ـ الكشّاف ٢ / ٢٩٢.

الصَّالِحِينَ * فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَ تَوَلَّوْا وَ هُمْ مُعْرِضُونَ».

روي: انّ ثعلبة بن حاطب قال: يا رسول الله، ادع الله أن يرزقني مالاً. فقال صلى الله عليه وآله: يا ثعلبة، قليل تؤدّي شكره خير من كثير لاتطيقه. فراجعه وقال: و الذي بعثك بالحقّ، لئن رزقني الله مالاً، لأعطينّ كلّ ذي حقّ حقّه. فدعا له فاتّخذ غنماً فنمت كما ينمو الدود حتّى ضاقت بها المدينة فنزل وادياً و انقطع عن الجماعة و الجمعة. فسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وآله فقيل: كثر ماله حتّى لايسعه واد. فقال: يا ويح ثعلبة! فبعث رسول الله مصدّقين لأخذ الصدقة فاستقبلهما الناس بصدقاتهم. و مرّا بثعلبة فسألاه الصدقة و أقرآه كتاب رسول الله. فقال: ما هذه إلّا جزية أو أخت الجزية. و قال: ارجعا حتّى أرى رأيي. فلمّا رجعا قال لهما رسول الله قبل أن يكلّماه: يا ويح ثعلبة! مرّتين. فنزلت. فجاء ثعلبة بالصدقة. فقال: إنّ الله منعني أن أقبل منك. فجعل التراب على رأسه. فقال: هذا عملك. قد أمرتك فلم تطعني. فقبض رسول الله صلى الله عليه وآله و لم يقبلها و كذلك الخلفاء.(١)

[٧٧] «فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللهَ مَا وَعَدُوهُ وَ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ».

«فأعقبهم». أي البخل. يعني: فأورثهم البخل «نفاقاً» متمكّناً «في قلوبهم». لأنّه كان سبباً فيه و داعياً إليه. و الظاهر أنّ الضمير لله. و المعنى: فخذلهم حتّى نافقوا و تمكّن في قلوبهم نفاقهم فلاينفكّ عنهم إلى أن يموتوا.(٢)

«يلقونه». عن أميرالمؤمنين عليه السلام: اللّقاء هنا ليس الرؤية بل البعث.(٣)

«بما أخلفوا الله». عن النبيّ صلى الله عليه وآله: للمنافق ثلاث علامات: إذا حدّث كذب. و إذا وعد أخلف. و إذا ائتمن خان.(٤)

١ـ الكشّاف ٢ / ٢٩٢ ـ ٢٩٣.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٢٩٣.
٣ـ التوحيد / ٢٦٧.
٤ـ مجمع البيان ٥ / ٨٣.

[٧٨] «أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَ نَجْوَاهُمْ وَ أَنَّ اللهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ».

«سرّهم»: ما أسرّوه من النفاق و العزم على خلاف ما وعدوه و ما يتناجون فيما بينهم من المطاعن في الدين و تسمية الصدقة جزية و تدبير منعها.(١)

[٧٩] «الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ».

«المطّوّعين». أصله: المتطوّعين، فأدغم. أي المتبرّعين بالصدقات. فإن كان كثيراً قالوا: إنّه رئاء. و إن كان قليلاً، استهزؤوا بقلّته.

«الذين يلمزون». عن أبي جعفرعليه السلام: ذهب عليّعليه السلام فآجر نفسه على أن يستقي كلّ دلو بتمرة، فأتى به النبيّصلى الله عليه وآله و عبدالرحمن بن عوف على الباب، فلمزه؛ أي: وقع فيه. فأنزلت هذه الآية.(٢)

«سخر الله منهم». جاء سالم بن عمير الأنصاريّ بصاع من تمر فقال: يا رسول الله، كنت ليلتي أجرّ الجرير حتّى عملت بصاعين من تمر. فأمسكت أحدهما، و الآخر أقرضته ربّي. فأمر رسول الله أن ينثره في الصدقات. فسخر منه المنافقون و قالوا: و الله إنّ الله لغنيّ عن هذا الصاع. و ما يصنع الله بصاعه شيئاً. ولكنّ أباعقيل أراد أن يذكر نفسه فيعطى من الصدقات. فقال: «سخر الله منهم و لهم عذاب أليم».(٣)

«إلّا جهدهم». سئل النبيّ: أيّ الصدقة أفضل؟ فقال: جهد المقلّ.(٤)

«سخر الله منهم». عن الرضاعليه السلام: يجازيهم جزاء السخريّة.(٥)

[٨٠] «اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ ذٰلِكَ

١ـ الكشّاف ٢ / ٢٩٣.
٢ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ١٠١، ح ٩٣.
٣ـ تفسير القمّيّ ١ / ٣٠٢.
٤ـ مجمع البيان ٥ / ٨٤.
٥ـ عيون الأخبار ١ / ١٢٦.

بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَ رَسُولِهِ وَ اللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ».

«استغفر لهم» ـ الآية. قال عليّ بن إبراهيم: إنّها نزلت لمّا رجع رسول الله إلى المدينة و مرض عبدالله بن أبيّ، و كان ابنه مؤمناً فجاء إلى النبيّ ﷺ و أبوه يجود بنفسه. قال: يا رسول الله، إن لم تأت أبي، كان ذلك عاراً علينا. فدخل إليه رسول الله و المنافقون عنده. فقال ابنه: يا رسول الله، استغفر لأبي. فاستغفر له. فقال له عمر: ألم ينهك الله ـ يا رسول الله ـ أن تصلّي عليهم أو تستغفر لهم؟ فأعرض عنه رسول الله. فأعاد عليه. فقال له: ويلك! إنّي خيّرت فاخترت. إنّ الله يقول: «استغفر لهم أو لاتستغفر لهم». فلمّا مات عبدالله، جاء ابنه إلى رسول الله ﷺ فقال: أرأيت أن تحضر جنازته؟ فحضر و قام على قبره. فقال عمر: ألم ينهك الله أن تصلّي على أحد منهم أبداً و أن تقوم على قبره؟ فقال رسول الله ﷺ: ويلك! و هل تدري ما قلت؟ إنّما قلت: اللّهمّ احش قبره ناراً و جوفه ناراً. و أصله النار. فبدا من رسول الله ﷺ ما لم يكن يحبّ.(١)

عن الرضا عليه السلام: لمّا نزلت: «إن تستغفر لهم سبعين مرّة فلن يغفر الله لهم» [فاستغفر لهم] مائة مرّة ليغفر لهم. فأنزل الله: «سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم».(٢) و قال: «لاتصلّ على أحد منهم مات أبداً و لاتقم على قبره». فلم يستغفر لهم بعد ذلك و لم يقم على قبر واحد منهم.(٣)

«سبعين مرّة». سبعين جار مجرى المثل في كلامهم للتكثير. فإن قلت: كيف خفي على رسول الله و هو أفصح العرب، و الذي يفهم من هذا العدد كثرة الاستغفار، حتّى قال: «رخص لي ربّي، فسأزيد على السبعين»؟ قلت: لم يخف عليه ذلك، ولكنّه خيّل بما قال، إظهاراً لغاية رحمته و رأفته على من بعث إليه. كقول إبراهيم: «و من عصاني فإنّك غفور رحيم».(٤) و في إظهار النبيّ الرحمة و الرأفة لطف لأمّته و دعاء لهم إلى ترحّم بعضهم على

١ـ تفسير القمّيّ ١ / ٣٠٢.
٢ـ المنافقون (٦٣) / ٦.
٣ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ١٠٠ ـ ١٠١، ح ٩٢.
٤ـ إبراهيم (١٤) / ٣٦.

بعض.(١)

«إن تستغفر لهم سبعين مرّة». قال‌ﷺ: و الله لأزيدنّ على السبعين. فنزلت: «سواء عليهم» ـ الآية. و ذلك لأنه‌ﷺ فهم من السبعين العدد المخصوص. لأنّه الأصل. فجوّز أن يكون ذلك حدّاً يخالفه حكم ما وراءه، فبيّن له أنّ المراد به الكثير دون التحديد.(٢)

الوجه في تعليق الاستثناء بسبعين مرّة المبالغة لا العدد المخصوص. و يجري ذلك مجرى قول القائل: لو قلت لي ألف مرّة، ماقبلت. و المراد أنّي لاأقبل ذلك. فكذا الآية المراد فيها نفي الغفران جملة. و ما روي عن النبيّ‌ﷺ أنّه قال: و الله لأزيدنّ على السبعين، فإنّه خبر واحد لايعوّل عليه. ولأنّه يتضمّن أنّ النبيّ يستغفر للكفّار و ذلك غير جائز بالإجماع. و قد روي أنّه قال: «لو علمت أنّه لو زدت على السبعين مرّة غفر لهم، لفعلت». [و] يحتمل أن يكون قد استغفر لهم قبل أن يخبر بأنّ الكافر لايغفر له، أو قبل أن يمنع منه. و يجوز أن يكون استغفاره لهم واقعاً بشرط التوبة من الكفر، فأخبره الله بأنّهم لايؤمنون أبداً فلا فائدة في الاستغفار.(٣)

[٨١] «فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللهِ وَ كَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَ قَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ».

«فرح المخلّفون»: الذين استأذنوا النبيّ‌ﷺ من المنافقين فأذن لهم و خلّفهم في المدينة في غزوة تبوك. أو: الذين خلّفهم كسلهم و نفاقهم و الشيطان. «بمقعدهم»؛ أي: بقعودهم عن الغزو. «خلاف رسول الله»: خلفه؛ أي: بعده. و قيل: هي بمعنى المخالفة لأنّهم خالفوه حيث قعدوا و نهض. و انتصابه على أنّه مفعول له أو حال. أي: قعدوا لمخالفته أو مخالفين له. «نار جهنّم أشدّ حرّاً». استجهال لهم.(٤)

١ـ الكشّاف ٢ / ٢٩٥ ـ ٢٩٦.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤١٤ ـ ٤١٥.
٣ـ مجمع البيان ٥ / ٨٤.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٢٩٦.

«و كرهوا أن يجاهدوا». بخلاف المسلمين؛ فإنّهم تحمّلوا المشاقّ في الدين. «و قالوا»؛ أي: قالوا للمسلمين. أو: [قال] بعضهم لبعض. «قل» يا محمّدﷺ. «أشدّ حرّاً» ؛ أي: النار التي وجبت لهم بالتخلّف حرّها أشدّ من هذا الحرّ، فهي أولى بالاحتراز و الحذر عنها.[١]

«لاتنفروا في الحرّ». في قصّة غزوة تبوك أنّ الجدّ بن قيس المنافق قال لرسول الله ﷺ: ائذن لي أن أقيم. و قال لجماعة من قومه: «لاتنفروا في الحرّ». فقال ابنه: ترد على رسول الله و تقول ما تقول، ثمّ تقول لقومك: «لاتنفروا في الحرّ»! و الله لينزلنّ في هذا قرآناً يقرؤه الناس إلى يوم القيامة. فأنزل الله هذه الآية.[٢]

[٨٢] «فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَ لْيَبْكُوا كَثِيراً جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ».

«فليضحكوا قليلاً» في الدنيا. «و ليبكوا كثيراً» في الآخرة.[٣]

«و ليبكوا كثيراً». روي أنّ أهل النفاق يبكون في النار عمر الدنيا لايرقأ لهم دمع و لايكتحلون بنوم.[٤]

«فليضحكوا قليلاً» ـ الآية. إخبار عمّا يؤول إليه حالهم في الدنيا و الآخرة. أخرجه على صيغة الأمر للدلالة على أنّه حتم واجب و يجوز أن يكون الضحك و البكاء كنايتين عن السرور و الغمّ و المراد من القلّة العدم.[٥]

[٨٣] «فَإِنْ رَجَعَكَ اللهُ إِلىٰ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَداً وَ لَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوّاً إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ».

«فإن رجعك الله»؛ أي: ردّك إلى المدينة و فيها طائفة من المتخلّفين ، يعني منافقيهم، فإنّ كلّهم لم يكونوا منافقين، أو من بقي منهم. و كان المتخلّفون اثني عشر رجلاً. «للخروج». أي

١ـ مجمع البيان ٥ / ٨٦.
٢ـ تفسير القمّيّ ١ / ٢٩٢.
٣ـ مجمع البيان ٥ / ٨٦.
٤ـ مجمع البيان ٥ / ٨٦، و الكشّاف ٢ / ٢٩٦.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤١٥.

إلى غزوة أخرى بعد تبوك. «لن تخرجوا». إخبار في معنى النهي للمبالغة. «إنّكم». تعليل له. و كان إسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم على تخلّفهم. و «أوّل مرّة» هي الخرجة إلى غزوة تبوك. «مع الخالفين»؛ أي: المتخلّفين لعدم لياقتهم للجهاد كالصبيان و النساء.[١]

«الخالفين»؛ أي: أهل الفساد. من قولهم: نبيذ خالف؛ أي: فاسد. و قيل: مع المرضى و الزمنى.[٢]

[٨٤] «وَ لَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَداً وَ لَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِـاللهِ وَ رَسُولِهِ وَ مَاتُوا وَ هُمْ فَاسِقُونَ».

«و لاتصلّ». كان النبيّ ﷺ يصلّي على المنافقين و يجري عليهم أحكام المسلمين. «و لاتقم على قبره»؛ أي: لاتقف على قبره للدعاء. فإنّه كان إذا صلّى على ميّت يقف على قبره ساعة و يدعو له. فنهاه عن الأمرين. «إنّهم كفروا». سبب الأمرين. فما صلّى رسول الله ﷺ بعد ذلك على منافق. و روي أنّه ﷺ صلّى على عبدالله بن أبيّ و ألبسه قميصه قبل أن ينهى عن الصلاة على المنافقين. و قيل: إنّه أراد أن يصلّي عليه فأخذ جبرئيل بثوبه و تلا عليه: «و لاتصلّ» ـ الآية. و روي أنّه قيل لرسول الله: لم وجّهت إليه بقميصك يكفن فيه و هو كافر؟ فقال: إنّ قميصي لن يغني عنه من الله شيئاً. و إنّي أؤمّل من الله أن يدخل بهذا السبب في الإسلام خلق كثير. فروي أنّه أسلم ألف من الخزرج لمّا رأوه يطلب الاستشفاء بثوب رسول الله ﷺ.[٣]

[٨٥] «وَ لَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَ أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَ تَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَ هُمْ كَافِرُونَ».

«و لاتعجبك». الخطاب للنبيّ ﷺ و المراد منه الأمّة. «في الدنيا» بما يلحقهم فيها من

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤١٥.
٢ـ مجمع البيان ٥ / ٨٦.
٣ـ مجمع البيان ٥ / ٨٧.

المصائب و الغموم، و بما يأخذها منهم المسلمون على وجه الغنيمة، و بما يشقّ عليهم من إخراجها في الزكاة و الإنفاق في سبيل الله مع اعتقادهم بطلان الإسلام فيشتدّ عليهم فيكون ذلك عذاباً لهم. «و تزهق»؛ أي: تهلك بالموت. «و هم كافرون»: في حال كفرهم.[١]

[٨٦] «وَ إِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللهِ وَ جَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَ قَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ».

«سورة». قيل: هي سورة براءة. لأنّ فيها الأمر بالإيمان و الجهاد.[٢]

«أن آمنوا»؛ أي: بأن آمنوا. وهو خطاب للمؤمنين و أمر لهم بأن يدوموا على الإيمان. و يدخل فيه المنافق. «استأذنك أولوالطول»؛ أي: طلب الإذن منك في القعود أولوالمال و القدرة «مع القاعدين»: المتخلّفين عن الجهاد من النساء و الصبيان.[٣]

[٨٧] «رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَ طُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ».

«مع الخوالف»؛ أي: النساء و المرضى و المقعدين و الصبيان.[٤]

[٨٨ ـ ٨٩] «لٰكِنِ الرَّسُولُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ وَ أُولٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَ أُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ».

«لكن الرسول و الذين آمنوا معه»؛ أي: إن تخلّف هؤلاء، فقد نهد إلى الغزو من هو خير منهم و أخلص نيّة و معتقداً. «الخيرات»: منافع الدارين. و قيل: الحور؛ لقوله: «فيهنّ خيرات حسان»[٥].[٦]

١ـ مجمع البيان ٥ / ٨٧.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٣٠٠.
٣ـ مجمع البيان ٥ / ٨٩.
٤ـ مجمع البيان ٥ / ٨٩.
٥ـ الرحمن (٥٥) / ٧٠.
٦ـ الكشّاف ٢ / ٣٠٠.

«الخيرات»: الحور. جمع خيرة مخفّف خيّرة.(١)

[٩٠] «وَ جَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَ قَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللهَ وَ رَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ».

«المعذّرون». يعقوب بسكون العين و تخفيف الذال. أي: الذين يأتون بالعذر.(٢)

«المعذّرون». من عذر في الأمر، إذا توانى فيه و لم يجدّ. و حقيقته أن يوهم أنّ له عذراً فيما يفعل و لا عذر له. أو: المعتذرون، بالإدغام. قيل: هم بنو أسد و غطفان؛ قالوا: إنّ لنا عيالاً. و إنّ بنا جهداً. فأذن لنا في التخلّف. «و قعد الذين». هم منافقون من العرب الذين لم يجيئوا و لم يعتذروا و ظهر بذلك أنّهم كذبوا الله و رسوله في ادّعائهم الايمان. «منهم»: من الأعراب. «عذاب أليم» في الدنيا بالقتل و في الآخرة بالنار.(٣)

«المعذّرون». قيل: هم المعتذرون الذين لهم عذر وهم نفر من بني غفار. عن ابن عبّاس. قال: و يدلّ عليه قوله: «و قعد الذين كذبوا الله و رسوله» فعطف الكاذبين عليهم، فدلّ ذلك على أنّ الأوّلين في اعتذارهم صادقون. [قال أبوعمرو بن العلا:] و كلا الفريقين كان مسيئاً. لأنّ طائفة تكلّفوا العذر الباطل و تخلّف آخرون من غير تكلّف عذر.(٤)

«الذين كفروا منهم». فإنّ منهم من اعتذر لكسله لا لكفره.(٥)

[٩١] «لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَ لَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَ لَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَ رَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَ اللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ».

«ليس على الضعفاء» ـ الآية. نزلت في ابن أمّ مكتوم. و كان ضرير البصر، خفيف الحال، نحيف الجسم، فجاء إلى رسول الله ﷺ فقال: شيخ ضرير البصر، خفيف الحال، نحيف

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤١٦.
٢ـ مجمع البيان ٥ / ٨٩.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٣٠٠.
٤ـ مجمع البيان ٥ / ٩٠.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤١٧.

الجسم، وليس لي قائد. فهل لي رخصة في التخلّف عن الجهاد؟ فسكت النبيّ ﷺ. فنزلت الآية.(١)

«الضعفاء»: الهرمى و الزمنى. «الذين لايجدون»: الفقراء. قيل: هم مزينة و جهينة و بنو عذرة. «إذا نصحوا» الايمان بهما و طاعتهما في السرّ و العلن و الحبّ و البغض فيهما. «المحسنين»: المعذورين الناصحين، لا طريق للعتاب عليهم.(٢)

[٩٢] «وَ لَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ».

«و لا على الذين إذا ما أتوك» ـ الآية. نزلت في سبعة نفر من قبائل شتّى أتوا النبيّ ﷺ فقالوا: احملنا على الخفاف و البغال. و كان الناس بتبوك مع النبيّ ﷺ ثلاثين ألفاً منهم عشرة آلاف فارس. «حزناً»؛ أي: لحزنهم على أن لم يجدوا ما ينفقونه في الطريق.(٣)

«قلت لا أجد». حال من الكاف في «أتوك». و قد قبله مضمرة. أي: إذا ما أتوك قائلاً لاأجد، تولّوا و أعينهم تفيض. و البكّاؤون ستّة نفر من الأنصار. «تفيض من الدمع». كقولك: تفيض دمعاً. و هو أبلغ من تفيض دمعها. لأنّ العين جعلت كأنّ كلّها دمع فائض. و من للبيان. و محلّ الجارّ و المجرور النصب على التميز.(٤)

«تولّوا و أعينهم تفيض». إنّما سأل هؤلاء البكّاؤون نعلاً يلبسون.(٥)

«ألّا يجدوا». متعلّق بحزناً أو بتفيض.(٦)

[٩٣] «إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَ هُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَ طَبَعَ اللهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ».

١ـ مجمع البيان ٥ / ٩١.

٢ـ الكشّاف ٢ / ٣٠١.

٣ـ مجمع البيان ٥ / ٩١ ـ ٩٢.

٤ـ الكشّاف ٢ / ٣٠١.

٥ـ تفسير القمّيّ ١ / ٢٩٣.

٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤١٧.

«رضوا بأن يكونوا». استئناف. كأنّه قيل: ما بالهم استأذنوا و هم أغنياء؟ فقيل: رضوا بالدناءة و الضعة و الانتظام في جملة الخوالف. «وطبع الله». يعني أنّ السبب في استئذانهم رضاهم بالدناءة و خذلان الله إيّاهم.(١)

[٩٤] «يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَ سَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَ رَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ».

«يعتذرون إليكم» ـ الآية. نزلت في جماعة من المنافقين كانوا ثمانين رجلاً لمّا قدم النبيّ ﷺ المدينة راجعاً من تبوك، قال: لاتجالسوهم و لاتكلّموهم. «سيرى الله عملكم و رسوله»؛ أي: يرى الله في المستقبل هل تتوبون من نفاقكم أم تقيمون عليه. «تردّون». أي بعد الموت.(٢)

«لن نؤمن لكم»؛ أي: لن نصدّقكم في الاعتذار. لأنّ الله أطلع نبيّه ﷺ على سرائرهم و فساد نيّاتهم.

[٩٥] «سَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ».

«سيحلفون»؛ أي: يحلفون لكم أنّهم إنّما تأخّروا لعذر لأجل [أن] تصفحوا عن جرمهم و لاتوبّخوهم. «فأعرضوا» عنهم إعراض تكذيب و مقت لأنّهم رجس؛ أي: كالشيء المنتن الذي يجب الاجتناب عنه كما تجتنب الأنجاس.(٣)

«فأعرضوا عنهم» و لاتوبّخوهم. «و مأواهم جهنّم». من تمام التعليل. فكأنّه قال: إنّهم أرجاس من أهل النار لاينفع فيهم التوبيخ في الدنيا و الآخرة. أو تعليل ثان [و المعنى: انّ

١ـ الكشّاف ٢ / ٣٠١.
٢ـ مجمع البيان ٥ / ٩٢ ـ ٩٣.
٣ـ مجمع البيان ٥ / ٩٣.

النار كفتهم عتاباً] فلاتتكلّفوا عتابهم.[١]

[٩٦] «يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللهَ لَا يَرْضىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ».

«لترضوا عنهم» و لاينفعهم رضاكم ـ أيّها المؤمنون ـ عنهم لجهلكم بأحوالهم و الله ساخط عليهم.[٢]

[٩٧] «الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْراً وَ نِفَاقاً وَ أَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلىٰ رَسُولِهِ وَ اللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ».

عن أبي‌عبدالله عليه السلام: نحن بنوهاشم. و شيعتنا العرب. و سائر الناس الأعراب.[٣]

«الأعراب». يريد الأعراب الذين كانوا حول المدينة. و معناه: انّ سكّان البوادي إذا كانوا كفّاراً أو منافقين، فهم أشدّ كفراً من أهل الحضر؛ لبعدهم عن مواضع العلم.[٤]

«الأعراب»: أهل البدو «أشدّ كفراً» من أهل الحضر، لجفائهم و قسوتهم و توحّشهم و نشئهم في بعد من مشاهدة العلماء و معرفة الكتاب و السنّة. «و أجدر»: و أحقّ بجهل حدود الدين و ما أنزل الله من الشرائع و الأحكام. «عليم». أي بأهل الوبر و المدر.[٥]

[٩٨] «وَ مِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَماً وَ يَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَ اللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ».

«مغرماً»؛ أي: غرامة و خسراناً. لأنّه لاينفق إلّا تقيّة من المسلمين و رئاء لا لوجه الله. «و يتربّص بكم الدوائر»: دوائر الزمان، لتذهب غلبتكم فيتخلّص من إعطاء الصدقة. «عليهم دائرة السوء». [دعاء] معترض. دعا عليهم بنحو ما دعوا به؛ كقوله عزّ و علا: «و

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤١٨.
٢ـ مجمع البيان ٥ / ٩٣.
٣ـ الكافي ٨ / ١٦٦، ح ١٨٣.
٤ـ مجمع البيان ٥ / ٩٥ ـ ٩٦.
٥ـ الكشّاف ٢ / ٣٠٣.

قالت اليهود يد الله مغلولة غلّت أيديهم».[١] «سميع» لما يقولون إذا توجّهت عليه الصدقة. «عليم» بما يضمرون.[٢]

[٩٩] «وَ مِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللهِ وَ صَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ».

«قربات». مفعول ثان ليتّخذ. و المعنى أنّ ماينفقه سبب لحصول القربات عند الله. «و صلوات الرسول». لأنّه كان يدعو للمصدّقين بالخير والبركة؛ كقوله: اللّهمّ صلّ على آل أبي أوفى. و قال تعالى: «و صلّ عليهم».[٣] فلمّا كان ما ينفق سبباً لذلك قيل: يتّخذ ما ينفق قربات و صلوات. «ألا إنّها قربة». شهادة من الله للمتصدّقين بصحّة ما اعتقدوه من كون نفقتهم قربات و صلوات، و تصديق لرجائه على طريق الاستئناف [مع حرفي التنبيه] و التحقيق المؤذنين بثبات الأمر و تمكّنه. و كذلك «سيدخلهم» و ما في السين من تحقيق الوعد.[٤]

[١٠٠] «وَ السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ وَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ وَ أَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ».

«و السابقون» ـ الآية. اختلف في أوّل من أسلم من المهاجرين و الأنصار. فقيل: إنّ أوّل من أسلم من المهاجرين خديجة بنت خويلد، ثمّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام. و هو قول ابن عبّاس و جابر بن عبدالله و أنس و زيد بن أرقم و قتادة و غيرهم. قال أنس: بعث النبيّ صلى الله عليه وآله يوم الاثنين و صلّى عليّ عليه السلام و أسلم يوم الثلثاء. و قال مجاهد و ابن اسحاق: إنّه أسلم و هو ابن عشر سنين و كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله ضمّه إلى نفسه يربّيه في حجره و كان معه حتى بعث

١ـ المائدة (٥) / ٦٤.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٣٠٣.
٣ـ التوبه (٩) / ١٠٣.
٤ـ الكشّاف ٢/ ٣٠٣ ـ ٣٠٤.

نبيّاً. «بإحسان»: بأفعال الخير و الدخول في الإسلام بعدهم و سلوك مناهجهم. و ابن‌كثير: «من تحتها» بزيادة من.[١]

عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال لجماعة من الشيعة: أنتم السابقون الأوّلون، و السابقون الآخرون، و السابقون في الدنيا، و السابقون في الآخرة.[٢]

«من المهاجرين»: الذين شهدوا بدراً. و قيل: من بايع بالحديبيّة ـ و هي بيعة الرضوان ـ ما بين الهجرتين. و من الأنصار أهل بيعة العقبة الأولى، و كانوا سبعة نفر، و أهل العقبة الثانية و كانوا سبعين.[٣]

«و السابقون» ـ الآية. هم النقباء: أبوذرّ و المقداد و سلمان و عمّار، و من آمن و صدّق و ثبت على ولاية عليّ بن أبي‌طالب عليه السلام.[٤]

[١٠١] «وَ مِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ».

«و ممّن حولكم». يعني: حول المدينة. «منافقون». و هم جهينة و أسلم و أشجع و غفار، كانوا نازلين حولها. «مردوا على النفاق»: تمهّروا فيه. من مرد فلان على عمله، إذا درب فيه. و دلّ على مهارتهم فيه بقوله: «لاتعلمهم»؛ أي: يخفون عليك مع فطنتك و شهامتك و صدق فراستك، لفرط تنوّقهم في تحامي ما يشكّك في أمرهم. ثمّ قال: «نحن نعلمهم». أي لايطّلع على سرّهم غيره، لأنّهم يبطنون الكفر في سويدات قلوبهم و يبرزون ذلك ظاهراً كظاهر المخلصين لاتشكّ معه في إيمانهم، لأنّ لهم دراية و مهارة في النفاق. «سنعذّبهم مرّتين». قيل: هما القتل و عذاب القبر. و قيل: الفضيحة و عذاب القبر. و عن ابن‌عبّاس: انّهم اختلفوا في هاتين المرّتين، فقام رسول‌الله صلى الله عليه وآله خطيباً يوم الجمعة فقال: اخرج يا فلان، فإنّك منافق. اخرج يا فلان، فإنّك منافق. فأخرج ناساً و فضحهم. فهذا العذاب الأوّل، و الثاني عذاب

١ـ مجمع البيان ٥ / ٩٧ ـ ٩٨.
٢ـ الكافي ٨ / ٢١٣.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٣٠٤.
٤ـ تفسير القمّيّ ١ / ٣٠٣.

القبر. و قيل: أخذ الزكاة من أموالهم و نهك أبدانهم.[١]

«مرّتين». عذّبوا بالجوع مرّتين. و قيل: إنّ الأولى ضرب الملائكة وجوههم و أدبارهم عند قبض أرواحهم، و الأخرى عذاب القبر. «عذاب عظيم»: عذاب يوم القيامة.[٢]

[١٠٢] «وَ آخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وَ آخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ».

«و آخرون». عن أبي جعفر عليه السلام: هم قوم اجترحوا ذنوباً مثل قتل حمزة و جعفر ثمّ تابوا.[٣]

«و آخرون». يعني أهل المدينة و ليس براجع إلى المنافقين.[٤]

«اعترفوا بذنوبهم»؛ أي: لم يعتذروا بالمعاذير الكاذبة كغيرهم، ولكن اعترفوا على أنفسهم بأنّهم بئس ما فعلوا نادمين. و كانوا ثلاثة: أبولبابة، و أوس بن ثعلبة، و وديعة بن حزام، فأوثقوا أنفسهم على سواري المسجد. فقدم رسول الله صلى الله عليه و آله فرآهم موثقين، فسأل عنهم. فذكر له أنّهم أقسموا أن لا يحلّوا أنفسهم حتّى يكون رسول الله هو الذي يحلّهم. فقال: و أنا أقسم أن لا أحلّهم حتّى أومر فيهم. فنزلت، فأطلقهم و أعذرهم. فقالوا: يا رسول الله، هذه أموالنا التي خلّفتنا عنك فتصدّق بها و طهّرنا. فقال: ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئاً. فنزلت: «خذ من أموالهم» ـ الآية. «عملاً صالحاً»: خروجاً إلى الجهاد. «و آخر سيّئاً»: تخلّفاً عن الجهاد.[٥]

«و آخرون». نزلت في أبي‌لبابة. كان رسول الله صلى الله عليه و آله حاصر بني‌قريظة و قالوا: ابعث لنا أبالبابة نستشيره في أمرنا. فبعثه إليهم. فقالوا له: يا أبالبابة، أننزل على حكم محمّد؟ فقال: انزلوا. و اعلموا أنّ حكمه فيكم هو الذبح. ثمّ ندم على ذلك فقال: خنت الله و رسوله. و نزل من حصنهم، و أتى إلى المسجد و شدّ في عنقه حبلاً إلى الأسطوانة و قال: لا أحلّه حتّى أموت

١ـ الكشّاف ٢ / ٣٠٥ ـ ٣٠٦.
٢ـ مجمع البيان ٥ / ١٠٠.
٣ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ١٠٥.
٤ـ مجمع البيان ٥ / ١٠٠.
٥ـ الكشّاف ٢ / ٣٠٦ ـ ٣٠٧.

أو يتوب الله عليّ. فنزلت توبته، و تصدّق بثلث ماله.[١]

[١٠٣] «خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَ تُزَكِّيهِمْ بِهَا وَ صَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَ اللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ».

«خذ من أموالهم»؛ أي: من أموال هؤلاء التائبين، تشديداً للتكليف و ليست بالصدقة المفروضة، بل هي على سبيل الكفّارة للذنوب التي أصابوها. و قيل: أراد بها الزكاة المفروضة. عن أكثر أهل التفسير. «تطهّرهم» تلك الصدقة عن دنس الذنوب. «و تزكّيهم» أنت «بها»؛ أي: تنسبهم إلى الزكاة و تدعو لهم بما يصيرون به أزكياء. «صلاتك». غير أهل الكوفة بالجمع.[٢]

«تطهّرهم». صفة لصدقة. «و تزكّيهم». [التزكية:] مبالغة في التطهير. أو بمعنى الإنماء و البركة في المال. «و صلّ عليهم»: اعطف عليهم بالدعاء و ترحّم. «سكن لهم»: يسكنون إليه و تطئمنّ قلوبهم بأنّ الله قد تاب عليهم. «و الله سميع» يسمع اعترافهم بذنوبهم و دعاءهم «عليم» بما في ضمائرهم من الندم و الغمّ لما فرط منهم.[٣]

[١٠٤ ـ ١٠٥] «أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَ يَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَ أَنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * وَ قُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَ رَسُولُهُ وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ سَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ».

«هو يقبل التوبة» لا أنت. لأنّهم قالوا: خذ من أموالنا ما يكون كفّارة لذنوبنا، فأبى. «و يأخذ الصدقات». مجاز عن قبولها. روي أنّ الصدقة تقع في يد السائل، و من ثمّ كان الكاظم عليه السلام يضع الدرهم في يد السائل ثمّ يرفعه و يقبّله و يمرّه على عينيه، ثمّ يدفعه إليه ثانياً و يقول: إنّه وقع في يد الله سبحانه.[٤]

١ـ تفسير القمّي ١ / ٣٠٣ ـ ٣٠٤.
٢ـ مجمع البيان ٥ / ١٠٣ و ١٠١.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٣٠٧ ـ ٣٠٨.
٤ـ انظر: التهذيب ٤ / ١٠٥، ح ٣٠٠.

«ألم يعلموا». قرئ بالياء و التاء. و فيه و جهان: أحدهما أن يراد المتوب عليهم. يعني: ألم يعلموا قبل أن يتاب عليهم و تقبل صدقاتهم «أنّ الله هو يقبل التوبة» إذا صحّت و يقبل الصدقات إذا صدرت عن خلوص النيّة؟ و معنى التخصيص في «هـو» أنّ ذلك ليس إلى رسول الله إنّما الله هو الذي يقبل التوبة و يردّها، فاقصدوه بهـا. «قـل» لهـؤلاء التـائبين: «اعملوا». فإنّ عملكم لايخفى ـ خيراً كان أو شرّاً ـ على الله و عباده، كما رأيتم و تبيّن لكم. و الثاني أن يراد غير التائبين ترغيباً لهم في التوبة. فقد روي أنّه لمّا تيب عليهم، قال الذين لم يتوبوا: هؤلاء الذين تابوا كانوا بالأمس معنا لايكلّمون و لايجالسون. فما لهم؟ فنزلت.[١]

«فسيرى الله»؛ أي: يعلمها موجودة بعد أن يعلمها معدومة. «و المؤمنون»؛ أي: الشهداء و الملائكة الذين هم الحفظة للأعمال. و روى أصحابنا أنّ أعمال الأمّة تعرض على النبيّ‌صلى‌الله‌عليه‌وآله في كلّ اثنين و خميس. و كذلك تعرض على أئمّة الهدى‌عليهم‌السلام فيعرفونها. و هم المعنيّون بقوله: «و المؤمنون».[٢]

[١٠٦] «وَ آخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَ إِمَّا يَتُوبُ عَـلَيْهِمْ وَ اللهُ عَـلِيمٌ حَكِيمٌ».

«و آخرون» ـ أي من المتخلّفين ـ موقوف أمرهم «إمّا يعذّبهم» إن بقوا على الإصرار و لم يتوبوا «و إمّا يتوب عليهم» إن تابوا. و هم ثلاثة: كعب بن مالك، و هـلال بـن أمـيّة، و مرارة بن الربيع. أمر رسول الله‌صلى‌الله‌عليه‌وآله أن لايسلّموا عليهم و لايكلّموهم. و لم يفعلوا كما فعل أبولبابة و أصحابه من شدّ أنفسهم و إظهار الجزع. فلمّا علموا أنّ أحداً لاينظر إليهم، فوّضوا أمرهم إلى الله، فرحمهم الله.[٣]

عن أبي جعفرعليه‌السلام في قوله: «و آخرون مرجون» ـ الآية ـ: انّ هؤلاء لهم مـنزلة بـين الايمان و الكفر. و هم قوم كانوا مشركين فقتلوا مثل حمزة و جعفر و أشباههما، ثمّ دخلوا بعد

١ـ الكشّاف ٢ / ٣٠٨. ٢ـ مجمع البيان ٥ / ١٠٤.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٣٠٨ ـ ٣٠٩.

في الإسلام فوحّدوا الله و تركوا الشرك، و لم يعرفوا الايمان بقلوبهم فيكونوا من المؤمنين فتجب لهم الجنّة، و لم يكونوا على جحودهم فتجب لهم النار. و هؤلاء يوقفهم الله حتّى يبيّن فيهم رأيه.[١]

«مرجون». أبوبكر: «مرجؤون» بالهمزة. «يتوب عليهم». فنزلت توبتهم بقوله: «و على الثلاثة الذين خلّفوا»[٢].[٣]

[١٠٧] «وَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَ كُفْراً وَ تَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَ إِرْصَاداً لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَ رَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَ لَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنىٰ وَ اللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ».

«و الذين». ابن‌عامر و أهل المدينة: «الذين» بغير واو. من أثبت الواو في «الذين اتّخذوا» عطفه على ما تقدّم. و التقدير: و منهم الذين اتّخذوا. و من حذف الواو، ابتدأ الكلام و أضمر الخبر. أي: فهم ينتقم منهم أو يعذّبون أو نحو ذلك. و الضرار: طلب الضرر و محاولته.[٤]

«و الذين». ذكر جماعة أخرى من المنافقين بنوا مسجداً للتفريق بين المسلمين. «ضراراً»؛ أي: مضارّة بأهل مسجد قباء أو مسجد الرسول ﷺ ليقلّ الجمع فيه. «و كفراً»؛ أي: ليكفروا فيه بالطعن على رسول الله ﷺ و على الإسلام. «و تفريقاً»؛ أي: تفريق الناس عن رسول الله. «و إرصاداً لمن حارب»؛ أي: اتّخذوه عدّة لأبي‌عامر الراهب؛ و هو الذي حارب الله و رسوله من قبل. لأنّه ترهّب في الجاهليّة و لبس المسوح. فلمّا قدم النبيّ المدينة، حسده و حزّب عليه الأحزاب. ثمّ هرب بعد فتح مكّة إلى الطائف. فلمّا أسلم أهله، لحق بالشام و خرج إلى الروم و تنصّر. و هو أبو حنظلة غسيل الملائكة. و كان قد أرسل إلى المنافقين أن استعدّوا و ابنوا مسجداً؛ فإنّي أذهب إلى قيصر و آتي من عنده بجنود و أخرج

١ـ تفسير القمّيّ ١ / ٣٠٤.
٢ـ التوبة (٩) / ١١٨.
٣ـ مجمع البيان ٥ / ١٠٤ ـ ١٠٥.
٤ـ مجمع البيان ٥ / ١٠٦ ـ ١٠٧.

محمّداً من المدينة. فكان هؤلاء المنافقون يتوقّعون أن يجيئهم أبوعامر. فمات قبل أن يبلغ ملك الروم. «و ليحلفنّ»؛ أي: يحلفون كاذبين: ما أردنا ببناء هذا المسجد إلّا الفعلة الحسنى من التوسعة على الضعفاء. فأطلع الله نبيّه على خبث سريرتهم فقال: «و الله يشهد إنّهم لكاذبون». فوجّه رسول الله ﷺ عند قدومه من تبوك جماعة فهدموا المسجد و أحرقوه و أمر بأن يتّخذ كناسة يلقى فيها الجيف. ثم نهى الله أن يقوم في هذا المسجد.(۱)

النزول: قال المفسّرون: إنّ بني عمرو بن عوف اتّخذوا مسجد قباء و بعثوا إلى رسول الله ﷺ فأتاهم و صلّى فيه. فحسدهم جماعة من المنافقين من بني غنم بن عوف فقالوا: نبني مسجداً نصلّي فيه و لانحضر جماعة محمّد. و كانوا اثني عشر رجلاً منهم ثعلبة بن حاطب، فبنوا مسجداً إلى جنب مسجد قباء فأتوا إلى رسول الله ﷺ و هو يتجهّز إلى تبوك فقالوا: إنّا بنينا مسجداً لذي العلّة و الحاجة و اللّيلة المطيرة. و إنّا نحبّ أن تأتينا فتصلّي لنا فيه و تدعو بالبركة. فقال ﷺ: إنّي على جناح سفر. و لو قدمنا لأتيناكم إن شاء الله فنصلّي لكم. فلمّا انصرف من تبوك، نزلت عليه الآيات في شأن المسجد.(۲)

«و تفريقاً» حتّى لايجتمعوا للصلاة في مسجد قباء. (ع)

«و كفراً»: تقوية للنفاق. «من قبل»؛ أي: اتّخذوا مسجداً من قبل أن ينافق هؤلاء في التخلّف.(۳)

[۱۰۸] «لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَ اللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ».

«لاتقم فيه أبداً»؛ أي: لاتصلّ فيه أبداً. ثمّ أقسم فقال: «لمسجد أسّس على التقوى»؛ أي: بني أصله على تقوى الله و طاعته «من أوّل يوم» وضع أساسه أولى بأن تصلّي فيه. و هو مسجد قباء، أو مسجد رسول الله ﷺ، أو كلّ مسجد بني للإسلام. ثمّ وصف المسجد و أهله

۱ـ مجمع البيان ۵ / ۱۱۰.
۲ـ مجمع البيان ۵ / ۱۰۹.
۳ـ الكشّاف ۲ / ۳۱۰.

فقال: «فيه رجال»؛ أي: في المسجد الذي بني على التقوى رجال يحبّون أن يصلّوا متطهّرين بأبلغ الطهارة، أو من الذنوب، أو بالماء عن الغائط و البول و هو المرويّ عن السيدين الباقر و الصادق عليهما السلام.(١)

«يحبّ المطّهّرين»؛ أي: يرضى عنهم و يحسن إليهم.(٢)

[١٠٩] «أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللهِ وَ رِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَ اللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ».

ثمّ قرّر سبحانه الفرق بين المسجدين فقال: «أفمن أسّس». المراد أنّ الله شبّه بنيانهم على نار جهنّم بالبناء في جانب نهر هذا صفته. فكما أنّ من بنى على جانب هذا النهر فإنّه ينهار بناؤه في الماء و لايثبت، فكذلك بناء هؤلاء ينهار و يسقط في نار جهنّم. و عمل المؤمن ثابت مستقيم مبنيّ على أصل صحيح. «فانهار به»؛ أي: يوقعه ذلك البناء في نار جهنّم.(٣)

«أسّس» نافع و ابن‌عامر بضمّ الألف «بنيانه» بالرفع في الموضعين. «جرف». ابن‌عامر: «جُرْف» بالتخفيف.(٤)

«على تقوى»؛ أي: على أصل محكم. «أسّس». على قراءة المجهول معناه أنّه أمر غيره بتأسيسه فكأنّه هو الذي أسّسه. «شفا جرف». الشفا: الحرف. (ع)

«هار»؛ أي: هائر؛ و هو المشرف على السقوط. «فانهار به». لأنّ الجرف الهائر كناية عن الباطل.(٥)

[١١٠] «لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَ اللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ».

١ـ مجمع البيان ٥ / ١١٠ ـ ١١١.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٣١١.
٣ـ مجمع البيان ٥ / ١١١.
٤ـ مجمع البيان ٥ / ١٠٦.
٥ـ الكشّاف ٢ / ٣١٢.

«ريبة»: أي: شكّاً في الدين و نفاقاً. لأنّه لمّا هدمه رسول الله ﷺ ازدادوا نفاقاً. و المعنى: لايزال هدمه سبب شكّ و نفاق زائد و لايزول أثره إلى أن تقطّع قلوبهم أجزاء فحينئذ يسلون عنه.[١]

«إلّا أن تقطّع». يعقوب: «إلى أن تقطّع». و هو المرويّ عن أبي‌عبدالله عليه السلام. قيل: معناه: إلّا أن يتوبوا توبة تنقطع بها قلوبهم ندماً على تفريطهم.[٢]

«تقطّع». جماعة من القرّاء بضمّ التاء مشدّداً. (م٢)

[١١١ ـ ١١٢] «إِنَّ اللهَ اشْتَرىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَ يُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْراةِ وَ الْإِنْجِيلِ وَ الْقُرْآنِ وَ مَنْ أَوْفىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بايَعْتُمْ بِهِ وَ ذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * التّائِبُونَ الْعابِدُونَ الْحامِدُونَ السّائِحُونَ الرّاكِعُونَ السّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ النّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ الْحافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ».

«إنّ الله» ـ الآيات. روى أصحابنا أنّ هذه صفات الأئمّة المعصومين عليهم السلام. لأنّه لايكاد يجمع هذه الأوصاف على تمامها غيرهم. و لقي الزهريّ عليّ بن الحسين عليه السلام في طريق الحجّ فقال له: تركت الجهاد و أقبلت إلى الحجّ. و الله يقول: «إنّ الله اشترى» ـ الآية. فقال عليه السلام: أتمّ الآية الأخرى: «التائبون» ـ إلى آخرها. ثمّ قال: إذا رأينا هؤلاء الذين هذه صفتهم، فالجهاد معهم أفضل من الحجّ.[٣]

عن أبي جعفر عليه السلام: «إنّ الله اشترى». يعني في الميثاق.[٤] و عنه أنّها نزلت في الأئمّة عليهم السلام.[٥]

«إنّ الله اشترى». ذكر الاشتراء من المؤمنين أنفسهم مجاز من باب: «و أقرضوا الله قرضاً

١ـ الكشّاف ٢ / ٣١٢ ـ ٣١٣.
٢ـ مجمع البيان ٥ / ١٠٦ و ١١١.
٣ـ مجمع البيان ٥ / ١١٤.
٤ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ١١٢، ح ١٤٠.
٥ـ تفسير القمّيّ ١ / ٣٠٦.

حسناً»[1] تلطيفاً لتأكيد الجزاء. و المراد أنّه اشترى من المؤمنين أنفسهم يبذلونها في الجهاد و أموالهم ينفقونها في سبيل الله، على أن يكون في مقابلة ذلك الجنّة.[2]

«يقاتلون». استئناف لبيان ما لأجله الشراء. و قيل: يقاتلون في معنى الأمر. «فيقتلون و يقتلون». حمزة و الكسائيّ بتقديم المبنيّ للمفعول. لأنّ الواو لاتوجب الترتيب، و لأنّ فعل البعض قد يسند إلى الكلّ. «حقّاً». مصدر مؤكّد لما دلّ عليه الشراء. فإنّه في معنى الوعد. «في التوراة و الإنجيل»؛ أي: مثبوت فيهما كما ثبت في القرآن. «و من أوفى بعهده». مبالغة في الإنجاز و تقرير لكونه حقّاً. «فاستبشروا»؛ أي: فافرحوا غاية الفرح؛ فإنّه أوجب لكم عظائم المطالب.[3]

عن أبي‌بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: تلوت: «التائبون العابدون» فقال: لا. اقرأ: «التائبين العابدين» ـ إلى آخرها. فسئل عن العلّة في ذلك فقال: اشترى من المؤمنين التائبين.[4]

«التائبون». رفع على المدح. أي: هم تائبون. و المراد بهم المؤمنون المذكورون. أو مبتدأ خبره محذوف. أي: التائبون من أهل الجنّة و إن لم يجاهدوا؛ لقوله: «و كلّاً وعد الله الحسنى».[5] «العابدون». يعني بالإخلاص عبدوه. «الحامدون» لنعمائه، أو لما نابهم من السرّاء و الضرّاء. «السائحون»: الصائمون؛ لقوله صلى الله عليه و آله: سياحة أمّتي الصيام. شبّه بها من حيث إنّه يعوق عن الشهوات، أو لأنّه رياضة نفسانيّة يتوصّل بها إلى الاطّلاع على خفايا الملك و الملكوت أو السائحون للجهاد أو لطلب العلم. «الراكعون الساجدون» في الصلاة. «بالمعروف»: بالإيمان و الطاعة. «و الناهون عن المنكر»: الشرك و المعاصي. و العاطف فيه للدلالة على أنّه بما عطف عليه في حكم خصلة واحدة؛ كأنّه قال: الجامعون بين الوصفين. «لحدود الله»؛ أي: فيما بيّنه و عيّنه من الحقائق و الشرائع، للتنبيه على أنّ ما قبله مفصّل

١ـ المزّمّل (٧٣) / ٢٠.
٢ـ مجمع البيان ٥ / ١١٣.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٢٢.
٤ـ الكافي ٨ / ٣٧٧ ـ ٣٧٨، ح ٥٦٩.
٥ـ النساء (٤) / ٩٥.

الفضائل و هذا مجملها. و قيل: إنّه للإيذان بأنّ التعداد قد تمّ بالسابع من حيث إنّ السبعة هو العدد التامّ ـ لاشتماله على جميع أقسام العدد من الزائد والناقص و المساوي ـ [و] الثامن هو ابتداء تعداد آخر معطوف عليه. و لذلك سمّي واو الثمانية. «و بشّر المؤمنين». يعني به هؤلاء الموصوفين بتلك الفضائل. و وضع المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه على أنّ إيمانهم دعاهم إلى ذلك و أنّ المؤمن الكامل من كان كذلك. و حذف المبشّر به للتعظيم، كأنّه قال: و بشّرهم بما يجلّ عن إحاطة الأفهام و تعبير الكلام.(١)

«السائحون». سمّي الصائم سائحاً لاستمراره على الطاعة في ترك المشتهى.(٢)

«و الحافظون لحدود الله». يعني الأئمّة عليهم السلام. فإنّ الحدّ إذا انتهى إليهم وجب عليهم إقامته. كذا في الرواية.(٣)

[١١٣] «مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَ لَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ».

«ماكان للنبيّ» صلّى الله عليه و آله؛ أي: لايجوز للنبيّ و المؤمنين أن يطلبوا المغفرة للكفّار و لو كانوا أقرب الناس إليهم، بعد ما تبيّن لهم أنّهم مستحقّون الخلود في النار. و في تفسير الحسن: انّ المسلمين قالوا للنبيّ: ألاتستغفر لآبائنا الذين ماتوا في الجاهليّة؟ فأنزل الله هذه الآية.(٤)

[١١٤] «وَ مَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ».

ثمّ بيّن سبحانه الوجه في استغفار إبراهيم لأبيه مع كونه كافراً، سواء كان أباه الذي ولده، أو جدّه لأمّه، أو عمّه على ما رواه أصحابنا. ثمّ اختلف في صاحب هذه الوعدة هل هو إبراهيم أو أبوه. فقيل: إنّ الوعدة كانت من الأب؛ وعد إبراهيم أنّه يؤمن إن استغفر له،

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٢٢ ـ ٤٢٣.
٢ـ مجمع البيان ٥ / ١١٣.
٣ـ الكافي ٧ / ٢٥١.
٤ـ مجمع البيان ٥ / ١١٥.

فاستغفر له لذلك. «فلمّا تبيّن له أنّه عدوّ لله» ولايفي بما وعد، «تبرّأ منه» و ترك الدعاء له. و هو المرويّ عن ابن‌عبّاس و غيره. قالوا: إنّما تبيّن عداوته لمّا مات على كفره. و قيل: إنّ الموعدة كانت من إبراهيم؛ قال لأبيه: إنّي أستغفر لك ما دمت حيّاً و كان يستغفر له مقيّداً بشرط الايمان. فلمّا أيس من إيمانه، تبرّأ منه. «الأوّاه»؛ أي: دعّاء كثير الدعاء. و هو المرويّ عن أبي عبدالله عليه السلام. و قيل: الأوّاه: الرحيم بعباد الله. و قيل: هو الذي إذا ذكر النار قال: أوه. و قيل: هو المؤمن بلغة الحبشة. و قيل: هو الحليم. و قد بلغ من حلمه أنّ رجلاً آذاه و شتمه، فقال له: هداك الله.[١]

«وعدها إيّاه». قال له إبراهيم: إن لم تعبد الأصنام، استغفرت لك. فلمّا لم يدع الأصنام، تبرّأ منه.[٢]

قيل لأبي‌الحسن عليه السلام: أرأيت إن احتجت إلى الطبيب و هو نصرانيّ أسلّم عليه و أدعو له؟ قال: نعم؛ لاينفعه دعاؤك.[٣]

و قال عليه السلام: تقول في الدعاء لليهوديّ و النصرانيّ: بارك الله لك في دنياك.[٤]

«تبرّأ منه»: قطع استغفاره.[٥]

[١١٥ ـ ١١٦] «وَ مَا كَانَ اللهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتّٰى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * إِنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ يُحْيِي وَ يُمِيتُ وَ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لَا نَصِيرٍ».

«و ما كان الله». نزولها: مات قوم من المسلمين قبل أن تنزل الفرائض، فقال المسلمون: يا رسول الله، إخواننا الذين ماتوا قبل الفرائض، ما منزلتهم؟ فنزلت: «و ما كان الله ليضلّ»؛ أي: ليعذّب قوماً فيضلّهم عن طريق الجنّة بعد إذ دعاهم إلى الايمان حتّى يتبيّن لهم ما

١ـ مجمع البيان ٥ / ١١٦.
٢ـ تفسير القمّيّ ١ / ٣٠٦.
٣ـ مستطرفات السرائر / ٥٩٥.
٤ـ الكافي ٢ / ٦٥٠.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٢٣.

يستحقّون به الثواب و العقاب من الطاعة و المعصية.(١)

«ليضلّ»؛ أي: يخفي عليهم معرفة الإمام اللّاحق بعد ما عرفوا الأوّل.(٢) «إنّ الله له الملك». يعني أنّ الأقارب و الاستغفار لهم لاينفع بل الذي بيده كلّ شيء هو مالك السموات و الأرض. (ع (ره))

[١١٧] «لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُفٌ رَحِيمٌ».

عن أبان بن تغلب، عن أبي عبدالله عليه السلام قرأ: «لقد تاب الله بالنبيّ على المهاجرين و الأنصار». قال أبان: فقلت له: إنّ العامّة تقرؤها: «لقد تاب الله على النبيّ». فقال: ويلهم! و أيّ ذنب كان لرسول الله صلى الله عليه و آله حتّى تاب الله عليه؟ إنّما تاب به على أمّته.(٣) و في مجمع البيان أنّها قراءة عليّ بن الحسين و الباقر و الصادق عليهم السلام.(٤)

«تاب الله على النبيّ». [هو بعث على التوبة] ـ لأنّه ما من أحد إلّا و هو محتاج إلى التوبة، لأنّ له مقاماً يستنقص دونه ما هو فيه و الترقّي إليه توبة من تلك النقيصة ـ و إظهار لفضلها بأنّها مقام الأنبياء و الصالحين. «تزيغ». حفص و حمزة: «يزيغ» بالياء، لأنّ تأنيث القلوب غير حقيقيّ.(٥)

«لقد تاب»؛ أي: و الله لقد تاب. «على النبيّ». إنّما ذكر اسم النبيّ صلى الله عليه و آله مفتاحاً للكلام و تحسيناً له، لأنّه سبب توبتهم، و إلّا فلم يكن منه ما يوجب التوبة. «في ساعة العسرة»؛ أي: وقتها. «تزيغ قلوب فريق منهم» إذ همّوا بالانصراف، فعصمهم الله عن ذلك. «ثمّ تاب

١ـ مجمع البيان ٥ / ١١٧.

٢ـ انظر: الكافي ١ / ٣٢٨، ح ١٢، و قرب الإسناد / ١٦٥ ـ ١٦٦.

٣ـ الاحتجاج ١ / ١٩٠.

٤ـ لم نعثر عليه في المجمع، بل فيه ٥ / ١٢٠: و قد روي عن الرضا عليّ بن موسى عليه السلام أنّه قرأ: «لقد تاب الله بالنبيّ...».

٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٢٤.

عليهم» من بعد الزيغ. نزلت في غزوة تبوك و ما لحق المسلمين فيها من العسرة حتّى همّ قوم بالرجوع، ثمّ تداركهم لطف الله. و كان العشرة من المسلمين لهم بعير واحد يتناوبون عليه. و كان زادهم الشعير المسوس و التمر المدود. و كانت التمرة بينهم يمصّها الواحد بعد الواحد. و كان عبدالله بن خثيمة[١] تخلّف إلى أن مضى من مسير رسول الله ﷺ عشرة أيّام، ثمّ دخل على امرأتين له في عريشين لهما قد رشّتاهما و برّدتا الماء و هيّأتا الطعام له. فقال: سبحان الله! رسول الله قد غفر الله له ما تقدّم من ذنبه و ما تأخّر في الشمس و الريح الحارّ يحمل سلاحه على عاتقه و أنا في الظلال مع المرأتين الحسناوين! ما هذا بالنصف. ثمّ قال: لا أكلّم واحدة منكما كلمة و لا أدخل عريشاً حتّى ألحق بالنبيّ. فأناخ راحلته و تزوّد و ارتحل؛ حتّى إذا دنا من تبوك، أتى النبيّ، فدعا له بالخير. و هو الذي زاغ قلبه ثمّ أثبته الله.[٢]

[١١٨] «وَ عَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَ ضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَ ظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ».

«خلّفوا». قراءة زين العابدين و الصادق و الباقر عليهم السلام: «خالفوا».[٣]

و في تفسير العيّاشيّ عن أبي عبدالله عليه السلام: لو كانوا خلّفوا، ما كان عليهم من سبيل، ولكنّهم خالفوا؛ عثمان و صاحباه. أما و الله ما سمعوا صوت كافر و لا قعقعة حجر إلّا قالوا: أتينا. فسلّط الله عليهم الخوف حتّى أصبحوا.[٤] ثمّ قال عليه السلام في قوله: «ثمّ تاب عليهم ليتوبوا» قال: أقالهم. فوالله ما تابوا.[٥]

و أمّا قوله: «و على الثلاثة الذين خلّفوا» فإنّها نزلت في كعب بن مالك و مرارة بن الربيع و هلال بن أميّة، تخلّفوا عن رسول الله لا عن نفاق ولكن عن توان، ثمّ ندموا. فلمّا قدم

١ـ المصدر: خيثمة.
٢ـ مجمع البيان ٥ / ١١٩ ـ ١٢٠.
٣ـ مجمع البيان ٥ / ١١٨.
٤ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ١١٥، ح ١٥٢.
٥ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ١١٦، ح ١٥٤.

رسول الله المدينة، أمر أن لايكلّموا. فهجرهم الناس حتّى نساؤهم. فضاقت عليهم المدينة. و خرجوا إلى رؤوس الجبال فتهاجروهم أيضاً و تفرّقوا. و بقوا على ذلك خمسين يوماً يتوبون إلى الله ، فقبلت توبتهم و أنزل فيهم هذه الآية.(١)

«خلّفوا» عن غزوة تبوك. «و ضاقت عليهم أنفسهم» من جهة الغمّ الذي حصل لهم.(٢)

«ضاقت عليهم الأرض» لإعراض الناس عنهم.(٣)

«ثمّ تاب عليهم»؛ أي: سهّل عليهم التوبة حتّى تابوا. و قيل: «ليتوبوا»؛ أي: ليعودوا إلى حالتهم الأولى قبل المعصية. و قيل: معناه: ثمّ تاب على الثلاثة و أنزل توبتهم على نبيّه صلى الله عليه وآله ليتوب المؤمنون من ذنوبهم. قال الحسن: أما و الله ما سفكوا من دم و لا أخذوا من مال و لا قطعوا من رحم ولكنّ المسلمين تسارعوا في الشخوص مع رسول الله صلى الله عليه وآله و تخلّف هؤلاء. و كان واحد منهم تخلّف بسبب ضيعة له، و الآخر لأهله، و الآخر طلباً للراحة. ثم ندموا و تابوا، فقبل الله توبتهم.(٤)

[١١٩] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ».

«اتّقوا الله»؛ أي: معاصيه. «مع الصادقين». في مصحف عبدالله: «من الصادقين». و روي ذلك عن أبي عبدالله عليه السلام. «مع الصادقين»؛ أي: على مذهب من يستعمل الصدق في أقواله و أفعاله. و قيل: المراد بالصادقين هم الذين ذكرهم بقوله: «رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه» يعني حمزة و جعفراً «و منهم من ينتظر»(٥) يعني عليّ بن أبي طالب عليه السلام. و روى جابر عن أبي عبدالله عليه السلام: «مع الصادقين»؛ أي: مع آل محمّد عليهم السلام.(٦)

[١٢٠] «مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ

١ـ مجمع البيان ٥ / ١٢٠.
٢ـ مجمع البيان ٥ / ١٢١.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٢٤.
٤ـ مجمع البيان ٥ / ١٢١.
٥ـ الأحزاب (٣٣) / ٢٣.
٦ـ مجمع البيان ٥ / ١٢٢.

وَ لَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَ لَا نَصَبٌ وَ لَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ وَ لَا يَطَؤُنَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَ لَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللّٰهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ».

«ماكان». معناه النهي. «أن يتخلّفوا» في غزوة تبوك و لا غيرها. و قيل: إنّهم مزينة و جهينة و أشجع و غفار و أسلم. «و لا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه» بأن يكونوا في الخفض و الدعة و رسول الله ﷺ في الحرّ والمشقّة، بل عليهم أن يجعلوا أنفسهم وقاية لنفسه. «ذلك»؛ أي: ذلك النهي لهم و الزجر عن التخلّف. «ظمأ»؛ أي: عطش. «نصب»؛ أي: تعب في أبدانهم. «مخمصة في سبيل الله»؛ أي: مجاعة في طاعة الله و الجهاد. و هي شدّة الجوع. «و لايطؤون موطئاً»؛ أي: لايضعون أقدامهم موضعاً «يغيظ الكفّار» وطؤهم إيّاه. يعني دار الحرب. «و لاينالون من عدوّ نيلاً»؛ أي: لايصيبون من المشركين أمراً من قتل أو جراحة أو أمر يغمّهم و يغيظهم. «إلّا كتب لهم به عمل صالح». لأنّ الله لايضيع أجر الذين يفعلون الأفعال الحسنة.[١]

«أجر المحسنين» على إحسانهم. و هو تعليل لكتب و تنبيه على أنّ الجهاد إحسان. أمّا في حقّ الكفّار، فلأنّه سعي في تكميلهم بأقصى ما يمكن، كضرب المداوي للمجنون. و أمّا في حقّ المؤمنين، فلأنّه صيانة لهم عن سطوة الكفّار و استيلائهم.[٢]

[١٢١] «وَ لَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَ لَا كَبِيرَةً وَ لَا يَقْطَعُونَ وَادِياً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللّٰهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ».

«نفقة» في الجهاد. «و لايقطعون»؛ أي: لايجاوزون. «ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون»؛ أي: كتب طاعاتهم ليجزيهم عليها بقدر استحقاقهم و يزيدهم من فضله حتّى يصير الثواب أحسن و أكثر من عملهم. و قيل: معناه: ليجزيهم الله بأحسن ما كانوا يعملون.

١ـ مجمع البيان ٥ / ١٢٣ ـ ١٢٤.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٢٥.

قال ابن عبّاس: يرضيهم بالثواب و يدخلهم الجنّة بغير حساب.(١)

[١٢٢] «وَ مَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَ لِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ».

«و ما كان المؤمنون» ـ الآية. قيل: كان رسول الله ﷺ إذا خرج غازياً، لم يتخلّف عنه إلّا المنافقون أو المعذورون. فلمّا أنزل الله عيوب المنافقين في غزوة تبوك، قال المؤمنون: لانتخلّف عن الغزو أبداً. فلمّا أمر رسول الله ﷺ بالسرايا إلى الغزو، نفر المسلمون جميعاً و تركوا رسول الله وحده. فنزلت الآية. «و ما كان». نفي معناه النهي. أي: ليس للمؤمنين أن يخرجوا كلّهم إلى الجهاد و يتركوا النبيّ فريداً. و قيل: معناه: ليس عليهم أن ينفروا كلّهم من بلادهم إلى النبيّ ليتعلّموا الدين و يضيعوا من وراءهم و يخلّوا ديارهم. «فلولا نفر من كلّ فرقة». معناه: فهلّا خرج إلى الغزو من كلّ قبيلة جماعة و يبقى معه جماعة ليتفقّهوا؟ يعني الفرقة القاعدين يتعلّمون القرآن و الأحكام، فإذا راجعت السرايا و قد نزل من بعدهم قرآن و تعلّمه القاعدون علّموه السرايا. و قال الباقر ؑ: كان هذا حين كثر الناس فأمرهم الله أن ينفر منهم طائفة و يقيم أخرى للتفقّه و أن يكون الغزو نوباً. و قيل: إنّ التفقّه و الإنذار يرجعان إلى الفرقة النافرة؛ حثّها الله على التفقّه لترجع إلى المتخلّفة فتحذّرها. و معنى «ليتفقّهوا في الدين»: ليتبصّروا بما يريهم الله من الظهور على المشركين و نصرة الدين و لينذروا قومهم من الكفّار إذا رجعوا من الجهاد لعلّهم يحذرون و يدخلون في دين الإسلام. فاجتمع للنافرة ثواب الجهاد و التفقّه في الدين و إنذار قومهم. و قيل: التفقّه راجع إلى النافرة. أي: ما كان لجميع المومنين أن ينفروا إلى النبيّ و يخلّوا ديارهم، ولكن لينفر إليه من كلّ ناحية طائفة لتتعلّم أحكام الدين منه ثمّ تخرج إلى قومها فتبيّن لهم و تنذرهم. فالمراد بالنفر الخروج لطلب العلم.(٢)

١ـ مجمع البيان ٥ / ١٢٤.

٢ـ مجمع البيان ٥ / ١٢٥ ـ ١٢٦.

عبدالمؤمن الأنصاريّ قال: قلت: لأبي عبدالله عليه السلام: إنّ قوماً يروون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: اختلاف أمّتي رحمة. فقال: صدقوا. فقلت: إن كان اختلافهم رحمة، فاجتماعهم عذاب! قال: ليس حيث ذهبت و ذهبوا. إنّما أراد قول الله: «فلولا نفر» ـ الآية. فأمرهم أن ينفروا إلى رسول الله و يختلفوا إليه فيتعلّموا ثمّ يرجعوا إلى قومهم فيعلّموهم. إنّما أراد اختلافهم من البلدان لا اختلافاً في دين الله. إنّما الدين واحد.[١]

«من كلّ فرقة طائفة». استدلّ به على أنّ أخبار الآحاد حجّة. لأنّ الفرقة اسم للثلاثة فصاعداً، فالطائفة منها يكون واحداً أو اثنين. و «لعلّ» هنا للإيجاب لامتناع الترجي.

[١٢٣] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَ لْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ».

«قاتلوا الذين». قيل: هم اليهود حوالي المدينة كقريظة و النضير و خيبر.[٢]

«يلونكم»؛ أي: من قرب إلى دياركم. «غلظة»؛ أي: العنف والشدّة، ليكون ذلك زجراً لهم. «مع المتّقين»؛ أي: معينهم و ناصرهم.[٣]

[١٢٤] «وَ إِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هٰذِهِ إِيمَاناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَ هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ».

«فمنهم من يقول»؛ أي: يقول بعض المنافقين لبعض. أو: يقول المنافقون للمؤمنين الذين في إيمانهم ضعف.[٤]

«فمنهم»؛ أي: من المنافقين. «من يقول» على سبيل الإنكار و الاستهزاء. «هذه» السورة. «يستبشرون» بنزولها. لأنّه سبب لزيادة كمالهم و ارتفاع درجاتهم.[٥]

١ـ علل الشرائع / ٨٥، ح ٤.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٢٦.
٣ـ مجمع البيان ٥ / ١٢٧.
٤ـ مجمع البيان ٥ / ١٢٧.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٢٦.

[١٢٥] «وَ أَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَ مَاتُوا وَ هُمْ كَافِرُونَ».

«مرض»: كفر. «رجساً إلى رجسهم»؛ أي: كفراً بها مضموماً إلى الكفر بغيرها.(١)

[١٢٦] «أَ وَ لَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَ لَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ».

«أو لايرون». يعني المنافقين. و قرئ بالتاء. «يفتنون»: يبتلون بأصناف البليّات، أو بالجهاد مع رسول الله ﷺ. «ثمّ لايتوبون»: لاينتهون و لايتوبون من نفاقهم. «يذّكّرون»: يعتبرون.(٢)

«يفتنون»: يبتلون بالمرض والقحط و غيرهما من بلاء الله. [أو: يبتلون في الجهاد مع رسول الله ﷺ] و يعاينون أمره و ما ينزل الله عليه من النصر و التأييد. أو: يفتنهم الشيطان فيكذبون و ينقضون العهود مع رسول الله فيقتلهم و ينكل بهم ثمّ لاينزجرون.(٣)

[١٢٧] «وَ إِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ».

«نظر بعضهم إلى بعض»؛ أي: تغامزوا بالعيون، إنكاراً لها و سخريّة و غيظاً لما فيها من عيوبهم. «هل يراكم»؛ أي: يقولون: هل يراكم أحد إن قمتم من حضرة الرسول؟ فإن لم يرهم أحد قاموا. و إن يرهم أحد أقاموا. «ثمّ انصرفوا» عن حضرته مخافة الفضيحة. «صرف الله قلوبهم» عن الايمان. و هو يحتمل الإخبار و الدعاء. «لايفقهون» لسوء فهمهم أو عدم تدبّرهم.(٤)

«ثمّ انصرفوا»: قاموا، لأنّهم لايصبرون على استماعه فيغلبهم الضحك و يخافون

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٢٦.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٢٦.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٣٢٤.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٢٦.

الفضيحة.[١]

[١٢٨] «لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ».

«من أنفسكم»؛ أي: من جنسكم عربيّ مثلكم. و قرئ: «من أنفَسكم»؛ أي: من أشرفكم. «عزيز عليه»؛ أي: شديد شاقّ. «ما عنتّم»؛ أي: عنتكم و لقاؤكم المكروه. «حريص عليكم»: على إيمانكم و صلاح شأنكم. «بالمؤمنين» منكم و من غيركم «رؤوف رحيم». قدّم الأبلغ منهما ـ لأنّ الرأفة شدّة الرحمة ـ محافظة على الفواصل. قيل: لم يجمع الله اسمين من أسمائه لأحد غير رسول الله ﷺ في قوله: «رؤوف رحيم».[٢]

«من أنفَسكم» ـ بفتح الفاء ـ أي: من أشرفكم. و هي قراءة رسول الله و فاطمة عليهما السلام.[٣]

[١٢٩] «فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ».

«فإن تولّوا» عن الإيمان بك. «حسبي الله». فإنّه يكفيك معرّتهم و يعينك عليهم. «لا إله إلّا هو». كالدليل عليه. «العرش العظيم»: الملك العظيم. أو: الجسم المحيط الذي ينزل منه الأحكام و المقادير. و عن أبيّ أنّ آخر ما نزل هاتان الآيتان. و عن النبيّ ﷺ: ما نزل القرآن عليّ إلّا آية آية و حرفاً حرفاً، ما خلا سورة براءة و قل هو الله أحد. فإنّهما أنزلتا و معهما سبعون ألف ألف صفّ من الملائكة.[٤]

١ـ الكشّاف ٢ / ٣٢٥.

٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٢٦.

٣ـ الجوامع / ١٨٩.

٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٢٦.

.١٠

سورة يونس

عن أبي عبدالله عليه السلام: من قرأ سورة يونس في كلّ شهر، لم يكن من الجاهلين و كان يوم القيامة من المقرّبين.[١]

[١] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحيمِ * الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ».

«الر». بإمالة الراء أبوعمرو.[٢]

عن الصادق عليه السلام: «الر». معناه: أنا الله الرؤوف.[٣]

«تلك آيات الكتاب». إشارة إلى ما تضمّنته السورة أو القرآن من الآي. و المراد من الكتاب أحدهما. وصفه بالحكيم لاشتماله على الحكم، أو لأنّه كلام حكيم، أو محكم آياته لم ينسخ منها شيء.[٤]

[٢] «أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَا إِلىٰ رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَ بَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هٰذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ».

«أكان للناس». استفهام إنكار للتعجّب. و «عجباً» خبر كان، و اسمها «أن أوحينا». «إلى رجل منهم»: من عرض رجالهم دون عظيم من عظمائهم. و قيل: كانوا يقولون: العجب أنّ الله لم يجد رسولاً يرسله إلى الناس إلّا يتيم أبي‌طالب! و هو من فرط حماقتهم و قصور

١ـ بحار الأنوار ٩٤ / ١٣٤.

٢ـ مجمع البيان ٥ / ١٣٢.

٣ـ معاني الأخبار / ٢٢، ح ١.

٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٢٧.

نظرهم على الأمور العاجلة و جهلهم بحقيقة الوحي و النبوّة. هذا، و إنّه عليه السلام لم يكن يقصر عن عظمائهم فيما يعتبرونه إلّا في المال، و خفّة الحال أعون شيء في هذا الباب. و لذلك كان أكثر الأنبياء قبله كذلك. و قيل: تعجّبوا من أنّه بعث بشراً رسولاً، كما سبق ذكره في سورة الأنعام.(١)

فإن قلت: فما معنى اللّام في قوله: «أكان للناس» و ما الفرق بينه و بين قولك: أكان عند الناس؟ قلت: معناه أنّهم جعلوه أعجوبة يتعجّبون منها و نصبوه علماً لهم يوجّهون نحوه استهزاءهم. و ليس في عند الناس هذا المعنى. و الذي تعجّبوا منه أن يوحى إلى بشر و أن يكون من عرض رجالهم دون عظيم من عظمائهم.(٢)

«أن أنذر». أن هي المفسّرة أو المخفّفة من المثقّلة فيكون في موضع مفعول أوحينا. «و بشّر الذين». عمّم الإنذار إذ قلّما من أحد ليس فيه ما ينذر منه، و خصّ البشارة إذ ليس للكفّار ما يصحّ أن يبشّروا به. «أنّ لهم»؛ أي: بأنّ لهم «قدم صدق»: سابقة و منزلة رفيعة. سمّيت قدماً لأنّ السبق بها كما سمّيت النعمة يداً لأنّها تعطى باليد. و إضافتها إلى الصدق لتحقّقها و التنبيه على أنّهم إنّما ينالونها بصدق القول و النيّة. «إنّ هذا». يعنون الكتاب و ما جاء به الرسول. «لسحر». ابن‌كثير و الكوفيّون: «لساحر» على أنّ الإشارة إلى الرسول. و فيه اعتراف بأنّهم صادفوا من الرسول أموراً خارقة للعادة معجزة إيّاهم عن المعارضة.(٣)

«قدم صدق»؛ أي: ما فيه الشرف و الخلود في نعيم الجنّة على وجه الإكرام لصالح الأعمال. و قيل: هو تقديم الله إيّاهم في البعث يوم القيامة. بيانه قوله عليه السلام: نحن الآخرون السابقون يوم القيامة. و قيل: إنّ القدم اسم للحسنى من العبد، و اليد اسم للحسنى من السيّد، للفرق بين السيّد و العبد. و قيل: إنّ معنى قدم صدق شفاعة محمّد يوم القيامة. و هو المرويّ عن أبي عبدالله عليه السلام.(٤)

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٢٧.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٣٢٧.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٢٧.
٤ـ مجمع البيان ٥ / ١٣٤.

«قدم صدق». عن أبي عبدالله عليه السلام: هي ولاية أمير المؤمنين عليه السلام.[١]

[٣] «إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذٰلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَ فَلَا تَذَكَّرُونَ».

عن أبي جعفر عليه السلام: انّ الله خلق السنة اثني عشر شهراً و هي ثلاثمائة و ستّون يوماً. فحجر منها ستّة أيّام خلق فيه السموات و الأرض. و من ثمّ تقاصرت الشهور.[٢]

عن أمير المؤمنين عليه السلام: خلق الأرض قبل السماء. ثمّ استوى على العرش لتدبير الأمور.[٣]

«ثمّ استوى». عن أبي عبدالله عليه السلام يقول: على الملك احتوى.[٤]

«خلق السموات» التي هي أصول الممكنات. «يدبّر الأمر»: يقدّر أمر الكائنات على ما اقتضته الحكمة و سبقت به كلمته و يهيّئ بتحريكه أسبابها و ينزلها منه. و التدبير: النظر في أدبار الأمور لتجيء محمودة العواقب. «ما من شفيع». تقرير لعظمته و عزّ جلاله، و ردّ على من زعم أنّ آلهتهم تشفع لهم عند الله. و فيه إثبات الشفاعة لمن أذن له. «ذلكم»؛ أي: الموصوف بتلك الصفات المقتضية للألوهيّة «ربّكم» لا غيره. «أفلا تذكّرون»: تتفكّرون أدنى تفكّر؟[٥]

[٤] «إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً وَعْدَ اللهِ حَقّاً إِنَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ».

«إنّه». أبو جعفر بفتح الهمزة. أي: لأنّه.[٦]

١ـ الكافي ١ / ٤٢٢، ح ٥٠.
٢ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ١٢٠، ح ٧.
٣ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ١٢٠، ح ٨.
٤ـ التوحيد / ٣٢١، ح ١.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٢٧ ـ ٤٢٨.
٦ـ مجمع البيان ٥ / ١٣٥.

«إليه مرجعكم» بالموت و النشور لا إلى غيره. فاستعدّوا للقائه. «وعد الله». مصدر مؤكّد لنفسه. لأنّ قوله: «إليه مرجعكم» وعد من الله. «حقّاً». مصدر آخر مؤكّد لغيره و هو ما دلّ عليه وعد الله. «ثمّ يعيده» بعد بدئه و إهلاكه. «بالقسط»؛ أي: بعدله. أو: بعدالتهم و قيامهم على العدل في أمورهم. أو: بإيمانهم؛ لأنّه العدل القويم، كما أنّ الشرك لظلم عظيم. و هو الأوجه لمقابلة قوله: «و الذين كفروا لهم شراب من حميم». فإنّ معناه: ليجزي الذين كفروا بشراب من حميم و عذاب أليم بسبب كفرهم؛ لكنّه غيّر النظم للتنبيه على أنّ المقصود بالذات بالإبداء و الإعادة هو الإثابة و العقاب واقع بالعرض.[١]

[٥] «هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَ الْقَمَرَ نُوراً وَ قَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَ الْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللهُ ذٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ».

«الشمس ضياء»؛ أي: ذات ضياء. و هو مصدر كقيام. و قرأ ابن‌كثير بهمزتين على القلب بتقديم اللّام على العين. «و القمر نوراً»؛ أي: ذا نور. و سمّي نوراً للمبالغة و هو أعمّ من الضوء. و قيل: ما بالذات ضوء، و ما بالعرض نور. و قد نبّه سبحانه بذلك على أنّه خلق الشمس نيّرة في ذاتها و القمر نيّراً بعرض مقابلة الشمس و الاكتساب منها. «و قدّره منازل». الضمير لكلّ واحد. أي: قدّر مسير كلّ واحد منهما منازل أو قدّره ذا منازل. أو للقمر، و تخصيصه بالذكر لسرعة سيره و معاينة منازله و إناطة أحكام الشرع به. و لذلك علّله بقوله: «عدد السنين». «الحساب»: حساب الاوقات من الأشهر و الأيّام في معاملاتكم. «إلّا بالحقّ» متلبّساً بالحقّ، مراعياً فيه مقتضى الحكمة البالغة. «يفصّل الآيات». ابن‌كثير و البصريّان و حفص: «يفصّل» بالياء، و الباقون بالنون.[٢]

[٦] «إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ وَ مَا خَلَقَ اللهُ فِي السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ».

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٢٨.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٢٨.

«لآيات» على وجود الصانع و وحدته و كمال علمه و قدرته.[١]

[٧] «إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَ رَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ اطْمَأَنُّوا بِهَا وَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ».

«لايرجون لقاءنا»: لايطمعون في ثوابنا.[٢]

«لقاءنا» لإنكارهم البعث. «و رضوا بالحياة الدنيا» بدلاً عن الآخرة. «و اطمأنّوا بها»؛ أي: سكنوا إلى الدنيا مقصّرين هممهم على لذائذها و زخارفها. أو: سكنوا فيها سكون من لايزعج عنها. «عن آياتنا غافلون»: لايتفكّرون فيها لانهماكهم فيما يضادّها. و العطف إمّا لتغاير الوصفين و التنبيه على أنّ الوعيد على الجمع بين الذهول عن الآيات رأساً و الانهماك في الشهوات بحيث لايخطر ببالهم أصلاً؛ و إمّا لتغاير الفريقين و المراد بالأوّلين من أنكر البعث و لم يرد إلّا الحياة الدنيا و بالآخرين من ألهاه حبّ العاجل عن التأمّل في الآجل و الإعداد له.[٣]

«عن آياتنا». الآيات أميرالمؤمنين عليه السلام و الأئمّة عليهم السلام. و الدليل على ذلك قول عليّ عليه السلام: ما لله آية أكبر منّي.[٤]

[٨] «أُولٰئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ».

«بما كانوا يكسبون»: بما واظبوا عليه و تمرّنوا به من المعاصي.[٥]

[٩] «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ».

«يهديهم ربّهم بإيمانهم»؛ أي: يسدّدهم بسبب إيمانهم للاستقامة على السبيل المؤدّي

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٢٨.
٢ـ مجمع البيان ٥ / ١٤٠.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٢٩.
٤ـ تفسير القمّيّ ١ / ٣٠٩.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٢٩.

إلى الثواب. و لذلك جعل «تجري من تحتهم» بياناً [له] و تفسيراً. و يجوز أن يريد: يهديهم في الآخرة بإيمانهم إلى طريق الجنّة؛ كقوله: «يوم ترى المؤمنين و المؤمنات».(١) و منه الحديث: انّ المؤمن إذا خرج من قبره، صوّر له عمله في صورة حسنة فيقول له: أنا عملك. فيكون له نوراً و قائداً إلى الجنّة. و الكافر إذا خرج من قبره، صوّر له عمله في صورة سيّئة فيقول له: أنا عملك. فينطلق به حتّى يدخله النار. فإن قلت: فلقد دلّت هذه الآية على أنّ الايمان الذي يستحقّ به العبد الهداية [و التوفيق] و النور يوم القيامة مقيّد بالعمل الصالح، فإذا خلا منه، فصاحبه لا توفيق له و لا نور. قلت: الأمر كذلك. ألاترى كيف أوقع الصلة مجموعاً فيها بين العمل و الايمان، ثمّ قال: «بإيمانهم»؛ أي: بإيمانهم هذا المضموم إليه العمل الصالح.(٢)

«بإيمانهم»؛ أي: بسبب إيمانهم إلى سلوك سبيل يؤدّي إلى الجنّة أو لإدراك الحقائق. كما قال عليه السلام: من عمل بما علم، ورّثه الله علم ما لم يعلم. أو لما يريدونه في الجنّة. «تجري». استئناف، أو خبر ثان. «في جنّات». خبر.(٣)

[١٠] «دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَ آخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ».

«دعواهم»: دعاؤهم. «سبحانك اللّهمّ»: اللّهمّ إنّا نسبّحك تسبيحاً. «و تحيّتهم». أي: ما يحيّي به بعضهم بعضاً. أو: تحيّة الملائكة إيّاهم.(٤)

«دعواهم فيها»: أي: دعوى المؤمنين في الجنّة و ذكرهم فيها أن يقولوا: «سبحانك اللّهمّ»، لا على وجه العبادة لأنّه ليس هناك تكليف، بل يتلذّذون بالتسبيح. و قيل: إنّهم إذا مرّ بهم الطير في الهواء يشتهونه قالوا: «سبحانك اللّهمّ» فيأتيهم الطير فيقع مشويّاً بين أيديهم. و إذا قضوا منه الشهوة قالوا: «الحمد لله ربّ العالمين» فيطير الطير حيّاً كما كان.

١ـ الحديد (٥٧) / ١٢.

٢ـ الكشّاف ٢ / ٣٣٠ـ ٣٣١.

٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٢٩.

٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٢٩.

فيكون افتتاح كلامهم في كلّ شيء بالتسبيح و اختتام كلامهم التحميد. و يكون التسبيح في الجنّة بدل التسمية في الدنيا. «تحيّتهم»؛ أي: تحيّتهم من الله في الجنّة «سلام».[١]

عن أبي عبدالله عليه السلام: التسبيح اسم من أسماء الله و دعوى أهل الجنّة.[٢]

و عن أبي جعفر عليه السلام: إذا أراد المؤمن شيئاً في الجنّة، فإنّما دعواه إذا أراد أن يقول: «سبحانك اللّهمّ». فإذا قالها، تبادرت إليه الخدم بما اشتهى من غير أن يكون طلبه منهم أو أمر به. و ذلك قوله: «دعواهم فيها سبحانك اللّهمّ و تحيّتهم فيها سلام». يعني الخدّام.[٣]

و عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: «و آخر دعواهم»: يعني بذلك عند ما يقضون أهل الجنّة لذّاتهم من الجماع و الطعام و الشراب، يحمدون الله عند فراغهم.[٤]

عن عليّ عليه السلام: انّ أطيب شيء في الجنّة و ألذّه حبّ الله و الحبّ في الله و الحمد لله. قال الله: «و آخر دعواهم». و ذلك [أنّهم] إذا عاينوا ما في الجنّة من النعيم، هاجت المحبّة في قلوبهم فينادون عند ذلك: «الحمد لله ربّ العالمين».[٥]

عن النبيّ صلّى الله عليه و آله: «الحمد لله» هي الكلمة التي تقولها أهل الجنّة إذا دخلوها و ينقطع الكلام الذي يقولونه في الدنيا ما خلا «الحمد لله». و ذلك قوله: «و آخر دعواهم» ـ الآية.[٦]

[١١] «وَ لَوْ يُعَجِّلُ اللهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ».

«للناس». المراد بالناس أهل مكّة و قولهم: «فأمطر علينا حجارة من السماء».[٧] يعني: لو عجّلنا لهم الشرّ الذي دعوا به، كما نعجّل لهم الخير و نجيبهم إليه، لأميتوا. «فنذر الذين». فإن قلت: كيف اتّصل بما قبله؟ قلت: قوله: «و لو يعجّل الله» متضمّن معنى النفي. كأنّه قيل:

١ـ مجمع البيان ٥ / ١٤٠ ـ ١٤١.
٢ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ١٢٠، ح ٩.
٣ـ الكافي ٨ / ١٠٠.
٤ـ الكافي ٨ / ١٠٠.
٥ـ مصباح الشريعة / ١٩٥.
٦ـ علل الشرائع / ٢٥١.
٧ـ الأنفال (٨) / ٣٢.

لانعجّل لهم الشرّ و لانقضي إليهم أجلهم فنذرهم في طغيانهم؛ أي: نمهلهم و نفيض عليهم النعمة مع طغيانهم، إلزاماً للحجّة عليهم.(١)

ابن‌عامر: «لقضى» بفتح القاف. «أجلهم». منصوب. «لو يعجّل الله للناس الشرّ»؛ أي: إجابة دعوتهم في الشرّ إذا دعوا به على أنفسهم و أهاليهم عند الغيظ و الضجر و استعجلوه؛ مثل دعاء الانسان على نفسه و على ولده. «استعجالهم بالخير». أي: كما يعجّل لهم إجابة الدعوة بالخيرات إذا استعجلوها، «لقضي إليهم أجلهم»؛ أي: لفرغ من إهلاكهم ولكنّ الله يهلهم حتّى يتوبوا. و قيل: معناه: لو يعجّل الله للناس العقاب الذي استحقّوه بالمعاصي كما يستعجل بهم خير الدنيا، لفنوا و ماتوا. و إذا عوجلوا بالموت، لم‌يبق أحد. «فنذر»؛ أي: فندع الذين لايخافون البعث و الحساب يتحيّرون في كفرهم و عدولهم عن الحقّ إلى الباطل. و العمه: شدّة الحيرة.(٢)

[١٢] «وَ إِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَائِماً فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَسَّهُ كَذٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ».

أخبر عن قلّة صبر الإنسان على الضرّ و الشدائد. و الضرّ: البلاء و المشقّة. «دعانا لجنبه»: لكشف حاله مضطجعاً. «أو قاعداً أو قائماً»؛ أي: على كلّ حال. و ليس بذلك غرضه نيل ثواب الآخرة بل زوال ما فيه من الألم. فلمّا وهبناه العافية، «مرّ»؛ أي: استمرّ على طريقته الأولى معرضاً عن شكرنا كأنّه لم‌يسألنا إزالة الألم عنه. «كذلك»؛ أي: كما زيّن لهم ترك الدعاء عند الرخاء، زيّن للمشركين أعمالهم.(٣)

«لجنبه»: العليل الذي لايقدر أن يجلس. «أو قاعداً»: الذي لايقدر أن يقوم. «أو قائماً»: الصحيح.(٤)

«مرّ كأن لم‌يدعنا»؛ أي: مرّ على موقف الابتهال و التضرّع لايرجع إليه كأنّه لا عهد له

١ـ الكشّاف ٢ / ٣٣٢.

٢ـ مجمع البيان ٥ / ١٤١ و ١٤٣.

٣ـ مجمع البيان ٥ / ١٤٣.

٤ـ تفسير القمّيّ ١ / ٣٠٩.

به. «كذلك»؛ أي: مثل ذلك التزيين زيّن الشيطان بوسوسته، أو الله عزّ و جلّ بخذلانه و تخليته. «ما كانوا يعملون» من الإعراض عن الذكر و اتّباع الشهوات.(١)

«و إذا مسّ الإنسان» ـ الآية. لوجع الرجلين و الساقين و الجنب يكتب في فخّارة طريّة نظيفة ثمّ يملأ الفخّارة زيتاً و تغلى على نار ليّنة و تدهن على هذه الأوجاع بالزيت المذكور.(٢)

[١٣] «وَ لَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَ مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ».

«القرون»: جمع قرن؛ و هو أهل كلّ عصر. سمّوا بذلك لمقارنة بعضهم لبعض. و منه قرن الشاة، لمقارنته الآخر بازائه. «لمّا ظلموا» أنفسهم بالشرك و المعاصي. «بالبيّنات»؛ أي: المعجزات الظاهرة. «و ما كانوا». أي كان في علم الله أنّهم لو بقوا لم يؤمنوا، فلذلك أهلكهم. «كذلك» نعذّب القوم المشركين في المستقبل إذا لم يؤمنوا بعد قيام الحجّة عليهم و علمنا أنّهم لا يؤمنون.(٣)

«و ما كانوا». معطوف على ظلموا، أو اعتراض. أي: السبب في إهلاكهم تكذيبهم الرسل و علم الله أنّه لا فائدة في إمهالهم. «كذلك»؛ أي: مثل ذلك الجزاء. يعني الإهلاك. «المجرمين»؛ أي: كلّ مجرم.(٤)

[١٤] «ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ».

«ثمّ جعلناكم» يا أمّة محمّد «خلائف في الأرض» من بعد ما أهلكنا القرون الأولى؛ أي: أسكنّاكم الأرض خلفهم لنرى عملكم. و إنّما قال: «لننظر» ليدلّ على أنّه سبحانه يعامل العبد معاملة المختبر الذي لا يعلم الشيء فيجازيه على ما يظهر منه دون ما قد علم أنّه يفعله

١ـ الكشّاف ٢ / ٣٣٢ ـ ٣٣٣.
٢ـ المصباح / ٦٠٦.
٣ـ مجمع البيان ٥ / ١٤٤.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٣٣٣.

مظاهرة في العدل.[١]

«لننظر»: أي: لنعلم.[٢]

[١٥] «وَ إِذَا تُتْلىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ».

«آياتنا» المنزّلة في القرآن. «لايرجون لقاءنا»: لايؤمنون بالبعث و النشور. «ائت بقرآن غير هذا». نزلت في خمسة نفر من المشركين، عبدالله بن أميّة المخزوميّ و أربعة، قالوا للنبيّ ﷺ: ائت بقرآن ليس فيه ترك عبادة اللّات و العزّى و مناة و هبل و ليس فيه عيبها، «أو بدّله» من تلقاء نفسك.[٣]

«ائت بقرآن». فإنّ قريشاً قالت لرسول الله ﷺ: ائتنا بقرآن غير هذا. فإنّ هذا شيء تعلّمته من اليهود و النصارى.[٤]

«أو بدّله» بأن تجعل مكان آية عذاب آية رحمة و تسقط ذكر الآلهة و ذمّ عبادتها. فأمر أن يجيب [عن التبديل] لأنّه داخل تحت قدرة الإنسان و هو أن يضع مكان آية عذاب آية رحمة ممّا أنزل و أن يسقط ذكر الآلهة، و أمّا الإتيان بقرآن آخر فغير مقدور عليه للإنسان. «مايكون لي»: ماينبغي و مايحلّ. «من تلقاء»؛ أي: من قبل نفسي. «إن أتّبع»: لا آتي و لا أذر شيئاً من نحو ذلك إلّا متّبعاً لوحي الله و أوامره. «إن عصيت ربّي» بالتبديل و النسخ من عند نفسي.[٥]

«أو بدّله». عن أبي عبدالله عليه السلام: يعني أميرالمؤمنين عليه السلام. «إن أتّبع إلّا ما يوحى إليّ» في عليّ عليه السلام.[٦]

١ـ مجمع البيان ٥ / ١٤٤.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٣٣٣ ـ ٣٣٤.
٣ـ مجمع البيان ٥ / ١٤٦ ـ ١٤٧.
٤ـ تفسير القمّيّ ١ / ٣٠٩.
٥ـ الكشّاف / ٣٣٤.
٦ـ الكافي ١ / ٤١٩، ح ٣٧، و تفسير القمّيّ ١ / ٣١٠.

و عن أبي جعفر عليه السلام: قالوا: بدّل مكان عليّ أبوبكر أو عمر اتّبعناه.[١]

«إنّي أخاف». عن أبي عبدالله عليه السلام: ما ترك رسول الله صلى الله عليه وآله «إنّي أخاف» ـ الآية ـ حتّى نزلت سورة الفتح، فلم يعد إلى ذلك الكلام.[٢]

[١٦] «قُلْ لَوْ شَاءَ اللهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَ لَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ».

«ما تلوته عليكم» بأن كان لاينزله عليّ و لاأعلمكم الله به بأن لاينزله عليّ فلاأقرأه عليكم فلاتعلمونه. فقد أقمت فيكم دهراً طويلاً من قبل إنزال القرآن لمأقرأه عليكم و لاادّعيت نبوّة حتّى أكرمني الله به. أفلاتتفكّرون؟[٣]

«لو شاء الله»؛ أي: لو شاء غير ذلك. «و لاأدراكم»؛ أي: و لاأعلمكم به على لساني. و عن ابن‌كثير: «و لأدراكم» بلام التأكيد. أي: لو شاء الله ما تلوته عليكم و لأعلمكم به على لسان غيري. و المعنى أنّه الحقّ الذي لا محيص عنه لو لمأرسل به لأرسل به غيري. و المعنى أنّ الأمر بمشيّة الله لا بمشيّتي حتّى أجعله على نحو ما تشتهونه. ثمّ قرّر ذلك بقوله: «فقد لبثت فيكم عمراً»: مقدار أربعين سنة «من قبله»: من قبل القرآن لا أتلوه و لا أعلمه. فإنّه إشارة إلى أنّ القرآن معجز خارق للعادة. فإنّ من عاش بين أظهرهم أربعين سنة لميمارس فيها علماً و لميشاهد عالماً ثمّ قرأ عليهم كتاباً غلبت فصاحته فصاحة كلّ منطيق و احتوى على قواعد علم الأصول و الفروع، علم أنّه معلّم به من عند الله. «أفلاتعقلون»؛ أي: تستعملون عقولكم بالتفكّر و التدبّر.[٤]

[١٧] «فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ».

جواب لهم حيث قالوا: «أو بدّله». فإنّه افتراء. أو تعيير لهم بالافتراء حيث قالوا

١ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ١٢٠، ح ١٠.
٢ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ١٢٠، ح ١٢.
٣ـ مجمع البيان ٥ / ١٤٧.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٣٠ ـ ٤٣١.

بالشريك و الولد. (ع)

«أو كذّب بآياته» فكفر بها.[١]

[١٨] «وَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَ لَا يَنْفَعُهُمْ وَ يَقُولُونَ هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ قُلْ أَ تُنَبِّئُونَ اللهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمٰوَاتِ وَ لَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ».

«هؤلاء شفعاؤنا». أي إنّ الله سبحانه أذن لنا في عبادة الأصنام و إنّه سيشفّعها فينا في الآخرة. و توهّموا أنّ عبادتها أشدّ في تعظيم الله من قصده تعالى بالعبادة. و قيل: معناه: هؤلاء شفعاؤنا في الدنيا لإصلاح معاشنا. لأنّهم كانوا لايقرّون بالبعث؛ بدلالة: «و أقسموا بالله جهد أيمانهم لايبعث الله من يموت».[٢] «بما لايعلم في السموات». معناه: أتخبرون الله بشريك أو شفيع لايعلم شيئاً؟ كما قال: «و يعبدون من دون الله ما لايملك لهم رزقاً» ـ الآية.[٣] «يشركون». أهل الكوفة غير عاصم: «تشركون» بالتاء.[٤]

«أتنبّؤون الله»؛ أي: أتخبرونه بكونهم شفعاء عنده و هو غير معلوم لله لأنّه غير موجود.(ع)

«ما لايضرّهم». أي الأصنام. «في السموات». حال من العائد المحذوف مؤكّدة للنفي.[٥]

«في السموات و لا في الأرض». تأكيد لنفيه. لأنّ ما لم يوجد فيهما فهو منتف معدوم.[٦]

[١٩] «وَ مَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَ لَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ».

«إلّا أمّة واحدة». فيه أقوال. أحدها: انّ الناس كانوا جميعاً على الحقّ و على دين واحد

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٣١.
٢ـ النحل (١٦) / ٣٨.
٣ـ النحل (١٦) / ٧٣.
٤ـ مجمع البيان ٥ / ١٤٨ ـ ١٤٩.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٣١.
٦ـ الكشّاف ٢ / ٣٣٦.

فاختلفوا في ذلك الدين في عهد آدم و أولاده عند قتل أحد ابنيه أخاه. و قيل: اختلفوا بعد موت آدم. لأنّهم كانوا على دين واحد إلى زمن نوح، ثمّ اختلفوا. و قيل: كانوا على ملّة الإسلام من لدن آدم إلى إبراهيم إلى أن غيّره عمرو بن لحيّ؛ و هو أوّل من غيّر دين إبراهيم عليه السلام و عبد الصنم في العرب. و يدلّ على صحّة هذه الأقوال قراءة عبدالله: «و ما كان الناس إلّا أمّة واحدة على هدًى فاختلفوا عنه». و ثانيها: انّ الناس كانوا أمّة واحدة على الكفر. فقيل: كانت كافرة على عهد إبراهيم ثمّ تفرّقوا، فمنهم مؤمن و منهم كافر. و قيل: كانت كذلك منذ وفاة آدم إلى زمن نوح عليه السلام. و قيل: أراد به العرب قبل مبعثه صلى الله عليه و آله. فإنّهم كانوا مشركين، فلمّا بعث النبيّ آمن به فوج و بقي آخرون. و ثالثها: انّ الناس كانوا خلقوا على فطرة الإسلام، ثمّ اختلفوا في الأديان.[1]

«إلّا أمّة واحدة»؛ أي: حنفاء متّفقين على ملّة واحدة من غير أن يختلفوا بينهم. و ذلك في عهد آدم إلى أن قتل قابيل هابيل. و قيل: بعد الطوفان حيث لم يذر على الأرض من الكافرين ديّاراً. «و لو لا كلمة سبقت»؛ و هو تأخير الحكم بينهم إلى يوم القيامة، «لقضي بينهم» عاجلاً فيما اختلفوا فيه و لميز الحقّ من المبطل. و سبق كلمته بالتأخير لحكمة أوجب أن يكون هذه الدار دار تكليف و تلك دار ثواب و عقاب.[2]

«إلّا أمّة واحدة». أي: على الضلال في فترة من الرسل. «فاختلفوا» باتّباع الأهواء و الأباطيل، أو بالرسل فتبعتهم طائفة و أصرّت أخرى.[3]

[٢٠] «وَ يَقُولُونَ لَوْ لَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلّٰهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ».

«لولا»؛ أي: هلّا أنزل على محمّد آية من ربّه تضطرّ الخلق إلى المعرفة بصدقه فلايحتاجون معها إلى النظر و الاستدلال؟ و إنّما لم يلجئهم الله إلى ما التمسوه لأنّ التكليف يمنع

١ـ مجمع البيان ٥ / ١٤٩.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٣٣٦.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٣١.

من الاضطرار إلى المعرفة. فإنّ الغرض بالتكليف التعريض للثواب، و لو كانت المعرفة ضرورة، لما استحقّوا ثواباً فيكون ناقضاً للغرض. «إنّما الغيب لله»؛ أي: الذي يعلم مصالح الأمور هو الله فيعلم ما في إنزاله صلاح. و لايفعل الآية التي اقترحتموها لما في ذلك من حسن التدبير. «فانتظروا» عقاب الله بالقهر و القتل في الدنيا و العذاب في الآخرة. «من المنتظرين». لأنّ الله وعدني النصر.(١)

«آية من ربّه». [أرادوا] آية من الآيات التي كانوا يقترحونها و كانوا لايعتدّون بما أنزل عليه من الآيات. «إنّما الغيب لله»؛ أي: هو المختصّ بعلم الغيب، لا علم لي بالصارف عن إنزال الآيات المقترحة. «فانتظروا» نزول ما اقترحتموه. «إنّي معكم من المنتظرين» لما يفعل الله بكم لعنادكم و جحودكم الآيات. سلّط الله القحط سبع سنين على أهل مكّة حتّى كادوا يهلكون، ثمّ رحمهم بالحيا. فلمّا رحمهم، طفقوا يطعنون في الآيات و يعادون رسول الله ﷺ.(٢)

[٢١] «وَ إِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللهُ أَسْرَعُ مَكْراً إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ».

و «إذا» الأولى للشرط، و الثانية جوابها.(٣)

«الناس»؛ أي: الكفّار. «رحمة»؛ أي: راحة و رخاء بعد شدّة و بلاء. «إذا لهم مكر»؛ أي: فهم يحتالون لدفع آياتنا بكلّ ما يجدون السبيل إليه من شبهة أو تخليط في مناظرة أو غير ذلك من الأمور الفاسدة. و قيل: مكرهم استهزاؤهم و تكذيبهم. «الله أسرع مكراً»؛ أي: أقدر جزاء على المكر. و معناه أنّ ما يأتيهم من العقاب أسرع ممّا أتوه من المكر. «إنّ رسلنا». يعني الملائكة الحفظة.(٤)

«أسرع مكراً». دبّر عقابكم قبل أن تدبّروا كيدكم. إنّما دلّ على سرعتهم المفضّل عليها

١ـ مجمع البيان ٥ / ١٤٩ ـ ١٥٠.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٣٣٦ ـ ٣٣٧.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٣٣٧.
٤ـ مجمع البيان ٥ / ١٥٢ ـ ١٥٣.

كلمة المفاجاة.(١)

[٢٢] «هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَ جَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَ فَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَ جَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ».

ابن عامر: «ينشركم» بالنون و الشين، من النشر.(٢)

«هو الذي». عدّد نعمه عليهم. «يسيّركم في البرّ و البحر»: يمكّنكم من سير البرّ و البحر بالآيات «حتّى إذا كنتم في الفلك». خصّ الخطاب براكب البحر. أي: إذا كنتم راكبي السفية في البحر و جرت السفن بالناس لمّا ركبوها. عدل عن الخطاب إلى الغيبة. «بريح طيّبة»؛ أي: ليّنة يستطيبونها. «و فرحوا» بتلك الريح، جاءت للسفينة «ريح عاصف». «و ظنّوا»؛ أي: غلب على ظنّهم الهلاك لما أحاط بهم من الأمواج، لجؤوا إلى الله لا إلى أصنامهم.(٣)

عن أبي الحسن عليه السلام: إن اضطرب بكم البحر، فاتّك على جانبك الأيمن و قل: بسم الله. اسكن بسكينة الله و قر بوقار الله واهدأ بإذن الله. و لا حول و لا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم.(٤)

[٢٣] «فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ».

«فلمّا أنجاهم» عملوا بالمعاصي. «بغيكم على أنفسكم»؛ أي: بغي بعضكم على بعض، و ما تنالونه به متاع في الدنيا و إنّما تأتونه لحبّكم العاجلة و إيثارها على ما يقرّب إلى الله من الطاعات.(٥)

«بغير الحقّ». و ذلك لأنّ من البغي ما يكون حقّاً كاستيلاء المسلمين على أرض

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٣٢.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٣٢.
٣ـ مجمع البيان ٥ / ١٥٣.
٤ـ الكافي ٣ / ٤٧١، ح ٥.
٥ـ مجمع البيان ٥ / ١٥٣ ـ ١٥٤.

الكافرين و هدم دورهم و إحراق ذروعهم و قلع أشجارهم، كما فعل رسول الله ﷺ ببني قريظة. «متاع الحياة الدنيا».[١] خبر عن «بغيكم» و «على أنفسكم» صلته. و معناه: إنّما بغيكم على أمثالكم. يعني بغي بعضكم على بعض منفعة الحياة الدنيا لا بقاء لها.[٢]

[٢٤] «إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَ الْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَ ازَّيَّنَتْ وَ ظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ».

«إنّما مثل الحياة». هذا من التشبيه المركّب. شبّهت حال الدنيا في سرعة تقضّيها و انقراض نعيمها بعد الإقبال بحال نبات الأرض في جفافه و ذهابه حطاماً بعد ما التفّ و تكاثف و زيّن الأرض بخضرته فاختلط بعضه بعضاً. «أخذت الأرض زخرفها و ازّيّنت». كلام فصيح؛ جعلت الأرض آخذة زخرفها على التمثيل بالعروس إذا أخذت الثياب الفاخرة من كلّ لون فاكتستها و تزيّنت بغيرها من ألوان الزين. «قادرون عليها»: متمكّنون من منفعتها. «أتاها أمرنا». و هو ضرب زرعها ببعض العاهات بعد أمنهم. «كأن لم تغن»: كأن لم يبنت زرعها.[٣]

«إنّما مثل»؛ أي: شبه الحياة الدنيا في سرعة فنائها كالمطر الذي أنزلناه فاختلط بسببه بعض النبات ببعض. ثمّ فصّل ذلك فقال: «ممّا يأكل الناس» كالحبوب و الثمار «و ما يأكل الأنعام» كالحشيش. و قد قيل في المشبّه و المشبّه به في الآية أقوال. أحدها: انّه شبّه الحياة الدنيا بالماء فيما يكون به الانتفاع ثمّ الانقطاع. و ثانيها: انّه شبّه الحياة الدنيا بالنبات على ما وصفه من الاغترار به [ثمّ] المصير إلى الزوال. و ثالثها: انّه شبّه الحياة الدنيا بحياة مقدّرة على هذه الأوصاف. «زخرفها»؛ أي: حسنها بأجناس النبات. «وازّيّنت» الألوان. «و ظنّ

١ـ قرأ حفص وحده: «متاع» بالنصب، و الباقون بالرفع. (مجمع البيان ٥ / ١٥١) و التفسير المذكور في المتن على قراءة الرفع.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٣٣٩.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٣٤٠ ـ ٣٤١.

أهلها» أنّهم يحصدونها للانتفاع بها، أتاها عذابنا من بَرْد أو بَرَد فجعلناها ذاهبة يابسة كالمحصودة. «كان لم تغن». أي: كأن لم توجد على تلك الصفة بالأمس.[١]

الذي رواه الثقة عليّ بن إبراهيم في التفسير عن أبي جعفر عليه السلام إنّما هذا مثل ضربه الله تعالى لملك بني العبّاس و طغيانهم فيه و تمكّنهم من زخارف الدنيا و شهواتها حتّى إذا ظنّوا دوامه و الانتفاع به، سلّط الله عليهم من أزال دولتهم و مكّن السيف من أعناقهم.[٢] و روى الصدوق رحمه الله في كتاب كمال الدين مسنداً إلى صاحب الزمان عليه السلام أنّه مثل لسائر الدول الجائرة السابقة على زمان دولتهم عليهم السلام. و في آخره: قلت: يا سيّدي، فما الأمر في قوله: «أتاها أمرنا»؟ قال: نحن أمر الله و جنوده.[٣] و لا منافاة بين الخبرين.

[٢٥] «وَ اللهُ يَدْعُوا إِلىٰ دَارِ السَّلَامِ وَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ».

عن أبي عبدالله عليه السلام: هو الله و داره الجنّة.[٤]

قيل: السلام هو الله، فهو يدعو إلى داره. و قيل: دار السلام الجنّة لسلامة أهلها من الآفات و لأنّ أهلها يسلّم بعضهم فيها على بعض و الملائكة تسلّم عليهم و يسلّم ربّهم عليهم فلا يسمعون إلّا سلاماً. «إلى صراط مستقيم»؛ أي: إلى الإيمان. أو: إلى طريق الجنّة في الآخرة.[٥]

[٢٦] «لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنىٰ وَ زِيَادَةٌ وَ لَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَ لَا ذِلَّةٌ أُولٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ».

«و زيادة». روي [عن يزيد بن شجرة: الزيادة] أن تمرّ السحابة بأهل الجنّة فتقول: ما تريدون أن أمطركم؟ فلا يريدون شيئاً إلّا أمطرتهم.[٦]

١ـ مجمع البيان ٥ / ١٥٥.
٢ـ تفسير القمّيّ ١ / ٣١٠.
٣ـ كمال الدين / ٤٦٥ ـ ٤٧٠، ح ٢٣.
٤ـ معاني الأخبار / ١٧٦، ح ١.
٥ـ مجمع البيان ٥ / ١٥٦.
٦ـ الكشّاف ٢ / ٣٤٢.

بيّن سبحانه أهل دارالسلام. أي: الذين أحسنوا العمل في الدنيا، لهم المنزلة الحسنى و زيادة. قيل: إنّ الحسنى الثواب. و الزيادة التفضّل؛ و هي المضاعفة المذكورة في قوله: «من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها».[١] و قيل: الزيادة نعيم الدنيا لايحاسبهم به في الآخرة. عن أبي جعفر عليه السلام. و قيل: الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة لها أربعة أبواب. عن عليّ عليه السلام. «و لايرهق»؛ أي: لايلحق وجوههم سواد و لا هوان.[٢]

«قتر»: غبرة فيها سواد.[٣]

[٢٧] «وَ الَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِماً أُولٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ».

«جزاء سيّئة بمثلها». يعني يجزون بقدر ما يستحقّون على الأعمال من غير زيادة؛ لأنّه ظلم. «من عاصم»؛ أي: مانع يدفع عقاب الله عنهم.[٤]

«و الذين كسبوا». معطوف على قوله: «للّذين أحسنوا». كأنّه قيل: و للّذين كسبوا السيّئات جزاء سيّئة بمثلها.[٥] و هذا على مذهب من يجوّز: في الدار زيد و الحجرة عمرو. أو يكون «الذين» مبتدأ و الخبر «جزاء سيّئة» على تقدير: و جزاء الذين كسبوا السيّئات جزاء سيّئة بمثلها؛ أي: أن تجازى سيّئة بسيّئة مثلها لايزاد عليها. و فيه تنبيه على أنّ الزيادة هي الفضل. «كأنّما أغشيت وجوههم قطعاً من اللّيل مظلماً» لفرط سوادها و ظلمتها. «قطعاً». ابن‌كثير و الكسائيّ: «قطعاً» بسكون الطاء. «مظلماً». حال من اللّيل. و العامل فيه أغشيت ـ لأنّه العامل في قطعاً و هو موصوف بالجارّ و المجرور و العامل في الموصوف عامل في الصفة ـ أو معنى الفعل في من اللّيل. و على قراءة سكون الطاء، يصحّ أن يكون مظلماً صفة

١ـ الأنعام (٦) / ١٦٠.

٢ـ مجمع البيان ٥ / ١٥٧ ـ ١٥٨.

٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٣٣.

٤ـ مجمع البيان ٥ / ١٥٨.

٥ـ الكشّاف ٢ / ٣٤٣.

له أو حالاً منه.[١] أقول: لأنّ القطع بالسكون بمعنى الجزء فلايكون جمعاً.

«كأنّما أغشيت وجوههم قطعاً من اللّيل مظلماً». عن أبي عبدالله عليه السلام: أ ماترى البيت إذا كان اللّيل أشدّ سواداً من خارج؟ فكذلك هم يزدادون سواداً.[٢]

«هم فيها خالدون». لأنّهم كفّار مشركون. (ع)

[٢٨] «وَ يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَ شُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَ قَالَ شُرَكَاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ».

«مكانكم»؛ أي: الزموا مكانكم مع شركائكم، يعني الأوثان، فقد صحبتموهم في الدنيا فاصحبوهم في المحشر. و قيل: معناه: اثبتوا حتّى تسألوا. «فزيّلنا»؛ أي: فرّقنا بينهم في المسألة فسألنا المشركين على حدة: لم عبدتم الأصنام؟ و سألنا الأصنام: لم عبدتم؟ و هو سؤال تقريع و تبكيت. «ماكنتم إيّانا تعبدون»؛ أي: ماكنّا نشعر بأنّكم إيّانا تعبدون.[٣]

«مكانكم»: الزموا مكانكم حتّى تنظروا ما يفعل بكم. «أنتم». تأكيد للضمير المنتقل إليه من عامله. «و شركاؤكم». عطف عليه. «فزيّلنا»: فرّقنا و قطعنا الوصل التي كانت بينهم. «و قال شركاؤهم». مجاز عن براءة ما عبدوه من عبادتهم و أنّهم إنّما عبدوا في الحقيقة أهواءهم لأنّها الآمرة بالإشراك لا ما أشركوا به. و قيل: ينطق الله الأصنام فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التي توقّعوا منها. و قيل: المراد بالشركاء الملائكة و المسيح. و قيل: الشياطين.[٤]

«فزيّلنا بينهم». قال: يبعث الله ناراً تزيّل بين الكفّار و المؤمنين.[٥]

«فزيّلنا»: باعدنا بينهم بعد الجمع بينهم في الموقف. «ماكنتم إيّانا تعبدون». إنّما كنتم تعبدون الشياطين حيث أمروكم أن تتّخذوا أنداداً فأطعتموهم.[٦]

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٣٣ ـ ٤٣٤.
٢ـ الكافي ٨ / ٢٥٢، ح ٣٥٥.
٣ـ مجمع البيان ٥ / ١٦٠.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٣٤.
٥ـ تفسير القمّيّ ١ / ٣١٢.
٦ـ الكشّاف ٢ / ٣٤٣ ـ ٣٤٤.

[۲۹] «فَكَفىٰ بِاللهِ شَهِيداً بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ».

«فكفى بالله شهيداً»؛ أي: فاصلاً للحكم «بيننا و بينكم» أيّها المشركون. «لغافلين». إن كان المراد الأصنام، فلم يكن لها حسّ و لا علم، فعبدوا من لم يدعهم إلى العبادة.(۱)

«فكفى بالله شهيداً بيننا و بينكم». لأنّه العالم بكنه الحال. «إن كنّا». إن مخفّفة من المثقّلة. و اللّام هي الفارقة.(۲)

[۳۰] «هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَ رُدُّوا إِلَى اللهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ».

عن عاصم: «نبلو» بالنون و نصب «كلّ». أي: نختبرها باختبار ما أسلفت من العمل فنعرف حالها بمعرفة حال عملها. و يجوز أن يراد: نصيب بالبلاء ـ و هو العذاب ـ كلّ نفس عاصية بسبب ما أسلفت.(۳)

«هنالك»؛ أي: في ذلك المقام «تبلو كلّ نفس ما أسلفت»: تختبر ما قدّمت من عمل فتعاين نفعه و ضرّه. حمزة و الكسائيّ: «تتلو»، من التلاوة. أي: تقرأ ذكر ما قدّمت. أو من التلو. أي: تتبع عمله فيقودها إلى الجنّة أو النار. «إلى الله»: إلى جزائه إيّاهم بما أسلفوا.(٤)

[۳۱] «قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصَارَ وَ مَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَ يُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَ مَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ».

«من السماء و الأرض»؛ أي: منهما جميعاً. فإنّ الأرزاق تحصل بأسباب سماويّة و موادّ أرضيّة. و قيل: مِن لبيان مَن على حذف المضاف. أي: من أهل السماء و الأرض. «يملك السمع»؛ أي: من يستطيع خلقهما و تسويتهما؟ أو: من يحفظهما من الآفات مع كثرتها و

۱ـ مجمع البيان ٥ / ۱٦۰ ـ ۱٦.
۲ـ تفسير البيضاويّ ۱ / ٤۳٤.
۳ـ الكشّاف ۲ / ۳٤٤.
٤ـ تفسير البيضاويّ ۱ / ٤۳٤.

سرعة انفعالها من أدنى شيء؟ «و من يخرج الحيّ من الميّت و يخرج الميّت من الحيّ»؛ أي: من يحيي و يميت؟ أو: من ينشئ الحيوان من النطفة و النطفة منه؟ «و من يدبّر الأمر»: و من يلي تدبير أمر العالم؟ و هو تعميم بعد تخصيص. «فسيقولون الله». إذ لا يقدرون على المكابرة و العناد في ذلك لفرط وضوحه. «أفلاتتّقون» أنفسكم عقابه بإشراككم إيّاه ما لا يشاركه في شيء من ذلك؟ (١)

«أفلاتتّقون» عقابه على عبادة الاصنام؟ (٢)

[٣٢] «فَذٰلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ».

«فذلكم الله»؛ أي: المتولّي لهذه الأمور المستحقّ للعبادة هو ربّكم الثابت ربوبيّته، لأنّه الذي أحياكم و دبّر أموركم. «فماذا». استفهام إنكار. أي: ليس بعد الحقّ إلّا الضلال. فمن تخطّى الحقّ الذي هو عبادة الله، وقع في الضلال. (٣)

«فأنّى تصرفون»؛ أي: كيف تعدلون عن عبادته مع وضوح الدلالة على أنّه لا معبود سواه؟ (٤)

[٣٣] «كَذٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ».

أهل المدينة و ابن‌عامر: «كلمات». لأنّه أوعدهم بكلمات كثيرة. «كذلك»؛ أي: إنّ الوعيد من الله للكفّار بالنار في الصحّة كالقول بأنّه ليس بعد الحقّ إلّا الضلال. و قيل: معناه: مثل انصرافهم عن الإيمان، وجبت العقوبة لهم. أي: جازاهم ربّهم بمثل ما فعلوا من الانصراف. و هذا في قوم علم الله أنّهم لايؤمنون و معناه: سبق علم ربّك في هؤلاء أنّهم لايؤمنون. و قيل: معنى «أنّهم لايؤمنون»: بأنّهم لايؤمنون. [أو: لأنّهم لايؤمنون.]. أي:

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٣٤.

٢ـ مجمع البيان ٥ / ١٦٢.

٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٣٤ ـ ٤٣٥.

٤ـ مجمع البيان ٥ / ١٦٣.

وجبت العقوبة عليهم لذلك.[١]

«كذلك»؛ أي: كما حقّت الربوبيّة لله. «فسقوا»؛ أي: تمرّدوا في كفرهم.[٢]

«أنّهم لايؤمنون». [بدل] من الكلمة. أي: حقّ عليهم كلمة الله أنّهم من أهل الخذلان و أنّ إيمانهم غير كائن. أو أراد بالكلمة العدة بالعذاب. و «أنّهم لايؤمنون» تعليل بمعنى لأنّهم.[٣]

[٣٤] «قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ».

فإن قلت: كيف قيل: «من يبدأ الخلق ثمّ يعيده»؟ و هم غير معترفين بالإعادة؟ قلت: قد وضعت إعادة الخلق لظهور برهانها موضع ما إن دفعه دافع كان مكابراً رادّاً لما لا شبهة فيه، دلالة على أنّهم في إنكارهم لها منكرون أمراً مسلّماً معترفاً بصحّته عند العقلاء.[٤]

«قل هل من شركائكم». احتجاج آخر في التوحيد. أي: قل لهؤلاء المشركين: من يبدأ الخلق بالإنشاء بعد أن لم يكن، و هو النشأة الأولى، ثمّ يعيده في النشأة الثانية؟ فإن قالوا: لاتقدر عليه الأصنام أو سكتوا، فقل لهم: الله الذي يبدؤه و ينشئه على غير مثال و يفنيه ثمّ يعيده في القيامة. فكيف تصرفون عن الحقّ؟[٥]

[٣٥] «قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ».

«أمّن لايهدّي». أهل الكوفة غير عاصم ساكنة الهاء خفيفة الدال. و أهل المدينة ساكنة الهاء مشدّدة الدال. و عاصم بفتح الياء و كسر الهاء و تشديد الدال. و حمّاد عن عاصم

١ـ مجمع البيان ٥ / ١٦٣.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٣٥.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٣٤٥.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٣٤٦.
٥ـ مجمع البيان ٥ / ١٦٤ ـ ١٦٥.

بكسر الياء و الهاء و التشديد. و [يَهْدّي و يَهِدّي و يِهِدّي] أصل جميعها: يهتدي، و إن اختلف ألفاظها. أدغموا التاء في الدال، ثمّ اختلفوا في تحريك الهاء. فمنهم من ألق حركة الحرف المدغم و هو التاء على الهاء. و من قرأ بكسر الهاء، فإنّه حرّك الهاء بالكسر لالتقاء الساكنين. و من سكّن الهاء، جمع بين الساكنين. و من كسر الياء مع الهاء، أتبع الياء ما بعدها من الكسرة.(١)

ثمّ استأنف الحجاج [فقال:] «هل من شركائكم»؛ أي: هل من هذه الأصنام من يهدي الناس إلى ما فيه الصلاح؟ فلابدّ أن يجيبوا بلا. فقل أنت لهم: الله الذي يهدي. «أفمن يهدي إلى الحقّ» و الرشد «أحقّ أن يتّبع» أمره و نهيه «أم من لايهدي» أحداً «إلّا أن يهدى» [أو لايهتدي هو إلّا أن يهدى]. و الأصنام لا تهتدي و لا تهدي، لكن عبّر عنها كما يعبّر عمّن يعقل و وصفت بصفة من يعقل. و قيل: المراد بذلك الملائكة و الجنّ لأنّهم يهتدون إذا هدوا. و قيل: معناه إلّا أن يركّب الله فيه آلة التمييز. «فما لكم كيف تحكمون». تعجّب عن حالهم. أي: كيف تقضون بأنّ هذه الأصنام آلهة؟(٢)

«هل من شركائكم من يهدي» بنصب الحجج و إرسال الرسل؟ «إلّا أن يهدى». و هذا حال أشراف شركائهم كالمسيح و الملائكة.(٣)

«قل الله». أمر أن ينوب عنهم في الجواب، لأنّ لجاجهم لايدعهم أن ينطقوا بكلمة الحقّ.(٤)

عن أبي عبدالله عليه السلام: لقد قضى أميرالمؤمنين عليه السلام [بقضيّة ما قضى بها أحد كان قبله] في ولاية أبي‌بكر. و كان أوّل قضيّة قضى بها بعد رسول الله صلى الله عليه و آله. [و ذلك أنّه لمّا قبض رسول الله صلى الله عليه و آله و أفضى الأمر إلى أبي‌بكر، أتي برجل قد شرب الخمر...] فلمّا لم يعرفها أبوبكر و عمر، رجعا بها إلى أميرالمؤمنين. فلمّا حكم بها قال له سلمان: أرشدتهم! قال عليّ عليه السلام:

١ـ مجمع البيان ٥ / ١٦٤.
٢ـ مجمع البيان ٥ / ١٦٥.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٣٥.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٣٤٦.

أردت أن أجدّد تأكيد هذه الآية [فيّ و فيهم]: «أفمن يهدي إلى الحقّ» ـ الآية.(١)

«من يهدي». عن أبي جعفر عليه السلام: «من يهدي إلى الحقّ» محمّد و آل محمّد عليهم السلام من بعده. و «من لايهدّي إلّا أن يهدى» من خالف من قريش و غيرهم. [أهل بيته من بعده].(٢)

[٣٦] «وَ مَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنّاً إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ».

«إلّا ظنّاً» بتقليد آبائهم.(٣)

«و مايتّبع أكثرهم». و هو من ينتمي منهم إلى تميز و نظر و لايرضى بتقليد الصرف.(٤)

[٣٧] «وَ مَاكَانَ هٰذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرىٰ مِنْ دُونِ اللهِ وَ لٰكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَ تَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ».

«و ماكان». ردّ لقولهم: «ائت بقرآن غير هذا أو بدّله» و قولهم: انّ النبيّ صلى الله عليه وآله افترى هذا القرآن؛ فقال: و ماكان هذا القرآن افتراء من دون الله، بل هو وحي من الله و «تصديق الذي بين يديه» من الكتب من التوراة و الإنجيل و الزبور بأنّها حقّ، أو شاهد لها من حيث إنّه مصدّق لها على ما تقدّمت البشارة به فيها. و قيل: معناه: تصديق الذي بين يديه في المستقبل من البعث و النشور و الحساب. «و تفصيل الكتاب»؛ أي: تبيين المعاني المجملة في القرآن من الأحكام الشرعيّة. «لا ريب فيه»؛ أي: لا شكّ أنّه نازل من عند الله. «أم يقولون». تقرير لحجّة أخرى.(٥)

«لا ريب فيه». داخل في حيّز الاستدراك. كأنّه قال: ماكان هذا القرآن افتراء، و لكن كان تصديقاً و تفصيل ما فرض من الأحكام منتفياً عنه الريب كائناً من ربّ العالمين. و

١ـ الكافي ٧ / ٢٤٩، ح ٤.
٢ـ تفسير القمّي ١ / ٣١٢.
٣ـ مجمع البيان ٥ / ١٦٦.
٤ـ تفسير البيضاوي ١ / ٤٣٥.
٥ـ مجمع البيان ٥ / ١٦٧.

يجوز أن يراد: و لكن كان تصديقاً من ربّ العالمين و تفصيلاً منه، لا ريب في ذلك. فيكون «من ربّ العالمين» متعلّقاً بتصديق و تفصيل و يكون «لا ريب فيه» اعتراضاً.[١]

«تصديق الذي». خبر لكان مقدّرة.[٢]

[٣٨] «أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَ ادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ».

«أم يقولون»؛ أي: بل أيقولون اختلقه؟ تقرير لإلزام الحجّة عليهم. «قل» إن كان الأمر كما تزعمون «فأتوا» أنتم على وجه الافتراء «بسورة مثله». فأنتم مثلي في العربيّة و الفصاحة. [و معنى] مثله: أي: شبيهة به في البلاغة و حسن النظم. «من استطعتم» للاستعانه به على الإتيان بمثله.[٣]

«إن كنتم صادقين» [أنّه] اختلقه.[٤]

[٣٩] «بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَ لَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ».

«بل كذّبوا»؛ أي: سارعوا إلى التكذيب بالقرآن و فاجؤوه في بديهة السماع، قبل أن يتدبّروه و يقفوا على معانيه، لفرط نفورهم عمّا يخالف دين آبائهم. و قوله: «و لمّا يأتهم» معناه أنّهم كذّبوا به على البديهة قبل التدبّر تقليداً للآباء و كذّبوه بعد التدبّر تمرّداً و عناداً، فذمّهم على التكذيب. «كذلك»؛ أي: مثل ذلك التكذيب «كذّب الذين من قبلهم» قبل النظر في معجزات الأنبياء تقليداً و عناداً. و يجوز أن يكون معنى «و لمّا يأتهم»: و لمّا يأتهم بعد تأويل ما فيه من الإخبار بالغيوب حتّى يتبيّن لهم أهو كذب أم صدق. يعني أنّه كتاب معجز من جهتين: من جهة إعجاز نظمه، و من جهة ما فيه من الإخبار بالغيوب، فتسرّعوا إلى

١ـ الكشّاف ٢ / ٣٤٧.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٣٥.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٣٤٧.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٣٦.

التكذيب به قبل أن ينظروا في نظمه و بلوغه حدّ الإعجاز و قبل أن يخبروا أخباره بالمغيبات و صدقه و كذبه.[١]

«بل كذّبوا»؛ أي: كذّبوا بما لم يعلموه من جميع وجوهه. لأنّ في القرآن ما يعلم المراد منه بدليل و يحتاج إلى الفكر فيه و الرجوع إلى رسول الله في معرفة مراده، كالمتشابه. و الكفّار لمّا لم يعرفوا المراد بظاهره، كذّبوا به.[٢]

«كذّب الذين من قبلهم». قال: نزلت في الرجعة؛ كذّبوا بها أنّها لاتكون.[٣]

[٤٠] «وَ مِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَ مِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَ رَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ».

«من يؤمن به»؛ أي: يعلم أنّه حقّ ولكنّه يعاند بالتكذيب. و منهم من يشكّ فيه لايصدّق به. أو يكون للاستقبال. أي: منهم من سيؤمن به، و منهم من سيصرّ. و ربّك أعلم بالمعاندين أو المصرّين.[٤]

[٤١] «وَ إِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَ لَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَ أَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ».

«و إن كذّبوك»؛ أي: تمّوا على تكذيبهم فتبرّأ منهم و خلّهم. و قيل: هي منسوخة بآية السيف.[٥]

«أنتم بريئون ممّا أعمل و أنا بريء ممّا تعملون»: لاتؤاخذون بعملي و لاأؤاخذ بعملكم.[٦]

[٤٢] «وَ مِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَ فَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَ لَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ».

«و منهم من يستمعون إليك» للردّ لا للفهم. فلذلك لزمهم الذمّ و أنّهم إذا سمعوه على

١ـ الكشّاف ٢ / ٣٤٧ـ ٣٤٨.
٢ـ مجمع البيان ٥ / ١٦٧.
٣ـ تفسير القمّيّ ١ / ٣١٢.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٣٤٨.
٥ـ الكشّاف ٢ / ٣٤٨.
٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٣٦.

هذا الوجه كأنّهم صمّ لايسمعوه حيث لم‌ينتفعوا به.[١]

«من يستمعون إليك». أي: إذا قرأت القرآن و علّمت الشرائع، و لكنّهم لايقبلون.[٢]

«يستمعون» لكن لايقبلون كالأصمّ.[٣]

[٤٣] «وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَ فَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَ لَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ».

«و منهم من ينظر إليك»: و منهم من ينظر إلى أفعالك و أقوالك لا نظر الحقيقة و العبرة بل نظر العادة، فلاينتفع بنظره.[٤]

و منهم ناس ينظرون و يعاينون أدلّة الصدق و أعلام النبوّة و لكنّهم لايصدّقون. ثمّ قال: أتطمع أن تقدر على إسماع الصمّ و لو انضمّ [إلى صممهم عدم عقولهم؟ و أتحسب أنّك تقدر على هداية العمي و لو انضمّ] إليه فقد البصيرة؟ يعني أنّهم في اليأس من أن يقبلوا و يصدّقوا كالصمّ و العمي الذين لا عقول لهم و لا بصائر. و قوله: «أفأنت» دلالة على أنّه لايقدر على إسماعهم و هدايتهم إلّا الله بالقهر و الإيجاب، كما لايقدر على ردّ ذلك الأصمّ و الأعمى إلّا هو وحده.[٥]

و الآية كالتعليل للأمر بالتبرّي و الإعراض عنهم.[٦]

[٤٤] «إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَ لٰكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ».

«لايظلم الناس»؛ أي: لاينقص من حسناتهم و جزاء طاعاتهم، و هم يظلمون أنفسهم بارتكاب المناهي.[٧]

«أنفسهم يظلمون» بالتكذيب و الكفر.[٨]

«لايظلم الناس» بسلب حواسّهم و عقولهم. «أنفسهم يظلمون» بإفسادها و تفويت

١ـ مجمع البيان ٥ / ١٦٩.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٣٤٩.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٣٦.
٤ـ مجمع البيان ٥ / ١٦٩.
٥ـ الكشّاف ٢ / ٣٤٩.
٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٣٧.
٧ـ مجمع البيان ٥ / ١٦٩.
٨ـ الكشّاف ٢ / ٣٤٩.

منافعها.[١]

[٤٥] «وَ يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللهِ وَ مَا كَانُوا مُهْتَدِينَ».

«يحشرهم». حفص عن عاصم بالياء. و الباقون بالنون.[٢]

«كأن لم يلبثوا». يستقصرون مدّة لبثهم في الدنيا أو القبور لهول ما يرون. و الجملة التشبيهيّة في موقع الحال. أي: نحشرهم مشبهين بمن لم يلبث إلّا ساعة. أو صفة ليوم و العائد محذوف، تقديره: كأنّهم لم يلبثوا قبله، أو لمصدر محذوف، أي: حشراً كأن لم يلبثوا قبله. «يتعارفون»: يعرف بعضهم بعضاً كأنّهم لمّا يتفرّقوا إلّا قليلاً. و هذا أوّل ما نشروا، ثمّ ينقطع التعارف لشدّة الأمر عليهم. و هو حال أخرى مقدّرة. أو بيان لقوله: «كأن لم يلبثوا». أو متعلّق الظرف و التقدير: يتعارفون يوم نحشرهم. «قد خسر». شهادة من الله على خسرانهم و التعجّب منه. و يجوز أن يكون حالاً من الضمير في يتعارفون على إرادة القول. «مهتدين» لطرق استعمال التجارة.[٣]

[٤٦] «وَ إِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ».

«بعض الذي نعدهم» من العذاب في حياتك، كما أراه يوم بدر. «أو نتوفّينّك» قبل أن نريك. «فإلينا مرجعهم» فنريكه في الآخرة. و هو جواب نتوفّينّك و جواب نرينّك محذوف مثل فذاك. «ثمّ الله شهيد». مجاز عليه ذكر الشهادة و أراد نتيجتها و مقتضاها ـ يعني العذاب ـ فلذلك رتّبها على الرجوع بثمّ. أو: مؤدّ شهادته على أفعالهم يوم القيامة.[٤]

[٤٧] «وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ».

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٣٧.
٢ـ مجمع البيان ٥ / ١٧٠.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٣٧.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٣٧.

«و لكلّ أمّة» من الأمم الماضية رسول يبعث إليهم ليدعوهم إلى الحقّ. «فإذا جاء رسولهم» بالبيّنات فكذّبوه «قضي بينهم»: بين الرسول و مكذّبيه بالعدل فأنجي الرسول و أهلك المكذّبون. و قيل: معناه: لكلّ أمّة يوم القيامة رسول ينسب إليه. فإذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر و الإيمان، قضي بينهم بإنجاء المؤمن و عقاب الكافر. كقوله: «جيء بالنبيّين و الشهداء»[١] ـ الآية.[٢]

عن أبي جعفرعليه السلام: لكلّ [قرن] من هذه الأمّة رسول من آل محمّدعليهم السلام يخرج إلى القرن الذي هو إليهم [رسول].[٣]

[٤٨] «وَ يَقُولُونَ مَتىٰ هٰذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ».

«و يقولون متى هذا الوعد»، استبعاداً له و استهزاء به. خطاب منهم للنبيّ و المؤمنين.[٤]

[٤٩] «قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرّاً وَ لَا نَفْعاً إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَ لَا يَسْتَقْدِمُونَ».

«قل لا أملك». فكيف أملك تعجيل العذاب؟ «إلّا ما شاء الله» أن أملكه. أو: و لكن ما شاء الله من ذلك كائن: «أجل» مضروب لهلاكهم.[٥]

[٥٠ ـ ٥١] «قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتاً أَوْ نَهَاراً مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ * أَ ثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ آلْآنَ وَ قَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ».

«عذابه» الذي تستعجلون به. «بياتاً»: وقت بيات و اشتغال بالنوم. «أو نهاراً»: حين كنتم مشتغلين بالمعاش. «ماذا يستعجل منه المجرمون» و كلّه مكروه لايلائم الاستعجال؟ و هو متعلّق بأرأيتم، لأنّه بمعنى أخبروني. و المجرمون وضع موضع الضمير للدلالة على أنّهم

١ـ الزمر (٣٩) / ٦٩.

٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٣٧.

٣ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ١٢٣، ح ٢٣.

٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٣٨.

٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٣٨.

لجرمهم ينبغي أن يفزعوا من مجيء الوعيد لا أن يستعجلوه. و جواب الشرط محذوف و هو: تندموا على الاستعجال. و يجوز أن يكون الجواب: «ماذا» ـ كقولك: إن أتيتك ماذا تعطيني؟ ـ و تكون الجملة متعلّقة بأرأيتم، أو بقوله: «أثمّ إذا ما وقع» بمعنى: إن أتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الإيمان، «و ماذا يستعجل» اعتراض و دخول حرف الاستفهام على أثمّ لإنكار التأخير.(١)

«أثمّ إذا ما وقع». عن أبي جعفرعليه السلام: يريد بذلك عذاباً ينزل من السماء على فسقة أهل القبلة في آخر الزمان.(٢) نعوذ بالله منه.

[٥٢] «ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ».

عطف على قيل المضمر قبل «آلآن».(٣)

[٥٣] «وَ يَسْتَنْبِئُونَكَ أَ حَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَ رَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَ مَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ».

«و يستنبئونك»؛ أي: يستخبرونك فيقولون: «أحقّ هو»؟ و هو استفهام على جهة الإنكار و الاستهزاء لتضمّنه معنى التعريض بأنّه باطل. و الضمير للعذاب الموعود. «إي» بمعنى نعم. «بمعجزين»؛ أي: بفائتين العذاب و هو لاحق بكم لا محالة.(٤)

«و يستنبئونك». عن أبي عبداللهعليه السلام قال: يسألك يا محمّدصلى الله عليه وآله أهل مكّة عن عليّ بن أبي طالبعليه السلام إمام هو. «قل إي و ربّي إنّه لحقّ».(٥)

«أحقّ هو»؛ أي: ما جئت به من النبوّة و العذاب. و يحتمل أن يكون هذا الاستفهام على وجه التعريف.(٦)

[٥٤] «وَ لَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَ أَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٣٨.
٢ـ مجمع البيان ٥ / ١٧٤.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٣٥٢.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٣٥٢.
٥ـ أمالي الصدوق / ٥٣٥، ح ٧.
٦ـ مجمع البيان ٥ / ١٧٥.

الْعَذَابَ وَ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ».

«ظلمت». صفة لنفس. أي: ظالمة. «ما في الأرض»؛ أي: ما في الدنيا اليوم من خزائنها. «لافتدت»؛ أي: لجعلته فدية لها. «و أسرّوا الندامة». لأنّهم بهتوا من الأهوال فلم يطيقوا عنده بكاء و صراخاً و لا ما يفعله الجازع سوى إسرار الندم و الحسرة في القلوب. و قيل: أسرّ رؤساؤهم الندامة من سفلتهم الذين أضلّوهم حياء منهم و خوفاً من توبيخهم. و قيل: أسرّوا الندامة: أظهروها. من قولهم: أسرّ الشيء، إذا أظهره. و ليس هناك تجلّد. «و قضي بينهم»؛ أي: بين الظالمين و المظلومين. ثمّ أتبع ذلك الإعلام بأنّ له الملك كلّه و أنّه المثيب المعاقب ما وعد من الثواب و العقاب، فهو حقّ.[١]

«لافتدت» من هول ما يلحقه من العذاب. عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال: إنّما أسرّوا الندامة و هم في النار، كراهة من شماتة الأعداء.[٢]

[٥٥] «أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ».

«ألا إنّ لله ما في السموات و الأرض». فلا يقدر أحد أن يمنعه عن عذاب مملوكه. «ألا إنّ وعد الله» بإحلال العقاب بالمجرمين.[٣]

[٥٦] «هُوَ يُحْيِي وَ يُمِيتُ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ».

[٥٧] «يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ شِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَ هُدًى وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ».

«قد جاءتكم موعظة»؛ أي: جاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد من موعظة و تنبيه على

١ـ الكشّاف ٢ / ٣٥٢.

٢ـ مجمع البيان ٥ / ١٧٥.

٣ـ مجمع البيان ٥ / ١٧٥.

التوحيد. «و» هو «شفاء»؛ أي: دواء لما في صدوركم من العقائد الفاسدة. «و رحمة» لمن آمن منكم.[١]

[٥٨] «قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَ بِرَحْمَتِهِ فَبِذٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ».

«فليفرحوا». الفاء داخلة لمعنى الشرط. كأنّه قيل: إن فرحوا بشيء، فليخصّوهما بالفرح. فإنّه لا مفروح به أحقّ منهما. يعني لاينبغي الفرح بفوائد الدنيا.[٢]

«بفضل الله و رحمته». الفضل رسول الله ﷺ و «رحمته» أميرالمؤمنين عليه السلام. فليفرح شيعتنا. هو خير ممّا أعطوا أعداؤنا من الذهب و الفضّة.[٣]

«يجمعون». ابن‌عامر: «تجمعون» بالتاء، على معنى: فبذلك فليفرح المؤمنون، فهو خير ممّا تجمعونه أيّها المخاطبون.[٤]

[٥٩] «قُلْ أَ رَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَاماً وَ حَلَالاً قُلْ آللّٰهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللهِ تَفْتَرُونَ».

«ما أنزل الله»؛ أي: ما أنزله الله رزقاً حلالاً كلّه فبعّضتموه و قلتم هذا حلال و هذا حرام. «قل آلله أذن لكم». متعلّق بأرأيتم. و قل تكرير للتوكيد.[٥]

جعل الرزق منزلاً، لأنّه مقدّر في السماء يحصل بأسباب منها. و «ما» في موضع النصب بأنزل، أو بأرأيتم فإنّه بمعنى: أخبروني. «فجعلتم منه حراماً و حلالاً». مثل: «هذه أنعام و حرث حجر».[٦] «ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا و محرّم على أزواجنا».[٧] «أذن لكم» في التحليل و التحريم فتقولون ذلك بحكمه «أم على الله تفترون» في نسبة ذلك إليه؟[٨]

١ـ الكشّاف ٢ / ٣٥٣.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٣٥٣.
٣ـ تفسير القمّيّ ١ / ٣١٣.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٣٩.
٥ـ الكشّاف ٢ / ٣٥٤.
٦ـ الأنعام (٦) / ١٣٨.
٧ـ الأنعام (٦) / ١٣٩.
٨ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٣٩.

«حراماً». يعني ما حرّموا من السائبة و البحيرة و الوصيلة و نحوها.(۱)

[٦٠] «وَ مَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ».

«و ما ظنّ الذين كفروا»؛ أي: أيّ شيء ظنّهم «يوم القيامة»؟ أيحسبون أن لايجازوا عليه؟ و هو منصوب بالظنّ. «لذوفضل» حيث أنعم عليهم بالعقل و هداهم بالرسل و الكتب. «لايشكرون» هذه النعمة.(۲)

«و ما ظنّ الذين يفترون». و هو وعيد عظيم حيث أبهم أمره.(۳)

«لذوفضل» حيث لم يعاجلهم بالعقوبة.(٤)

[٦١] «وَ مَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَ مَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَ لَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَ مَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَ لَا فِي السَّمَاءِ وَ لَا أَصْغَرَ مِنْ ذٰلِكَ وَ لَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ».

«و ماتكون». الخطاب لرسول الله ﷺ.(٥)

أي: ماتكون أنت ـ يا محمّد ـ في حال من الأحوال من تعليم الشريعة و تبليغ الرسالة و غير ذلك. «و ماتتلو منه من قرآن»؛ أي: ما تقرأ من الله من قرآن. و قيل: من الكتاب من قرآن. و القرآن يقع على القليل و الكثير [منه]. «و مايعزب». الكسائيّ بكسر الزاء.(٦)

«و لا أصغر من ذلك و لا أكبر». حمزة و يعقوب بالرفع فيهما على الابتداء و الخبر. و من عطف على لفظ «مثقال» [و] جعل الفتح بدل الكسرة لامتناع الصرف، أو على محلّه مع

۱ـ مجمع البيان ٥ / ۱۷۹.
۲ـ تفسير البيضاويّ ۱ / ٤٤٠.
۳ـ الكشّاف ۲ / ۲٥٤.
٤ـ مجمع البيان ٥ / ۱۷۹.
٥ـ الكشّاف ۲ / ۳٥٤.
٦ـ مجمع البيان ٥ / ۱۷۹.

الجارّ، جعل الاستثناء منقطعاً. و المراد بالكتاب اللّوح المحفوظ.[١]

[٦٢ـ ٦٣] «أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَ كَانُوا يَتَّقُونَ».

«أولياء الله»: الذين يتولّونه بالطاعة و يتولّاهم بالكرامة، لا يلحقهم مكروه و لا يحزنون [لفوات] مأمول. و الآية كمجمل فسّره «الذين آمنوا». و قيل: «الذين آمنوا و كانوا يتّقون» بيان لتولّيهم له.[٢]

[٦٤] «لَهُمُ الْبُشْرىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ فِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ ذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ».

«لهم البشرى في الحياة الدنيا»: الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له. «و في الآخرة» بالجنّة. و هو ما يبشّرهم به الملائكة عند خروجهم من القبور و في القيامة إلى أن يدخلوا الجنّة يبشّرونهم بها حالاً بعد حال. و هو المرويّ عن أبي جعفر عليه السلام. و عن أبي عبدالله عليه السلام أنّها بشارة الملائكة للمؤمن عند الموت.[٣]

عن أبي عبدالله عليه السلام بالأسانيد المتكثّرة أنّ هذه البشارة هي بشارة رسول الله صلى الله عليه و آله و أميرالمؤمنين عليه السلام للمؤمن حال موته. و تواترت الأخبار بحضور أميرالمؤمنين عليه السلام عند الأموات. و مخاطبته عليه السلام للحارث الهمدانيّ: «يا حار همدان من يمت يرني» مشهورة.

«لهم البشرى في الحياة الدنيا». و هو ما بشّر به المتّقين في كتابه و على لسان نبيّه و ما يريهم في الدنيا من الرؤيا الصالحة و ما يسنح لهم من المكاشفات و بشرى الملائكة عند النزع. «و في الآخرة» بتلقّي الملائكة إيّاهم مسلّمين مبشّرين بالفوز و الكرامة. بيان لتولّيه لهم. و محلّ «الذين آمنوا» النصب أو الرفع على المدح أو على وصف الأولياء أو على الابتداء

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٤٠.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٤٠.
٣ـ مجمع البيان ٥ / ١٨٢.

و خبره «لهم البشرى».[١]

«لا تبديل»: لا تغيير لأقواله و لا إخلاف لمواعيده. كقوله: «ما يبدّل القول لديّ».[٢]

«ذلك». إشارة إلى كونهم مبشّرين في الدارين. و كلتا الجملتين اعتراض.[٣] أي: اعتراض لتحقيق المبشّر و تعظيم شأنه، و ليس من شرطه أن يقع بعده كلام متّصل بما قبله.[٤]

[٦٥] «وَ لَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ».

«و لا يحزنك». نافع: «يحزنك»، من أحزنه. و كلاهما بمعنًى.[٥]

«قولهم»: تكذيبهم و تهديدهم و تشاورهم في تدبير هلاكك و إبطال أمرك. «إنّ العزّة». استئناف بمعنى التعليل. كأنّه قيل: ما لي لا أحزن؟ فقيل: «إنّ العزّة لله جميعاً»؛ أي: إنّ الغلبة و القهر في ملكة الله جميعاً، فهو ينصرك عليهم.[٦]

[٦٦] «أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ وَ مَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ».

«من في السموات و الأرض». يعني العقلاء المميّزين؛ و هم الملائكة و الثقلان. و إنّما خصّهم ليؤذن أنّ هؤلاء إذا كانوا له و في مملكته فهم عبيد كلّهم لا يصلح أحد منهم للربوبيّة، فما وراءهم ممّا لا يعقل أحقّ ألّا يكون شريكاً. «و ما يتّبع الذين» ـ الآية ـ أي: ما يتّبعون حقيقة الشركاء و إن كانوا يسمّونهم شركاء. لأنّ شركة الله في الربوبيّة محال. إن يتّبعون إلّا ظنّهم أنّهم شركاء. «و إن هم إلّا يخرصون»؛ أي: يقدّرون أن يكون شركاء تقديراً باطلاً. و يجوز أن يكون «و ما يتّبع» في معنى الاستفهام. يعني: و أيّ شيء يتّبعون؟ و شركاء على هذا نصب بيدعون. و على الأوّل بيتّبع. و كان حقّه: و ما يتّبع الذين يدعون من دون الله شركاء

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٤٠.

٢ـ ق (٥٠) / ٢٩.

٣ـ الكشّاف ٢ / ٣٥٧.

٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٤٠.

٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٤١.

٦ـ الكشّاف ٢ / ٣٥٧.

شركاء، فاقتصر على أحدهما للدلالة. و يجوز أن يكون ما موصولة معطوفة على من. كأنّه قيل: و لله ما يتّبعه الذين يدعون من دون الله شركاء. أي: و له شركاؤهم. و قرأ عليّ بن أبي طالبعليه السلام: «تدعون» بالتاء و وجهه أن يحمل «و ما يتّبع» على الاستفهام. أي: و أيّ شيء يتّبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة و الأنبياء؟ يعني أنّهم يتّبعون الله و يطيعونه، فما لكم لاتفعلون مثل فعلهم؟ ثمّ صرف الكلام من الخطاب إلى الغيبة فقال: إن يتّبع هؤلاء المشركون إلّا الظنّ و لا يتّبعون ما يتّبع الملائكة و الأنبياء من الحقّ.[١]

[٦٧] «هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَ النَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَـاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ».

«هو الذي جعل لكم». فيجب أن توحّدوه على هذه النعم. (ع)

«لتسكنوا فيه». من تعب تردّد النهار. «مبصراً»: مضيئاً يبصرون فيه مطالب أرزاقهم. «يسمعون» سماع معتبر مذّكر.[٢]

[٦٨] «قَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَداً سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهٰذَا أَ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ».

«سبحانه». تنزيه له عن اتّخاذ الولد و تعجّب من كلمتهم الحمقاء. «هو الغنيّ». علّة لنفي الولد. لأنّ ما يطلب لأجله الولد هو الحاجة. «له ما في السموات و ما في الأرض». فهو مستغن بملكه لهم عن اتّخاذ أحد منهم ولداً. إن عندكم من حجّة بهذا القول. «أتقولون على الله». لما نفى عنهم البرهان، جعلهم غير عالمين فدلّ على أنّ كلّ قول لا برهان عليه لقائله، فذاك جهل.[٣]

«أتقولون». توبيخ و تقرير على اختلاقهم و جهلهم.[٤]

١ـ الكشّاف ٢ / ٣٥٧ ـ ٣٥٨.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٣٥٨.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٣٥٨.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٤١.

[٦٩] «قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ».

«يفترون على الله» بإضافة الولد إليه.[١]

[٧٠] «مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ».

«متاع في الدنيا»؛ أي: افتراؤهم هذا منفعة قليلة في الدنيا. و ذلك حيث يقيمون رياستهم في الكفر و مناصبة النبيّ صلى الله عليه وآله بالتظاهر به، ثمّ يلقون الشقاء المؤبّد عليه.[٢]

[٧١] «وَ اتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَ تَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللهِ فَعَلَى اللهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَ شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَ لَا تُنْظِرُونِ».

«كبر»؛ أي: ثقل و شقّ. «مقامي»؛ أي: مكاني. يعني نفسه. كما تقول: فعلت كذا لمكان فلان. أو: مقامي و مكثي بين أظهركم مدداً طوالاً ألف سنة إلّا خمسين عاماً. أو: مقامي[٣] و تذكيري. لأنّهم كانوا إذا وعظوا الجماعة، قاموا على أرجلهم يعظونهم ليكون مكانهم بيّناً و كلامهم مسموعاً. «فاجمعوا أمركم و شركاءكم». من أجمع الأمر، إذا نواه و عزم عليه. و الواو بمعنى مع. أي: مع شركائكم. و إسناد الإجماع إلى الشركاء على وجه أنّه التهكّم. كقوله: «قل ادعوا شركاءكم ثمّ كيدون».[٤]

فإن قلت: فما معنى الأمرين؛ [أمرهم الذي يجمعونه و] أمرهم الذي لايكون عليهم غمّة؟ قلت: أمّا الأمر الأوّل، فالقصد إلى اهلاكه. يعني: فاجمعوا ما تريدون من إهلاكي و ابذلوا وسعكم في كيدي. و إنّما قال ذلك إظهاراً لقلّة مبالاته و ثقة بما وعده ربّه من عصمته.

١ـ الكشّاف ٢ / ٣٥٨.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٣٥٨.
٣ـ لعلّ الصحيح: «قيامي» كما ذكر في هامش المصدر.
٤ـ الأعراف (٧) / ١٩٥.

و أمّا الثاني، ففيه وجهان: أحدهما أن يراد مصاحبتهم له و ما كانوا فيه معه من الحال الشديدة عليهم المكروه عندهم. يعني: أهلكوني لئلّايكون عيشكم بسببي غصّة و حالكم عليكم غمّه؛ أي: غمّاً و همّاً. و الثاني أن يراد به ما أريد بالأمر الأوّل. و الغمّة: السترة. من غمّه، إذا ستره. يعني: و لايكن قصدكم إلى اهلاكي مستوراً عليكم و لكن مشهوراً مكشوفاً تجاهرونني به. «ثمّ اقضوا إليّ» ذلك الأمر الذي تريدون بي. أي: أدّوا إليّ قطعه و تصحيحه. أو: أدّوا إليّ ما هو حقّ عليكم من هلاكي، كما يقضي الرجل غريمه. [«و لاتنظرون»:] و لاتمهلوني.[١]

«ثمّ اقضوا إليّ». تهديد في صورة الأمر. قد كان هذا من معجزات نوح عليه السلام. لأنّه كان وحيداً مع نفر يسيرو قد أخبر بأنّهم لايقدرون على قتله لأنّ الله ناصره و حافظه.[٢]

[٧٢] «فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللهِ وَ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ».

«فإن تولّيتم»؛ أي: أعرضتم عن تذكيري و نصيحتي، «فماسألتكم من أجر»: فماكان عندي ما ينفركم عنّي و تتّهموني لأجله من طمع في أموالكم و طلب أجر على عظتكم. إنّ أجري و ثوابي على الله في الآخرة. «و أمرت أن أكون من المسلمين» الذين لايأخذون على تعليم الدين شيئاً و لايطلبون به الدنيا. يريد أنّ ذلك مقتضى الإسلام. و حاصله أنّ تولّيهم عنه إنّما كان عناداً منهم و لم يكن عن تفريط منه.[٣]

[٧٣] «فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَ مَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَ جَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَ أَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ».

«فكذّبوه»؛ أي: تمّوا على تكذيبه و كان تكذيبهم له في آخر المدّة المتطاولة كتكذيبهم

١ـ الكشّاف ٢ / ٣٥٩ ـ ٣٦٠.
٢ـ مجمع البيان ٥ / ١٨٧.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٣٦٠.

في أوّلها. و ذلك عند مشارفة الهلاك بالطوفان. «خلائف» يخلفون الهالكين بالغرق.[١]

«و من معه». كانوا ثمانين نفساً. «و جعلناهم خلائف». قال البلخيّ: أي: جعلناهم رؤساء في الارض.[٢]

[٧٤] «ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلاً إِلىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاؤُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذٰلِكَ نَطْبَعُ عَلىٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ».

«من بعده»؛ أي: من بعد نوح. يعني هوداً و صالحاً و إبراهيم و لوطاً و شعيباً عليهم السلام. «بالبيّنات»؛ أي: الحجج الواضحة المثبتة لدعواهم. «فما كانوا ليؤمنوا»؛ أي: فما كان إيمانهم إلّا ممتنعاً كالمحال، لشدّة شكيمتهم في الكفر. «بما كذّبوا به من قبل». يريد أنّهم كانوا قبل بعثة الرسل أهل جاهليّة مكذّبين بالحقّ، فما وقع فصل بين حالتيهم بعد بعثة الرسل و قبلها كأن لم يبعث إليهم أحد. «كذلك نطبع»: مثل ذلك الطبع المحكم نطبع «على قلوب المعتدين». و الطبع جار مجرى الكناية عن عنادهم و لجاجهم. لأنّ الخذلان يتبعه. ألاترى كيف أسند إليهم الاعتداء و وصفهم به؟[٣]

«إلى قومهم». و هم أولاد قوم نوح بعد ما تناسلوا. (ع)

«فما كانوا». أي: ماكان الأولاد ليؤمنوا بالرسل الذي كذّب بمثلهم آباؤهم.[٤]

عن أبي جعفر عليه السلام: انّ الله خلق الخلق؛ فخلق من أحبّ من طينة الجنّة، و خلق من أبغض من طينة النار. ثمّ بعثهم في الظلال. فقال الراوي: و أيّ شيء الظلال؟ فقال عليه السلام: ألم تر إلى ظلّك في الشمس شيئاً و ليس بشيء؟ ثمّ بعث منهم الأنبياء فدعوهم إلى الإقرار بالله. و هو قوله: «و لئن سألتهم من خلقهم ليقولنّ الله».[٥] ثمّ دعوهم إلى الإقرار بالنبيّين فأقرّ بعضهم و أنكر بعض. ثمّ دعوهم إلى ولايتنا فأقرّ بها ــ و الله ــ من أحبّ و أنكرها من أبغض.

١ـ الكشّاف ٢ / ٣٦٠.
٢ـ مجمع البيان ٥ / ١٨٩.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٣٦٠ ـ ٣٦١.
٤ـ مجمع البيان ٥ / ١٨٨.
٥ـ الزخرف (٤٣) / ٨٧.

و هو قوله: «فما كانوا ليؤمنوا بما كذّبوا به قبل». ثمّ قال أبو جعفر عليه السلام: كان التكذيب ثمّة.[١]

أقول: الأخبار الواردة بهذا المعنى مستفيضة. و حاصلها أنّ أهل الخلاف على الأئمّة عليهم السلام لم يؤمنوا بهم في هذا العالم لأنّهم كذّبوا بهم في عالم الذرّ و الأرواح.

[٧٥] «ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسىٰ وَ هَارُونَ إِلىٰ فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَ كَانُوا قَوْماً مُجْرِمِينَ».

«من بعدهم»: من بعد الرسل. «إلى فرعون» بالآيات التسع. «فاستكبروا» عن قبولها. «و كانوا قوماً مجرمين»: كفّاراً ذوي آثام عظام.[٢]

[٧٦ ـ ٧٧] «فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هٰذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ * قَالَ مُوسىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هٰذَا وَ لَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ».

«فلمّا جاءهم»؛ أي: لمّا عرفوا أنّه الحقّ من عند الله لا من قبل موسى و هارون، قالوا لحبّهم الشهوات: «إنّ هذا لسحر مبين». و هم يعلمون أنّه ليس بسحر. فإن قلت: هم قطعوا على أنّه سحر، فكيف قيل لهم: «أتقولون» «أسحر هذا»؟ قلت: فيه أوجه: أن يكون معنى قوله: «أتقولون للحقّ»: أتعيبونه و تطعنون فيه و كان عليكم أن تذعنوا له؟ من قولهم: بين الناس تقاول، إذا قال بعضهم لبعض ما يسوؤه. يعني فلايحتاج حينئذ إلى المقول. ثمّ قال: «أسحر هذا» فأنكر ما قالوه في عيبه و الطعن عليه. و أن يحذف مفعول أتقولون و هو ما دلّ عليه قولهم: «إنّ هذا لسحر مبين». فكأنّه قيل: أتقولون ما تقولون، ثمّ قيل: «أسحر هذا». و أن يكون جملة قوله: «أسحر هذا و لايفلح الساحرون» حكاية لكلامهم. كأنّهم قالوا: أجئتما بالسحر تطلبان به الفلاح؟ «و لايفلح الساحرون». كما قال موسى للسحرة: «ما جئتم به السحر إنّ الله سيبطله»[٣].[٤]

١ـ الكافي ٢ / ١٠، ح ٣.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٣٦١.
٣ـ يونس (١٠) / ٨١.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٣٦١ ـ ٣٦٢.

«فلمّا جاءهم الحقّ من عندنا» و عرفوه بتظاهر المعجزات.[١]

«أتقولون للحقّ»؛ أي: أتقولون للمعجزات سحر، و السحر باطل و المعجز حقّ؟[٢]

[٧٨] «قَالُوا أَ جِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَ تَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَ مَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ».

«لتلفتنا»؛ أي: لتصرفنا. «عمّا وجدنا عليه آباءنا» من عبادة الأصنام. «و تكون لكما الكبرياء». لأنّ الملوك موصوفون بالكبر. و يجوز أن يقصدوا ذمّهما و أنّهما إن ملكا أرض مصر تجبّرا و تكبّرا. كما قال القبطيّ لموسى: «إن تريد إلّا أن تكون جبّاراً في الأرض».[٣]

«بمؤمنين»؛ أي: مصدّقين لكما فيما جئتما به.[٤]

«و تكون». عن أبي‌بكر: «و يكون» بالياء. «في الأرض»؛ أي: أرض مصر. و قيل: أراد اسم الجنس.[٥]

[٧٩] «وَ قَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ».

حمزة و الكسائيّ: «سحّار». «عليم»: حاذق.[٦]

«ساحر». أهل الكوفة غير عاصم: «سحّار» بالتشديد. و الباقون: «ساحر». «و قال فرعون ائتوني». و إنّما فعل ذلك للجهل بأنّ ما أتى به موسى من عند الله و ليس بسحر. و بعد ذلك علم أنّه ليس بسحر فعاند؛ كما قال سبحانه: «لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلّا ربّ السموات و الأرض بصائر».[٧] و قيل: علم أنّه ليس بسحر و لكنّه ظنّ أنّ السحر يقاربه مقاربة تشبيه.[٨]

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٤٣.

٢ـ مجمع البيان ٥ / ١٨٩.

٣ـ القصص (٢٨) / ١٩.

٤ـ الكشّاف ٢ / ٣٦٢.

٥ـ مجمع البيان ٥ / ١٨٨ ـ ١٨٩.

٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٤٣.

٧ـ الإسراء (١٧) / ١٠٢.

٨ـ مجمع البيان ٥ / ١٨٩ ـ ١٩٠.

[٨٠] «فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ».

[٨١] «فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ».

«ما جئتم به». ما موصولة واقعة مبتدأ و «السحر» خبره. أي: الذي جئتم به السحر لا الذي سمّاه فرعون و قومه سحراً من آيات الله. «سيبطله»: سيمحقه، أو يظهر بطلانه بإظهار المعجزة على الشعوذة. «لايصلح»؛ أي: لايديمه و لكن يسلّط عليه الدمار.[١]

قرأ أبوعمرو: «آلسحر» على أنّ «ما» استفهاميّة مرفوعة بالابتداء و «جئتم به» خبره و «آلسحر» بدل منه أو خبر مبتدأ محذوف تقديره: أهو السحر. «لايصلح عمل المفسدين»؛ أي: لايثبته و لايقوّيه. و فيه دليل على أنّ السحر فساد و تمويه لا حقيقة له.[٢]

[٨٢] «وَ يُحِقُّ اللهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ».

«يحقّ الله الحقّ» أي: يثبته. «بكلماته»؛ أي: بأوامره و قضاياه.[٣]

[٨٣] «فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَ إِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَ إِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ».

«ذرّيّة من قومه». قيل: أراد مؤمني بني إسرائيل. و كانوا ستّمائة ألف. كان يعقوب دخل مصر منهم باثنين و سبعين إنساناً فتوالدوا حتّى بلغوا ستّمائة ألف. و إنّما سمّاهم ذرّيّة على وجه التصغير لضعفهم. عن ابن عبّاس.[٤]

أي: فما آمن لموسى في أوّل أمره إلّا طائفة من ذراري بني إسرائيل. كأنّه قيل: إلّا أولاد من أولاد قومه. و ذلك أنّه دعا الآباء فلم يجيبوه خوفاً من فرعون و أجابته طائفة من

١ـ الكشّاف ٢ / ٣٦٢ ـ ٣٦٣.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٤٣.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٣٦٣.
٤ـ مجمع البيان ٥ / ١٩٢.

أبنائهم مع الخوف. و قيل: الضمير في قومه لفرعون، و الذرّيّة مؤمن آل فرعون و آسية امرأته و خازنه و امرأة خازنه و ماشطته. «و ملئهم». الضمير في ملئهم لفرعون، بمعنى آل فرعون ـ كما يقال ربيعة و مضر ـ أو لأنّه ذوأصحاب يأتمرون له. و يجوز أن يرجع إلى الذرّيّة. أي: خوف من فرعون و خوف من أشراف بني إسرائيل. لأنّهم كانوا يمنعون أعقابهم خوفاً من فرعون عليهم و على أنفسهم. و يدلّ عليه «أن يفتنهم». يريد: أن يعذّبهم. «لعال في الأرض»؛ أي: قاهر فيها. «لمن المسرفين». أي في الظلم و الفساد بادّعاء الربوبيّة.(١)

«أن يفتنهم»؛ أي: يعذّبهم فرعون. و هو بدل منه، أو مفعول خوف، و إفراده بالضمير للدلالة على أنّ الخوف من الملأكان بسببه. «لمن المسرفين» في الكبر حتّى استرقّ أولاد الأنبياء.(٢)

[٨٤] «وَ قَالَ مُوسىٰ يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ».

«و قال موسى» لمّا رأى تخوّف المؤمنين به: «فعليه توكّلوا».(٣)

«فعليه توكّلوا»: أسندوا إليه أمركم في العصمة من فرعون. ثمّ شرط في التوكّل الإسلام؛ و هو أن يسلموا نفوسهم لله؛ أي: يجعلوها له سالمة خالصة لا حظّ للشيطان فيها. لأنّ التوكّل لايكون مع التخليط.(٤)

[٨٥] «فَقَالُوا عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ».

«على الله توكّلنا». في تقديم التوكّل على الدعاء تنبيه على أنّ الداعي ينبغي أن يتوكّل أوّلاً لتجاب دعوته.(٥)

«على الله توكّلنا». إنّما قالوا ذلك لأنّ القوم كانوا مخلصين، لا جرم أنّ الله قبل توكّلهم

١ـ الكشّاف ٢ / ٣٦٣.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٤٤.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٤٤.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٣٦٤.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٤٤.

أجاب دعاءهم و أهلك من كانوا يخافونه و جعلهم خلفاء في أرضه. «لاتجعلنا فتنة»: موضع فتنة لهم؛ أي: [عذاب] يعذّبوننا و يفتنوننا عن ديننا. أو: فتنة لهم يفتنون بنا. و يقولون: لو كان هؤلاء على الحقّ لما أصيبوا.[١]

[٨٦] «وَ نَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ».

[٨٧] «وَ أَوْحَيْنَا إِلىٰ مُوسىٰ وَ أَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً وَ اجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ».

«أن تبوّءا لقومكما بمصر بيوتاً». [خوطب موسى و هارون بهذا،] لأنّ هذا ممّا يفوّض إلى الأنبياء. «أن تبوّءا»: أي: اجعلا بمصر بيوتاً مرجعاً لقومكما يرجعون إليه للعبادة و الصلاة فيه «و اجعلوا بيوتكم» تلك «قبلة»: أي: مساجد متوجّهة نحو القبلة و هي الكعبة. و كان موسى و من معه يصلّون إلى الكعبة. و كانوا في أوّل أمرهم مأمورين بأن يصلّوا في بيوتهم في خفية من الكفرة لئلّايظهروا عليهم فيؤذوهم و يفتنونهم عن دينهم. كما كان المؤمنون على ذلك في أوّل الإسلام بمكّة. «و اجعلوا». يعني مع قومهما. لأنّ اتّخاذ المساجد و الصلاة فيها واجب على الجمهور. «و بشّر المؤمنين». وحّد الخطاب هنا لاختصاصها بموسى عليه السلام تعظيماً للبشارة و للمبشّر بها.[٢]

«بمصر بيوتاً» يسكنون فيها أو يرجعون إليها للعبادة. «قبلة»؛ أي: مصلًّى. و قيل: مساجد متوجّهة نحو الكعبة. «و أقيموا الصلاة» فيها، لئلّايظهر عليهم فرعون و قومه. «و بشّر المؤمنين» بالنصرة في الدنيا و الجنّة في العقبى.[٣]

«و اجعلوا بيوتكم». قيل: لمّا دخل موسى بمصر بعد ما أهلك الله فرعون، أمروا باتّخاذ مساجد للعبادة و أن يجعلوها نحو الكعبة. و قيل: إنّ فرعون أمر بتخريب مساجد

١ـ الكشّاف ٢ / ٣٦٤. ٢ـ الكشّاف ٢ / ٣٦٤.

٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٤٤.

بني إسرائيل و منعهم من الصلاة فأمروا أن يتّخذوا مساجد في بيوتهم يصلّون فيها خوفاً من فرعون. و ذلك قوله: «واجعلوا بيوتكم قبلة»: يقابل بعضها بعضاً.(١)

[٨٨] «وَ قَالَ مُوسىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَ مَلَأَهُ زِينَةً وَ أَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلىٰ أَمْوَالِهِمْ وَ اشْدُدْ عَلىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتّٰى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ».

«زينة و أموالاً». قيل: الزينة الجمال و صحّة البدن و طول القامة، إنعاماً عليهم. «ليضلّوا عن سبيلك»؛ أي: لأن لايضلّوا. فحذف لا. كقوله: «شهدنا أن تقولوا يوم القيامة»(٢)؛ أي: لأن لاتقولوا. «ربّنا اطمس على أموالهم»؛ أي: غيّرها إلى ما لاينتفع به. قال عامّة أهل التفسير: صارت أموالهم حجارة حتّى السكّر. «و اشدد على قلوبهم»: ثبّتهم على المقام ببلدهم بعد إهلاك أموالهم فيكون ذلك أشدّ عليهم. [و قيل:] «و اشدد على قلوبهم»؛ أي: أمتهم بعد سلب أموالهم و أهلكهم. «فلايؤمنوا» إيمان إلجاء «حتّى يروا العذاب الأليم».(٣)

«ربّنا ليضلّوا». اللّام للعاقبة و هي متعلّقة بآتيت. و يحتمل أن يكون اللّام للعلّة. لأنّهم لمّا جعلوها سبباً للضلال، فكأنّهم أوتوها ليضلّوا. فيكون «ربّنا» تأكيداً للأمر و تكريراً و تنبيهاً على أنّ المقصود عرض ضلالهم و كفرانهم تقدمة لقوله: «ربّنا اطمس».(٤)

«زينة»: ما يتزيّن بها من لباس و حلي و غير ذلك. عن ابن‌عبّاس: كانت لهم من فسطاط مصر إلى أرض الحبشة جبال فيها [معادن] من فضّة و ذهب و زبرجد و ياقوت. و قوله: «ربّنا ليضلّوا» دعاء بلفظ الأمر؛ كقوله: «ربّنا اطمس» «واشدد». و ذلك أنّه لمّا عرض عليهم الآيات و كرّر عليهم المواعظ و النصائح فلم‌ينفع بهم و صار إيمانهم كالمحال، أو علم ذلك بوحي من الله، اشتدّ غضبه عليهم فدعا عليهم بما علم أنّه لايكون غيره. كما تقول: لعن الله إبليس. كأنّه قيل: ليثبتوا على ما هم عليه من الضلال و ليكونوا ضلّالاً و ليطبع الله على

١ـ مجمع البيان ٥ / ١٩٥.
٢ـ الأعراف (٧) / ١٧٢.
٣ـ مجمع البيان ٥ / ١٩٥ ـ ١٩٦.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٤٤ ـ ٤٤٥.

قلوبهم. «فلايؤمنوا». جواب للدعاء الذي هو: «اشدد» أو دعاء بلفظ النهي. و قد حملت اللّام في ليضلّوا على التعليل على أنّهم جعلوا نعمة الله سبباً في الضلال، فكأنّهم أوتوها ليضلّوا، و قوله: «فلايؤمنوا» عطف على ليضلّوا. و قوله: «ربّنا اطمس» «و اشدد» دعاء معترض بين المعطوف و المعطوف عليه.(١)

[٨٩] «قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَ لَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ».

قيل: كان موسى يدعو و هارون يؤمّن. و يجوز أن يكونا يدعوان. و المعنى: انّ دعاءكما مستجاب و ما طلبتما كائن، و لكن في وقته. «فاستقيما»: فاثبتا على ما أنتما عليه من الدعوة و الزيادة في الحجّة، فقد لبث نوح عليه السلام في قومه ألف عام إلّا قليلاً، و لاتستعجلا. فمكث موسى بعد الدعاء أربعين سنة.(٢)

«تتّبعانّ». ابن‌عامر بتخفيف النون. «لايعلمون»: لايعرفون الله و لا أنبياءه.(٣)

[٩٠] «وَ جَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَ جُنُودُهُ بَغْياً وَ عَدْواً حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُوا إِسْرَائِيلَ وَ أَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ».

«قال آمنت». عن الرضا عليه السلام: أغرق الله فرعون لأنّه حين أدركه الغرق استغاث بموسى. قال الله لموسى: لو استغاث بي فرعون لأغثته.(٤)

«أنّه» أي: بأنّه. أهل الكوفة غير عاصم بكسر الألف، على إضمار القول؛ كأنّه قال: آمنت و قلت.(٥)

[٩١] «آلْآنَ وَ قَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَ كُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ».

١ـ الكشّاف ٢ / ٣٦٥ ـ ٣٦٦.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٣٦٦.
٣ـ مجمع البيان ٥ / ١٩٣ و ١٩٦.
٤ـ العيون ٢ / ٧٦، ح ٧.
٥ـ مجمع البيان ٥ / ١٩٦ ـ ١٩٧.

عن أبي جعفر و نافع: «ألآنّ» بإلقاء حركة الهمزة على اللّام و حذف الهمزة.(١)

[٩٢] «فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَ إِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ».

«فاليوم ننجّيك». روي أنّ جبرئيلعليه السلام سأله: ما قول الأمير في عبد لرجل نشأ في ماله و نعمته فكفر نعمته و ادّعى السيادة دونه؟ فكتب فرعون كتاباً: يقوله أبوالعبّاس الوليد بن مصعب: جزاء العبد الخارج على سيّده أن يغرق في البحر. فلمّا ألجمه الغرق ناوله جبرئيل خطّه فعرفه.(٢)

قال أكثر المفسّرين: لمّا أغرق الله فرعون و قومه، أنكر بعض بني إسرائيل غرق فرعون و قال: هو أعظم شأناً من أن يغرق، فأخرجه الله حتى رأوه. فذلك قوله: «فاليوم ننجّيك»؛ أي: نلقيك على نجوة من الأرض ـ و هي المكان المرتفع ـ «ببدنك»؛ أي بجسدك من غير روح. و ذلك أنّه طفا عرياناً. و قيل: معناه: نخلّصك من البحر و أنت ميّت. و البدن الدرع. قيل: كانت درعاً من ذهب. فالمعنى: نرفعك فوق الماء بدرعك المشهورة ليعرفوك بها. «لتكون آية»؛ أي نكالاً لمن خلفك فلايقولوا مثل مقالتك. «لغافلون». أي عن التفكّر في الآيات.(٣)

[٩٣] «وَ لَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَ رَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ».

«و لقد بوّأنا بني إسرائيل مبوّأ صدق». [المبوّأ] يجوز أن يكون مصدراً، و يجوز أن يكون مكاناً و [يكون] المفعول الثاني محذوفاً. أخبر سبحانه عن نعمه عليهم بعد هلاك عدوّهم يقول: مكـنّاكم مكاناً محموداً؛ و هو بيت المقدس و الشام. و إنّما قال: «صدق» لأنّ فضل

١ـ مجمع البيان ٢ / ١٩٦.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٣٦٨.
٣ـ مجمع البيان ٥ / ١٩٩.

ذلك المنزل على غيره من المنازل كفضل الصدق على الكذب. و قيل: معناه: أنـزلناهم في موضع خصب يصدق فيما يدلّ عليه من جلالة النعمة. و قيل: يريد به مـصر. و ذلك أنّ موسى عبر ببني إسرائيل البحر ثانياً و رجع إلى مصر و تبوّأ مساكـن آل فـرعون. «مـن الطيّبات»: أي: الأشياء اللّذيذة. «فما اختلفوا» في تصديق محمّدﷺ و كانوا مقرّين به قبل مبعثه ـ «حتّى جاءهم العلم» و هو القرآن الذي جاء به محمّد. و قال الفرّاء: العلم محمّد، لأنّه كان معلوماً عندهم مبعثه، فلمّا جاءهم اختلفوا في تصديقه فكفر به أكثرهم. و قيل: معناه: ما اختلف بنوإسرائيل إلّا من بعد ما جاءهم العلم بالحقّ على يد موسى و هارون. فإنّهم كانوا مطبقين على الكفر [قبل مجيء موسى، فلمّا جاءهم آمن به بعضهم و ثبت على الكفر] بعضهم فصاروا مختلفين.(١)

[٩٤] «فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُنَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ».

اختلف المفسّرون فيه على أقوال. أوّلها: قال الزجّاج: إنّ هذه الآية قد كثر السؤال عنها. و في هذه السورة ما يدلّ على بيانها و هذا الخطاب للـخلق أي: «إن كـنتم في شك مـن ديني».(٢) و هذا هو المرويّ عن أبي عبداللهعليه‌السلام.(٣) و ثانيها: انّ الخطاب لرسول اللهﷺ و هو غير شاكّ و لكن أخرج الكلام مخرج الإفهام. أي: لو كنت ممّن يشكّ فشككت فاسأل. و ثالثها: الخطاب لغير النبيّ. أي: إن كنت أيّها السامع في شكّ ممّا أنزلنا إليك على لسان نبيّنا محمّدﷺ. و المراد بسؤال أهل الكتاب من أسلم منهم كعبدالله بن سلام و كعب الأحبار. أو يكون المراد: اسألهم عن صفة النبيّ المبشّر به في كتبهم ثمّ انظر فيما وافق تلك الصفة. و هذا

١ـ مجمع البيان ٥ / ١٩٩ ـ ٢٠٠.

٢ـ لاتفيد العبارة الملخّصة في هذه الفقرة مراد القائل. فليراجع المصدر.

٣ـ المصدر: «و روي عن الحسن و... أنّهم قالوا: إنّ النبيّ ﷺ لم يشكّ و لم يسأل. و هو المرويّ أيضاً عن أبيعبداللهعليه‌السلام.» فالظاهر أنّ نسبة قول الزجّاج إليهعليه‌السلام خطأ.

القول أقوى. لأنّ هذه السورة مكّيّة و إسلام ابن سلام إنّما كان بالمدينة. و قيل: المراد بالشكّ الضيق و الأذى من قومه. أي: اسأل أهل الكتاب كيف صبر الأنبياء على أذى قومهم، فاصبر أنت [على] هذا كما صبروا. «لقد جاءك الحقّ من ربّك»؛ أي: القرآن و الإسلام.[١]

«في شكّ». عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لمّا أسري برسول الله صلى الله عليه وآله إلى السماء، أوحى الله إليه في عليّ عليه السلام ما أوحى من شرفه و من عظمته عند الله. فلمّا ورد إلى البيت المعمور و جميع النبيّين صلّوا خلفه، عرض في نفس رسول الله من عظم ما أوحي إليه في عليّ عليه السلام. فأنزل الله: «فإن كنت» ـ الآية. «من قبلك». يعني الأنبياء. فقد أنزلنا إليهم في كتبهم من فضله ما أنزلنا إليك في كتابك. «لقد جاءك» ـ الآية. فو الله ما شكّ و ما سأل.[٢]

«من الممترين» بالتزلزل عمّا أنت عليه من الجزم و اليقين.[٣]

[٩٥] «وَ لَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ».

«و لاتكوننّ من الذين كذّبوا بآيات الله». هذا أيضاً من باب التهييج و التثبيت و قطع الأطماع عنه؛ كقوله: «فلاتكوننّ ظهيراً للكافرين».[٤][٥]

[٩٦] «إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ».

«إنّ الذين حقّت»؛ أي: ثبت عليهم قول الله الذي كتبه في اللّوح و أخبر به الملائكة أنّهم يموتون كفّاراً، فلايكون غيره. و تلك كتابة معلوم لا كتابة مقدّر و مراد. تعالى الله عن ذلك.[٦]

[٩٧] «وَ لَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ».

١ـ مجمع البيان ٥ / ٢٠١ ـ ٢٠٢.
٢ـ تفسير القمّيّ ١ / ٣١٧.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٤٦.
٤ـ القصص (٢٨) / ٨٦.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٤٦.
٦ـ الكشّاف ٢ / ٣٧١.

«كلّ آية»؛ أي: كلّ معجزة و دلالة ممّا يقترحون.[١]

[٩٨] «فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ مَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ».

«فلولا كانت قرية» واحدة من القرى التي أهلكناها تابت عن الكفر إلى الإيمان قبل المعاينة و لم تؤخّر كما أخّر فرعون. «فنفعها إيمانها» لوقوعه في وقت الاختيار. «إلّا قوم يونس». استثناء منقطع بمعنى: و لكن قوم يونس لمّا آمنوا. و يجوز أن يكون متّصلاً و الجملة في معنى النفي؛ كأنّه قيل: ما آمنت قرية من القرى الهالكة إلّا قوم يونس. روي: انّ يونس بعث إلى نينوى من أرض الموصل فكذّبوه، فذهب عنهم مغاضباً. فلمّا فقدوه، خافوا نزول العذاب، فلبسوا المسوح و عجّوا أربعين ليلة. و قيل: قال لهم يونس: إنّ أجلكم أربعون ليلة. فقالوا: إن رأينا أسباب الهلاك آمنّا بك. فلمّا مضت خمس و ثلاثون، أغامت السماء غيماً أسود هائلاً يدخن دخاناً شديداً ثمّ يهبط حتّى يغشى مدينتهم و يسوّد سطوحهم. فلبسوا المسوح و برزوا إلى الصعيد بأنفسهم و نسائهم و صبيانهم و دوابّهم و فرّقوا بين النساء و الصبيان و بين الدوابّ و الأولاد فحنّ بعضها إلى بعض و علت الأصوات و العجيج و أظهروا الإيمان و التوبة، فرحمهم و كشف عنهم. و كان يوم عاشوراء يوم الجمعة.[٢]

«فلولا» بمعنى هلّا للتحضيض. «لمّا آمنوا». قال الزجّاج: قوم يونس لم يقع بهم العذاب؛ إنّما رأوا الآية الدالّة على العذاب. فمثلهم مثل العليل الذي يتوب في مرضه و هو يرجو العافية و يخاف الموت. و روي عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان في قوم يونس رجل عابد و رجل عالم. و كان العابد يشير على يونس بالدعاء عليهم، و كان العالم ينهاه و يقول: لا تدع عليهم. فإنّ الله يستجيب لك و لا يحبّ هلاك عباده. فقبل يونس قول العابد فدعا عليهم. فأوحى الله إليه أن يأتيهم العذاب في شهر كذا. فلمّا قرب الوقت، خرج يونس من بينهم مع

١ـ مجمع البيان ٥ / ٢٠٢.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٣٧١ ـ ٣٧٢.

العابد و بقي العالم فيهم. فلمّا كان [اليوم] الذي نزل بهم العذاب، قال لهم العالم: افزعوا إلى الله لعلّه يردّ العذاب عنكم. و اخرجوا إلى المفازة و فرّقوا بين النساء و الأولاد و بين سائر الحيوانات و أولادها. [ففعلوا] فصرف عنهم العذاب.(١)

«و متّعناهم إلى حين». وقت الموت. (ع (ره))

[٩٩ ـ ١٠٠] «وَ لَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَ فَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ * وَ مَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ وَ يَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ».

سأل المأمون أبا الحسن الرضا عليه السلام عن قول الله: «و لو شاء ربّك لآمن من في الأرض كلّهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتّى يكونوا مؤمنين * و ماكان لنفس أن تؤمن إلّا بإذن الله». فقال عليه السلام: إنّ المسلمين قالوا لرسول الله صلّى الله عليه و آله: لو أكرهت ـ يا رسول الله ـ من قدرت عليه من الناس على الإسلام، لكثر عددنا و قوّتنا على عدوّنا. فأنزل الله عليه: «و لو شاء ربّك لآمن من في الأرض» على سبيل الإلجاء و الاضطرار في الدنيا كما يؤمنوا عند المعاينة. و لو فعلت ذلك بهم، لم يستحقّوا ثواباً. و قوله: «إلّا بإذن الله» يعني بأمره لها بالإيمان.(٢)

«و لو شاء ربّك» مشيّة القسر و الإلجاء. «إلّا بإذن الله»؛ أي: بتسهيله؛ و هو منح الألطاف.(٣)

«أفأنت تكره»؛ أي: لاتقدر أنت. (ع)

«إلّا بإذن الله»؛ أي: لايمكن لأحد أن يؤمن إلّا بإطلاق الله له في الإيمان و تمكينه منه و دعائه إليه بما خلق فيه من العقل الموجب لذلك. و قيل: إنّ إذنه هنا أمره. و قيل: إنّ إذنه هاهنا علمه. «و يجعل الرجس»؛ أي: الكفر. أي: يحكم عليهم بالكفر و يذمّهم عليه. و قيل: الرجس السخط و الغضب.(٤)

١ـ مجمع البيان ٥ / ٢٠٢ ـ ٢٠٤.
٢ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ / ١١٠، ح ٣٣.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٣٧٢ ـ ٣٧٣.
٤ـ مجمع البيان ٥ / ٢٠٦ ـ ٢٠٧.

[١٠١] «قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَ النُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ».

«و ماتغني الآيات و النذر». ما نافية أو استفهاميّة. قال أبوعبدالله عليه السلام: لمّا أسري برسول الله صلى الله عليه وآله أتاه جبرئيل بالبراق، فركبها فأتى بيت المقدس، فلقي من لقي من الأنبياء. ثمّ رجع فأصبح يحدّث أصحابه. فقالوا: يا رسول الله، كيف أتيت بيت المقدس اللّيلة؟ فقال: جاءني جبرئيل بالبراق فركبتها. و آية ذلك أنّي مررت بعير أبي‌سفيان على ماء لبني‌فلان و قد أضلّوا جملاً أحمر و هم في طلبه. فقال القوم بعضهم لبعض: إنّما جاءه راكب سريع. و لكنّكم قد أتيتم الشام و عرفتموها، فاسألوه عن أسواقها و أبوابها و تجّارها. فسألوه عن ذلك. و كان إذا سئل عن شيء لايعرفه، شقّ ذلك عليه حتّى يرى ذلك في وجهه. قال: فبينا هو كذلك، إذ أتاه جبرئيل فقال: يا رسول الله، هذه الشام؛ قد رفعت لك. فالتفت رسول الله، فإذا هو بالشام. فقالوا: أين بيت فلان و مكان كذا؟ فأجابهم في كلّ ما سألوه عنه. فلم‌يؤمن منهم إلّا قليل. و هو قول الله: «و ما تغني الآيات و النذر عن قوم لايؤمنون».[١]

«الآيات و النذر». عن أبي عبدالله عليه السلام: الآيات هم الأئمّة. و النذر هم الأنبياء عليهم السلام.[٢]

«ماذا في السموات و الأرض» من الآيات و العبر. «و النذر»؛ أي: الرسل المنذرون. أو: الإنذارات.[٣]

[١٠٢] «فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ».

«أيّام الذين خلوا من قبلهم»: وقائع الله فيهم. كما يقال أيّام العرب لوقائعها.[٤]

«فانتظروا» ما نزل بالأمم من العذاب. أو: فانتظروا هلاكي. «إنّي معكم من المنتظرين»

١ـ مجمع البيان ٥ / ٢٠٨.
٢ـ تفسير القمّيّ ١ / ٣٢٠.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٣٧٣.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٣٧٣.

هلاككم.[١]

[١٠٣] «ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذٰلِكَ حَقّاً عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ».

«ثمّ ننجّي». معطوف على كلام محذوف يدلّ عليه «إلّا مثل أيّام الذين خلوا من قبلهم». كأنّه قيل: نهلك الأمم ثمّ ننجّي رسلنا، على حكاية الأحوال الماضية. «والذين آمنوا»؛ أي: و من آمن معهم. كذلك «ننجي المؤمنين»: مثل ذلك الإنجاء ننجي المؤمنين منكم. و «حقّاً علينا» اعتراض. أي: حقّ ذلك علينا حقّاً.[٢]

«ثمّ ننجّي رسلنا» إذا نزل العذاب على الكافرين.[٣]

«كذلك حقّاً علينا ننجي»؛ أي: كذلك ننجي محمّداً و صحبه حين نهلك المشركين.[٤]

[١٠٤] «قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ وَ لٰكِنْ أَعْبُدُ اللهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ».

«يا أيّها الناس». يعني أهل مكّة. «إن كنتم في شكّ من ديني» و صحّته، فهذا ديني. فاسمعوه و اعرضوه على عقولكم و انظروا فيه بعين الإنصاف لتعلموا أنّه دين لا مدخل فيه للشكّ. و هو أنّي لا أعبد الحجارة التي تعبدونها من دون الله، و لكن أعبد الذي يتوفّاكم. و إنّما وصفه بالتوفّي ليريهم أنّه الحقيق بأن يخاف و يتّقى فيعبد دون ما لا يقدر على شيء. و قيل: معناه: إن كنتم في شكّ من ديني و أنّي هل أثبت عليه أم أوافقكم، فلا تحدّثوا أنفسكم بالمحال و اقطعوا عنّي أطماعكم. كقوله: «قل يا أيّها الكافرون * لا أعبد ما تعبدون».[٥]

«أن أكون»؛ أي: بأن أكون.[٦]

[١٠٥] «وَ أَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً وَ لَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ».

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٤٧.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٣٧٣.
٣ـ مجمع البيان ٥ / ٢٠٩.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٤٧ ـ ٤٤٨.
٥ـ الكشّاف ٢ / ٣٧٣ ـ ٣٧٤.
٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٤٨.

«أقم وجهك»: استقم إليه و لاتلتفت يميناً و شمالاً. و «حنيفاً» حال من الدين أو من الوجه.(١)

«و أن أقم»؛ أي: أمرت بالاستقامة في الدين.(٢)

[١٠٦] «وَ لَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَ لَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِنَ الظَّالِمِينَ».

«فإن فعلت»؛ أي: دعوت من دون الله ما لايضرّك و لاينفعك.(٣)

«فإنّك». جزاء للشرط و جواب لسؤال مقدّر عن تبعة الدعاء.(٤)

[١٠٧] «وَ إِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَ إِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ».

«و إن يمسسك». لعلّه ذكر الإرادة مع الخير و المسّ مع الضرّ، مع تلازم الأمرين، للتنبيه على أنّ الخير مراد بالذات و الضرّ إنّما مسّهم [لا] بالقصد الأوّل. «يصيب به»؛ أي: بالخير. «و هو الغفور الرحيم». أي: فتعرّضوا الرحمة بالطاعة و لاتيأسوا من غفرانه بالمعصية.(٥)

«فلاكاشف له إلّا هو». فهو الحقيق بأن توجّه إليه العبادة.(٦)

[١٠٨] «قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَ مَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَ مَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ».

«قد جاءكم الحقّ». فلم يبق لكم عذر و لا على الله حجّة.(٧)

«قد جاءكم الحقّ». و هو القرآن و دين الإسلام. و قيل: يريد بالحقّ النبيّ صلى الله عليه وآله و

١ـ الكشّاف ٢ / ٣٧٤.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٤٨.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٣٧٤.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٤٨.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٤٨.
٦ـ الكشّاف ٢ / ٣٧٥.
٧ـ الكشّاف ٢ / ٣٧٥.

معجزاته الظاهرة.[١]

«و ما أنا عليكم بوكيل»؛ أي: حفيظ موكول إليّ أمركم و حملكم على ما أريد. إنّما أنا بشير و نذير.[٢]

[١٠٩] «وَ اتَّبِعْ مَا يُوحىٰ إِلَيْكَ وَ اصْبِرْ حَتّٰى يَحْكُمَ اللّٰهُ وَ هُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ».

«و اصبر» على دعوتهم و احتمال أذاهم و إعراضهم «حتّى يحكم الله» لك بالنصر عليهم. روي أنّها لمّا نزلت، جمع رسول الله الأنصار و قال: إنّكم ستجدون بعدي أثرة. فاصبروا حتّى تلقوني.[٣]

١ـ مجمع البيان ٥ / ٢١١.

٢ـ الكشّاف ٢ / ٣٧٥.

٣ـ الكشّاف ٢ / ٣٧٥.

١١.
سورة هود

عن محمّد بن عليّ عليهما السلام: من قرأ سورة هود في كلّ جمعة، بعثه الله يوم القيامة في زمرة النبيّين عليهم السلام و لم يعرف له خطيئة عملها يوم القيامة.(١)

عن ابن عبّاس قال: قال أبوبكر: ما أسرع إليك الشيب يا رسول الله صلى الله عليه وآله. قال: شيّبتني هود و الواقعة و المرسلات و عمّ يتساءلون.(٢)

عنه صلى الله عليه وآله: من قرأها، أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدّق بنوح و بهود و صالح و شعيب و لوط و إبراهيم و موسى عليهم السلام و كان يوم القيامة من السعداء.(٣)

[١] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ».

«الر». مبتدأ. «كتاب». خبره. «أحكمت آياته» بالحجج. [أو منعت] من النسخ. فإنّ آيات السورة ليس فيها منسوخ.(٤)

«أحكمت آيا نه»؛ أي: نظمت آياته نظماً محكماً لايقع فيه خلل كالبناء المحكم المرصّف. و يجوز أن يكون من حُكم ـ بضمّ الكاف ـ إذا صار حكيماً. أي: جعلت حكيمة. كقوله: «آيات الكتاب الحكيم».(٥) و عن قتادة: أحكمت من الباطل. «ثمّ فصّلت» كما تفصّل

١ـ ثواب الأعمال / ١٣٣.

٢ـ الخصال / ١٩٩، ح ١٠.

٣ـ المصباح / ٥٨٣ ـ ٥٨٤.

٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٤٩.

٥ـ يونس (١٠) / ١.

القلائد بالفرائد من دلائل التوحيد و الأحكام و المواعظ. أو: جعلت فصولاً سورة سورة و آية و آية. أو: فرّقت في التنزيل و لم تنزل جملة واحدة. أو: فصّل فيها ما يحتاج إليه العباد؛ أي: بيّن و لخّص. و ثمّ في قوله: «ثمّ فصّلت» ليس معناها التراخي في الوقت، ولكن في الحال. كما تقول: هي محكمة أحسن الإحكام، ثمّ مفصّلة أحسن التفصيل. و «كتاب» خبر مبتدأ محذوف، و «أحكمت» صفة له، و «من لدن» صفة ثانية. و يجوز أن يكون صلة لأحكمت. أي من عنده إحكامها و تفصيلها.[١]

[٢] «أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَ بَشِيرٌ».

«أن لاتعبدوا». مفعول له على معنى: لأن لاتعبدوا. أو تكون أن مفسّرة. لأنّ في تفصيل الآيات معنى القول. كأنّه قيل: قال: لاتعبدوا إلّا الله. أو أمركم أن لا تعبدوا. «منه»؛ أي: من جهته. كقوله: «رسول من الله».[٢] أو هي صلة لنذير. أي: أنذركم منه و من عقابه.[٣]

«أن لاتعبدوا». معناه: أنزل هذا الكتاب ليأمركم ألّاتعبدوا ـ أي لكي لاتعبدوا ـ إلّا الله.[٤]

[٣ ـ ٤] «وَ أَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعاً حَسَناً إِلىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى وَ يُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَ إِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ * إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ وَ هُوَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

«و أن استغفروا». أي: أمركم بالتوحيد و الاستغفار. أي: استغفروا من الشرك. «ثمّ توبوا إليه»؛ أي: أخلصوا له التوبة و استقيموا عليها. «يمتّعكم متاعاً حسناً إلى أجل مسمًّى»: يطوّل منافعكم في الدنيا إلى الموت.[٥]

١ـ الكشّاف ٢ / ٣٧٧.
٢ـ البيّنة (٩٨) / ٢.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٣٧٨.
٤ـ مجمع البيان ٥ / ٢١٤. و فيه: «ليأمركم أن لاتعبدوا إلّا الله و لكي ...» و الظاهر أنّ الصحيح: أو لكي.
٥ـ الكشّاف ٢ / ٣٧٨.

«ثمّ توبوا إليه»: ثمّ توبوا إلى الله بالطاعات. و يجوز أن يكون ثمّ لتفاوت بين الأمرين.

«يوم كبير». قيل: هو يوم الشدائد. فإنّهما ابتلوا بالقحط حتّى أكلوا الجيف.[١]

«استغفروا ربّكم ثمّ توبوا». قيل: معناه: استغفروا ربّكم من ذنوبكم، ثمّ توبوا إليه في المستأنف متى وقعت منكم المعصية. و قيل: إنّ ثمّ هنا بمعنى الواو. لأنّ الاستغفار و التوبة واحد. «و يؤت كلّ ذي فضل فضله». قيل: إنّ الفضل بمعنى التفضّل و الإفضال؛ أي: و يعط كلّ ذي إفضال على غيره بمال أو كلام أو عمل إفضاله. فيكون الهاء في فضله عائداً إلى ذي الفضل. و قيل: إنّ معناه: يعطي كلّ ذي عمل صالح فضله؛ أي: ثوابه على قدر عمله. و الأولى أن يكون الهاء في فضله عائداً إلى اسم الله تعالى. «فإن تولّوا»؛ أي: أعرضوا. و قيل معناه: تتولّوا، فحذف إحدى التاءين. «يوم كبير»؛ أي: كبير شأنه.[٢]

«ذي فضل». عن أبي جعفرعليه السلام: هو عليّعليه السلام. و قوله «عذاب كبير» يعني الدخان و الصيحة.[٣]

«و يؤت كلّ ذي فضل فضله»؛ أي: يعط في الآخرة كلّ من كان له فضل في العمل و زيادة فيه جزاء فضله لايبخس منه. أو: فضله في الثواب. و الدرجات تتفاضل في الجنّة على قدر تفاضل الطاعات. «يوم كبير»: يوم القيامة. وصف بالكبر كما وصف بالعظم و الثقل. و بيّن عذاب اليوم الكبير بأنّ مرجعهم إلى من هو قادر على كلّ شيء، فكان قادراً على أشدّ ما أراد بهم من عذابهم.[٤]

[٥] «أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَ مَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ».

«يثنون صدورهم»؛ أي: يثنونها عن الحقّ و ينحرفون عنه. أو: يعطفونها على الكفر و عداوة النبيّصلى الله عليه و آله. أو: يولّون ظهورهم «ليستخفوا» من الله بسرّهم فلايطلع رسوله و المؤمنين

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٤٩.

٢ـ مجمع البيان ٥ / ٢١٤.

٣ـ تفسير القمّيّ ١ / ٣٢١.

٤ـ الكشّاف ٢ / ٣٧٨.

عليه. قيل: إنّها نزلت في طائفة من المشركين قالوا: إذا أرخينا ستورنا و استغشينا ثيابنا و طوينا صدورنا على عداوة محمّد ﷺ، كيف يعلم؟ «ألا حين يستغشون ثيابهم»؛ أي: حين يأوون إلى فراشهم و يتغطّون بثيابهم، «يعلم ما يسرّون» في قلوبهم «و ما يعلنون» بأفواههم. فكيف يخفى عليه ما عسى يظهرونه؟ «بذات الصدور»: بالأسرار ذات الصدور. أو: بالقلوب و أحوالها.[١]

«ليستخفوا»؛ أي: يريدون ليستخفوا. «ألا حين يستغشون ثيابهم»؛ أي: يريدون الاستخفاء حين يستغشون ثيابهم أيضاً كراهة لاستماع كلام الله. كقول نوح: «جعلوا أصابعهم في آذانهم و استغشوا ثيابهم».[٢] [٣]

قرأ عليّ بن الحسين و الباقر و الصادق عليهم السلام و جماعة: «يثنوني صدورهم» على يَفْعَوْعِلُ من أبنية المبالغة من اثنوني بوزن احلولي. «يثنون». عن أبي جعفر عليه السلام قال: أخبرني جابر بن عبدالله أنّ المشركين إذا مرّوا برسول الله ﷺ غطّى أحدهم رأسه و ظهره هكذا حتّى لايراه رسول الله، فأنزل الله هذه الآية: «ألا إنّهم» ـ الآية. و قيل: إنّهم إذا كانوا عقدوا مجلساً على معاداة النبيّ و السعي في أمره بالفساد، انضمّ بعضهم إلى بعض و ثنى بعضهم صدره إلى بعض يتناجون. «ليستخفوا منه»؛ أي: ليخفوا ذلك من الله. فإنّهم كانوا قد بلغ من شدّة جهلهم بالله أن ظنّوا أنّهم إذا ثنوا صدورهم على سبيل الإخفاء لم يعلم الله أسرارهم.[٤]

«يثنون». عن أبي جعفر عليه السلام: يكتمون ما في صدورهم من بغض عليّ عليه السلام. و كان قوم يظهرون المودّة لعليّ عليه السلام عند النبيّ ﷺ و يسرّون بغضه. فقال: «ألا حين يستغشون». كان إذا حدّث بشيء من فضل عليّ عليه السلام نقضوا ثيابهم ثمّ قاموا.[٥]

[٦] «وَ مَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا وَ يَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَ مُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٥٠.

٢ـ نوح (٧١) / ٧.

٣ـ الكشّاف ٢ / ٣٧٨ ـ ٣٧٩.

٤ـ مجمع البيان ٥ / ٢١٥ ـ ٢١٦.

٥ـ تفسير القمّيّ ١ / ٣٢١.

فِي كِتَابٍ مُبِينٍ».

«و ما من دابّة» ـ الآية. أي: كيف يخفى عليه سرّ هؤلاء و هو يرزقهم؟ [١]

«على الله رزقها». لتكفّله إيّاه تفضّلاً و رحمة. و إنّما أتى بلفظ الوجوب تحقيقاً لوصوله و حملاً على التوكّل فيه. «مستقرّها و مستودعها»: أماكنها في الحياة و الممات. أو: الأصلاب و الأرحام. أو: مساكنها من الأرض حين وجدت بالفعل و مودعها من الموادّ و المقارّ حين كانت بعد بالقوّة. «كلّ»؛ أي: كلّ واحد من الدوابّ و أحوالها مكتوب في اللّوح المحفوظ. و كأنّه أريد بالآية بيان كونه عالماً بالمعلومات كلّها و بما بعدها بيان كونه قادراً على الممكنات بأسرها تقريراً للتوحيد و لما سبق من الوعد و الوعيد. [٢]

«على الله رزقها». [فإن قلت: كيف] أتى بلفظ الوجوب و إنّما هو تفضّل؟ قلت: هو تفضّل إلّا أنّه لمّا ضمن أن يتفضّل به عليهم، رجع التفضّل واجباً. «مستقرّها»: مكانه من الأرض «و مستودعها» كالأصلاب و الأرحام. [٣]

[٧] «وَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَ كَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَـاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَ لَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَـوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ».

«في ستّة أيّام»: مقدار ستّة أيّام. [٤]

«و كان عرشه على الماء». أي ماكان تحته خلق قبل خلق السموات و الأرض و ارتفاعه فوقها إلّا الماء. «ليبلوكم». متعلّق بخلق. أي خلقهنّ لحكمة بالغة و هو أن يجعلها مساكن لعباده و ينعم عليهم و كلّفهم الطاعات و اجتناب المعاصي ليثيبهم و يعاقبهم. و لمّا أشبه ذلك اختبار المختبر قال: «ليبلوكم»؛ أي: ليفعل بكم ما يفعل المبتلي لأحوالكم كيف تعملون. و يجوز تعليق فعل البلوى. لأنّ الاختبار في معنى العلم، لأنّه طريق إليه فهو

١ـ مجمع البيان ٥ / ٢١٩.

٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٥٠.

٣ـ الكشّاف ٢ / ٣٧٩.

٤ـ مجمع البيان ٥ / ٢١٨.

ملابس له. «إنّكم مبعوثون»؛ أي: توقّعوا بعثكم و لاتنكروه.(١)

«و كان عرشه على الماء». عن أبي عبدالله عليه السلام أنّ الله حمّل عرشه ـ أي: علمه و دينه ـ الماء قبل أن [تكون سماء أو أرض أو ... فلمّا أراد أن] يخلق الخلق نثرهم بين يديه فقال: من ربّكم؟ فكان أوّل من نطق رسول الله و أميرالمؤمنين و الأئمّة عليهم السلام فقالوا: أنت ربّنا. فحمّلهم العلم و الدين ـ الحديث.(٢)

«خلق السموات و الأرض»: خلقهما و ما فيهما. أو: ما في جهتي العلوّ و السفل. «إن هذا إلّا سحر مبين»؛ أي: ما هذا البعث و القول به، أو القرآن المتضمّن لذكره إلّا كالسحر في الخديعة أو البطلان. و قرأ حمزة و الكسائيّ: «إلّا ساحر» على أنّ الإشارة إلى القائل.(٣)

[٨] «وَ لَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلىٰ أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفاً عَنْهُمْ وَ حَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ».

«إلى أمّة»: إلى وقت معلوم. و الأمّة: الحين. «إلى أمّة معدودة». قيل: هم أصحاب المهديّ في آخر الزمان ثلاثمائة و بضعة عشر رجلاً كعدّة أهل بدر يجمعون في ساعة واحدة. و هو المرويّ عن أبي جعفر عليه السلام.(٤)

«العذاب»: عذاب الآخرة. أو: عذاب يوم بدر. «أمّة»؛ أي: جماعة من الأوقات. «ما يحبسه»: ما يمنعه من النزول؟ استعجالاً، على وجه التكذيب و الاستهزاء. «يوم يأتيهم». نصب بخبر ليس. و يستدلّ به من يجوّز تقديم خبر ليس على ليس. و ذلك أنّه إذا جاز تقديم معمول خبرها عليها، كان ذلك دليلاً على جواز تقديم خبرها، [إذ] المعمول تابع للعامل فلايقع إلّا حيث يقع العامل. «و حاق بهم»؛ أي: أحاط بهم العذاب الذي كانوا به يستعجلون. و إنّما وضع «يستهزئون» موضع يستعجلون، لأنّ استعجالهم كانت على جهة

١ـ الكشّاف ٢ / ٣٨٠.

٢ـ التوحيد / ٣١٩ ـ ٣٢٠، ح ١.

٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٥٠.

٤ـ مجمع البيان ٥ / ٢١٨.

الاستهزاء.[١]

[٩] «وَ لَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَؤُسٌ كَفُورٌ».

«الإنسان». اللّام للجنس. «رحمة»؛ أي: نعمة من صحّة و أمن و جدة. «نزعناها»؛ أي: سلبنا تلك النعمة. «ليؤوس»: شديد اليأس من أن تعود إليه تلك النعمة قاطع رجاءه من سعة فضل الله من غير صبر و لا تسليم لقضاء الله. «كفور»: عظيم الكفران لما سلف من التقلّب في نعمة الله.[٢]

«إنّه ليؤوس كفور». معنى الآية مصروف إلى الكفّار الذين هذه صفتهم لجهلهم بالصانع الحكيم.[٣]

[١٠ ـ ١١] «وَ لَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ * إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ كَبِيرٌ».

«ذهب السيّئات عنّي»؛ أي: المعايب التي ساءتني. «لفرح»: أشر بطر. «فخور» على الناس لما أنعم الله عليه و قد شغله الفرح و الفخر عن الشكر. «إلّا الذين آمنوا». فإنّ عادتهم إن نالتهم رحمة [أن] يشكروا، و إن زالت عنهم نعمة أن يصبروا.[٤]

«و لئن أذقناه نعماء» ـ الآية. في لفظ الإذاقة و المسّ تنبيه على أنّ ما يجده الإنسان في الدنيا من النعم و المحن كالأنموذج لما يجده في الآخرة و أنّه يقع في الكفران و البطر بأدنى شيء. لأنّ الذوق إدراك الطعم، و المسّ مبدأ الوصول. «إلّا الذين صبروا». الاستثناء من الإنسان، لأنّه محلًّى بلام الاستغراق. و من حمله على الكافر لسبق ذكرهم، جعل الاستثناء منقطعاً.[٥]

١ـ الكشّاف ٢ / ٣٨١.

٢ـ الكشّاف ٢ / ٣٨١.

٣ـ مجمع البيان ٥ / ٢٢٠.

٤ـ الكشّاف ٢ / ٣٨١ ـ ٣٨٢.

٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٥١.

[١٢] «فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحىٰ إِلَيْكَ وَ ضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْ لَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَ اللهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ».

«فلعلّك تارك». كانوا يقترحون عليه آيات تعنّتاً لا استرشاداً. لأنّهم لو كانوا مسترشدين، كانت آية واحدة ممّا جاء به كافية في إرشادهم. و من اقتراحاتهم: «لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك». و كانوا يتهاونون بالقرآن، فكان يضيق صدر رسول الله أن يلقي إليهم ما [لا] يقبلونه و يضحكون منه. فهيّجه الله لأداء الرسالة و طرح المبالاة باستهزائهم و اقتراحهم بقوله: «فلعلّك تارك»؛ أي: لعلّك تترك أن تبلّغه إليهم مخافة ردّهم و تهاونهم. «و ضائق به صدرك» أن تتلوه عليهم مخافة أن يقولوا: «لولا أنزل»؛ أي: هلّا أنزل «عليه كنز»؛ أي: ما اقترحناه من الكنوز و الملائكة و لِمَ أنزل عليه ما لانقترحه؟ «إنّما أنت نذير»؛ أي: ليس عليك إلّا أن تنذرهم بما أوحي إليك. و لا عليك ردّوا أو تهاونوا. و الله وكيل و حافظ لما يقولون. فكل أمرك إليه بتبليغ الوحي غير مبال باستهزائهم. و إنّما عدل عن ضيّق إلى ضائق ليدلّ على أنّه ضيق عارض غير ثابت. لأنّه ﷺ كان أفسح الناس صدراً. و مثله قولك: [زيد] سيّد و جواد، تريد ثبوت السيادة و الجود. فإن أردت الحدوث قلت: سائد و جائد.(١)

عن زيد بن أرقم: انّ جبرئيل نزل على رسول الله ﷺ بولاية عليّ بن أبي طالب ﷺ عشيّة عرفة، فضاق بذلك صدر رسول الله مخافة تكذيب أهل الإفك و النفاق. فقال له جبرئيل: أجزعت من أمر الله؟ فقال: كلّا يا جبرئيل، ولكن قد علم ربّي ما لقيت من قريش إذ لم يقرّوا بالرسالة حتّى أمرني بجهادهم و أنزل عليّ جنوداً من السماء فنصروني. فكيف يقرّون لعليّ من بعدي؟ فانصرف عنه جبرئيل فنزل عليه: «فلعلّك تارك بعض ما يوحى» ـ الآية.(٢)

و عن أبي عبدالله ﷺ قال: دعا رسول الله لأمير المؤمنين ﷺ في آخر صلاته رافعاً صوته

١ـ الكشّاف ٢ / ٣٨٢.
٢ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ١٤١، ح ١٠.

يسمع الناس يقول: اللّهمّ هب لعليّ المحبّة في صدور المؤمنين و الهيبة و العظمة في صدور المنافقين. فأنزل الله: «إنّ الذين آمنوا و عملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودّاً * فإنّما يسّرناه بلسانك لتبشّر به المتّقين و تنذر به قوماً لدّاً»[١] بني أميّة. فقال رمع: و الله لصاع تمر في شنّ بال أحبّ إليّ ممّا سأل محمّد ربّه! أفلا سأله ملكاً يعضده أو كنزاً ينفعه؟ فأنزل الله فيه عشر آيات من هود أوّلها: «فلعلّك تارك» ـ إلى آخره.[٢]

«فلعلّك». روي عن ابن عبّاس أنّ رؤساء قريش قالوا: يا محمّد، إن كنت رسولاً فحوّل لنا جبال مكّة ذهباً، أو ائتنا بملائكة يشهدون لك بالنبوّة. فأنزل الله: «فلعلّك تارك» ـ الآية. و روى العيّاشيّ بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه و آله قال لعليّ عليه السلام: إنّي سألت ربّي أن يؤاخي بيني و بينك، ففعل. و سألت ربّي أن يجعلك وصيّي، ففعل. فقال بعض القوم: و الله لصاع تمر في شنّ بال أحبّ إلينا ممّا سأل محمّد ربّه! فهلّا سأله ملكاً يعضده أو كنزاً يستعين به على فاقته؟ فنزلت الآية. «بعض ما يوحى»: بعض القرآن؛ و هو ما فيه سبّ آلهتهم فلاتبلّغهم إيّاه خوفاً منهم و يضيق صدرك ممّا يقولونه. و قوله: «فلعلّك» المراد به النهي عن ترك أداء الرسالة.[٣]

[١٣] «أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَ ادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ».

«أم». منقطعة. «افتراه». الضمير لما يوحى إليك. «بعشر سور». تحدّاهم أوّلاً بعشر سور [ثمّ بسورة واحدة] كأنّه قال: فإذا عجزتم، فسورة واحدة. «مثله»: بمعنى أمثاله، ذهاباً إلى مماثلة كلّ واحدة منها له. «مفتريات». صفة لعشر سور. لمّا قالوا: افتريت القرآن من عند نفسك و ليس من عند الله، أرخى معهم العنان و قال: هبوا أنّي اختلقته من عند نفسي، فأنتم أيضاً ائتوا بكلام مثله مختلق من عند أنفسكم، فأنتم عرب فصحاء مثلي لاتعجزون عن مثل

١ـ مريم (١٩) / ٩٦ ـ ٩٧.
٢ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ١٤١ ـ ١٤٢، ح ١١.
٣ـ مجمع البيان ٥ / ٢٢١.

ما أقدر عليه من الكلام.[١]

«افتراء». يعني ولاية عليّ عليه السلام.[٢]

[١٤] «فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللهِ وَ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ».

فإن قلت: ما وجه جمع الخطاب بعد إفراده و هو قوله: «لكم فاعلموا» بعد قوله «قل»؟ قلت: معناه: فإن لم يستجيبوا لك و للمؤمنين. لأنّهم كانوا يتحدّونهم مثله. و يجوز أن يكون الخطاب للمشركين و ضمير قوله: «لم يستجيبوا» لمن استطعتم. يعني فإن لم يستجب لكم من تدعون من دون الله إلى المظاهرة على المعارضة لعلمهم بالعجز عنه، «فاعلموا [أنّما أنزل بعلم الله »؛ أي: أنزل ملتبساً بما لا يعلمه إلّا الله من نظم معجز للخلق و إخبار بغيوب لا سبيل لهم إليه «و» اعلموا] عند ذلك «أن لا إله إلّا الله». و من جعل الخطاب للمسلمين، فمعناه: فاثبتوا على العلم الذي أنتم عليه و ازدادوا يقيناً و ثبات قدم على أنّه منزل من عند الله و على التوحيد. «فهل أنتم مسلمون»؛ أي: مخلصون.[٣]

«فإن لم يستجيبوا». عن أبي عبدالله عليه السلام: أي في عليّ عليه السلام. «فهل أنتم مسلمون». عن أبي عبدالله عليه السلام: أي لعليّ عليه السلام و ولايته.[٤]

«أنزل بعلم الله»؛ أي: [إنّ الله] عالم بأنّه حقّ منزل من عنده.[٥]

[١٥] «مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَ زِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَ هُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ».

«الحياة الدنيا و زينتها». عن أبي عبدالله عليه السلام: «الحياة الدنيا و زينتها» فلان و فلان.[٦]

١ـ الكشّاف ٢ / ٣٨٣.
٢ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ١٤٢.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٣٨٣.
٤ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ١٤٢.
٥ـ مجمع البيان ٥ / ٢٣٣.
٦ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ١٤٢.

«نوفّ إليهم» أجور أعمالهم وافية من غير بخس في الدنيا و هو ما يرزقون فيها من الصحّة و الرزق. و قيل: هم أهل الرئاء. يقال للقرّاء منهم: أردت أن يقال فلان قارئ، فقد قيل ذلك. و لمن وصل الرحم و تصدّق: فعلت حتّى يقال، فقيل. و لمن قاتل فقتل: قاتلت حتّى يقال فلان جريء، فقيل. و عن أنس: هم اليهود و النصارى. إن أعطوا سائلاً أو وصلوا رحماً، عجّل لهم جزاء ذلك بتوسعة في رزق و صحّة في البدن. و قيل: هم الذين جاهدوا مع رسول الله ﷺ من المنافقين فأسهم لهم في الغنائم.(١)

[١٦] «أُولٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَ حَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَ بَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ».

«و حبط». أي في الآخرة صنيعهم. يعني لم يكن لهم ثواب لأنّهم لم يريدوا به الآخرة. «و باطل». يعني كان عملهم في نفسه باطل، لأنّه لم يعمل لوجه صحيح.(٢)

[١٧] «أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَ يَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَ مِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَاماً وَ رَحْمَةً أُولٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَ مَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ».

«أفمن كان على بيّنة»؛ أي: برهان يدلّه على الحقّ و الصواب فيما يأتيه و يذره. و الهمزة لإنكار أن يعقب من هذا شأنه هؤلاء المقصرين هممهم على الدنيا و أن يقارب بينهم في المنزلة، و هو الذي أغنى عن ذكر الخبر. أي: أفمن كان على بيّنة من ربّه كمن كان يريد الحياة الدنيا؟ و هو حكم يعمّ كلّ مؤمن مخلص. و قيل: المراد به مؤمنو أهل الكتاب. «و يتلوه»؛ أي: يتبع ذلك البرهان الذي هو دليل العقل «شاهد منه»؛ أي: شاهد من الله يشهد بصحّته و هو القرآن و من قبل القرآن «كتاب موسى»؛ يعني: التوراة. فإنّها أيضاً تتلوه في التصديق. و قيل: البيّنة القرآن. و يتلوه، من التلاوة. و الشاهد جبرئيل، أو لسان الرسول على أنّ الضمير

١ـ الكشّاف ٢ / ٣٨٤.

٢ـ الكشّاف ٢ / ٣٨٤.

له. «و من قبله كتاب موسى» جملة مبتدأة. «إماماً»: كتاباً مؤتمّاً به في الدين. «و رحمة» على المنزل عليهم. «أولئك». إشارة إلى من كان على بينّة. «يؤمنون به»: بالقرآن. و «من الأحزاب»؛ أي: من أهل مكّة و من تحزّب معهم على رسول الله. «فالنار موعده» يردها لا محالة. «في مرية منه»: من الموعد أو القرآن. «لايؤمنون» لقلّة نظرهم و اختلال فكرهم.(١)

«أفمن كان». عن أبي عبدالله عليه السلام: «أفمن كان على بيّنة من ربّه» رسول الله صلى الله عليه و آله. «و يتلوه شاهد منه» أميرالمؤمنين عليه السلام. «و من قبله كتاب موسى إماماً و رحمة». قال: كان ولاية عليّ عليه السلام. «فلاتك في مرية منه» في ولاية عليّ [في كتاب موسى]. «إنّه الحقّ من ربّك». «و يقول الأشهاد». و هم الأئمّة عليهم السلام.(٢)

عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّما أنزلت: «أفمن كان على بيّنة من ربّه» يعني رسول الله «و يتلوه شاهد منه إماماً و رحمة و من قبله كتاب موسى أولئك يؤمنون به». فقدّموا و أخّروا في التأليف.(٣)

قيل: الشاهد محمّد. و هو المرويّ عن الحسن بن عليّ عليهما السلام.(٤)

[١٨] «وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرىٰ عَلَى اللهِ كَذِباً أُولٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلىٰ رَبِّهِمْ وَ يَقُولُ الْأَشْهَادُ هٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ».

«ممّن افترى»؛ كأن أسند إليه ما لم ينزله أو نفى عنه ما أنزله. «يعرضون». أي في الموقف بأن يحبسوا و تعرض أعمالهم. «الأشهاد» من الملائكة و النبيّين، أو من جوارحهم. و هو جمع شاهد كأصحاب.(٥)

«ممّن افترى». عن أبي عبدالله عليه السلام: هم أربعة ملوك من قريش يتبع بعضهم بعضاً.(٦)

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٥٣.
٢ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ١٤٢.
٣ـ تفسير القمّيّ ١ / ٣٢٤.
٤ـ مجمع البيان ٥ / ٢٢٦. و فيه: عن الحسين بن عليّ عليهما السلام.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٥٣.
٦ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ١٤٣، ح ١٤.

[١٩] «الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَ يَبْغُونَهَا عِوَجاً وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ».

«الذين يصدّون». صفة للظالمين.(١)

«يصدّون». يعني يصدّون عن طريق الله و هي الإمامة. «و يبغونها عوجاً». يعني حرّفوها إلى غيره. و قوله: «ماكانوا يستطيعون السمع» قال: ماقدروا أن يسمعوا بذكر أميرالمؤمنين عليه السلام. «ماكانوا يفترون». يعني يوم القيامة بطل الذي دعوه غير أميرالمؤمنين عليه السلام.(٢)

«و يبغونها عوجاً». قيل: إنّ بغيهم العوج هي زيادتهم و نقصانهم في الكتاب ليتغيّر الأدلّة و لإخفاء صفة النبيّ صلى الله عليه و آله كما كان يفعله اليهود. و قيل: هي إيرادهم الشبه و كتمانهم المراد و تحريفهم التأويل.(٣)

«عن سبيل الله»؛ أي: عن دينه. «و يبغونها عوجاً»: يصفونها بالانحراف عن الحقّ و الصواب و يبغون أهلها أن يعوجّوا بالردّة. «و هم»؛ أي: و الحال أنّهم كافرون بالآخرة. و تكرير «هم» لتأكيد كفرهم و اختصاصهم به.(٤)

[٢٠] «أُولٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَ مَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَ مَا كَانُوا يُبْصِرُونَ».

«يضاعف لهم العذاب». يعني أنّه لايقتصر بهم على عذاب الكفر بل يعاقبون عليه و على سائر المعاصي؛ كما قال في موضع آخر. «زدناهم عذاباً فوق العذاب بما كانوا يفسدون».(٥) أو أنّه يضاعف العذاب على رؤسائهم لكفرهم أنفسهم و لدعائهم الأتباع إليه و هو عذاب الضلال و عذاب الصدّ عن الدين. «ماكانوا». علّة للمضاعفة. أي: بما كانوا؛ يعني بسبب أنّهم كانوا يستطيعون السمع فلايسمعون و الإبصار فلايبصرون عناداً و ذهاباً

١ـ مجمع البيان ٥ / ٢٢٧.
٢ـ تفسير القمّيّ ١ / ٣٢٥.
٣ـ مجمع البيان ٥ / ٢٢٨.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٥٣.
٥ـ النحل (١٦) / ٨٨.

عن الحقّ. فحذف الباء. و قيل: إنّ ما ليست للنفي بل تجري مجرى قولهم: لأواصلنّك ما لاح نجم. و المعنى أنّهم معذّبون ما داموا أحياء.(١)

«لم يكونوا»؛ أي: ما كانوا معجزين الله في الدنيا أن يعاقبهم. «أولياء» يمنعونهم من العقاب، ولكنّه أخّر عقابهم إلى هذا اليوم ليكون أشدّ و أدوم. «يضاعف». استئناف. و قرأ ابن‌كثير و ابن‌عامر: «يضعّف» بالتشديد. «ما كانوا يستطيعون السمع» لتصامّهم عن الحقّ و بغضهم له. «و ما كانوا يبصرون» لتعاميهم عن آيات الله. و كأنّه العلّة المضاعفة للعذاب. و قيل: هو ـ أي «ما كانوا يستطيعون» ـ بيان ما نفاه من ولاية الآلهة بقوله: «و ما كان لهم من دون الله من أولياء». فإنّ ما لا يسمع و لا يبصر لا يصلح للولاية. و قوله: «يضاعف لهم العذاب» اعتراض.(٢)

[٢١] «أُولٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ».

«خسروا أنفسهم» باشتراء عبادة الآلهة بعبادة الله. «ما كانوا يفترون» من الآلهة و شفاعتها. أو: خسروا بما بدّلوا و ضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة و الندامة.(٣)

[٢٢] «لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ».

«لا جرم». قال الزجّاج: لا نفي لما ظنّوا أنّه ينفعهم. كأنّ المعنى لا ينفعهم ذلك جرم «أنّهم في الآخرة هم الأخسرون»؛ أي: كسب ذلك الفعل لهم الخسران. و قال غيره: معناه: لابدّ و لا محالة. و قيل: معناه: حقّاً. و يستعمل في كلّ أمر لا يرتاب فيه.(٤)

«هم الأخسرون»: لا أحد أبين و لا أكثر خسراناً منهم.(٥)

١ـ مجمع البيان ٥ / ٢٢٨ ـ ٢٢٩.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٥٣ ـ ٤٥٤.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٥٤.
٤ـ مجمع البيان ٥ / ٢٢٩.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٥٤.

[٢٣] «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَ أَخْبَتُوا إِلىٰ رَبِّهِمْ أُولٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ».

«و أخبتوا إلى ربّهم» ؛ أي: اطمأنّوا إليه و خشعوا إليه و خضعوا له. من الخبت و هو الأرض المطمئنّة.[١]

[٢٤] «مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمىٰ وَ الْأَصَمِّ وَ الْبَصِيرِ وَ السَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً أَفَلَا تَذَكَّرُونَ».

«الفريقين»: الكافرين و المؤمنين. «كالأعمى». شبّه الكافر بالأعمى، لتعاميه عن آيات الله، و بالأصمّ، لتصامّه عن استماع كلام الله و تأبّيه عن تدبّر معانيه. و شبّه المؤمن بالسميع و البصير، لأنّ أمره بالضدّ. فيكون كلّ منهما مشبّهاً باثنين باعتبار الوصفين. «و الأصمّ». لأنّ الكافر لمّا لم ينتفع بحواسّه، فهو كفاقدها.[٢] «يستويان». أي الفريقان. «مثلاً»؛ أي: تمثيلاً أو صفة و حالاً. «أفلاتذكّرون» بضرب الأمثال و التأمّل فيها؟[٣]

[٢٥ ـ ٢٦] «وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ * أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ».

«أنّي لكم»؛ أي: بأنّي لكم. و قرأ نافع و عاصم و حمزة و ابن‌عامر بالكسر، أي على إرادة القول. «مبين»: أبيّن لكم موجبات العذاب. «ألّاتعبدوا». بدل من أنّي لكم، أو مفعول مبين. و يجوز أن يكون أن مفسّرة متعلّقة بأرسلنا أو بنذير.[٤]

«نوحاً». اسمه عبدالغفّار أو عبد الجبّار.

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٥٤.

٢ـ هذه العبارة لاتوجد في المصدر. و قد ورد ما بمضمونه في المجمع ٥ / ٢٣٠.

٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٥٤. ٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٥٤.

ورد في الخبر أنّ اسم نوح عبدالغفّار و أنّما سمّي نوحاً لأنّه كان ينوح على نفسه.(١)
«يوم أليم». وصف اليوم بأليم من الإسناد المجازيّ لوقوع الألم فيه.(٢)

[٢٧] «فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَراً مِثْلَنَا وَ مَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَ مَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ».

«الملأ»؛ أي: الأشراف. إمّا لأنّهم ملئوا بالرأي و الحلم أو لأنّهم يملؤون العيون هيبة و وقاراً. (ع (ره))

«إلّا بشراً مثلنا» لا مزيّة لك علينا تخصّك بالنبوّة و وجوب الطاعة. «أراذلنا»: أخسّاؤنا. جمع أرذل؛ فإنّه بالغلبة صار مثل الاسم؛ كالأكبر. أو أرذل جمع رذل. «بادي الرأى»: ظاهر الرأي من غير تعمّق. من البدو. أو: أوّل الرأي، من البدء و الياء مبدّلة من الهمزة لانكسار ما قبلها. و انتصابه بالظرف على حذف المضاف. أي: وقت حدوث بادي الرأى. و العامل فيه اتّبعك. و إنّما استرذلوهم لذلك أو لفقرهم. فإنّهم لمّا لم يعلموا إلّا ظاهراً من الحياة الدنيا، كان الأحظّ بها أشرف عندهم و المحروم منها أرذل. «لكم»؛ أي: لك و لمتّبعيك. «من فضل» يؤهّلكم للنبوّة و استحقاق المتابعة. «كاذبين». أنت في دعوة النبوّة و هم في دعوى العلم بصدقك. فغلب المخاطب على الغائبين.(٣)

«بادي الرأي». أبوعمرو: «بادئ» بالهمزة. و الباقون: «بادي» بالياء.(٤)

[٢٨] «قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَ آتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَ أَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ».

«أرأيتم» ـ الآية. جواب عن قولهم: «بل نظنّكم كاذبين». فكأنّه قال: إن تظنّوني كاذباً، فما تقولون لو كنت على خلافه و على حجّة من ربّي واضحة؟ ألا تصدّقونني؟ و قيل: بل هو

١ـ تفسير القمّيّ ١ / ٣٢٨.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٣٨٨.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٥٤.
٤ـ مجمع البيان ٥ / ٢٣١.

جواب عن قولهم: «ما نراك إلّا بشراً مثلنا». أي: و إن كنت بشراً، فما تقولون إذا أتيتكم بحجّة دالّة على صدقي؟ ألاتصدّقونني؟ «فعمّيت». أهل الكوفة غير أبي‌بكر بضمّ العين و تشديد الميم. و الباقون بفتح العين مخفّفاً.(١)

«أرأيتم»: أخبروني. «بيّنة»: حجّة شاهدة بصحّة دعواي. «رحمة»؛ أي: النبوّة. «فعَميت» ـ بالتخفيف ـ أي: خفيت عليكم فلم‌تهدكم. و توحيد الضمير لأنّ البيّنة في نفسها هي الرحمة، أو لأنّ خفاءها يوجب خفاء النبوّة، أو على تقدير: فعميت بعد البيّنة، و حذفها للاختصار. و «عمّيت» ـ بالتشديد ـ أي: أخفيت. «أنلزمكموها»؛ أي: أنكرهكم على الاهتداء بها و أنتم كارهون لها لاتختارونها و لاتتأمّلون فيها؟ و حيث اجتمع ضميران و ليس أحدهما مرفوعاً و قدّم الأعرف منهما، جاز في الثاني الفصل و الوصل.(٢)

[٢٩] «وَ يَا قَوْمِ لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجرِيَ إِلَّا عَلَى اللهِ وَ مَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَ لٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ».

«و يا قوم لاأسألكم عليه»؛ أي: على التبليغ. و هو و إن لم‌يذكر فمعلوم ممّا ذكر. «مالاً»؛ أي: جعلاً. «على الله». [فإنّه المأمول منه. «و ما أنا بطارد».] جواب لهم حين سألوا طردهم. «ملاقوا ربّهم». فيخاصمون طاردهم عنده. أو: إنّهم يلاقونه و يفوزون بقربه. فكيف أطردهم؟ «تجهلون» لقاء ربّكم، أو بأقدارهم، أو في التماس طردهم، أو تتسفّهون عليهم بأن تدعوهم أراذلنا.(٣)

«لاأسألكم عليه مالاً» فتمتنعون عن إجابتي خوفاً من أخذ المال.(٤)

«بطارد». كانوا يسألونه أن يطرد الفقراء ليؤمنوا به، أنفة من أن يكونوا معهم على سواء.(٥)

١ـ مجمع البيان ٥ / ٢٣٥ و ٢٣١.

٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٥٥.

٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٥٥.

٤ـ مجمع البيان ٥ / ٢٣٦.

٥ـ الكشّاف ٢ / ٣٩٠.

عن الرضا عليه السلام: قول الله: «قل لاأسألكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربى».[١] و هذه خصوصيّة للنبيّ صلى الله عليه وآله إلى يوم القيامة و خصوصيّة للآل دون غيرهم. و ذلك أنّ الله حكى [في] ذكر نوح عليه السلام في كتابه: «يا قوم لاأسألكم عليه مالاً». و حكى عن هود: «لاأسألكم عليه أجراً إن إجري إلّا على الذي فطرني».[٢] و قال عزّ و جلّ لنبيّه صلى الله عليه وآله: «قل» يا محمّد: «لاأسألكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربى».[٣]

[٣٠] «وَ يَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَ فَلَا تَذَكَّرُونَ».

ليست النصرة المذكورة في الآية من الشفاعة في شيء. لأنّ النصرة هي المنع على وجه المغالبة و القهر، و الشفاعة هي المسألة على وجه الخضوع. فلا دلالة على نفي الشفاعة للمذنبين على ما قاله بعضهم.[٤]

«من الله» بدفع انتقامه. «إن طردتهم» و هم بتلك الصفة و المثابة. «أفلاتذكّرون» لتعرفوا أنّ التماس طردهم و توقيف الايمان عليه ليس بصواب.[٥]

[٣١] «وَ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ وَ لَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَ لَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَ لَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللهُ خَيْراً اللهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ».

«و لاأقول لكم عندي خزائن الله»؛ أي: لاأرفع نفسي فوق قدرها فأدّعي أنّ عندي مقدورات الله فأفعل ما أشاء و أعطي ما أشاء و أمنع ما أشاء. و هذا جواب لقولهم: «مانراك إلّا بشراً مثلنا» أو قولهم: «مانرى لكم علينا من فضل». «لن يؤتيهم الله»؛ أي: لايعطيهم الله في المستقبل خيراً على أعمالهم و لايثيبهم عليها، بل أعطاهم الله كلّ خير في الدنيا من

١ـ الشورى (٤٢) / ٢٣.
٢ـ هود (١١) / ٥١.
٣ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ / ١٨١ ـ ١٨٤.
٤ـ مجمع البيان ٥ / ٢٣٦ ـ ٢٣٧.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٥٥.

التوفيق و يعطيهم كلّ خير في الآخرة من الثواب. و الله أعلم بما في نفوسهم من الإخلاص و غيره. «لمن الظالمين» إن طردتهم.(١)

«خزائن الله»؛ أي: لاأقول عندي خزائن الله فأدّعي فضلاً عليكم في الغنى حتّى تجحدوا فضلي بقولكم: [«و ما نرى لكم علينا من فضل»].(٢)

«خزائن الله»؛ أي: خزائن أرزاقه و أمواله، حتّى جحدتم فضلي. «و لاأعلم الغيب». عطف على «عندي خزائن الله». أي: لا أقول أنا أعلم الغيب، حتّى تكذّبوني استبعاداً، أو حتّى أعلم أنّ هؤلاء اتّبعوني بادي الرأي من غير بصيرة و عقد قلب. و على الثاني يجوز عطفه على أقول. «و لاأقول إنّي ملك» حتّى تقولوا: ما أنت إلّا بشر مثلنا. «تزدري»: و لاأقول في شأن من استرذلتموهم لفقرهم: «لن يؤتيهم الله خيراً». فإنّ ما أعدّ الله لهم في الآخرة خير ممّا آتاكم في الدنيا. «لمن الظالمين» إن قلت شيئاً من ذلك. و الازدراء افتعال من زرى عليه، إذا عابه، قلبت تاؤه دالاً. و إسناده إلى الأعين للمبالغة و التنبيه على أنّهم استرذلوهم بادي الرؤية من غير رويّة و بما عاينوا من رثاثة حالهم و قلّة منالهم دون تأمّل في معانيهم و كمالاتهم.(٣)

[٣٢] «قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ».

عليّ بن محمّد العسكريّ عليه السلام: عاش نوح ألفين و خمسمائة سنة.(٤)

«قد جادلتنا»: خاصمتنا. «فأكثرت جدالنا»: فأطلته و أتيت بأنواعه. «بما تعدنا» من العذاب. «من الصادقين» في الدعوى و الوعيد. فإنّ مناظرتك لاتؤثّر فينا.(٥)

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٥٥.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٣٩٠.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٥٥.
٤ـ علل الشرائع ١ / ٤٥.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٥٥.

[٣٣] «قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللهُ إِنْ شَاءَ وَ مَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ».

«إن شاء» عاجلاً أو آجلاً. «بمعجزين» بدفع العذاب أو الهرب منه.[١]

[٣٤] «وَ لَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ».

«إن كان الله». قيل: ما وجه ترادف هذين الشرطين؟ قلت: قوله: «إن كان الله يريد أن يغويكم» جزاؤه ما دلّ عليه «لاينفعكم نصحي». و هذا الدالّ في حكم ما دلّ عليه فوصل بشرط؛ كما وصل الجزاء بالشرط في قولك: إن أحسنت إليّ، أحسنت إليك إن أمكنني. و معنى قوله: «أن يغويكم» هو أنّه إذا عرف الله من الكافر الإصرار فخلّاه و شأنه و لم يلجئه، سمّي ذلك إغواء و إضلالاً. كما أنّه إذا عرف منه أنّه يتوب و يرعوي فلطف به، سمّي إرشاداً و هداية. و قيل: «أن يغويكم» أي: يهلككم. من غوى الفصيل، إذا بشم فهلك.[٢]

«يغويكم»؛ أي: يعاقبكم لكفركم به فلاينفعكم نصحي. و قد سمّى الله العقاب غيّاً بقوله: «فسوف يلقون غيّاً»[٣].[٤]

[٣٥] «أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَ أَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ».

«أم يقولون افتراه». قيل: إنّه يعني بذلك محمّداً ﷺ و المراد به: أيؤمن كفّار محمّد ﷺ بما أخبرهم به محمّد ﷺ من نبأ قوم نوح، أم يقولون افتراه محمّد ﷺ من تلقاء نفسه؟ «فقل» لهم يا محمّد ﷺ: «إن افتريته» و اختلقته كما تزعمون، «فعليّ إجرامي»؛ أي: عقوبة إجرامي لاتؤاخذون به. و قيل: يعني به نوحاً أنّه يقول على الله الكذب.[٥]

«إجرامي»: وباله. «ممّا تجرمون»: من إجرامكم في إسناد الافتراء إليّ.[٦]

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٥٥.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٣٩١.
٣ـ مريم (١٩) / ٥٩.
٤ـ مجمع البيان ٥ / ٢٣٨.
٥ـ مجمع البيان ٥ / ٢٣٩.
٦ـ تفسيرالبيضاويّ ١ / ٤٥٦.

[٣٦] «وَ أُوحِيَ إِلىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ».

«لن يؤمن». أقنطه الله سبحانه من إيمانهم و نهاه أن يغتمّ بما فعلوه من التكذيب و الإيذاء.(١)

«لن يؤمن». لمّا أعلم الله نوحاً أنّ أحداً منهم لايؤمن، دعا عليهم نوح فقال: «ربّ لاتذر على الأرض من الكافرين ديّاراً * إنّك إن تذرهم يضلّوا عبادك و لايلدوا إلّا فاجراً كفّاراً».(٢) (٣)

[٣٧] «وَ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَ وَحْيِنَا وَ لَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ».

«بأعيننا». في موضع الحال. أي: اصنعها محفوظاً. حقيقته: متلبّساً بأعيننا. كأنّ لله معه أعيناً تكلؤه أن يزيغ في صنعته عن الصواب و أن لايحول بينه و بين عمله أحد من أعدائه. «و وحينا»: و انّا نوحي إليك و نلهمك كيف تصنع. عن ابن عبّاس: لم‌يعلم كيف صنعة الفلك، فأوحى الله إليه [أن يصنعه] مثل جؤجؤ الطائر. «و لاتخاطبني»؛ أي: لاتدعني في شأن قومك و استدفاع العذاب عنهم بشفاعتك. إنّهم محكوم عليهم بالإغراق، قد وجب ذلك و قضي به القضاء و جفّ القلم فلا سبيل إلى كفّه.(٤)

[٣٨] «وَ يَصْنَعُ الْفُلْكَ وَ كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ».

«و يصنع الفلك». عن أبي عبدالله عليه السلام قال: بقي نوح عليه السلام في قومه ثلاثمائة سنة يدعوهم إلى الله فلم‌يجيبوه. فهمّ أن يدعو عليهم، فوافاه اثناعشر ألف قبيل من قبائل ملائكة السماء الدنيا فقالوا: نسألك يا نوح [أن] لاتدعو على قومك. فأجّلهم ثلاثمائة سنة. فلمّا أتى عليهم

١ـ تفسيرالبيضاويّ ١ / ٤٥٦.
٢ـ نوح (٧١) / ٢٦ ـ ٢٧.
٣ـ مجمع البيان ٥ / ٢٤٠.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٣٩٢.

ستّمائة سنة و لم يؤمنوا، همّ أن يدعو عليهم، فوافاه اثناعشر ألف قبيل من قبائل ملائكة السماء الثانية فقالوا: لاتدع على قومك. فأجّلهم ثلاثمائة سنة. فلمّا أتى عليهم تسعمائة سنة و لم يؤمنوا، همّ أن يدعو عليهم. فأنزل الله: «لن يؤمن من قومك إلّا من قد آمن». فقال نوح: «ربّ لاتذر على الأرض» ـ الآية. فأمره الله أن يغرس النخل. فأقبل يغرسها. فكان قومه يمرّون به فيسخرون منه و يقولون: شيخ قد أتى له تسعمائة سنة يغرس النخل! فكانوا يرمونه بالحجارة. فلمّا أتى لذلك خمسون سنة و بلغ النخل، أمر بقطعه. فأمره الله أن يتّخذ السفينة. فعلّمه جبرئيل كيف يصنعها. فقدّر طولها في الأرض ألفاً و مائتي ذراع و عرضها ثمانمائة ذراع و طولها في السماء ثمانون ذراعاً. فقال: يا ربّ من يعيننى على اتّخاذها؟ فقال الله: ناد في قومك من نجر منها شيئاً، صار ما ينجره ذهباً و فضّة. فأعانوه و كانوا يسخرون منه.[١]

«و يصنع». حكاية حال ماضية. «سخروا منه» لعمله السفينة. فإنّه كان يعملها في برّيّة بعيدة من الماء أوان عزّته فكانوا يضحكون منه و يقولون له: صرت نجّاراً بعد ما كنت نبيّاً! «فإنّا نسخر منكم» إذا أخذكم الغرق في الدنيا و الحرق في الآخرة «كما تسخرون». [و] قيل: المراد من السخريّة هنا الاستجهال.[٢]

[٣٩] «فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَ يَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ».

«عذاب يخزيه»: الغرق «و يحلّ عليه» حلول الدين الذي لا انفكاك عنه. «مقيم»؛ أي: دائم. و هو عذاب النار.[٣]

[٤٠] «حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَ فَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَ أَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَ مَنْ آمَنَ وَ مَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ».

«حتّى إذا جاء». غاية لقوله: «و يصنع الفلك» أو للابتداء. «و فار التنّور»: نبع الماء و

١ـ تفسير القمّيّ ١ / ٣٢٥ ـ ٣٢٦.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٥٦.
٣ـ تفسيرالبيضاويّ ١ / ٤٥٦.

ارتفع. «من كلّ». حفص بالتنوين. أي: من كلّ نوع من الحيوانات المنتفع بها. «زوجين اثنين» ذكراً و أنثى. و على قراءة الإضافة معناه: احمل اثنين من كلّ زوجين؛ أي من كلّ صنف ذكر و صنف أنثى. «و أهلك». عطف على زوجين. «عليه القول» بأنّه من المغرقين. يريد ابنه كنعان و أمّه واعلة. فإنّهما كانا كافرين. «و من آمن» من غير أهلك.(١)

«و فار التنّور»؛ أي: طلع الصبح فظهرت أمارات دخول النهار و تقضّي اللّيل. من قولهم: نوّر الصبح تنويراً. روي ذلك عن عليّ عليه السلام. وعن أبي جعفر عليه السلام: مسجد كوفان روضة من رياض الجنّة. فيه فار التنّور و نجرت السفينة. و هو سرّة بابل و مجمع الأنبياء.(٢)

عن أبي عبدالله عليه السلام: كان التنّور في بيت عجوز مؤمنة في دبر قبلة ميمنة المسجد. فقيل له: فإنّ ذلك موضع زاوية باب الفيل اليوم. ثمّ قيل له: و كان بدو خروج الماء من ذلك التنّور؟ فقال: نعم.(٣)

«قلنا احمل». عن أبي عبدالله عليه السلام قال: حمل نوح في السفينة الأزواج الثمانية التي قال الله تعالى: «ثمانية أزواج من الضأن اثنين و من المعز اثنين» «و من الإبل اثنين و من البقر اثنين».(٤) فكان من الضأن اثنين؛ زوج داجنة يربّيها الناس، و الزوج الآخر الضأن التي في الجبال الوحشيّة أحلّ لهم صيدها. و من المعز اثنين؛ زوج داجنة يربّيها الناس، و الزوج الآخر الظباء التي تكون في المفاوز. و من الإبل اثنين؛ البخاتيّ و العراب. و من البقر اثنين؛ زوج داجنة للناس، و الزوج الآخر البقر الوحشيّة. و كلّ طير طيّب وحشيّ و إنسيّ ثمّ غرقت الأرض.(٥)

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ينبغي لولد الزنى أن لاتجوز شهادته و لايؤمّ الناس. و لم يحمله نوح في السفينة و قد حمل فيها الكلب و الخنزير.(٦)

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٥٦.
٢ـ مجمع البيان ٥ / ٢٤٧.
٣ـ الكافي ٨ / ٢٨١.
٤ـ الأنعام (٦) / ١٤٣ ـ ١٤٤.
٥ـ الكافي ٨ / ٢٨٣ ـ ٢٨٤، ح ٤٢٧.
٦ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ١٤٨، ح ٢٨.

«إلّا قليل». عن أبي عبدالله عليه السلام: كان الذين آمنوا ثمانين رجلاً.(١)

عن أبي جعفر عليه السلام: كانوا ثمانمائة.(٢)

[٤١] «وَ قَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللهِ مَجْرَاهَا وَ مُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ».

«بسم الله مُجراها». متّصل باركبوا، حال من الواو. أي: اركبوا فيها مسمّين الله أو قائلين: بسم الله، وقت إجرائها و إرسائها ـ أي إقامتها ـ أو مكانهما. حمزة و الكسائيّ و عاصم: «مَجراها» بالفتح.(٣)

[٤٢] «وَ هِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَ نَادىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَ كَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَ لَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ».

«و هي تجري»؛ أي: فركبوا مسمّين و هي تجري. «ابنه». اسمه كنعان. «اركب معنا». أدغم الباء في الميم أبوعمرو و حفص لتقاربهما.(٤)

«نوح ابنه». عن أبي جعفر عليه السلام. ليس بابنه. إنّما هو ابن امرأته. و هو لغة طيّ يقولون لابن امرأته ابنه.(٥)

«يا بنيّ». عاصم بفتح الياء، و الباقون بالكسر. و قوله: «و نادى نوح ابنه» روي عن عليّ و أبي جعفر محمّد بن عليّ و جعفر بن محمّد عليهم السلام و عروة [بن] الزبير: «ابنَهَ» بفتح الهاء. و هي قراءة عكرمة «ابنها» بالألف، لكن حذف الهاء في القراءة الأولى لدلالة الفتحة عليها. أي: ابن زوجته.(٦)

[٤٣] «قَالَ سَآوِي إِلىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَ حَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ».

١ـ تفسير القمّيّ ١ / ٣٢٦.

٢ـ معاني الأخبار / ١٥١. و فيه: كانوا ثمانية.

٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٥٧.

٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٥٧.

٥ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ١٤٨، ح ٣١.

٦ـ مجمع البيان ٥ / ٢٤٣.

«إلى جبل». عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ النجف كان جبلاً. و هو الذي قال ابن نـوح: «سآوي إلى جبل يعصمني من الماء». و لم يكن على وجه الأرض جبل أعظم منه. فأوحى الله إليه: يا جبل، أيعتصم بك منّي؟ فتقطّع قطعاً إلى بلاد الشام و صار رملاً دقيقاً و صار بعد ذلك بحراً عظيماً. و كان يسمّى ذلك البحر بحر ني، ثمّ جفّ بعد ذلك فقيل: ني جفّ، [فسمّي بنيجف]. ثمّ صار الناس بعد ذلك يسمّونه نجف، لأنّه كان أخفّ على ألسنتهم.(١)

«إلّا من رحم»؛ أي: إلّا الراحم و هو الله. أو: إلّا مكان من رحمهم الله و هم المؤمنون. ردّ بذلك أن يكون اليوم معتصم من جبل و نحوه يعصم اللّائذ به إلّا معتصم المـؤمنين و هـو السفينة . و قيل: «لا عاصم» بمعنى: لا ذا عـصمة. كـقوله: «عشـية راضـية».(٢) و قـيل: الاستثناء منقطع. أي: لكن من رحمه يعصمه. «و حال بينهما»؛ أي: نوح و ابنه، أو ابـنه و الجبل.(٣)

عن أبي عبدالله عليه السلام أنّ الماء علا حتّى مسحت السفينة السماء.(٤)

[٤٤] «وَ قِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَ يَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَ غِيضَ الْمَاءُ وَ قُضِيَ الْأَمْرُ وَ اسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَ قِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ».

«و قيل يا أرض» ـ الآية. بيّن سبحانه الحال بعد انتهاء الطـوفان. فـقال الله للأرض: «ابلعي ماءك»؛ أي: انشفّي الماء الذي نبعت به العيون و اشربيه. و هذا إخبار عن ذهاب الماء عن وجه الأرض [بأوجز مدّة] فجرى مجرى أن قيل لها: ابلعي، فبلعت. «أقلعي»؛ أي: أمسكي عن المطر. «و غيض الماء»؛ أي: ذهب به عن وجه الأرض إلى باطنه. و الأرض ابتلعت ماءها و لم تبلع ماء السماء؛ لقوله: «ابلعي ماءك» و إنّ ماء السماء صار بحاراً و أنهاراً. و هو المرويّ عن أئمّتنا عليهم السلام. و في هذه الآية من بدائع الفصاحة و عجائب البلاغة ما لا يقدر

١ـ علل الشرائع / ٣١، ح ١.
٢ـ القارعة (١٠١) / ٧.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٥٧ ـ ٤٥٨.
٤ـ تفسير القمّيّ ١ / ٣٢٨.

به كلام البشر و لايدانيه. و يروى: انّ كفّار قريش أرادوا أن يتعاطوا معارضة القرآن، فعكفوا على لباب البرّ و لحوم الضأن و سلاف الخمر أربعين يوماً لتصفو أذهانهم. فلمّا أخذوا فيما أرادوا، سمعوا هذه الآية، فقال بعضهم لبعض: هذا كلام لايشبه كلام المخلوقين. و تركوا ما أخذوا فيه و افترقوا. «و قضي الأمر»؛ أي: وقع هلاك الكفّار و فرغ من الأمر. و قيل: الأمر نجاة نوح و من معه. «و استوت على الجوديّ»؛ أي: استقرّت السفينة على الجبل المعروف بالجوديّ؛ و هو جبل الموصل. وروي عن موسى بن جعفر عليهما السلام قال: كان نوح لبث في السفينة ما شاء الله. فأوحى الله إلى الجبال أنّي واضع سفينة نوح على جبل منكم. فتطاولت الجبال و شمخت، و تواضع الجوديّ ـ و هو جبل بالموصل ـ فضرب جؤجؤة السفينة الجبل. فقال نوح عند ذلك: يا مار[١] اتقن. و هو بالعربيّة: يارّب أصلح. «و قيل بعداً». أي قال الله ذلك. و معناه: أبعد الله الظالمين من رحمته. و إنّما انتصب على المصدر وفيه معنى الدعاء. و يجوز أن يكون هذا من قول الملائكة أو قول نوح عليه السلام.[٢]

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لمّا حسر الماء عن عظام الموتى فرأى ذلك نوح، جزع جزعاً شديداً و اغتمّ لذلك. فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: هذا عملك بنفسك. فأوحى الله إليه أن كل العنب الأسود ليذهب غمّك.[٣]

[٤٥] «وَ نَادىٰ نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَ إِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَ أَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ».

«و نادى نوح». نداء تعظيم و دعاء. «إنّ وعدك الحقّ». وعدتني أن تنجي أهلي. «أحكم الحاكمين» في القول و الفعل.[٤]

«و أنت أحكم الحاكمين»: أعلمهم و أعدلهم.[٥]

١ـ المصدر: يا ماريا.
٢ـ مجمع البيان ٥ / ٢٤٩ - ٢٥٠.
٣ـ الكافي ٦ / ٣٥٠.
٤ـ مجمع البيان ٥ / ٢٥٣.
٥ـ الكشّاف ٢ / ٣٩٨.

[٤٦] «قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْئَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ».

«إنّه ليس من أهلك». فيه أقوال. أحدها: انّه كان ابنه لصلبه. أي: ليس من أهلك الذين وعدتك نجاتهم، لأنّ الله قد استثنى من أهله الذين وعده أن ينجيهم من أراد إهلاكهم بالغرق فقال: «إلّا من سبق عليه القول». عن ابن‌عبّاس و جماعة. و ثانيها: انّ المراد بقوله: «إنّه ليس من أهلك»: إنّه ليس على دينك. فكأنّ كفره أخرجه عن أن يكون له أحكام أهله. و قد روي هذا عن الرضا عليه السلام.[١] و ثالثها: انّه لم يكن ابنه على الحقيقة و إنّما ولد على فراشه، فقال إنّه ابني، على الظاهر، فأعلمه الله أنّ الأمر بخلاف الظاهر و نبّهه على خيانة امرأته. عن الحسن و مجاهد. و هذا الوجه بعيد. لأنّ الأنبياء يجب أن ينزّهوا عن مثل هذه الحالة المنفرة. و روي عن ابن‌عبّاس أنّه قال: ما زنت امرأة نبيّ قطّ. و كانت الخيانة من امرأة نوح أنّها كانت تنسبه إلى الجنون، و الخيانة من امرأة لوط أنّها [كانت] تدلّ على أضيافه. و رابعها: انّه كان ابن امرأته و كان ربيبه و يعضده قراءة من قرأ «ابنَهَ» بفتح الهاء أو: «ابنها». و المعتمد المعوّل عليه في تأويل الآية القولان الأوّلان. «إنّه عمل غير صالح». قال المرتضى رحمه الله: تقديره: ذو عمل غير صالح. قرأ الكسائيّ و يعقوب: «عَمِلَ» بالفعل و نصب «غير». «تسألن». ابن‌كثير مشدّدة النون مكسورة بغير ياء. و أبوعمرو خفيفة النون مثبتة الياء. «أعظك»؛ أي: أحذّرك. «أن تكون»: لئلّاتكون.[٢]

فإن قلت: قد وعده أن ينجي أهله و ما كان عنده أنّ ابنه ليس منهم ديناً. فلمّا أشفى على الغرق، تشابه عليه الأمر. لأنّ العدة قد سبقت له و قد عرف الله حكيماً لايجوز [عليه] خلف الميعاد. فطلب إماطة الشبهة. و طلب إماطة الشبهة واجب. فلم زجر و سمّي سؤاله جهلاً؟ قلت: إنّ الله عزّ و جلّ قدّم الوعد بإنجاء أهله مع استثناء من سبق عليه القول منهم. فكان عليه أن يعتقد أنّه في جملة [أهله] من هو مستوجب للعذاب لكونه غير صالح و أنّ

١ـ بحار الأنوار ١١ / ٣٠٥.

٢ـ مجمع البيان ٥ / ٢٥٣ ـ ٢٥٤ و ٢٥١.

كلّهم ليسوا بناجين و أن لاتخالجه شبهة حين شارف ولده الغرق في أنّه مـن المسـتثنين. فعوتب على أنّه اشتبه عليه ما يجب أن لا يشتبه.(١)

[٤٧] «قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْئَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَ إِلَّا تَغْفِرْ لِي وَ تَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ».

«أعوذ بك»؛ أي: أعتصم بك.(٢)

«أن أسألك». من [أن] أطلب منك في المستقبل. «ما ليس لي به علم»: ما لا علم لي بصحّته. «و إلّا تغفر لي» ما فرط منّي من ذلك «و ترحمني» بالتوبة [علـيّ] «أكـن مـن الخاسرين» أعمالاً.(٣)

[٤٨] «قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَ بَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَ عَلَىٰ أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَ أُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ».

«اهبط». حكى سبحانه ما أمر به نوحاً حين استقرّت السفينة على الجبل بعد خراب الدنيا بالطوفان. «اهبط»؛ أي: انزل من الجبل و من السفينة. «بسلام منّا»؛ أي: سلامة و نجاة منّا. «و بركات عليك» ؛ أي: خيرات نامية ثابتة حالاً بعد حال عليك و على من معك من المؤمنين. و قيل: المراد من الأمم سائر الحيوان الذين كانوا معه. لأنّ الله جعل فيها البركة. «و أمم سنمتّعهم» ـ الآية؛ أي: يكون من نسلهم أمم سنمتّعهم في الدنيا بضروب مـن النـعم فيكفرون فنهلكهم ثمّ يمسّهم بعد الهلاك عذاب أليم.(٤)

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لمّا هبط نوح عليه السلام من السفينة، أتاه إبليس فقال: ما في الأرض رجل أعظم منّة عليّ منك. دعوت على هؤلاء الفسّاق فأرحتني منهم. ألا أعلّمك خصلتين؟ إيّاك و الحسد. فإنّه الذي عمل بي ما عمل. و إيّاك و الحرص. فهو الذي عـمل بآدم مـا

١ـ الكشّاف ٢ / ٤٠٠.
٢ـ مجمع البيان ٥ / ٢٥٤.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٤٠٤.
٤ـ مجمع البيان ٥ / ٢٥٥.

عمل.[١]

[٤٩] «تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَ لَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ».

«تلك من أنباء الغيب»؛ أي: تلك الأنباء من أخبار ما غاب عنك.[٢]

«من قبل هذا»؛ أي: من قبل إخبارك بها. «فاصبر» على تبليغ الرسالة و على أذى قومك، كما صبر نوح.[٣]

«العاقبة» في الدنيا و الآخرة. (ع)

[٥٠] «وَ إِلىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ».

«أخاهم»؛ أي: واحداً منهم. و انتصابه للعطف على «أرسلنا نوحاً». و «هوداً» عطف بيان. و «غيره» بالرفع صفة على محلّ الجارّ و المجرور. «إلّا مفترون» تفترون على الله الكذب باتّخاذكم الأوثان له شركاء.[٤]

[٥١] «يَا قَوْمِ لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَ فَلَا تَعْقِلُونَ».

«لاأسألكم عليه أجراً». ما من رسول إلّا واجه قومه بهذا القول. لأنّ النصيحة لايمحضها إلّا حسم المطامع. «أفلاتعقلون» إذ تردّون نصيحة من لايطلب عليها أجراً إلّا من الله ـ و هو ثواب الآخرة ـ و لا شيء أنفى للتهمة من ذلك؟[٥]

[٥٢] «وَ يَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَ يَزِدْكُمْ

١ـ الخصال / ٥٠ ـ ٥١، ح ٦١.
٢ـ مجمع البيان ٥ / ٢٥٥.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٤٠١.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٤٠٢.
٥ـ الكشّاف ٢ / ٤٠٢.

قُوَّةً إِلىٰ قُوَّتِكُمْ وَ لَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ».

«و يا قوم استغفروا ربّكم»: آمنوا به. «ثمّ توبوا إليه» من عبادة غيره. «مدراراً»؛ أي: كثيرة الدرور. و إنّما قصد استمالتهم إلى الإيمان بكثرة المطر و زيادة القوّة، لأنّ القوم كانوا أصحاب زروع و بساتين و عمارات و كانوا أحوج شيء إلى الماء و كانوا مدلّين بما أوتوا من شدّة القوّة و البطش مستحرزين بها من العدوّ مهيبين في كلّ ناحية. و قيل: القوّة في المال. و قيل: في النكاح. و قيل حبس عنهم القطر ثلاث سنين و عقمت أرحام نسائهم. و عن الحسن بن عليّ عليهما السلام أنّه وفد على معاوية، لمّا خرج سأله بعض حجّابه فقال: إنّي رجل ذومال و لا يولد لي. فقال عليه السلام: عليك بالاستغفار. فكان يكثره، فولد له عشرة بنين. فقال له معاوية: هلّا سألته ممّ قال ذلك؟ فوفد مرّة أخرى، فسأله الرجل، فقال: ألم تسمع قول هود: «و يزدكم قوّة إلى قوّتكم» و قول نوح: «و يمددكم بأموال و بنين»؟[1] «و لا تتولّوا مجرمين»؛ أي لا تعرضوا عمّا أدعوكم إليه مصرّين على إجرامكم.[2]

[٥٣] «قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَ مَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَ مَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ».

«ماجئتنا ببيّنة». كذب و جحود لما أتى به من البيّنات. (ع)

«عن قولك»؛ أي: لأجل قولك.[3]

«عن قولك». حال من الضمير. أي: صادرين عن قولك.[4]

[٥٤ ـ ٥٥] «إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللهَ وَ اشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ».

«اعتراك». مفعول «نقول»، و إلّا لغو. أي: ما نقول إلّا قولنا: اعتراك بعض آلهتنا؛ أي:

١ـ نوح (٧١) / ١٢.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٤٠٢.
٣ـ مجمع البيان ٥ / ٢٥٨.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٤٠٣.

خبلك و مسّك بجنون لسبّك إيّاها و عداوتك لها، مكافاة لك منها على سوء فعلك فمن ثمّ تتكلّم بكلام المجانين. فسمّوا التوبة و الاستغفار جنوناً. و هذا يدلّ على جهل مفرط حيث اعتقدوا في حجارة أنّها تنتصر و تنتقم و لعلّهم يجيزون عليها الثواب أيضاً! «أشهد الله». من أعظم الآيات أن يواجه رجل واحد بهذا الكلام أمّة عطاشاً إلى إراقة دمه. و ذلك لثقته بعصمة ربّه. و قد أكّد براءته من آلهتهم و شركهم بما جرت به عادة الناس من توثيقهم الأمور بشهادة الله و شهادة العباد. فإن قلت: هلّا قيل: أشهد الله و أشهدكم؟ قلت: لأنّ إشهاد الله على البراءة من الشرك إشهاد صحيح ثابت في معنى تثبيت التوحيد، و أمّا إشهادهم فما هو إلّا تهاون بدينهم [و] دلالة على قلّة المبالاة بهم. فعدل به عن لفظ الأوّل لاختلاف ما بينهما و جيء به على لفظ الأمر حملاً على المتعارف؛ كما يقول الرجل لعدوّه: اشهد على أنّي لاأحبّك، استهانة به. «ممّا تشركون من دونه»؛ أي: من جعلكم له شركاء من دونه. [أو: ممّا تشركونه من آلهة من دونه.] أي لم يجعلها هو شركاء و لم ينزل بذلك سلطاناً. «فكيدوني جميعاً» أنتم و آلهتكم. فإنّي لاأبالي بكم و أنتم الأقوياء، فكيف تضرّني آلهتكم و ما هي إلّا جماد؟ و كيف تنتقم منّي إذا نلت منها بأن تذهب بعقلي؟[١]

«لاتنظرون»؛ أي: اعجلوا و لاتمهلوني. (ع)

[٥٦] «إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ رَبِّي وَ رَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ».

«آخذ بناصيتها». كناية عن القهر و القدرة. لأنّ من أخذ بناصية غيره، فقد قهره. «على صراط مستقيم»؛ أي: مع كونه قاهراً على عدل فيما يعامل به عباده.[٢]

«على صراط مستقيم» لايفوته ظالم و لايضيع عنده معتصم به.[٣]

١ـ الكشّاف ٢ / ٤٠٣ ـ ٤٠٤.
٢ـ مجمع البيان ٥ / ٢٥٩.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٤٠٤.

[٥٧] «فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَ يَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْماً غَيْرَكُمْ وَ لَاتَضُرُّونَهُ شَيْئاً إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ».

«فإن تولّوا» حكاية عمّا قاله لقومه. و المعنى: فإن تتولّوا. «قد أبلغتكم»؛ أي: ليس التقصير منّي في إبلاغكم و إنّما هو بسوء اختياركم. «و يستخلف»؛ أي: يجعلهم بدلاً منكم. «حفيظ» يحفظه من الهلاك إن شاء و يهلكه إن شاء. أو إنّه يحفظني منكم و من أذاكم. أو إنّه حفيظ على أعمال العباد يجازيهم عليها.[١]

«يستخلف ربّي قوماً غيركم» يخلفونكم في دياركم و أمواللكم.[٢]

[٥٨] «وَ لَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُوداً وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَ نَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ».

«أمرنا» بهلاك عاد. «آمنوا معه». كانوا أربعة آلاف. «برحمة منّا»؛ أي: بما أريناهم من الهدى و البيان. أو: أنجيناهم برحمتنا. «و نجّيناهم من عذاب غليظ»؛ أي: كما نجّيناهم من عذاب الدنيا، نجّيناهم من عذاب الآخرة. و الغليظ: الثقيل العظيم. و يحتمل أن يكون صفة للعذاب الذي عذّب به قوم هود.[٣]

«و نجّيناهم من عذاب غليظ». فإن قلت: ما معنى تكرير التنجية؟ قلت: ذكر أوّلاً [أنّه] حين أهلك عدوّهم نجّاهم، ثمّ قال: «و نجّيناهم من عذاب غليظ» على معنى: و كانت تلك التنجية من عذاب غليظ. و ذلك أنّ الله بعث عليهم السموم فكانت تدخل في أنوفهم و تخرج من أدبارهم تقطّعهم عضواً عضواً.[٤]

إنّ عاداً كانت بلادهم في البادية من المشرق[٥] إلى الأجفر أربعة منازل. و كان لهم زرع و نخيل، و لهم أجسام طويلة. فعبدوا الأصنام. و بعث الله إليهم هوداً يدعوهم إلى الإسلام.

١ـ مجمع البيان ٥ / ٢٥٩.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٤٠٤.
٣ـ مجمع البيان ٥ / ٢٥٩ ـ ٢٦٠.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٤٠٥.
٥ـ المصدر: «الشقيق». و الشقيق و الأجفر منزلان بطريق مكّة.

فأبوا فآذوه. فكفّت السماء عنهم سبع سنين حتّى قحطوا. و كان هود زرّاعاً. و كان يسقي الزرع، فجاء قوم إلى بابه يريدونه. فخرجت إليهم امرأة شمطاء عوراء. فقالوا: نحن من بلاد كذا. أجدبت بلادنا، فجئنا إلى هود نسأله أن يدعو الله حتّى يمطرنا. فقالت: لو استجيب لهود، لدعا لنفسه! قد احترق زرعه لقلّة الماء. قالوا: أين هو؟ قالت: في موضع كذا. فجاؤوا إليه، فصلّى فدعا لهم فقال: ارجعوا، فقد أمطرتم. فقالوا: يا نبيّ الله، إنّا رأينا عجباً. و حكوا له عن المرأة الشمطاء العوراء. فقال هود: هو ذاك أهلي. و أنا أدعو الله بطول بقائها. فقالوا: و كيف ذلك؟ قال: إنّه ماخلق الله مؤمناً إلّا و له عدوّ يؤذيه. و هي عدوّتي. فلئن يكون عدوّي ممّن أملكه خير من أن يكون عدوّي ممّن يملكني. فبقي هود في قومه يدعوهم إلى الله و ينهاهم عن عبادة الأصنام حتّى تخصب بلادهم فأنزل الله عليهم المطر. فلمّا لم يؤمنوا، أرسل عليهم الريح الصرصر؛ يعني: الباردة.[١]

عن أبي جعفر عليه السلام قال: الريح العقيم تخرج من تحت الأرضين السبع. و ماخرج منها شيء قطّ إلّا على قوم عاد حين غضب الله عليهم فأمر الخزّان أن يخرجوا منها مثل سعة الخاتم، فعصت على الخزنة فخرج منها مثل منخر الثور تغيّظاً منها على قوم عاد. فضجّ الخزنة إلى الله من ذلك فقالوا: يا ربّنا، إنّها قد عصت علينا. و نحن نخاف أن يهلك من لم يعصك من خلقك و عمّار بلادك. فبعث الله جبرئيل عليه السلام فردّها بجناحه و قال لها: اخرجي على ما أمرتي به. فأهلكت قوم عاد و من كان بحضرتهم.[٢]

[٥٩] «وَ تِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَ عَصَوْا رُسُلَهُ وَ اتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ».

«و تلك عاد». إشارة إلى قبورهم و آثارهم. كأنّه قيل: سيحوا في الأرض فانظروا إليها و اعتبروا. ثمّ استأنف أحوالهم فقال: «جحدوا بآيات ربّهم».[٣]

«و تلك»: أي: هذه القبيلة «جحدوا بآيات ربّهم»؛ أي: بمعجزات هود. «رسله». إنّما

١ـ تفسير القمّيّ ١ / ٣٢٩ ـ ٣٣٠.
٢ـ تفسير القمّيّ ١ / ٣٣٠.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٤٠٥.

جمع الرسل لأنّ من كذّب رسولاً واحداً، فقد كذّب جميع الرسل، و لأنّ هوداً كان يدعوهم إلى الإيمان به و بمن تقدّمه من الرسل و بما أنزل عليهم من الكتب و كذّبوا بهم جميعاً فلذلك عصوهم. «و اتّبعوا أمر كلّ جبّار»؛ أي: اتّبع السفلة و السقّاط الرؤساء.(١)

[٦٠] «وَ أُتْبِعُوا فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَاداً كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْداً لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ».

«و أتبعوا في هذه الدنيا لعنة»؛ أي: أتبع عاد بعد إهلاكهم في الدنيا بالإبعاد عن الرحمة. فإنّ الله أبعدهم عن رحمته و تعبّد المؤمنين بالدعاء عليهم باللّعن. «و يوم القيامة»؛ أي: في يوم القيامة يبعدون عن رحمة الله كما بعدوا في الدنيا منها و يلعنون بأن يدخلوا النار. «ربّهم»؛ أي: بربّهم. فحذف الباء. «ألا بعداً لعاد»؛ أي: أبعدهم الله من رحمته فبعدوا بعداً.(٢)

«قوم هود». عطف بيان لعاد. و فائدته أن يوسموا بهذه الدعوة وسماً و تجعل فيهم أمراً محقّقاً لا شبهة فيه؛ و لأنّ عاداً عادان: الأولى القديمة التي هي قوم هود ــ و القصّة فيهم ــ و الأخرى إرم.(٣)

[٦١] «وَ إِلىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَ اسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ».

«و إلى ثمود». كان ثمود بوادي القرى بين المدينة و الشام. و كان عاد باليمن. «هو أنشأكم»: ابتدأ خلقكم «من الأرض». لأنّه خلق آدم من الأرض و مرجع نسلكم إليه. «و استعمركم فيها». كانت أعمارهم ألف سنة إلى ثلاثمائة سنة.(٤)

«و استعمركم فيها»؛ أي: عمركم فيها و استبقاكم. من العمر. أو: أقدركم على عمارتها و أمركم بها. و قيل: هو من العمرى، بمعنى: أعمركم فيها دياركم و يرثها منكم بعد انصرام

١ـ مجمع البيان ٥ / ٢٦٠.
٢ـ مجمع البيان ٥ / ٢٦٠.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٤٠٦.
٤ـ مجمع البيان ٥ / ٢٦٤.

أعماركم. أو: جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدّة عمركم ثمّ تتركونها لغيركم. كان ملوك فارس قد أكثروا من حفر الأنهار و غرس الأشجار و عمّروا الأعمار الطوال، مع ما كان فيهم من عسف الرعايا. فسأل نبيّ من أنبياء زمانهم ربّه عن سبب تعميرهم، فأوحى الله إليه أنّهم عمروا بلادي فعاش فيها عبادي.(١)

«إنّ ربّي قريب»: [قريب] الرحمة «مجيب» لمن دعاه.(٢)

[٦٢] «قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوّاً قَبْلَ هٰذَا أَ تَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَ إِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ».

«مرجوّاً»، لما نرى فيك من مخايل الرشد و السداد، أن تكون لنا سيّداً و مستشاراً في الأمور و أن توافقنا في الدين. فلمّا سمعنا هذا القول منك، انقطع رجاؤنا عنك. «ممّا تدعونا إليه» من التوحيد و التبرّي عن الأوثان. «مريب»: موقع في الريبة. من أرابه. أو: ذي ريبة على الإسناد المجازيّ. من أراب في الأمر.(٣)

[٦٣] «قَالَ يَا قَوْمِ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَ آتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ».

«إن كنت». أتى بحرف الشكّ باعتبار المخاطبين. «على بيّنة»؛ أي: بيان و بصيرة. «رحمة»: النبوّة. «ينصرني»: يمنعني من عذابه. «إن عصيته» في تبليغ الرسالة و المنع عن الإشراك به. «فما تزيدونني» إذاً باستتباعكم إيّاي «غير تخسير»: غير أن تخسروني بإبطال ما منحني الله به و التعريض لعذابه. أو: فما تزيدونني بما تقولون غير أن أنسبكم إلى الخسران.(٤)

[٦٤] «وَ يَا قَوْمِ هٰذِهِ نَاقَةُ اللهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللهِ وَ لَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ».

١ـ الكشّاف ٢ / ٤٠٧.

٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٦١.

٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٦١.

٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٦١.

«آية». انتصب على الحال و عاملها معنى الإشارة. و «لكم» حال منها تقدّمت عليها لتنكّرها. «عذاب قريب»: عاجل لايتراخى عن مسّكم لها بالسوء إلّا يسيراً و هو ثلاثة أيّام.[١]

«هذه ناقة الله لكم آية»؛ أي: إن شككتم في نبوّتي، فهذه الناقة معجزة لي.[٢]

[٦٥] «فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ».

«فعقروها». فعقرها بعضهم و رضي الآخرون.[٣]

«تمتّعوا في داركم»: عيشوا في منازلكم أو في داركم الدنيا «ثلاثة أيّام»: الأربعاء و الخميس و الجمعة، ثمّ تهلكون. «مكذوب»؛ أي: مكذوب فيه. فاتّسع فيه بإجرائه مجرى المفعول به. أو: غير مكذوب، على المجاز. فكأنّ الواعد قال له: أفي بك؛ فإن وفى به صدقه و إلّا كذبه. أو: وعد غير كذب، على أنّه مصدر كالمجلود و المعقول.[٤]

[٦٦] «فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحاً وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَ مِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ».

«و من خزي»؛ أي: ونجّيناهم من خزي يومئذ، و هو هلاكهم بالصيحة أو ذلّهم و فضيحتهم يوم القيامة. و عن نافع: «يومئذ» بالفتح، على اكتساب المضاف البناء من المضاف إليه. «هو القويّ»: القادر على كلّ شيء الغالب عليه.[٥]

«و من خزي». معطوف على محذوف. أي: و نجّيناهم من العذاب و من خزي.[٦]

عن أبي عبدالله عليه السلام: قال لهم صالح: إنّكم تصبحون غداً [و وجوهكم مصفرّة]، و اليوم الثاني وجوهكم محمرّة، و اليوم الثالث وجوهكم مسودّة. فلمّا أتاهم ما وعدهم و لم يؤمنوا،

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٦١.
٢ـ مجمع البيان ٥ / ٢٦٥.
٣ـ مجمع البيان ٥ / ٢٦٥.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٦٢.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٦٢.
٦ـ مجمع البيان ٥ / ٢٦٦.

أتاهم جبرئيل فصرخ بهم صرخة خرقت تلك الصرخة أسماعهم و صدعت أكبادهم. و قد كانوا في تلك الثلاثة الأيّام قد تحنّطوا و تكفّنوا و علموا أنّ العذاب نازل بهم. فماتوا أجمعين في طرفة عين. ثمّ أرسل عليهم مع الصيحة النار من السماء فأحرقهم أجمعين.(١)

[٦٧] «وَ أَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ».

«فأصبحوا» لأنّ العذاب أتاهم وقت الصباح. و قيل: أتتهم الصيحة ليلاً فأصبحوا على هذه الصفة. «جاثمين»؛ أي: ميّتين واقعين على وجوههم.(٢)

[٦٨] «كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْداً لِثَمُودَ».

«كأن لم يغنوا فيها»؛ أي: كأن لم يكونوا في منازلهم لانقطاع آثارهم بالهلاك إلّا ما بقي من أجسادهم الدالّة على الخزي الذي نزل بهم. «ثمود». حمزة و حفص عن عاصم غير منوّن. و الباقون بالتنوين. «لثمود». الكسائيّ بالجرّ و التنوين. و الباقون بفتح الدال. و وجه الصرف و عدمه أنّ منهم من يجعله اسماً للقبيلة و منهم من يجعله اسماً للحيّ فمن ثمّ جاز فيه الصرف و منعه.(٣)

«ثمود». من نوّنه ذهب إلى أنّه اسم للحيّ أو الأب الأكبر للقبيلة.(٤)

[٦٩] «وَ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرىٰ قَالُوا سَلَاماً قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ».

«و لقد جاءت رسلنا». كانوا أربعة: جبرائيل و ميكائيل و إسرافيل و كرّوبيل عليهم السلام. عن أبي عبدالله عليه السلام. و كانوا على صورة الغلمان أتوا إبراهيم عليه السلام. «بالبشرى»؛ أي: بالبشارة بإسحاق و نبوّته و أنّه يولد له يعقوب عليه السلام. و عن أبي جعفر عليه السلام أنّ هذه البشارة كانت

١ـ الكافي ٨ / ١٨٨ ـ ١٨٩.
٢ـ مجمع البيان ٥ / ٢٦٦.
٣ـ مجمع البيان ٥ / ٢٦٦ و ٢٦١ و ٢٦٣.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٦٢.

بإسماعيل من هاجر. و قيل: البشارة بهلاك قوم لوط. «قالوا سلاماً». أي سلّمت الملائكة سلاماً، بمعنى الدعاء له. و قيل: معناه: أعطاك الله سلامة. «قال سلام». حمزة و الكسائيّ: «قال سلم» بكسر السين و سكون اللّام، إمّا بمعنى سلام أو يكون المراد به خلاف العدوّ. كأنّهم لمّا كفّوا عن تناول طعامه و أوجس الخيفة عنهم قال: أنا سلم و لست بحرب، فلاتمتنعوا من تناول طعامي. «فما لبث»: فلم يتوقّف حتّى جاءهم «بعجل حنيذ»؛ أي: مشويّ. لأنّه توهّم أنّهم أضياف. و صار ذلك من السنّة أن يعجّل الطعام للضيفان.[١]

«سلاماً»: سلّمنا عليك سلاماً. أو نصب بقالوا لأنّه بمعنى ذكروا. «سلام»؛ أي: جوابي سلام. «حنيذ» مشويّ يقطر منه السمن.[٢]

[٧٠] «فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَ أَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ».

«فلمّا رأى» أيدي الملائكة لاتصل إلى العجل، أنكرهم. «و أوجس»؛ أي: أضمر منهم خوفاً. لأنّهم كانوا شبّاناً أقوياء و كان ينزل طرفاً من البلد و كانوا يمتنعون من طعامه فلم يأمن أن يكون ذلك لبلاء. و ذلك أنّ أهل ذلك الزمان إذا أكل بعضهم طعام بعض، أمنه صاحب الطعام على نفسه و ماله. و قيل: إنّه ظنّهم لصوصاً. و قيل: ظنّ أنّهم ليسوا من البشر و أنّهم جاؤوا لأمر عظيم. و قيل: علم أنّهم ملائكة فخاف أن يكون قومه المقصودين بالعذاب حتّى قالوا له: «لاتخف إنّا أرسلنا إلى قوم لوط» بالعذاب لا إلى قومك.[٣]

[٧١] «وَ امْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَ مِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ».

«و امرأته» سارة بنت هارون[٤] بنت عمّ إبراهيم «قائمة» من وراء الستر تسمع الكلام. و قيل: بنت خالته. و قيل: كانت قائمة تخدم الرسل و إبراهيم جالس معهم. و قيل: كانت

١ـ مجمع البيان ٥ / ٢٧٢ و ٢٦٧ ـ ٢٦٩.
٢ـ تفسيرالبيضاويّ ١ / ٤٦٢.
٣ـ مجمع البيان ٥ / ٢٧٢ ـ ٢٧٣.
٤ـ المصدر: هاران.

قائمة تصلّي. «فضحكت». قيل: هو الضحك المعروف؛ ضحكت تعجّباً من غفلة قوم لوط مع قرب نزول العذاب بهم. و قيل: تعجّباً من امتناعهم عن الأكل و خدمتها بنفسها لهم و قالت: عجباً لأضيافنا نخدمهم بأنفسنا تكرمة لهم و هم لا يناولون من طعامنا! و قيل: تعجّباً و سروراً من البشارة بإسحاق، لأنّها كانت ابنة تسع و تسعون سنة وكان لزوجها مائة و عشرون سنة. و على هذا فيكون في الكلام تقديم و تأخير و تقديره: فبشّرناها بإسحاق و يعقوب فضحكت بعد البشارة. و روي ذلك عن الصادقعليه السلام.(١)

«فضحكت» بإصابة رأيها. فإنّها كانت تقول لإبراهيم: اضمم إليك لوطاً. فإنّي أعلم أنّ العذاب ينزل بقومه. «يعقوب». فتحته للجرّ لأنّه غير منصرف. و ابن كثير و نافع: «يعقوب» بالرفع. فهو مبتدأ خبره الظرف. أي: يعقوب مولود من بعده.(٢)

و في المجمع و المعاني و العيّاشيّ عن الصادقعليه السلام: «فضحكت»: حاضت.(٣) و القمّيّ: «ضحكت»؛ أي: حاضت، و قد ارتفع حيضها منذ دهر طويل.(٤) (حسن)

[٧٢] «قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَ أَنَا عَجُوزٌ وَ هٰذَا بَعْلِي شَيْخاً إِنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ».

«يا ويلتى أألد و أنا عجوز». أي هذا شيء عجيب. و إنّما قالت ذلك لكونه خارجاً عن العادة لا بالنظر إلى قدرة الله سبحانه. و لم ترد بقولها: «يا ويلتى» الدعاء على نفسها بالويل، ولكنّها كلمة تجري على أفواه النساء إذا طرأ عليهنّ ما يتعجّبن به. و قيل: إنّها لم تتعجّب من قدرة الله ولكنّها أرادت أن تعرف هل تتحوّل شابّة أم تلد على تلك الحال، و كلّ ذلك عجيب.(٥)

«شيخاً». نصب على الحال. و العامل فيه معنى الإشارة.(٦)

١ـ مجمع البيان ٥ / ٢٧٣.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٦٢ ـ ٤٦٣، التيسير / ١٠٢.
٣ـ مجمع البيان ٥ / ٢٧٣، و معاني الأخبار / ٢٢٤، ح ١، و تفسيرالعيّاشيّ ٢ / ١٥٢، ح ٤٥.
٤ـ تفسير القمّيّ ١ / ٣٣٤.
٥ـ مجمع البيان ٥ / ٢٧٤.
٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٦٣.

عن الصادق عليه السلام: انّ الله أوحى إلى إبراهيم أنّه سيولد لك. فقال لسارة. فقالت: «أ ألد و أنا عجوز»؟ فأوحى الله إليه أنّها ستلد و يعذّب أولادها أربعمائة سنة بردّها الكلام عليّ. قال: فلمّا طال على بني إسرائيل العذاب، ضجّوا و بكوا إلى الله أربعين صباحاً. فأوحى الله إلى موسى و هارون فخلّصهم من فرعون، فحطّ عنهم سبعين و مائة سنة. قال أبوعبدالله عليه السلام: هكذا أنتم لو فعلتم لفرّج الله عنّا. فأمّا إذا لم تكونوا، فإنّ الأمر ينتهي إلى منتهاه.[1]

[٧٣] «قَالُوا أَ تَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللهِ رَحْمَةُ اللهِ وَ بَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ».

«قالوا»؛ أي: قالت لها الملائكة: «أتعجبين من أمر الله» بك و بزوجك؟ «رحمة الله و بركاته» النامية «عليكم أهل البيت». و هذا يحتمل أن يكون دعاء لهم بالرحمة و البركة من الملائكة، و يحتمل أن يكون إخباراً عن ثبوت ذلك لهم و تذكيراً بنعمة الله و بركاته عليهم. «أهل البيت»؛ أي: أهل بيت إبراهيم، لأنّها كانت ابنة عمّه. فلا دلالة في الآية على أنّ زوجة الرجل من أهل بيته. «حميد»: محمود على أفعاله. أو الذي يحمد عباده على الطاعة. «مجيد»؛ أي: كريم. و هو المبتدئ بالعطيّة قبل الاستحقاق.[2]

«أهل البيت». نصب على المدح.[3]

[٧٤] «فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَ جَاءَتْهُ الْبُشْرىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ».

«الروع»؛ أي: الخوف الذي دخله من الرسل. «يجادلنا». و هي أنّه قال لهم: إن كان فيها خمسون من المؤمنين أتهلكونهم؟ قالوا: لا. قال: فأربعون؟ قالوا: لا. فما زال ينقص و يقولون لا حتّى قال: فواحد؟ قالوا: لا. فقال: «إنّ فيها لوطاً قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجّينّه و

١ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ١٥٤، ح ٤٩.
٢ـ مجمع البيان ٥ / ٢٧٤.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٦٣.

أهله».[١] و قيل: إنّه جادلهم و قال: بأيّ شيء استحقّوا عذاب الاستئصال؟ و هل ذلك واقع لامحالة، أم هو تخويف ليرجعوا إلى الطاعة؟ بأيّ شيء يهلكون؟ و كيف ينجي الله المؤمنين؟ سمّى ذلك السؤال المستقصي جدلاً.[٢]

«يجادلنا»؛ أي: يجادل رسلنا. و هو إمّا جواب «لمّا» جيء به مضارعاً على حكاية الحال، أو دليل جوابه المحذوف مثل: اجترأ على خطابنا، أو: شرع في جدالنا.[٣]

[٧٥] «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ».

«أوّاه»: كثير التأوّه من الذنوب.[٤]

«منيب»: راجع إلى الله تعالى في جميع أموره. وفي هذا إشارة إلى أنّ تلك المجادلة إنّما كان من رقّة قلبه و رحمته. و ذلك أنّه رأى الخلق الكثير في النار فتأوّه لهم.[٥]

[٧٦] «يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هٰذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَ إِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ».

«يا إبراهيم». قول الملائكة. «أعرض عن هذا» القول و الجدال. «قد جاء أمر ربّك» بالعذاب و إنّه نازل بهم لامحالة.[٦]

[٧٧] «وَ لَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَ ضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَ قَالَ هٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ».

«سيء بهم»: ساءه مجيئهم. لأنّهم جاؤوا في صورة غلمان فظنّ أنّهم أناس فخاف عليهم أن يقصدهم قومه فيعجز عن مدافعتهم. «و ضاق بهم ذرعاً»: [ضاق] بمكانهم صدره. و هو كناية عن شدّة الانقباض للعجز عن مدافعة المكروه و الاحتيال فيه.

١ـ العنكبوت (٢٩) / ٣٢.
٢ـ مجمع البيان ٥ / ٢٧٤ ـ ٢٧٥.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٦٣.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٤١٢.
٥ـ مجمع البيان ٥ / ٢٧٥.
٦ـ مجمع البيان ٥ / ٢٧٥.

«عصيب»؛ أي: شديد.[١]

[٧٨] «وَ جَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَ مِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللهَ وَ لَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ».

«يهرعون»؛ أي: يسرعون إليه كأنّهم يدفعون دفعاً لطلب الفاحشة من أضيافه. «و من قبل» ذلك الوقت «كانوا يعملون السيّئات»: الفواحش، فتمرّنوا بها و لم يستحيوا منها حتّى جاؤوا مجاهدين لها.[٢]

عن أبي جعفر عليه السلام: كان قوم لوط من أفضل قوم خلقهم الله. فطلبهم إبليس الطلب الشديد. فكان يخرب عليهم في أعمالهم و مكاسبهم. فترصّدوا له و لزموه، فإذا هو غلام أحسن ما يكون من الغلمان. فقالوا له: أنت الذي تخرب متاعنا مرّة بعد مرّة؟ فاجتمع رأيهم على قتله. فبيّتوه عند رجل. فلمّا كان اللّيل، صاح و قال: كان أبي ينوّمني على بطنه. فنوّمه الرجل على بطنه فلم يزل يدلك ذكر الرجل حتّى علّمه ذلك الفعل. فلمّا علّمهم، فرّ من بينهم. فاستلذّوا ذلك الفعل حتّى اشتغل الرجال بالرجال، ثمّ جعلوا يرصدون مارّة الطريق فيفعلون بهم حتّى تنكّب مدينتهم الناس. ثمّ تركوا نساءهم و أقبلوا على الغلمان. فأتى إلى النساء بصورة امرأة فعلّمهنّ المساحقة فكانوا كالرجال. فلمّا كملت عليهم الحجّة لمواعظ لوط، بعث الله جبرئيل و ميكائيل و إسرافيل في زيّ غلمان عليهم أقبية، فأتوا لوطاً و هو يحرث. قال: أين تريدون؟ قالوا: أرسلنا سيّدنا إلى ربّ هذه المدينة. قال: إنّهم يأخذون الرجال فيفعلون بهم حتّى ليخرج الدم. فقالوا: أمرنا سيّدنا أن نمرّ وسطها. قال: اصبروا إلى اختلاط الظلام. فدخلوا في اللّيل. و مرّ إبليس فأخذ من حجر امرأة صبيّاً فطرحه في البئر. فتصايح أهل المدينة كلّهم على باب لوط. فلمّا نظروا إلى الغلمان في منزل لوط قالوا: قد

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٦٤.

٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٦٤.

دخلت في عملنا. فقال: هؤلاء ضيفي فلاتفضحون. قالوا: هم ثلاثة. خذ واحداً و أعطنا اثنين. فأدخلهم الحجرة. فكسروا الباب و دخلوا. فقال له جبرئيل: إنّا رسل ربّك. فأخذ كفّاً من بطحاء فضرب بها وجوههم و قال: شاهت الوجوه! فعمي أهل المدينة كلّهم. فقال لهم: يا رسل ربّي، فما أمركم ربّي فيهم؟ قالوا: أمرنا أن نأخذهم بسحر. قال: فلي إليكم حاجة. قالوا: و ما هي؟ قال: تأخذونهم الساعة. قالوا: «أليس الصبح بقريب»؟ فخذ أنت بناتك و امض و دع امرأتك.(١)

عن أبي عبدالله عليه السلام: لمّا دخل الملائكة منزل لوط، صعدت امرأته فوق السطح فصفقت. فلم يسمعوا. فدخنت. فلّما رأوا الدخان، أقبلوا يهرعون.(٢)

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كانت امرأة لوط تخرج فتصفق، فإذا سمعوا قوم لوط الصفير، جاؤوا. فلذلك كره الصفير.(٣)

«هؤلاء بناتي». عن ابن يقطين قال: سألت الرضا عليه السلام عن إتيان الرجل المرأة من خلفها. قال: أحلّه آية من كتاب الله عزّ و جلّ؛ قول لوط: «هؤلاء بناتي هنّ أطهر لكم». و قد علم أنّهم لايريدون الفرج.(٤)

عرض عليهم نكاح بناته و قال: هنّ أحلّ لكم من الرجال. فدعاهم إلى الحلال. قيل: أراد بناته لصلبه. و قيل: أراد النساء من أمّته. لأنّهنّ كالبنات له. فإنّ كلّ نبيّ أبو أمّته. و أمّا عرضهنّ، فقيل بالتزويج، لأنّه كان يجوز في شرعه تزويج المؤمنة من الكافر، كما زوّج النبيّ ابنته من أبي العاص بن الربيع قبل أن يسلم ثمّ نسخ ذلك. و قيل: إنّه كان لهم سيّدان مطاعان فأراد أن يزوّجهما ابنتيه. «رشيد»: أصاب الرشد فيعمل بالمعروف و ينهى عن المنكر. أو يكون رشيد بمعنى مرشد.(٥)

١ـ الكافي ٥ / ٥٤٤ ـ ٥٤٦، ح ٥.
٢ـ تفسير القمّيّ ١ / ٣٣٤.
٣ـ علل الشرائع / ٥٦٤.
٤ـ تهذيب الأحكام ٧ / ٤١٤ ـ ٤١٥، ح ١٦٥٩.
٥ـ مجمع البيان ٥ / ٢٧٩ ـ ٢٨٠.

[٧٩] «قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَ إِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ».

«من حقّ»؛ أي: لانرغب في النساء و تعلم أنّ ميلنا إلى الغلمان.(١)

[٨٠] «قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ».

«قوّة»: قدرة و جماعة أتقوّى بهم عليكم. «أو آوي»: أنضمّ إلى عشيرة تنصرني عليكم.(٢)

عن أبي عبدالله عليه السلام: القوّة القائم عليه السلام. و الركن الشديد أصحابه. لأنّ الرجل منهم يعطى قوّة أربعين رجلاً و أنّ قلبه أشدّ من زبر الحديد.(٣)

[٨١] «قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَ لَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ».

قال الصادق عليه السلام: فكاثروه حتّى دخلوا البيت. فقال له جبرئيل: دعهم أن يدخلوا. فلمّا دخلوا أهوى جبرئيل بأصبعه نحوهم فذهبت أعينهم. و لمّا رأت الملائكة ما لقي لوط من قومه، «قالوا يا لوط إنّا رسل ربّك» أرسلنا لهلاكهم فلاتغتمّ. «لن يصلوا إليك» بسوء. «بقطع من اللّيل»؛ أي: ظلمة اللّيل. أو: بعد نصف اللّيل. «و لايلتفت»؛ يعني: لاينظر أحد منكم وراءه. كأنّهم تعبّدوا بذلك للنجاة بالطاعة في هذه العبادة. أو لايلتفت منكم أحد إلى ماله و لا متعلّقه بالمدينة. و ليس معنى يلتفت من الرؤية. أو أمرهم أن لايلتفتوا إذا سمعوا الهدّة. «إلّا امرأتك». ابن‌كثير و أبوعمرو بالرفع. و الباقون بالنصب. قيل: إنّها التفتت حين سمعت الهدّة و قالت: واقوماه! فأصابها حجر فقتلها. و قيل: «إلّا امرأتك» معناه: لاتسر بها. إنّه يصيبها من العذاب ما يصيبهم.(٤)

١ـ مجمع البيان ٥ / ٢٧٩ ـ ٢٨٠.

٢ـ مجمع البيان ٥ / ٢٧٩ ـ ٢٨٠.

٣ـ كمال الدين / ٦٧٣، ح ٢٧.

٤ـ مجمع البيان ٥ / ٢٨٠ ـ ٢٨١ و ٢٨٦.

«بقطع». عن أبي عبدالله عليه السلام: «بقطع من اللّيل مظلماً». هكذا قراءة أميرالمؤمنين عليه السلام.[١]

عن أبي جعفر عليه السلام أنّ امرأته بقيت عند قومها تخبرهم أنّ لوطاً سار ببناته.[٢]

«إلّا امرأتك». بالنصب، استثناء من «فأسر بأهلك». و يجوز أن ينتصب عن «لايلتفت»، و إن كان الأفصح هو الإبدال من «أحد» كما في قراءة الرفع. و روي أنّه أخرجها معهم، فلمّا سمعت هدّة العذاب، التفتت فأصابها حجر. و روي أنّه خلّفها. و اختلاف القراءتين لاختلاف الروايتين.[٣]

«إلّا امرأتك». استثناء من «فأسر بأهلك». و هذا إنّما يصحّ على تأويل الالتفات بالتخلّف. فإنّه إن فسّر بالنظر إلى الوراء، ناقض قراءة ابن‌كثير بالرفع على البدل من «أحد». و لايجوز حمل القراءتين على الروايتين في أنّه خلّفها مع قومها أو أخرجها ثمّ أصابها حجر. لأنّ القواطع لايصحّ حملها على المعاني المتناقضة. فيكون الاستثناء في القراءتين من «و لايلتفت».[٤]

«إنّ موعدهم» ـ الآية. لمّا أخبر الملائكة بهلاك قومه، قال لهم: أهلكوهم الساعة، لشدّة غيظه عليهم. و قولهم: «أليس الصبح بقريب» تسلية له، أو لأنّ الصبح جعل ميقات إهلاكهم لأنّ الناس فيه أجمع.[٥]

[٨٢ ـ ٨٣] «فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَ أَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ * مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَ مَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ».

«جاء أمرنا»؛ أي: أمرنا الملائكة بإهلاك قوم لوط. «عاليها سافلها». أدخل جبرئيل جناحه تحت الأرض فرفعها حتّى سمع أهل السماء الدنيا صياح الديك و نباح الكلاب، ثمّ قلبها. «و أمطرنا عليها»: على القرية؛ أي: على الغائبين من أهل القرية «حجارة». و قيل:

١ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ١٥٨، ح ٥٨.
٢ـ علل الشرائع ٢ / ٢٧١.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٤١٦.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٦٥.
٥ـ مجمع البيان ٥ / ٢٨١.

أمطرت الحجارة على تلك القرية حين رفعها جبرئيل. قيل: إنّها كانت أربع مدائن. «و أمطرنا». قال أبوعبيدة: يقال مطر في الرحمة، و أمطر في العذاب. «سجّيل». معرّب سنگ گل. بيّن ذلك صلابتها و أنّها ليست من جنس ما جرت به عادتهم في سقوط البرد من الغيوم. و قيل: إنّ السجّيل الطين. و قيل: هو الآجر. و قيل: إنّ السجّيل اسم السماء الدنيا. «منضود». صفة حجارة. أي: نضد بعضها على بعض حتّى صار حجراً. و قيل: يتبع بعضها بعضاً. «مسوّمة»؛ أي: معلمة جعل فيها علامات تدلّ على أنّها معدّة للعذاب. و قيل: كان مكتوباً على كلّ حجر منها اسم صاحبها. «عند ربّك»؛ أي: في علمه، أو في خزائنه. «ببعيد». أي من أمّتك يا محمّد. أراد بذلك ذهاب قريش. و قيل: يعني بذلك قوم لوط، يريد أنّها لم تكن تخطئهم. و ذكر أنّ حجراً بقي معلّقاً بين السماء و الأرض أربعين يوماً يتوقّع به رجلاً من قوم لوط كان في الحرم حتّى خرج منه فأصابه. و كانوا أربعة آلاف ألف.(١)

«عاليها سافلها». عن أبي جعفر عليه السلام: كانت قراهم في نواحي الشام. فلمّا قلبها، صارت تلولاً في البحر.(٢)

عن أبي عبدالله عليه السلام: من مات مصرّاً على اللّواط، لم يمت حتّى يرميه الله بحجر من تلك الأحجار فتكون فيه ميتته.(٣)

«منضود». نضد في السماء نضداً معدّاً للعذاب. «مسوّمة»: معلمة ببياض و حمرة. «و ما هي» الضمير للقرى. أي: هي قريبة من ظالمي مكّة يمرّون بها في مسايرهم.(٤)

[٨٤] «وَ إِلىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلٰـهٍ غَيْرُهُ وَ لَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَ الْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ».

«مدين». قرية على طريق الشام.(٥)

١ـ مجمع البيان ٥ / ٢٨١ ـ ٢٨٢.

٢ـ علل الشرائع / ٥٥١.

٣ـ الكافي ٥ / ٥٤٨، ح ٩.

٤ـ الكشّاف ٢ / ٤١٦.

٥ـ الكشّاف ٢ / ٤١٦.

«مدين». أراد أولاد مدين بن إبراهيمعليه السلام، أو أهل مدين، و هو بلد بناه فسمّي باسمه.

«عذاب يوم محيط». يعني عذاب الاستئصال.(١)

«و لاتنقصوا». عن أبي جعفرعليه السلام: ما من قوم نقصوا المكيال و الميزان إلّا أخذهم بالسنين و شدّة المؤونة و جور السلطان.(٢)

«بخير»؛ أي: بثروة و سعة تغنيكم عن التطفيف أو: أراكم بنعمة من الله حقّها أن تقابل بغير ما تفعلون. أو: أراكم بخير فلاتزيلوه عنكم بما أنتم عليه. «يوم محيط»؛ أي: مهلك. و أصله من إحاطة العدوّ. و وصف اليوم بالإحاطة أبلغ من وصف العذاب. لأنّ اليوم زمان يشتمل على الحوادث، فإذا أحاط بعذابه، فقد اجتمع للمعذّب ما اشتمل عليه منه كما إذا أحاط بنعيمه.(٣)

«عذاب يوم محيط»؛ أي: يحيط عذابه بجميع الكفّار. و هو يوم القيامة.(٤)

[٨٥] «وَ يَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَ الْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَ لَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَ لَاتَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ».

«أوفوا المكيال». إن قلت: النهي عن النقصان أمر بالإيفاء. فما فائدة قوله: «أوفوا»؟ قلت: نهوا أوّلاً عن عين القبيح الذي كانوا عليه، لأنّ في التصريح بالقبيح بعثاً على المنهيّ، ثمّ ورد الأمر بالإيفاء الذي هو حسن في العقول مصرّحاً بلفظه لزيادة ترغيب. «بالقسط»؛ أي: العدل من غير زيادة و لا نقصان. «و لاتبخسوا». البخس: النقص. كانوا يأخذون من كلّ شيء يباع شيئاً، أو كانوا ينقصون من أثمان ما يشترون من الأشياء، فنهوا عن ذلك. «و لاتعثوا». العثيّ في الأرض نحو السرقة و الغارة وقطع السبيل. أو يكون العثيّ هو التطفيف.(٥)

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٦٦.

٢ـ الكافي ٢ / ٣٧٣، ح ١.

٣ـ الكشّاف ٢ / ٤١٧.

٤ـ مجمع البيان ٥ / ٢٨٥.

٥ـ الكشّاف ٢ / ٤١٧ - ٤١٨.

[٨٦] «بَقِيَّةُ اللهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَ مَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ».

«بقيّة الله» ؛ أي: مايبقى لكم من الحلال بعد التنزّه عن الحرام خير لكم بشرط أن تؤمنوا، لظهور فائدتها مع الايمان و هو حصول النجاة. أو كان المراد: إن كنتم مصدّقين لي فيما أقول لكم و أنصح به إيّاكم. أو يراد: ما يبقى لكم عند الله من الطاعات. و إضافة البقيّة إلى الله من حيث إنّها رزقه، لأنّ الحرام لايسمّى رزقاً و لايضاف إليه. و إن أريد بها الطاعة، فكما يقال طاعة الله. «بحفيظ»؛ أي: أحفظ أعمالكم و أجازيكم عليها. و إنّما بعثت مبلّغاً و ناصحاً و قد أعذرت حين أنذرت.[١]

عن أبي جعفرعليه السلام: إذا خرج القائم عليه السلام أسند ظهره إلى الكعبة. فاجتمع عليه ثلاثمائة و ثلاثة عشر رجلاً. فأوّل ما ينطق به هذه الكلمة: «بقيّة الله خيرٌ لكم إن كنتم مؤمنين». ثمّ يقول: أنا بقيّة الله و حجّته و خليفته عليكم. فلايسلّم عليه مسلّم إلّا قال: السلام عليك يا بقيّة الله في أرضه.[٢]

[٨٧] «قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ».

«أ صلاتك». قالوا هذا استهزاء.

المعنى: أ صلاتك تأمرك بتكليف أن نترك؟ فحذف المضاف لأنّ الرجل لايؤمر بفعل غيره.[٣]

«أ صلاتك». أهل الكوفة غير أبي‌بكر: «أ صلاتك» بغير واو على التوحيد، و الباقون بالجمع. إنّما قالوا ذلك لأنّ شعيباً كان كثير الصلاة وكان يقول: إنّ الصلاة ناهية عن الفحشاء و المنكر. فقالوا: أ صلاتك التي تزعم أنّها تأمر بالخير و تنهى عن الشرّ أمرتك بهذا؟ و إنّما قالوا ذلك على جهة الاستهزاء. «أو أن نفعل»؛ أي: تأمرك بأن نترك فعل ما نشاء في أموالنا

١ـ الكشّاف ٢ / ٤١٨ ـ ٤١٩.
٢ـ كمال الدين ٦ / ٣٣١، ح ١٦.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٦٦.

من البخس و التطفيف. «الحليم الرشيد». قالوا ذلك على وجه التهكّم. و قيل: على التحقيق. أي: أنت حليم في قومك فلايليق بك أن تخالفهم. و الرشيد: المرشد.(١)

[٨٨] «قَالَ يَا قَوْمِ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَ رَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً وَ مَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَ مَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَ إِلَيْهِ أُنِيبُ».

«بيّنة». إشارة إلى ما آتاه الله من العلم و النبوّة. [«رزقاً حسناً». إشارة إلى ما آتاه الله من المال الحلال.] و جواب «إن» محذوف. تقديره: [فهل يسع لي مع هذا الإنعام الجامع] أن أخون في وحيه؟ «أن أخالفكم» ؛ أي: ما أريد أن آتي بما أنهاكم عنه لأستبدّ به. فلو كان صواباً، لآثرته و لم أعرض عنه فضلاً أن أنهى عنه. يقال: خالفت زيداً إلى كذا، إذا قصدته و هو مولّ عنه.(٢)

«رزقاً حسناً». قيل: هو النبوّة. و قيل: الهداية في الدين و السعة في الرزق. لأنّه كان كثير المال. و في الكلام حذف. أي: فأعدل مع ذلك عمّا أنا عليه من عبادته. «أن أخالفكم»؛ أي: لست أنهاكم عن شيء و أدخل فيه. و إنّما أختار لكم ما أختاره لنفسي. و معنى ما أخالفكم إليه أي: ما أقصده بخلافكم إلى ارتكابه. كقوله: «لاتنه عن خلق و تأتي مثله». و قيل: معناه: ما أريد اجترار منفعة لنفسي بما أنهاكم عنه. أي: لا آمركم بترك التطفيف ليكون منفعة ما يحصل بالتطفيف لي. «إن أريد»؛ أي: ما أريد بما آمركم به و أنهاكم إلّا إصلاح أمور دارَيْكم. «ما استطعت»؛ أي: ما قدرت عليه و تمكّنت منه. «و ما توفيقي» في امتثال ما آمركم به و الانتهاء عمّا أنهاكم عنه. «أنيب»؛ أي: أرجع بعملي و نيّتي.(٣)

[٨٩] «وَ يَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ

١ـ مجمع البيان ٥ / ٢٨٦.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٦٦ ـ ٤٦٧.
٣ـ مجمع البيان ٥ / ٢٨٦ ـ ٢٨٧.

أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَ مَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ».

«لايجرمنّكم». ابن‌كثير بضمّ الياء.[١]

«لايجرمنّكم»؛ أي: لايكسبنّكم خلافي و معاداتي. «أن يصيبكم» عذاب العاجلة. أو: لايحملنّكم عداوتي على مخالفة ربّكم فيصيبكم من العذاب مثل ما أصاب من قبلكم. و كان سبب هذه العداوة دعاؤهم له[٢] إلى مخالفة دين الآباء و الأجداد و ترك التطفيف. «مثل ما أصاب قوم نوح» من الغرق «أو قوم هود» من الريح العقيم «أو قوم صالح» من الرجفة. «و ما قوم لوط منكم ببعيد»؛ أي: هم قريب منكم في الزمان الذي بينكم و بينهم. أو: إنّ ديارهم قريبة من داركم فيجب أن تتّعظوا بهم.[٣]

«ببعيد»؛ أي: ليسوا ببعيد منكم في الكفر و المساوي فلايبعد عنكم ما أصابهم. و إفراد البعيد لأنّ المراد: و ما إهلاكهم.[٤]

[٩٠] «وَ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ».

«و استغفروا ربّكم»؛ أي: اطلبوا المغفرة من الله، ثمّ توصّلوا إليها بالتوبة. و [قيل: معناه:] استغفروا للماضي و اعزموا في المستقبل. و [قيل:] استغفروا في العلانية ثمّ أضمروا الندامة في القلب. «رحيم» بعباده يقبل توبتهم و يعفو عن معاصيهم. «ودود»؛ أي: مجيب لهم مريد لمنافعهم. أو: متودّد إلى عباده بكثرة إنعامه عليهم. أو بمعنى الوادّ. أي يودّهم إذا أطاعوه.[٥]

«و استغفروا». عن النبيّ ﷺ يقول لأصحابه: لولا أنّكم تذنبون فتستغفرون الله، لخلق الله خلقاً حتّى يذنبوا ثمّ يستغفروا الله فيغفر لهم. إنّ المؤمن مفتّن توّاب. أما سمعت قول الله

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٦٧.

٢ـ كذا في النسخة. و في المصدر: «دعاؤه لكم». و الظاهر أنّ الصحيح: «دعاؤه لهم».

٣ـ مجمع البيان ٥ / ٢٨٧.

٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٦٧.

٥ـ مجمع البيان ٥ / ٢٨٧.

عزّ و جلّ: [«إنّ الله يحبّ التوّابين و يحبّ المتطهّرين»[١]؟ و قال:] «استغفروا ربّكم ثمّ توبوا إليه».[٢]

[٩١] «قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِمَّا تَقُولُ وَ إِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً وَ لَوْ لَا رَهْطُكَ لَرَجَمْـنَاكَ وَ مَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ».

«ما نفقه» ؛ أي: ما نفهم معنى كثير من كلامك، أو لانعمل به. و إنّما قالوا ذلك بعد مـا ألزمهم الحجّة. «فينا ضعيفاً»؛ أي: ضعيف البدن. و قيل: أعمى. لأنّه كان أعمى و الحمير تسمّي المكفوف ضعيفاً. و هذا القول ليس بسديد. لأنّ قوله: «فينا» يردّه. لأنّ الأعـمى يكون [أعمى] فيهم و في غيرهم. و قيل: ضعيفاً؛ أي: مهيناً. و اختلف في أنّ النبيّ هل يجوز أن يكون أعمى. فقيل: لايجوز. لأنّ ذلك ينفّر. و قيل: يجوز و لايكون فيه تنفير و يكون بمنزلة سائر العلل و الأمراض. «و لولا رهطك»؛ أي: و لولا حرمتهم، لقتلناك بالحجارة. و [قيل: معناه:] لشتمناك و سببناك.[٣]

«و لولا رهطك»؛ أي: قومك و عزّتهم عندنا لكونهم على ملّتنا، لا لخوف من شوكتهم. فإنّ الرهط من الثلاثة إلى العشرة. و قيل: إلى السبعة.[٤]

«كثيراً ممّا تقول». لأنّهم كانوا لايلقون إليه أذهانهم كراهية له. «و ما أنت علينا بعزيز» حتّى نكرمك من القتل، و إنّما يعزّ علينا رهطك. و قد دلّ إيلاء ضميره حرف النفي على أنّ الكلام واقع في الفاعل لا في الفعل. كأنّه قيل: و ما أنت علينا بعزيز بل قومك هم الأعزّة علينا. و لذلك قال في الجواب: «أ رهطي».[٥]

[٩٢] «قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَ اتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيّاً إِنَّ رَبِّي بِمَا

١ـ البقرة (٢) / ٢٢٢.

٢ـ الكافي ٢ / ٤٢٤.

٣ـ مجمع البيان ٥ / ٢٨٧ ـ ٢٨٨.

٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٦٨.

٥ـ الكشّاف ٢ / ٤٢٣ ـ ٤٢٤.

تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ».

فإن قلت: الكلام واقع فيه و في رهطه و أنّهم الأعزّة عليهم دونه. فكيف صحّ قوله: «أ رهطي أعزّ عليكم من الله»؟ قلت: تهاونهم به ـ و هو نبيّ الله ـ تهاون بالله، فكان رهطه أعزّ عليهم من الله. ألاترى إلى قوله تعالى: «من يطع الرسول فقد أطاع الله»؟[1] «ظهريّاً» أي: نسيتموه و جعلتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر. و الظهريّ منسوب إلى الظهر و الكسر من تغييرات النسب.[2]

كان شعيب عليه السلام في عزّ من قومه و كان من أشرافهم. و ما بعث نبيّ من بعد لوط إلّا في عزّ من قومه. «أعزّ عليكم من الله»؛ أي: عشيرتي أعظم حرمة عندكم من الله فتتركون أذاي لأجل عشيرتي و ما تتركونه لله الذي بعثني إليكم؟ «و اتّخذتموه». قيل: الضمير راجع إلى ما جاء به شعيب عليه السلام. و المعنى: نبذتم ما أرسلت به إليكم وراء ظهوركم.[3]

[٩٣] «وَ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَ مَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَ ارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ».

«على مكانتكم»؛ أي: اعملوا على حالتكم هذه. و المكانة: الحالة التي يتمكّن صاحبها من العمل. وهذا تهديد في صورة الأمر.[4]

«على مكانتكم». إمّا بمعنى المكان، يقال مكان و مكانة، أو يكون مصدراً من مكن مكانة فهو مكين. و المعنى: قارّين على جهتكم التي أنتم عليها من الشرك و الشنآن لي. أو: اعملوا متمكّنين من عداوتي مطيقين لها. «إنّي عامل» على حسب ما يؤتيني الله من النصرة و التأييد. «سوف تعلمون». إن قلت: أيّ فرق بين إدخال الفاء[5] و نزعها في «سوف تعلمون»؟ قلت: إدخال الفاء وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل، و نزعها وصل خفيّ

١ـ النساء (٤) / ٨٠.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٤٢٤.
٣ـ مجمع البيان ٥ / ٢٨٨.
٤ـ مجمع البيان ٥ / ٢٨٨.
٥ـ كما ورد في الآية ٣٩ من هذه السورة.

تقديريّ بالاستئناف الذي هو جواب سؤال مقدّر. كأنّهم قالوا: فما ذا يكون إذا عملنا نحن و عملت أنت؟ فقال: سوف تعلمون. فوصل بالفاء تارة و تارة بالاستئناف للتفنّن في البلاغة. و الاستئناف أبلغهما. «من يأتيه». يجوز أن يكون «من» استفهاميّة معلّقة لفعل العلم و أن تكون موصولة. «و من هو كاذب». إن قلت: كان القياس أن يقول: و من هو صادق حتّى ينصرف «من يأتيه عذاب» إلى الجاحدين و «من هو صادق» إلى النبيّ المبعوث؟ قلت: القياس ما ذكرت، ولكنّهم لمّا كانوا يدعونه كاذباً قال: «و من هو كاذب» يعني في زعمكم تجهيلاً لهم. «و ارتقبوا»: انتظروا العاقبة و ما أقول لكم. «رقيب». بمعنى الراقب، من رقبه، كالضريب. أو بمعنى المراقب، كالنديم. أو بمعنى المرتقب، كالرفيع.[١]

«و من هو كاذب». عطف على «من يأتيه» لا لأنّه قسيم له كقولك: ستعلم الكاذب و الصادق، بل لأنّهم لمّا أوعدوه و كذّبوه قال: سوف تعلمون من المعذّب و الكاذب منّي و منكم.[٢]

[٩٤] «وَ لَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْباً وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَ أَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ».

«و لمّا جاء أمرنا». إنّما ذكره بالواو كما في قصّة عاد، إذ لم يسبقه ذكر وعد يجري مجرى السبب له، بخلاف قصّتي صالح و لوط؛ فإنّه ذكر بعد الوعيد. و ذلك قوله: «وعد غير مكذوب» و قوله: «إنّ موعدهم الصبح». فلذلك جاء بفاء السببيّة.[٣]

«جاثمين». الجاثم: اللّازم لمكانه؛ كاللّابد. يعني أنّ جبرئيل عليه السلام صاح بهم صيحة فزهق روح كلّ واحد منهم بحيث هو قعصا.[٤]

[٩٥] «كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْداً لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ».

١ـ الكشّاف ٢ / ٤٢٤ - ٤٢٥.

٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٦٨.

٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٦٨.

٤ـ الكشّاف ٢ / ٤٢٥.

«كأن لم يغنوا»؛ أي: كأن لم يقيموا في ديارهم أحياء متصرّفين. «ألا بعداً»: الهلاك. أو: بعداً من رحمة الله.(١)

[٩٦] «وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسىٰ بِآيَاتِنَا وَ سُلْطَانٍ مُبِينٍ».

«و سلطان مبين». أي الآيات فيها سلطان مبين لموسى عليه السلام على صدق نبوّته. أو يراد بالسلطان المبين العصا، لأنّه أبهرها.(٢)

[٩٧ ـ ٩٨] «إِلىٰ فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَ مَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ * يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَ بِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ».

«برشيد». تجهيل لمتّبعيه حيث شايعوه على أمره و هو ضلال مبين، لأنّه ادّعى الإلهيّة و هو بشر مثلهم. «يقدم قومه»؛ أي: كما كان قدوة لهم في الضلال، كذلك يتقدّمهم إلى النار و هم يتّبعونه. و يجوز أن يريد بقوله: «و ما أمر فرعون برشيد» أي صالح حميد العاقبة و يكون قوله «يقدم قومه» تفسيراً لذلك و إيضاحاً. و قوله: «فأوردهم» مكان يوردهم دلالة على التحقّق و الوقوع. «بئس الورد المورود» الذي وردوه. شبّه بالفارط الذي يتقدّم الواردة إلى الماء. و شبّه أتباعه بالواردة، ثمّ قال: بئس الورد الذي يردونه النار. لأنّ الورد إنّما يراد لتسكين العطش و تبريد الأكباد و النار ضدّه.(٣)

«ملئه»؛ أي: قومه، أو أشرافهم لأنّهم يملؤون الصدور هيبة. «و ما أمر». الأمر هنا بمعنى الفعل. «و بئس الورد المورود». الورد: ورود الماء الذي يورد، و الإبل الواردة. أي: بئس الماء الذي يردونه عطاشاً لإحياء أنفسهم النار.(٤)

[٩٩] «وَ أُتْبِعُوا فِي هٰذِهِ لَعْنَةً وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ».

١ـ الكشّاف ٢ / ٤٢٥.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٤٢٦.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٤٢٦.
٤ـ مجمع البيان ٥ / ٢٩١ و ٢٨٩.

«و أتبعوا في هذه لعنة». أي يلعنون في الدنيا و يلعنون في الآخرة. «بئس الرفد المرفود» رفدهم. أي: بئس العون المعان. و ذلك أنّ اللّعنة في الدنيا رفد للعذاب و مدد له و قد رفدت باللّعنة في الآخرة. و قيل: العطاء المعطى.(١)

و الرفد: العون على الأمر. و يقال: رفده، إذا أعطاه.(٢)

[١٠٠] «ذٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَ حَصِيدٌ».

«ذلك». مبتدأ، «من أنباء» خبره. «نقصّه عليك». خبر بعد خبر. أي: ذلك النبأ بعض أنباء القرى المهلكة مقصوص عليك. «منها». الضمير للقرى. أي: بعضها باق و بعضها عافي الأثر كالزرع القائم على ساقه و الذي حصد.(٣)

«منها قائم و حصيد»؛ أي: من تلك القرى قائم على بنائه لم يذهب أصلاً و إن كان خالياً من أهله، و حصيد قد خرب و اندرس كالشيء المحصود.(٤)

«حصيد». قال عليه السلام: الحصيد لا يكون إلّا بالحديد.(٥)

[١٠١] «وَ مَا ظَلَمْنَاهُمْ وَ لٰكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَ مَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ».

«و ما ظلمناهم» بإهلاكنا إيّاهم. «ولكن ظلموا أنفسهم» بارتكاب ما به أهلكوا. «فما أغنت عنهم آلهتهم»؛ أي: ماقدرت تردّ بأس الله. «لمّا». منصوب بأغنت. «أمر ربّك»: عذابه. «تتبيب»؛ أي: تخسير.(٦)

«و ما زادوهم». و إنّما أضاف الإهلاك إلى الأصنام لأنّها السبب في ذلك.(٧)

١ـ الكشّاف ٢ / ٤٢٦.
٢ـ مجمع البيان ٥ / ٢٩٠.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٤٢٦ ـ ٤٢٧.
٤ـ مجمع البيان ٥ / ٢٩١.
٥ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ١٥٩، ح ٦٣.
٦ـ الكشّاف ٢ / ٤٢٧.
٧ـ مجمع البيان ٥ / ٢٩٢.

[١٠٢] «وَ كَذٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرىٰ وَ هِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ».

«و كذلك». محلّ الكاف الرفع. أي: مثل ذلك الأخذ «أخذ ربّك». «و هي ظالمة». حال من القرى.[١]

[١٠٣] «إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذٰلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَ ذٰلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ».

«إنّ في ذلك»؛ أي: ما قصّ الله من قصص الأمم الهالكة. «لآية»: لعبرة. لأنّه ينظر إلى ما أحلّ الله بالمجرمين في الدنيا، و ما هو إلّا أنموذج ممّا أعدّ لهم في الآخرة، فإذا رأى عظمته، اعتبر به عظم العذاب الموعود فيكون لطفاً في زيادة التقوى. «ذلك». إشارة إلى يوم القيامة. لأنّ «عذاب الآخرة» دلّ عليه. و الناس مرفوع بمجموع. و اختيار اسم المفعول على الفعل لدلالته على ثبات معنى الجمع لليوم و أنّه يوم لابدّ من أن يكون ميعاداً مضروباً يجمع له الناس. «يوم مشهود»؛ أي: مشهود فيه. فاتّسع في الظرف بإجرائه مجرى المفعول بـه. أي: تشهد فيه الخلائق الموقف لايغيب عنه أحد. و إنّما لم يجعل مشهوداً في نفسه، لأنّ الغرض وصفه بالهول و العظم و تميّزه من بين الأيّام. فإن جعلته مشهوداً في نفسه، فسائر الأيّـام كذلك مشهودات ولكن يجعل مشهوداً فيه ليحصل التميّز.[٢]

[١٠٤] «وَ مَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ».

«إلّا لأجل»؛ أي: انتهاء مدّة معدودة.[٣]

«نؤخّره». يعقوب: «يؤخّره» بالياء.[٤]

[١٠٥] «يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَ سَعِيدٌ».

١ـ الكشّاف ٢ / ٤٢٧.

٢ـ الكشّاف ٢ / ٤٢٧ - ٤٢٨.

٣ـ الكشّاف ٢ / ٤٢٩.

٤ـ مجمع البيان ٥ / ٢٩٣.

«يوم يأت». إذا جعلت الفاعل ضمير اليوم، المراد [إتيان] هوله و شدائده. أو فاعل يأت الله عزّ وجلّ. كقوله: «هل ينظرون إلّا أن يأتيهم الله»[١] «أو يأتي ربّك»[٢] «و جاء ربّك».[٣] و يعضده قراءة من قرأ: «و مايؤخّره» بالياء و قوله: «بإذنه». و يجوز أن يكون الفاعل ضمير اليوم. كقوله: «أن تأتيهم الساعة».[٤] و الظرف منصوب إمّا بلاتكلّم و إمّا بإضمار اذكر. «لاتكلّم نفس». إن قلت: ما التوفيق بين هذا و بين قوله: «يوم تأتي كلّ نفس تجادل عن نفسها»[٥] و قوله: «هذا يوم لاينطقون»؟[٦] قلت: ذلك يوم له مواقف و مواطن. ففي بعضها يجادلون عن أنفسهم، و في بعضها يكفّون عن الكلام فلايؤذن لهم، و في بعضها تختم على أفواههم و تكلّم أيديهم. «فمنهم»؛ أي: من أهل الموقف.[٧]

«يوم يأت». ابن‌عامر و أهل الكوفة [غير الكسائيّ] بغير ياء. و الباقون بالياء.[٨]

«لاتكلّم نفس» بما ينفعها.[٩]

«فمنهم شقيّ و سعيد». عبدالله بن سلام قال: سألت رسول الله ﷺ عن أولاد المشركين في الجنّة أم في النار. قال: إذا كان يوم القيامة أتي بأولاد المشركين فيأمر الله ناراً يقال [لها] الفلق أشدّ جهنّم عذاباً، فتخرج سوداء مظلمة بالسلاسل و الأغلال، فتنفخ في وجوه الخلائق نفخة فتنطمس النجوم و تزول الجبال و تضع الحوامل، فيأمر أولاد المشركين أن يلقوا أنفسهم فيها. فمن سبق في علم الله أن يكون سعيداً، ألقى نفسه فيها فكانت برداً و سلاماً كما كانت على إبراهيم. و من سبق في علم الله أن يكون شقيّاً، امتنع فيأمر الله النار لتلتقطه لتركه دخولها، فيكون تبعاً لآبائه في جهنّم. و ذلك قوله سبحانه: «فمنهم شقيّ و سعيد» ـ الآية.[١٠]

١ـ البقرة (٢) / ٢١٠.
٢ـ الأنعام (٦) / ١٥٨.
٣ـ الفجر (٨٩) / ٢٢.
٤ـ يوسف (١٢) / ١٠٧: «أو تأتيهم الساعة».
٥ـ النحل (١٦) / ١١١.
٦ـ المرسلات (٧٧) / ٣٥.
٧ـ الكشّاف ٢ / ٤٢٩.
٨ـ مجمع البيان ٥ / ٢٩٣.
٩ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٧٠.
١٠ـ التوحيد / ٣٩٠ ـ ٣٩٢، ح ١.

[١٠٦] «فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَ شَهِيقٌ».

«زفير و شهيق». الزفير إخراج النفس، و الشهيق ردّه.(١)

[١٠٧ ـ ١٠٨] «خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمٰوَاتُ وَ الْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ * وَ أَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمٰوَاتُ وَ الْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ».

«ما دامت السموات». إمّا أن يراد سموات الآخرة و أرضها وهي دائمة للأبد. و الدليل على أنّ لها سموات و أرضاً قوله: «يوم تبدّل الأرض غير الأرض و السموات».(٢) أو يكون عبارة عن التأبيد؛ كقول العرب: ما لاح كوكب. «إلّا ما شاء ربّك». فإن قلت: ما معنى الاستثناء و قد ثبت خلود أهل الجنّة و النار من غير استثناء؟ قلت: هو استثناء من الخلود في النار و الجنّة. و ذلك أنّ أهل النار لايخلدون في النار وحده بل يعذّبون بالزمهرير و بأنواع من العذاب سوى عذاب النار و بما هو أغلظ منها كلّها و هو سخط الله عليهم و خسؤه لهم و إهانته إيّاهم. و كذلك أهل الجنّة لهم أكبر منها، و هو رضوان الله، و لهم ما يتفضّل الله به عليهم سوى ثواب الجنّة. فهو المراد بالاستثناء. و الدليل عليه قوله: «عطاء غير مجذوذ». و معنى قوله في مقابلته: «إنّ ربّك فعّال لما يريد» أنّه يفعل بأهل النار ما يريد من العذاب كما يعطي أهل الجنّة. و لايخدعنّك قول المجبّرة أنّ المراد بالاستثناء خروج أهل الكبائر من النار بالشفاعة. فإنّ الاستثناء يكذّبه. و ما ظنّك بقوم نبذوا كتاب الله لما روي لهم عن عبدالله بن عمرو بن العاص: ليأتينّ على جهنّم يوم تصفق فيه أبوابها ليس فيها أحد؛ و ذلك بعد ما يلبثون فيها أحقاباً. و من الضلّال من اغترّ بهذا الحديث و اعتقد أنّ الكفّار لايخلدون في النار. و لئن صحّ هذا الحديث، فمعناه أنّهم يخرجون من حرّ النار إلى برد الزمهرير. فذلك خلوّ جهنّم. و أقول: ما كان لابن عمرو في مقابلته عليّ بن أبي طالبعليه السلام ما يشغله عن

١ـ الكشّاف ٢ / ٤٣٠.

٢ـ إبراهيم (١٤) / ٤٨.

تسيير هذا الحديث![1]

«سعدوا». أهل الكوفة غير أبي‌بكر بضمّ السين، و الباقون بفتحها.[2]

«عطاءً». نصب على [المصدر] المؤكّد. أي: أعطوا عطاء. أو حال من الجنّة. «غير مجذوذ»: غير مقطوع. فإنّه تصريح بأنّ الثواب لاينقطع، و تنبيه على أنّ المراد بالاستثناء في الثواب ليس الانقطاع و لأجله فرق بين الثواب و العقاب في التأييد.[3]

«إلّا ما شاء ربّك». اختلف العلماء في هذا الاستثناء على وجوه. أحدها: انّ الاستثناء واقع على مقامهم في المحشر لأنّهم حينئذ ليسوا في جنّة و لا نار، و كذلك مدّة كونهم في البرزخ. فيكون الاستثناء باعتبار ما قبل الدخول. و ثانيها: انّ المراد بالّذين شقوا من أدخل النار من أهل التوحيد و أهل المعاصي. فكأنّه قال: إنّهم يعاقبون في النار إلّا ما شاء ربّك من إخراجهم إلى الجنّة. و أمّا الاستثناء في أهل الجنّة، فهو باعتبار ما قبل الدخول كما تقدّم. و ثالثها: انّه تعليق بالمشيّة على سبيل التأكيد للخلود و التبعيد للخروج. لأنّ الله لايشاء إلّا تخليدهم. هذا حاصل ما ذكروه. و أمّا الذي ورد في الأخبار عن السادة الأطهار عليهم السلام، فهو وجوه. منها ما روي عنهم عليهم السلام من أنّ المراد بالجنّة جنّة الدنيا، أعني وادي السلام، و نارها، أعني برهوت.[4] فيكون المعنى أنّهم مخلّدون فيها إلّا ما شاء الله بإخراجهم منها في وقت خروج صاحب الأمر بإخراجهم منها إلى الدنيا ليتنعّم المؤمنون في زمانه في هذه الدنيا و يعذّب المنافقين و الكافرين فيها. و منها أنّ المراد بالجنّة و النار هنا عداوة أهل البيت و ولايتهم. و حاصل المعنى: انّ من الناس من يخرج من ولايتهم عليهم السلام فيكون قد خرج من الجنّة و شاء الله خروجه لما علم من خبث سريرته، و منهم من يدخله فيها بعد أن كان مقيماً في نار عدواتهم. رواه الثقة العيّاشيّ عن أبي عبدالله عليه السلام.[5] و منها ما رواه حمران عن أبي جعفر عليه السلام في قوله في هذه الآية: «إلّا ما شاء ربّك» قال: نعم، إن شاء جعل لهم دنيا

١ـ الكشّاف ٢ / ٤٣٠ ـ ٤٣١.

٢ـ مجمع البيان ٥ / ٢٩٣.

٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٧١.

٤ـ تفسير القمّيّ ١ / ٣٣٨.

٥ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ١٥٩ ـ ١٦٠، ح ٦٦.

فردّهم، و ماشاء.[١] و منها ما روي عنهم أيضاً أنّه قال: هذا الاستثناء في الذين يخرجون من النار.[٢] و منها ما روي عنهم أيضاً أنّه الاستثناء لأهل النار و أمّا أهل الجنّة فمتعلّق المشيّة «عطاء غير مجذوذ»[٣] فيكون العطاء زيداً على الخلود كما تقدّم.

[١٠٩] «فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هٰؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَ إِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ».

«في مرية»؛ أي: شكّ في عبادة هؤلاء المشركين في أنّها ضلال مؤدّ إلى مثل ما حلّ بمن قبلهم. «مايعبدون إلّا كما يعبد آباؤهم» من عبادة الأوثان. استئناف معناه تعليل النهي عن المرية. أي: هم و آباؤهم سواء في الشرك. «نصيبهم»؛ أي: حظّهم من العذاب كآبائهم، أو من الرزق فيكون عذراً لتأخّر العذاب عنهم مع قيام ما يوجبه. «غير منقوص». حال من النصيب لتقييد التوفية. فإنّك تقول: وفّيته حقّه، و تريد وفاء بعضه و لو مجازاً.[٤]

[١١٠] «وَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَ لَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَ إِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ».

«فاختلف فيه». آمن به قوم و كفر به قوم، كما اختلف هؤلاء في القرآن. «كلمة». يعني كلمة الإنظار إلى يوم القيامة. «لقضي بينهم» بإنزال ما يستحقّه المبطل ليتميّز به عن المحقّ. «منه»؛ أي: من القرآن. «مريب»؛ أي: موقع في الريبة.[٥]

[١١١] «وَ إِنَّ كُلًّا لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ».

«و إنّ كلّاً». ابن‌كثير و نافع و أبوبكر بالتخفيف مع الإعمال اعتباراً بالأصل. أي: إنّ كلّ المختلفين المؤمنين منهم و الكافرين. «لما ليوفّينّهم». اللّام [الأولى] موطّئة للقسم، و الثانية

١ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ١٦٠، ح ٦٨.
٢ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ١٦٠، ح ٦٨.
٣ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ١٦٠، ح ٦٩.
٤ـ تفسيرالبيضاويّ ١ / ٤٧١.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٧١.

للتأكيد. أو بالعكس. و ما مزيدة بينهما للفصل. و قرأ ابن‌عامر و عاصم و حمزة: «لمّا» بالتشديد، على أنّ أصله: لمن ما، فقلبت النون ميماً؛ للإدغام، فاجتمعت ثلاث ميمات، فحذفت أولاهنّ. و المعنى: لمن الذين يوفّينّهم ربّك جزاء أعمالهم.[١]

«و إنّ كلاًّ». التنوين في كلاًّ عوض عن المضاف إليه.[٢]

[١١٢] «فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَ مَنْ تَابَ مَعَكَ وَ لَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ».

«فاستقم كما أمرت». لمّا بيّن الله أمر المختلفين في التوحيد و النبوّة، أمر رسوله بالاستقامة مثل ما أمر بها، و هي شاملة للاستقامة في العقائد كالتوسّط بين التشبيه و التعطيل و الأعمال من تبليغ الوحي و بيان الشرائع كما أنزل و القيام بوظائف العبادات من غير تفريط و إفراط مفوّت للحقوق و نحوها. عن ابن عبّاس: مانزل على رسول الله صلى الله عليه وآله آية أشدّ عليه من هذه الآية. و لهذا قال: شيّبني هود.[٣]

عن جعفر الصادق عليه السلام [«فاستقم كما أمرت» قال:] افتقر إلى الله بصحّة العزم. قال الصحابة: لقد أسرع فيك الشيب يارسول الله صلى الله عليه وآله. قال: شيّبني قوله تعالى: «فاستقم كما أمرت».[٤]

«أمرت». في الآية دلالة على بطلان الاجتهاد. (ع (ره))

«و من تاب معك». أي من الشرك. و هو عطف على المستكنّ في استقم. «و لاتطغوا»: لا تخرجوا عمّا حدّ لكم.[٥]

[١١٣] «وَ لَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ».

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٧١ ـ ٤٧٢. ٢ـ الكشّاف ٢ / ٤٣٢.

٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٧٢، و الكشّاف ٢ / ٤٣٢ ـ ٤٣٣.

٤ـ الكشّاف ٢ / ٤٣٣. ٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٧٢.

«و لاتركنوا»؛ أي: لاتميلوا إليهم أدنى ميل. فإنّ الركون هو الميل اليسير كالتزيّي بزيّهم و تعظيم ذكرهم.(١)

عنهم عليهم السلام أنّ الركون المودّة و النصيحة و الطاعة.(٢)

عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى: «و لاتركنوا إلى الذين ظلموا» قال: هو الرجل يأتي السلطان فيحبّ بقاءه إلى أن يدخل يده كيسه فيعطيه.(٣)

«و ما لكم». حال من قوله: «فتمسّكم النار». أي: فتمسّكم و أنتم على هذه الحالة. و معناه: و ما لكم من دون الله من أنصار يقدرون على منعكم من عذابه، لايقدر على منعكم منه غيره. «ثمّ لاتنصرون»؛ أي: لا ينصركم هو، لأنّه وجب في حكمته تعذيبكم. و ثمّ معناها الاستبعاد. لأنّ النصرة من الله مستبعدة مع استيجابهم العذاب و اقتضاء الحكمة له.(٤)

[١١٤] «وَ أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَ زُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذٰلِكَ ذِكْرىٰ لِلذَّاكِرِينَ».

«طرفي النهار»: غدوة و عشيّة. نصب على الظرف. «و زلفاً من اللّيل»: و ساعات من اللّيل. و هي ساعته القريبة من آخر النهار. من أزلفه، إذا قرّبه. و صلاة الغداة الفجر. و صلاة العشيّة الظهر و العصر. لأنّ ما بعد الزوال عشيّ. و صلاة الزلف المغرب و العشاء. «يذهبن السيّئات». يراد به تكفير الصغائر بالطاعات؛ كما روي أنّ الصلاة إلى الصلاة كفّارة ما بينهما ما اجتنب الكبائر. أو يراد كون الحسنات لطفاً في ترك السيّئات؛ كقوله: «إنّ الصلاة تنهى عن الفحشاء و المنكر».(٥) «ذلك». إشارة إلى قوله: «و استقم» و ما بعده. «ذكرى للذاكرين»؛ أي: عظة للمتّعظين.(٦)

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٧٢.

٢ـ مجمع البيان ٥ / ٣٠٦.

٣ـ الكافي ٥ / ١٠٨ ـ ١٠٩، ح ١٢.

٤ـ الكشّاف ٢ / ٤٣٤.

٥ـ العنكبوت (٢٩) / ٤٥.

٦ـ الكشّاف ٢ / ٤٣٤ ـ ٤٣٥.

«و أقم الصلاة»؛ أي: أدّها على وجه التمام في [ركوعها و سجودها و] سائر فروضها. قيل: «طرفي النهار» صلاة الفجر و المغرب. و «زلفاً من اللّيل» صلاة العشاء الآخرة. و الزلف أوّل ساعات اللّيل. و ترك الظهر و العصر لأحد أمرين؛ إمّا لظهورهما في أنّهما صلاتا النهار، فكأنّه قال: و أقم الصلاة طرفي النهار مع المعروفة من صلاة النهار؛ و إمّا لأنّهما مذكوران على التبع للطرف الأخير، لأنّهما بعد الزوال فهما أقرب إليه. و قد قال سبحانه: «أقم الصلاة لدلوك الشمس»[١] و دلوك الشمس زوالها. و هذا هو المرويّ عن أبي جعفر عليه السلام. «زلفاً». أبوجعفر بضمّ اللّام. «الحسنات». قيل: المراد بها التوبة.[٢]

عن الصادق عليه السلام «إنّ الحسنات يذهبن السيّئات» قال: صلاة المغرب تذهب بذنوب النهار.[٣]

«الحسنات»: صلاة اللّيل.

[١١٥] «وَ اصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ».

«و اصبر». كأنّه قال: و عليك بما هو أهمّ ممّا ذكّرت به و أحقّ بالتوصية؛ و هو الصبر على امتثال ما أمرت به و الانتهاء عمّا نهيت عنه. فلايتمّ شيء إلّا به.[٤]

[١١٦] «فَلَوْ لَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلاً مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَ كَانُوا مُجْرِمِينَ».

«فلولا كان»؛ أي: العجب كيف لم يكن من جملتهم بقيّة في الأرض يأمرون بالمعروف![٥]

«فلولا كان»؛ أي: فهلّا كان. «أولو بقيّة»: أولو فضل و خير. و سمّي الفضل و الجودة بقيّة

١ـ الإسراء (١٧) / ٧٨.
٢ـ مجمع البيان ٥ / ٣٠٦ و ٣٠٥ و ٣٠٨.
٣ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ١٦٢ و فيه: صلاة اللّيل بدل صلاة المغرب.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٤٣٦.
٥ـ مجمع البيان ٥ / ٣٠٨.

لأنّ الرجل يستبقي ممّا يخرجه أجوده و أفضله، فصار مثلاً في الجودة و الفضل. و يقال: فلان من بقيّة القوم؛ أي: من خيارهم. و يجوز أن يكون البقيّة بمعنى البقوى كالتقيّة بمعنى التقوى. أي: فهلّا كان منهم ذو إبقاء على أنفسهم و صيانة لها من سخط الله و عقابه؟ «إلّا قليلاً». استثناء منقطع. أي: ولكن قليلاً [ممّن أنجينا] من القرون، نهوا عن الفساد و سائرهم تاركون للنهي. و من في «ممّن أنجيناه» حقّها أن تكون للبيان لا للتبعيض. لأنّ النجاة إنّما هي للناهين وحدهم. و يجوز أن يكون متّصلاً. لأنّ في تحضيضهم على النهي عن الفساد معنى نفيه عنهم. فكأنّه قيل: ما كان من القرون أولو بقيّة إلّا قليلاً. و يكون انتصابه على أصل الاستثناء، و إن كان الأفصح أن يرفع على البدل. «و اتّبع الذين ظلموا». و هم تاركو النهي عن المنكرات. أي: لم يهتمّوا بالأمر و المعروف و النهي عن المنكر و عقدوا همهم [بالشهوات] و اتّبعوا ما عرفوا فيه التنعّم و الترّف من حبّ الرئاسة و الثروة ونحوهما و رفضوا ما وراء ذلك. و يجوز أن يكون المعنى أنّهم اتّبعوا جزاء إترافهم. و قوله: «و اتّبع الذين» إن كان معناه: و اتّبعوا الشهوات، يكون معطوفاً على مضمر. لأنّ المعنى: إلّا قليلاً ممّن أنجينا منهم نهوا عن الفساد و اتّبع الذين ظلموا شهواتهم، فهو عطف على نهوا. و إن كان معناه: [و اتّبعوا] جزاء الإتراف، فالواو للحال. كأنّه قيل: أنجينا القليل و قد اتّبع الذين [ظلموا] جزاءهم. فقوله: «و كانوا مجرمين» عطف على أترفوا. أي: اتّبعوا الإتراف و كونهم مجرمين. لأنّ تابع الشهوات مغمور بالآثام. أو على اتّبعوا. أي: اتّبعوا شهواتهم و كانوا مجرمين بذلك.(١)

[١١٧] «وَ مَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرىٰ بِظُلْمٍ وَ أَهْلُهَا مُصْلِحُونَ».

«و ما كان»؛ أي: ما صحّ و ما استقام. و اللّام لتأكيد النفي و «بظلم» حال من الفاعل. و المعنى: و استحال في الحكمة أن يهلك الله القرى ظالماً لها و اهلها قوم مصلحون، تنزيهاً لذاته

١ـ الكشّاف ٢ / ٤٣٦ ـ ٤٣٨.

عن الظلم و إيذاناً بأنّ إهلاك المصلحين من الظلم. و قيل: الظلم الشرك. أي لايهلك الله القرى بسبب شرك أهلها و هم مصلحون يتعاطون الحقّ فيما بينهم و لا يضمّون إلى شركهم فساداً آخر.(١)

«مصلحون». عن النبيّ ﷺ: يعني ينصف بعضهم بعضاً.(٢)

[١١٨ ـ ١١٩] «وَ لَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَ لَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَ لِذٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَ تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ».

«و لو شاء ربّك لجعل الناس»؛ أي: لاضطرّهم أن يكونوا على ملّة واحدة؛ يعني ملّة الإسلام. فلم يضطرّهم بل مكّنهم من الاختيار، فاختار بعضهم الحقّ و بعضهم الباطل فاختلفوا. فلذلك قال: «و لايزالون مختلفين إلّا من رحم ربّك»: إلّا ناساً هداهم الله فاتّفقوا على دين الحقّ. «و لذلك خلقهم». إشارة إلى ما دلّ عليه الكلام الأوّل. يعني: و لذلك من الاختيار و التمكين الذي كان عنه الاختلاف خلقهم ليثيب و يعاقب. «و تمّت كلمة ربّك». يعني قوله للملائكة: «لأملأنّ جهنّم». لعلمه بكثرة من يختار الباطل.(٣)

«و لذلك». قيل: اللّام للغرض.(٤) يعني أنّ عاقبة أمرهم كان الاختلاف. و عن ابن عبّاس: «و لذلك»؛ أي: للرحمة.(٥) و هو المرويّ عن السادة الأطهار عليهم السلام.(٦) لأنّه لو كان الاختلاف مأموراً به يكون الاتّفاق منهيّاً عنه.

عن الحذّاء عن أبي عبدالله عليه السلام قال: تلا: «و لايزالون مختلفين» قال: الناس مختلفون في إصابة القول. و كلّهم هالك. قلت: «إلّا من رحم ربّك»؟ قال: [هم] شيعتنا. و لرحمته خلقهم. و هو قوله: «ولذلك خلقهم». يعني لطاعة الإمام؛ الرحمة التي يقول: «و رحمتي

١ـ الكشّاف ٢ / ٤٣٨.
٢ـ مجمع البيان ٥ / ٣٠٩.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٤٣٨.
٤ـ كذا. و الصحيح: «للعاقبة».
٥ـ مجمع البيان ٥ / ٣١١.
٦ـ التوحيد / ٤٠٣، ح ١٠، و الاحتجاج ١ / ١١٣ ـ ١١٤.

وسعت كلّ شيء».[١] يقول: و علم الإمام عليه السلام وسع شيعتنا.[٢]

«و تمّت كلمة ربّك»؛ أي: وجب قول ربّك.[٣]

[١٢٠] «وَ كُلّاً نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَ جَاءَكَ فِي هٰذِهِ الْحَقُّ وَ مَوْعِظَةٌ وَ ذِكْرىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ».

«و كلّاً». التنوين عوض عن المضاف إليه. «نقصّ عليك» و «من أنباء» بيان لكلّ. و «ما نثبّت به» بدل من كلّاً. و يجوز أن يكون المعنى: و كلّ نوع من أنواع الاقتصاص نقصّ عليك على الأساليب المختلفة، و «ما نثبّت به» مفعول نقصّ. و معنى تثبيت فؤاده زيادة يقينه و ما فيه طمأنينة قلبه. لأنّ تكاثر الأدلّة أثبت للقلب. «و جاءك في هذه الحقّ»؛ أي: في هذه السورة أو في هذه الأنباء المقتصّة فيها ما هو حقّ «و موعظة و ذكرى».[٤]

[١٢١] «وَ قُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ».

و قل للّذين «لايؤمنون» من أهل مكّة و غيرهم. «مكانتكم»: حالتكم و جهتكم التي أنتم عليها.[٥]

[١٢٢] «وَ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ».

«و انتظروا» بنا الدوائر. «منتظرون» أن ينزل بكم نحو ما اقتصّ الله من النقم النازلة بأشباهكم.[٦]

[١٢٣] «وَ لِلّٰهِ غَيْبُ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ إِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَ تَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَ مَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ».

١ـ الأعراف (٧) / ١٥٦.
٢ـ الكافي ١ / ٤٢٩، ح ٨٣.
٣ـ مجمع البيان ٥ / ٣١٢.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٤٣٨ ـ ٤٣٩.
٥ـ الكشّاف ٢ / ٤٣٩.
٦ـ الكشّاف ٢ / ٤٣٩.

«إليه يرجع الأمر». فلا بدّ أن يرجع إليه أمرهم و أمرك فيجازيهم.[١]

«و لله غيب السموات و الأرض»؛ أي: ما غاب فيهما. و قيل: المراد خزائن السموات و الأرض. «و إليه يرجع الأمر كلّه». قرأ: «يُرجَع» بضمّ الياء و فتح الجيم نـافع و حـفص. «تعلمون» بالتاء أهل المدينة و الشام [و يعقوب و حفص] و الباقون بالياء.[٢]

١ـ الكشّاف ٢ / ٤٣٩.

٢ـ مجمع البيان ٥ / ٣١٣ و ٣١٠.

١٢.
سورة يوسف

عن أبي عبدالله عليه السلام: من قرأ سورة يوسف في كلّ يوم أو كلّ ليلة، بعثه الله يوم القيامة و جماله مثل جمال يوسف عليه السلام و لايصيبه فزع يوم القيامة، و كان من خيار عباد الله الصالحين. و قال: إنّها كانت مكتوبة في التوراة. و قال رسول الله صلى الله عليه و آله: لاتـنزلوا نسـاءكم الغـرف. و لاتعلّموهنّ الكتابة. و لاتعلّموهنّ سورة يوسف. و علّموهن الغزل و سورة النور.(١)

من كتبها و دفنها و جعلها في منزله ثلاثة أيّام و أخرجها إلى جدار البيت من خارجه فلم يشعر إلّا [و] رسول السلطان يدعوه إلى النصرة و صار له خطرة و جاهاً. و من كتبها و شربها، سهّل الله له الرزق.(٢)

[١] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحيمِ * الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ».

«تلك». إشارة إلى آيات السورة. و «الكتاب المبين»: [السورة]. أي: تلك الآيات التي أنزلت إليك في هذه السورة الظاهر أمرها في إعجاز العرب و تبكيتهم، أو التي تـبيّن لـمن تدبّرها أنّها من عند الله لا من عند البشر، أو الواضحة التي لايشتبه على العرب مـعانيها لنزولها بلسانهم، أو قد أبين فيها ما سألت عنه اليهود من قصّة يوسف. فقد روي أنّ علماء اليهود قالوا لكبراء المشركين: سلوا محمّداً لم انتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر، و عن قصّة يوسف.(٣)

١ـ مجمع البيان ٥ / ٣١٥.
٢ـ المصباح / ٦٠٦.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٤٤٠.

[٢] «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ».

«أنزلناه»؛ أي: هذا الكتاب الذي فيه قصّة يوسف عليه السلام في حالة كونه «قرآناً عربيّاً». و سمّي بعض القرآن قرآناً، لأنّ القرآن اسم جنس يقع على كلّه و بعضه. «لعلّكم تعقلون»: إرادة أن تفهموه و تحيطوا بمعانيه و لايلتبس عليكم. «و لو جعلناه قرآنا أعجميّاً لقالوا لولا فصّلت آياته»[١].[٢]

[٣] «نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هٰذَا الْقُرْآنَ وَ إِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ».

«أحسن القصص». إمّا أن يكون مصدراً بمعنى الاقتصاص ـ تقول: قصّ الحديث قصصاً ـ أو يكون فعلاً بمعنى مفعول. فإن أريد المصدر، فمعناه: نقصّ عليك أحسن الاقتصاص. «بما أوحينا»؛ أي: بإيحائنا إليك هذه السورة، على أن يكون أحسن منصوباً نصب المصدر و يكون المقصوص محذوفاً، لأنّ قوله: «هذا القرآن» مغن عنه. و يجوز أن ينتصب «هذا القرآن» بنقصّ. كأنّه قيل: نحن نقصّ عليك أحسن الاقتصاص هذا القرآن بإيحائنا إليك. و المراد بأحسن الاقتصاص أنّه اقتصّ على أبدع طريقة و أسلوب. ألاترى أنّ هذا الحديث مقتصّ في كتب الأوّلين و في كتب التواريخ و لاترى اقتصاصه في كتاب منها مقارباً لاقتصاصه في القرآن؟ و إن أريد بالقصص المقصوص، فمعناه: نقصّ عليك أحسن ما نقصّ من الأحاديث. و إنّما كان أحسنه لما يتضمّن من العبر و النكت و الحكم و العجائب التي ليست في غيره و الظاهر أنّه أحسن ما يقتصّ في بابه. و القصص مأخوذ من قصّ أثره، إذا اتّبعه. لأنّ الذي يقصّ الحديث يتّبع ما حفظ منه شيئاً فشيئاً. «و إن كنت». إن مخفّفة من المثقّلة. و اللّام هي الفارقة التي تفرق بين النافية و بينها. و الضمير في «قبله» راجع إلى قوله: «ما أوحينا». و المعنى: و إنّ الشأن و الحديث كنت من قبل إيحائنا إليك لمن الغافلين عنه، ما

١ـ فصّلت (٤١) / ٤٤.

٢ـ الكشّاف ٢ / ٤٤٠.

كان لك فيه علم و لا طرق سمعك طرف منه.[١]

[٤] «إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ».

«إذ قال». بدل من أحسن القصص. و هو بدل الاشتمال. لأنّ الوقت مشتمل على القصص و هو المقصوص. «يوسف». اسم عبرانيّ و ليس بعربيّ كما قيل. لأنّه لو كان عربيّاً لانصرف لخلوّه عن سبب آخر سوى التعريف. «إنّي رأيت». من الرؤيا لا من الرؤية. رأى في منامه أنّ الكواكب الأحد عشر مع الشمس و القمر نزلن من السماء و سجدن له. و قيل: الشمس و القمر أبواه. و قيل: أبوه و خالته. لأنّ أمّه ماتت. و الكواكب إخوته. رأى هذه الرؤيا و هو ابن اثنتي‌عشرة سنة. فإن قلت: ما معنى تكرار رأيتهم؟ قلت: ليس بتكرار. و إنّما هو كلام مستأنف على تقدير سؤال وقع جواباً له. كأنّ يعقوب قال له عند قوله: «إنّي رأيت أحد عشر كوكباً»: كيف رأيتها؟ سائلاً عن حال رؤيتها، فقال: «رأيتهم لي ساجدين».[٢]

«يا أبت». التاء عوض عن الياء. «يا أبت». أبوجعفر و ابن‌عامر بفتح التاء، و الباقون بكسرها. و ابن‌كثير وقف على الهاء و الباقون بالتاء. عن زين العابدين عليه السلام: انّ يعقوب كان يذبح كلّ يوم كبشاً فيتصدّق منه و يأكل هو و عياله منه. و إنّ سائلاً مؤمناً صوّاماً عبر بباب يعقوب عشيّة جمعة عند أوان إفطاره، فاستطعمهم و هم يسمعون. فلم‌يصدّقوا قوله. فلمّا يئس أن يطعموه و غشيه اللّيل، استرجع و شكا جوعه إلى الله و أصبح صائماً حامداً لله. و بات يعقوب و آل‌يعقوب بطاناً و أصبحوا و عندهم فضلة من طعام. فابتلاه الله سبحانه بيوسف و أوحى إليه أن استعدّ لبلائي و ارض بقضائي و اصبر للمصائب. فرأى يوسف الرؤيا في تلك اللّيلة.[٣]

سأل بشان[٤] اليهوديّ عن النبيّ صلى الله عليه وآله عن أسماء الكواكب التي رآها يوسف. فقال صلى الله عليه وآله:

١ـ الكشّاف ٢ / ٤٤٠ ـ ٤٤١.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٤٤١ و ٤٤٣ ـ ٤٤٤.
٣ـ مجمع البيان ٥ / ٣١٨ و ٣٢٤.
٤ـ المصدر: بستان.

جريان و الطارق و الذبال و ذو الكتفين و قابس و ثاب و عمودان و الفليق و المصبح و الضروخ و الفرغ و الضياء و النور ـ الحديث.[١] (حسن)

عن أبي جعفرعليه السلام قال: تأويل هذه الرؤيا أنّه سيملك مصر و يدخل عليه أبواه و إخوته. أمّا الشمس فأمّه راحيل، و القمر يعقوب. و أمّا الكواكب، فإخوته. فلمّا دخلوا عليه، سجدوا شكراً لله وحده حين نظروا إليه. و كان ذلك السجود لله تعالى.[٢]

[٥] «قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ».

[٦] «وَ كَذٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَ يُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَ عَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ».

«و كذلك يجتبيك»؛ أي: كما اجتباك لهذه الرؤيا العظيمة، كذلك يجتبيك لأمور عظام. و الاجتباء: الاصطفاء. «و يعلّمك». كلام مبتدأ غير داخل في حكم التشبيه. أي: و هو يعلّمك تأويل الأحاديث. يعني تعبير الرؤيا. و يجوز أن يراد بتأويل الأحاديث معاني كتب الله و سنن الأنبياء و ما اشتبه منها على الناس. سمّيت أحاديث لأنّه يحدّث بها عن الله و رسله. و معنى إتمام النعمة عليهم أنّه وصل لهم نعمة الدنيا بنعمة الآخرة بأن جعلهم أنبياء في الدنيا و ملوكاً و نقلهم عنها إلى الآخرة. «من قبل إبراهيم». قيل: أتمّها على إبراهيم بالخلّة و الإنجاء من النار و من ذبح الولد و [على] إسحاق بإخراج يعقوب و الأسباط من صلبه.[٣]

«و يتمّ نعمته عليك» بأن يحوج إخوتك إليك. «و على آل يعقوب»؛ أي: على إخوتك بأن يجعل فيهم النبوّة.[٤]

١ـ الخصال ٢ / ٤٥٤ ـ ٤٥٥، ح ٢.
٢ـ تفسير القمّيّ ١ / ٣٣٩.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٤٤٤ ـ ٤٤٥.
٤ـ مجمع البيان ٥ / ٣٢١.

[٧] «لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَ إِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ».

«آيات للسائلين». قرأ ابن‌كثير: «آية للسائلين».[١]

«لقد كان في يوسف و إخوته»؛ أي: في قصصهم و حديثهم. «آيات»: علامات و دلائل على قدرة الله و حكمته. «للسائلين»: لمن سأل عن قصّتهم و عرفها. و قيل: آيات على نبوّة محمّد ﷺ للّذين سألوه من اليهود عنها فأخبرهم من غير قراءة كتاب. و كان منهم ستّة[٢] من ليا بنت خالة يعقوب و أربعة كانوا من سريّتين. فلمّا توفّت ليا تزوّج اختها راحيل فولدت له بنيامين و يوسف.[٣]

[٨] «إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَ أَخُوهُ أَحَبُّ إِلىٰ أَبِينَا مِنَّا وَ نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ».

«إذ قالوا ليوسف». اللّام للابتداء. «و أخوه»: بنيامين. لأنّه كان من أمّه و أبيه. و قيل: «أحبّ» في الاثنين، لأنّ أفعل من لايفرّق فيه بين الواحد و ما فوقه. «و نحن». الواو للحال. أي: يفضّلها في المحبّة علينا و هما صغيران لا منفعة فيهما و نحن عصبة جماعة عشرة رجال نقوم بمرافقه. فنحن في المحبّة أولى. «لفي ضلال»؛ أي: ذهاب عن طريق الصواب في ذلك. و العصبة: العشرة فصاعداً. سمّوا بذلك لأنّهم جماعة تعصّب بهم الأمور.[٤]

«إذ قالوا». قيل: إنّهم كانوا غير بالغين؛ لقوله: «يرتع و يلعب»[٥].[٦] و قيل: إنّهم كانوا بالغين، لكن ماوقع منهم كان صغيرة فتابوا منها.[٧] و قيل فيها وجوه أخرى. (ع (ره))

«مبين اقتلوا». أهل المدينة: «مبين اقتلوا» بضمّ التنوين.[٨]

١ـ مجمع البيان ٥ / ٣٢١.
٢ـ المصدر: سبعة.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٤٤٥ ـ ٤٤٦.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٤٤٦.
٥ـ يوسف (١٢) / ١٢.
٦ـ مجمع البيان ٥ / ٣٢٥.
٧ـ مجمع البيان ٥ / ٣٢٥.
٨ـ مجمع البيان ٥ / ٣٢١.

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال والدي عليه السلام: و الله لأصانع بعض ولدي و أجلسه على فخذي و أكثر شكر الله، و إنّ الحقّ لغيره من ولدي، ولكن مخافة عليه منه و من غيره و لئلّايصنعوا به ما صنع إخوة يوسف به. و ما أنزل الله سورة يوسف إلّا أمثالاً لكيلايحسد بعضنا بعضاً.(١)

لم نجد أسماءهم في رواية معصوميّة بتمامها، ولكن قيل: هم يهودا و روبيل و شمعون و لاوي و زبالون و يشجر من ليا، و يوسف و بنيامين من راحيل، و دان و نفتال و حاد و آشر من سريّتين زلفة و بلهة. و بعض الروايات: ابن ياميل ـ باللّام، و في بعض... راحيل اسم خالة يوسف. و ربما يوجد في بعض: ابن يامين ـ منفصلاً. و صاحب القاموس: بنيامين و لايقال ابن يامين. (حسن عفي عنه)

[٩] «اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَ تَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْماً صَالِحِينَ».

«اقتلوا يوسف». كأنّهم أطبقوا على ذلك إلّا من قال: «لاتقتلوا يوسف». قيل: الآمر بالقتل شمعون و الباقون كانوا راضين. «أرضاً» بعيدة من العمران. «يخل لكم»؛ أي: يقبل عليكم إقبالة واحدة و لايلتفت إلى غيركم. «من بعده»؛ أي: من بعد يوسف و قتله. «صالحين»؛ أي: تائبين إلى الله ممّا جنيتم عليه. أو: يصلح ما بينكم و بين أبيكم بعذر تمهّدونه. أو: تصلح دنياكم و تنتظم أموركم بعده بخلّو وجه أبيكم.(٢)

[١٠] «قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَ أَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ».

«قال قائل». و هو روبيل. و قيل: يهوذا. «غيابة الجبّ». من الجبّ و هو القطع. سمّي جبّاً لأنّه يجبّ الأرض؛ أي: يقطع ترابها إلى الماء من غير طيّ. و منه المجبوب. «السيّارة»؛ أي:

١ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ١٦٦، ح ٢.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٤٤٧.

مارّة الطريق. «إن كنتم فاعلين» شيئاً ممّا تقولون.[١]

[١١ ـ ١٢] «قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَ إِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ * أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَداً يَرْتَعْ وَ يَلْعَبْ وَ إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ».

«تأمنّا». أبوجعفر مشدّدة النون بلا شمّة. و الباقون بالإشمام. و هو الإشارة [إلى] النون المدغمة بالضمّة. «يرتع». الرتع: التردّد يميناً و شمالاً. أبوجعفر و نافع: «يرتع و يلعب» بالياء فيهما و كسر العين من «يرتع». و ابن‌كثير بالنون فيهما و كسر العين. و و أبوعمرو و ابن‌عامر بالنون فيهما و جزم العين. و أهل الكوفة بالياء فيهما و جزم العين.[٢]

«لاتأمنّا». فيه دلالة على أنّه أحسّ منهم بما أوجب أن لايأمنهم عليه. «إنّا له لناصحون»: نحبّه و نشفق عليه. «يرتع»؛ أي: يتّسع في أكل الفواكه و غيرها. و أصل الرتعة: الخصب و السعة. فإن قلت: كيف استجاز لهم يعقوب اللّعب؟ قلت: كان لعبهم الاستباق في العدو و الانتضال ليمرّنوا أنفسهم بما يحتاج إليه لقتال العدوّ لا للّهو؛ بدليل قوله: «إنّا ذهبنا نستبق»[٣] و سمّوه لعباً لأنّه في صورته.[٤]

[١٣ ـ ١٤] «قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَ أَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَ أَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ * قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَ نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذاً لَخَاسِرُونَ».

«قال إنّي ليحزنني». اللّام للابتداء. اعتذر إليهم بشيئين: أحدهما أنّ ذهابهم به و مفارقته إيّاه ممّا يحزنه، لأنّه كان لايصبر عنه ساعة. و الثاني خوفه عليه من عدوة الذئب إذا غفلوا عنه برعيهم. و قيل: رأى في النوم أنّ الذئب قد شدّ على يوسف فكان يحذره فمن ثمّ قال ذلك فلقّنهم العلّة. و قوله: «إنّا إذاً لخاسرون» جواب للقسم. يعني [حلفوا له] لئن كان ما خافه من خطفة الذئب أخاهم من بينهم و حالهم أنّهم عشرة رجال بمثلهم تعصب

١ـ مجمع البيان ٥ / ٣٢٥ و ٣١٢.
٢ـ مجمع البيان ٥ / ٣٢٥ و ٣٢٨.
٣ـ يوسف (١٢) / ١٧.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٤٤٨.

الأمور ، أنّهم إذاً لقوم خاسرون؛ أي: هالكون ضعفاً و عجزاً؛ أي: يستحقّون أن يهلكوا لأنّهم لاجدوى في حياتهم، أو مستحقّون لأن يدعى عليهم بالخسارة و الدمار و أن يقال: دمّرهم الله حين أكل الذئب بعضهم و هم حاضرون. و قيل: إن لم نقدر على حفظ بعضنا هلكت مواشينا إذاً و خسرنا.(١)

«الذئب». من تذاءبت الريح، إذا هبّت من كلّ جهة.(٢)

«أن يأكله الذئب». لأنّ الأرض كانت مذأبة و ذئابها ضارية. «الذئب». أبوجعفر بتخفيف الهمزة في المواضع الثلاث.(٣)

[١٥] «فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَ أَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَ أَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هٰذَا وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ».

«أجمعوا»؛ أي: اجتمع رأيهم. (ع)

«في غيابة الجبّ». كان الجبّ على ثلاث فراسخ من منزل يعقوب. و جواب لمّا محذوف و معناه: فعلوا ما فعلوا به من الأذى. [فقد روي أنّهم] أخذوا يضربونه و كلّما استغاث بواحد منهم لم يغثه إلّا بالضرب حتّى كادوا يقتلونه. فجعل يصيح: يا أبتاه، لو تعلم ما يصنع بابنك أولاد الإماء! فقال يهوذا: أما أعطيتموني موثقاً ألّا تقتلوه؟ فلمّا أرادوا إلقاءه في الجبّ تعلّق بثيابهم، فانتزعوها من يديه. فتعلّق بحائط البئر، فربطوا يديه و نزعوا قميصه. فقال: يا إخوتاه، ردّوا عليّ قميصي أتوارى به. و إنّما نزعوه ليلطّخوه بالدم. فقالوا له: ادع الشمس و القمر و الكواكب تؤنسك. و دلّوه في البئر. فلمّا بلغ نصفها، ألقوه ليموت. و كان في البئر ماء. فسقط فيه ثمّ أوى إلى صخرة فقام عليها و هو يبكي. فنادوه. فظنّ أنّها رحمة أدركتهم فأجابهم. فأرادوا أن يرضخوه. فمنعهم يهوذا. و كان يأتيه بالطعام. «و أوحينا إليه». قيل: أوحي إليه في الصغر كما أوحي إلى عيسى و يحيى: [«لتنبّئنّهم بأمرهم هذا».] و إنّما أوحي

١ـ الكشّاف ٢ / ٤٤٨ ـ ٤٤٩.

٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٧٨.

٣ـ مجمع البيان ٥ / ٣٢٩ و ٣٣١.

إليه ليؤنس في الظلمة و الوحشة و يبشّر بما يؤول إليه أمره. و معناه: لتتخلّصن ممّا أنت فيه و لتحدّثنّ إخوتك بما فعلوا بك «و هم لايشعرون» أنّك يوسف، لعلوّ شأنك و كبرياء سلطانك. و ذلك حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم و هم له منكرون، دعا بالصاع فوضعه على يده فطنّ فقال: إنّه ليخبر هذا الجام أنّه كان لكم أخ من أبيكم. فقصّ عليهم ما فعلوا. و يجوز أن يتعلّق «و هم لايشعرون» بقوله: «و أوحينا» على معنى أنّا آنسناه بالوحي و أزلنا عن قلبه الوحشة و هم لا يشعرون ذلك و يحسبون أنّه مستوحش لا أنيس له.(١)

«أن يجعلوه في غيابة الجبّ». كان إبراهيم الخليل عليه السلام حين ألقي في النار، جرّد من ثيابه و قذف في النار عرياناً. فأتاه جبرئيل بقميص من حرير الجنّة فألبسه إيّاه. و كان ذلك عند إبراهيم. فلمّا مات ورثه إسحاق. فلمّا مات، ورثه يعقوب. فلمّا شبّ يوسف، جعل يعقوب ذلك القميص في تعويذ و علّقه في عنقه. فلمّا ألقي في البئر عرياناً، جاءه جبرئيل فأخرج الثوب من ذلك التعويذ و ألبسه إيّاه. روى ذلك المفضّل بن عمر عن الصادق عليه السلام.(٢)

عن الصادق عليه السلام: كان ابن سبع سنين.(٣)

[١٦] «وَ جَاؤُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ».

«عشاءً»: آخر النهار.(٤)

[١٧] «قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَ تَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَ مَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَ لَوْ كُنَّا صَادِقِينَ».

«نستبق»: [نتسابق في العدو أو] في الرمي.(٥)

«فأكله الذئب». عن النبيّ صلى الله عليه و آله: لاتلقّنوا الكذب فتكذبوا. فإنّ بني يعقوب لم يعلموا أنّ

١ـ الكشّاف ٢ / ٤٤٩ ـ ٤٥٠.

٢ـ مجمع البيان ٥ / ٣٣١ ـ ٣٣٢.

٣ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ١٧٠، ح ٧.

٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٧٨.

٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٧٨.

الذئب يأكل الإنسان حتّى لقّنهم أبوهم. «بمؤمن»؛ أي: مصدّق. «و لو كنّا». جواب لو محذوف. أي: و لو كنّا صادقين ماصدّقتنا لاتّهامك لنا في أمر يوسف.(١)

[١٨] «وَ جَاؤُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَ اللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ».

«و جاؤوا»؛ أي: جاؤوا أباهم و معهم قميص يوسف ملطّخاً بدم فقالوا: هذا دم يوسف حين أكله الذئب. لأنّهم ذبحوا سخلة و جعلوا دمها على قميصه. و لم يمزّقوا ثوبه و لم يخطر ببالهم أنّ الذئب إذا أكل إنساناً يمزّق ثوبه. قيل: إنّ يعقوب لمّا رأى القميص صحيحاً قال: يا بنيّ، و الله ماعهدت كاليوم ذئباً أحلم من هذا! أكل ابني و لم يمزّق قميصه! «بدم كذب»؛ أي: مكذوب عليه أو فيه. كما يقال: ماء سكب. و قيل: إنّه لمّا قال لهم يعقوب ذلك قالوا: بل قتله اللّصوص. فقال‌عليه‌السلام: فكيف قتلوه و تركوا قميصه؟ و هم إلى قميصه أحوج منهم إلى قتله! «بل سوّلت لكم»؛ أي: زيّنت لكم أنفسكم أمراً عملتموه. و هذا الكلام منه إمّا بوحي من الله أو برأي صائب صادق. «فصبر جميل»؛ أي: صبري صبر جميل لا جزع فيه و لا شكوى إلى الناس. «و الله المستعان»؛ أي: بالله أستعين على تحمّل مرارة الصبر عليه. و مكث يوسف في الجبّ ثلاثة أيّام.(٢)

«على قميصه». [في موضع] نصب على الظرف. أي: فوق قميصه. «بدم كذب». وصف بالمصدر للمبالغة. و قرئ بالنصب على الحال من الواو. أي: جاؤوا كاذبين. «على ما تصفون»؛ أي: على احتمال ما تصفونه.(٣)

[١٩] «وَ جَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَىٰ هٰذَا غُلَامٌ وَ أَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَ اللهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ».

١ـ مجمع البيان ٥ / ٣٣١ و ٣٣٣.
٢ـ مجمع البيان ٥ / ٣٣٣ ـ ٣٣٤.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٧٨ ـ ٤٧٩.

«و جاءت سيّارة»؛ أي: جماعة مارّة جاءت من قبل مدين يريدون مصر فأخطؤوا الطريق حتّى نزلوا قريباً من الجبّ. «فأرسلوا واردهم»: بعثوا من يطلب لهم الماء. و كان اسمه مالك الخزاعيّ. فأرسل دلوه في البئر ليستقي، فتعلّق يوسف بالحبل. فلمّا خرج فإذا هو غلام أحسن ما يكون من الغلمان. فلذلك قال النبيّ صلى الله عليه و آله: أعطي يوسف شطر الحسن، و النصف الآخر لسائر الناس. فقال: «يا بشرى». قيل: إنّ بشرى رجل من أصحابه. «و أسرّوه بضاعة»؛ أي: الذين وجدوه أخفوا حاله عن رفقائهم مخافة أن يطلبوا منهم الشركة في يوسف، فقالوا: هذه بضاعة لأهل الماء و دفعوه إلينا لنبيعه لهم. و قيل: معناه: و أسرّه إخوته يكتمون أنّه أخوهم و قالوا: هو عبد قد أبق منّا. «يا بشرى». أهل الكوفة بألف بغير ياء إلّا [أنّ] حمزة و الكسائيّ [و خلف] يميلون الراء و عاصم لايميل.[١]

[«و قال يا بشرى» نادى] البشرى بشارة لنفسه. كأنّه قال: تعالي فهذا أوانك. «بضاعة». نصب على الحال. أي: أخفوه متاعاً للتجارة.[٢]

[٢٠] «وَ شَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَ كَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ».

«و شروه بثمن بخس»؛ أي: باعوه بثمن ناقص قليل. و قيل: حرام. لأنّه ثمن الحرّ. «معدودة»؛ أي: قليلة. لأنّهم كانوا يزنون الأوقيّة و هي أربعون درهماً فمازاد عليها و كانت الدراهم عشرين، فاقتسموها درهمين درهمين. و اختلف فيمن باعه. فقيل: إنّ إخوة يوسف باعوه على مالك الخزاعيّ. عن أكثر المفسّرين. و قيل: باعه الواجدون بمصر. و قيل: إنّ الذين أخرجوه من الجبّ باعوه من السيّارة. و الأوّل أصحّ. «و كانوا فيه من الزاهدين». يعني: انّ الذين اشتروه كانوا من الزاهدين في شرائه. لأنّهم وجدوا عليه علامة الأحرار فلم يرغبوا فيه مخافة أن يلحقهم تبعة في استعباده. و قيل: من الزاهدين في نفس يوسف

١ـ مجمع البيان ٥ / ٣٣٦ و ٣٣٤.

٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٧٩.

لم يشروه للفجور بل للربح. و قيل: المراد إخوته؛ لأنّهم لم يعرفوا موضعه من الله وكرامته عليه. و قيل: لأنّهم كانوا غير راغبين في ثمنه لكنّهم بايعوه حتّى لا يظهر ما فعلوا به و كان قصدهم تبعيده. و لاتنافي بين هذه الأقوال، فيجوز حمل الآية على جميعها. و قيل: إنّ الذين بايعوه بمصر كانوا من الزاهدين في ثمنه لأنّهم علموا أنّه لقطة.[١]

«شروه»: باعوه.[٢]

«بخس». عن الرضاعليه السلام: كانت عشرين درهماً؛ قيمة كلب الصيد إذا قتل. و البخس: النقص.[٣]

عن أميرالمؤمنين عليه السلام: إنّما سمّي الدرهم درهماً لأنّه دار همّ و غمّ.[٤]

[٢١] «وَ قَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَ كَذٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَ لِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَ اللهُ غَالِبٌ عَلىٰ أَمْرِهِ وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ».

«و قال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه»؛ أي: هيّئي له موضعاً شريفاً كريماً. و كان المشتري خازن فرعون مصر و صاحب جنوده واسمه اطفير. كان عقيماً لا يأتي النساء. و كان يلقّب بالعزيز. فلمّا عبّر يوسف رؤيا الملك، سمّي العزيز و جعل مكانه. و كان مالك الخزّاعي باعه منه بأربعين ديناراً و زوج نعل و ثوبين أبيضين. عن ابن‌عبّاس. و قيل: إنّه عرضه على البيع في سوق مصر، فتزايدوا حتّى بلغ ثمنه وزنه ورقاً و مسكاً و حريراً، فاشتراه العزيز بهذا الثمن و قال لأمرأته راعيل ـ و لقبها زليخا ـ: «أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا»؛ أي: نبيعه فنربح «أو نتّخذه ولداً»؛ إذ لا ولد لنا. و كان الملك الوليد بن الريّان[٥] من العماليق و لم يمت حتّى أسلم. و ملك بعده قابوس فدعاه يوسف فأبى. و قال ابن‌عبّاس:

١ـ مجمع البيان ٥ / ٣٣٧.

٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٧٩.

٣ـ تفسير القمّيّ ١ / ٣٤١.

٤ـ علل الشرائع ١ / ٣، ح ١.

٥ـ المصدر: و كان الملك الريّان بن الوليد.

العزيز ملك مصر. [و] روي عن عليّ بن الحسين عليهما السلام. «و كذلك مكّـنّا»؛ أي: كما أنعمنا عليه بالسلامة و الخروج من الجبّ، مكّـنّاه في الأرض بأن عطفنا عليه قلب الملك الذي اشتراه حتّى صار بذلك متمكّناً من الأمر و النهي في أرض مصر. «و الله غالب على أمره»: يحفظه و يرزقه حتّى يبلغه ما قدّر له من الملك و النبوّة. و قيل: معناه: و الله غالب على أمر نفسه لايعجزه شيء من تدبيره و أفعاله.(١)

«و لنعلّمه». عطف على مضمر. تقديره: ليتصرّف فيها و لنعلّمه. «من تأويل الأحاديث»؛ أي: معاني كتب الله و أحكامه لينفذها. أو: تعبير المنامات المنبّهة على الحوادث الكائنة.(٢)

[٢٢] «وَ لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَ عِلْماً وَ كَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ».

«و لمّا بلغ أشدّه»: منتهى اشتداد جسمه و قوّته. و هو سنّ الوقوف ما بين الثلاثين و الأربعين. و قيل: سنّ الشباب و مبدؤه البلوغ.(٣)

«أشدّه». من ثماني عشرة سنة إلى ثلاثين سنة. عن ابن عبّاس. و قيل: إنّ أقصى الأشدّ أربعون سنة. «حكماً». الحكم: النبوّة. و العلم: الشريعة. و قيل: الحكم بين الناس. فإنّ الناس كانوا إذا تحاكموا إلى العزيز، أمره بأن يحكم بينهم لما رأى من عقله و رأيه. «و كذلك»؛ أي: مثل ما جزينا يوسف بصبره، نجزي كلّ من أحسن؛ أي: فعل الطاعات. و قيل: أراد به محمّداً صلّى الله عليه و آله. أي: كما فعلنا بيوسف و أعطيناه الملك بعد مقاساة الشدّة، كذلك نفعل بك يا محمّد.(٤)

[٢٣] «وَ رَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَ غَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَ قَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ».

١ـ مجمع البيان ٥ / ٣٣٨ ـ ٣٣٩.

٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٨٠.

٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٨٠.

٤ـ مجمع البيان ٥ / ٣٣٩.

«و راودته التي هو في بيتها». أي: زليخا. «عن نفسه»: طلبت منه أن يواقعها.«و غلّقت الأبواب». كانت سبعة أبواب. أو باب الدار و باب البيت. «هيت لك»؛ أي: أقبل و بادر إلى ما هو مهيّأ لك. أهل المدينة و الشام: «هيت» بكسر الهاء و فتح التاء. و ابن‌كثير بفتح الهاء و ضمّ التاء. و الباقون بفتح الهاء و التاء. و كلّها اسم فعل بمعنى أقبل و تعال، و الحركات في أواخرها لالتقاء الساكنين. أمّا الفتح فكأين و كيف، و الكسر لأنّ الساكن يحرّك به، و الضمّ لأنّها في معنى الغايات كحيث و منذ. «معاذ الله»: أعتصم بالله و أستجير به. «إنّه ربّي». الهاء عائدة إلى زوجها عند أكثر المفسّرين. يعني: انّ زوجك مالكي، أحسن تربيتي و رفع منزلتي، فلا أخونه. و إنّما سمّاه ربّاً لما كان ثبت له عليه من الرقّ في الظاهر. و قيل: الهاء عائدة إلى الله. و المعنى: انّ الله ربّي، رفع من محلّي و جعلني نبيّاً، فلا أعصيه أبداً. و فيه دلالة على أنّ يوسف لم يهمّ بالفاحشة. لأنّ من همّ بالقبيح، لا يقول مثل ذلك.[1]

[٢٤] «وَ لَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَ هَمَّ بِهَا لَوْ لَا أَنْ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَ الْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ».

«و لقد همّت به و همّ بها». فرق بين الهمّين مع اتّحاد سياقهما لوجود الدليل من القرآن. (ع)

عن الرضا عليه السلام في قوله تعالى: «و لقد همّت به و همّ بها»: فإنّها همّت بالمعصية، و همّ يوسف بقتلها إن أجبرته، لعظم ما تداخله. فصرف الله عنه قتلها و الفاحشة. و هو قوله: «كذلك لنصرف عنه السوء و الفحشاء» يعني القتل و الزنى.[2]

و في حديث آخر لمّا سأله المأمون فقال عليه السلام: لقد همّت به. و لولا [أن] رأى برهان ربّه، لهمّ بها كما همّت به. لكنّه كان معصوماً و المعصوم لا يهمّ بذنب و لا يأتيه. و لقد حدّثني أبي

١ـ مجمع البيان ٥ / ٣٣٩ ـ ٣٤١.

٢ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ / ١٥٤، ح ١.

عن الصادق عليه السلام أنّه قال: لقد همّت بأن تفعل و همّ بأن لايفعل. فقال المأمون: لله درّك يا أباالحسن.(١)

و عن عليّ بن الحسين عليهما السلام في قوله: «لولا أن رأى برهان ربّه» قال: قامت امرأة العزيز إلى الصنم فألقت عليه ثوباً. فقال لها يوسف: ما هذا؟ فقالت: أستحيي من الصنم أن يرانا. فقال: أتستحين ممّن لايسمع و لايبصر و لاأستحيي أنا ممّن خلق الإنسان و علّمه؟ فذلك قوله: «لولا أن رأى برهان ربّه».(٢)

عن أميرالمؤمنين عليه السلام مجيباً لبعض الزنادقة و قد قال: و أجده قد شهر هفوات أنبيائه بقوله في يوسف: «و لقد همّت به و همّ بها لولا أن رأى برهان ربّه». فقال عليه السلام: و أمّا هفوات الأنبياء عليهم السلام و ما بيّنه الله في كتابه، فإنّ ذلك من أدلّ الأدلّة على حكمة الله. لأنّه علم أنّ براهين الأنبياء تكبر في صدور أممهم و أنّ منهم من يتّخذ بعضهم إلهاً ـ كالنصارى في ابن مريم ـ فذكرها دلالة على تخلّفهم عن الكمال الذي انفرد به عزّ و جلّ.(٣)

«و لقد همّت به». الهمّ في اللّغة يأتي على وجوه: منها العزم على الفعل. و منها خطور الشيء بالبال و ان لم يقع العزم عليه. و منها أن يكون بمعنى المقاربة. قالوا: همّ فلان أن يفعل كذا؛ أي: قارب. و منها الشهوة و ميل الطبع. و إذا كان معاني الهمّ في اللّغة مختلفة، يجب أن ينفى عن نبيّ الله يوسف ما لايليق به و هو العزم على القبيح. لأنّ الدليل قد دلّ على أنّ الأنبياء لايجوز عليهم المعاصي. و أجزنا عليه ما سواه من معاني الهمّ. لأنّ كل واحد من ذلك يليق بحاله. «برهان». و هو النبوّة المانعة من ارتكاب الفواحش و الحكم الصارفة عن القبائح. روي ذلك عن الصادق عليه السلام. «كذلك»؛ أي: كذلك أريناه البرهان لنصرف عنه الإثم و الزنى.(٤)

«و لقد همّت»: قصدت مخالطته و قصد مخالطتها. و الهمّ بالشيء: قصده و العزم عليه. و

١ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ / ١٥٥ ـ ١٦٠، ح ١.
٢ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢ / ٤٤، ح ١٦٢.
٣ـ الاحتجاج ١ / ٣٤٥ ـ ٣٤٩.
٤ـ مجمع البيان ٥ / ٣٤١ ـ ٣٤٢ و ٣٤٤ ـ ٣٤٥.

المراد بهمّه ميل الطبع و منازعة الشهوة لا القصد الاختياريّ. و ذلك ممّا لا يدخل تحت التكليف، بل الحقيق بالمدح و الأجر الجزيل من الله من يكفّ نفسه عن الفعل عند قيام الهمّ أو مشارفة الهمّ. «عبادنا المخلصين»: الذين أخلصهم الله لطاعته. و قرأ ابن‌كثير و أبوعمرو و ابن‌عامر بالكسر في كلّ القرآن. أي: الذين أخلصوا دينهم لله.(١)

«برهان ربّه». قيل: رأى مكتوباً في سقف البيت: «و لاتقربوا الزنى» ـ الآية.(٢) و قيل: إنّه حجّة الله في تحريم الزنى و العلم بما على الزاني من العقاب. و قيل: إنّه مثّل له يعقوب فرآه عاضّاً إصبعه و يقول له: أتعمل عمل الفجّار و أنت مكتوب في زمرة الأنبياء؟ و قيل: إنّه سمع في الهواء قائلاً يقول: يابن يعقوب، لاتكن كالطير إذا زنى ذهب ريشه. و قيل: ركضه جبرئيل فلم‌يبق فيه شيء من الشهوة. (حسن عفي عنه)

فإن قلت: إذا لم‌يكن ليوسف همّ، فما معنى «لولا أن رأى برهان ربّه»؟ و مايبقى له فائدة. قلنا: بل فيه أعظم الفوائد؛ و هو بيان أنّ ترك الهمّ بها ماكان لعدم رغبته في النساء و عدم قدرته عليهنّ، بل لأجل أنّ دلائل دين الله منعه عن ذلك العمل. (حسن عفي عنه)

[٢٥ ـ ٢٧] «وَ اسْتَبَقَا الْبَابَ وَ قَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَ أَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءاً إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَ شَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَ هُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * وَ إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَ هُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ».

«قالت» إيهاماً بأنّها فرّت منه تبرئة لساحتها عند زوجها و إغراءه بيوسف. «ما جزاء». ما نافية أو استفهاميّة بمعنى: أيّ شيء جزاؤه إلّا السجن؟ «قال هي راودتني». و لو لم‌تكذب عليه لما قاله. «فصدقت». لأنّه يدلّ على أنّها قدّت قميصه من قدّامها بالدفع عن نفسها. «فكذبت». لأنّه يدلّ على أنّها تبعته فاجتذبت ثوبه فقدّته.(٣)

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٨٠ ـ ٤٨١.
٢ـ الإسراء (١٧) / ٣٢.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٨١.

«و استبقا الباب»: طلب كلّ واحد من يوسف و زليخا السبق إلى الباب. أمّا يوسف فهرباً من ركوب الفاحشة. و أمّا هي، فلأنّها طلبته لقضاء الحاجة فقصدت غلق الباب لتمنعه من الخروج و تراوده ثانياً. و لمّا عدت من خلفه، شقّت قميصه طولاً من خلفه. «و ألفيا سيّدها»؛ أي: لمّا خرجا، وجدا زوجها عند الباب. سمّي سيّدها لأنّه مالك أمرها. فسبقت بالكلام لتجعل الذنب على يوسف فقالت: ليس جزاء من أراد بأهلك خيانة إلّا أن يسجن أو يضرب بالسياط. قالوا: و لو صدق حبّها، لم تقل و لآثرته على نفسها، ولكن حبّها إيّاه كان شهوة. «شاهد من أهلها». قيل: كان الصبيّ ابن أخت زليخا و هو ابن ثلاثة أشهر.[١]

«شاهد من أهلها». قيل: ابن عمّها. و قيل: طبيب كان مع زوجها.[٢]

[٢٨] «فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ».

«عظيم». لأنّ النساء أنفذ حيلة من الرجال و ألطف كيداً. و منه قوله تعالى: «و من شرّ النفّاثات في العقد».[٣] و عن بعض العلماء: إنّما أخاف من النساء أكثر ما أخاف من الشيطان. لأنّ الله يقول: «إنّ كيد الشيطان كان ضعيفاً»[٤] و قال في النساء: «إنّ كيد كنّ عظيم».[٥]

إنّما وصفه بالعظيم لأنّه حين فاجأت زوجها عند الباب لم يدخلها دهش و لم تتحيّر في أمرها و ركّبت الذنب على يوسف.[٦]

[٢٩] «يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هٰذَا وَ اسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ».

«يوسف أعرض». يعني أنّ الشاهد قال ليوسف: أمسك عن ذكر هذا الحديث حتّى لايفشى في البلد. عن ابن عبّاس. و قيل: إنّما قاله زوجها. و قيل: معناه: لاتلتفت يا يوسف إلى هذا الحديث و لاتذكره على سبيل طلب البراءة. فقد ظهرت براءتك. ثمّ أقبل على

١ـ مجمع البيان ٥ / ٣٤٧.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٨١، و مجمع البيان ٥ / ٣٤٧.
٣ـ الفلق (١١٣) / ٤.
٤ـ النساء (٤) / ٧٦.
٥ـ الكشّاف ٢ / ٤٦١.
٦ـ مجمع البيان ٥ / ٣٤٧.

زليخا فقال: «و استغفري لذنبك»؛ أي: سلي زوجك أن لايعاقبك على ذنبك. و قيل: إنّه لم يكن غيوراً سلبه الله الغيرة لطفاً منه بيوسف حتّى كفي شرّه. و لذلك قال ليوسف: «أعرض عن هذا» و اقتصر على هذا القدر. و قيل: معناه: استغفري الله من ذنبك و توبي إليه. فإنّ الذنب كان منك لا من يوسف. فإنّهم كانوا يعبدون الله مع عبادة الأصنام.(١)

[٣٠] «وَ قَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبّاً إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ».

«نسوة». جمع ليس له مفرد من لفظه.

«نسوة». اسم جمع امرأة. و تأنيثه بهذا الاعتبار غير حقيقيّ. «في المدينة». ظرف لقال. أي: أشعن الحكاية في مصر. أو صفة نسوة و كنّ خمساً. «امرأة العزيز». هو بلسان العرب الملك. و «حبّاً» نصب على التميز.(٢)

«و قال نسوة»؛ أي: جماعة من النساء. «تراود فتاها»؛ أي: تدعو مملوكها إلى الفجور بها. قيل: كنّ خمس نسوة: امرأة ساقي الملك، و امرأة الخبّاز، و امرأة صاحب الدوابّ، و امرأة صاحب السجن، و امرأة الحاجب. «شغفها». بالعين المهملة معناه: ذهب بها كلّ مذهب. و بالمعجمة: خرق شغاف قلبها ـ و هو غلافه ـ فوصل إلى قلبها. عن عليّ و زين العابدين و محمّد بن عليّ و جعفر بن محمّد عليهم السلام بالعين المهملة.(٣)

[٣١] «فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَ أَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَ آتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّيناً وَ قَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَ قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هٰذَا بَشَراً إِنْ هٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ».

«فلمّا سمعت بمكرهن»؛ أي: بتعييرهنّ إيّاها و قصدهنّ إشاعة أمرها. و سمّاه مكراً لأنّ

١ـ مجمع البيان ٥ / ٣٤٧ ـ ٣٤٨.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٨٢.
٣ـ مجمع البيان ٥ / ٣٥٢، و ٣٤٨ ـ ٣٤٩.

قصدهنّ من هذا القول كان أن تريهنّ يوسف لما وصف لهنّ من حسنه. و قيل: لأنّها أظهرت لهنّ حبّها إيّاه و استكتمتهنّ ذلك، فأظهرنه، فسمّى ذلك مكراً. قيل: اتّخذت مائدة و دعت أربعين امرأة منهنّ و أعتدت لهنّ وسائد يتّكئن عليها. و قيل: المتّكأ: الطعام. من قولهم: اتّكأنا عند فلان؛ أي: أطعمنا عنده. «أكبرنه»؛ أي: أعظمنه و تحيّرن في جماله فجرحن أيديهنّ، أو أبنّ، و لم يجدن ألم القطع. «حاش للّه»؛ أي: بعد يوسف عن هذا الذي رمي به للّه؛ أي: لخوفه و مراقبته أمر الله. هذا قول أكثر المفسّرين. و قال آخرون. هذا تنزيه له من شبه البشر. يعني أنّه منزّه عن البشريّة و ليس خلقته خلقة البشر ولكنّه ملك كريم لحسنه و لطافته. و قيل: في عفّته. «متّكأ». عن أبي جعفر بغير همز مشدّدة التاء. قالوا: المتّك: الأترج. واحده متّكة. و قيل: هو الزماورد. «حاش للّه». أبوعمرو: «حاشى الله».[١]

«بمكرهنّ»؛ أي: اغتيابهنّ. سمّاه مكراً لأنّهنّ أخفينه كما يخفي الماكر مكره. «متّكأ». قيل: المتّكأ طعام يحزّ حزّاً كأنّ القاطع يتّكئ عليه بالسكّين. «أكبرنه». قيل: أكبرن بمعنى حضن. من أكبرت المرأة، إذا حاضت. لأنّها تدخل الكبر بالحيض. و الهاء ضمير للمصدر أو ليوسف على حذف اللّام. أي: حضن له من شدّة الشبق. «و قلن حاش للّه» تنزيهاً له من صفات العجز و تعجّباً من قدرته على خلق مثله. و أصله: حاشا، فحذف ألفه الأخيرة تخفيفاً. و اللّام للبيان؛ كما في قولك: سقيا لك. و قيل: حاشا فاعل من الحشا الذي هو الناحية و فاعله ضمير يوسف. أي: صار في ناحية الله ممّا يتوهّم فيه.[٢]

[٣٢] «قَالَتْ فَذٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَ لَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَ لَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَ لَيَكُوناً مِنَ الصَّاغِرِينَ».

«فذلكنّ»؛ أي: هو ذلك العبد الكنعانيّ الذي لمتنّني في الافتتان به قبل أن تتصوّرنه حقّ تصوّره. أو: فهذا هو الذي لمتنّني فيه. فوضع «ذلك» موضع هذا رفعاً لمنزلة المشار إليه. «و

١ـ مجمع البيان ٥ / ٣٥٢ ـ ٣٥٣ و ٣٤٩.　　٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٨٢.

لقد راودته عن نفسه فاستعصم»: فامتنع طلباً للعصمة. أقرّت لهنّ حين عرفت أنّهنّ يعذرنها كي يتعاونّها على إلانة عريكته.(۱)

«و ليكوننّ». بالتشديد. و التخفيف أولى. لأنّ النون كتبت في المصحف ألفاً على حكم الوقف، و ذلك لايكون إلّا في الخفيفة.(۲)

«فيه»؛ أي: في أمره و حبّه. «فاستعصم»؛ أي: امتنع. أو: سأل الله العصمة. «و ليكونن». هذه النون الخفيفة و إذا وقفت عليها وقفت عليها بالألف. و هي بمنزلة التنوين الذي يوقف عليها بالألف في نحو قولك: رأيت رجلاً. «من الصاغرين»: من الأذلّاء.(۳)

[۳۳] «قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَ إِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَ أَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ».

«السجن أحبّ إليّ». لمّا رأى إصرارها على ذلك و تهديدها، اختار السجن على المعصية فقال: «ربّ السجن أحبّ إليّ»؛ أي: أسهل عليّ من الفاحشة. و فيه دلالة على أنّ النسوة دعونه إلى ما أرادته زليخا. روي عن عليّ بن الحسين عليهما السلام أنّ النسوة لمّا خرجن من عندها، أرسلت كلّ واحدة منهنّ إلى يوسف سرّاً من صاحبتها تسأله الزيارة. و قيل: إنّهنّ قلن له: أطع مولاتك و اقض حاجتها. فإنّها المظلومة و أنت ظالم لها. «أصب»؛ أي: أمل إليهنّ و أكن بمنزلة الجاهلين في فعلي.(٤)

[۳٤] «فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ».

«فاستجاب له ربّه فصرف عنه كيدهنّ»: فأجابه فيما دعاه فعصمه من مكرهنّ.(۵)

«فصرف عنه»: فثبّته بالعصمة حتّى وطّن نفسه على مشقّة السجن و آثرها على اللذّة

۱ـ تفسير البيضاويّ ۱ / ٤۸۳.
۲ـ الكشّاف ۲ / ٤٦۷.
۳ـ مجمع البيان ۵ / ۳۵۳ و ۳۵۱.
٤ـ مجمع البيان ۵ / ۳۵۳ ـ ۳۵٤.
۵ـ مجمع البيان ۵ / ۳۵٤.

المتضمّنة للعصيان.[١]

[٣٥] «ثُمَّ بَدَالَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ».

«ثمّ بدا لهم». كان العزيز سامعاً لقول امرأته فطاوعها في سجنه مع ما رأى من الآيات.[٢]

«ليسجننّه». و ذلك لأنّها خدعت زوجها و حملته على سجنه زماناً حتّى تبصر ما يكون منه.[٣]

«ثمّ بدا لهم». لم يقل: لهنّ، لأنّه أراد به الملك. و قيل: زليخا و أعوانها، فغلب المذكّر. و أراد بالآيات العلامات الدالّة على براءة يوسف. و قيل: العلامات الدالّة على الإياس منه. و قوله: «بدا» فاعله مضمر ـ أي: بدا لهم بداء ـ دلّ عليه: «ليسجننّه». فإنّ السجن هو الذي بدا لهم. و ذلك أنّ المرأة قالت لزوجها: إنّ هذا العبد قد فضحني في الناس حيث إنّه يخبرهم أنّي راودته عن نفسه. و لست أطيق أن أعتذر بعذري. فإمّا أن تأذن فأخرج و أعتذر. و إمّا أن تحبسه. فحبسه بعد علمه ببراءته. و قيل: إنّ الغرض من الحبس أن يظهر للناس أنّ الذنب كان منه، لأنّه إنّما يحبس المجرم. و قيل: كان الحبس قريباً منها فأرادت أن يكون بقربها حتّى إذا أشرفت عليه رأته. «حتّى حين»؛ أي: إلى سبع سنين أو خمس. و قيل: إلى وقت ينسى حديث المرأة معه و ينقطع فيه عن الناس خبره.[٤]

«ليسجننّه». جواب قسم محذوف.

[٣٦] «وَ دَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْراً وَ قَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزاً تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ».

«و دخل معه السجن فتيان»؛ أي: اتّفق أن أدخل معه حدثان أو مملوكان لملك مصر

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٨٣.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٤٦٨.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٨٣.
٤ـ مجمع البيان ٥ / ٣٥٤.

الأكبر ـ و هو الوليد بن ريّان ـ أحدهما صاحب شرابه و الآخر خبّازه للاتّهام بأنّهما يريدان أن يسمّاه. «قال أحدهما». يعني الشرابيّ. «إنّي أراني». هو من رؤيا النوم. لأنّ يوسف لمّا دخل السجن قال لأهله: إنّي أعبر الرؤيا. فقال أحد الرجلين لصاحبه: هلمّ فلنختبره. فسألاه من غير أن رأيا شيئاً. و قيل: بل رأياه على صحّة و حقيقة ولكنّهما كذبا في الإنكار. و قيل: إنّ المصلوب منهما كان كاذباً، و الآخر كان صادقاً. و هو المرويّ عن أئمّتنا عليهم السلام. «أراني». أي قال الساقي. «أعصر خمراً»؛ أي: عنباً في كأس الملك فسقيته إيّاه. «و قال الآخر» ـ أي الخبّاز ـ: كأنّ فوق رأسي ثلاث سلال فيها الخبز و سباع الطير تنهش منه. «من المحسنين»: توفّر الأعمال الجميلة. لأنّه كان إذا ضاق على رجل مكانه وسّع له، و إن احتاج جمع له، و إن مرض قام عليه. و هو المرويّ عن أبي عبدالله عليه السلام. و قيل: ممّن يحسن تأويل الرؤيا. و في الحديث أنّ الرؤيا جزء من ستّة و أربعين جزءاً من النبوّة. و تأويله أنّ الأنبياء يخبرون بما سيكون و الرؤيا تدلّ على ما سيكون. و قيل: معناه: نراك من المحسنين إلينا إن فسّرت لنا الرؤيا.[١]

[٣٧] «قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ».

ثمّ ذكر لهما ما يدلّ على أنّه عالم بتعبير الرؤيا فقال: «لا يأتيكما طعام ترزقانه» في منامكما «إلّا نبّأتكما بتأويله» في اليقظة «قبل أن يأتيكما» التأويل. و ذلك أنّه كره أن يخبرهما بالتأويل لما على أحدهما فيه من البلاء فأعرض عن سؤالهما و أخذ في غيره. و قيل: إنّه إنّما قدّم هذا ليعلما ما خصّه الله من النبوّة و ليقبلا عليه فقال: لا يأتيكما طعام من منزلكما إلّا أخبرتكما بصفة ذلك الطعام و كيفيّته قبل أن يأتيكما. كما قال عيسى عليه السلام: «و أنبّئكم بما تأكلون و ما تدّخرون في بيوتكم».[٢] «ذلكما ممّا علّمني ربّي». كأنّهما قالا له: كيف عرفت

١ـ مجمع البيان ٥ / ٣٥٥ ـ ٣٥٦.

٢ـ آل عمران (٣) / ٤٩.

تأويل الرؤيا و لست بكاهن و لا عرّاف؟ فأخبرهما أنّه رسول الله و أنّه تعالى علّمه بالوحي ذلك. «إنّي تركت». فلذلك خصّني الله بهذه الكرامة.[١]

«ممّا علّمني» بالإلهام و الوحي. «إنّي تركت». إمّا تعليل لما قبله ـ أي: علّمني ذلك لأنّي تركت ـ أو كلام مبتدأ لتمهيد الدعوة و إظهار أنّه من بيت النبوّة لتقوى رغبتهما في الاستماع إليه. و لذلك جوّز للخامل أن يصف نفسه فيقتبس منه. و تكرير الضمير للدلالة على تأكيد كفرهم بالآخرة.[٢]

«إلّا نبّأتكما». وصف نفسه بإخبار الغيب و أنّه ينبّئهما بما يحمل إليهما من الطعام في السجن قبل أن يأتيهما و يصفه لهما و يقول: اليوم يأتيكما طعام من صفته كيت و كيت، فيجدانه كما أخبرهما.[٣]

[٣٨] «وَ اتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللهِ مِنْ شَيْءٍ ذٰلِكَ مِنْ فَضْلِ اللهِ عَلَيْنَا وَ عَلَى النَّاسِ وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ».

«و على الناس». لهداية الناس بهم.

«ما كان لنا»؛ أي: لاينبغي لنا ـ و نحن معدن النبوّة ـ أن ندين بغير التوحيد. «ذلك»؛ أي: التمسّك بالتوحيد. و قيل: النبوّة و العلم. «من فضل الله علينا» خصّنا الله بها «و على الناس» أيضاً بإرسالنا إليهم و اتّباعهم إيّانا. «لايشكرون». أي نعم الله. و قد كان يوسف أقام فيما بينهم زماناً و لم يحك الله أنّه دعا إلى الدين و كانوا يعبدون الأصنام، لأنّه لم يطمع منهم في الاستماع و القبول. فلمّا رآهم عارفين بإحسانه مقبلين عليه، رجا منهم القبول منه، فدعاهم إلى التوحيد على ما أمره الله سبحانه في قوله: «ادع إلى سبيل ربّك بالحكمة و الموعظة الحسنة»[٤]. روي أنّ صاحبي السجن قالا له: قد أحببناك حين رأيناك. فقال: لاتحبّاني. فو الله ما أحبّني أحد إلّا دخل عليّ من محبّته بلاء. أحبّتني عمّتي فنسبتني إلى السرقة. و أحبّني

١ـ مجمع البيان ٥ / ٣٥٦ ـ ٣٥٧.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٨٤.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٤٦٩ ـ ٤٧٠.
٤ـ النحل (١٦) / ١٢٥.

أبي فألقيت في الجبّ. و أحبّتني امرأة العزيز، فألقيت في السجن.[١]

هذا الحديث رواه عليّ بن إبراهيم عن الرضا عليه السلام إلّا أنّه قال السجّان. و في آخره: قال: يا ربّ بما استحققت السجن؟ فأوحي إليه: أنت اخترته حين قلت: «ربّ السجن أحبّ إليّ ممّا يدعونني».[٢]

[٣٩] «يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ».

«يا صاحبي السجن»؛ أي: يا صاحبي فيه. فأضافهما إليه على الاتّساع. كقوله: «يا سارق اللّيلة أهل الدار».[٣]

«أأرباب». استفهام توبيخ.

«يا صاحبي السجن»؛ أي: ملازمي السجن، أصنام متباينون من حجر و خشب لاتضرّ و لاتنفع، خير لمن عبدها، أم الله الواحد القهّار الذي إليه الضرّ و النفع؟ و الاستفهام للتقرير.[٤]

[٤٠] «مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَ آبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلّٰهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ».

«ما تعبدون من دونه». خطاب لجميع من في السجن. «سمّيتموها». يعني: الأرباب و الآلهة هي أسماء فارغة عن المعاني، ما أنزل الله سبحانه من حجّة بعبادتها. «إن الحكم إلّا لله». فلايجوز العبادة و الخضوع إلّا له. «أمر»؛ أي: أمركم. «ذلك»؛ أي: الذي بيّنت لكم من توحيده الدين المستقيم الذي لا عوج فيه. «لايعلمون» ما للمطيع من الثواب و للعاصي من

١ـ مجمع البيان ٥ / ٣٥٧.
٢ـ تفسير القمّيّ ١ / ٣٥٤.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٨٤.
٤ـ مجمع البيان ٥ / ٣٥٨.

العقاب. أو: لايعلمون صحّة ما أقوله لعدولهم عن النظر و الاستدلال.[١]

«سمّيتموها»؛ أي: سمّيتم بها.[٢]

«أمر» على لسان أنبيائه.[٣]

[٤١] «يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً وَ أَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ».

«أمّا أحدكما» و هو الساقي، أخبره أنّه يبقى ثلاثة أيّام [ثمّ] يخرجه الملك في اليوم الرابع و يعود إلى ما كان عليه. و أجرى على مالكه صفة الربّ لأنّه عبده. «و أمّا الآخر»؛ يعني الخبّاز، أخبره أنّه بعد ثلاثة أيّام يخرجه الملك فيصلب فتأكل الطير من رأسه. فقال عند ذلك: ما رأيت شيئاً و كنت ألعب. فقال يوسف: «قضي الأمر»؛ أي: فرغ من الأمر الذي تطلبان معرفته. و ما قلته لكما، فإنّه نازل بكما لا محالة. و في ذلك دلالة على أنّه كان يقول ذلك عن جهة الإخبار عن الغيب بما يوحى إليه لا كما يعبر أحدنا الرؤيا على جهة التأويل.[٤]

«فيسقي ربّه» كما كان يسقيه من قبل. (ع)

«قضي»؛ أي: قطع الأمر الذي تستفتيان فيه و هو ما يؤول إليه أمركما. و لذلك وحّده. فإنّهما و إن استفتيا في أمرين، لكنّهما أرادا استبانة عاقبة ما نزل بهما.[٥]

[٤٢] «وَ قَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ».

١ـ مجمع البيان ٥ / ٣٥٨.

٢ـ الكشّاف ٢ / ٤٧١.

٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٨٤.

٤ـ مجمع البيان ٥ / ٣٥٨ ـ ٣٥٩.

٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٨٥.

«و قال»؛ أي: يوسف قال للّذي علم من طريق الوحي «أنّه ناج»؛ أي: متخلّص. كما في قوله: «إنّي ظننت أنّي ملاق حسابيه».[١] هذا قول الأكثرين. و قال قتادة: للّذي ظنّه ناجياً لأنّه لم يحكم بصدقه فيما قصّه من الرؤيا. و الأوّل أصحّ. «عند ربّك»؛ أي: عند سيّدك بأنّي محبوس ظلماً. «فأنساه الشيطان»؛ يعني: أنسى الشيطان يوسف ذكر ربّه تعالى في تلك الحال حتّى استغاث بمخلوق فالتمس من الناجي منهما أن يذكره عند سيّده. و كان من حقّه التوكّل على الله في ذلك. «فلبث في السجن بضع سنين»؛ أي: سبع سنين. و روي ذلك عن عليّ بن الحسين عليهما السلام. و قيل: معناه: فأنسى الشيطان الساقي ذكر يوسف عند الملك فلم يذكره حتّى لبث في السجن. و تقديره: فأنساه الشيطان ذكر يوسف عند ربّه. و قد روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: عجبت من أخي يوسف كيف استغاث بالمخلوق دون الخالق! و روي أنّه عليه السلام قال: لولا كلمته في السجن، مالبث طول ما لبث. يعني قوله: «اذكرني عند ربّك». و روي عن أبي عبدالله عليه السلام قال: جاء جبرئيل فقال: يا يوسف، من جعلك أحسن الناس؟ قال: ربّي. قال: فمن صرف عنك كيد النسوة؟ قال: ربّي. قال: فإنّ ربّك يقول: ما دعاك إلى أن تنزل حاجتك بمخلوق دوني؟ البث في السجن بضع سنين. قال: فبكى يوسف عند ذلك حتّى بكى لبكائه الحيطان. فتأذّى ببكائه أهل السجن. فصالحهم على أن يبكي يوماً و يسكت يوماً. فكان في اليوم الذي يسكت أسوأ حالاً. «بضع سنين». قيل: البضع ما بين الثلاث إلى الخمس. و قيل: إلى التسع. و أكثر المفسّرين على أنّ البضع في الآية سبع سنين. قال الكلبيّ: و هذه السبع سوى الخمسة التي كان قبل ذلك.[٢]

فإن قلت: كيف يقدر الشيطان على الإنساء؟ قلت: يوسوس إلى العبد بما يشغله عن الشيء من أسباب النسيان حتّى يذهب عنه و يزول عن قلبه. و أمّا الإنساء ابتداء، فلايقدر عليه إلّا الله عزّ و جلّ. «ما ننسخ من آية أو ننسها».[٣][٤]

١ـ الحاقّة (٦٩) / ٢٠.
٢ـ مجمع البيان ٥ / ٣٥٩ـ ٣٦٠.
٣ـ البقرة (٢) / ١٠٦.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٤٧٢.

عن أبي عبدالله ﷺ قال: لمّا قال يوسف للفتى: «اذكرني عند ربّك». أتاه جبرئيل فضربه[١] برجله حتّى كشط له من الأرض السابعة فقال له: يا يوسف، انظر ماذا ترى؟ قال: أرى حجراً صغيراً. ففلق الحجر فقال: ماذاترى؟ قال: أرى دودة صغيرة. قال: فمن رازقها؟ قال: الله. قال: فإنّ ربّك يقول: لم أنس هذه الدودة في ذلك الحجر في قعر الأرض السابعة. ظننت أنّي أنساك حتّى تقول للفتى: «اذكرني عند ربّك»؟ لتلبث في السجن بمقالتك هذه بضع سنين.[٢]

[٤٣] «وَ قَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَ سَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَ أُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ».

أخبر سبحانه عن سبب نجاة يوسف من السجن؛ و هو أنّه لمّا قرب الفرج، رأى الملك رؤيا أشكل تعبيرها على قومه. «و قال الملك». يعني الوليد بن ريّان و العزيز وزيره فيما رواه الأكثرون. «عجاف»؛ أي: مهازيل. فدخلت السمان في بطون المهازيل حتّى لم أر منهنّ شيئاً. «و سبع سنبلات»؛ أي: و أرى في منامي سبع سنبلات قد انعقد حبّها و سبع سنبلات أخرى يابسات قد استحصدت فالتوت اليابسات على الخضر حتّى غلبن عليها. «يا أيّها الملأ»؛ أي: جميع الأشراف. «أفتوني»؛ أي: عبّروا ما رأيت في منامي و بيّنوا لي الفتوى فيه و هو حكم الحادثة. «سنبلات». قرأ جعفر بن محمّد: «و سبع سنابل خضر». «إن كنتم للرؤيا تعبرون»؛ أي: كنتم عابرين للرؤيا. و قيل: إنّ اللّام بمعنى إلى. أي: إن كنتم توجّهون العبارة للرؤيا.[٣]

«للرؤيا». اللّام للبيان أو لتقوية العامل، فإنّ الفعل لمّا أخّر عن مفعوله ضعف فقوّي باللّام كاسم الفاعل، أو لتضمين «تعبرون» معنى فعل يعدّى باللّام كأنّه قيل: إن كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا.[٤]

١ـ كذا في المصدر أيضاً.
٢ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ١٧٧، ح ٢٧.
٣ـ مجمع البيان ٥ / ٣٦٣ ـ ٣٦٤ و ٣٦١.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٨٥.

[٤٤] «قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَ مَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ».

«أضغاث أحلام»؛ أي: هذه أباطيل أحلام. و قيل: تخاليط أحلام. يعني أنّها منامات كاذبة لايصحّ تأويلها. «و ما نحن بتأويل الأحلام» التي هذه صفتها «بعالمين». و إنّما نعلم تأويل ما يصحّ منها. و كان جهل الملأ بتاويل رؤيا الملك سبب نجاة يوسف. لأنّ الساقي تذكّر حديث يوسف فجثا بين يديه و قال: أيّها الملك، إنّي قصصت أنا و صاحب الطعام على رجل في السجن منامين فخبّرنا بتأويلهما و صدق. فإن أذنت، مضيت إليه و أتيتك من قبله بتعبير هذه الرؤيا.(١)

«أضغاث احلام»؛ أي: هي أضغاث أحلام. و هي تخاليطها. جمع ضغث. و أصله ما جمع من أخلاط النبات و حزم، فاستعير للرؤيا الكاذبة. و إنّما جمعوا للمبالغة في وصف الحلم بالبطلان ـ كقولهم: فلان يركب الخيل ـ أو لتضمّنه أشياء مختلفة.(٢)

عن أبي الحسن عليه السلام قال: إنّ الأحلام لم يكن فيما مضى في أوّل الخلق، و إنّما حدثت. و ذلك أنّ الله بعث رسولاً إلى أهل زمانه فدعاهم إلى طاعة الله وعدهم الجنّة و توعّدهم بالنار، فقالوا: و ما الجنّة و النار؟ فوصف لهم ذلك و قال: ترونهما بعد الموت. فقالوا: رأينا أمواتنا صاروا عظاماً و رفاتاً! فازدادوا تكذيباً. فأحدث الله فيهم الأحلام. فأخبروه بما رأوا. فقال: إنّ الله أراد أن يحتجّ عليكم بهذا. هكذا تكون أرواحكم إذا متّم. و إن بليت أبدانكم، تصير الأرواح إلى عقاب حتّى تبعث الأبدان.(٣)

عن أبي عبدالله عليه السلام، [قال الراوي:] الرؤيا يراها الرجل فتكون كما يراها. و ربما يرى فلايكون شيئاً. فقال: إنّ المؤمن إذا نام، خرجت من روحه حركة ممدودة صاعدة إلى السماء. و كلّ ما رآه المؤمن في ملكوت السماء في موضع التقدير و التدبير، فهو الحقّ. و كلّ ما رآه في الأرض، فهو أضغاث أحلام.(٤)

١ـ مجمع البيان ٥ / ٣٦٤.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٨٥ ـ ٤٨٦.
٣ـ الكافي ٨ / ٩٠، ح ٥٧.
٤ـ أمالي الصدوق / ١٢٤ ـ ١٢٥، ح ١٥.

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: رأت فاطمة عليها السلام في النوم كأنّ الحسن و الحسين عليهما السلام ذبحا أو قتلا، فأحزنها ذلك فأخبرت رسول الله صلى الله عليه و آله. فقال: يا رؤيا. فتمثّلت بين يديه. فقال: أرأيت[1] فاطمة هذا البلاء؟ فقالت: لا. قال: يا أضغاث، أنت أريت[2] فاطمة هذا؟ قالت: نعم يا رسول الله. قال: فما أردت بذلك؟ قال:أردت أن أحزنها. فقال: يا فاطمة، اسمعي. ليس هذا بشيء.[3]

[٤٥] «وَ قَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَ ادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ».

«و ادّكر»: أصله: اذتكر، من الذكر، فقلب و أدغم. (ع (ره)).

«و ادّكر بعد أمّة»؛ أي: تذكّر يوسف بعد جماعة من الزمان مجتمعة؛ أي: مدّة طويلة.[4]

«و ادّكر بعد أمّة»: تذكّر شأن يوسف و ما وصّاه به بعد حين من الدهر.[5]

«فأرسلون». تقديره: فأرسلوه إلى يوسف فقال: «يوسف». (ع)

[٤٦] «يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَ سَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَ أُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ».

فأتى [الساقي] إليه و قال: «أيّها الصدّيق»: الكثير الصدق. «أفتنا في سبع بقرات» إلى: «يابسات». فإنّ الملك رأى هذه الرؤيا و اشتبه تأويلها. «لعلّي أرجع إلى الناس»: الملك و أصحابه. «لعلّهم يعلمون» فضلك فيخرجوك من السجن. أو: لعلّهم يعرفون تأويل رؤيا الملك. «لعلّي». أتى بلفظ لعلّ لاحتمال الاخترام قبل الرجوع. روي عن النبيّ صلى الله عليه و آله أنّه قال: لقد عجبت من يوسف و كرمه و صبره ـ و الله يغفر له ـ حين سئل عن البقرات العجاف و

١ـ كذا في المصدر أيضاً. و الظاهر أنّ الصحيح: «أريت» كما يأتي في العبارة الآتية.

٢ـ المصدر: أرأيت.

٣ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ١٧٨ ـ ١٧٩، ح ٣١.

٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٨٦.

٥ـ مجمع البيان ٥ / ٣٦٤.

السمان. و لو كنت مكانه، ما أخبرتهم حتّى أشترط أن يخرجوني من السجن.[١]

[٤٧] «قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلاً مِمَّا تَأْكُلُونَ».

«قال تزرعون». يعني أمّا البقرات السبع العجاف و السنابل السبع اليابسات، فالسنون الجدبة. و أمّا السبع السمان و السنابل السبع الخضر، فإنّهنّ سبع سنين مخصبات ذوات نعمة و أنتم تزرعون فيها. «دأباً»؛ أي: فازرعوا سبع سنين متوالية على عادتكم في الزراعة. و يجوز أن يكون حالاً. أي: تزرعون دائبين. «فما حصدتم» من الزرع، فاتركوه في سنبله ليكون أبعد من الفساد. يعني أنّ ما أردتم أكله فدوسوه و اتركوا الباقي في السنبل. و قيل: إنّما أمرهم بذلك لأنّ السنبل لايقع فيه سوس و إن بقي مدّة من الزمان. «دأباً». حفص: «دَأَباً» بفتح الهمزة، و الباقون بسكونها. الدأب: العادة. و يقال: دأب في عمله: اجتهد.[٢]

[٤٨] «ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلاً مِمَّا تُحْصِنُونَ».

«سبع شداد»؛ أي: سبع سنين مجدبة يشتدّ الأمر على الناس و يأكلون فيها ما قدّموا في السنين المخصبة. قال ابن أسلم: كان يوسف عليه السلام يصنع طعام اثنين فيقرّبه إلى رجل فيأكل نصفه. حتّى كان ذات يوم قرّبه إليه فأكله كلّه، فقال: هذا أوّل يوم من السبع الشداد. «تحصنون»؛ أي: إلّا شيئاً قليلاً ممّا تحرزون.[٣]

[٤٩] «ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَ فِيهِ يَعْصِرُونَ».

«يغاث الناس»؛ أي: يأتي من بعد هذه السنين الشداد عام فيه يمطر الناس. من الغيث. [و قيل: من الغوث و الغياث.] أي: ينجون و ينقذون من القحط. «و فيه يعصرون» الثمار

١ـ مجمع البيان ٥ / ٣٦٤ و ٣٦٧.
٢ـ مجمع البيان ٥ / ٣٦٤ ـ ٣٦٥ و ٣٦١ و ٣٦٣.
٣ـ مجمع البيان ٥ / ٣٦٥.

التي تعصر في الخصب كالعنب و الزيت و السمسم. و قيل: معناه: ينجون من الجدب. من الاعتصار بمعنى الالتجاء. و هذا القول من يوسف إخبار بما لم يسألوه عنه و لم يكن في رؤيا الملك، بل هو ممّا أطلعه الله عليه من علم الغيب ليكون من آيات نبوّته. و قال البلخيّ: و هذا التأويل من يوسف يدلّ على بطلان قول من يقول: إنّ الرؤيا على ما عبّرت أوّلاً. لأنّهم كانوا قالوا: «أضغاث احلام»، فلو كان ما قالوه صحيحاً، لكان يوسف لايتأوّلها.[١]

لايخفى ما فيه. لأنّهم لم يعبروها حتّى يعرض يوسف عن تعبيرها. (ع)

«يعصرون». قرأ جعفر بن محمّد عليه السلام بياء مضمومة و صاد مفتوحة.[٢]

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قرأ رجل على أميرالمؤمنين عليه السلام: «فيه يغاث الناس و فيه يُعصِرون». فقال: ويحك! أيّ شيء يعصرون؟ الخمر؟ قال الرجل: يا أميرالمؤمنين، كيف أقرؤها؟ فقال: إنّما أنزلت: «و فيه يعصَرون»؛ أي: يمطرون بعد سنين المجاعة. كما قال: «و أنزلنا من المعصرات ماء ثجّاجاً».[٣][٤]

«يعصرون». حمزة و الكسائيّ بالتاء، على تغليب المستفتي.[٥]

[٥٠] «وَ قَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْئَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ».

«و قال الملك ائتوني به». لمّا رجع رسول الملك بجواب تعبير الرؤيا، طلبه الملك. فأبى يوسف أن يخرج مع الرسول حتّى يتبيّن براءته ممّا قذف به، فقال للرسول: «ارجع إلى ربّك»؛ أي: سيّدك ـ و هو الملك ـ فاسأله ما حال النسوة. سأل الملك أن يتعرّف حال النسوة اللّاتي قطّعن أيديهنّ ليعلم صحّة براءته. و لم يفرد زليخا بالذكر، رعاية أدب منه، لكونها زوجة الملك أو خليفته، فخلطها بالنسوة. و قيل: أرادهنّ دونها، لأنّهنّ الشاهدات له عليها، و

١ـ مجمع البيان ٥ / ٣٦٥.
٢ـ مجمع البيان ٥ / ٣٦١.
٣ـ النبأ (٧٨) / ١٤.
٤ـ تفسير القمّيّ ١ / ٣٤٦.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٨٦.

لأنّهنّ ادّعين عليه نحو ما ادّعته زليخا. قال ابن‌عبّاس: لو خرج قبل أن يعلم الملك بشأنه، ما زالت في نفس العزيز منه حالة يقول: هذا الذي راود امرأتي. و قيل: أشفق يوسف من أن يراه الملك بعين مشكوك في أمره متّهم بفاحشة فأحبّ أن يراه بعد أن يزول عن قلبه ما كان فيه. و روي عن النبيّ ﷺ أنّه قال: عجبت من يوسف و صبره و كرمه حين أتاه الرسول فقال: «ارجع إلى ربّك». و لو كنت مكانه و لبثت في السجن ما لبث، لأسرعت الإجابة و بادرتهم الباب و ما ابتغيت العذر. إنّه كان لحليماً ذا أناة. «بكيدهنّ عليم»، قادر على إظهار براءتي. و قيل: إنّ سيّدي الذي هو العزيز لعليم بكيدهنّ. استشهده فيما علم من حاله. عن أبي‌مسلم. و الأوّل هو الوجه.(١)

«فاسأله». فيه دليل على أنّه ينبغي أن يجتهد في نفي التهم و يتّقي مواقعها.(٢)

«النسوة». عاصم بضمّ النون. و كسرها الباقون. و هما لغتان.(٣)

«بكيدهنّ عليم». يجوز أن يكون أراد الوعيد لهنّ. أي: إنّ ربّي يعلم كيدهنّ و يجازيهنّ.(٤)

[٥١] «قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلّٰهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ».

«حاش لله». تنزيه له و تعجّب من قدرته على خلق عفيف مثله.(٥)

«ما خطبكنّ إذ راودتنّ يوسف عن نفسه»؟ هل وجدتنّ منه ميلاً إليكنّ؟(٦)

«ما خطبكنّ». أي طلب الملك النسوة و قال: ما شأنكنّ إذ دعوتنّه إلى أنفسكنّ؟

«حاش لله». تنزيه له عن ذلك الأمر. «من سوء»؛ أي: من خيانة، و ما فعل شيئاً ممّا

١ـ مجمع البيان ٥ / ٣٦٧.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٨٧.
٣ـ مجمع البيان ٥ / ٣٦٦.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٤٧٨.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٨٧.
٦ـ الكشّاف ٢ / ٤٧٨.

نسب إليه. «حصحص»؛ أي: ظهر و تبيّن. «لمن الصادقين» في قوله: «هي راودتني عن نفسي». و إنّما حملها على الصدق انقطاع طمعها منه.[١]

[٥٢] «ذٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَ أَنَّ اللهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ».

«ذلك ليعلم». هذا من كلام يوسف. أي: ذلك الذي فعلت من ردّي رسول الملك إليه في شأن النسوة، ليعلم الملك أو العزيز «أنّي لم أخنه بالغيب» في زوجته. و اتّصل كلام يوسف بكلام امرأة العزيز لظهور الدلالة على المعنى. و قيل: بل هو من كلام امرأة العزيز. أي: ذلك الإقرار ليعلم يوسف أنّي لم أخنه في غيبته بتوريك الذنب عليه و إن خنته بحضوره. «لايهدي كيد الخائنين»؛ أي: لايهديهم في كيدهم و مكرهم.[٢]

«بالغيب». في محلّ النصب على الحال، إمّا من الفاعل أو المفعول. أي: و هو غائب عن عيني، أو أنا غائب. «لايهدي كيد الخائنين»؛ أي: لاينفذه و لايسدّده. و كأنّه تعريض بامرأته في خيانتها أمانة زوجها، و به في خيانة أمانة الله، حيث ساعدها بعد ظهور الآيات على حبسه. و يجوز أن يكون تأكيداً لأمانته و أنّه [لو] كان خائناً، لما هدى الله كيده و لاسدّده. ثمّ أراد [أن] يتواضع لله و يهضم نفسه لئلّايكون [لها] مزكّياً و بحالها في الأمانة معجباً و مفتخراً فقال: «و ما أبرّئ نفسي» من الزلل.[٣]

[٥٣] «وَ مَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ».

«و ما أبرّئ نفسي». قاله يوسف استكانة... .

«و ما أبرّئ». هذا من كلام يوسف عند أكثر المفسّرين. و قيل: هو من كلام امرأة العزيز. أي: و ما أبرّئ نفسي من السوء و الخيانة في أمر يوسف. «إنّ النفس لأمّارة». أي: كثيرة

١ـ مجمع البيان ٥ / ٣٦٧.
٢ـ مجمع البيان ٥ / ٣٦٨.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٤٧٩ ـ ٤٨٠.

الأمر بالسوء و الشهوة. و اللّام للجنس. أي: كلّ النفوس كذلك. أو للعهد، إشارة إلى نفسها. «إلّا ما رحم»؛ أي: من رحمه الله و عصمه باللّطف. أو: إلّا مدّة ما عصم ربّي. و من قال إنّه من كلام يوسف، قال: إنّه أراد الدعاء و المنازعة و الشهوة و لم يرد العزم على المعصية. أي: لا أبرّئ نفسي ممّا لاتعرى منه طباع البشر. و إنّما امتنعت عن الفاحشة بحول الله و لطفه و هدايته لا بنفسي. و إنّما قال: «و ما أبرّئ نفسي» لأنّه كره أن يكون قد زكّى نفسه.[١]

«بالسوء». ابن‌كثير و نافع: «بالسوّ» بقلب الهمزة واواً و الإدغام.[٢]

«إلّا ما رحم ربّي». و هم أولو العصمة و الطهارة.

[٥٤] «وَ قَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ».

«و قال الملك» لمّا تبيّن له أمانة يوسف و علمه. «أستخلصه» لتدبير أموري.[٣]

«فلمّا كلّمه». لمّا دخل يوسف على الملك، دعا له بالعبرانيّة، فقال: ما هذا اللسان؟ قال: لسان آبائي. و كان الملك يتكلّم بسبعين لساناً فكلّمه بها، فأجابه بجميعها. فتعجّب منه و قال: أيّها الصدّيق، إنّي أحبّ أن أسمع رؤياي منك. فوصف له رؤياه على ما رأى. ثمّ قال له: من حقّك أن تجمع الطعام في الأنابير فيأتيك الخلق من النواحي و يمتارون منك و يجتمع لك من الكنوز ما لم يجتمع لأحد. «مكين»: صاحب منزلة. «أمين»: مؤتمن على كلّ شيء.[٤]

[٥٥] «قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ».

«قال اجعلني على خزائن الأرض»: ولّني خزائن أرضك. إنّي أمين أحفظ ما تستحفظنيه، عالم بوجوه التصرّف، وصفاً لنفسه بالأمانة و الكفاية اللّتين هما طلبة الملوك ممّن يولّونه. و إنّما قال ذلك ليتوصّل إلى إمضاء أحكام الله و إقامة الحقّ و بسط العدل و

١ـ مجمع البيان ٥ / ٣٦٨.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٨٧.
٣ـ مجمع البيان ٥ / ٣٦٩.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٤٨١ ـ ٤٨٢.

التمكّن ممّا لأجله يبعث الأنبياء إلى العباد، و لعلمه أنّ أحداً لايقوم مقامه في ذلك. فطلب التولية ابتغاء وجه الله، لا لحبّ الملك و الدنيا. و عن النبيّ ﷺ: رحم الله أخي يوسف. لو لم يقل: «اجعلني على خزائن الأرض» لاستعمله من ساعته. ولكنّه أخّر ذلك سنة. قيل: كان الملك يصدر عن رأيه و كان كالتابع له و المطيع.(١)

«إنّي حفيظ عليم». فيه دلالة على أنّه يجوز للإنسان أن يصف نفسه بالفضل عند من لايعرفه. فإنّه عرّف الملك حاله ليقيمه في الأمور التي فيها صلاح العباد، فلايدخل تحت قوله: «فلاتزكّوا أنفسكم».(٢) و قيل: إنّ الملك الأكبر فوّض إليه أمر مصر و عزل قطفير و جعل يوسف مكانه. و قيل: إنّ قطفير هلك في تلك اللّيالي، فزوّج الملك امرأته زليخا بيوسف فوجدها عذراء.(٣)

[٥٦] «وَ كَذٰلِكَ مَكَّـنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَ لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ».

و في تفسير عليّ بن إبراهيم: لمّا مات العزيز في السنين الجدبة، افتقرت امرأة العزيز و احتاجت حتّى سألت الناس. فقالوا لها: ما يضرّك لو قعدتي للعزيز؟ فقالت: أستحيي. فلم يزالوا بها حتّى قعدت. فجاء يوسف في موكبه. فقالت له: سبحان من جعل الملوك بالمعصية عبيداً و العبيد بالطاعة ملوكاً. فأمر بها فحوّلت إلى منزله. و كانت هرمة. فقال لها يوسف: لم فعلت بي كذا و كذا؟ قالت: لاتلمني. فإنّي بليت بحبّك، و لم يكن في الدنيا لك نظير، و لاكان بمصر امرأة أجمل منّي و بليت بزوج عنّين. [فقال لها يوسف: فما حاجتك؟] قالت: تسأل الله أن يردّ شبابي. فردّه فتزوّجها و هي بكر. فدعاه الملك بعد سنة فتوّجه و ردّاه بسيفه و أمر بأن يوضع له سرير مكلّل بالدرّ و الياقوت. فجلس على السرير و دانت له الملوك. فذلك قوله: «و كذلك مكّنّا» ـ الآية. «نصيب»؛ أي: نخصّ بنعم الدنيا و الدين. و

١ـ الكشّاف ٢ / ٤٨٢. ٢ـ النجم (٥٣) / ٣٢.

٣ـ مجمع البيان ٥ / ٣٧١.

قيل: إنّه دعا الملك إلى الإسلام، فأسلم. فهذا في الدنيا. و فيه دلالة على جواز تولّي القضاء من جهة الباغي و الظالم إذا كان يتمكّن بذلك من إقامة أحكام الدين.(١)

«و لذلك»؛ أي: مثل ذلك التمكين الظاهر. «في الأرض»: أرض مصر. «يتبوّأ»؛ أي: كلّ مكان يريد أن يتّخذه منزلاً [و] متبوّأ له، لم يمنع لاستيلائه على جميعها.(٢)

«و لانضيع أجر المحسنين»؛ في الدنيا و الآخرة.

و عن الرضا عليه السلام: فأقبل يوسف على جمع الطعام. فجمع في السبع السنين المخصبة فكبسه في الخزائن. فلمّا أقبلت الجدبة، أقبل على بيع الطعام. فباعهم في السنة الأوّل بالدراهم و الدنانير؛ حتّى لم يبق بمصر و ما حولها درهم و لا دينار إلّا صار في ملكه. ثمّ باعهم في السنة الثانية بالحليّ و الجواهر كذلك. و باعهم في السنة الثالثة بالدوابّ و المواشي، و في السنة الرابعة باعهم بالعبيد و الإماء. و باعهم في الخامسة بالدور و العقار، و في السادسة بالمزارع و الأنهار، و في السابعة برقابهم. فملك الأموال و الرقاب. فقال يوسف للملك: ما ترى فيما خوّلني ربّي من ملك [مصر] و أهلها؟ أشر علينا [برأيك]. فإنّي لم أنجهم من البلاء ليكون وبالاً عليهم.(٣) قال له الملك: الرأي رأيك. قال يوسف: إنّي أشهد الله و أشهدك ـ أيّها الملك ـ أنّي أعتقت أهل مصر كلّهم و رددت عليهم أموالهم و عبيدهم، و رددت عليك ـ أيّها الملك ـ خاتمك و سريرك و تاجك، على أن لاتحكم إلّا بحكمي. قال له الملك: إنّ ذلك لشرفي و فخري. و أنا أشهد أن لا إله إلّا الله و أنّك رسوله. فأقم على ما ولّيتك. فإنّك لدينا مكين أمين.(٤)

[٥٧] «وَ لَأَجْرُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَ كَانُوا يَتَّقُونَ».

«و لأجر الآخرة خير». يعني أنّ ما يعطيه الله يوسف في الآخرة خير ممّا آتاه الله في الدنيا. (ع)

١ـ مجمع البيان ٥ / ٣٧٢.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٤٨٣.
٣ـ المصدر: لأكون بلاء عليهم.
٤ـ مجمع البيان ٥ / ٣٧٢ ـ ٣٧٣.

[٥٨ ـ ٥٩] «وَ جَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَ هُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ * وَ لَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَ أَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ».

«و جاء إخوه يوسف» ـ الآية. لمّا أصاب الناس من القحط مثل ما أصاب مصر، قال يعقوب لبنيه: إنّه يباع الطعام بمصر. و إنّ صاحبه رجل صالح. فاذهبوا إليه. فإنّه يحسن إليكم. فتجهّزوا و ساروا فدخلوا على يوسف ليمتاروا من مصر و هم عشرة، و أمسك بنيامين عنده. فعرفهم يوسف و كان بين أن قذفوه في الجبّ و بين أن دخلوا عليه أربعون سنة، فلذلك أنكروه. لأنّهم رأوه ملكاً جالساً على السرير عليه ثياب الملوك و لم يكن يخطر ببالهم أنّه يصير إلى مثل تلك الحالة. و كان يوسف ينتظر قدومهم عليه. فلمّا كلّموه بالعبرانيّة، قال: من أنتم؟ فإنّي أنكر شأنكم. قالوا: نحن قوم من أرض الشام رعاة. أصابنا الجهد فجئنا نمتار. فقال: لعلّكم عيون جئتم تنظرون عورة بلادي. فقالوا: لا و الله، ما نحن بجواسيس. و نحن أولاد يعقوب نبيّ الله. و إنّه لمحزون لأنّ ولده الصغير خرج معنا إلى الصيد فأكله الذئب. و قد حبس عنده أخاه يتسلّى به. قال يوسف: فأتوني بأخيكم من أبيكم إن كنتم صادقين. فأنا أرضى بذلك. و دعوا عندي رهينة حتّى تأتوني بأخيكم. فخلّفوا عنده شمعون. فذلك قوله: «و لمّا جهّزهم بجهازهم». [يعني] حمل لكلّ واحد منهم بعيراً بعدّتهم. «أوف الكيل»؛ أي: لا أبخس الناس شيئاً. «خير المنزلين»؛ أي: المضيفين. مأخوذ من النزل و هو الطعام. أو: خير المنزلين للأمور منازلها.[١]

«و هم له منكرون»؛ أي: لا يعرفونه.

«قال ائتوني بأخ لكم» يحمل إليّ رسالة من أبيكم أنّكم لستم عيوناً على ملكي.[٢]

[٦٠] «فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَ لَا تَقْرَبُونِ».

١ـ مجمع البيان ٥ / ٣٧٤ ـ ٣٧٥.

٢ـ الكشّاف ٢ / ٤٨٤.

«فلا كيل»؛ أي: لا مكيل. «و لاتقربون». أي بلادي. خلط الوعد بالوعيد.[١]
«و لاتقربون». يجوز أن يكون للنهي و لا تعلّق له بما قبله. (ع)

[٦١] «قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَ إِنَّا لَفَاعِلُونَ».

«سنراود عنه أباه»؛ أي: نسأله أن يرسله معنا. [قال ابن‌عبّاس: معناه:] نستخدعه [عنه] حتّى يخرجه معنا. «لفاعلون» ما أمرتنا.[٢]

[٦٢] «وَ قَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ».

«لفتيانه»؛ أي: عبيده و غلمانه الذين يكيلون الطعام. «بضاعتهم»؛ أي: ثمن طعامهم. [«في رحالهم»:] في أوعيتهم. و قيل: كان بضاعتهم النعال و الأدم. أهل الكوفة غير أبي‌بكر: «لفتيانه». و الباقون: «لفتيته».[٣]

«لعلّهم يعرفونها»؛ أي: يعرفون حقّ ردّها و حقّ التكرّم بإعطاء البدلين[٤]. «لعلّهم يرجعون»: لعلّ معرفتهم بذلك تدعوهم إلى الرجوع إلينا. و قيل: تخوّف ألّا يكون عند أبيه من المتاع ما يرجعون به. و قيل: لم ير من الكرم أن يأخذ من أبيه و إخوته. و قيل: علم أنّ ديانتهم تحملهم على ردّ البضاعة لا يستحلّون إمساكها فيرجعون لأجلها.[٥]

[٦٣] «فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَ إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ».

«منع منّا». أي في المستقبل إن لم نأته بأخينا. فأرسله معنا نكتل، و إلّا فلا كيل. «لحافظون» من أن يصيبه مكروه. «نكتل». حمزة و الكسائيّ: «يكتل» بالياء، على إسناده

١ـ مجمع البيان ٥ / ٣٧٥.
٢ـ مجمع البيان ٥ / ٣٧٥.
٣ـ مجمع البيان ٥ / ٣٧٥ و ٣٧٤.
٤ـ كذا في المصدر. و في النسخة: المبذلين.
٥ـ الكشّاف ٢ / ٤٨٥.

إلى الأخ.(١)

[٦٤] «قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللهُ خَيْرٌ حَافِظاً وَ هُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ».

«هل آمنكم»؛ أي: لا آمنكم عليه في الذهاب معكم إلّا كأمني على يوسف ضمنتم لي حفظه ثمّ ضيّعتموه. «خير حافظاً»؛ أي: حفظ الله خير من حفظكم و هو يرحم ضعفي و يردّه عليّ. و في الخبر أنّ الله سبحانه قال: فبعزّتي لأردّنّهما إليك بعد ما توكّلت على الله. «حافظاً». نافع و ابن كثير: «حفظاً».(٢)

«حافظاً». منصوب على التميز أو الحال.(٣)

[٦٥] «وَ لَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَ نَمِيرُ أَهْلَنَا وَ نَحْفَظُ أَخَانَا وَ نَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ».

«ما نبغي»: ماذا نطلب؟ هل من مزيد على ذلك أكرمنا و باع منّا و ردّ علينا متاعنا؟ أو: لانطلب وراء ذلك إحساناً. أو: لانبغي في القول و لانزيد فيما حكينا لك من إحسانه. «هذه بضاعتنا». استئناف موضح لقوله: «ما نبغي». «نمير». معطوف على محذوف. أي: ردّت إلينا فنستظهر بها و نمير أهلنا بالرجوع إلى الملك. «و نحفظ أخانا» عن المخاوف و نزداد وسق بعير باستصحاب أخينا. هذا إذا كانت ما استفهاميّة. أمّا إذا كانت نافية، احتمل ذلك و احتمل أن يكون الجمل معطوفة على ما نبغي. أي: لانبغي فيما نقول و نمير أهلنا و نحفظ أخانا. «و ذلك كيل يسير»؛ أي: مكيل قليل لايكفينا. استقلّوا ما كيل لهم، فأرادوا أن يضاعفوه بالرجوع إلى الملك و يزدادوا إليه ما يكال لأخيهم. و يجوز أن يكون الإشارة إلى «كيل بعير». أي: ذلك شيء قليل لايضايقنا فيه الملك و لايتعاظمه. و قيل: إنّه من كلام يعقوب و معناه أنّ

١ـ مجمع البيان ٥ / ٣٧٨ و ٣٧٦.
٢ـ مجمع البيان ٥ / ٣٧٨ و ٣٧٦.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٤٨٥.

حمل بعير شيء يسير لايخاطر لمثله بالولد.[١]

عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك؛ لم سمّي أميرالمؤمنين عليه السلام أميرالمؤمنين؟ قال: لأنّه يميرهم العلم. أما سمعت كتاب الله: «و نمير أهلنا»؟[٢]

[٦٦] «قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقاً مِنَ اللهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللهُ عَلىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ».

«حتّى تؤتون»: حتّى تعطوني ما أثق به من عند الله؛ أي: عهداً مؤكّداً. «لتأتنّني». جواب القسم. «إلّا أن يحاط»؛ أي: إلّا أن تغلبوا فلاتطيقوا ذلك. أو: إلّا أن تهلكوا جميعاً. «على ما نقول» من طلب الموثق و إتيانه.[٣]

عن ابن‌عبّاس: «حتّى تؤتون»؛ يعني: حتّى تحلفوا لي بحقّ محمّد خاتم النبيّين و سيّد المرسلين صلوات الله عليه و آله أن لاتغدروا بأخيكم. «وكيل»؛ أي: شاهد.[٤]

[٦٧] «وَ قَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَ ادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَ مَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلّٰهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَ عَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ».

«لاتدخلوا من باب واحد». خاف عليهم العين، لأنّهم كانوا ذوي جمال و هيئة و هم إخوة أولاد رجل واحد. و قيل: خاف عليهم حسد الناس إيّاهم و [أن يبلغ] الملك قوّتهم و بطشهم فيحبسهم أو يقتلهم خوفاً على ملكه. عن الجبّائيّ. و أنكر العين و ذكر أنّه لم يثبت بحجّة. و جوّزه كثير من المحقّقين و رووا فيه الخبر عن النبيّ صلى الله عليه و آله: انّ العين حقّ. و العين تستنزل الحالق؛ أي: تحطّ ذروة الجبل من شدّة بطشها. و ورد أنّه كان يعوّذ الحسن و الحسين عليهما السلام بأن يقول: أعيذكما بكلمات الله التامّة من كلّ شيطان و هامّة و من عين لامّة. و قال: لو كان شيء يسبق القدر، لسبقته العين. ثمّ اختلفوا في وجه الإصابة بالعين. فقال

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٨٩.

٢ـ علل الشرائع ١ / ١٦١، ح ٤.

٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٨٩ ـ ٤٩٠.

٤ـ مجمع البيان ٥ / ٣٧٩.

الجاحظ: لاينكر أن ينفصل من العين الصائبة إلى الشيء المستحسن أجزاء لطيفة فتتّصل به و تؤثّر فيه. و يكون هذا المعنى خاصّيّة في بعض الأعين كالخواصّ في بعض الأشياء. و اعترض عليه بأنّ الجواهر متماثلة لايؤثّر [بعضها في بعض. و قال أبوهاشم: إنّه فعل الله بالعادة] لضرب من المصلحة. و قال الشريف الرضيّ: إنّ الله يفعل المصالح بعباده. فغير ممتنع أن يكون سلب نعمة زيد مصلحة لعمرو، إذا كان يعلم الله من حال عمرو أنّه لو لم يسلب زيد نعمته، أقبل على الدنيا بوجهه و نأى عن الآخرة بعطفه. و إذا سلب نعمة زيد للعلّة التي ذكرناها، عوّضه عنها و أعطاه بدلاً منها عاجلاً و آجلاً. و يمكن أن يتأوّل قوله عليه السلام: العين حقّ، على هذا الوجه. على أنّه قد روي عنه عليه السلام ما يدلّ على أنّ الشيء إذا عظم في صدور العباد، وضع الله قدره و صغّر أمره. و إذا كان الأمر على هذا، فلاينكر تغيير حال بعض الأشياء عند بعض الناظرين إليه و استحسانه له. كما روي أنّه قال لمّا سبقت ناقته العضباء ـ و كانت إذا سوبق بها لم تسبق ـ: ما رفع العباد من شيء إلّا وضع الله منه. و يجوز أن يكون ما أمر به المستحسن للشيء عند رؤيته من تعويذه بالله و الصلاة على رسول الله صلى الله عليه و آله فإنّما يقام في المصلحة مقام تغيير حالة للشيء المستحسن فلايغيّر عند ذلك. لأنّ الرائي لذلك قد أظهر الرجوع إلى الله تعالى و الإعاذة به فكأنّه غير راكن إلى الدنيا و لا مغترّ بها. انتهى كلامه.(١)

«و ما أغني». أي من قضاء الله من شيء، إن كان قضي عليكم إصابة العين و غيرها. يعني: إن أراد الله بكم سوءاً، لم ينفعكم و لم يدفع عنكم ما أشرت به عليكم من التفرّق و هو مصيبكم لا محالة.(٢)

[٦٨] «وَ لَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَ إِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ

١ـ مجمع البيان ٥ / ٣٨٠ ـ ٣٨١.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٤٨٨.

لَايَعْلَمُونَ».

«و لمّا دخلوا من حيث أمرهم أبوهم». كان لمصر أربعة أبواب، فدخلوها من أبوابها الأربعة متفرّقين. «إلّا حاجة في نفس يعقوب قضاها». فقضى يعقوب تلك الحاجة. أي أزال اضطراب قلبه. «لايعلمون». أي مرتبة يعقوب في العلم.(۱)

«من حيث أمرهم أبوهم»؛ أي: متفرّقين. «ماكان يغني عنهم» رأي يعقوب و دخولهم متفرّقين، حيث أصابهم ما ساءهم مع تفرّقهم من إضافة السرقة إليهم و افتضاحهم بذلك و أخذ أخيهم بوجدان الصواع في رحله و تضاعف المصيبة على أبيهم. «إلّا حاجة». استثناء منقطع على معنى: ولكن حاجة «في نفس يعقوب قضاها». و هي شفقته عليهم و إظهارها بما قاله لهم و وصّاهم. «و إنّه لذوعلم». يعني قوله: «و ما أغني عنكم» و علمه بأنّ القدر لايغني عنه الحذر.(۲)

«لايعلمون» أنّه لايغني الحذر عن القضاء.(۳)

[٦٩] «وَ لَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ».

«و لمّا دخلوا على يوسف». قيل: إنّهم لمّا دخلوا عليه قالوا: هذا أخونا الذي أمرتنا أن نأتيك به. فقال: أحسنتم. ثمّ قال: ليجلس كلّ بني أمّ على مائدة. فبقي بنيامين فرداً قائماً. فقال له يوسف: ما لك لاتجلس؟ أما كان ابن أمّ لك؟ قال: بلى. قال يوسف: فما فعل؟ قال: زعم هؤلاء أنّ الذئب أكله. قال: فما بلغ من حزنك عليه؟ قال: ولد لي أحدعشر ابناً كلّهم اشتققت له اسماً من اسمه. قال يوسف: أراك قد عانقت النساء و شممت الولد من بعده. قال بنيامين: إنّ لي أباً صالحاً و قد قال لي: تزوّج؛ لعلّ الله يخرج منك ذرّيّة تثقل الأرض بالتسبيح. فقال له يوسف: تعال فاجلس معي على مائدتي. روي ذلك عن الرضاعليه السلام.(٤)

۱ـ مجمع البيان ۵ / ۳۸۱.
۲ـ الكشّاف ۲ / ٤۸۸ ـ ٤۸۹.
۳ـ تفسير البيضاويّ ۱ / ٤۹۰.
٤ـ مجمع البيان ۵ / ۳۸٤.

«آوى إليه أخاه»: ضمّ إليه بنيامين. و روي أنّهم قالوا له: هذا أخونا قد جئناك [به]. فأكرمهم و أضافهم و أجلس كلّ اثنين منهم على مائدة. فبقي بنيامين وحده. فبكى و قال: لو كان أخي يوسف حيّاً، لأجلسني معه. فقال يوسف: بقي أخوكم وحيداً. فأجلسه على مائدته و جعل يؤاكله. و قال: أنتم عشرة. فلينزل كلّ اثنين منكم بيتاً. و هذا لا ثاني له، فيكون معي. فبات يوسف يضمّه إليه و يشمّ رائحته. حتّى أصبح فقال له: أتحبّ أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك؟ قال: من يجد أخاً مثلك؟ ولكن لم يلدك يعقوب و لا راحيل. فبكى يوسف و عانقه و قال: إنّي أخوك يوسف. فلاتحزن بما كانوا يعملون بنا فيما مضى. فإنّ الله قد أحسن إلينا و جمعنا على خير. و لاتعلمهم بما أعلمتك. و قيل: معناه: فلاتحزن بما كنت تلقى منهم من الحسد و الأذى. فقد أمنتهم. و روي أنّه قال له: لاأفارقك. قال: قد علمت اغتمام والدي بي. فإذا حبستك ازداد غمّه. و لا سبيل إلى ذلك إلّا أن أنسبك بما لايحلّ. قال: لاأبالي. فافعل ما بدا لك. قال: فإنّي أدسّ صاعي في رحلك ثمّ أنادي عليك بأنّك سرقته ليتهيّأ لي ردّك بعد تسريحك معهم. قال: افعل.[1]

«فلاتبتئس»: أي: لاتحزن.[2]

سأل يوسف بنيامين: هل تزوّجت؟ قال: نعم. قال: كم ولد لك؟ قال: ثلاث بنين. قال: فما سمّيتهم؟ قال: سمّيت واحداً منهم الذئب، و واحداً القميص، و واحداً الدم. قال: و كيف اخترت هذه الأسماء؟ قال: لئلّا أنسى أخي. كلّما دعوت واحداً من ولدي، ذكرت أخي. فعند ذلك قال له يوسف: «أنا أخوك».[3]

[٧٠] «فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ».

«بجهازهم». يسمّى حمل التاجر جهازاً. «السقاية»: مشربة يسقى بها. و هي الصواع.

١ـ الكشّاف ٢ / ٤٨٩.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٩٠.
٣ـ تفسير القمّيّ ١ / ٣٤٨.

قيل: كان يسقى بها الملك، ثمّ جعلت صاعاً يكال به. و قيل: كانت الدوابّ تسقى [بها] و يكال بها. و قيل: كانت من فضّة مموّهة بالذهب. و قيل: كانت مرصّعة بالجواهر. «ثمّ أذّن مؤذّن»؛ أي: نادى مناد. يقال: آذنه؛ أي: أعلمه. روي أنّهم ارتحلوا و أمهلهم يوسف حتّى انطلقوا، ثمّ أمر بهم فأدركوا و حبسوا، ثمّ قيل لهم ذلك. «العير»: الابل التي عليها الأحمال. لأنّها تعير؛ أي: تذهب و تجيء. و المراد: أصحاب العير.(١)

سئل الصادق عليه السلام عن قوله تعالى: «إنّكم لسارقون». قال: ما سرقوا و ما كذب يوسف. فإنّما عنى سرقتهم يوسف من أبيه.(٢)

و عنه عليه السلام: الكلام ثلاثة: صدق، و كذب، و إصلاح بين الناس. و قوله: «إنّكم لسارقون» من باب الإصلاح.(٣) كقول إبراهيم عليه السلام: «إنّي سقيم».(٤)

«لسارقون». قيل: معناه: انّكم سرقتم يوسف من أبيه. أو: أإنّكم لسارقون؟(٥)

[٧١] «قَالُوا وَ أَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَا ذَا تَفْقِدُونَ».

«ماذا تفقدون»؛ أي: أيّ شيء ضاع منكم؟(٦)

[٧٢] «قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَ لِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَ أَنَا بِهِ زَعِيمٌ».

«و أنا به زعيم». يقوله المؤذّن. يريد: و أنا بحمل البعير كفيل أؤدّية إلى من جاء به. و أراد وسق بعير من طعام جعلاً لمن حصله.(٧)

[٧٣] «قَالُوا تَاللهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَ مَا كُنَّا سَارِقِينَ».

«تالله». قسم فيه معنى التعجّب ممّا أضيف إليهم.(٨)

١ـ الكشّاف ٢ / ٤.
٢ـ تفسير القمّيّ ١ / ٣٤٩.
٣ـ الكافي ٢ / ٣٤١.
٤ـ الصافّات (٣٧) / ٨٩.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٩١.
٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٩١.
٧ـ الكشّاف ٢ / ٤٩٠.
٨ـ الكشّاف ٢ / ٤٩٠.

«تالله لقد علمتم». إنّما أضاف العلم إليهم بذلك مع أنّهم لم يعلموه، لأنّ معنى هذا القول: انّه ظهر لكم من معاملتنا أنّا لسنا من أهل السرقة. و قيل: لأنّهم ردّوا البضاعة التي وجدوها في رحالهم مخافة أن يكونوا قد وضعوها بغير إذن يوسف. يعني: انّا تحرّجنا عن هذا، فكيف نسرق؟ و قيل: إنّهم لمّا دخلوا مصر، وجدوهم قد شدّوا أفواه دوابّهم لئلّاتتناول الزرع. و فيه دلالة على [أنّ] ما فعله إخوة يوسف معه إنّما كان في حال الصغر و عدم كمال العقل.[1]

[٧٤] «قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ».

«قالوا فما جزاؤه»؛ أي: قال الذين نادوهم: فما جزاء من سرق؟ قال إخوة يوسف: جزاؤه السارق. كان حكم السارق في آل يعقوب أن يستخدم و يسترقّ سنة أو على قدر سرقته، و في دين الملك الضرب و الضمان.[2]

[٧٥] «قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ».

«جزاؤه»؛ أي: جزاء سرقته أخذ من وجد في رحله.[3]

«نجزي الظالمين»؛ أي: السارقين. يعني إذا سرق استرقّ.[4]

[٧٦] «فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللّٰهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَ فَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ».

«فبدأ بأوعيتهم» إزالة للتهمة. لأنّه لو بدأ بوعاء أخيه في التفتيش، لعلموا أنّه هو الذي جعلها فيه ثمّ استخرجها. أنّث الضمير لأنّه أراد السقاية. و في قوله «و لمن جاء به»؛ أي:

١ـ مجمع البيان ٥ / ٣٨٦.
٢ـ مجمع البيان ٥ / ٣٨٦.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٤٩١.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٤٩١.

بالصاع. و قيل: إنّ الصاع يذكّر و يؤنّث. قالوا: و أقبلوا على بنيامين و قالوا: فضحتنا و سوّدت وجوهنا. متى أخذت هذا الصاع؟ فقال: وضع هذا الصاع في رحلي، من وضع الدراهم في رحالكم. «كذلك كدنا ليوسف»؛ أي: مثل ذلك الكيد أمرنا يوسف ليكيد بما يتهيّأ له أن يحبس أخاه ليكون [ذلك] سبباً لوصول خبره إلى أبيه. أي: ألهمنا يوسف هذا الكيد و الحيلة فجزيناهم على كيدهم بيوسف في الابتداء. «ما كان ليأخذ أخاه»؛ أي: ماكان يمكنه أن يأخذ أخاه في حكم الملك و قضائه و أن يحبسه إذ لم يكن ذلك من حكم ملك مصر. و قيل: إنّه كان عادلاً. و لولا هذه الحيلة، ماكان يمكنه أخذ أخيه. «إلّا أن يشاء الله» أن يأمره بذلك. و قد شاء الله، لأنّه بأمره. «نرفع درجات من نشاء» بالعلم، كما رفعنا درجة يوسف على إخوته. «و فوق كلّ ذي علم عليم» حتّى ينتهي إلى الله العالم بجميع المعلومات.(١)

«ماكان». تفسير للكيد و بيان له. لأنّه كان في دين الملك و ماكان يحكم به في السارق أن يغرم مثلي ما أخذ لا أن يلزم و يستعبد. «إلّا أن يشاء الله»؛ أي: ماكان يأخذه إلّا بمشيّة الله و إذنه. «و فوق كلّ ذي علم عليم» فوقه أرفع درجة منه في علمه. أو: فوق العلماء كلّهم عليم [هم] دونه في العلم، و هو الله عزّ و علا.(٢)

«إلّا أن يشاء الله» أن يجعل ذلك الحكم حكم الملك. فالاستثناء من أعمّ الأحوال. و يجوز أن يكون منقطعاً. أي: لكن أخذه بمشيّة الله و إذنه.(٣)

[٧٧] «قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَ لَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَاناً وَ اللهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ».

«قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل»؛ أي: ليست السرقة بأمر بديع؛ فإنّه اقتدى بأخيه يوسف. قيل: إنّ عمّة يوسف كانت تحضنه بعد وفاة أمّه و تحبّه حبّاً شديداً. فلمّا

١ـ مجمع البيان ٥ / ٣٨٦ ـ ٣٨٧.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٤٩١ ـ ٤٩٢.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٩١.

ترعرع، أراد يعقوب أن يستردّه منها. و كانت أكبر ولد إسحاق. و كانت عندها منطقة إسحاق، و كانوا يتوارثونها بالكبر. فاحتالت و جاءت بالمنطقة و شدّتها على وسط يوسف و ادّعت أنّه سرقها. و كان من سنّتهم استرقاق السارق، فحبسته بذلك السبب عندها. عن ابن عبّاس. و قد روي عن أئمّتناعليهم السلام. و قيل: إنّه سرق صنماً من جدّه لأمّه فكسره و ألقاه على الطريق. و قيل: إنّه سرق دجاجة أو بيضة من بيت يعقوب فأعطاه سائلاً، فعيّروه بها. «فأسرّها»؛ أي: أخفاها و لم يظهرها لهم. «شرّ مكاناً». أي في السرقة. لأنّكم سرقتم أخاكم من أبيكم. «بما تصفون»؛ أي: الله أعلم أ سرق أخ له أم لا. و ذلك أنّه لم يكن صنيع [له] في المنطقة و كان يتصدّق بإذن أبيه.[١]

«قال أنتم»؛ أي: بل أنتم.

«قال أنتم شرّ». بدل من أسرّها. و المعنى: قال في نفسه أنتم شرّ مكاناً في السرقة. «تصفون». و هو يعلم أنّ الأمر ليس كما تصفون.[٢]

[٧٨] «قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَباً شَيْخاً كَبِيراً فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ».

«قالوا يا أيّها العزيز». إنّما قالوا هذا لأنّهم علموا أنّه استحقّه، فسألوه أن يأخذ عنه بدلاً شفقة على والدهم. «شيخاً كبيراً». أي في السنّ. و قيل: كبيراً في القدر، فلايحبس ابن مثله. «نراك من المحسنين» إلى الناس. أو إلينا في الكيل و ردّ البضاعة و في الضيافة. و نحن نأمل ذلك منك.[٣]

[٧٩] «قَالَ مَعَاذَ اللهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذاً لَظَالِمُونَ».

«قال معاذ الله». كلام موجّه ظاهره: انّه وجب على قضيّة فتواكم أخذ من وجد الصاع

١ـ مجمع البيان ٥ / ٣٨٩ ـ ٣٩٠.

٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٩٢.

٣ـ مجمع البيان ٥ / ٣٩٠.

في رحله و استعباده. فلوأخذنا غيره، كان ظلماً في مذهبكم. فلم تطلبون ما عرفتم أنّه ظلم؟ و باطنه: انّ الله أمرني و أوحى إليّ بأخذ بنيامين و احتباسه لمصالح جمّة. فلو أخذت غير من أمرني بأخذه، كنت عاملاً على خلاف الوحي. و معنى معاذ الله: نعوذ بالله معاذاً من أن نأخذ. فأضيف المصدر إلى المفعول و حذف من. و «إذاً» جواب لهم و جزاء. لأنّ المعنى: إن أخذنا بدله، ظلمنا.(۱)

«معاذ الله». عن الباقرعليه السلام في حديث طويل بيّن فيه طينة المؤمن و طينة الناصب و أنّ الأولى من علّيّين و الثانية من سجّين، و لمّا خلقهما و أجرى الماء العذب على الأولى و المالح على الثانية، مزج بين الطينتين، فوقع من طينة المؤمن على طينة الناصب و بالعكس. فما عمل المؤمن من المعاصي، فهو من ذلك المزج. و ما أتى به الناصب من الأعمال و الطاعات و العبادات، فهو من طينة المؤمن. فيردّ يوم القيامة طاعات الناصب إلى صحائف المؤمن، و ذنوب المؤمن إلى معاصي الناصب. و ذلك قوله تعالى: «قال معاذ الله أن ناخذ إلّا من وجدنا متاعنا عنده». هو في الظاهر ما تفهمونه. و هو ـ و الله ـ في الباطن هذا هو بعينه. لأنّ للقرآن ظاهراً و باطناً ـ الحديث.(۲)

[۸۰] «فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيّاً قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقاً مِنَ اللهِ وَ مِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللهُ لِي وَ هُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ».

«استيأسوا»؛ أي: يئسوا. و زيادة السين و التاء للمبالغة. و النجيّ: بمعنى المناجي، و بمعنى المصدر الذي هو التناجي. و معنى «خلصوا نجيّاً»: اعتزلوا عن الناس لايخالطونهم ذوي نجوى، أو فوجاً مناجياً. و أحسن منه: انّهم تمحّضوا تناجياً؛ لاستجماعهم لذلك و إفاضتهم فيه بجدّ و اجتهاد و اهتمام كأنّهم في أنفسهم حقيقة التناجي. و كان تناجيهم في

۱ـ الكشّاف ۲ / ۴۹۳.

۲ـ علل الشرائع ۱ / ۶۰۶ ـ ۶۰۹.

تدبير أمورهم على أيّ صفة يذهبون و ماذا يقولون لأبيهم في شأن أخيهم. لأنّهم تعايوا بما دهمهم من الخطب، فاحتاجوا إلى التشاور. «كبيرهم». أي في السن، و هو روبيل. أو في العقل، و هو يهوذا. «ما فرّطتم». إمّا أن يكون صلة، و إمّا أن يكون مصدريّة في محلّ الرفع على الابتداء [و] «من قبل» خبره، و معناه: و وقع من قبل تفريطكم في يوسف. أو محلّه النصب عطفاً على مفعول «ألم تعلموا». كأنّه قيل: ألم تعلموا أخذ أبيكم عليكم موثقاً و تفريطكم من قبل؟ فلن أفارق أرض مصر «حتّى يأذن لي أبي» في الانصراف إليه. «أو يحكم الله لي» بالخروج منها أو بخلاص أخي من يده بسبب من الأسباب.(١)

«نجيّاً»: أي: اعتزلوا متناجين. و هذا من ألفاظ القرآن التي هي في الغاية القصوى من الفصاحة و الإيجاز. «أو يحكم الله». قيل: الحكم بالموت، أو بما يكون عذراً لنا عند أبينا.(٢)

«كبيرهم»: لاوي بن يعقوب.(٣)

عن أبي عبدالله عليه السلام: لمّا استيأسوا من أخيهم، رجع أكبرهم ـ و هو يهوذا ـ إلى يوسف فارتفع الكلام بينه و بينه و غضب. و كان على كتفه شعرة إذا غضب قامت الشعرة فلاتزال تقذف الدم حتى يمسّه بعض ولد يعقوب. و كان بين يدي يوسف ابن له صغير بيده رمّانة من ذهب يلعب به. فلمّا رآه يوسف قد غضب و قامت الشعرة تقذف الدم، أخذ الرمّانة من يد الصبيّ ثمّ دحرجها نحو يهوذا. فأتبعها الصبيّ ليأخذها فوقعت يده على يهوذا فذهب غضبه. فارتاب يهوذا. و رجع الصبيّ بالرمّانة إلى يوسف. ثمّ ارتفع الكلام بينهما، و هكذا ثالثاً. فقال يهوذا: إنّ في البيت من ولد يعقوب.(٤)

و في حديث آخر عنه عليه السلام: فعند ذلك قال يوسف: «هل علمتم ما فعلتم بيوسف و أخيه إذ أنتم جاهلون»(٥)؟(٦)

١ـ الكشّاف ٢ / ٤٩٤ ـ ٤٩٥.
٢ـ مجمع البيان ٥ / ٣٩٠.
٣ـ تفسير القمّيّ ١ / ٣٤٩.
٤ـ تفسير القمّيّ ١ / ٣٤٩ ـ ٣٥٠، و تفسير العيّاشيّ ١ / ١٨٧.
٥ـ يوسف (١٢) / ٨٩.
٦ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ١٨٧.

[٨١] «ارْجِعُوا إِلىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَ مَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَ مَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ».

«و ما شهدنا إلّا بما علمنا»؛ أي: و ما شهدنا عليه بالسرقة إلّا بما علمناه من سرقته. لأنّ الصواع استخرج من وعائه و هذا بيّن. «حافظين»؛ أي: ما علمنا أنّه سيسرق حين أعطيناك الموثق. أو: ما علمنا أنّك تصاب به كأخيه.(١)

[٨٢ ـ ٨٣] «وَ اسْئَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَ الْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَ إِنَّا لَصَادِقُونَ * قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ».

«و اسأل القرية». هي مصر. أي: أرسل إلى أهلها فاسألهم عن كنه القصّة [«و العير التي أقبلنا فيها»:] و أصحاب العير. و كانوا قوماً من كنعان من جيران يعقوب. و معناه: فرجعوا إلى أبيهم فقالوا له ما قال لهم أخوهم. ـ فقال: «بل سوّلت لكم أنفسكم أمراً» أردتموه. و إلّا فما أدرى ذلك الرجل أنّ السارق يؤخذ بسرقته لولا فتواكم و تعليمكم؟ «بهم جميعاً»: بيوسف و أخيه و روبيل أو غيره. «إنّه هو العليم» بحالي في الحزن و الأسف. «الحكيم»؛ أي: الذي لم يبتلني بذلك إلّا لحكمة و مصلحة.(٢)

«سوّلت»؛ أي: زيّنت و سهّلت.(٣)

«سوّلت لكم». أي ليس الأمر كما تقولون.(٤)

«فصبر جميل». عن الباقر عليه السلام: هو الذي ليس فيه شكوى إلى الناس.(٥)

[٨٤] «وَ تَوَلَّى عَنْهُمْ وَ قَالَ يَا أَسَفىٰ عَلىٰ يُوسُفَ وَ ابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ

١ـ الكشّاف ٢ / ٤٩٥.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٤٩٥ ـ ٤٩٦.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٩٣.
٤ـ مجمع البيان ٥ / ٣٩٤.
٥ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ١٨٨.

كَظِيمٌ».

«و تولّى»؛ أي: أعرض عنهم كراهة لما جاؤوا به.[١]

«يا أسفا»؛ أي: يا أسفا، تعالي، فهذا أوانك. و الأسف: أشدّ الحزن و الحسرة. و الألف بدل من ياء المتكلّم. و إنّما تأسّف على يوسف دون أخويه و الحادث رزؤهما، لأنّ رزأه كان قاعدة المصائب و كان غضّاً آخذاً بمجامع قلبه، و لأنّه كان واثقاً بحياتهما دون حياته. و في الحديث: لم تعط أمّة من الأمم «إنّا لله و إنّا إليه راجعون» عند المصيبة إلّا أمّـة محـمّدﷺ. ألاترى إلى يعقوب حين أصابه ما أصابه، لم يسترجع و قال: «يا أسفا»؟ «و ابيضّت عيناه» لكثرة بكائه. كأنّ العبرة محقت سوادهما. و قيل: ضعف بصره. و قيل: عمي. «كظيم»: مملوّ من الغيظ على أولاده، ممسك له في قلبه و لا يظهره. فعيل بمعنى مفعول أو بمعنى فاعل.[٢]

عن الباقرعليه السلام قال: كان عليّ بن الحسينعليهما السلام يصلّي في اليوم و اللّيلة ألف ركعة. و لقد بكى على أبيه الحسينعليه السلام عشرين سنة ما وضع بين يديه طعام إلّا بكى. حتّى قال له مولًى له: يابن رسول الله، أما آن لحزنك أن ينقضي؟ فقال له: ويحك! إنّ يعقوب النبيّ كـان له اثناعشر ابناً، فغيّب عنه واحد منهم، فابيضّت عيناه من كثرة بكائه عليه و احدودب ظهره من الغمّ، و كان ابنه حيّاً في الدنيا. و أنا نظرت إلى أبي و أخي و عمّي و سبعةعشر من أهل بيتي مقتولين حولي. فكيف ينقضي حزني؟[٣]

في تفسير عليّ بن إبراهيم: انّ يوسف دعا في السجن فقال: أسألك بحقّ آبائي عليك و أجدادي إلّا فرّجت عنّي. فأوحى الله إليه: و أيّ حقّ لآبائك و أجدادك عليّ؟ إلى قوله: و إن كان يعقوب وهبت له اثني‌عشر ولداً و غيّبت عنه واحداً، فمازال يبكي حتّى ذهب بصره و قعد على الطريق يشكوني إلى خلقي.[٤]

عن النبيّﷺ: أوحى الله سبحانه إلى يعقوب فقال: تدري لم أذهبت بصرك و قوّست

١ـ الكشّاف ٢ / ٤٩٦.

٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٩٣.

٣ـ الخصال ٢ / ٥١٨ ـ ٥١٩.

٤ـ نور الثقلين ٢ / ٤٥٣، عن تفسير القمّيّ.

ظهرك. لأنّكم ذبحتم شاة و أتاكم فلان المسكين و هو صائم، فلم تطعموه. فكان بعد ذلك يأمر يعقوب من ينادي على العشاء و الغداء.(١)

[٨٥] «قَالُوا تَاللهِ تَفْتَؤُا تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ».

«قالوا» تعطّفاً عليه.(٢)

«تفتأ»؛ أي: لاتفتأ و لاتزال تذكره تفجّعاً عليه. فحذف لا، كما في قوله: «فقلت يمين الله أبرح قاعداً». لأنّه لايلتبس بالإثبات. فإنّ القسم إذا لم يكن معه علامة الإثبات، كان على النفي. «حرضاً»؛ أي: مريضاً مشرفاً على الهلاك.(٣)

[٨٦] «قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَ حُزْنِي إِلَى اللهِ وَ أَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ».

«بثّي و حزني»؛ أي: همّي الذي لاأقدر الصبر عليه. من البثّ بمعنى النشر. «ما لاتعلمون» من حياة يوسف. قيل: علم من رؤيا يوسف أنّه حيّ لايموت حتّى يخرّ له إخوته سجّداً. «فتحسّسوا»؛ أي: تعرّفوا منهما و تفحّصوا عن حالهما و لاتقنطوا من فرج الله.(٤)

عن أبي عبدالله عليه السلام: انّ يعقوب أتى ملكاً في حاجة. فقال له: من أنت؟ قال: يعقوب بن إسحاق. قال: فما بلغ ما أرى بك مع حداثة السنّ؟ قال: الحزن على يوسف. قال: لقد بلغ بك الحزن ـ يا يعقوب ـ كلّ مبلغ. فقال: إنّا معاشر الأنبياء أسرع شيء إلينا البلاء. فلمّا مضى، هبط عليه جبرئيل فقال: ربّك يقرئك السلام و يقول لك: شكوتني إلى الناس؟ فعفّر وجهه بالتراب و قال: يا ربّ زلّة. أقلنيها. فلاأعود بعد هذا. فقال: أقلتك. فلاتعود. فما رئي ناطقاً بكلمة ممّا كان فيه [حتّى أتاه بنوه فصرف وجهه إلى الحائط] فقال: «إنّما أشكو بثّي» ـ الآية.(٥)

١ـ مجمع البيان ٥ / ٣٩٤ ـ ٣٩٥.
٢ـ مجمع البيان ٥ / ٣٩٤.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٩٤.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٩٤.
٥ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ١٨٩، ح ٦١.

عن أبي عبدالله عليه السلام: انّ حزن يعقوب على يوسف حزن سبعين ثكلى. و قال: إنّ يعقوب لم يعرف الاسترجاع.[١]

[٨٧] «يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَ أَخِيهِ وَ لَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِ إِنَّـهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ».

عن الصادق عليه السلام: انّ أعرابيّاً اشترى من يوسف طعاماً. فقال له: إذا مررت بوادي كذا فناد: يا يعقوب، يخرج إليك شيخ وسيم. فقل له: إنّي رأيت بمصر رجلاً يقرئك السلام و يقول لك: إنّ وديعتك عند الله محفوظة. فبلّغه الأعرابيّ، و دعا له.[٢]

عن أبي عبدالله عليه السلام: انّ يعقوب دعا في السحر أن ينزل عليه ملك الموت، فنزل. فقال له: أخبرني عن الأرواح تقبضها مجتمعة أو متفرّقة؟ قال: بل متفرّقة. قال: فهل قبضت روح يوسف في جملة ما قبضت من الأرواح؟ قال: لا. فعند ذلك قال: «يا بنيّ اذهبوا» ـ الآية.[٣]

قال أبوهاشم: فكّرت في هذا الأمر و هو قرب بلاد يعقوب من يوسف و حزن يعقوب عليه حتّى ابيضّت عيناه من الحزن و المسافة قريبة. فأقبل إليّ أبومحمد عليه السلام فقال: يا أباهاشم، تعوّذ بالله ممّا جرى في نفسك من ذلك. فإنّ الله لو شاء يرفع الساتر من الأعلى ما بين يعقوب و يوسف حتّى كان يراه، لفعل، ولكن له أجل هو بالغه و معلوم ينتهي [إليه] ما كان من ذلك. فالخيار من الله لأوليائه.[٤]

«إلّا الكافرون» بالله و صفاته.[٥]

[٨٨] «فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَ أَهْلَنَا الضُّرُّ وَ جِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَ تَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ».

١ـ تفسير القمّيّ ١ / ٣٥٠.

٢ـ نور الثقلين ٢ / ٤٥٦، عن الخرائج.

٣ـ كمال الدين / ١٤٤، ح ١٠.

٤ـ الخرائج ٢ / ٧٣٨، ح ٥٣.

٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٩٤.

«قالوا» بعد ما رجعوا إلى مصر رجعة ثانية. «الضرّ»: شدّة الجوع. «مزجاة»: رديئة أو قليلة تردّ و تدفع رغبة عنها. من أزجيته، إذا دفعته. قيل: كانت دراهم. [و قيل:] الأقط و سويق المقل. «فأوف لنا الكيل»؛ أي: أتمّه. «و تصدّق علينا» بردّ أخينا أو بالمسامحة و قبول المزجاة. «إنّ الله يجزي المتصدّقين» أحسن الجزاء. و التصدّق: التفضّل.(١)

[٨٩] «قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَ أَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ».

«قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف و أخيه»؛ [أي:] هل علمتم قبحه فتبتم عنه؟ و فعلهم بأخيه إفراده عن يوسف و إذلاله حتّى كان لا يستطيع أن يكلّمهم إلّا بعجز و ذلّة. «إذ أنتم جاهلون» قبحه ـ فلذلك أقدمتم عليه ـ أو عاقبته. و إنّما قال ذلك تنصّحاً لهم و تحريضاً على التوبة و شفقة عليهم لما رأى من عجزهم و تمسكنهم لا معاتبة و تثريباً. و قيل: أعطوه كتاب يعقوب في تخليص بنيامين و ذكروا له ما فيه يعقوب من الحزن على فقد يوسف و أخيه، فقال لهم ذلك. و إنّما جهّلهم لأنّ فعلهم كان فعل الجهّال، أو لأنّهم كانوا حينئذ صبياناً طيّاشين.(٢)

«قال هل علمتم». في هذه الآية مصداق قوله: «لتنبّئنّهم بأمرهم» ـ الآية.(٣)

عن أبي جعفر عليه السلام: لمّا قالوا: «يا أيّها العزيز» ـ الآية ـ قال يوسف: لا صبر على ضرّ آل يعقوب. فقال عند ذلك: «هل علمتم ما فعلتم بيوسف»؟(٤)

عن أبي جعفر عليه السلام: انّ يعقوب كتب إلى عزيز مصر ـ و هو يوسف ـ يتعطّفه في خلاص ابنه بنيامين، و شرح له ما جرى على ابنه يوسف و ما مضى من بعد فراقه. فلمّا أخذ الكتاب، قبّله و وضعه على عينيه و بكى. ثمّ أقبل عليهم فقال: «هل علمتم ما فعلتم بيوسف» ـ الآية.(٥)

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٩٤.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٩٤.
٣ـ مجمع البيان ٥ / ٤٠٠.
٤ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ١٩٢، ح ٦٦.
٥ـ نور الثقلين ٢ / ٤٥٧، و تفسير العيّاشيّ ٢ / ١٩٠ ـ ١٩٢، ح ٦٥.

[٩٠] «قَالُوا أَ إِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَ هٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَ يَصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ».

«أإنّك». نافع: [«أنّك»] بفتح الهمزة غير ممدودة. و أبوعمرو: «آنّك» بالمدّ. و الباقون بهمزتين.(١)

«أإنّك». استفهام تقرير و لذلك حقّق بإنّ و اللّام. و قراءة ابن‌كثير و قالون على الإيجاب. قيل: عرفوه بروائه و شمائله حين كلّمهم به. و قيل: تبسّم فعرفوه بثناياه. و قيل: رفع التاج عن رأسه فرأوا علامة بقرنه شبه الشامة البيضاء و كانت لسارة و يعقوب مثلها. «و هذا أخي» من أمّي و أبي. ذكره تعريفاً لنفسه و تفخيماً لشأنه و إدخالاً له في قوله: «منّ الله علينا» بالاجتماع أو بكلّ خير.(٢)

«من يتّق الله»؛ أي: يخف الله. «و يصبر» عن المعاصي و على الطاعات.(٣)

[٩١] «قَالُوا تَاللهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللهُ عَلَيْنَا وَ إِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ».

«آثرك». بمعنى اختار.

«و إن كنّا لخاطئين»؛ أي: ما كنّا إلّا مخطئين.(٤)

«لقد آثرك الله»؛ أي: فضّلك «علينا» بالتقوى و الصبر و سيرة المحسنين. فأعزّك الله بالملك و أذلّنا بالتمسكن بين يديك.(٥)

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ليس رجل من ولد فاطمة يموت و لايخرج من الدنيا حتّى يقرّ للإمام بإمامته، كما أقرّ ولد يعقوب ليوسف حين قالوا: «تالله لقد آثرك الله علينا».(٦)

[٩٢] «قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَ هُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ».

١ـ مجمع البيان ٥ / ٣٩٦.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٩٥.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٥٠٢.
٤ـ مجمع البيان ٥ / ٤٠٠.
٥ـ الكشّاف ٢ / ٥٠٢.
٦ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ١٩٣، ح ٦٩.

«لا تثريب»؛ أي: لا عتب. و اليوم إمّا متعلّق بتثريب أو بيغفر. و المعنى: لا أثرّبكم اليوم و هو اليوم الذي مظنّة التثريب. فما ظنّكم بغيره من الأيّام؟ ثمّ ابتدأ فقال: «يغفر الله لكم». ـ أو: «اليوم يغفر الله لكم» ـ بشارة بعاجل غفران الله لما تجدّد يومئذ من توبتهم. و روي أنّ إخوته لمّا عرفوه أرسلوا إليه أنّك تدعونا إلى طعامك بكرة و عشيّاً و نحن نستحيي منك لما فرط منّا. فقال يوسف: إنّ أهل مصر، و إن ملكت فيهم، فإنّهم ينظرون إليّ بالعين الأوّل و يقولون: سبحان من بلغ عبداً بيع بعشرين درهماً ما بلغ. و لقد شرّفت الآن بكم و عظّمت في العيون حيث علم الناس أنّكم إخوتي و أنّي من حفدة إبراهيم.[١]

«لا تثريب»: لا توبيخ و لا تقريع. «و هو أرحم الراحمين» في عفوه عنكم، أو في صنيعه بي.[٢]

[٩٣] «اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيراً وَ أْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ».

«اذهبوا». قيل: يهوذا كان الحامل للقميص. قال: أنا أحزنته بحمل القميص ملطوخاً بالدم. فأفرّحه كما أحزنته. و قيل: حمله و هو حاف حاسر من مصر إلى كنعان و بينهما مسيرة ثمانين فرسخاً.[٣]

عن أبي عبدالله عليه السلام: قال: إنّ إبراهيم عليه السلام لمّا أوقدت النار، نزل إليه جبرئيل بالقميص و ألبسه إيّاه، فلم يضرّ معه حرّ و لا برد. فلمّا حضرته الوفاة، جعله في تميمة و علّقه على إسحاق. و علّقه إسحاق على يعقوب. فلمّا ولد له يوسف، علّقه عليه و كان في عضده حتّى كان من أمره ما كان. فلمّا أخرجه يوسف بمصر من التميمة، وجد يعقوب ريحه. و هو قوله عزّ و جلّ: «إنّي لأجد ريح يوسف». فهو ذلك القميص الذي أنزل من الجنّة. قلت: جعلت فداك؛ فإلى من صار هذا القميص؟ قال: إلى أهله. ثمّ يكون مع قائمنا إذا خرج. ثمّ قال: كلّ نبيّ

١ـ الكشّاف ٢ / ٥٠٢ ـ ٥٠٣. ٢ـ مجمع البيان ٥ / ٤٠١.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٥٠٣.

أورث علماً أو غيره، فقد انتهى إلى محمّد و آله صلوات الله عليهم.(١)

روي أنّ القائم إذا خرج يكون عليه قميص يوسف و معه عصا موسى و خاتم سليمان.(٢)

«يأت بصيراً»؛ أي: يصر بصيراً. كقولك: جاء البناء محكماً، بمعنى صار. أو: يأت إليّ و هو بصير.

[٩٤] «وَ لَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْ لَا أَنْ تُفَنِّدُونِ».

«و لمّا فصلت العير»؛ أي: خرجت من عريش مصر. يقال: فصل من البلد فصولاً، إذا انفصل منه و جاوز حيطانه. و لمّا انفصل العير، قال لولد ولده و من حوله: «إنّي لأجد ريح يوسف». أوجده الله ريح القميص حين أقبل من مسيرة ثمانية أيّام. و التفنيد: النسبة إلى الفند؛ و هو الخرف من الهرم. يقال شيخ مفنّد و لا يقال عجوز مفنّدة، لأنّها لم تكن في شبيبتها ذات رأي فتفند في كبرها. أي: لولا تفنيدكم إيّاي، لصدّقتموني.(٣)

«إنّي لأجد ريح يوسف». عن أبي عبدالله عليه السلام: وجد ريحه من مسيرة عشر ليال.(٤)

[٩٥] «قَالُوا تَاللهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ».

«قالوا» إشفاقاً عليه و ترحّماً. لأنّهم اعتقدوا موته.(٥)

«ضلالك القديم»؛ أي: ذهابك عن الصواب قدماً في إفراط محبّتك ليوسف.(٦)

[٩٦] «فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيراً قَالَ أَ لَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ».

«ألقاه»؛ أي: القميص. «فارتدّ»؛ أي: ارتجع. «قال ألم أقل لكم». يعني قوله: «إنّي لأجد ريح يوسف» أو قوله: «لاتيأسوا من روح الله». و قوله: «إنّي أعلم» كلام مبتدأ لم يقع عليه

١ـ كمال الدين ١ / ١٤٢، ح ١٠.

٢ـ كمال الدين ١ / ١٤٣.

٣ـ الكشّاف ٢ / ٥٠٤.

٤ـ مجمع البيان ٥ / ٤٠٢.

٥ـ مجمع البيان ٥ / ٤٠٣.

٦ـ الكشّاف ٢ / ٥٠٤.

القول. و لك أن توقعه عليه و تريد قوله: «إنّما أشكو بثّي» ـ الآية.[١]

«أعلم من الله»؛ أي: أعلم أنّ الله يصدّق رؤيا يوسف و يكشف الشدائد عن أنبيائه بالصبر.[٢]

[٩٧] «قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ».

[٩٨] «قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ».

«سوف أستغفر». أخّرهم إلى وقت السحر. لأنّه أقرب للإجابة.[٣]

عن إسماعيل الهاشميّ قال: قلت للصادق عليه السلام: أخبرني عن يعقوب، كيف أخّر الاستغفار لأولاده و يوسف لمّا قالوا له قال: «يغفر الله لكم». قال: لأنّ قلب الشابّ أرقّ من قلب الشائب. و كان جناية ولد يعقوب على يوسف و جنايتهم على يعقوب إنّما كانت بجنايتهم على يوسف. فبادر يوسف إلى العفو عن حقّه و أخّر يعقوب العفو لأنّ عفوه إنّما كان عن حقّ غيره. فأخّرهم إلى السحر ليلة الجمعة.[٤]

[٩٩] «فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَ قَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ».

«فلمّا دخلوا على يوسف». استقبله يوسف و الملك بأهل مصر. «آمنين» من القحط و أصناف المكاره.[٥]

«فلمّا دخلوا على يوسف». لمّا خرج يعقوب و أهله من أرضهم و أتوا مصر في تسعة أيّام، فلمّا دنوا من مصر تلقّاه يوسف في الجند و أهل مصر. فقال يعقوب: يا يهوذا، هذا فرعون مصر؟ قال: لا، هذا ابنك. فلمّا دنا، بدأه يعقوب بالسلام. فقال: السلام عليك يا

١ـ الكشّاف ٢ / ٥٠٤.
٢ـ مجمع البيان ٥ / ٤٠٣.
٣ـ مجمع البيان ٥ / ٤٠٣.
٤ـ علل الشرائع ١ / ٥٤، ح ١.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٩٦.

مذهب الأحزان. و عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لمّا أقبل يعقوب إلى مصر، خرج يوسف يستقبله. فلمّا رآه يوسف، همّ بأن يترجّل له، ثمّ نظر إلى ما هو فيه من الملك فلم يفعل. فلمّا سلّم على يعقوب، نزل عليه جبرئيل فقال له: يا يوسف، إنّ الله يقول: ما منعك أن تنزل إلى عبدي الصالح إلّا ما أنت فيه. ابسط يدك. فبسطها، فخرج من بين أصابعه نور. فقال: ما هذا يا جبرئيل؟ فقال: هذا أنّه لا يخرج من صلبك نبيّ أبداً، عقوبة بما صنعت بيعقوب إذ لم تنزل إليه. و قوله: «آوى إليه»؛ أي: ضمّهما إليه و أنزلهما عنده. يعني أباه وخالته. و ذلك أنّ أمّه ماتت في نفاسها ببنيامين. و قيل: إنّ راحيل كانت نشرت من قبرها حتّى سجدت، تحقيقاً للرؤيا. «إن شاء الله آمنين». الاستثناء يعود إلى الأمن. لأنّهم كانوا يخافون ملوك مصر. قيل: إنّهم دخلوا مصر و هم ثلاثة و سبعون إنساناً، و خرجوا مع موسى و هم ستّمائة ألف و خمسمائة و بضع و سبعون رجلاً.[١]

قيل: إنّ يوسف قال لأبيه لمّا التقيا: بكيت عليّ حتّى ذهب بصرك! ألم تعلم أنّ القيامة تجمعنا؟ فقال: بلى، ولكن خشيت أن تسلب دينك فيحال بيني و بينك. فإن قلت: ما معنى دخولهم عليه قبل دخولهم مصر؟ قلت: كأنّه حين استقبلهم، نزل لهم في مضرب أو بيت ثمّ دخلوا مصر و ضمّ إليه أبويه ثمّ قال لهم: «ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين».[٢]

[١٠٠] «وَ رَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَ خَرُّوا لَهُ سُجَّداً وَ قَالَ يَا أَبَتِ هٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً وَ قَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَ جَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَ بَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ».

«على العرش»؛ أي: رفعهما على سرير ملكه إعظاماً لهما. «و خرّوا له سجّداً»؛ أي: انحطّوا على وجوههم. و كانت تحيّة الناس يومئذ السجود و الانحناء و التكفير، و لم يكونوا

١ـ مجمع البيان ٥ / ٤٠٥.　　٢ـ الكشّاف ٢ / ٥٠٥.

نهوا عن السجود لغير الله في شريعتهم. فأعطى الله هذه الأمّة السلام و هي تحيّة أهل الجنّة عجّلها لهم. و قيل: إنّ السجود كان لله شكراً له، كما يفعله الصالحون عند تجدّد النعم. و الهاء في قوله «له» عائدة إلى الله. أي: سجدوا لله و توجّهوا في السجود إليه. كما يقال: صلّى للقبلة، و يراد به استقبالها. و هو المرويّ عن أبي عبدالله عليه السلام. و عن أبي الحسن عليه السلام: كان سجودهم طاعة لله و تحيّة ليوسف. كما أنّ السجود من الملائكة لآدم كذلك. فسجد يعقوب و ولده و يوسف معهم شكراً لله لاجتماع شملهم. ألم تر أنّه يقول في شكره: «ربّ قد آتيتني من الملك» ـ الآية.(١)

روي: انّ يوسف أخذ بيد يعقوب فطاف به في خزائنه. فلمّا أدخله بيت القراطيس قال: يا بنيّ ما أعقّك! عندك هذه القراطيس و ما كتبت إليّ على ثمان مراحل؟ قال: أمرني جبرئيل. فسأله يعقوب، فقال جبرئيل: [الله تعالى] أمرني بذلك لقولك: «و أخاف أن يأكله الذئب».(٢) فقال: هلّاخفتني؟(٣)

«قد جعلها ربّي حقّاً»: أي: صدقاً في اليقظة. و قيل: كان بين الرؤيا و تأويلها ثمانون سنة. و ولد ليوسف من امرأة العزيز افرائيم و ميشا و رحمة امرأة أيّوب. و بين يوسف و موسى أربعمائة سنة. «البدو»: أي: البادية. فإنّهم كانوا يسكنون البادية. «نزغ»: أي: أفسد. «بيني و بين إخوتي». أي بالحسد. «لطيف» في تدبير أمور عباده.(٤)

«و قد أحسن بي إذ أخرجني من السجن». لم يذكر الجبّ لئلّايكون تثريباً عليهم.(٥)

[١٠١] «رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَ عَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَ أَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ».

«فاطر السموات و الأرض». فاطر منصوب إمّا على كونه صفة ربّ أو على النداء.

١ـ مجمع البيان ٥ / ٤٠٥ ـ ٤٠٦.
٢ـ يوسف (١٢) / ١٣.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٥٠٦.
٤ـ مجمع البيان ٥ / ٤٠٦ ـ ٤٠٧.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٩٦.

«وليّي في الدنيا و الآخرة»؛ أي: ناصري و حافظي.[١]

«من الملك»: ملك النبوّة و ملك مصر. «تأويل الأحاديث»؛ أي: تعبير الرؤيا. «توفّني». قال ابن‌عبّاس: ما تمنّى نبيّ تعجيل الموت إلّا يوسف؛ لمّا انتظمت أسباب مملكته، اشتاق إلى ربّه. و قيل: معناه: ثبّتني على الايمان إلى وقت الممات و أمتني مسلماً و ألحقني بأهل الجنّة من الأنبياء. فتوفّاه الله بمصر فدفن في النيل في صندوق رخام. و ذلك أنّه لمّا مات تشاحّ الناس عليه كلّ يحبّ أن يدفن في محلّته لما كانوا يرجون من بركته، فرأوا أن يدفنوه في النيل فيمرّ الماء عليه ثمّ يصل إلى جميع مصر فيكون كلّهم في بركته شركاء. و كان قبره في النيل إلى أن حمله موسى حين خرج من مصر.[٢]

روي: انّ يعقوب عليه السلام أقام معه أربعاً و عشرين سنة، ثمّ توفّي و أوصى أن يدفن بالشام إلى جنب أبيه. فذهب به و دفنه ثمّة. و عاد و عاش بعده ثلاثاً و عشرين سنة. ثمّ تاقت نفسه إلى الملك المخلّد فتمنّى الموت.[٣]

[١٠٢] «ذٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَ مَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَ هُمْ يَمْكُرُونَ».

«ذلك». مبتدأ. «من أنباء الغيب». خبر ذلك. «نوحيه إليك». خبر ثان.[٤]

«ذلك»؛ أي: قصّة يوسف. «أنباء»: أخبار. «نوحيه إليك» دلالة على نبوّتك. و لا سمعته من أحد، فيكون علامة لنبوّتك. «و ماكنت لديهم»؛ أي: مع أولاد يعقوب إذ عزموا على إلقائه في البئر.[٥]

[١٠٣] «وَ مَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَ لَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ».

١ـ الكشّاف ٢ / ٥٠٧.
٢ـ مجمع البيان ٥ / ٤٠٨.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٩٧.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٩٧.
٥ـ مجمع البيان ٥ / ٤٠٨.

«بمؤمنين». أي لعنادهم و تصميمهم على الكفر.(١)

[١٠٤] «وَ مَا تَسْئَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ».

«و ما تسألهم»؛ أي: لاتسألهم على تبليغ الرسالة أجراً فيصدّهم ذلك عن القبول و يمنعهم من الإيمان.(٢)

«عليه»؛ أي: على الأنباء أو القرآن. «من أجر»؛ أي: جعل، كما يفعله حملة الأخبار. «ذكر»؛ أي: عظة من الله.(٣)

[١٠٥] «وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَ هُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ».

«و كأيّن من آية»؛ أي: و كم من آية. و المعنى: و كأيّ عدد شئت من الدلائل الدالّة على وجود الصانع و حكمته و كمال قدرته و توحيده «يمرّون عليها»: على الآيات و يشاهدونها و هم معرضون عنها لايتفكّرون فيها و لايعتبرون بها.(٤)

«في السموات» من الشمس و القمر و النجوم. «يمرّون عليها» [و] يشاهدونها.(٥)

«في السموات و الأرض»: الكسوف و الزلزلة و الصواعق.(٦)

[١٠٦] «وَ مَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَ هُمْ مُشْرِكُونَ».

«و مايؤمن أكثرهم». نزلت في أهل الكتاب؛ آمنوا بالله و اليوم الآخر و التوراة و الإنجيل، ثمّ أشركوا بإنكار القرآن و نبوّة محمّد صلى الله عليه و آله. و هو مرويّ عن الرضا عليه السلام. و قيل: المراد بالإشراك شرك الطاعة لا شرك العبادة. و أطاعوا الشيطان في المعاصي التي يرتكبونها ممّا أوجب عليها النار، فأشركوا بالله في طاعته و لم يشركوا به في عبادة فيعبدون معه غيره. و هو مرويّ عن أبي جعفر عليه السلام. و عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال: قول الرجل: لولا فلان لهلكت. و

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٩٧.
٢ـ مجمع البيان ٥ / ٤٠٩.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٩٧.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٩٧.
٥ـ مجمع البيان ٥ / ٤٠٩.
٦ـ تفسير القمّيّ ١ / ٣٥٨.

لولا فلان لضاع عيالي. جعل لله شريكاً في ملكه يرزقه و يدفع عنه. فقيل له: لو قال: لولا ما منّ الله عليّ بفلان لهلكت؟ قال: لا بأس بهذا. و في رواية زرارة عنهما عليهما السلام أنّه شرك النعم. و عن الرضا عليه السلام أنّه شرك لايبلغ به الكفر.[١]

«و مايؤمن أكثرهم بالله» في إقرارهم بوجوده و خالقيّته «إلّا و هم مشركون» بعبادة غيره، أو باتّخاذ الأحبار أرباباً و نسبة التبنّي إليه، أو القول بالنور و الظلمة و نحو ذلك. و قيل: الآية في مشركي مكّة. و قيل: في المنافقين. و قيل: في أهل الكتاب.[٢]

«مشركون». المراد الشرك الخفيّ.

[١٠٧] «أَ فَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ».

«غاشية»؛ أي: عقوبة تغشاهم و تشملهم. «بغتة»؛ أي: فجأة من غير سابقة علامة. «لايشعرون» بإتيانها غير مستعدّين لها.[٣]

[١٠٨] «قُلْ هٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَ مَنِ اتَّبَعَنِي وَ سُبْحَانَ اللهِ وَ مَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ».

«قل هذه». يعني الدعوة إلى التوحيد و الاعتداد للمعاد. و لذلك فسّر السبيل بقوله: «أدعو إلى الله». و قيل: هو حال من الياء. «على بصيرة»: بيان و حجّة واضحة غير عمياء. «أنا». تأكيد للمستتر في أدعو أو «على بصيرة» لأنّه حال من أدعو. أو مبتدأ خبره «على بصيرة». «و من اتّبعني» عطف عليه. «و سبحان الله»: أنزّهه تنزيهاً من الشركاء.[٤]

«على بصيرة»؛ أي: حجّة قاطعة لا على التقليد.[٥]

١ـ مجمع البيان ٥ / ٤١٠.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٩٨.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٩٨.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٩٨.
٥ـ مجمع البيان ٥ / ٤١١.

[۱۰۹] «وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرىٰ أَ فَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَ فَلَا تَعْقِلُونَ».

«نوحي». حفص عن عاصم بالنون. و الباقون: «يوحىٰ» بالياء. «و لدار الآخرة». يقول: هذا صنيعنا بأهل الايمان و الطاعة في دار الدنيا إذ أهلكنا عدوّهم و نجّيناهم من شرّهم. و لدار الآخرة خير لهم من دار الدنيا و نعيمها.[۱]

«أفلاتعقلون». نافع [و عاصم] و ابن‌عامر بالتاء. و الباقون بالياء.[۲]

«إلّا رجالاً». ردّ لقولهم: «لو شاء ربّنا لأنزل ملائكة».[۳] و قيل: معناه نفي استنباء النساء. «يوحى إليهم» كما أوحي إليك و تميّزوا بذلك عن غيرهم. «القرى». لأنّ أهلها أعلم و أحكم من أهل البدو. «من قبلهم» من المكذّبين بالرسل و الآيات فيحذروا تكذيبك. أو من المشعوفين بالدنيا المتهالكين عليها فينقلعوا عن حبّها. «و لدار الآخرة»: الحياة الآخرة. «خير للّذين اتّقوا» الشرك و المعاصي. «أفلايعقلون»؛ أي: يستعملون عقولهم.[۴]

«أفلم يسيروا». أي هؤلاء المشركون. (ع)

[۱۱۰] «حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَ لَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ».

«حتّى». غاية محذوف دلّ عليه الكلام. أي: لايغررهم تمادي أيّامهم. فإنّ من قبلهم أمهلوا حتّى أيس الرسل من النصر عليهم في الدنيا، أو عن إيمانهم لانهماكهم في الكفر مترفّهين متمادين فيه. «و ظنّوا أنّهم قد كذبوا»؛ أي: كذبتهم أنفسهم حين حدّثتهم بأنّهم لاينصرون. أو: كذبهم القوم بوعد الايمان. و قيل: الضمير للمرسل إليهم. أي: و ظنّ المرسل

۱ـ مجمع البيان ۵ / ۴۱۲.
۲ـ التيسير / ۱۰۶.
۳ـ فصّلت (۴۱) / ۱۴.
۴ـ تفسير البيضاويّ ۱ / ۴۹۸.

إليهم أنّ الرسل قد كذبوهم بالدعوة و الوعيد. و قيل: الأوّل للمرسل إليهم، و الثاني للرسل. أي: و ظنّوا أنّ الرسل قد كذبوا و أخلفوا فيما وعد لهم من النصر و خلط الأمر عليهم. «قد كذبوا». غير الكوفيّين بالتشديد. أي: و ظنّ الرسل أنّ القوم قد كذّبوهم فيما أوعدوهم.(١)

عن الرضاعليه السلام حين قال له المأمون: تقول الأنبياء معصومون. فما تقول في قوله تعالى: «حتّى إذا استيأس الرسل»؟ فقال عليه السلام: يقول الله: حتّى إذا استيأس الرسل من قومهم، فظنّ قومهم أنّ الرسل قد كذبوا، جاء الرسل نصرنا. فقال له المأمون: لله درّك يا أبا الحسن.(٢)

«فينجّي». غير عاصم و ابن عامر بنونين و تخفيف الجيم و سكون الياء. أي: نخلّص من العذاب من نشاء ـ و هم المؤمنون ـ و لانردّ عذابنا عن المشركين.(٣)

[١١١] «لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَىٰ وَلٰكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَ تَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَ هُدًى وَ رَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ».

«لقد كان في قصصهم»؛ أي: في قصص يوسف و إخوته. «عبرة»؛ أي: فكرة و بصيرة من الجهل و موعظة. و هو ما أصابه من ملك مصر و الجمع بينه و بين إلقائه و بيعه و حبسه. و قيل: في قصصهم عبرة لأنّ نبيّناصلى الله عليه وآله لايقرأ كتاباً و لا سمع حديثاً و لا خالط أهله ثمّ حدّثهم في حسن معانيه و براعة ألفاظه و مبانيه بحيث لم يردّ أحد من ذلك شيئاً. فهذا من أدلّ الدلائل على صدقه لذوي العقول. «ما كان»؛ أي: ما كان ما أدّاه محمّدصلى الله عليه وآله و أنزل عليه حديثاً يختلق كذباً. «ولكن تصديق» الكتب «الذي بين يديه»، لأنّه جاء به كما بشّر به في الكتب، و تفصيل كلّ ما يحتاج إليه من الأحكام و شرائع الإسلام. «و هدًى»؛ أي: دلالة «و رحمة»؛ أي: نعمة ينتفع بها المؤمنون.(٤)

«و تفصيل». عطف على تصديق.

«في قصصهم»؛ أي: الرسل. «ما كان حديثاً». أي القرآن.(٥)

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٤٩٨.

٢ـ عيون أخبار الرضاعليه السلام ١ / ٢٠٢.

٣ـ مجمع البيان ٥ / ٤١٣ و ٤١٦.

٤ـ مجمع البيان ٥ / ٤١٦.

٥ـ الكشّاف ٢ / ٥١١.

١٣.
سورة الرعد

عن أبي عبدالله عليه السلام: من أكثر قراءة سورة الرعد، لم يصبه الله بصاعقة أبداً و لو كان ناصباً. و إذا كان مؤمناً، دخل الجنّة بغير حساب و يشفع في جميع من يعرفه من أهل بيته و إخوانه.[١]

عن النبيّ صلى الله عليه و آله: من قرأ سورة الرعد، أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كلّ سحاب يكون إلى يوم القيامة، و كان يوم القيامة من الموفين بعهد الله.[٢]

من كان به الثالول، فليقرأ عليها هذه الآيات سبعاً في نقصان الشهر: «و مثل كلمة خبيثة» ـ الآية.[٣] «و بسّت الجبال بسّاً * فكانت هباء منبثّاً»[٤].[٥]

[١] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ»

«المر». عن الصادق عليه السلام: معناه: أنا الله المحيي المميت الرازق.[٦]

معناه: أنا الله أعلم و أرى.[٧]

«تلك»؛ أي: هذه السورة آيات الكتاب التي تقدّم الوعد بها ليست بمفتريات و لا

١ـ ثواب الأعمال ١ / ١٣٣، ح ١.
٢ـ مجمع البيان ٦ / ٤١٩.
٣ـ إبراهيم (١٤) / ٢٦.
٤ـ الواقعة (٥٦) / ٥ ـ ٦.
٥ـ المصباح / ٦٠٦. هكذا في المصدر، ولكن هذه لا علاقة لها بالسورة.
٦ـ معاني الأخبار / ٢٢، ح ١.
٧ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٠٠.

سحر. و الكتاب القرآن. و قيل: إنّ الكتاب عبارة عن التوراة و الإنجيل و الكتب المتقدّمة، و الآيات الدلالات المؤدّية إلى معرفة الله. «و الذي أنزل إليك»؛ يعني: و هذا القرآن [هو الحقّ] فاعتصم به و اعمل بما فيه. [و على القول الأوّل، فإنّه وصف القرآن بصفتين.][١]

«تلك». إشارة إلى آيات السورة. و المراد بالكتاب السورة. أي: تلك الآيات آيات السورة الكاملة العجيبة في بابها. ثمّ قال: و الذي أنزل إليك من القرآن كلّه، هو الحقّ الذي لا مزيد عليه لا هذه السورة وحدها.[٢]

«و الذي أنزل». هو القرآن كلّه. و محلّه الجرّ بالعطف على الكتاب عطف العامّ على الخاصّ أو إحدى الصفتين على الأخرى، أو الرفع بالابتداء و خبره «الحقّ». «لا يؤمنون» لإخلالهم بالنظر و التأمّل.[٣]

[٢] «اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمٰوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ».

«الله الذي». لمّا ذكر سبحانه أنّهم لا يؤمنون، عرّف الدليل الذي يوجب التصديق بالخالق. «ثمّ استوى على العرش». إذا حملنا الاستواء على معنى الملك و الاقتدار، فالوجه في إدخال ثمّ فيه ـ و لم يزل تعالى كذلك ـ أنّ المراد اقتداره على تصريفه و تقليبه و هذا لا يكون إلّا إذا وجد نفس العرش. «يفصّل الآيات»؛ أي: يأتي بآية في أثر آية فصلاً فصلاً مميّزاً بعضها عن بعض، ليكون أمكن للاعتبار و التفكّر. و قيل: معناه: يبيّن الدلائل بما يحدثه في السموات و الأرض. «بلقاء ربّكم»: المعاد.[٤]

«الله» مبتدأ و خبره «الذي». و قوله: «يدبّر الأمر يفصّل الآيات» خبر بعد خبر. «ترونها». كلام مستأنف، استشهاد برؤيتهم لها كذلك. و قيل: هي صفة لعمد. «يدبّر» أمر

١ـ مجمع البيان ٦ / ٤٢٠.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٥١١.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٠٠.
٤ـ مجمع البيان ٦ / ٤٢٠ ـ ٤٢١.

ملكوته و ربوبيّته. «يفصّل» آياته في كتبه المنزلة، لعلّكم توقنون بالجزاء و بأنّ هذا المدبّر و المفصّل لابدّ لكم من الرجوع إليه.(١)

«و سخّر الشمس و القمر»: ذلّلهما لما أراد منهما كالحركة المستمرّة على حدّ من السرعة. «لأجل مسمًّى»: لمدّة معيّنة يتمّ فيها أدواره. أو: لغاية مضروبة ينقطع دونها و هي إذا الشمس كوّرت.(٢)

[٣] «وَ هُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَ جَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَ أَنْهَاراً وَ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ».

«مدّ الأرض»؛ أي: بسطها طولاً و عرضاً ليثبت عليها الأقدام و يتقلّب عليها الحيوان.

«رواسي»: جبالاً ثوابت. «زوجين»؛ أي: صنفين اثنين كالحلو و الحامض و الأسود و الأبيض و الكبير و الصغير. «يغشي». حمزة و الكسائيّ و أبوبكر بالتشديد.(٣)

«جعل فيها»؛ أي: خلق فيها من جميع أنواع الثمرات زوجين حين مدّها، ثمّ تكاثرت بعد ذلك و تنوّعت. و قيل: أراد بالزوجين الأسود و الأبيض و الحلو و الحامض و الصغير و الكبير و ما أشبه ذلك من الأصناف المختلفة.(٤)

«يغشي اللّيل»؛ أي: يلبس ظلمة اللّيل ضياء النهار. و قيل: يدخل اللّيل في النهار و النهار في اللّيل. «لآيات»؛ أي: دلالات واضحة على وحدانيّة الله للمتفكّرين [فيها المستدلّين منها] على الصانع.(٥)

[٤] «وَ فِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَ جَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَ زَرْعٌ وَ نَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَ غَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَ نُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ

١ـ الكشّاف ٢ / ٥١٢.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٠٠.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٠٠ ـ ٥٠١.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٥١٢.
٥ـ مجمع البيان ٦ / ٤٢٣ ـ ٤٢٤.

لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ».

«و في الأرض قطع»؛ أي: أبعاض متقاربات مختلفات في التفاضل، منها جبال صلب تنبت شيئاً و منها سهل حرّ ينبت و منها سبخة لاتنبت. بيّن سبحانه باختلاف هذه الأرضين مع تقاربها أنّه قادر على كلّ شيء. «و جنّات»؛ أي: بساتين. «صنوان»؛ أي: نخلات من أصل واحد. «و غير صنوان»؛ أي: من أصول شتّى. و الصنو: الأصل. و قيل: الصنو: المثل. و الصنوان: الأمثال. و منه قوله صلى الله عليه و آله: [عمّ] الرجل صنو أبيه. «يسقى». أي كلّ ما ذكرنا. «و نفضّل بعضها على بعض». أي في الأكل و اللّون و الطعم. فلو كانت بالطبع، لما اختلف ألوانها و طعومها. و فيه دلالة واضحة على أنّ لها صانعاً. «إنّ في ذلك»؛ أي: في اختلافها لوناً و طعماً. «يعقلون». أي الدلائل. و عن جابر قال: سمعت النبيّ صلى الله عليه و آله يقول لعليّ عليه السلام: الناس من شجر شتّى. و أنا و أنت من شجرة واحدة. ثمّ قرأ: «و في الأرض قطع» ـ الآية. «و زرع و نخيل صنوان و غير صنوان». ابن‌كثير و أبوعمرو و حفص جميعها بالرفع، و الباقون بالجرّ.[١]

«يسقى». عاصم و ابن عامر بالياء. و الباقون بالتاء. و حمزة و الكسائي: «يفضّل» بالياء، ليطابق قوله: «يدبّر الأمر».[٢]

[٥] «وَ إِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَ إِذَا كُنَّا تُرَاباً أَ إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَ أُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ».

«و إن تعجب». لمّا قدّم أنّه قادر على الإنشاء و الإعادة، عقّبه بالتعجّب من تكذيبهم بالمعاد فقال: و إن تعجّبت ـ يا محمّد صلى الله عليه و آله ـ من إنكار هؤلاء الكفّار البعث، فقد وضعت التعجّب موضعه. «فعجب قولهم»؛ أي: قولهم عجب. «خلق جديد»؛ أي: نبعث و نعاد بعد ما صرنا تراباً؟ هذا غير ممكن! لأنّ من قدر على الإنشاء، كان أقدر على الإعادة. أبوجعفر:

١ـ مجمع البيان ٦ / ٤٢٤ و ٤٢٢.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٠١.

«إذا كنّا» بغير استفهام. «إنّا» بهمزة واحدة مطوّلة. فهو يستفهم في الثاني دون الأوّل. و أمّا نافع فإنّه يستفهم بالأوّل بهمزة واحدة غير مطوّلة و لايستفهم بالثاني. و عاصم و حمزة يستفهمان فيهما بهمزتين. «أولئك»: المنكرون للبعث. «في أعناقهم» في الآخرة. و قيل: المراد أغلال الكفر. أي: كفرهم أغلال في أعناقهم.(١)

«أإذا». بدل من «قولهم» أو مفعول له. و العامل في إذا محذوف دلّ عليه «أإنّا لفي خلق جديد». «كفروا بربّهم». لأنّهم كفروا بقدرته على البعث.(٢)

[٦] «وَ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ وَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَ إِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ».

«و يستعجلونك» يا محمّد هؤلاء المشركون بالعذاب قبل الرحمة، أو بالعقاب الذي توعّدوا به على التكذيب قبل الثواب الذي وعدوا به على الإيمان. و ذلك حين قالوا: «فأمطر علينا حجارة من السماء».(٣) «و قد خلت»؛ أي: مضت «من قبلهم المثلات». المثلات، واحدتها مثلة بفتح الميم و ضمّ الثاء. أي: العقوبات التي يقع بها الاعتبار. و هو ما حلّ بهم من المسخ و الخسف. و قد سلك هؤلاء طريقتهم، فكيف يتجاسرون على استعجالها؟ و قيل: هي العقوبة الفاضحة التي تسير بها الأمثال. و تقديره: و قد خلت المثلات بقومه. أو: خلا أصحاب المثلة، فحذف المضاف.(٤)

سألوا رسول الله ﷺ أن يأتيهم بالعذاب استهزاء منهم بإنذاره. «بالسيّئة قبل الحسنة»: بالنقمة قبل العافية. «على ظلمهم»؛ أي: في حال كونهم ظالمين لأنفسهم.(٥)

«المثلات». المثلة بفتح الثاء و ضمّها ـ كالصدَقة و الصدُقة ـ: العقوبة، لأنّها مثل المعاقب عليه. و منه المثال للقصاص. «على ظلمهم». التقييد به دليل جواز العفو قبل التوبة. فإنّ

١ـ مجمع البيان ٦ / ٤٢٥ ـ ٤٢٦.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٠١.
٣ـ الأنفال (٨) / ٣٢.
٤ـ مجمع البيان ٦ / ٤٢٦ ـ ٤٢٧.
٥ـ الكشّاف ٢ / ٥١٣ ـ ٥١٤.

التائب ليس على ظلمه. و من منع ذلك، خصّ الظلم بالصغائر المكفّرة لمجتنب الكبائر، أو أوّل المغفرة بالستر و الإمهال. و عن النبيّ ﷺ: لولا عفو الله و تجاوزه، لما هنأ أحد العيش. و لولا وعيده وعقابه، لاتّكل كل أحد.(١)

«لذو مغفرة». إبراهيم العيّاشيّ قال: كنّا في مجلس الرضا عليه السلام فتذاكروا الكبائر و قول المعتزلة فيها أنّها لاتغفر. فقال الرضا عليه السلام: قال أبوعبدالله عليه السلام: قد نزل القرآن بخلاف قول المعتزلة. قال الله جلّ جلاله: «و إنّ ربّك لذو مغفرة» ـ الآية.(٢)

[٧] «وَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ».

«لولا أنزل عليه» ـ الآية. طلبوا غير الآيات التي أتى بها فالتمسوا مثل آيات موسى و عيسى، فبيّن سبحانه طريقتهم في اقتراح الآيات، كما في قوله: «لن نؤمن لك حتّى تفجر لنا من الأرض» إلى قوله: «قبيلاً».(٣) وكما قالوا: اجعل لنا الصفا ذهباً حتّى نأخذ منه ما نشاء. و إنّما يظهر الله تلك الآيات، لأنّه لو أجاب أولئك، لاقترح آخرون و كذلك كلّ كافر، فكان يؤدّي إلى غير نهاية. «إنّما أنت منذر و لكلّ قوم هاد». فيه أقوال. أحدها: انّ معناه: أنت منذر مخوّف و هاد لكلّ قوم، و ليس عليك إنزال الآيات. فيكون [أنت مبتدأ و منذر خبره و] هاد عطف على منذر. و الثاني: انّ المنذر محمّد ﷺ و الهادي هو الله تعالى. الثالث: و لكلّ قوم نبيّ يهديهم و داع يرشدهم. و عن ابن عبّاس: لمّا نزلت هذه الآية، قال رسول الله ﷺ: أنا المنذر. و عليّ عليه السلام الهادي من بعدي. يا عليّ، بك يهتدي المهتدون.(٤)

عن أبي جعفر عليه السلام: رسول الله ﷺ المنذر. و عليّ عليه السلام الهادي. و كلّ إمام هاد للقرن الذي هو فيه.(٥)

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٠١ ـ ٥٠٢.
٢ـ التوحيد / ٤٠٦، ح ٤.
٣ـ الإسراء (١٧) / ٩٠ ـ ٩٢.
٤ـ مجمع البيان ٦ / ٤٢٧.
٥ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٢٠٤، ح ٧.

[٨] «اللهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثىٰ وَ مَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَ مَا تَزْدَادُ وَ كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ».

«الله يعلم ما تحمل كلّ أنثى»؛ أي: ما في بطن كلّ حامل من ذكر أو أنثى تامّ أو غير تامّ و يعلم لونه و صفاته. «و ما تغيض الأرحام»؛ أي: يعلم الوقت الذي تنقصه الأرحام من المدّة التي هي تسعة أشهر «و ما تزداد» على ذلك. عن أكثر المفسّرين. و قيل: المراد الزيادة على الأجل و النقصان منه. و ذلك أنّ النساء لايلدن لأجل واحد. «و كلّ شيء» من الرزق و الأجل بقدر واحد لايجاوزه و لايقصر عنه.(١)

عن أحدهماعليهما السلام في قوله: «و ما تغيض الأرحام» قال: الغيض كلّ حمل دون تسعة أشهر. «و ما تزداد» كلّ شيء يزداد على تسعة أشهر. فكلّما رأت المرأة الدم الخالص في حملها، فإنّها تزداد بعدد الأيّام التي رأت في حملها من الدم.(٢)

و في حديث آخر عنهعليه السلام: «ما تحمل كلّ أنثى» إمّا أنثى أو ذكر. «و ما تغيض الأرحام» التي لاتحمل. «و ما تزداد» الأنثى و الذكر جميعاً.(٣)

«و ما تزداد». أي على تسعة أشهر. فإنّ الزائد يكون إلى سنتين عند أبي‌حنيفة، و إلى أربع عند الشافعيّ و إلى خمس عند مالك.(٤)

[٩] «عَالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ».

«عالم الغيب»: ما غاب عن حسّ العباد. «و الشهادة»: ما يشاهده العباد. «الكبير»: القادر على جميع الأشياء. «المتعال»: الذي علا على كلّ شيء بقدرته.(٥)

[١٠] «سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَ مَنْ جَهَرَ بِهِ وَ مَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَ سَارِبٌ

١ـ مجمع البيان ٦ / ٤٣٠.
٢ـ الكافي ٦ / ١٢، ح ٢.
٣ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٢٠٤، ح ١١ و ١٢ و ص ٢٠٥ ح ١٣.
٤ـ تفسير الكشّاف ٢ / ٥١٥.
٥ـ مجمع البيان ٦ / ٤٣٠ ـ ٤٣١.

بِالنَّهَارِ».

«سواء منكم»؛ أي: سواء عند الله و في علمه من أسرّ القول في نفسه و أخفاه و أعلنه و أبداه. «و من هو مستخف»؛ أي: مستتر متوار باللّيل و من هو سالك في سربه ـ أي: مذهبه ـ ماض في حوائجه.(١)

[١١] «لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَ إِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ».

«له معقّبات». اختلف في ضمير «له» على وجوه. أحدها: انّه يعود إلى من في قوله: «من أسرّ القول و من جهر به». و الآخر: انّه يعود إلى اسم الله و هو عالم الغيب و الشهادة. و ثالثها: انّه يعود إلى النبيّ في قوله «إنّما أنت منذر». «معقّبات». قيل: المراد بها الملائكة يتعاقبون؛ تعاقب ملائكة اللّيل ملائكة النهار، و ملائكة النهار ملائكة اللّيل. و هم الحفظة يحفظون على العبد عمله. و قيل: هم أربعة أملاك يجتمعون عند صلاة الفجر. و هو معنى قوله: «إنّ قرآن الفجر كان مشهوداً».(٢) و قد روي ذلك عن الأئمّة عليهم السلام. و الثاني: انّهم الملائكة يحفظونه من المهالك حتى ينتهوا به إلى المقادير فيخلّون بينه و بين المقادير. عن عليّ عليه السلام. و الثالث: انّهم الأمراء و الملوك في الدنيا. و تقديره: و من هو سارب بالنهار له أحراس و أعوان قدر أنّهم يحرسونه و لم يتّجه أحراسه من الله تعالى. «و من خلفه»أي: يطوفون به كما يطوف الموكّل بالحفظ. و قيل: يحفظون ما تقدّم من عمله و ما تأخّر إلى أن يموت فيكتبونه. أو يحفظونه من وجوه المهالك و المعاطب و من الجنّ و الإنس و الهوامّ. «من أمر الله»؛ أي: بأمر الله. كما يقال: هذا الأمر من تدبير فلان. و قيل: يحفظونه عن خلق الله فيكون من بمعنى عن. في قراءة عليّ عليه السلام: «يحفظونه بأمر الله». «إنّ الله لايغيّر ما بقوم» من النعمة، «حتّى

١ـ مجمع البيان ٦ / ٤٣١.   ٢ـ الإسراء (١٧) / ٧٨.

يغيّروا ما بأنفسهم» من الطاعة فيعصون ربّهم. «سوءاً»؛ أي: عذاباً. «من وال» يلي أمرهم و يدفع عنهم العذاب. قال أميرالمؤمنين عليه السلام: إذا أقبلت إليكم أطراف النعم، فلاتنفروا أقصاها بقلّة الشكر.(١)

«يغيّروا». عن عليّ بن الحسين عليهما السلام: الذنوب المغيّرة للنعم البغي و الزوال عن العادة في الخير و ترك الشكر.(٢)

عن حمران عن أبي جعفر عليه السلام و قد قرئت: «له معقّبات من بين يديه» قال: و أنتم عرب! يكون المعقّبات بين يديه؟ قلت: و كيف نقرؤها؟ قال: «له معقّبات من خلفه و رقيب من بين يديه يحفظونه بأمر الله». و من هذا الذي يقدر أن يحفظ الشرّ من أمر الله؟ و هم الملائكة الموكّلون بالناس.(٣)

[١٢] «هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَ طَمَعاً وَ يُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ».

«خوفاً و طمعاً»؛ أي: تخويفاً و إطماعاً. [و ذكر فيه وجوه. أحدها: خوفاً من الصواعق و طمعاً] في الغيث الذي يزيل القحط. و الثاني: خوفاً للمسافر من أنّه لايمكنه السير في المطر، و طمعاً للمقيم في نموّ الزرع. و الثالث: خوفاً لمن يخاف المطر؛ إذ كلّ بلد لاينتفع بالمطر. «و ينشيء»؛ أي: يخلق «السحاب الثقال» بالماء.(٤)

«خوفاً و طمعاً»؛ أي: ارادة خوف و طمع. أو حال من المخاطبين. أي: خائفين و طامعين.(٥)

[١٣] «وَ يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَ الْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَ يُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَ هُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللهِ وَ هُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ».

١ـ مجمع البيان ٦ / ٤٣١ ـ ٤٣٢ و ٤٢٨.
٢ـ معاني الأخبار / ٢٧٠، ح ٢.
٣ـ مناقب آل أبي طالب ٤ / ١٩٧.
٤ـ مجمع البيان ٦ / ٤٣٤.
٥ـ الكشّاف ٢ / ٥١٨.

«يسبّح الرعد». تسبيح الرعد دلالته على تنزيه الله و وجوب حمده. فكأنّه هو المسبّح. و قيل: إنّ الرعد هو الملك الذي يسوق السحاب و يزجره بصوت فهو يسبّح الله و يحمده.[١]

روي أنّ الرعد صوت ملك أكبر من الذباب و أصغر من الزنبور.[٢]

و عن أبي عبدالله عليه السلام: انّه بمنزلة الرجل يكون في الإبل فيزجرها: هاي هاي، كهيئة ذلك. و البرق مخاريق الملائكة تسوق السحاب إلى الموضع الذي قضى الله فيه المطر.[٣]

«و هم يجادلون». لأنّ العامريّ كان يقول: أخبرني عن ربّنا: أ من نحاس هو أم من حديد؟ أي: يرسل الصواعق في حال الجدال. و ذلك أنّ أربد العامريّ و عامر بن الطفيل قصدا قتل رسول الله صلى الله عليه و آله فرمى الله أربد بالصاعقة. «المحال»؛ أي: المكر و الكيد لأعدائه يأتيهم بالهلكة من حيث لايحتسبون.[٤]

«المحال». المحل بمعنى القوّة.[٥]

[١٤] «لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَ مَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَ مَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ».

«له دعوة الحقّ»؛ أي: دعوة الإخلاص و هي شهادة أن لا إله إلّا الله. عن ابن عبّاس. أو المعنى: انّ من دعاه على جهة الإخلاص، فهو يجيبه. فله سبحانه من خلقه الدعوة الحقّ. «و الذين يدعون»؛ أي: الذين يدعوهم المشركون من دون الله لحاجتهم من الأوثان و غيرها. «كباسط كفّيه». هذا مثل ضربه الله لكلّ من عبد غير الله و دعاه رجاء أن ينفعه. يقول: إنّ مثله كمثل رجل بسط كفّيه إلى الماء من مكان بعيد ليتناوله و يسكن به غلّته و ذلك الماء لايبلغ فاه لبعد المسافة بينهما. و كذلك ما كان يعبده المشركون من الأصنام لايصل نفعها

١ـ مجمع البيان ٦ / ٤٣٤.

٢ـ الفقيه ١ / ٣٣٤.

٣ـ الفقيه ١ / ٣٤٤.

٤ـ الكشّاف ٢ / ٥١٩.

٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٠٤.

إليهم و لايستجيب دعاءهم. عن ابن‌عبّاس. و قيل: «كباسط كفّيه إلى الماء» [أي:] كالّذي يدعو الماء بلسانه و يشير إليه بيده، فلايأتيه الماء. «و ما دعاء الكافرين»؛ أي: ليس دعاؤهم الأصنام دون الله «إلّافي ضلال»: ذهاب عن الحقّ و الصواب.[١]

«إلّاكباسط»؛ أي: إلّا استجابة كاستجابة من بسط «كفّيه إلى الماء» يطلب منه أن يبلغ فاه، و هو جماد لايشعر و لايقدر على الإجابة. فكذلك آلهتهم. و قيل: شبّهوا في قلّة جدوى دعائهم لها بمن أراد أن يغترف الماء ليشربه فبسط كفّيه ليشرب.[٢]

[١٥] «وَ لِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ طَوْعاً وَ كَرْهاً وَ ظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَ الْآصَالِ».

«و لله يسجد». المراد منه الانقياد لما يريده فيهم من الأحداث. «طوعاً». انتصابه بالحال أو على العلّة. «بالغدوّ و الآصال». ظرف ليسجد. و المراد بهما الدوام. أو حال من الضلال و تخصيص الوقتين لأنّ الامتداد و التقلّص أظهر فيهما.[٣]

«طوعاً و كرهاً». معناه: انّه يجب السجود لله تعالى إلّا أنّ المؤمن يسجد طوعاً و الكافر يسجد له كرهاً بالسيف. و [قيل:] معناه الخضوع لله. لأنّ الكافر لايمكنه الامتناع من الآلام و الأسقام. «و ظلالهم»؛ أي: و يسجد ظلالهم لله. قيل: إنّ المراد بالظلّ الشخص. فإنّ من يسجد يسجد ظلّه معه. قال الحسن: يسجد ظلّ الكافر و لايسجد الكافر. و معناه أنّه يسجد شخصه دون قلبه. لأنّه لايريد بسجوده عبادة ربّه من حيث إنّه يسجد للخوف. و قيل: إنّ الظلال على ظاهرها. و المعنى في سجودها تمايلها من جانب إلى جانب و انقيادها للتسخير بالطول و القصر. «و الآصال»: العشيّات.[٤]

«و ظلالهم». قال: ظلّ المؤمن يسجد طوعاً. و ظلّ الكافر يسجد كرهاً. و هو نموّهم و

١ـ مجمع البيان ٦ / ٤٣٥ ـ ٤٣٦.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٠٤.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٠٤.
٤ـ مجمع البيان ٦ / ٤٣٦.

حركتهم و زيادتهم و نقصانهم.[١]

عن أبي عبدالله عليه السلام: «بالغدوّ و الآصال» قال: هو الدعاء قبل طلوع الشمس و قبل غروبها. و هي ساعة إجابة.[٢]

[١٦] «قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ قُلِ اللهُ قُلْ أَ فَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعاً وَ لَا ضَرّاً قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمىٰ وَ الْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَ النُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلّٰهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَ هُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ».

أي: قل ـ يا محمّد ـ لهؤلاء الكفّار: من مدبّر السموات و الأرض؟ فإذا استعجم [عليهم] الجواب و لايمكنهم أن يقولوا الأصنام، فقل أنت لهم: ربّ السموات و الأرض هو الله. فإذا أقرّوا بذلك، فقل لهم على سبيل التبكيت و التوبيخ لفعلهم: «أفاتّخذتم من دونه أولياء» توجّهون عبادتكم إليهم؟ و «لايملكون لأنفسهم نفعاً و لا ضرّاً». فكيف يملكون لغيرهم؟ «هل تستوي الظلمات». أهل الكوفة غير حفص بالياء. و الباقون بالتاء. «قل هل يستوي الأعمى و البصير». فكما لايستويان، كذلك [لايستوي] المؤمن و الكافر. لأنّ المؤمن يعمل على بصيرة و الكافر يعمل على عمًى. «الظلمات و النور»: الكفر و الإيمان. أو: الجهل و العلم. «أم جعلوا»؛ أي: هل جعل هؤلاء الكفّار لله شركاء في العبادة خلقوا أفعالاً مثل خلق الله فاشتبه لذلك عليهم ما الذي خلق الله و ما الذي خلق الأوثان و ظنّوا أنّ الأوثان تستحقّ العبادة لأنّ أفعالها مثل أفعال الله؟ فإذا لم يكن مشتبهاً و كان كلّه لله، لم يبق شبهة أنّه الإله لايستحقّ العبادة إلّا هو. «الله خالق كلّ شيء» فهو يستحقّ العبادة. «و هو الواحد»: المتوحّد بالعبادة. أو: الواحد في الإلهيّة.[٣]

«أم جعلوا لله»؛ أي: بل أجعلوا؟ و الهمزة للإنكار. «خلقوا كخلقه». صفة لشركاء

١ـ تفسير القمّيّ ١ / ٣٦٢.
٢ـ الكافي ٢ / ٥٢٢، ح ١.
٣ـ مجمع البيان ٦ / ٤٣٧ ـ ٤٣٨.

داخلة في حكم الإنكار.[١]

[١٧] «أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رَابِياً وَ مِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذٰلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْحَقَّ وَ الْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَ أَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذٰلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ».

«أودية»؛ أي: أنهار. جمع واد؛ و هو الموضع الذي يسيل فيه الماء بكثرة، فاتّسع فيه و استعمل للماء الجاري فيه. وتنكيرها لأنّ المطر يأتي على تناوب بين البقاع. «بقدرها»؛ أي: بمقدارها الذي علم الله أنّه نافع غير ضارّ أو بمقدارها في الصغر و الكبر. «فاحتمل السيل زبداً»؛ أي: رفعه. «رابياً»؛ أي: عالياً. «و ممّا». من للابتداء. «يوقدون». حمزة و الكسائيّ و حفص بالياء. و الباقون بالتاء. «فيذهب جفاء» يجفأ به؛ أي: يرمي به السيل. «فيمكث» للانتفاع به. «يضرب الله الأمثال» لإيضاح المشتبهات.[٢]

«ممّا يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع». عبارة جامعة لأنواع الفلزّ مع إظهار الكبرياء في ذكره على وجه التهاون كما هو عادة الملوك؛ نحو ما جاء في ذكر الآجر: «أوقد لي يا هامان على الطين».[٣] الفائدة في قوله: «ابتغاء حلية» كالفائدة في قوله: «بقدرها». لأنّه جمع الماء و الفلزّ في النفع في قوله: «و أمّا ما ينفع الناس».[٤]

«في النار» قال جامع العلوم البصير: قوله: «في النار» متعلّق بمحذوف في موضع الحال من الضمير المجرور بقوله: «عليه». أي: ثابتاً في النار مبتغين حلية. و المعنى أنّهم يوقدون على الذهب في حال كونه في النار. و قوله: «زبد» مبتدأ و «مثله» نعت له. و الظرف الذي هو «ممّا يوقدون» خبره. ضرب سبحانه مثلين للحقّ و الباطل: أحدهما الماء و ما يعلوه من الزبد. و الآخر ما يوقد عليه النار من الذهب و الفضّة و غيرهما و ما يعلوه من الزبد. فشبّه

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٠٤ ـ ٥٠٥.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٠٥.
٣ـ القصص (٢٨) / ٣٨.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٥٢٣.

سبحانه الحقّ و الإسلام بالماء الصافي النافع للخلق و الباطل بالزبد الذاهب باطلاً. و قيل: إنّه مثل للقرآن النازل من السماء ثمّ تحتمل القلوب حظّها من اليقين و الشكّ على قدرها. فالماء مثل لليقين و الزبد مثل الشكّ. عن ابن عبّاس. ثمّ ذكر المثل الآخر فقال: «و ممّا يوقدون عليه في النار» كالذهب و الرصاص و الحديد «ابتغاء حلية»؛ أي: طلب زينة تتّخذ منه كالذهب و الفضّة «أو متاع»؛ أي: ابتغاء متاع ينتفع به مثل جواهر الأرض يتّخذ أواني و غيرها. «زبد مثله»؛ أي: مثل زبد الماء. فإنّ زبدها خبثها الذي تميّزه النار و تخرجه. «كذلك يضرب الله الحقّ [و الباطل»؛ أي: مثل الحقّ و الباطل. و] ضرب المثل تسييره في البلاد حتّى يتمثّل به الناس. «جفاء»؛ أي: باطلاً متفرّقاً لاينتفع به. «و أمّا ما ينفع الناس» و هو الماء الصافي و الأعيان التي ينتفع بها «فيمكث في الأرض» للانتفاع بها. فمثل المؤمن و اعتقاده كمثل هذا الماء المنتفع به في نبات الأرض و حياة كلّ شيء و كمثل نفع الذهب و الفضّة و نحوها. و مثل الكافر و كفره كمثل هذا الزبد و كمثل خبث الحديد و أوساخ الذهب و الفضّة. «كذلك يضرب الله الأمثال» للناس في أمر دينهم. قال قتادة هذه ثلاثة أمثال ضربها الله في مثل واحد. شبّه نزول القرآن بالماء الذي ينزل من السماء. و شبّه القلوب بالأودية و الأنهار. فمن استقصى في تدبيره و تفكّره في معانيه، أخذ حظّاً عظيماً منه، كالنهر الكبير الذي يأخذ الماء الكثير. و من رضي بها، أدّاه إلى التصديق بالحقّ على الجملة، كان أقلّ حظّاً منه كالنهر الصغير. فهذا مثل. ثمّ مثّل الخطرات و وساوس الشيطان بالزبد يعلو على الماء، و شبّه الحقّ بالماء الصافي. فكما يذهب الزبد باطلاً و تبقى صفوة الماء، كذلك يذهب مخايل الشكّ هباء باطلاً و يبقى الحقّ. فهذا مثل ثان. و المثل الثالث قوله: «و ممّا يوقدون» ـ إلى آخره. فالكفر مثل هذا الخبيث الذي لاينتقع به، و الإيمان مثل الصافي الذي ينتفع به. و تمّ الكلام عند قوله: «الأمثال» ثمّ استأنف: «للّذين استجابوا»، و قيل: متّصل بما قبله. لأنّ معناه: الذي يبقى مثل الذين استجابوا، و الذى يذهب جفاء مثل الذي لايستجيب. و المراد به: للّذين استجابوا دعوة الله و آمنوا به. «جفاء». نصب على الحال.

أي: يذهب على هذه الحالة.(١)

عن أميرالمؤمنين عليه السلام: قد بيّن الله قصص المغيّرين فضرب لهم مثلاً. فالزبد في الآية كلام الملحدين الذين أثبتوه في القرآن فهو يضمحلّ و يبطل و يتلاشى عند التحصيل. و الذي ينفع الناس منه فالتنزيل الحقيقيّ الذي لايأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه و القلوب تقبله. و الأرض في هذا الموضع هي محلّ العلم و قراره. و ليس يسوغ مع عموم التقيّة التصريح بأسماء المبدلين و لا الزيادة في آياته على ما أثبتوه من تلقائهم في الكتاب لما في ذلك من تقوية حجج أهل التعطيل و الكفر و الملل المنحرفة و إبطال هذا العلم الظاهر الذي قد استكان له الموافق و المخالف، و لأنّ أهل الباطل أكثر عدداً من أهل الحقّ، و لأنّ الصبر على ولاة الأمر مفروض ـ الحديث.(٢)

[١٨] «لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنىٰ وَ الَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَ مِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ الْمِهَادُ».

«للّذين»؛ أي: للمؤمنين. اللّام متعلّق بيضرب. «الحسنى»: الاستجابة الحسنى.(٣)

«الحسنى». و هي الحسنة، أو الخصلة الحسنى، أو الحالة الحسنى و هو ثواب الجنّة. «لم يستجيبوا له»؛ أي: لله، فلم يرضوا به. «لافتدوا به»؛ أي: جعلوا ذلك فدية لأنفسهم من العذاب، لم يقبل ذلك منهم. «سوء الحساب». عن أبي عبدالله عليه السلام: هو أن لايقبل لهم حسنة و لايغفر لهم سيّئة. «و مأواهم»؛ أي: مصيرهم. «و بئس المهاد»؛ أي: بئس ما مهّدوا لأنفسهم. و المهاد: الفراش الذي يوطأ لصاحبه.(٤)

[١٩] «أَ فَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا

١ـ مجمع البيان ٦ / ٤٤٠ ـ ٤٤١.
٢ـ الاحتجاج ١ / ٣٧١.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٠٥.
٤ـ مجمع البيان ٦ / ٤٤١ ـ ٤٤٢.

الْأَلْبَابِ».

«أفمن يعلم». الاستفهام للإنكار. و إنّ الفرق بين من يعلم بأنّ ما أنزل عليك الحقّ و من لايعلم كالفرق بين الأعمى و البصير. لأنّ المؤمن يبصر رشده فيتّبعه و الكافر يتعامى عن الحقّ فيتّبع ما فيه هلاكه. «إنّما يتذكّر»؛ أي: يتفكّر و يستدلّ به أهل العقل و المعرفة.[١]

[٢٠] «الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَ لَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ».

«الذين يوفون». صفة «أولو» أو «من يعلم». «بعهد الله». و هو ما عهد إليهم و ألزمهم إيّاه عقلاً و سمعاً. فالعهد العقليّ ما جعله في عقولهم من دلائل التوحيد، و الشرعيّ ما أخذه النبيّ صلى الله عليه و آله على المؤمنين من العمل بالأحكام. و إنّما كرّر ذكر الميثاق لئلّايظنّ أنّ ذلك خاصّ فيما بين العبد و ربّه فأخبر أنّ ما بينه و بين العباد من المواثيق كذلك أيضاً.[٢]

«الذين يوفون بعهد الله». عن أبي عبدالله عليه السلام: نزلت هذه الآية في آل محمّد عليهم السلام و ما أخذ عليهم من الميثاق في الذرّ عن ولاية أميرالمؤمنين عليه السلام [و الأئمّة عليهم السلام] بعده.[٣]

«بعهد الله»: ما عقدوه على أنفسهم من الاعتراف بربوبيّته حين قالوا بلى. أو: ما عهد إليهم في كتبه.[٤]

[٢١] «وَ الَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَ يَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ».

«ما أمر الله به»؛ أي: الإيمان بجميع الرسل و الكتب. أو: صلة محمّد صلى الله عليه و آله و معاونته في الجهاد. أو: صلة الأرحام، أو ما يعمّها من صلة الإخوان. أو: صلة آل محمّد عليهم السلام. و جميع هذا مرويّ في الأخبار.[٥]

١ـ مجمع البيان ٦ / ٤٤٣.
٢ـ مجمع البيان ٦ / ٤٤٣.
٣ـ تفسير القمّيّ ١ / ٣٦٣.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٠٦.
٥ـ انظر: مجمع البيان ٦ / ٤٤٤، و كنز الدقائق ٦ / ٤٣٤ ـ ٤٣٥.

«و يخافون سوء الحساب». تقدّم معناه. و عن أبي عبدالله عليه السلام: هو الاستقصاء و المداقّة.(١)

[٢٢] «وَ الَّذينَ صَبَرُوا ابْتِغاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَ أَقامُوا الصَّلاةَ وَ أَنْفَقُوا مِمّا رَزَقْناهُمْ سِرّاً وَ عَلانِيَةً وَ يَدْرَؤُنَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدّارِ».

«و الذين صبروا». أي على الطاعات و البلايا و عن المعاصي لطلب الثواب، لا ليقال: ما أصبره و أحمله للنوازل! و لا لئلّايعاب بالجزع و لئلّايشمت به الأعداء. و لا لأنّه لا طائل تحت الهلع و لا مردّ فيه للفائت. إذ كلّ عمل له وجوه يعمل عليها. فعلى المؤمن أن ينوي منها ما به الثواب. «ممّا رزقناهم» من الحلال. لأنّ الحرام لايكون رزقاً و لايسند إلى الله. «سرّاً و علانية». يتناول النوافل، لأنّها في السرّ أفضل، و الفرائض، لوجوب المجاهرة بها نفياً للتهمة. «عقبى الدار»: عاقبة الدنيا. و هي الجنّة لأنّها التي أراد الله أن تكون عاقبة الدنيا.(٢)

عن أبي عبدالله عليه السلام: نزلت في الأئمّة عليهم السلام و شيعتهم الذين صبروا. و قال عليه السلام: نحن صبّر. و شيعتنا أصبر منّا. لأنّا نصبر بعلم و هم صبروا على ما لايعلمون.(٣)

«و أقاموا الصلاة»؛ أي: أدّوها بحدودها، أو داموا عليها سرّاً و علانية ظاهراً و باطناً. «و يدرؤون بالحسنة السيّئة»؛ أي: يدفعون بفعل الطاعة المعصية. كقوله صلّى الله عليه و آله لمعاذ بن جبل: إذا عملت سيّئة، فاعمل بجنبها حسنة تمحها. و قيل: معناه: يدفعون بالتوبة معرّة الذنب. «أولئك»: الموصوفون بهذه الصفات، لهم ثواب الجنّة. فالدار الجنّة و ثوابها عقباها.(٤)

[٢٣] «جَنّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَها وَ مَنْ صَلَحَ مِنْ آبائِهِمْ وَ أَزْواجِهِمْ وَ ذُرِّيّاتِهِمْ وَ الْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بابٍ».

١ـ مجمع البيان ٦ / ٤٤٤.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٥٢٥ ـ ٥٢٦.
٣ـ تفسير القمّيّ ١ / ٣٦٥.
٤ـ مجمع البيان ٦ / ٤٤٤ ـ ٤٤٥.

ثمّ وصف الدار فقال: «جنّات عدن»؛ أي: بساتين إقامة تدوم و لاتفنى. و قيل: مدينة في الجنّة فيها الأنبياء و الأئمّة و الشهداء. ثمّ بيّن ما يتكامل به سرورهم فقال: «يدخلونها و من صلح» ـ الآية. «و ذرّيّاتهم»؛ أي: أولادهم. يعني من آمن من هؤلاء و صدّق بما صدّقوا به. و ذلك أنّه سبحانه جعل من ثواب المطيع سروره بما يراه في أهله من إلحاقهم به في الجنّة كرامة له. «من كلّ باب»؛ أي: من أبواب الجنّة الثمانية. و قيل: من أبواب البرّ كالصلاة و الصوم، أو من أبواب قصورهم و بساتينهم بالتحيّة من الله و التحف و الهدايا.[١]

«جنّات عدن». بدل من «عقبى الدار».[٢]

و قال عليه السلام: جنّات عدن أعلى الجنان درجة و أشرفها مكاناً.[٣]

«عدن». العدن الإقامة. أي: جنّات يقيمون فيها. «و من صلح». عطف على المرفوع في «يدخلون» أو مفعول معه. و المعنى أنّه يلحق بهم من صلح من أهلهم و إن لم يبلغ مبلغ فضلهم، تبعاً لهم و تعظيماً لشأنهم. و هو دليل على أنّ الدرجة تعلو بالشفاعة، أو أنّ الموصوفين بتلك الصفات يقرن بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة و الوصلة في دخول الجنّة زيادة في أنسهم. و [في] التقييد بالصلاح دلالة على أنّ مجرّد الأنساب لاتنفع.[٤]

عن أبي عبدالله عليه السلام لمّا سأله أبوبصير عن الرجل المؤمن له امرأة مؤمنة يدخلان الجنّة يتزوّج أحدهما الآخر، فقال عليه السلام: إنّ الله عدل حكيم. إذا كان أفضل منها، خيّره. فإن اختارها، كانت من أزواجه. و إن كانت هي خيراً منه، خيّرها. فإن اختارته، كان زوجاً لها.[٥]

عنه صلّى الله عليه و آله أنّ أمّ سلمة سألته فقالت: المرأة يكون لها زوجان فيموتان و يدخلان الجنّة، لأيّهما تكون؟ فقال: يا أمّ سلمة، تخيّر أحسنهما خلقاً و خيرهما لأهله. إنّ حسن الخلق ذهب بخير الدنيا و الآخرة.[٦]

١ـ مجمع البيان ٦ / ٤٤٥.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٥٢٦.
٣ـ الخصال ٢ / ٤٧٧، ح ٤٠.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٠٦.
٥ـ كنز الدقائق ٦ / ٤٤١، عن تفسير العيّاشيّ.
٦ـ الخصال ١ / ٤٢، ح ٣٤.

عن أبي جعفرعليه السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله - في حديث طويل يصف فيه حال المؤمن إذا دخل جنّته و غرفه: ثمّ يبعث الله ألف ملك يهنّئونه بالجنّة و يزوّجونه بالحوراء. فينتهون إلى أوّل باب من جنانه فيقولون للملك الموكّل بأبواب الجنان: استأذن لنا على وليّ الله. فإنّ الله قد بعثنا مهنّئين. فيقول للحاجب: إنّ على باب العرصة ألف ملك أرسلهم ربّ العالمين جاؤوا يهنّئون وليّ الله. و قد سألوا أن أستأذن لهم. فيقول الحاجب: إنّه ليعظم عليّ أن أستأذن لأحد على وليّ الله و هو مع زوجته. و بين الحاجب و بين [وليّ] الله جنّتان. فيدخل الحاجب على القيّم فيخبره بالملائكة الألف. فيقوم القيّم إلى الخدّام فيخبرهم عن الملائكة، فيعلمونه الخدّام. فيؤذن لهم فيدخلون على وليّ الله و هو في الغرفة و لها ألف باب و على كلّ باب من أبوابها ملك موكّل به. فإذا أذن للملائكة بالدخول على وليّ الله، فتح كلّ ملك بابه الذي قد وكّل له، فيدخل كلّ ملك من باب من أبواب الغرفة فيبلّغونه رسالة الجبّار. و ذلك قول الله: «و الملائكة يدخلون عليهم من كلّ باب» يعني من أبواب الغرفة «سلام» - الآية.(١)

[٢٤] «سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ».

«سلام». في موضع الحال. أي: قائلين سلام. «بما صبرتم». متعلّق بمحذوف. أي: هذا بما صبرتم. يعني: هذا الثواب بسبب صبركم، أو بدل ممّا احتملتم من مشاقّ الصبر.(٢)

«سلام عليكم»؛ أي: يقولون: سلام عليكم؛ أي: سلّمكم الله من الأهوال بصبركم على الشدائد و الطاعات.(٣)

[٢٥] «وَ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَ يَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَ لَهُمْ سُوءُ الدَّارِ».

«ينقضون عهد الله». يعني في باب أميرالمؤمنين عليه السلام. و هو الذي أخذه في الذرّ و أخذ

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٤٦ ـ ٢٤٨.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٥٢٧.
٣ـ مجمع البيان ٦ / ٤٤٥.

عليهم رسول الله ﷺ بغدير خمّ.[١]

«من بعد ميثاقه»؛ أي: من بعد ما أوثقوه به من الاعتراف و القبول. «سوء الدار»: الخلود في النار.[٢]

«يفسدون في الأرض» بالعمل بمعاصي الله. «اللّعنة»: الإبعاد عن رحمة الله.[٣]

[٢٦] «اللهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يَقْدِرُ وَ فَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ مَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ».

وجه اتّصاله بما قبله أنّه بيّن أنّ نقضهم للعهد إنّما كان لحبّ الرئاسة و المنافسة في الدنيا فزهّدهم في المنافسة و أخبر بأنّه يبسط الرزق و يضيّق على ما فيه الصلاح. «و يقدر»؛ أي: يضيّقه على قدر المصلحة. «و فرحوا بالحياة الدنيا»؛ أي: [بما] أوتوه من حطام الدنيا فرح البطر و نسوا فناءه و بقاء الآخرة. «إلّا متاع»؛ أي: قليل ذاهب لا خطر له و لا بقاء، مثل القدح و القدر و القصعة يتمتّع به زماناً ثمّ ينكسر.[٤]

«فرحوا». أي أهل مكّة، فرح البطر لا فرح السرور بفضل الله.[٥]

[٢٧] «وَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَ يَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ».

«لولا أنزل»؛ أي: هلّا أنزل على محمّد ﷺ معجزة من ربّه يقترحها؟ و يجوز أنّهم لم يتفكّروا في الآيات المنزلة فاعتقدوا أنّه لم ينزل عليه آية و لم يعتدّوا بتلك الآيات فقالوا هذا القول جهلاً منهم بها. «يضلّ من يشاء» عن طريق الجنّة بسوء أفعاله. «و يهدي إليه من أناب»؛ أي: رجع بالطاعة.[٦]

١ـ تفسير القمّيّ ١ / ٣٦٣.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٥٢٧.
٣ـ مجمع البيان ٦ / ٤٤٦.
٤ـ مجمع البيان ٦ / ٤٤٦.
٥ـ الكشّاف ٢ / ٥٢٨.
٦ـ مجمع البيان ٦ / ٤٤٦ ـ ٤٤٧.

«يضلّ من يشاء»؛ أي: يهلك من يشاء معجّلاً و يؤخّر عذاب من يشاء.(١)

فإن قلت: كيف طابق قولهم: «لولا أنزل عليه آية» قوله: «إنّ الله يضلّ»؟ قلت: هو كلام يجري مجرى التعجّب من قولهم. و ذلك أنّ الآيات الباهرة التي أوتيها رسول الله ﷺ لم يؤتها نبيّ قبله، و كفى بالقرآن آية [وراء كلّ آية]، فإذا جحدوها و لم يعتدّوا بها، كان موضعاً للتعجّب و الاستنكار. فكأنّه قال: ما أعظم عنادكم! [إنّ الله] يضلّ من يشاء ممّن كان على صفتكم في الكفر، فلا سبيل إلى اهتدائكم و إن نزلت كلّ آية، و يهدي إليه من كان على خلاف صفتكم. «أناب»: أقبل إلى الحقّ. و حقيقته: دخل في نوبة الخير.(٢)

[٢٨] «الَّذِينَ آمَنُوا وَ تَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلَا بِذِكْرِ اللّٰهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ».

«الذين آمنوا». بدل من «من أناب». «بذكر الله»: بذكر رحمته و غفرانه بعد القلق و الاضطراب من خشيته. كقوله: «تلين جلودهم و قلوبهم إلى ذكر الله».(٣) أو: تطمئنّ بذكر دلائله الدالّة على توحيده. أو: تطمئنّ بالقرآن. لأنّه معجزة بيّنة تسكن القلوب إليه.(٤)

«ألا بذكر الله». اعتراض وقع بين الكلامين إذا كان قوله: «الذين آمنوا و تطمئنّ قلوبهم» في موضع رفع بالابتداء و يكون قوله: «الذين آمنوا و عملوا الصالحات» بدلاً منه، و قوله: «طوبى لهم» في موضع الرفع خبره.(٥)

[٢٩] «الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبىٰ لَهُمْ وَ حُسْنُ مَآبٍ».

«الذين آمنوا» مبتدأ، و «طوبى لهم» خبره.(٦)

و قوله: «طوبى لهم»؛ أي: فرح و قرّة عين. أو: خير و كرامة لهم. أو: طيّب الأشياء لهم و هو الجنّة. و عن أبي جعفر عليه السلام: طوبى شجرة في الجنّة أصلها في دار النبيّ ﷺ و في دار كلّ

١ـ مجمع البيان ٦ / ٤٤٨.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٥٢٨.
٣ـ الزمر (٣٩) / ٢٣.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٥٢٨.
٥ـ مجمع البيان ٦ / ٤٤٧.
٦ـ الكشّاف ٢ / ٥٢٨.

مؤمن منها غصن. و لو أنّ راكباً مجدّاً سار في ظلّها مائة عام، ما خرج منها. و لو أنّ غراباً طار من أصلها ما بلغ أعلاها حتّى يبيضّ هرماً. و عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه و آله يكثر تقبيل فاطمة. فأنكرت عليه بعض نسائه. فقال صلى الله عليه و آله: إنّه لمّا أسري بي إلى السماء، دخلت الجنّة و أدناني جبرئيل من شجرة طوبى و ناولني منها تفّاحة فأكلتها، فحوّل الله ذلك ماء في ظهري. فأهبطت إلى الأرض و واقعت خديجة فحملت بفاطمة. فكلّما اشتقت إلى الجنّة قبّلتها. و ماقبّلتها إلّا وجدت رائحة شجرة طوبى. فهي حوراء إنسيّة. و في حديث آخر: انّ أصلها في دار عليّ عليه السلام. قال صلى الله عليه و آله: إنّ داري و دار عليّ في الجنّة واحدة. يعني لا منافاة بين الحديثين.(١)

عن أبي جعفر عليه السلام: لقد نحل الله طوبى في مهر فاطمة عليها السلام. فهي في دار عليّ بن أبي طالب عليه السلام.(٢)

[٣٠] «كَذٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِتَتْلُوَا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَ هُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمٰنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَ إِلَيْهِ مَتَابِ».

«كذلك أرسلناك». نزلت في صلح الحديبيّة حين أرادوا كتاب الصلح فقال رسول الله صلى الله عليه و آله لعليّ عليه السلام: اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم. فقال المشركون: ما نعرف الرحمن إلّا صاحب اليمامة. يعنون مسيلمة الكذّاب. اكتب: باسمك اللّهم. و قيل: نزلت في كفّار قريش حين قال لهم النبيّ: اسجدوا للرحمن، قالوا: و ما الرحمن؟ «و هم يكفرون» يعني قريشاً يكفرون بالرحمن؛ يعني: [يقولون:] قد عرفنا الله و ماندري ما الرحمن. و قيل: معناه: انّهم يجحدون بالوحدانيّة.(٣)

«قد خلت»؛ أي: مضت. «الذي أوحينا إليك»؛ أي: القرآن. «قل هو ربّي»؛ أي: الرحمن الذي أنكرتموه ربّي؛ أي: خالقي و مدبّري. «متاب»؛ أي: مرجعي.(٤)

١ـ مجمع البيان ٦ / ٤٤٧ ـ ٤٤٨.
٢ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٢١٢.
٣ـ مجمع البيان ٦ / ٤٤٩ ـ ٤٥٠.
٤ـ مجمع البيان ٦ / ٤٥٠.

«بالرحمن»؛ أي: بالله البالغ الرحمة.[١]

[٣١] «وَ لَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتىٰ بَلْ لِلّٰهِ الْأَمْرُ جَمِيعاً أَ فَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللّٰهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً وَ لَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِنْ دَارِهِمْ حَتّٰى يَأْتِيَ وَعْدُ اللّٰهِ إِنَّ اللّٰهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ».

«و لو أنّ قرآناً». نزلت في نفر من قريش من مشركي مكّة منهم أبوجهل قالوا للنبيّ صلّی الله عليه و آله: إن يسرّك الله أن نتّبعك[٢] فسيّر لنا جبال مكّة بالقرآن فأذهبها عنّا حتّى تتفسّح. فإنّها أرض ضيّقة. و اجعل لنا فيها عيوناً و أنهاراً حتّى نغرس و نزرع. فلست كما زعمت أهون على ربّك من داوود حيث سخّر له الجبال تسبّح معه. أو سخّر لنا الريح فنركبها إلى الشام فنقضي عليها حوائجنا ثمّ نرجع من يومنا، كما سخّرها لسليمان. وأحي لنا جدّك قصيّاً، أو من شئت من موتانا، حتّى نسأله أحقّ ما تقول أم باطل. فإنّ عيسى كان يحيي الموتى. فأنزل الله: «و لو أنّ قرآناً» ـ الآية. «سيّرت به الجبال»؛ أي: جعلت سائرة من أماكنها. «أو قطّعت به الأرض»؛ أي: شقّقت فجعلت أنهاراً و عيوناً. «أو كلّم له الموتى»: أحيي به حتّى يتكلّموا. و جواب لو محذوف. أي: لكان هذا القرآن، لعظم محلّه و علوّ أمره و جلالة قدره. و قيل: التقدير: لما آمنوا. و دليله قوله: «و لو أنّنا نزّلنا إليهم الملائكة» إلى قوله: «ما كانوا ليؤمنوا».[٣] «بل لله الأمر»؛ أي: جميع ما ذكر من تسيير الجبال و ما بعده لايقدر عليه إلّا الله ولكنّه لايفعل لأنّ فيما نزل من الآيات مقنعاً و كفاية. «أفلم ييأس»؛ أي: ألم يعلم. و في قراءة عليّ و عليّ بن الحسين و جعفر بن محمّد عليهم السلام: «أفلم يتبيّن». «أن لو يشاء الله» مشيّة إلجاء، لكنّه ينافي التكليف. «قارعة»؛ أي: نازلة و داهية تقرعهم من الحرب و الجدب و القتل و

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٠٧.

٢ـ المصدر: إن سرّك أن نتّبعك.

٣ـ الأنعام (٦) / ١١١.

الأسر على جهة العقوبة للتنبيه و الزجر. و قيل: أراد سرايا النبيّ ﷺ التي كان يبعثها إليهم. «أو تحلّ» أي تلك القارعة «قريباً من دارهم» فتجاورهم حتّى يحصل لهم المخافة منه. و قيل: إنّ التاء للخطاب. أي: تحلّ أنت يا محمّد بنفسك قريباً من دارهم، يعني مكّة. «حتّى يأتي وعد الله»؛ أي: ما وعد من فتح. أو: حتّى يؤذن لك في قتالهم. أو: حتّى يأتي يوم القيامة. «بما صنعوا»؛ أي: بسبب عملهم.(١)

«بل لله»؛ أي: لو أعطاهم ما اقترحوا لما آمنوا. إضراب عمّا تضمّنه لو من معنى النفي. أي: بل الله قادر على الإتيان بما اقترحوا من الآيات إلّا أنّ إرادته لم تتعلّق بذلك لعلمه بأنّه لاتلين له شكيمتهم.(٢)

[٣٢] «وَ لَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ».

«فأمليت». الإملاء: الإمهال و أن يترك ملاوة من الزمان في خفض و أمن كالبهيمة يملى لها في المرعى. و هذا وعيد لهم و جواب عن اقتراحهم الآيات على رسول الله ﷺ استهزاء به، و تسلية له.(٣)

«فكيف»؛ أي: كيف حلّ عقابي بهم؟ و هو إشارة إلى تعظيم ذلك العذاب.(٤)

[٣٣] «أَ فَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَ صُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَ مَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ».

«أفمن هو قائم على كلّ نفس» لرزقها و حفظها، كمن ليس بهذه الصفة من الأصنام التي لاتنفع و لاتضرّ. و يدلّ على هذا المحذوف قوله: «و جعلوا لله شركاء». «سمّوهم»؛ أي:

١ـ مجمع البيان ٦ / ٤٤٩ ـ ٤٥٢.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٠٨.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٥٣١.
٤ـ مجمع البيان ٦ / ٤٥٣.

سمّوهم بما يستحقّون من الصفات و إضافة الأفعال اليهم إن كانوا شركاء لله كما يوصف الله بالخالق و الرازق و المحيي و المميت. و يعود المعنى إلى أنّ الصنم لو كان إلهاً لتصوّر منه أن يخلق الرزق فيسمّى الخالق و الرازق. و قيل: إنّه ليس لهم اسم يدخل في استحقاق الإلهيّة و ذلك استحقار لهم. «أم تنبّئونه». استفهام منقطع ممّا قبله. «بل زيّن»؛ أي: دع ذكر ما كنّا فيه، بل زيّن الشيطان عملهم. «و صدّوا». أهل الكوفة بضمّ الصاد [و الباقون بفتح الصاد]. أي: صدّوا الناس. أو: صدّهم غواتهم.(١)

«أفمن هو قائم». احتجاج عليهم في إشراكهم بالله. يعني: أفالله الذي «هو قائم على كلّ نفس بما كسبت» يعلم خيره و شرّه، كمن ليس كذلك؟ و يجوز أن يقدّر ما يقع خبراً للمبتدأ و يعطف عليه «و جعلوا». أي: أفمن هو بهذه الصفة لم يوحّدوه؟ «قل سمّوهم»؛ أي: جعلتم له شركاء فسمّوهم له من هم. «أم تنبّئونه». أم منقطعة. أي: بل أتنبّئونه بشركاء لا يعلمهم في الأرض؟ و هو العالم بما في السموات و الأرض، فإذا لم يعلم، علم أنّهم ليسوا بشيء يتعلّق به العلم. و المراد نفي أن يكون له شركاء. و نحوه قوله: «أتنبّئون الله بما لا يعلم في السموات و لا في الأرض».(٢) «أم بظاهر من القول»: بل أتسمّونهم شركاء بظاهر من القول من غير أن يكون لذلك حقيقة؟ كقوله: «ما تعبدون من دونه إلّا أسماء سمّيتموها».(٣) [«مكرهم»] أي: كيدهم للإسلام بشركهم. «و من يضلل الله»؛ أي: يخذله لعلمه أنّه لا يهتدي، فلا يقدر أحد على هدايته.(٤)

عن أبي الحسن الرضا عليه السلام: القائم هنا بمعنى الحافظ و الكافي. (توحيد)(٥)

«بما كسبت» لم يوحّدوه. فيكون قوله: «و جعلوا لله» من إقامة الظاهر مقام المضمر.(٦)

[٣٤] «لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ لَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَ مَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ وَاقٍ».

١ـ مجمع البيان ٦ / ٤٥٢ ـ ٤٥٤.

٢ـ يونس (١٠) / ١٨.

٣ـ يوسف (١٢) / ٤٠.

٤ـ الكشّاف ٢ / ٥٣٢.

٥ـ لم نعثر عليه فيما حضرنا من المصادر.

٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٠٨.

«لهم عذاب في الحياة الدنيا» من القتل و الأسر و سائر المحن على كفرهم. «من واق»: من حافظ يحفظهم من عذابه.[١]

[٣٥] «مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَ ظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَ عُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ».

«مثل الجنّة التي وعد المتّقون»؛ أي: صفتها التي هي في غرابة المثل. و ارتفاعه بالابتداء، و الخبر محذوف على مذهب سيبويه. أي: فيما قصصنا عليكم مثل الجنّة. و قال غيره: الخبر «تجري»، كما تقول: صفة زيد أسمر. و قال الزجّاج: معناه: مثل الجنّة جنّة تجري من تحتها الأنهار، على حذف الموصوف تمثيلاً لما غاب عنّا بما نشاهد. «و ظلّها» دائم لاينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس.[٢]

«أكلها دائم»؛ يعني: ثمارها لاينقطع و ظلّها [لايزول]؛ أي: نعيمها لاينقطع بموت و لا آفة. «تلك»؛ أي: تلك الجنّة عاقبة المتّقين.[٣]

عن أبي عبدالله عليه السلام: انّ ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنّم و قد أطفئت سبعين مرّة بالماء ثمّ التهبت. و لولا ذلك ما استطاع آدميّ أن يطفئها. و إنّها ليؤتى بها يوم القيامة حتّى توضع على النار فتصرخ صرخة لايبقى ملك مقرّب و لا نبيّ مرسل إلّا جثا على ركبتيه فزعاً من صرختها.[٤]

[٣٦] «وَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَ مِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ وَ لَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَ إِلَيْهِ مَآبِ».

«و الذين آتيناهم الكتاب». يريد أصحاب النبيّ صلى الله عليه و آله آمنوا [به] و صدّقوه، أعطوا

١ـ الكشّاف ٢ / ٥٣١ ـ ٥٣٢.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٥٣٢ ـ ٥٣٣.
٣ـ مجمع البيان ٦ / ٤٥٥.
٤ـ تفسير القمّيّ ١ / ٣٦٦.

القرآن و فرحوا بإنزاله.(١)

«و الذين آتيناهم الكتاب». يجوز أن يراد عامّة أهل الكتاب. فإنّهم كانوا يفرحون بما وافق كتبهم. «قل إنّما أمرت أن أعبد» ـ الآية. و هذا هو القدر المتّفق عليه بين الأنبياء [و أمّا ما عدا ذلك من التفاريع فممّا يختلف بالأعصار و الأمم] فلا معنى لإنكاركم المخالفة فيه.(٢)

«و الذين آتيناهم الكتاب». يريد من أسلم من اليهود، كعبدالله بن سلام و كعب و أصحابها، و من أسلم من النصارى، و هم ثمانون رجلاً أربعون بنجران و ثلاثون بأرض الحبشة و ثمانية باليمن. هؤلاء «يفرحون بما أنزل إليك». «و من الأحزاب»؛ أي: أحزاب أهل الكتاب و هم كفرتهم الذين تحزّبوا على رسول الله ﷺ بالعداوة؛ نحو كعب بن الأشرف و أصحابه و السيّد و العاقب أسقفي نجران و أتباعهما. «من ينكر بعضه». لأنّهم كانوا لاينكرون الأقاصيص و بعض الأحكام و المعاني ممّا هو ثابت في كتبهم غير محرّف و كانوا ينكرون ما هو نعت الإسلام و نعت رسول الله ﷺ و غير ذلك ممّا حرّفوه و بدّلوه من الشرائع. «قل إنّما أمرت». جواب للمنكرين. معناه: قل إنّما أمرت فيما أنزل إليّ بأن أعبد الله و لاأشرك به. فإنكاركم له إنكار لعبادة الله و توحيده. فانظروا ماذا تنكرون مع ادّعائكم وجوب عبادة الله و أن لايشرك به. «قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا و بينكم ألّانعبد إلّا الله و لانشرك به شيئاً».(٣) «و لاأشرك». نافع بالرفع على الاستئناف، كأنّه قال: و أنا لاأشرك. أو في موضع الحال على معنى: أمرت أن أعبدالله غير مشرك به. «و إليه» لا إلى غيره مرجعي.(٤)

[٣٧] «وَ كَذٰلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْماً عَرَبِيّاً وَ لَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لَا وَاقٍ».

«و كذلك أنزلناه»؛ أي: مثل ذلك الإنزال المأمور فيه بعبادة الله و توحيده و الدعوة إلى

١ـ مجمع البيان ٦ / ٤٥٥.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٠٩.
٣ـ آل عمران (٣) / ٦٤.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٥٣٣.

دينه، أنزلناه. «حكماً عربيّاً»: حكمة عربيّة مترجمة بلسان العرب. و انتصابه على الحال. «و لئن اتّبعت أهواءهم». كانوا يدعون رسول الله ﷺ إلى أمور يوافقهم عليها ـ منها أن يصلّي إلى قبلتهم بعد ما حوّله الله عنها ـ فقيل له: لئن تابعتهم على دين ما هو إلّا أهواء و شبهة بعد ثبوت العلم عندك بالبراهين، خذلك الله فلاينصرك ناصر و أهلكك فلايقيك منه واق. و هذا من باب الإلهاب و التهييج و البعث للسامعين على الثبات في الدين و أن لايزلّ زالّ عند الشبهة بعد استمساكه بالحجّة.(۱)

«و كذلك أنزلناه»؛ أي: كما أنزلنا الكتب إلى الأنبياء بلسانهم، أنزلنا إليك حكمة عربيّة. «أهواءهم»: أهواء الأمّة و آراءهم.(۲)

[۳۸] «وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ وَ جَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً وَ ذُرِّيَّةً وَ مَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ».

«أزواجاً و ذرّيّة»؛ أي: نساء و أولاداً أكثر من نسائك و أولادك، فلاينبغي أن يستنكر منك أن تتزوّج و يولد لك. كما أنكروا عليه هذا. «إلّا بإذن الله»؛ أي: لم يكن لرسول يرسله الله أن يجيء بآية بعد أن يأذن الله له في ذلك. «لكلّ أجل كتاب»؛ أي: لكلّ أجل مقدّر كتاب أثبت فيه. و لايكون آية إلّا بأجل قد قضاه الله في كتاب على ما يوجبه التدبير. و الآية التي اقترحوها، لها وقت أجّله الله لا على شهواتهم و اقتراحاتهم.(۳)

[۳۹] «يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَ يُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ».

«يمحو الله» ـ الآية. يعني في الناسخ و المنسوخ. أو: يمحو من كتاب الحفظة المباحات و ما لا جزاء فيه و يثبت ما فيه الجزاء من الطاعات و المعاصي. أو إنّه عامّ في كلّ شيء، فيمحو من الرزق و يزيد فيه و من الأجل و يمحو السعادة و الشقاوة و يثبتهما. و أمّ الكتاب أصل

۱ـ الكشّاف ۲ / ۵۳۳ ـ ۵۳۴.
۲ـ مجمع البيان ۶ / ۴۵۶.
۳ـ مجمع البيان ۶ / ۴۵۷.

الكتاب الذي أثبت فيه الحادثات و الكائنات. [و عن ابن مسعود أنّه كان يقول: اللّهمّ إن كنت كتبتني في الأشقياء، فامحني من الأشقياء و أثبتني في السعداء... و] روي مثل ذلك عن أئمّتنا عليهم السلام. و عن أبي جعفر عليه السلام قال: ينزّل الله في ليلة القدر الكتبة و الملائكة إلى السماء الدنيا فيكتبون ما يكون من أمر السنة و ما يصيب العباد و أمر ما عنده موقوف له فيه المشيّة فيقدّم منه ما يشاء و يؤخّر ما يشاء و يمحو أو يثبت و عنده أمّ الكتاب. أو: إنّه يمحو و يثبت في مثل تقتير الأرزاق و المحن و المصائب؛ يثبته في أمّ الكتاب، ثمّ يزيله بالدعاء و الصدقة. و فيه حثّ على الانقطاع إليه سبحانه. [أو:] يمحو الله بالتوبة جميع الذنوب و يثبت بدل الذنوب حسنات. «فأولئك يبدّل الله سيّئاتهم حسنات».(١) «و يثبت». أهل البصرة و ابن كثير و عاصم بالتخفيف. و الباقون بالتشديد. «أمّ الكتاب»: اللّوح المحفوظ الذي لا يغيّر و لا يبدّل. لأنّ الكتب المنزلة انتسخت منه. فالمحو و الإثبات إنّما يقع في الكتب لا في أصل الكتاب. عن أكثر المفسّرين.(٢)

عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: «يمحو الله ما يشاء» ـ الآية ـ قال: ذلك الكتاب كتاب يمحو الله [فيه] ما يشاء و يثبت. فمن ذلك الذي يردّ الدعاء القضاء. و ذلك الدعاء مكتوب عليه: الذي يردّ به القضاء. حتّى [إذا] صار إلى أمّ الكتاب، لم يغن الدعاء فيه شيئاً.(٣)

عن عليّ بن الحسين عليهما السلام: لولا آية في كتاب الله، لحدّثتكم بما يكون إلى يوم القيامة: «يمحو الله ما يشاء» ـ الآية.(٤)

أقول: المفهوم من الأخبار: انّ المحو و الإثبات واقعان في لوح يسمّى لوح المحو و الإثبات. و هذا اللّوح و إن كتب فيه ما كان و ما يكون إلّا أنّ الأشياء مكتوبة فيه متعلّقة بأسبابها مرتبطة بها، ككون الصدقة تطيل العمر و توسّع في الرزق فإذا أتى زيد بها مثلاً، حصلا له، و إلّا فلا. و هكذا في جميع الحالات. و أمّا اللّوح المحفوظ، فلا محو فيه و لا إثبات، بل الأمور

١ـ الفرقان (٢٥) / ٧٠.
٢ـ مجمع البيان ٦ / ٤٥٦ ـ ٤٥٨.
٣ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٢٢٠، ح ٧٤.
٤ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٢١٥، ح ٥٩.

مكتوبة على ما يوافق العلم القديم.

[٤٠] «وَ إِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَ عَلَيْنَا الْحِسَابُ».

«و إن ما نرينّك». أي: كيفما دارت الحال سواء أريناك مصارعهم و ما وعدناهم من إنزال العذاب عليهم أو توفّيناك قبل ذلك، فما يجب عليك إلّا تبليغ الرسالة، و علينا لا عليك حسابهم. فلا يهمّنّك إعراضهم و لا تستعجل بعذابهم.[١]

[٤١] «أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَ اللهُ يَحْكُمُ لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَ هُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ».

«نأتي الأرض»؛ أي: أرض الكفر. «ننقصها» بما نفتح على المسلمين من بلادهم فننقص دار الحرب و نزيد في دار الإسلام. و ذلك من آيات النصرة و الغلبة. و نحوه: «أفلا يرون أنّا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها أفهم الغالبون».[٢] و المعنى: عليك بالبلاغ الذي حمّلته و لا تهتمّ بما وراء ذلك فنحن نكفيكه و نتمّ ما وعدناك من الظفر. و لا يضجرك تأخّره. فإنّ ذلك لما نعلم من المصالح الذي لا تعلمها. «لا معقّب»: أي: لا رادّ لحكمه. و هو في محلّ النصب على الحال. أي: نافذاً حكمه.[٣]

«ننقصها». أي فقد العلماء فيها.[٤]

«ننقصها» بالخراب بعد العمارة.[٥]

عن أمير المؤمنين عليه السلام: إهلاك القرون.[٦]

[٤٢] «وَ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلّٰهِ الْمَكْرُ جَمِيعاً يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَ

١ـ الكشّاف ٢ / ٥٣٤.
٢ـ الأنبياء (٢١) / ٤٤.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٥٣٤ ـ ٥٣٥.
٤ـ الفقيه ١ / ١١٨، ح ٥٦٠.
٥ـ مجمع البيان ٦ / ٤٦١.
٦ـ الاحتجاج / ٢٥٠.

سَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ».

«و قد مكر الذين». جعل مكرهم كلا مكر بالإضافة إلى مكره فقال: «فلله المكر جميعاً». ثمّ فسّر ذلك بقوله: «يعلم ما تكسب» ـ الآية. لأنّ من يعلم ما تكسب كلّ نفس و أعدّ لها جزاءها، فهو المكر كلّه. لأنّه يأتيهم من حيث لايعلمون و هم في غفلة ممّا يراد بهم.[١]

«من قبلهم»؛ أي: الكفّار الذين كانوا قبل هؤلاء قد مكروا بالمؤمنين فأبطل الله مكرهم، كذلك يبطل مكر هؤلاء. «فللّه المكر»؛ أي: جزاؤه. و قيل: يريد بالمكر ما يفعله الله بهم من المكروه. «عقبى الدار»؛ أي: الجنّة و الظفر و الغلبة في الدنيا.[٢]

«المكر». المكر من الله العذاب.[٣]

«الكفّار». نافع و ابن‌كثير: «الكافر» على إرادة الجنس. «عقبى الدار»؛ أي: العاقبة المحمودة.[٤]

«فللّه المكر جميعاً». يمكن حمله على التعجّب؛ كما حمل قوله تعالى: «فإنّ الله يضلّ من يشاء»[٥] على التعجّب.

[٤٣] «وَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفىٰ بِاللهِ شَهِيداً بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ».

«الذين كفروا»: رؤساء اليهود. «شهيداً». فإنّه أظهر من الأدلّة على رسالتي ما يغني عن شاهد يشهد عليها. «علم». مرتفع بالظرف لاعتماده على الموصول. أو مبتدأ و الظرف خبره.[٦]

«و من عنده». في الشواذّ قراءة رسول الله و أميرالمؤمنين عليهما السلام: «من عنده» بكسر الميم و

١ـ الكشّاف ٢ / ٥٣٥.

٢ـ مجمع البيان ٦ / ٤٦٢.

٣ـ تفسير القمّيّ ١ / ٣٦٧.

٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥١٠.

٥ـ فاطر (٣٥) / ٨.

٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥١٠ ـ ٥١١.

الدال.[١]

«من عنده علم الكتاب»؛ أي: الذي عنده علم القرآن. و قيل: من هو من علماء أهل الكتاب الذين أسلموا، لأنّهم يشهدون بنعته في كتبهم. و قيل: هو الله عزّ و علا. و الكتاب اللّوح المحفوظ. و المعنى: و كفى بالّذي يستحقّ العبادة و بالّذي لا يعلم علم ما في اللّوح إلّا هو شهيداً بيني و بينكم.[٢]

عن ابن أبي عمير، عن السمّان قال: قال أبوعبدالله عليه السلام: ما تقول الناس في أولي العزم و صاحبكم أميرالمؤمنين عليهما السلام؟ قال: قلت: ما يقدّمون على أولي العزم أحداً. فقال عليه السلام: إنّ الله قال لموسى: «و كتبنا له في الألواح من كلّ شيء موعظة»[٣] و لم يقل: كلّ شيء موعظة. و قال لعيسى: «و لأبيّن لكم بعض الذي تختلفون فيه»[٤] و لم يقل: كلّ. و قال لصاحبكم أميرالمؤمنين عليه السلام: «قل كفى بالله شهيداً بيني و بينكم و من عنده علم الكتاب». و قال عزّوجلّ: «و لا رطب و لا يابس إلّا في كتاب مبين».[٥] و علم هذا الكتاب عنده. و قال أميرالمؤمنين عليه السلام: إيّاي عنى بمن عنده علم الكتاب.[٦]

١ـ مجمع البيان ٦ / ٤٦٠.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٥٣٦.
٣ـ الأعراف (٧) / ١٤٥.
٤ـ الزخرف (٤٣) / ٦٣.
٥ـ الأنعام (٦) / ٥٩.
٦ـ الاحتجاج / ٣٧٥.

١٤. سورة إبراهيم

أبيّ بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: من قرأ سورة إبراهيم عليه السلام أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من عبد الأصنام و بعدد من لم يعبدها.(١)

عن أبي عبدالله عليه السلام: من قرأ سورة إبراهيم و الحجر في ركعتين جميعاً في كلّ جمعة، لم يصبه فقر أبداً و لا جنون و لا بلوى.(٢)

من كتبها في خرقة حرير بيضاء و علّقها على عضد الطفل، أمن من الفزع و البكاء و التوابع و جميع الأسواء.(٣)

[١] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ».

«أنزلناه»؛ يعني: القرآن. أي: هذا الكتاب منزل إليك يا محمّد. «من الظلمات إلى النور»؛ أي: من الضلالة إلى الهدى. «بإذن ربّهم»؛ أي: بإطلاق الله و أمره به. و فيه دلالة على أنّ الله يريد الإيمان من جميع المكلّفين. لأنّ اللّام لام الغرض. «إلى صراط»؛ أي: يخرجهم من ظلمات الكفر إلى طريق الله المؤدّي إلى معرفة الله المنيع في سلطانه المحمود في فعاله.(٤)

«بإذن ربّهم»: بتوفيقه و تسهيله. و هو صلة لتخرج، أوحال من فاعله أو مفعول له.

١ـ مجمع البيان ٦ / ٤٦٣.

٢ـ ثواب الأعمال / ١٣٣، ح ١.

٣ـ المصباح / ٦٠٦.

٤ـ مجمع البيان ٦ / ٤٦٥.

«إلى صراط». بدل من قوله: «إلى النور» بتكرير العامل. أو استئناف على أنّه جواب لمن يسأل عنه.[١]

[٢] «اللهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ وَ وَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَـذَابٍ شَدِيدٍ».

«الله». بالرفع مدنيّ شاميّ. و الباقون بالجرّ. من قرأ بالجرّ، جعله بدلاً من الحميد. و من قرأ بالرفع، قطعه عن الأولّ و جعله مبتدأ و الذي خبره، أو جعله صفة و أضمر الخبر. «له ما في السموات و ما في الأرض»؛ أي: التصرّف فيها.[٢]

«الله». عطف بيان للعزيز. لأنّه كالعلم لاختصاصه بالمعبود على الحقّ.[٣]

«ويل». الويل نقيض النجاة و هو الهلاك. لأنّهم يقولون عند العذاب: يا ويلاه.[٤]

[٣] «الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَ يَبْغُونَهَا عِوَجاً أُولٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ».

«الذين». صفة للكافرين. «يستحبّون»؛ أي: يختارون المقام في هذه الدنيا على الكون في الآخرة. «عوجاً»؛ أي: عدولاً عن الاستقامة. و السبيل يذكّر و يؤنّث. و قيل: معناه: يلتمسون الدنيا من غير وجهها. لأنّ نعمة الله لاتستمدّ إلّا بطاعته دون معصيته.[٥]

«و يبغونها عوجاً»؛ أي: يبغون لها زيغاً و اعوجاجاً ليقدحوا فيه. فحذف الجارّ و أوصل الفعل إلى الضمير. و الموصول بصلته يحتمل الجرّ صفة للكافرين.[٦]

«أولئك». خبر «الذين يستحبّون». «في ضلال بعيد». هو من الإسناد المجازيّ. و البعد في الحقيقة للضالّ. لأنّه هو الذي يتباعد عن الطريق. فهو من باب جدّ جدّه. و يجوز أن يراد:

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥١٢.
٢ـ مجمع البيان ٦ / ٤٦٤ ـ ٤٦٥.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥١٢.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٥٣٧.
٥ـ مجمع البيان ٦ / ٤٦٥.
٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥١٢.

في ضلال فيه بعد. لأنّ الضالّ قد يضلّ عن الطريق مكاناً قريباً و بعيداً.[١]

[٤] «وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللّٰهُ مَنْ يَشَاءُ وَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ».

عبدالله بن بكير قال: قال لي الصادق عليه السلام: أخبرني عن الرسول صلى الله عليه و آله كان عامّاً للناس؟ أليس قد قال الله في محكم كتابه: «و ما أرسلناك إلّا كافّة للناس»[٢] لأهل الشرق و الغرب و أهل السماء و الأرض من الجنّ و الإنس؟ هل بلّغ رسالته إليهم كلّهم؟ قلت: لا أدري. قال: يابن بكير، إنّ رسول الله صلى الله عليه و آله لم يخرج من المدينة. فكيف بلّغ أهل الشرق و الغرب؟ قلت: لا أدري. قال: انّ الله تعالى أمر جبرئيل فاقتلع الأرض بريشة من جناحه و نصبها لمحمّد صلى الله عليه و آله. و كانت بين يديه مثل راحته في كفّه ينظر إلى أهل المشرق و المغرب و يخاطب كلّ قوم بألسنتهم و يدعوهم إلى الله و إلى نبوّته بنفسه. فما بقيت قرية و لا مدينة إلّا دعاهم النبيّ صلى الله عليه و آله بنفسه.[٣]

عن أبي جعفر عليه السلام قال: ما أنزل الله كتاباً و لا وحياً إلّا بالعربيّة. فكان يقع في مسامع الأنبياء عليهم السلام بألسنة قومهم و كان يقع في سمع نبيّنا صلى الله عليه و آله بالعربيّة. فإذا كلّم به قومه، كلّمهم بالعربيّة فيقع في مسامعهم بلسانهم. و كان أحد لا يخاطب رسول الله صلى الله عليه و آله بأيّ لسان خاطبه إلّا وقع في مسامعه بالعربيّة. كلّ ذلك يترجم جبرئيل عنه تشريفاً له من الله تعالى.[٤]

«بلسان قومه»؛ أي: بلغتهم.[٥]

«ليبيّن»؛ أي: ليفقهوا عنه ما يدعوهم إليه فلا يكون لهم حجّة على الله و لا يقولوا لم نفهم ما خوطبنا به. كما قال: «و لو جعلناه قرآناً أعجميّاً لقالوا لولا فصّلت آياته».[٦]

«فيضلّ الله». المراد بالإضلال التخلية و منع الألطاف، و بالهداية التوفيق و اللّطف.

١ـ الكشّاف ٢ / ٥٣٧.
٢ـ السبأ (٣٤) / ٢٨.
٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٠٣.
٤ـ علل الشرائع ١ / ١٢٦، ح ٨.
٥ـ مجمع البيان ٦ / ٤٦٦.
٦ـ فصّلت (٤١) / ٤٤.

«العزيز الحكيم». لايخذل إلّا أهل الخذلان و لا يلطف إلّا بأهل اللّطف.(١)

[٥] «وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَ ذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ».

«أن أخرج». بمعنى: أي أخرج. لأنّ الإرسال فيه معنى القول. كأنّه قيل: أرسلناه و قلنا له: أخرج. و يجوز أن يكون أن الناصبة للفعل وصلت بالأمر للتأويل بالمصدر، و التقدير: بأن أخرج. «بأيّام الله»؛ أي: أنذرهم بوقائعه التي وقعت على الأمم قبلهم. و منه أيّام العرب لحروبها. «صبّار شكور» يصبر على بلاء الله و يشكر نعماءه، فإذا سمع بما أنزل الله من البلاء على الأمم أو أفاض عليهم من النعم، تنبّه على ما يجب عليه من الصبر و الشكر و اعتبر. و قيل: لكلّ مؤمن. لأنّ الشكر و الصبر من سجاياهم.(٢)

«بأيّام الله». عن أبي عبداللهعليه السلام: أيّام الله آلاؤه. يعني نعمه.(٣)

«بأيّام الله». ثلاثة: يوم يقوم القائمعليه السلام، و يوم الموت، و يوم القيامة.(٤)

«شكور». عن الرضاعليه السلام: السجدة بعد الفريضة شكر الله [تعالى] ذكره على ما وفّق العبد من أداء فريضة. و أدنى ما يجزئ «شكراً لله» ثلاث مرّات.(٥)

[٦] «وَ إِذْ قَالَ مُوسىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَ يَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَ فِي ذٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ».

«إذ أنجاكم». إذ ظرف للنعمة بمعنى الإنعام. أي: إنعامه عليكم ذلك الوقت. فإن قلت: هل يجوز أن ينتصب بعليكم؟ قلت: لايخلو [من] أن يكون صلة للنعمة بمعنى الإنعام أو غير

١ـ الكشّاف ٢ / ٥٣٨ ـ ٥٣٩.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٥٤٠.
٣ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٢٢٢.
٤ـ تفسير القمّيّ ١ / ٣٦٧.
٥ـ علل الشرائع ٢ / ٣٦٠.

صلة إذا أردت بالنعمة العطيّة. فإذا كان صلة لم يعمل فيه. و إذا كان غير صلة بمعنى: اذكروا نعمة الله مستقرّة عليكم، عمل فيه. و يظهر الفرق بين الوجهين أنّك إذا قلت: نعمة الله عليكم، فإن جعلته صلة، لم يكن كلاماً حتّى تقول فائضة أو نحوها، و إلّا كان كلاماً. و يجوز أن يكون إذ بدلاً من نعمة الله. أي: اذكروا وقت إنجائكم. و هو من بدل الاشتمال. فإن قلت: في سورة البقرة: «يذبّحون»[١] و هاهنا بالواو؟ قلت: الفرق أنّ التذبيح حيث طرح الواو، جعل تفسيراً للعذاب، و حيث أثبت، جعل التذبيح لأنّه زاد على جنس العذاب فكأنّه جنس آخر. فإن قلت: كيف كان فعل آل فرعون بلاء من ربّهم؟ قلت: تمكينهم و إمهالهم حتّى فعلوا ما فعلوا ابتلاء من الله. أو إنّ ذلك إشارة إلى الإنجاء و هو بلاء عظيم. و البلاء يكون ابتلاء بالنعمة و المحنة. قال الله: «و نبلوكم بالشرّ و الخير فتنة»[٢].[٣]

«يسومونكم»: يذيقونكم. «و يذبّحون». قال الفرّاء: إنّما دخلت الواو هنا للعطف، لأنّهم كانوا يعذّبون أنواعاً من العذاب سوى الذبح، فجاز العطف. و إذ حذفت الواو، يكون تفسيراً للعذاب.[٤]

[٧] «وَ إِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَ لَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ».

«و إذ تأذّن». التقدير: و اذكر إذ أعلم ربّكم. و قيل: معناه: و إذ قال ربّكم. و قيل: أخبر. قال أبوعبدالله عليه السلام في هذه الآية: أيّما عبد أنعمت عليه فأقرّ بها بقلبه و حمد الله عليها بلسانه، لم ينفذ كلامه حتّى يأمر الله له بالزيادة.[٥]

«و إذ تأذّن». من جملة ما قال موسى لقومه. و انتصابه للعطف على قوله: «نعمة الله». أي: اذكروا حين تأذّن. و معنى تأذّن آذن. و فيه زيادة معنىً ليس في آذن. أي: آذن إيذاناً بليغاً تنتفي عنده الشكوك. أو أجرى تأذّن مجرى قال. لأنّه ضرب من القول. «لئن شكرتم»

١ـ البقرة (٢) / ٤٩.
٢ـ الأنبياء (٢١) / ٣٥.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٥٤٠ ـ ٥٤١.
٤ـ مجمع البيان ٦ / ٤٦٧.
٥ـ مجمع البيان ٦ / ٤٦٨ ـ ٤٦٩.

نعمة الإنجاء. «عذابي» لمن كفر النعمة.[١]

عن أبي‌بصير قال: قلت لأبي عبدالله‌عليه السلام: هل للشكر حدّ إذا فعله العبد كان شاكراً؟ قال: نعم؛ يحمد الله على كلّ نعمة عليه في أهل و مال، و إن كان فيما أنعم عليه في ماله حقّ أدّاه.[٢]

و في حديث آخر قال‌عليه السلام: ما أنعم الله على عبده بنعمة صغرت أو كبرت فقال: الحمد لله، إلّا أدّى شكرها.[٣]

[٨] «وَ قَالَ مُوسىٰ إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً فَإِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ».

«إن تكفروا أنتم» يا بني إسرائيل. «لغنيّ» عن شكركم مستوجب للحمد بكثرة أنعمه و إن لم يحمده الحامدون.[٤]

[٩] «أَ لَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَ عَادٍ وَ ثَمُودَ وَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَ قَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَ إِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ».

«ألم يأتكم». قيل: إنّ هذا الخطاب متوجّه إلى أمّة محمّدصلى الله عليه وآله فذكّرت بأخبار من تقدّمها من الأمم. و قيل: أنّه من قول موسى، لأنّه متّصل بالآية المتقدّمة. «لايعلمهم». قيل: كان النبيّ‌صلى الله عليه وآله لايجاوز في انتسابه معد بن عدنان.[٥]

«و الذين من بعدهم لايعلمهم إلّا الله». جملة من مبتدأ و خبر وقعت اعتراضاً. أو عطف «الذين من بعدهم» على «قوم نوح» [و] «لايعلمهم إلّا الله» اعتراض. و المعنى: انّهم من الكثرة بحيث لايعلمهم إلّا الله. و عن ابن‌عبّاس: بين عدنان و إسماعيل ثلاثون أباً لايعرفون.

١ـ الكشّاف ٢ / ٥٤١.

٢ـ الكافي ٢ / ٩٥ـ٩٦، ح ١٢.

٣ـ الكافي ٢ / ٩٦، ح ١٤.

٤ـ الكشّاف ٢ / ٥٤١.

٥ـ مجمع البيان ٦ / ٤٦٩.

و كان ابن مسعود إذا قرأ هذه الآية قال: كذب النسّابون. يعني أنّهم يدّعون علم الأنساب و قد نفى الله علمه عن العباد. «فردّوا أيديهم في أفواههم»: عضّوها غيظاً و ضجراً ممّا جاءت به الرسل ـ كقوله: «عضّوا عليكم الأنامل من الغيظ»[١] ـ أو ضحكاً و استهزاء كمن غلبه الضحك فوضع يده على فيه. أو: أشاروا بأيديهم إلى ألسنتهم و ما نطقت به من قولهم: «إنّا كفرنا بما أرسلتم به»؛ أي: هذا جوابنا ليس عندنا غيره، إقناطاً لهم من التصديق. ألاترى إلى قوله: «فردّوا أيديهم في أفواههم و قالوا إنّا كفرنا بما أرسلتم به»؟ و هذا قول قويّ. أو: وضعوها على أفواههم يقولون للأنبياء: أطبقوا أفواهكم و اسكتوا. أو: وضعوها على أفواه الأنبياء يسكتونهم و لايذرونهم يتكلّمون. وقيل: الأيدي جمع يد و هي النعمة بمعنى الأيادي. أي: ردّوا نعم الانبياء التي هي أجلّ النعم من مواعظهم و ما أوحي اليهم من الشرائع و الآيات في أفواههم. لأنّهم إذا كذّبوها فكأنّهم ردّوها في أفواههم و رجعوها إلى حيث جاءت منه، على طريق المثل. «ممّا تدعوننا إليه»؛ أي: الايمان. «مريب»؛ أي: موقع في الريبة. أو: ذي ريبة، و هو قلق النفس و أن لاتطمئنّ إلى الأمر.[٢]

«بما أرسلتم به» على زعمكم.[٣]

[١٠] «قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَ فِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَ يُؤَخِّرَكُمْ إِلىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ».

«أفي الله شك»؛ أي: لايحتمل الشك لظهور الأدلّة عليه. «يدعوكم ليغفر لكم»؛ أي: يدعوكم إلى الإيمان ليغفرلكم. أو: يدعوكم لأجل المغفرة. كقولك: دعوته لينصرني. فإن قلت: ما معنى التبعيض في قوله: «من ذنوبكم»؟ قلت: ما علمته جاء هكذا إلّا في خطاب الكافرين؛ كقوله: «و اتّقوه و أطيعون * يغفر لكم من ذنوبكم».[٤] «يا قومنا أجيبوا داعي

١ـ آل عمران (٣) / ١١٩.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٥٤٢.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥١٤.
٤ـ نوح (٧١) / ٣ ـ ٤.

الله و آمنوا به يغفرلكم من ذنوبكم».[١] و قال في خطاب المؤمنين: «هل أدلّكم على تجارة تنجيكم» إلى أن قال: «يغفر لكم ذنوبكم».[٢] و غير ذلك. و كان ذلك لئلّا يسوّى بين الفريقين في الميعاد. و قيل: أريد أنّه يغفر لهم ما بينهم و بين الله بخلاف ما بينهم و بين العباد من المظالم و نحوها. «إلى أجل مسمًّى»؛ أي: وقت قد سمّاه يبلغكموه إن آمنتم و إلّا عاجلكم بالهلاك قبل ذلك الوقت. «إن أنتم»: ما أنتم «إلّا بشر مثلنا» لا فضل بيننا و بينكم. فلم تخصّون بالنبوّة دوننا؟ و لو أرسل الله إلى البشر رسلاً، لجعلهم من جنس أفضل منهم و هم الملائكة. «بسلطان مبين»: بحجّة بيّنة. و قد جاءتهم رسلهم بالبيّنات و الحجج و إنّما أرادوا بالسلطان المبين آية قد اقترحوها تعنّتاً و لجاجاً.[٣]

«ممّا كان يعبد آباؤنا» من الأصنام. «بسلطان مبين». لأنّهم اعتقدوا أنّ جميع ما جاءت به الرسل من المعجزات ليست بمعجزة.[٤]

[١١] «قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَ لٰكِنَّ اللهَ يَمُنُّ عَلىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ وَ عَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ».

«إلّا بشر مثلكم». تسليم لقولهم أنّهم بشر. يعنون أنّهم مثلهم في البشريّة وحدها و أمّا ماوراء ذلك فلا، و لكنّهم لم يذكروا فضلهم تواضعاً منهم و اقتصروا على قولهم: «و لكنّ الله يمنّ على من يشاء» بالنبوّة لأنّه قد علم أنّه لايختصّهم بتلك الكرامة إلّا و هم أهل لاختصاصهم بها لخصائص فيهم قد استأثروا بها على أبناء جنسهم. «و ما كان لنا». أرادوا أنّ الإتيان بالآية التي اقترحتموها ليس إلينا و لا في استطاعتنا و ما هو إلّا أمر يتعلّق بمشيّة الله. «فليتوكّل المؤمنون». أمر منهم للمؤمنين بالتوكّل و قصدوا به أنفسهم قصداً أوّليّاً و أمروها به. كأنّهم قالوا: و من حقّنا أن نتوكّل على الله في الصبر على معاندتكم و ما يجري

١ـ الأحقاف (٤٦) / ٣١.
٢ـ الصفّ (٦١) / ١٢.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٥٤٢ ـ ٥٤٣.
٤ـ مجمع البيان ٦ / ٤٧٠.

علينا منكم.(١)

«فليتوكّل المؤمنون». عن أبي عبدالله عليه السلام: المؤمنون الزارعون.(٢)

[١٢] «وَ مَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللهِ وَ قَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَ لَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَ عَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ».

«و ما لنا أن لانتوكّل»: أيّ عذر لنا؟ و قد فعل بنا ما يوجب توكّلنا عليه و هو الهداية. فإن قلت: كيف كرّر الأمر بالتوكّل؟ قلت: الأوّل لاستحداث التوكّل. و قوله: «فـليتوكّل المتوكّلون» معناه: فليثبت [المتوكّلون] على ما استحدثوا من توكّلهم.(٣)

«و لنصبرنّ». أبوعمرو بالتخفيف.

عن النبيّ صلى الله عليه و آله: إذا آذاك البراغيث، فخذ قدحاً من ماء و اقرأ عليه: «و ما لنا ألّا نتوكّل» ـ الآية. و قل: فإن كنتم آمنتم بالله، فكفّوا شرّكم و أذاكم عنّا. ثمّ ترشّ الماء حول فراشك. فإنّك تبيت تلك اللّيلة آمناً من شرّها.(٤)

[١٣] «وَ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ».

«و قال الذين كفروا». عن النبيّ صلى الله عليه و آله: من آذى جاره طمعاً في مسكنه، ورّثه الله داره. و هو قوله: «و قال الذين كفروا لرسلهم» إلى قوله: «و لنسكننّكم».(٥)

«أو لتعودنّ». العود هنا بمعنى الصيرورة. و هو كثير في كلام العرب كثرة فاشية لاتكاد تسمعهم يستعملون صار. لأنّ الرسل لم يكونوا على ملّتهم. أو خاطبوا به كلّ رسول و من آمن معه فغلبوا في الخطاب الجماعة على الواحد. «لنهلكنّ الظالمين». حكاية تقتضي إضمار

١ـ الكشّاف ٢ / ٥٤٤.

٢ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٢٢٢، ح ٦: ... عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله: «و على الله فليتوكّل المتوكّلون». قال: الزارعون.

٣ـ الكشّاف ٢ / ٥٤٤.

٤ـ مجمع البيان ٦ / ٤٧١.

٥ـ تفسير القمّيّ ١ / ٣٦٨.

القول أو إجراء الإيحاء مجرى القول لأنّه ضرب منه.[١]

[١٤] «وَ لَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَ خَافَ وَعِيدِ».

«و لنسكننّكم الأرض»؛ أي: أرض الظالمين و ديارهم. «ذلك»؛ أي: ما قضى الله من إهلاك الظالمين و إسكان المؤمنين ديارهم. أي: ذلك الأمر حقّ. «لمن خاف مقامي»؛ أي: موقفي و هو موقف الحساب، لأنّه موقف الله الذي يقف فيه عباده يوم القيامة. و قيل: خاف مقامي عليه و حفظي لأعماله.[٢]

[١٥] «وَ اسْتَفْتَحُوا وَ خَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ».

«و استفتحوا»: و استنصروا على أعدائه. «إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح».[٣] أو: استحكموا الله و سألوه القضاء بينهم. من الفتاحة و هي الحكومة. كقوله: «ربّنا افتح بيننا و بين قومنا بالحقّ».[٤] و هو معطوف على «أوحى إليهم». «و خاب كلّ جبّار». معناه: فنصروا و ظفروا. «كلّ جبّار». و هم قومهم. و قيل: و استفتح الكفّار على الرسل ظنّاً منهم بأنّهم على الحقّ و الرسل على الباطل و لم يفلحوا باستفتاحهم.[٥]

«و استفتحوا» ـ الآية. عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال صلى الله عليه و آله: يا عليّ، إنّ فيك شبهاً من عيسى بن مريم. لولا أن تقول فيك طوائف من أمّتي ما قالت النصارى في عيسى بن مريم، لقلت فيك قولاً لاتمرّ بملأ من الناس إلّا أخذوا التراب من تحت قدميك يلتمسون به البركة. فغضب الأعرابيّان، فنزلت: «و لمّا ضرب ابن مريم مثلاً» ـ الآية.[٦] فغضب الحارث الفهريّ فقال: «اللّهمّ إن كان هذا هو الحقّ من عندك» أنّ بني‌هاشم يتوارثون هرقلاً بعد هرقل «فأمطر علينا حجارة من السماء».[٧] فركب راحلته. و لمّا صار بظهر المدينة، أتته جندلة

١ـ الكشّاف ٢ / ٥٤٤ ـ ٥٤٥.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٥٤٥.
٣ـ الأنفال (٨) / ١٩.
٤ـ الأعراف (٧) / ٨٩.
٥ـ الكشّاف ٢ / ٥٤٥.
٦ـ الزخرف (٤٣) / ٥٧.
٧ـ الأنفال (٨) / ٣٢.

فرضخت هامته. فقال عليه السلام: أتاه ما استفتح به. قال الله: «و استفتحوا» ـ الآية.[١]

[١٦] «مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَ يُسْقىٰ مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ».

«من ورائه»؛ أي: من بين يديه. قال:

عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب

و هذا وصف حاله و هو في الدنيا، لأنّه مرصد بجهنّم فكأنّها بين يديه. أو وصف حاله في الآخرة حيث يبعث و يوقف. و قوله: «و يسقى» عطف على محذوف. و تقديره: من ورائه جهنّم يلقى فيها ما يلقى و يسقى من ماء صديد. كأنّه أشدّ عذابها فخصّص بالذكر مع قوله: «و يأتيه الموت من كلّ مكان و ما هو بميّت». و الصديد: ما يسيل من جلود أهل النار.[٢]

«من ورائه جهنّم»: من وراء حياته. و حقيقته ما توارى عنك.[٣]

«صديد». عن أبي عبدالله عليه السلام: هو ما يسيل من الدم و القيح من فروج الزواني في النار. إذا دنا منه، شوّى وجهه و وقع فروة رأسه. فإذا شرب، قطع أمعاءه حتّى يخرج من دبره. و إنّه يخرج من أحدهم مثل الوادي صديداً و قيحاً. ثمّ قال: و إنّهم ليبكون حتّى تسيل دموعهم و وجوههم جداول. ثمّ تنقطع الدموع فتسيل الدماء، حتّى لو أنّ السفينة أجريت فيها لجرت.[٤]

[١٧] «يَتَجَرَّعُهُ وَ لَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَ يَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَ مَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَ مِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ».

«يتجرّعه»: يتكلّف جرعه. «و لا يكاد يسيغه». دخل كاد للمبالغة. «من كلّ مكان». كأنّ أسباب الموت و أصنافه كلّها أحاطت به من جميع الجهات، تفظيعاً لما يناله من الآلام. و قيل: من كلّ مكان من جسده حتّى من إبهام رجله. و قيل: من أصل كلّ شعرة. «و من

١ـ الكافي ٨ / ٥٧ ـ ٥٨، ح ١٨.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٥٤٥ ـ ٥٤٦.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥١٥.
٤ـ تفسير القمّيّ ١ / ٣٦٨، و مجمع البيان ٦ / ٤٧٤.

ورائه»: من بين يديه «عذاب غليظ». أي: في كلّ وقت يستقبله يتلقّ عذاباً أشدّ ممّا قبله و أغلظ. و يحتمل أن يكون أهل مكّة قد استفتحوا ـ أي: استمطروا، و الفتح المطر ـ في سني القحط التي أرسلت عليهم بدعوة رسول الله ﷺ فلم يسقوا فذكر سبحانه ذلك و أنّه خيّب كلّ جبار عنيد و أنّه يسق في جهنّم بدل سقياه ماء آخر و هو صديد أهل النار. و استفتحوا، على هذا التفسير، كلام مستأنف منقطع عن حديث الرسل و أممهم.[١]

«عذاب غليظ». و هو الخلود في النار.[٢]

[١٨] «مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَايَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ».

«مثل». مبتدأ محذوف الخبر عند سيبويه. تقديره: فيما يقصّ عليكم مثل الذين. و المثل مستعار للصفة التي فيها غرابة. و قوله: «أعمالهم كرماد» جملة مستأنفة. كأنّ سائلاً يقول: كيف مثلهم؟ فقيل: أعمالهم كرماد. و يجوز أن يكون المعنى: مثل أعمال الذين كفروا، و هذه الجملة خبر للمبتدأ. أي: صفة الذين كفروا أعمالهم كرماد. أو يكون أعمالهم بدلاً من «مثل الذين كفروا» على تقدير مثل أعمالهم و كرماد الخبر. «في يوم عاصف». جعل العصف لليوم و هو لما فيه و هو الريح. كقولك: يوم ماطر. و أعمال الكفرة المكارم التي كانت لهم من صلة الأرحام و عتق الرقاب و فداء الأسارى و قري الأضياف و غير ذلك، لكنّها على غير الأساس من المعرفة و الإيمان به.[٣]

«كرماد». أي في قلّة انتفاعهم بها. «اشتدّت»؛ أي: ذرته و نسفته. «عاصف»؛ أي: شديد الريح. فكما لايقدر أحد على جمع ذلك الرماد المتفرّق و الانتفاع به، فكذلك هؤلاء الكفّار. «ممّا كسبوا»؛ أي: لايقدرون على الانتفاع بأعمالهم. و مثله قوله: «و قدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً».[٤] «ذلك». يعني أنّ عملهم ذلك هو الذهاب البعيد

١ـ الكشّاف ٢ / ٥٤٦ ـ ٥٤٧.
٢ـ مجمع البيان ٦ / ٤٧٤.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٥٤٧.
٤ـ الفرقان (٢٥) / ٢٣.

عن النفع. و قيل: الخطأ البعيد عن الصواب.[١]

«مثل الذين كفروا». قال: من لم يقرّ بولاية أميرالمؤمنين عليه السلام بطل عمله. مثله مثل الرماد الذي تجيء الريح فتحمله.[٢]

«و الريح». نافع: «الرياح».[٣]

[١٩] «أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَ يَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ».

«ألم تر أنّ الله»؛ أي: ألم تعلم. الخطاب للنبيّ صلى الله عليه و آله و المراد به الأمّة. «بالحقّ»؛ أي: بقوله الحقّ. أو: للغرض الصحيح و الأمر الحقّ و هو الدين و العبادة. «بخلق جديد». أي يفنكم و يخلق غيركم لأنّه قادر.[٤]

«خلَق». حمزة و الكسائيّ: «خالق».[٥]

[٢٠] «وَ مَا ذٰلِكَ عَلَى اللهِ بِعَزِيزٍ».

«ذلك»؛ أي: إهلاككم و الإتيان بغيركم.[٦]

[٢١] «وَ بَرَزُوا لِلّٰهِ جَمِيعاً فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَ جَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ».

«و برزوا لله جميعاً». أي يبرز الخلق يوم القيامة من قبورهم لحكم الله. و قيل: معناه: يبرزون جميعاً القادة و الأتباع. و هو يتّصل بقوله: «و لايكاد يسيغه». لمّا تقدّم ذلك الوعيد، بيّن صفة اليوم و ما يجري بين الأتباع و المتبوعين. «للّذين استكبروا». أي عن

١ـ مجمع البيان ٦ / ٤٧٥.
٢ـ تفسير القمّيّ ١ / ٣٦٨.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥١٦.
٤ـ مجمع البيان ٦ / ٤٧٦.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥١٦.
٦ـ مجمع البيان ٦ / ٤٧٦.

الإيمان. و هم القادة في الدين و هم علماء السوء. «تبعاً». أي في الكفر على وجه التقليد. «مغنون»؛ أي: هل أنتم دافعون عنّا شيئاً من عذاب الله إن لم تقدروا على دفع الكلّ؟ و من للتبعيض. «قالوا لو هدانا الله لهديناكم»؛ أي: قال المتبوعون للأتباع: لو هدانا الله إلى طريق الخلاص من العقاب، لهديناكم إلى ذلك. أي: لو خلّصنا لخلّصناكم. و قيل: معناه: لو هدانا الله إلى الرجعة إلى الدنيا لنصلح ما أفسدناه، لهديناكم. «أجزعنا أم صبرنا». يعني أنّ الصبر و الجزع مثلان. «محيص»؛ أي: مهرب من عذاب الله. و في هذه الآية حثّ على النظر و حذر من التقليد. و إلى هذا أشار أميرالمؤمنين عليه السلام في قوله للحارث الهمدانيّ: يا حار، الحقّ [لا يعرف] بالرجال. اعرف الحقّ، تعرف أهله.[١]

«الضعفاء»؛ أي: ضعفاء الرأي.[٢]

«لهديناكم». إنّ الذي قال لهم الضعفاء كان توبيخاً لهم [و قولهم] «فهل أنتم مغنون عنّا» من باب التبكيت. لأنّهم قد علموا أنّهم لا يقدرون على الإغناء عنهم. فأجابوهم معتذرين عمّا كان منهم إليهم بأنّ الله لو هداهم إلى الإيمان لهدوهم و لم يضلّوهم، إمّا مورّكين الذنب في ضلالهم و إضلالهم على الله، كما حكى عنهم و قالوا: «لو شاء الله ما أشركنا و لا آباؤنا»[٣] يقولون ذلك في الآخرة كما كانوا يقولونه في الدنيا، و إمّا أن يكون المعنى: لو كنّا من أهل اللّطف فلطف بنا ربّنا و اهتدينا، لهديناكم إلى الإيمان. «أجزعنا أم صبرنا». روي أنّهم يقولون: تعالوا نجزع. فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم. فيقولون: تعالوا نصبر. فيصبرون كذلك. ثمّ يقولون: «سواء علينا أجزعنا أم صبرنا». يريدون أنفسهم و إيّاهم لاجتماعهم في العقاب.[٤]

[٢٢] «وَ قَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَ وَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَ مَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَ لُومُوا

١ـ مجمع البيان ٦ / ٤٧٨.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥١٦.
٣ـ الأنعام (٦) / ١٤٨.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٥٤٩.

أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَ مَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ».

«و قال الشيطان». عن أبي جعفرعليه السلام: هو الثاني. و ليس في القرآن «و قال الشيطان» إلّا و هو الثاني.[1]

و عن أبي عبداللهعليه السلام: إذا كان يوم القيامة يؤتى إبليس في سبعين غلّاً و سبعين كبلاً فينظر إلى زفر في عشرين و مائة كبل و عشرين و مائة غلّ. فينظر إبليس ويقول: من هذا الذي أضعفَ له العذاب و أنا أغويت هذا الخلق جميعاً؟ فيقال: هذا زفر؛ جدّد[2] له هذا العذاب ببغيه على عليّعليه السلام. فيقول له إبليس: ويل لك و ثبور لك! فيقول زفر لإبليس: أنت أمرتني بذلك! فيقول له: لم عصيت ربّك و أطعتني؟ فيردّ زفر عليه ما قال الله: «إن الله وعدكم» ـ الآية.[3]

«لمّا قضي الأمر». أي: لمّا فرغ من الحكم بين الخلائق و دخل أهل الجنّة الجنّة و أهل النار النار، أذن الله له في الكلام توبيخاً لأهل النار. و قيل: إنّه يوضع له منبر في النار فيرقاه و يجتمع الكفّار عليه باللّائمة. «وعدكم وعد الحقّ» من البعث و النشور و الثواب و العقاب. «و وعدتكم» أن لا بعث و لا نشور و لا جنّة و لا نار. أو: وعدتكم الخلاص من العقاب بارتكاب المعاصي. «فأخلفتكم»؛ أي: كذبتكم. أو: لم أوف لكم بما وعدتكم. «من سلطان»؛ أي: ما كان لي عليكم من سلطان الإكراه و الإجبار على الكفر و المعاصي. و إنّما كان لي سبيل الوسوسة و الدعوة. «فاستجبتم لي» بسوء اختياركم. و قيل: معناه: ما أظهرت لكم حجّة أحتجّ بها عليكم إلّا أن دعوتكم. فيكون من الاستثناء المنقطع. أي: دعوتكم إلى الضلال فصدّقتموني. «فلاتلوموني» على ما حلّ بكم من العقاب بسوء اختياركم. «و لوموا أنفسكم» حيث عدلتم عن أمر الله إلى اتّباعي من غير دليل و برهان.[4]

١ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٢٢٣، ح ٨.
٢ـ المصدر: «حدّد» بالمهملة.
٣ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٢٢٣، ح ٩.
٤ـ مجمع البيان ٦ / ٤٧٨.

«فلاتلوموني ولوموا أنفسكم». فيه دليل على أنّ العبد هو الذي يختار السعادة أو الشقاوة و ليس من الله إلّا التمكين و لا من الشيطان إلّا التزيين. و لو كان كما زعم المجبّرة لقال: فلاتلوموني و لا أنفسكم. فإنّ الله قضى عليكم [الكفر] و أجبركم عليه. «ما أنا بمصرخكم و ما أنتم بمصرخيّ»: لاينجي بعضنا بعضاً من عذاب الله و لايغيثه. و الإصراخ: الإغاثة. «بما أشركتمون». ما مصدريّة. و«من قبل» متعلّق بما أشركتمون. يعني: كفرت اليوم بإشراككم إيّاي من قبل هذا اليوم، أي في الدنيا. و معنى كفره بإشراكهم إيّاه، تبرّؤه منه و استنكاره له. كقوله: «إنّا برآء منكم و ممّا تعبدون من دون الله كفرنا بكم».(١)

و قيل: يتعلّق بقوله: «كفرت» و ما موصولة. أي: كفرت من حين أبيت السجود لآدم بالّذي أشركتمونيه و هو الله عزّوجلّ. و معنى إشراكهم الشيطان بالله، طاعتهم له فيما كان يزيّنه لهم من عبادة الأوثان و غيرها. «إنّ الظالمين». هذا من قول الله. و يحتمل أن يكون من قول إبليس و حكاه الله في ذلك الوقت ليكون لطفاً للسامعين في النظر لعاقبتهم.(٢)

«بمصرخيّ». حمزة بكسر الياء على الأصل في التقاء الساكنين. و هو أصل مرفوض في مثله لما فيه من اجتماع ياءين و ثلاث كسرات.(٣)

[٢٣] «وَ أُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ».

«بإذن ربّهم». متعلّق بأدخل. أي: أدخلتهم الملائكة الجنّة بإذن ربّهم و أمره.(٤)

«تحيّتهم»؛ أي: تحيّيهم الملائكة بالسلام بإذن ربّهم.(٥)

[٢٤] «أَ لَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَ فَرْعُهَا

١ـ الممتحنة (٦٠) / ٤.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٥٥٢.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥١٧.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٥٥٢.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥١٧.

﴿فِي السَّمَاءِ﴾.

«ألم تر كيف ضرب الله مثلاً»؛ أي: وصفه.[١] «كلمة». نصب بمضمر. أي: جعل كلمة طيّبة. و هو تفسير لقوله: «ضرب الله مثلاً». و يجوز أن ينتصب مثلاً و كلمة بضرب. أي: ضرب كلمة طيّبة مثلاً، بمعنى جعلها مثلاً، ثمّ قال: «كشجرة طيّبة» على تقدير: هي كشجرة طيّبة. «أصلها ثابت»؛ أي: ضارب في الأرض بعروقها فيها. «و فرعها»: و رأسها «في السماء». أو يراد بالفرع الجنس. و الكلمة الطيّبة كلمة التوحيد. و قيل: كلّ كلمة حسنة كالتسبيحة و التحميدة. و عن ابن عبّاس: شهادة أن لا إله إلّا الله. و أمّا الشجرة، فكلّ شجرة مثمرة طيّبة الثمار كالنخلة و شجرة التين و العنب و نحوها. و عنه صلى الله عليه و آله أنّها النخلة. و قوله: «في السماء»؛ أي: في جهة العلوّ و الصعود.[٢]

«كشجرة طيّبة»: النخلة. قال ابن عبّاس: أراد أنّه يؤكل ثمرها في الصيف و طلعها في الشتاء و ما بين صرام النخلة إلى حملها ستّة أشهر.[٣]

«كشجرة طيّبة»: شجرة محمّد صلى الله عليه و آله.

عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله: «كشجرة طيّبة أصلها ثابت» فقال: رسول الله صلى الله عليه و آله أصلها. و أميرالمؤمنين عليه السلام فرعها. و الأئمّة من ذرّيّتهما عليهما السلام أغصانها. و علم الأئمّة ثمرها. و شيعتهم المؤمنون ورقها. و الله إنّ المؤمن ليولد فتورق ورقة فيها، و إنّ المؤمن ليموت فتسقط ورقة منها. كذا في الكافي.[٤]

و في الخصال عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله: خلق الناس من شجرة شتّى. و خلقت أنا و عليّ بن أبي طالب عليه السلام من شجرة واحدة. أصلي عليّ عليه السلام. و فرعي جعفر.[٥]

و في كتاب الخرائج و الجرائح عن الباقر عليه السلام: الشجرة نحن؛ نعطي شيعتنا ما نشاء من العلم.[٦]

١ـ المصدر: وضعه.

٢ـ الكشّاف ٢ / ٥٥٢.

٣ـ مجمع البيان ٦ / ٤٨٠، عن الحسن و سعيد بن جبير.

٤ـ الكافي ١ / ٤٢٨، ح ٨٠.

٥ـ الخصال / ٢١، ح ٧٢.

٦ـ الخرائج ٢ / ٥٩٧، ح ٨.

[٢٥] «تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَ يَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ».

«تعطي أكلها»: تعطي ثمرها كلّ وقت وقّته [الله]. «بإذن ربّها». أي إثمارها بتيسير الله خالقها و تكوينه. «لعلّهم يتذكّرون». لأنّ في ضرب الأمثال زيادة إفهام و تذكير و تصوير للمعاني.(١)

«كلّ حين» أقّته الله لإثمارها.(٢)

و قال مجاهد و عكرمة: «كلّ حين»؛ أي: كلّ سنة. لأنّها تحمل في كلّ سنة مرّة. و قيل: في كلّ شهرين. لأنّ من وقت ما يطعم النخل إلى صرامه يكون شهرين. و قيل: معناه: في جميع الأوقات. لأنّ ثمر النخل يكون أوّلاً طلعاً، ثمّ يصير بلحاً، ثمّ بسراً، ثمّ رطباً، ثمّ تمراً. فيكون موجوداً في الأوقات كلّها. شبّه الإيمان بالنخلة لثبات الإيمان في قلب المؤمن كثبات النخل في منبتها. و شبّه ما يكسبه المؤمن من الأعمال الصالحة في كلّ وقت بما ينال من شجرة النخلة في أوقات السنة كلّها.(٣)

عن أبي جعفر عليه السلام أنّ عليّاً عليه السلام قال في رجل نذر أن يصوم زماناً قال: الزمان خمسة أشهر. و الحين ستّة أشهر. لأنّ الله يقول: «تؤتي أكلها كلّ حين».(٤)

عن أميرالمؤمنين عليه السلام: جعل الله أهل الكتاب القائمين به و العالمين بظاهره و باطنه من شجرة أصلها ثابت و فرعها في السماء تؤتي أكلها كلّ حين؛ أي: يظهر منها العلم في الوقت بعد الوقت. ولو علم المنافقون لعنهم الله ما عليهم من ترك هذه الآيات التي بيّنت لك تأويلها، لأسقطوها مع ما أسقطوا.(٥)

١ـ الكشّاف ٢ / ٥٥٣.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥١٨.
٣ـ مجمع البيان ٦ / ٤٨٠.
٤ـ علل الشرائع / ٣٨٧، ح ١. و مثله في الكافي ٤ / ١٤٢.
٥ـ الاحتجاج ١ / ٢٥٢ ـ ٢٥٣.

[٢٦] «وَ مَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ».

«و مثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة»؛ أي: صفتها صفتها. «كلمة»؛ أي: كلمة الشرك. أو: كلّ كلمة قبيحة. و الشجرة الخبيثة: التي لا يطيب ثمرها، كشجرة الحنظل. و قوله: «اجتثّت» مقابل «أصلها ثابت». و معنى اجتثّت: استؤصلت. و حقيقة الاجتثاث أخذ الجثّة كلّها. «من قرار»؛ أي: استقرار. شبّه بها القول الذي لم يعضد بحجّة فهو غير ثابت.(١)

«كشجرة خبيثة». عن الباقر عليه السلام: هم بنو أميّة.(٢)

«من فوق الأرض». لأنّ عروقها قريبة منه.(٣)

[٢٧] «يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ فِي الْآخِرَةِ وَ يُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَ يَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ».

«يثبّت الله الذين آمنوا بالقول الثابت»: الذي ثبت بالحجّة و البرهان في قلب صاحبه و تمكّن فيه. و تثبيتهم به في الدنيا أنّهم إذا فتنوا في الدنيا في دينهم، لم يزلّوا، كالذين نشروا بالمناشير. و تثبيتهم في الآخرة أنّهم إذا سئلوا عند مواقف الأشهاد عن معتقدهم و دينهم، لم يتحيّروا من أهوال المحشر. و روي أنّه جواب منكر و نكير. «و يضلّ الله الظالمين»؛ أي: الذين لم يتمسّكوا بحجّة في دينهم و إنّما اقتصروا على تقليد شيوخهم كما قلّد المشركون آباءهم. و إضلالهم في الدنيا أنّهم لا يثبتون في مواقف الفتن و تزلّ أقدامهم أوّل شيء. و هم في الآخرة أضلّ و أذلّ. «و يفعل الله ما يشاء»؛ أي: ما توجبه الحكمة. لأنّ مشيّة الله تابعة للحكمة من تثبيت المؤمنين و من إضلال الظالمين و خذلانهم و التخلية بينهم و بين شأنهم.(٤)

«و في الآخرة». عن الباقرين عليهما السلام: انّ الله يثبّت المؤمن في القبر للجواب عند السؤال و

١ـ الكشّاف ٢ / ٥٥٣ ـ ٥٥٤.

٢ـ مجمع البيان ٦ / ٤٨١/

٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥١٨.

٤ـ الكشّاف ٢ / ٥٥٤ ـ ٥٥٥.

يخلّي الكافر و نفسه فلايقدر و لايعرف الجواب.(١)

عن أبي عبدالله عليه السلام: يضلّ الله الظالمين يوم القيامة عن دار كرامته؛ و يهدي أهل الإيمان [و العمل الصالح] إلى جنّته.(٢)

قال الصادق عليه السلام: إنّ الشيطان ليأتي الرجل من أوليائنا عن يمينه و شماله ليضلّه عمّا هو عليه، فيأبى الله له ذلك. و ذلك قوله: «يثبّت الله» ـ الآية.(٣)

[٢٨] «أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْراً وَ أَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ».

«ألم تر إلى الذين»: ألم تر إلى هؤلاء الكفّار عرفوا نعمة الله بمحمّد صلى الله عليه و آله؛ أي: عرفوا محمّداً، ثمّ كفروا به فبدّلوا مكان الشكر كفراً. و روي عن الصادق عليه السلام: نحن ـ و الله ـ نعمة الله التي أنعم بها على عباده. و بنا يفوز من فاز. و يحتمل أن يكون المراد جميع نعم الله بدّلوا شكرها بالكفر بها. و عن أميرالمؤمنين عليه السلام: انّه عنى بذلك كفّار قريش؛ كذّبوا نبيّهم و نصبوا له الحرب و العداوة. و سأل رجل أميرالمؤمنين عليه السلام عن هذه الآية. فقال: هما الأفجران من قريش؛ بنو أميّة و بنوالمغيرة. فأمّا بنو أميّة، فمتّعوا إلى حين. و أمّا بنو المغيرة، فكفيتموهم يوم بدر. «و أحلّوا»؛ أي: أنزلوا قومهم دار الهلاك بأن أخرجوهم إلى بدر. و قيل: معناه: أنزلوهم النار بدعائهم إيّاهم إلى الكفر.(٤)

«بدّلوا نعمة الله»؛ أي: شكر نعمته «كفراً» بأن وضعوه مكانه. أو: بدّلوا نفس النعمة كفراً. فإنّهم لمّا كفروا، سلبت عنهم فصاروا تاركين لها محصّلين الكفر بدلها. كأهل مكّة؛ أسكنهم الله الحرم و جعلهم قوّام بيته و وسّع عليهم أبواب رزقه و شرّفهم بمحمّد صلى الله عليه و آله، فكفروا ذلك، فقحطوا سبع سنين و أسروا و قتلوا يوم بدر و صاروا أذلاّء فبقوا مسلوبي النعمة موصوفين بالكفر.(٥)

١ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٢٢٥، ح ١٧.
٢ـ التوحيد / ٢٤١، ح ١.
٣ـ الفقيه ١ / ٨٠ ـ ٨١، ح ٣٦٣.
٤ـ مجمع البيان ٦ / ٤٨٢ ـ ٤٨٣.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥١٨.

[٢٩] «جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَ بِئْسَ الْقَرَارُ».

«جهنّم يصلونها». تفسير لدار البوار. «و بئس القرار» [قرار] من قراره النار.[١]

[٣٠] «وَ جَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ».

«و جعلوا لله أنداداً»: نظراء و مثالاً في العبادة زيادة على كفرهم و جحدهم. «قل» يا محمّد لهؤلاء الكفّار: انتفعوا بما تهوون. فإنّ المراد به التهديد. «مصيركم»؛ أي: مرجعكم.[٢]

«ليضلّوا». ابن‌كثير و أبوعمرو و بفتح الياء. و ليس الضلال و الإضلال غرضهم في اتّخاذ الأنداد، لكن لمّا كان نتيجته جعل كالغرض.[٣]

«قل تمتّعوا». إيذان بأنّهم لانغماسهم في التمتّع بالحاضر و أنّهم لايعرفون غيره، مأمورون به قد أمرهم آمر مطاع لايسعهم أن يخالفوه و هو أمر الشهوة. و المعنى: إن دمتم على ما أنتم عليه من الامتثال لأمر الشهوة، فإنّ مصيركم إلى النار.[٤]

[٣١] «قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ يُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَ عَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَ لَا خِلَالٌ».

«قل لعبادي». مفعول قل محذوف يدلّ عليه جوابه. أي: قل لعبادي الذين آمنوا: أقيموا الصلاة و أنفقوا. «يقيموا الصلاة و ينفقوا». فيكون إيذاناً بأنّهم لفرط مطاوعتهم الرسول بحيث لاينفكّ فعلهم عن أمره و أنّه كالسبب الموجب له. «سرّاً و علانية». منتصبان على المصدر. أي: إنفاق سرّ و علانية. أو على الحال. أي: ذوي سرّ و علانية. «لا بيع فيه» فيبتاع مقصّر ما يتدارك به تقصيره أو يفدّي به نفسه. «و لا خلال»: و لا مخالّة فيشفع لك خليلك. «لا بيع». ابن‌كثير و أبوعمرو بالفتح فيهما على النفي العامّ.[٥]

١ـ مجمع البيان ٦ / ٤٨٣.
٢ـ مجمع البيان ٦ / ٤٨٤.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥١٩.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٥٥٥.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥١٩.

«يقيموا الصلاة»: يؤدّوها لمواقيتها. «سرّاً و علانية» في الفرائض و النوافل. ينفقون في النوافل سرّاً و في الفرائض جهراً ليدفعوا عن أنفسهم تهـمة المـنع. «و لا خـلال»: أي: لا مصادقة كما قال: «الأخلّاء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ»[1].[2]

فإن قلت: كيف طابق الأمر بالإنفاق وصف اليوم بأنّه «لا بيع فيه و لا خلال»؟ قلت: من قبل أنّ الناس يخرجون أموالهم في عقود المعاوضات فيعطون بـدلاً ليأخـذوا مـثله و في المكارمات و مهاداة الأصدقاء ليستجرّوا بهداياهم أمثالها أو خيراً منها. و أمّا الإنفاق لوجه الله خالصاً، فلايفعله إلّا المخلصون فبعثوا عليه ليأخذوا بدله في يوم لا بيع فيه و لا خلال؛ أي: لا انتفاع فيه بمبايعة و لا بمخالّة و لا بما ينفقون به أموالهم من المعاوضات و المكارمات و إنّما ينتفع فيه بالإنفاق لوجه الله.[3]

عن سماعة عنه عليه السلام قال: إنّ الله فرض للفقراء في مـال الأغـنياء فـريضة لايحـمدون بأدائها، و هي الزكاة؛ بها حقنوا دماءهم و بها سمّوا مسلمين. ولكنّ الله فرض في الأموال حقوقاً غير الزكاة. قال الله تعالى: «و ينفقوا» ـ الآية.[4]

[٣٢] «اللهُ الَّذي خَلَقَ السَّمٰوٰاتِ وَ الْأَرْضَ وَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمٰاءِ مٰاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرٰاتِ رِزْقاً لَكُمْ وَ سَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَ سَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهٰارَ».

«الله». مبتدأ. «الذي». خبر. «سخّر لكم الأنهار». قيل: تسخير هذه الأشـياء تـعليم كيفيّة اتّخاذها.[5]

«خلق السموات و الأرض»: أنشأهما من غير شيء. «ماء»؛ أي: غيثاً و مطراً. «به»؛ أي: بذلك الماء. «الفلك»: السفن و المراكب. «بأمره»؛ أي: بأمر الله. لأنّها تسير بالرياح و الله هو المنشئ لها. «الأنهار» التي تجري بالمياه التي ينزلها من السماء و يجـريها في الأوديـة و

١ـ الزخرف (٤٣) / ٦٧.
٢ـ مجمع البيان ٦ / ٤٨٥.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٥٥٦.
٤ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٢٣٠، ح ٢٩.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥١٩.

تنصبّ منها في الأنهار.[١]

[٣٣] «وَ سَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَ سَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ».

«الشمس و القمر». ذلّل لمنافعكم الشمس و القمر في سيرهما لتنتفعوا بضوء الشمس نهاراً و بضوء القمر ليلاً و ليبلغ بها الثمار و النبات في النضج الحدّ الذي عليه تتمّ النعمة فيها. «دائبين» لايفتران في صلاح الخلق و منافعهم. «و سخّر لكم اللّيل و النهار»: ذلّلها لكم و لمنافعكم لتسكنوا في اللّيل و لتبتغوا في النهار من فضله.[٢]

«دائبين» في مرضاته يبليان كلّ جديد و يقرّبان كلّ بعيد.[٣]

[٣٤] «وَ آتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ».

«من كلّ ما سألتموه». و قال الضحّاك: إنّ ما للنفي. أي: آتاكم من كلّ شيء لم تسألوه إيّاه. و من للتبعيض هنا. لأنّه لايعطي كلّ ما يسأل لعدم موافقته الحكمة. و قيل: معناه: و أعطاكم من كلّ ما بكم إليه حاجة. فما من شيء يحتاج إليه العباد إلّا و هو موجود فيما بينهم. و هو كقوله: «خلق لكم ما في الأرض جميعاً»[٤] و لم يخصّص كلّ واحد من الخلق بإيتاء كلّ ما سألتم. و قيل: معناه: و آتاكم من كلّ شيء سألتموه و لم تسألوه. فما هنا نكرة موصوفة و الجملة صفة له. كقوله: «سرابيل تقيكم الحرّ».[٥] «من كلّ» قراءة الباقر و الصادق عليهما السلام: «من كلٍّ» بالتنوين. «إنّ الإنسان». ليس المراد بالإنسان هنا العموم، بل هو مثل: «و العصر إنّ الإنسان لفي خسر».[٦]

«ما سألتموه». إذاكانت ما للنفي يكون محلّه النصب على الحال. أي: آتاكم من جميع ذلك

١ـ مجمع البيان ٦ / ٤٨٥.
٢ـ مجمع البيان ٦ / ٤٨٦.
٣ـ نهج البلاغة / ١٢٣، الخطبة ٩٠.
٤ـ البقرة (٢) / ٢٩.
٥ـ النحل (١٦) / ٨١.
٦ـ مجمع البيان ٦ / ٤٨٦ و ٤٨٤.

غير سائليه. «إنّ الإنسان لظلوم كفّار»: يظلم النعمة بإغفال شكرها، شديد الكفران لها. و قيل: ظلوم في الشدّة يشكو و يجزع، كفّار في النعمة يمنع و يجمع. و الإنسان للجنس.(١)

عن أبي جعفرعليه السلام قال: الثوب و الشيء لم تسأله إيّاه أعطاك.(٢)

«و إن تعدّوا نعمة الله لاتحصوها». فيه دليل على أنّ المفرد يفيد الاستغراق بالإضافة.(٣)

عن أبي عبداللهعليه السلام قال: من كان معسراً فلم يتهيّأ له حجّة الإسلام، فليأت قبر جدّي أبي عبدالله الحسينعليه السلام فليعرّف عنده. فذلك يجزئه عن حجّة الإسلام. هذا للمعسر. و أمّا الموسر، إذا كان قد حجّ حجّة الإسلام و أراد أن يتنفّل للحجّ و العمرة فمنعه من ذلك شغل فأتى الحسينعليه السلام يوم عرفة، أجزأه ذلك عن حجّته و عمرته، و ضاعف الله له بذلك أضعافاً مضاعفة. قلت: كم تعدل حجّة؟ و كم تعدل عمرة؟ قال: لايحصى ذلك. قلت: مائة؟ قال: و من يحصي ذلك. قلت: ألف؟ قال: و أكثر. ثمّ قال: «و إن تعدّوا نعمة الله لاتحصوها».(٤)

[٣٥] «وَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً وَ اجْنُبْنِي وَ بَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ».

«هذا البلد»: يعني: البلد الحرام. «آمناً»: [ذا أمن]. و الفرق بينه و بين قوله: «اجعل هذا بلداً آمناً»(٥) أنّه في الأوّل سأل أن يجعله من جملة البلاد التي يأمن أهلها و لايخافون، و [في] الثاني أن يخرجه من صفة كان عليها من الخوف إلى ضدّها من الأمن. كأنّه قال: هو بلد مخوف فاجعله آمناً. «و اجنبني و بنيّ»: أي: ثبّتنا و أدمنا على اجتناب عبادتها. «و بنيّ». أراد بنيه من صلبه. «أن نعبد الأصنام». إنّما كانت أنصاب حجارة لكلّ قوم. قالوا: البيت حجر، فحيث ما نصبنا حجراً، فهو بمنزلة البيت. فكانوا يدورون بذلك الحجر و يسمّونه الدوار. فاستحبّ أن يقال: طاف بالبيت، و لايقال: دار بالبيت.(٦)

١ـ الكشّاف ٢ / ٥٥٧.
٢ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٢٣٠، ح ٣٠.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٢٠.
٤ـ تهذيب الأحكام ٦ / ٥٠، ح ١١٤.
٥ـ البقرة (٢) / ١٢٦.
٦ـ الكشّاف ٢ / ٥٥٧ ـ ٥٥٨.

«ربّ اجعل». هذا الدعاء بعد فراغه من الكعبة.[١]

عن الزهريّ قال: أتى رجل أباعبدالله عليه السلام فسأله عن شيء فلم يجبه. فقال له الرجل: إن كنت ابن أبيك، فإنّك من أبناء عبدة الأصنام. فقال له: كذبت. إنّ إبراهيم لمّا أنزل إسماعيل بمكّة قال: «و اجنبني و بنيّ أن نعبد الأصنام». فلم يعبد أحد من ولد إسماعيل صنماً، ولكنّ العرب عبدة الأصنام. و قالت بنوإسماعيل: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، و كفرت و لم تعبد الأصنام.[٢]

عنه عليه السلام قال: أنا على دعوة أبي إبراهيم قال: «و اجنبني و بنيّ أن نعبد الأصنام». فانتهت الدعوة إليّ و إلى أخي عليّ عليه السلام. لم يسجد أحد منّا لصنم قطّ. فاتّخذني الله نبيّاً و عليّاً وصيّاً. لأنّه قال: «لا ينال عهدي الظالمين».[٣] يعني من سجد لصنم لايكون إماماً.[٤]

[٣٦] «رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَ مَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ».

«أضللن كثيراً». فأعوذ بك أن تعصمني و بنيّ من ذلك. و كونهنّ أضللن لأنّ الإضلال بسببهنّ. «فمن تبعني»؛ أي: كان على ملّتي حنيفاً مسلماً. «فإنّه منّي»؛ أي: هو بعضي، لفرط اختصاصه بي. «غفور» تغفر لهم ما سلف منه من عصياني إذا ندم و استحدث الطاعة لي. و قيل: معناه: و من عصاني فيما دون الشرك.[٥]

عن الحلبيّ قال: قال أبوعبدالله عليه السلام: من اتّقى الله منكم و أصلح، فإنّه منّا أهل البيت من آل محمّد عليهم السلام أنفسهم. أما سمعت قول إبراهيم: فمن تبعني فإنّه منّي»؟[٦]

و في حديث آخر عنه عليه السلام: لا أنّه من القوم بأعيانهم، و إنّما هو [منهم] بتولّيه إيّاهم و

١ـ مجمع البيان ٦ / ٤٨٩.
٢ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٢٣٠، ح ٣١.
٣ـ البقرة (٢) / ١٢٤.
٤ـ أمالي الطوسيّ ١ / ٣٨٨، ح ٨١١.
٥ـ الكشّاف ٢ / ٥٥٨.
٦ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٢٣١، ح ٣٣.

اتّباعه لهم. ثمّ قرأ الآية.[١]

[٣٧] «رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَ ارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ».

«من ذرّيّتي»: بعض أولادي؛ و هم إسماعيل و من ولد منه. «بواد». هو وادي مكّة. «غير ذي زرع». لايكون فيه شيء من زرع قطّ. «المحرّم». لأنّ الله حرّم التعرّض له و التهاون به و جعل ما حوله حرماً لمكانه. أو لأنّه لم يزل ممنعاً عزيزاً يهابه كلّ جبّار كالشيء المحرّم الذي حقّه أن يجتنب. أو لأنّه محترم عظيم الحرمة لايحلّ انتهاكه. أو لأنّه حرّم على الطوفان؛ أي: منع منه. كما سمّي عتيقاً لذلك. «ليقيموا»؛ أي: أسكنتهم ليقيموا الصلاة عند بيتك المحرّم و يعمروه بعبادتك.[٢]

«ذرّيّتي». عن أبي جعفرعليه السلام: نحن بقيّة تلك الذرّيّة.[٣]

«المحرّم». لأنّه لايدخله إلّا المحرم.[٤]

«أفئدة من الناس»؛ أي: من أفئدة الناس. و من للتبعيض. و يدلّ عليه ما روي أنّه لو قال: أفئدة الناس، لزحمتكم عليه فارس و الروم. و يجوز أن يكون للابتداء. أي: أفئدة ناس. و نكّر المضاف إليه لتنكير أفئدة ليتناول بعض الأفئدة. «تهوي إليهم»؛ أي: تسرع إليهم و تطير نحوهم شوقاً. «و ارزقهم من الثمرات» مع سكناهم وادياً ليس فيه شيء منها بأن تجلب إليهم من البلاد. «لعلّهم يشكرون» النعمة على هذا الرزق.[٥]

عن الباقرعليه السلام: لم يعن الناس كلّهم بل أنتم أيّها الشيعة رحمكم الله. إنّما مثلكم في الناس مثل الشعرة البيضاء في الثور الأسود.[٦]

١ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٢٣١، ح ٣٤.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٥٥٨.
٣ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٢٣١، ح ٣٥.
٤ـ مجمع البيان ٦ / ٤٩٠.
٥ـ الكشّاف ٢ / ٥٥٩ ـ ٥٦٠.
٦ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٢٣٣، ح ٣٩.

عن أبي جعفر عليه السلام قال: نظر إلى الناس يطوفون حول الكعبة فقال: هكذا كانوا يطوفون في الجاهليّة. إنّما أمروا أن يطوفوا بها ثمّ ينفروا إلينا فيعلمونا ولايتهم و مودّتهم و يعرضوا علينا نصرتهم. ثمّ قرأ: «فاجعل أفئدة» ـ الآية.[١]

قال الباقر عليه السلام: إنّ الثمرة تحمل إليهم من الآفاق حتّى لا يوجد ثمرة في بلاد الشرق و الغرب إلّا توجد فيها. حتّى حكي أنّه يوجد فيها في يوم واحد فواكه ربيعيّة و صيفيّة و خريفيّة و شتائيّة.[٢]

«تهوي»، قال الباقر عليه السلام: «تهوى» بفتح الواو.[٣]

و عن الصادق عليه السلام: هو ثمرات القلوب.[٤]

[٣٨] «رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَ مَا نُعْلِنُ وَ مَا يَخْفَىٰ عَلَى اللهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَ لَا فِي السَّمَاءِ».

«تعلم ما نخفي»: تعلم السرّ كما تعلم العلن. أي: إنّك أعلم بأحوالنا و ما يصلحنا و يفسدنا منّا، فلا حاجة إلى الدعاء، و إنّما ندعوك إظهاراً للعبوديّة لك و تخشّعاً لعظمتك و استعجالاً لنيل أياديك. وقيل: ما نخفي من الوجد لما وقع بيننا من الفرقة و ما نعلن من البكاء و الدعاء. و قيل: ما نخفي من كآبة الافتراق و ما نعلن. و هو ما جرى بينه و بين هاجر حين قالت له عند الوداع: إلى من تكلنا؟ قال: إلى الله أكلكم. قالت: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: إذن لانخشى. تركتنا إلى كاف. «و ما يخفى على الله من شيء». هذا من كلام الله تصديقاً لإبراهيم، أو من كلام إبراهيم. و من للاستغراق.[٥]

[٣٩] «الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ».

١ـ الكافي ١ / ٣٩٢.

٢ـ مجمع البيان ٦ / ٤٨٧.

٣ـ مجمع البيان ٦ / ٤٨٧.

٤ـ عوالي اللآلي ٢ / ٩٦، ح ٢٥٧.

٥ـ الكشّاف ٢ / ٥٦٠.

«على الكبر». على بمعنى مع. أي: وهب لي في حال الكبر. روي أنّ إسماعيل ولد له و هو ابن تسع و تسعين سنة. و ولد له إسحاق و هو ابن مائة و اثنتي عشرة سنة. «لسميع الدعاء»؛ أي: تقبله. كما تقول: فلان يسمع كلامي. «على الكبر» لأنّها حالة اليأس من ولد.[١]

[٤٠] «رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَ تَقَبَّلْ دُعَاءِ».

«و من ذرّيّتي»؛ أي: و بعض ذرّيّتي، عطفاً على المنصوب في اجعلني. و إنّما بعّض لأنّه علم بإعلام الله أنّه يكون في ذرّيّته كفّار. و ذلك قوله: «لاينال عهدي الظالمين».[٢] «و تقبّل دعاء»؛ أي: عبادتي.[٣]

[٤١] «رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَ لِوَالِدَيَّ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ».

«و لوالديّ». استدلّ أصحابنا بهذا على أنّ أبوي إبراهيم لم يكونا كافرين. لأنّه إنّما يسأل المغفرة لهما يوم القيامة، فلو كانا كافرين، لما سأل ذلك. قال الله: «فلمّا تبيّن له أنّه عدوّ لله تبرّأ منه».[٤] فصحّ أنّ أباه الذي كان كافراً إنّما هو جدّه لأمّه أو عمّه على الخلاف فيه. و من قال: إنّما دعا لأبيه لأنّه كان وعده أن يسلم، فلمّا مات على الكفر تبرّأ منه ـ على ما روي عن الحسن ـ فقوله فاسد. لأنّ إبراهيم إنّما دعا بهذا الدعاء بعد الكبر و بعد أن وهب له إسماعيل و إسحاق و قد تبيّن له في هذا الوقت عداوة أبيه الكافر بالله، فلايجوز أن يقصده بدعائه.[٥]

في تفسير عليّ بن إبراهيم: قوله «ربّنا اغفر لي و لوالديّ». قال: إنّما أنزلت: لولديّ إسماعيل و إسحاق.[٦] و في مجمع البيان: و قرأ الحسين [بن] عليّ و أبوجعفر محمّد بن عليّ عليهما السلام: «و لولديّ». يعني إسحاق و إسماعيل.[٧] و في رواية أخرى عن أحدهما عليهما السلام أنّه قرأ: «و لوالديّ» قال: آدم و حوّاء.[٨]

١ـ الكشّاف ٢ / ٥٦١.
٢ـ البقرة (٢) / ١٢٤.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٥٦١.
٤ـ التوبة (٩) / ١١٤.
٥ـ مجمع البيان ٦ / ٤٩١.
٦ـ تفسير القمّيّ ١ / ٣٧٢.
٧ـ مجمع البيان ٦ / ٤٨٨.
٨ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٤٢٣، ح ٤٦.

و عن جابر قال: سألت أباجعفرعليه السلام عن قول الله: «ربّنا اغفر لي و لوالديّ». قال: هذه كلمة صحّفها الكتّاب. إنّما كان استغفار إبراهيم لأبيه عن موعدة وعدها إيّاه. و إنّما كان «ربّنا اغفر لي و لولديّ». يعني إسماعيل و إسحاق و الحسن و الحسين و الله إنّما عنى[١] رسول الله صلى الله عليه و آله.[٢]

[٤٢] «وَ لَا تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ».

«و لاتحسبنّ الله»؛ أي: لاتظنّنّ الله ساهياً عن مجازاة الظالمين على أعمالهم. «إنّما يؤخّرهم»؛ أي: يؤخّر عقابهم إلى يوم القيامة، و هو الذي فيه الأبصار شاخصة عن مواضعها لاتغمض لهول ما ترى في ذلك اليوم و لاتطرف. و قيل: تشخص أبصارهم إلى إجابة الداعي حين يدعوهم.[٣]

«تشخص فيه الأبصار». قال: تبق أعينهم مفتوحة من هول جهنّم لايقدرون أن يطرفوها.[٤]

[٤٣] «مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَ أَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ».

«مهطعين»؛ أي: مسرعين. و قيل: دائمي النظر إلى ما يرون لايطرفون. «مقنعي»؛ أي: رافعي رؤوسهم إلى السماء حتّى لايرى الرجل مكان قدمه من شدّة رفع الرأس. و قيل: معناه: ناكسو رؤوسهم بلغة قريش. «لايرتدّ إليهم طرفهم»؛ أي: لاترجع إليهم أعينهم و لايطيقون تغميضها و إنّما هو نظر دائم. «هواء»؛ أي: قلوبهم خالية من كلّ شيء فزعاً و خوفاً. و قيل: خالية من كلّ سرور و طمع في الخير لما يرون من الأهوال كالهواء الذي بين السماء و الأرض. و قيل: زائلة عن مواضعها قد ارتفعت إلى حلوقهم لاتخرج و لاتعود إلى

١ـ المصدر: «ابنا» بدل «إنّما عنى».

٢ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٢٣٥، ح ٤٧.

٣ـ مجمع البيان ٦ / ٤٩٣.

٤ـ تفسير القمّيّ ١ / ٣٧٢.

أماكنها بمنزلة الشيء الذاهب في جهات مختلفة المتردّد في الهواء. و قيل: معناه: خالية عن عقولهم.[١]

«هواء». قال: قلوبهم تتصدّع من الخفقان.[٢]

الهواء: الخلأ الذي لم تشغله الأجرام. فوصف به فقيل: قلب فلان هواء، إذا كان جباناً لا قوّة في قلبه و لا جرأة.[٣]

[٤٤] «وَ أَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَ نَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَ وَ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ».

«و أنذر الناس»؛ أي: دم يا محمّد صلى الله عليه وآله على الإنذار. «ظلموا» نفوسهم بارتكاب المعاصي. «إلى أجل» أي: ردّنا إلى الدنيا و اجعل ذلك مدّة قريبة نجب دعوتك فيها. «أ و لم تكونوا». أي: يقول لهم الله أو الملائكة بأمره: أ و لم تكونوا أقسمتم في دار الدنيا ما لكم من انتقال عنها إلى الآخرة، أو ما لكم من زوال من الراحة إلى العذاب. و في هذه دلالة على أنّ أهل الآخرة غير مكلّفين، خلافاً لما يقوله النجّار و جماعة. لأنّهم لو كانوا مكلّفين، لكان ينبغي لهم أن يؤمنوا و يتخلّصوا من العقاب.[٤]

عن أبي جعفر عليه السلام قال: و الله للّذي صنعه الحسن بن عليّ عليهما السلام كان خيراً لهذه الأمّة ممّا طلعت عليه الشمس. و الله لقد نزلت هذه الآية: «ألم تر إلى الذين قيل لهم كفّوا أيديكم و أقيموا الصلاة و آتوا الزكاة» إنّما هي طاعة الإمام و طلبوا القتال «فلمّا كتب عليهم القتال» مع الحسين عليه السلام «قالوا ربّنا لم كتبت علينا القتال لولا أخّرتنا إلى أجل قريب»[٥] «نجب دعوتك و نتّبع الرسل». أرادوا تأخير ذلك إلى القائم عليه السلام.[٦]

١ـ مجمع البيان ٦ / ٤٩٣ ـ ٤٩٤.
٢ـ تفسير القمّيّ ١ / ٣٧٢.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٥٦٣.
٤ـ مجمع البيان ٦ / ٤٩٤.
٥ـ النساء (٤) / ٧٧.
٦ـ الكافي ٨ / ٣٣٠، ح ٥٠٦.

«أقسمتم». إقسامهم إمّا بلسان الحال حيث بنوا شديداً و أمّلوا بعيداً، و إمّا بلسان المقال بطراً و أشرا.(١)

[٤٥] «وَ سَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَ تَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَ ضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ».

«و سكنتم». هذا زيادة توبيخ لهم. أي: سكنتم ديار من كذّب الرسل قبلكم فأهلكهم الله و عرفتم ذلك. و قيل: إنّهم عاد و ثمود. و قيل: هم المقتولون ببدر. «و ضربنا لكم الأمثال»: بيّنّا لكم الأشباه و أخبرناكم بأحوال الماضين قبلكم لتعتبروا بها. و قيل: الأمثال ما ذكر في القرآن ممّا يدلّ على أنّه تعالى قادر على الإعادة كما أنّه قادر على الإنشاء.(٢)

«في مساكن». أي سكنوا و استقرّوا فيها مطمئنّين في الظلم و الفساد لايحدّثون أنفسهم بما لقي الأوّلون من العذاب. «الأمثال»؛ أي: صفات ما فعلوا.(٣)

قال رجل بحضور أبي عبدالله عليه السلام: قد ثبت دار صالح و دار عيسى ـ ذكر دور العبّاسيّين. فقال رجل: أرانا الله خرابها. فقال عليه السلام: لاتقل هكذا، بل يكون مساكن القائم و أصحابه. أما سمعت يقول الله: «و سكنتم في مساكن الذين ظلموا»؟(٤)

[٤٦] «وَ قَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَ عِنْدَ اللهِ مَكْرُهُمْ وَ إِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ».

«و قد مكروا مكرهم» العظيم الذي استفرغوا فيه جهدهم. «و عند الله مكرهم». إمّا أن يكون مضافاً إلى الفاعل كالأوّل، على أنّ المعنى: و مكتوب عند الله مكرهم فهو مجازيهم عليه بمكر هو أعظم منه، أو يكون مضافاً إلى المفعول، على معنى: و عند الله مكرهم الذي يمكرهم به و هو عذابهم الذي يستحقّونه. «لتزول منه الجبال» لعظم مكرهم.(٥)

١ـ الكشّاف ٢ / ٥٦٥.
٢ـ مجمع البيان ٦ / ٤٩٤.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٥٦٥.
٤ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٢٣٥، ح ٤٩.
٥ـ الكشّاف ٢ / ٥٦٥.

في الشواذّ عن عليّ عليه السلام: «و إن كاد مكرهم».[١]

«و إن كان مكرهم» في العظم و الشدّة «لتزول»؛ أي: مسوًّى لإزالة الجبال. و قيل: إن نافية، و اللّام مؤكّدة لها. كقوله: «و ما كان الله ليعذّبهم».[٢] على أنّ الجبال مثل لأمر النبيّ و نحوه.[٣]

عن أبي عبدالله عليه السلام: و إن كان مكر بني عبّاس بالقائم لتزول منه الجبال.[٤]

و عن عليّ عليه السلام قال: إنّ نمرود أراد أن ينظر إلى ملكوت السماء. فأخذ نسوراً أربعة و جعل تابوتاً من خشب و أدخل فيه رجلاً، ثمّ شدّوا قوائم النسور بقوائم التابوت. ثمّ جعل في وسط التابوت عموداً و على رأسه لحماً، و طرن بالتابوت و الرجل فارتفعن إلى السماء. فمكث ما شاء الله، ثمّ نظر إلى الأرض فإذا هو لايرى شيئاً فقلب العمود و طلب النسور اللّحم و سمعت الجبال هدّة النسور فخافت من أمر السماء. و هو قول الله: «و إن كان مكرهم لتزول منه الجبال».[٥]

[٤٧] «فَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ».

«مخلف وعده». كقوله: «إنّا لننصر رسلنا».[٦] «كتب الله لأغلبنّ أنا و رسلي».[٧] و أصله: مخلف رسله وعده. فقدّم المفعول الثاني إيذاناً بأنّه لايخلف الوعد أصلاً فكيف يخلف رسله. «إنّ الله عزيز» غالب لايماكر «ذو انتقام» لأوليائه من أعدائه.[٨]

[٤٨] «يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَ السَّمٰوٰاتُ وَ بَرَزُوا لِلّٰهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ».

«يوم تبدّل الأرض»؛ أي: تبدّل الأرض و هيئتها. قال ابن‌عبّاس: تبدّل آكامها و

١ـ مجمع البيان ٦ / ٤٩٥.
٢ـ الأنفال (٨) / ٣٣.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٢٢.
٤ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٢٣٥، ح ٥٠. و فيه: لتزول منه قلوب الرجال.
٥ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٢٣٥، ح ٥١.
٦ـ غافر (٤٠) / ٥١.
٧ـ المجادلة (٥٨) / ٢١.
٨ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٢٣.

آجامها و جبالها و أشجارها و الأرض على حالتها و تصير بيضاء كالفضّة لم يسفك عليها دم و لم يعمل عليها خطيئة و تبدّل السموات فيذهب بشمسها و قمرها و نجومها. أو يكون المعنى: تبدّل الأرض و تنشأ أرض غيرها، و كذلك السموات. عن جماعة من المفسّرين. و في تفسير أهل البيت عليهم السلام أنّها تبدّل خبزة نقيّة يأكل الناس منها حتّى يفرغ من الحساب. و قيل: تصير السموات جناناً و يصير مكان البحر النار و تبدّل الأرض غيرها. «و برزوا لله»؛ أي: يظهرون من قبورهم للمحاسبة.[١]

عن أبي جعفر عليه السلام قال: لعلّكم ترون أنّه إذا كان يوم القيامة و صيّر الله أهل الجنّة في الجنّة و أهل النار في النار أنّ الله لايعبد في بلاده و لايخلق خلقاً يعبدونه و يوحّدونه. بلى، و الله ليخلقنّ خلقاً من غير فحولة و لا إناث يعبدونه و يخلق لهم أرضاً تحملهم و سماء تظلّهم. أليس الله يقول: «يوم تبدّل الأرض غير الأرض»؟ و قال عزّ و علا: «أفعيينا بالخلق الأوّل بل هم في لبس من خلق جديد»[٢].[٣]

ورد في الأخبار أنّ الأرض تبدّل خبزة بيضاء نقيّة يأكل منها أهل القيامة.[٤] و في بعضها أنّها تبدّل بأرض حارّة كالجمر.[٥] و في بعضها أنّها تكون فضّة حارّة.[٦] و الجمع بين الأخبار إمّا بحمل التعدّد على تعدّد أهل الموقف من المؤمنين و الفاسقين و الكافرين فيقف كلّ فرقة في أرض تناسب حالها، و إمّا بحمل التعدّد على تعدّد المواقف. فإنّ للقيامة خمسين موقفاً، فيكون أحد المواقف خبزة نقيّة و الآخر جمراً يتوقّد و هكذا.

[٤٩] «وَ تَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ».

«و ترى المجرمين». يعني الكفّار يوم القيامة. «مقرّنين في الأصفاد»؛ أي: مجموعين في الأغلال قرّنت [أيديهم] بها إلى أعناقهم. و قيل: يقرّن بعضهم إلى بعض. و قيل: يقرّن كلّ

١ـ مجمع البيان ٦ / ٤٩٨.
٢ـ ق (٥٠) / ١٥.
٣ـ الخصال ٢ / ٣٥٨، ح ٤٥.
٤ـ الكافي ٦ / ٢٨٦، ح ١ و ٤.
٥ـ تفسير أبي الفتوح ٧ / ٤١.
٦ـ تفسير أبي الفتوح ٧ / ٤١.

كافر مع شيطان كان يضلّه في غلّ من حديد.[١]

«الأصفاد»: القيود. و قيل: الأغلال.[٢]

[٥٠] «سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَ تَغْشىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ».

«من قطران». هو ما يتحلّب من شجر الأبهل فيطبخ فتهنأ به الإبل الجربى لحدّته.[٣]

[٥١] «لِيَجْزِيَ اللهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ».

«ليجزي». متعلّق بما تقدّم. أي فعل ذلك بهم ليجزي كلّ نفس بما كسبت. «سريع الحساب»؛ أي: المجازاة.[٤]

[٥٢] «هٰذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَ لِيُنْذَرُوا بِهِ وَ لِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلٰهٌ وَاحِدٌ وَ لِيَذَّكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ».

«هذا»؛ أي: القرآن. «بلاغ»؛ أي: عظة للناس. و قيل: هذا إشارة إلى ما تقدّم ذكره من الوعيد. «و لينذِروا»؛ أي: ليخوّفوا بما فيه من الوعيد و ليعلموا أدلّة التوحيد منه و ليتّعظ به أهل العقول.[٥]

«بلاغ»؛ أي: كفاية في التذكير و الموعظة. يعني بهذا ما وصفه من قوله: «و لاتحسبنّ» إلى قوله: «سريع الحساب». «و لينذروا». معطوف على محذوف. أي: لينصحوا و لينذروا. [و قرئ: «و لينذروا» بفتح الياء.].[٦]

١ـ مجمع البيان ٦ / ٤٩٩.

٢ـ الكشّاف ٢ / ٥٦٧.

٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٢٣ ـ ٥٢٤.

٤ـ مجمع البيان ٦ / ٤٩٩ ـ ٥٠٠.

٥ـ مجمع البيان ٦ / ٥٠٠.

٦ـ الكشّاف ٢ / ٥٦٨.

١٥.
سورة الحجر

عن أبي عبدالله عليه السلام: من قرأ سورة إبراهيم و الحجر في ركعتين جميعاً في كلّ جمعة، لم يصبه فقر أبداً و لا جنون و لا بلوى.(١)

و عنه صلى الله عليه و آله قال: من قرأ سورة الحجر، أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد المهاجرين و الأنصار و المستهزئين بمحمّد صلى الله عليه و آله.(٢)

من كتبها بزعفران و سقاها لامرأة قليلة اللّبن، كثر لبنها. و من كتبها و جعلها في جنسه(٣) أو عضده، كثر رزقه و بيعه و كسبه.(٤)

[١] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحيمِ * الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَ قُرْآنٍ مُبِينٍ».

«تلك»؛ أي: هذه. «و قرآن مبين»: و آيات قرآن مميّز بين الحقّ و الباطل. عطف على الكتاب. و إنّما عطفه عليه، و إن كان الكتاب هو القرآن، لاختلاف اللّفظين و ما فيهما من الفائدتين و إن كانا لموصوف واحد. لأنّ وصفه بالكتاب يفيد أنّه ممّا يكتب و يدوّن و وصفه بالقرآن يفيد أنّه ممّا يؤلّف و يجمع بعض حروفه إلى بعض.(٥)

«تلك». إشارة إلى ما تضمّنته السورة من الآيات. و القرآن المبين السورة. و تنكير القرآن للتفخيم.(٦)

١ـ ثواب الأعمال / ١٣٣، ح ١.

٢ـ مجمع البيان ٦ / ٥٠١.

٣ـ المصدر: جيبه.

٤ـ مصباح الكفعميّ / ٦٠٦.

٥ـ مجمع البيان ٦ / ٥٠٥.

٦ـ الكشّاف ٢ / ٥٦٩.

[٢] «رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ».

و إنّما دخلت «ربّ» على المضارع، و قد أبوا دخولها إلّا على الماضي، لأنّ المترقّب في إخبار الله تعالى بمنزلة الماضي في تحققّه؛ كأنّه قال: ودّ.(١)

«ربما». أهل المدينة و عاصم خفيفة الباء. و الباقون بالتشديد. و يقال: لم جاز «ربما يودّ» و ربّ للتقليل؟ و جوابه على وجهين: أحدهما أنّه أبلغ في التهديد. كما تقول: ربما ندمت على هذا، و أنت تعلم أنّه يندم ندماً طويلاً. أي يكفيك قليل الندم فكيف كثيره. و الثاني أنّه يشغلهم العذاب عن تمنّي ذلك إلّا في أوقات قليلة. [«ربما يودّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين»؛ أي:] ربما يتمنّى الكفّار الإسلام في الآخرة إذا صار المسلمون إلى الجنّة و الكفّار إلى النار. و قال الصادقعليه السلام: ينادي مناد يوم القيامة تسمع الخلائق أنّه لا يدخل الجنّة إلّا مسلم. فثمّ يودّ سائر الخلق أنّهم كانوا مسلمين. و روي مرفوعاً عن النبيّصلى الله عليه وآله قال: إذا اجتمع أهل النار في النار و معهم من شاء الله من أهل القبلة، قال الكفّار للمسلمين: ألم تكونوا مسلمين؟ فقالوا: بلى. قالوا: فما أغنى عنكم إسلامكم و قد صيّرتم معنا في النار؟ قالوا: كانت لنا ذنوب فأخذنا بها. فيسمع الله ما قالوا فأمر من كان في النار من أهل الإسلام فأخرجوا منها. فحينئذ يقول الكفّار: يا ليتنا كنّا مسلمين.(٢)

[٣] «ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَ يَتَمَتَّعُوا وَ يُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ».

«ذرهم»: دعهم يأكلوا في دنياهم أكل الأنعام و يستمتعوا فيها باللّذّات حالاً بعد حال. «و يلههم الأمل»؛ أي: يشغلهم آمالهم الكاذبة عن اتّباع النبيّصلى الله عليه وآله و القرآن. «فسوف يعلمون» وبال ذلك يوم القيامة.(٣)

«ذرهم»؛ أي: دعهم من النهي و النصيحة و الزجر، لعدم الفائدة و لاستحقاقهم الخذلان.(٤)

١ـ الكشّاف ٢ / ٥٦٩.
٢ـ مجمع البيان ٦ / ٥٠١ و ٥٠٤ و ٥٠٥.
٣ـ مجمع البيان ٦ / ٥٠٥.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٥٧٠.

«و يلههم الأمل» عن الاستعداد للمعاد.[١]

[٤] «وَ مَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَ لَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ».

«و ما أهلكنا»؛ أي: لم نهلك أهل قرية فيما مضى على وجه العقوبة إلّا و كان لهم أجل مكتوب لابدّ أن سيبلغونه. يريد: فلايغرّنّ هؤلاء الكفّار إمهالي إيّاهم. إنّما ينزل بهم العذاب في الوقت المكتوب المقدّر لذلك.[٢]

«كتاب معلوم»؛ أي: أجل مقدّر كتب في اللّوح. و المستثنى جملة واقعة صفة لقرية. و الأصل أن لا يدخلها الواو ـ كقوله: «إلّا لها منذرون»[٣] ـ و لكن لمّا شابهت صورتها صورة الحال، أدخلت تأكيداً للصوقها بالموصوف.[٤]

[٥] «مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَ مَا يَسْتَأْخِرُونَ».

«ماتسبق من أمّة»؛ أي: لم تكن أمّة فيما مضى تسبق أجلها فتهلك قبل ذلك، ولاتتأخّر عن أجلها الذي قدّر لها، بل إذا استوفت أجلها أهلكها الله.[٥]

«و مايستأخرون». تذكير ضمير أمّة فيه للحمل على المعنى.[٦]

[٦] «وَ قَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ».

«و قالوا». أي المشركون للنبيّ ﷺ. «الذكر»؛ أي: القرآن في زعمه و دعواه. «إنّك لمجنون» في دعواك أنّه نزّل عليك و توهّمك أنّا نؤمن بك.[٧]

«إنّك لمجنون»؛ أي: تقول قول المجانين حين تدّعي أنّ الله نزّل عليك القرآن.[٨]

[٧] «لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ».

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٢٥.
٢ـ مجمع البيان ٦ / ٥٠٥.
٣ـ الشعراء (٢٦) / ٢٠٨.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٢٥.
٥ـ مجمع البيان ٦ / ٥٠٥.
٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٢٥.
٧ـ مجمع البيان ٦ / ٥٠٨.
٨ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٢٦.

«لو ماتأتينا»؛ أي: هلّاتأتينا بالملائكة يشهدون لك على صدق قولك إن كنت صادقاً فيما تدّعي؟ فأجابهم سبحانه بالجواب المقنع فقال: «ما نزّل الملائكة إلّا بالحقّ».[١]

«بالملائكة» لأجل العقاب على تكذيبنا لك كما أتت الأمم المكذّبة قبل.[٢]

[٨] «مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَ مَا كَانُوا إِذاً مُنْظَرِينَ».

«بالحقّ»؛ أي: الموت لايقع فيه تقديم وتأخير فيقبض أرواحهم. و قيل: لاينزل الملائكة إلّا بعذاب الاستئصال. «مانزّل». أهل الكوفة غير أبي‌بكر بنونين و «الملائكة» بالنصب. و أبوبكر عن عاصم بضمّ التاء و «الملائكة» بالرفع. و الباقون بفتح التاء و الزاي و «الملائكة» بالرفع. «إذاً»؛ أي: حين تنزل الملائكة. «منظرين»؛ أي: لايمهلون ساعة.[٣]

«إلّا بالحقّ» [أي: بالوجه الذي اقتضته الحكمة. و لا حكمة] في أن يأتيكم الملائكة بصورة تشاهدونها. فإنّه لايزيدكم إلّا لبساً.[٤]

«إلّا بالحقّ»؛ أي: ملتبساً بالحكمة و المصلحة. و لا حكمة في أن تأتيكم الملائكة عياناً تشاهدونهم و يشهدون لكم بصدق النبيّ ﷺ. لأنّكم حينئذ مصدّقون عن اضطرار. و قيل: الحقّ الوحي أو العذاب. و «إذاً» جواب و جزاء. لأنّه جواب لهم و جزاء لشرط مقدّر تقديره: و لو نزّلنا الملائكة، ماكانوا منظرين و ماأخّر عذابهم.[٥]

[٩] «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ».

«إنّا نحن» ـ الآية. ردّ لإنكارهم و استهزائهم في قوله: «يا أيّها الذي نزّل عليه الذكر» ـ الآية. «لحافظون» من الشياطين و الزيادة و النقصان بخلاف الكتب المتقدّمة. فإنّه لم‌يتولّ حفظها و إنّما استحفظها الربّانيّين و الأحبار، فاختلفوا فيما بينهم بغياً فكان التحريف، و

١ـ مجمع البيان ٦ / ٥٠٨.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٢٦.
٣ـ مجمع البيان ٦ / ٥٠٨و ٥٠٦.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٢٦.
٥ـ الكشّاف ٢ / ٥٧١.

لم يكل القرآن إلى غير حفظه.[١]

«الذكر»؛ أي: القرآن. «لحافظون» من الزيادة و النقصان و التغيير و التحريف. و قيل: معناه: و إنّا نتكفّل بحفظه إلى آخر الدهر على ما هو عليه، فتنقله الأمّة و تحفظه عصراً بعد عصر إلى يوم القيامة. لأنّه حجّة على الكلّ. و قيل: يحفظه من كيد المشركين و لايمكنهم إبطاله و لايندرس و لاينسى. و قال الفرّاء: يجوز أن يكون الهاء في له كناية عن الرسول ﷺ. فكأنّه قال: إنّا أنزلنا القرآن و إنّا لمحمّد لحافظون.[٢]

[١٠] «وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ».

«و لقد أرسلنا من قبلك» يا محمّد رسلنا. فحذف المفعول لدلالة الإرسال عليه. «شيع الأوّلين»؛ أي: فرق الأوّلين.[٣]

[١١] «وَ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ».

«و ما يأتيهم من رسول». تسلية للنبيّ ﷺ إذ أخبره أنّ كلّ رسول كان مبتلًى بقومه و استهزائهم بالرسل. و إنّما حملهم على ذلك استبعادهم ما دعوهم إليه.[٤]

[١٢] «كَذٰلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ».

«كذلك نسلكه». فيه قولان. أحدهما: انّا نسلك الذكر الذي هو القرآن في قلوب الكفّار بأن نفهمهم إيّاه و إن كانوا لايؤمنون به ماضين على سنّة من تقدّمهم في تكذيب الرسل، كما سلكنا دعوة الرسل في قلوب من سلف من الأمم. يعني أنّ إعراضهم عن القرآن لايمنعنا من أن ندخله في قلوبهم. و الآخر: انّ المعنى: نسلك الاستهزاء في قلوبهم عقوبة لهم على كفرهم. و الأوّل هو الصحيح.[٥]

١ـ الكشّاف ٢ / ٥٧٢.
٢ـ مجمع البيان ٦ / ٥٠٨.
٣ـ مجمع البيان ٦ / ٥٠٨.
٤ـ مجمع البيان ٦ / ٥٠٨.
٥ـ مجمع البيان ٦ / ٥٠٨ ـ ٥٠٩.

[١٣] «لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَ قَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ».

«لايؤمنون». في محلّ النصب على الحال. أي: نسلك الذكر في قلوب المجرمين مكذّباً غير مؤمن به. «سنّة الأوّلين»؛ أي: سنة الله فيهم بالخذلان أو بالإهلاك.(١)

«و قد خلت»؛ أي: مضت طريقة الأمم المتقدّمة بأن كانت رسلهم تدعوهم إلى كتب الله المنزلة ثمّ لايؤمنون. و قيل: مضت سنّة الأوّلين بأن عوجلوا بعذاب الاستئصال عند الإتيان بالآيات المقترحة مع إصرارهم على الكفر.(٢)

«و قد خلت». هو وعيد لكفّار مكّة على تكذيبهم.(٣)

[١٤] «وَ لَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ».

«عليهم»: على هؤلاء المشركين. «فظلّوا»؛ أي: فظلّت الملائكة تصعد و تنزل في ذلك الباب. و قيل: فظلّ هؤلاء المشركون و شاهدوا ملكوت السموات.(٤)

[١٥] «لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ».

«إنّما سكّرت»؛ أي: يعرجون لمشاهدة الملكوت، لقالوا: إنّما هو تخيّل سحر لا حقيقة له. (ع)

«سكّرت». قرأ ابن‌كثير: «سكرت» بالتخفيف. أي: سدّت من الإبصار بالسحر. من السكر.(٥)

«إنّما سكّرت»؛ أي: سدّت و غطّيت. أو: عمّيت. أو: تحيّرت [و سكنت] عن أن تنظر. «مسحورون»: سحرنا محمّد ﷺ فلانتظر ببصر و يخيّل الأشياء إلينا على خلاف حقيقتها.(٦)

[١٦] «وَ لَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَ زَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ».

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٢٦ ـ ٥٢٧.
٢ـ مجمع البيان ٦ / ٥٠٩.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٥٧٣.
٤ـ مجمع البيان ٦ / ٥٠٩.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٢٧.
٦ـ مجمع البيان ٦ / ٥٠٩.

«بروجاً»؛ أي: منازل الشمس و القمر. «زيّـنّاها» بالكواكب النيّرة.[١]

[١٧] «وَ حَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ».

«و حفظناها»؛ أي: حفظنا السماء من الشيطان بالمنع حتّى لايدخلها و لايبلغ إلى موضع يتمكّن فيه من استراق السمع بما أعدّ له من الشهاب.[٢]

[١٨] «إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ».

«إلّا من استرق السمع»؛ أي: حاول أخذ المسموع من السماء خفية فلحقه شهاب، أي: شعلة نار ظاهر لأهل الأرض. و نحن في رأي العين نرى كأنّهم يرمون بالنجوم. و الشهاب عمود من نور يضيء ضياء النار لشدّة ضيائه. و عن ابن‌عبّاس[٣]: انّه كان في الجاهليّة كهنة و مع كلّ واحد شيطان، فكان يقعد من السماء مقاعد للسمع فيستمع من الملائكة ما هو كائن في الأرض، فينزل و يخبر الكاهن به فيفشيه الكاهن إلى الناس. فلمّا بعث الله عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات. و لمّا بعث رسول الله صلى الله عليه و آله منعوا من السموات كلّها و حرست السماء بالنجوم. و الشهاب من معجزات نبيّنا صلى الله عليه و آله، لأنّه لم ير قبل زمانه. و قيل: إنّ الشهاب يحرق الشياطين و يقتلهم. و قيل: يحرقهم و لايقتلهم.[٤]

ما حكيناه عن ابن‌عبّاس مرويّ في أخبارنا بطرق متعدّدة.

«إلّا من استرق». بدل من «كلّ شيطان». و قيل: الاستثناء منقطع. أي: ولكن.[٥]

«من استرق السمع». عن عبدالسلام، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: احذر نفسك. إنّ الخبيث المسترق السمع يجيئك فيسترق ثمّ يخرج في صورة آدميّ فيقول: قال عبدالسلام. فقلت: بأبي أنت و أمّي؛ هذا ما لا حيلة به. قال هو ذاك.[٦]

١ـ مجمع البيان ٦ / ٥٠٩.
٢ـ مجمع البيان ٦ / ٥٠٩ ـ ٥١٠.
٣ـ تفسير الثعلبيّ ٥ / ٣٣٣.
٤ـ مجمع البيان ٦ / ٥١٠.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٢٧.
٦ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٢٣٩، ح ٣.

[١٩] «وَ الْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَ أَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ».

«و الأرض». [منصوب بفعل مضمر.] أي: مددنا الأرض مددناها. «مددناها»: بسطناها و جعلنا لها طولاً و عرضاً. «و ألقينا»؛ أي: طرحنا. «رواسي»: جبالاً ثابتة. «فيها» في الأرض.(١)

[٢٠] «وَ جَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَ مَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ».

[٢١] «وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَ مَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ».

«و إن من شيء». عن الباقر عليه السلام قال: في العرش [تمثال] جميع ما خلق الله في البرّ و البحر. قال: و هذا تأويل قوله: «و إن من شيء إلّا عندنا خزائنه» ـ الآية.(٢)

«و إن من شيء»؛ أي: ليس من شيء ينزل من السماء إلّا و نحن مالكوه و قادرون عليه. و خزائن الله سبحانه مقدوراته. لأنّه يقدر أن يوجد ما يشاء. و قيل: المراد به الماء الذي منه النبات و هو مخزون عنده إلى أن ينزله. ونبات الأرض و ثمارها إنّما ينبت بماء السماء. و ما ننزّل المطر إلّا بقدر معلوم تقتضيه الحكمة. و قيل: إنّه سبحانه استعار الخزائن للقدرة على إيجاد الأشياء و عبّر عن الايجاد بالإنزال. لأنّ الإنزال في معنى الإعطاء.(٣)

«خزائنه». ذكر الخزائن تمثيل. و المعنى: و ما من شيء ينتفع به العباد، إلّا و نحن قادرون على إيجاده و تكوينه و الإنعام به. و ما نعطيه إلّا بمقدار معلوم نعلم أنّه مصلحة له. فضرب الخزائن مثلاً لاقتداره على كلّ مقدور.(٤)

[٢٢] «وَ أَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَ مَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ»

١ـ مجمع البيان ٦ / ٥١١ ـ ٥١٢.
٢ـ روضة الواعظين ١ / ٤٧.
٣ـ مجمع البيان ٦ / ٥١٣.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٥٧٤.

ثمّ بيّن سبحانه كيفيّة الإنزال فقال: «و أرسلنا الرياح لواقح»؛ أي: ملقحة للسحاب. حمزة: «الريح لواقح». قال أبوعبيدة: لاأعرف لذلك وجهاً إلّا أنّ الريح تأتي مختلفة من كلّ وجه فكانت بمنزلة الرياح.[١]

«لواقح»؛ أي: التي تلقح الأشجار.[٢]

«لواقح»؛ أي: حوامل. شبّه الريح التي جاءت بخير من إنشاء سحاب ماطر بالحامل، كما شبّه ما لايكون كذلك بالعقيم. أو: ملقحات للشجر و السحاب.[٣]

«لواقح». الريح لاقح إذا جاءت بخير من إنشاء سحاب ماطر. كما قيل للّتي لاتأتي بخير: ريح عقيم.[٤]

«بخازنين» بل الله يخزنه ثمّ يرسله من السماء إلى الأرض أو يخرجه من العيون. (ع)

[٢٣] «وَ إِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَ نُمِيتُ وَ نَحْنُ الْوَارِثُونَ».

«الوارثون»: الباقون بعد فناء الخلق. (ع)

[٢٤] «وَ لَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَ لَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ».

«المستقدمين». عن أبي جعفر عليه السلام: هم المؤمنون من هذه الأمّة.[٥]

«المستقدمين» و «المستأخرين»: الماضون و الباقون. أو: المستقدمين في صفوف الحرب و المتأخّرين عنها. أو: المتقدّمين في الخير و المستبطئين عنه. أو: المتقدّمين إلى الصفّ الأول في الصلاة و المستأخرين عنه. فإنّه كان يتقدّم بعضهم إلى الصفّ الأوّل ليدرك فضيلته و يتأخّر بعضهم لينظر إلى أعجاز النساء، فنزلت الآية فيهم. و قيل: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله حثّ الناس على الصفّ الأوّل في الصلاة و قال: خير صفوف الرجال أوّلها، و شرّها آخرها.و خير

١ـ مجمع البيان ٦ / ٥١٣ و ٥١٠ ـ ٥١١.

٢ـ تفسيرالقمّيّ ١ / ٣٧٥.

٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٢٨.

٤ـ الكشّاف ٢ / ٥٧٤.

٥ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٢٤٠.

صفوف النساء آخرها، و شرّها أوّلها. فازدحم الناس. و كانت دور بني عذرة بعيدة عن المسجد فقالوا: لنبيعنّ دورنا و لنشترينّ دوراً قريبة من المسجد حتّى ندرك الصفّ المتقدّم. فنزلت هذه الآية. فعلى هذا يكون المعنى: إنّا نجازي الناس على نيّاتهم.[١]

«المستقدمين منكم». قيل: إنّ امرأة حسناء كانت تصلّي مع رسول الله ﷺ. فتقدّم بعض القوم لئلّاينظر إليها و تأخّر بعضهم ليبصرها. فنزلت.[٢]

[٢٥] «وَ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ».

[٢٦] «وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ».

«الإنسان». يعني آدم. «من صلصال»؛ أي: من طين يابس يسمع له عند النقر صلصلة؛ أي: صوت. «من حمأ». هو الطين الأسود المتغيّر. «مسنون»؛ أي: مصبوب كأنّه أفرغ حتّى صار صورة كما يصبّ الذهب و الفضّة. و قيل: إنّه الرطب. عن ابن‌عبّاس.[٣]

[٢٧] «وَ الْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ».

«و الجانّ». هو إبليس. و قيل: هو أبو الجنّ كما أنّ آدم أبوالبشر. و قيل: هم الجنّ نسل إبليس. «من قبل»؛ أي: من قبل خلق آدم. «من نار السموم»؛ أي: من نار لها ريح حارّة. و قيل: نار لا دخان لها و الصواعق تكون منها. و عن ابن‌عبّاس قال: كان إبليس من حيّ من أحياء الملائكة يقال لهم الجنّ خلقوا من نار السموم. و خلق الجنّ الذين ذكر في القرآن من مارج من نار.[٤]

«نار السموم»: الحرّ الشديد النافذ في المسامّ.[٥]

«و الجانّ». قال: أبو إبليس. و قال: الجنّ من ولد الجانّ؛ منهم مؤمنون و منهم كافرون و

١ـ مجمع البيان ٦ / ٥١٤.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٢٨.
٣ـ مجمع البيان ٦ / ٥١٦.
٤ـ مجمع البيان ٦ / ٥١٦.
٥ـ الكشّاف ٢ / ٥٧٦.

يهود و نصارى و مختلف أديانهم. و الشياطين من ولد إبليس و ليس فيهم مؤمن إلّا واحد اسمه هام بن هيم بن لاقيس بن إبليس؛ جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله و آمن به ـ و كان قد آمن من قبله بالأنبياء عليهم السلام ـ فدفعه إلى عليّ عليه السلام فعلّمه شرائع الدين.(١)

[٢٨] «وَ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ».

«و إذ». منصوب باذكر. «خالق»: سأخلق. «بشراً». يعني آدم. سمّي بشراً لأنّه ظاهر الجلد لايواريه شعر و لا صوف.(٢)

[٢٩] «فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ».

«سوّيته»؛ أي: عدّلت خلقته و هيّأتها لنفخ الروح فيها. و معنى «و نفخت فيه من روحي»: و أحييته. و ليس ثمّة نفخ و لا منفوخ و إنّما [هو] تمثيل لتحصيل ما يحيى به فيه.(٣)

«من روحي». عن أبي جعفر عليه السلام قال: «من روحي»؛ أي: من قدرتي.(٤)

[٣٠] «فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ».

«أجمعون». توكيد بعد توكيد عند سيبويه. و قال المبرّد: يدلّ قوله: «أجمعون» على اجتماعهم في السجود. أي: سجدوا في حالة واحدة. قال الزجّاج: و قول سيبويه أجود. لأنّ أجمعون معرفة فلايكون حالاً.(٥)

[٣١] «إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ».

«إلّا إبليس». عن الرضا عليه السلام: لم يكن من الملائكة بل كان من الجنّ. كما قال سبحانه: «كان من الجنّ»(٦).(٧)

١ـ تفسير القمّيّ ١ / ٣٧٥.
٢ـ مجمع البيان ٦ / ٥١٦.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٥٧٧.
٤ـ التوحيد / ١٧٢، ح ٥.
٥ـ مجمع البيان ٦ / ٥١٦.
٦ـ الكهف (١٨) / ٥٠.

و استثني إبليس من الملائكة لأنّه كان بينهم مأموراً معهم بالسجود فغلب اسم الملائكة ثمّ استثني بعد التغليب.[٨]

[٣٢] «قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ».

«مالك ألّاتكون». بتقدير في. أي: ما عرض لك في إبائك السجود؟ و أيّ داع لك فيه؟[٩]

[٣٣] «قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ».

«لأسجد». اللّام لتأكيد النفي. أي: يستحيل أن أسجد لبشر جسمانيّ و أنا ملك روحانيّ.[١٠]

«خلقته من صلصال». يعني أنّي أشرف أصلاً منه. و لم‌يعلم أنّ التفاضل بالدين و الأعمال لا بالأصل.[١١]

«من حمأمسنون». صفة لصلصال. أي: كائن من حمأ. و حقّ مسنون ـ بمعنى مصوّر ـ أن يكون صفة صلصال، كأنّه أفرغ الحمأ فصوّر منها تمثال إنسان أجوف فيبس حتّى إذا نقر صلصل، ثمّ غيّره بعد ذلك إلى جوهر آخر.[١٢]

[٣٤] «قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ».

«رجيم»: شيطان من الذين يرجمون بالشهب. أو: مطرود من رحمة الله. لأنّ من يطرد يرجم بالحجارة. و معناه: ملعون. لأنّ اللّعن هو الطرد من الرحمة. و الضمير في «منها» راجع إلى الجنّة أو السماء أو إلى جملة الملائكة.[١٣]

٧ـ عيون الأخبار ١ / ٢٦٩.

٨ـ الكشّاف ٢ / ٥٧٧.

٩ـ الكشّاف ٢ / ٥٧٧.

١٠ـ الكشّاف ٢ / ٥٧٧.

١١ـ مجمع البيان ٦ / ٥١٧.

١٢ـ الكشّاف ٢ / ٥٧٦.

١٣ـ الكشّاف ٢ / ٥٧٧.

عن العسكريّ عليه السلام: إذا خرج القائم عليه السلام لا يبقى مؤمن إلّا رجمه بالحجارة كما كان قبل ذلك مرجوماً باللّعن.(١)

[٣٥] «وَ إِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ».

و ضرب «يوم الدين» حدّ اللّعنة إمّا لأنّه أبعد غاية يضربها الناس في كلامهم ـ كقوله: «ما دامت السموات و الأرض»(٢) في التأبيد ـ و إمّا أن يراد أنّك مدعوّ عليك باللّعنة إلى يوم الدين.(٣)

[٣٦ـ٣٨] «قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ».

«يوم الدين» و «يوم يبعثون» و «يوم الوقت المعلوم» بمعنًى واحد، و لكن خولف بين العبارات سلوكاً بالكلام طريقة البلاغة. و قيل: إنّما سأل الإنظار إلى اليوم الذي فيه يبعثون [لئلّايموت. لأنّه] لايموت يوم البعث أحد. فلم يجب إلى ذلك و أنظر إلى آخر أيّام التكليف.(٤)

عن وهب قال: سألت أباعبدالله عليه السلام عن قوله: «إلى يوم الوقت المعلوم». قال: يا وهب، أتحسب أنّه يوم يبعث الله فيه الناس؟ إنّ الله أنظره إلى يوم يبعث قائمنا. فإذا بعث الله قائمنا، كان في مسجد الكوفة و جاء إبليس حتّى يجثو بين يديه على ركبتيه فيقول: يا ويله من هذا اليوم! فيأخذ ناصيته فيضرب عنقه. فذلك اليوم الوقت المعلوم.(٥)

و قال عليه السلام: إنّه عبد الله في السماء الرابعة ركعتين ستّة آلاف سنة. و كان إنظار الله إيّاه إلى يوم الوقت المعلوم بما سبق من تلك العبادة.(٦)

١ـ معاني الأخبار / ١٣٩، ح ١.
٢ـ هود (١١) / ١٠٧.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٥٧٧.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٥٧٨.
٥ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٢٤١ ـ ٢٤٢، ح ١٣.
٦ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٢٤٢، ح ١٤.

«يبعثون»: يحشرون. «الوقت المعلوم»: حين يموت الخلائق بالنفخة الأولى. فلم يجب إلى ما سأل. أو هو يوم القيامة.[١]

[٣٩] «قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ».

«بما أغويتني». الباء للقسم. و ما مصدريّة. و جواب القسم: «لأزيّننّ». و معنى إغوائه إيّاه تسبيبه لغيّه بأن أمره بالسجود لآدم. و ما ذلك الأمر إلّا تعريض للثواب، لكنّه اختار الاستكبار. و يجوز ألّا يكون قسماً بفعل الله الذي هو الإغواء بل يقدّر قسم محذوف و يكون المعنى: بسبب تسبيبك لإغوائي، أقسم لأفعلنّ بهم نحو ما فعلت بي من التسبيب، بأن أزيّن لهم المعاصي. «في الأرض»؛ أي: في الدنيا التي دار الغرور. كقوله تعالى: «أخلد إلى الأرض و اتّبع هواه».[٢] أو أراد: انّي أقدر على الاحتيال لآدم و التزيين له الأكل من الشجرة و هو في السماء. فأنا على التزيين لأولاده في الأرض أقدر. أو أراد: لأزيّن الأرض ـ أي: الدنيا ـ في أعينهم و لأحدّثنّهم بأنّ الزينة في الدنيا وحدها حتّى يستحبّوها على الآخرة.[٣]

«لأزيّننّ». مفعول لأزيّننّ محذوف. أي: أزيّن لهم الباطل.[٤]

«بما أغويتني». فيه دلالة على أنّ الشيطان كان مذهبه الجبر؛ كما حقّقناه فيما تقدّم بأنّه كان أشعريّ الأصول حنفيّ الفروع. لأنّه كان يعمل بالقياس.

[٤٠] «إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ».

«المخلصين». قال: جاء جبرئيل إلى النبيّ ﷺ فقال: المخلص الذي لايسأل الناس شيئاً حتى يجد، و إذا وجد رضي، و إذا بقي عنده شيء أعطاه.[٥]

«المخلصين»: الذين أخلصتهم لطاعتك و طهّرتهم من الشوائب فلايعمل فيهم كيدي. و

١ـ مجمع البيان ٦ / ٥١٨.
٢ـ الأعراف (٧) / ١٧٦.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٥٧٨.
٤ـ مجمع البيان ٦ / ٥١٨.
٥ـ معاني الأخبار / ٢٦٠ ـ ٢٦١، ح ١.

قرأ ابن كثير و ابن عامر و أبوعمرو بالكسر في كلّ القرآن. أي: الذين أخلصوا نفوسهم لله.[١]

[٤١] «قَالَ هٰذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ».

عن أبي جعفر عليه السلام: «هذا صراط عليّ مستقيم» قال: هو أميرالمؤمنين عليه السلام.[٢]

«صراط عليّ»؛ أي: حقّ عليّ أن أراعيه. و الإشارة إلى ما تضمّنه الاستثناء ـ و هو تخليص المخلصين من إغوائه ـ أو الإخلاص على معنى أنّه طريق على ما يؤدّي إلى الوصول إليّ من غير اعوجاج و ضلال.[٣]

«صراط عليّ مستقيم»؛ أي: هذا دين مستقيم عليّ بيانه و الهداية إليه. يعقوب قرأ: «صراط عليّ» بالرفع. أي: كريم و شريف. و روي ذلك عن أبي عبدالله عليه السلام.[٤]

[٤٢] «إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ».

عن أبي عبدالله عليه السلام: إذا كان يوم القيامة، يؤتى بإبليس في سبعين غلّاً و سبعين كبلاً. فينظر إلى زفر في عشرين و مائة كبلاً و مائة و عشرين غلّاً. فيقول: من هذا الذي أضعف له العذاب و أنا أغويت هذا الخلق جميعاً؟ فيقال له: زفر، ببغيه على عليّ عليه السلام. فيقول له إبليس: ويل لك و ثبور! أما علمت أنّي سألت الله أن يجعل لي سلطاناً على محمّد و أهل بيته و شيعته فلم يجبني إلى ذلك و قال: «إنّ عبادي» ـ الآية.[٥]

و عن أبي عبدالله عليه السلام «ليس لك عليهم سلطان» قال: ليس على هذه العصابة خاصّة سلطان. قال: قلت: جعلت فداك؛ و فيهم ما فيهم! قال: ليس حيث تذهب. إنّما السلطان أن يحبّب إليهم الكفر و يبغّض إليهم الايمان.[٦]

«إنّ عبادي». تصديق لإبليس فيما استثناه.[٧]

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٣٠.

٢ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٢٤٢، ح ١٥.

٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٣٠.

٤ـ مجمع البيان ٦ / ٥١٨ ـ ٥١٩.

٥ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٢٢٣، ح ٩.

٦ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٢٤٢، ح ١٧.

٧ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٣٠.

«عبادي» الذين يطيعوني. «من اتّبعك» لعدوله عن الهدى إلى ما يدعوه إليه من اتّباع الهوى. و قيل: إنّ الاستثناء منقطع. و المراد: لكن من اتّبعك من الغاوين، جعل لك على نفسه سلطاناً.[١]

[٤٣] «وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ».

[٤٤] «لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ».

«لها سبعة أبواب». فيه قولان. أحدهما: ما روي عن أميرالمؤمنينعليه السلام: انّ جهنّم لها سبعة أبواب أي طبقات بعضها فوق بعض. و وضع إحدى يديه على الأخرى فقال: هكذا. و انّ الله وضع الجنان على العرض. فأسفلها جهنّم. و فوقها لظى. و فوقها الحطمة. و فوقها سقر. و فوقها الجحيم. و فوقها السعير. و فوقها الهاوية. و الثاني: ما روي أنّ للنار سبعة أبواب أي أدراك بعضها فوق بعض. فأعلاها فيه أهل التوحيد، يعذّبون على قدر أعمالهم و أعمارهم في الدنيا. و الثاني فيه اليهود. و الثالث فيه النصارى. و الرابع فيه الصابئون. و الخامس فيه المجوس. و السادس فيه مشركو العرب. و السابع فيه المنافقون. و ذلك قوله: «إنّ المنافقين في الدرك الأسفل من النار».[٢] و القولان متقاربان. «لكلّ باب منهم»؛ أي: من الغاوين. «جزء مقسوم»؛ أي: نصيب مفروض.[٣]

«سبعة أبواب». بابها الأوّل لزريق. و الباب الثاني لزفر. و الباب الثالث للثالث. و الرابع لمعاوية. و الخامس لعبدالملك. و السادس لعسكر بن هوسر. و السابع لأبي سلامة. فهم أبواب لمن تبعهم.[٤]

«سبعة أبواب» يدخلون فيها لكثرتهم. أو طبقات. «جزء». قرأ أبوبكر: «جزء مقسوم»

١ـ مجمع البيان ٦ / ٥١٩.
٢ـ النساء (٤) / ١٤٥.
٣ـ مجمع البيان ٦ / ٥١٩ ـ ٥٢٠.
٤ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٢٤٣، ح ١٩.

بالتثقيل.[١]

«جزء». عن أبي‌الحسن عليه السلام في رجل أوصى بجزء ماله فقال: واحد من سبعة. إنّ الله يقول: «لها سبعة أبواب لكلّ باب منهم جزء مقسوم».[٢]

[٤٥] «إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ».

«إنّ المتّقين»: الذين يتّقون المعاصي «في جنّات»: بساتين «و عيون» من ماء و خمر و عسل يفور ثمّ يجري من مجاريها.[٣]

[٤٦] «ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ».

«ادخلوها»؛ أي: يقال لهم: ادخلوا الجنّات بسلامة من الآفات. «آمنين». أي من الإخراج عنها.[٤]

«بسلام»؛ أي: سالمين. أو: مسلّماً عليكم. تسلّم عليهم الملائكة.[٥]

[٤٧] «وَ نَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ».

«و نزعنا»؛ أي: أزلنا عن صدور أهل الجنّة ما فيها من أسباب العداوة من الغلّ؛ أي: الحقد و الحسد. «إخواناً». منصوب على الحال. أي مثل الإخوان فيصفو لذلك عيشهم. «على سرر»؛ أي: كائنين على مجالس السرور. «متقابلين»: متواجهين ينظر بعضهم إلى وجه بعض. قيل: لايرى الرجل من أهل الجنّة قفا زوجته و لاترى زوجته قفاه. لأنّ الأسرّة تدور بهم كيف شاؤوا حتّى يكونوا متقابلين في عموم أحوالهم. [و قيل:] متقابلين حال الزيارة إذا تزاوروا استوت مجالسهم و منازلهم و إذا افترقوا كانت منازل بعضهم أرفع من بعض.[٦]

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٣٠ ـ ٥٣١.
٢ـ تهذيب الأحكام ٩ / ٢٠٩، ح ٨٢٨.
٣ـ مجمع البيان ٦ / ٥٢٠.
٤ـ مجمع البيان ٦ / ٥٢٠.
٥ـ الكشّاف ٢ / ٥٧٩.
٦ـ مجمع البيان ٦ / ٥٢٠ ـ ٥٢١.

«و نزعنا»؛ أي: نزعنا غلّ الدنيا[١] بينهم. [و قيل:] «نزعنا ما في صدورهم» أي طهّر الله قلوبهم من أن يتحاسدوا على الدرجات في الجنّة و نزع عنها كلّ غلّ و ألقى فيها التوادد و التحابب.[٢]

[٤٨] «لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَ مَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ».

«لايمسّهم فيها»: في الجنّة «نصب»؛ أي: تعب. لأنّ جميع النعم حاصلة لهم.[٣]

[٤٩] «نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ».

«نبّئ». تقرير لما ذكر.[٤]

«الغفور»: كثير الستر للعاصين.[٥]

[٥٠] «وَ أَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ».

«و أنّ عذابي». فلاتعوّلوا على محض غفراني و خافوا عذابي.[٦]

[٥١] «وَ نَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ».

«و نبّئهم». عطف على «نبّئ» ليعرفوا ما نزل بقوم لوط.

«نبّئهم»؛ أي: أخبرهم عن أضياف ابراهيم.[٧]

[٥٢] «إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَاماً قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ».

«إذ دخلوا عليه». يعني الملائكة. و إنّما سمّاهم ضيفاً لأنّهم جاؤوا على صورة الأضياف. «قالوا سلاماً» على وجه الدعاء و التحيّة و بشّروه بالولد و بإهلاك قوم لوط.

١ـ يعني الغلّ الذي كان في الدنيا.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٥٧٩ ـ ٥٨٠.
٣ـ مجمع البيان ٦ / ٥٢١.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٥٨٠.
٥ـ مجمع البيان ٦ / ٥٢١.
٦ـ مجمع البيان ٦ / ٥٢١.
٧ـ مجمع البيان ٦ / ٥٢٣.

«قال» إبراهيم: «إنّا منكم وجلون»؛ أي: خائفون. «سلاماً». منصوب على المصدر. أي: سلّمنا سلاماً.[١]

[٥٣] «قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ».

«لاتوجل». و كان خوفه لامتناعهم من الأكل. و قيل: لأنّهم دخلوا بغير إذن و بغير وقت. «إنّا نبشّرك». استئناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل. أرادوا أنّك بمثابة الآمن المبشّر فلاتوجل.[٢]

«بغلام عليم». يعني إذا بلغ يكون عالماً.[٣]

[٥٤] «قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ».

«على أن مسّني الكبر»؛ أي: في حال الكبر الذي يوجب اليأس عن الولد. «فبم تبشّرون»؟ أهو من أمر الله فأثق به أم من جهة أنفسكم؟ و معنى «مسّني الكبر»: غيّرني من حال الشباب الذي يطمع في الولد إلى حال الهرم.[٤]

«الكبر». عن الصباح قال: كنت مع أبي عبدالله عليه السلام. فلمّا مررنا بأحد قال: ترى الثقب الذي فيه؟ قلت: نعم. قال: أمّا أنا فلست أراه. و علامة الكبر ثلاث: كلال البصر، و انحناء الظهر، و رقّة القدم.[٥]

«فبم تبشّرون». هي ما الاستفهاميّة دخلها معنى التعجّب. كأنّه قيل: فبأيّ أعجوبة تبشّروني؟ أو أراد: إنّكم تبشّرونني بما هو غير متصوّر في العادة. فبأيّ شيء تبشّرون؟ يعني: لاتبشّرونني في الحقيقة بشيء. لأنّ البشارة بمثل هذا بشارة بغير شيء.[٦]

«فبم تبشّرون». نافع خفيفة النون مكسورة. و ابن‌كثير مشدّدة النون مكسورة. و

١ـ مجمع البيان ٦ / ٥٢٣.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٥٨٠.
٣ـ مجمع البيان ٦ / ٥٢٣.
٤ـ مجمع البيان ٦ / ٥٢٣.
٥ـ الخصال ١ / ٨٨.
٦ـ الكشّاف ٢ / ٥٨١.

الباقون مفتوحة النون خفيفة. و يعقوب بإثبات الياء.(١)

[٥٥] «قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ».

«بشّرناك بالحقّ»: على وجه الحقيقة بأمر الله.(٢)

[٥٦] «قَالَ وَ مَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ».

«يقنط». قرأ أبوعمرو و الكسائيّ: «يقنط» بكسر النون حيث كان. «إلّا الضالّون» أي عن سبيل الهدى، الجاهلون بقدرته على خلق الولد من الشيخ الكبير. و هذا القول يدلّ على أنّه لم يكن قانطاً و لكنّه استبعد ذلك فظنّته الملائكة قنوطاً فنفى ذلك عن نفسه.(٣)

[٥٧] «قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ».

«قال فما خطبكم»؛ أي: ما الأمر الجليل الذي بعثتم له؟(٤)

«خطبكم»؛ أي: شأنكم الذي أرسلتم لأجله سوى البشارة. لأنّهم كانوا عدداً و البشارة لاتحتاج إلى العدّة. و لذلك اكتفى بالواحد في بشارة زكريّا و مريم.(٥)

[٥٨] «قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُجْرِمِينَ».

«مجرمين»؛ أي: مذنبين.(٦)

[٥٩] «إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ».

«إلّا آل لوط». استثنى منهم آل لوط؛ و هم خاصّته و عشيرته. و إنّما استثناهم و إن لم يكونوا مجرمين من حيث كانوا [من] قوم لوط و ممّن بعث إليهم. و قيل: معناه: لكن آل

١ـ مجمع البيان ٦ / ٥٢١.
٢ـ مجمع البيان ٦ / ٥٢٣.
٣ـ مجمع البيان ٦ / ٥٢٢ ـ ٥٢٣.
٤ـ مجمع البيان ٦ / ٥٢٤.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٣٢.
٦ـ مجمع البيان ٦ / ٥٢٤.

لوط. «لمنجّوهم». قرأ أهل الكوفة غير عاصم بالتخفيف.[١]

«إلّا آل لوط». استثناء من «قوم»، فيكون منقطعاً. لأنّ القوم موصوفون بالإجرام و اختلف لذلك الجنسان. و يجوز أن يكون استثناء من الضمير في «مجرمين» فيكون متّصلاً. كأنّه قيل: إلى قوم قد أجرموا كلّهم إلّا آل لوط وحدهم. كما قال: «فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين»[٢].[٣]

«آل لوط». عن أبي جعفرعليه السلام: انّه كان لإبراهيم و لوط رقّة على قوم لوط، فأخّر الله عذابهم مرّة لأجلهما. فلمّا اشتدّ أسف الله على قوم لوط و قدّر عذابهم و قضاه، أحبّ أن يعوّض إبراهيم من عذاب قوم لوط بغلام عليم فيسلّي به مصابه بهلاك قوم لوط، فبعث الله رسلاً إلى إبراهيم.[٤]

[٦٠] «إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ».

«إلّا امرأته». لأنّها كانت كافرة. «لمن الغابرين»؛ أي: الباقين في المدينة للإهلاك.

«قدّرنا». قرأ أبوبكر بالتخفيف عن عاصم.[٥]

«قدّرنا أنّها». قالته الملائكة مع أنّ المقدّر هو الله، لأنّهم أهل القرب و الاختصاص بالله.[٦]

[٦١] «فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ».

«فلمّا جاء»؛ أي: خرج الملائكة عند إبراهيم و أتوا لوطاً يبشّرونه بهلاك قومه.[٧]

[٦٢] «قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ».

١ـ مجمع البيان ٦ / ٥٢٤ و ٥٢٢.

٢ـ الذاريات (٥١) / ٣٦.

٣ـ الكشّاف ٢ / ٥٨١.

٤ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٢٤٦.

٥ـ مجمع البيان ٦ / ٥٢٤ و ٥٢٢.

٦ـ الكشّاف ٢ / ٥٨٢.

٧ـ مجمع البيان ٦ / ٥٢٥.

«قوم منكرون». إنّما قال لهم لوط ذلك لأنّهم جاؤوه على صفة المرد على هيئة و جمال لم ير مثلهم فأنكر شأنهم و هيئتهم. و قيل: أراد: انّي أنكركم فعرّفوني أنفسكم ليطمئنّ قلبي.(١)

[٦٣] «قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ».

«يمترون». أي بالعذاب الذي كانوا يشكّون فيه إذا خوّفتهم به.(٢)

[٦٤] «وَ أَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَ إِنَّا لَصَادِقُونَ».

«بالحقّ»؛ أي: بالعذاب المستيقن به. «و إنّا لصادقون» فيما أخبرناك به. و قيل: معناه: و أتيناك بأمر الله، و لا شكّ أنّ أمره سبحانه حقّ.(٣)

[٦٥] «فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَ اتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَ لَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَ امْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ».

«فأسر»؛ أي: سر بأهلك بعد ما يمضي أكثر اللّيل و يبقى قطعة منه. «و اتّبع»؛ أي: اقتف «أدبارهم»؛ أي: آثارهم و كن وراءهم لتكون عيناً عليهم و لايتخلّف أحد منهم. «و لايلتفت منكم أحد»؛ أي: لايلتفت أحد منكم إلى ما خلّف وراءه في المدينة. و هذا كما يقول القائل: امض لشأنك و لاتعرج على شيء. و قيل: لاينظر أحد منكم وراءه لئلّايروا العذاب فيفزعوا و لايحتمل قلبهم ذلك. «حيث تؤمرون»؛ أي: الموضع الذي أمركم الله بالذهاب إليه و هو الشام.(٤)

«و اتّبع أدبارهم و لايلتفت منكم أحد». و ذلك أنّ الله بعث الهلاك على قومه و نجّاه و أهله إجابة لدعوته عليهم و خرج مهاجراً فلم يكن له [بدّ] من الاجتهاد في شكر الله و

١ـ مجمع البيان ٦ / ٥٢٥.
٢ـ مجمع البيان ٦ / ٥٢٥.
٣ـ مجمع البيان ٦ / ٥٢٥.
٤ـ مجمع البيان ٦ / ٥٢٥.

إدامة ذكر الله و تفريغ باله لذلك، فأمر بأن يقدّمهم لئلّا يشتغل بمن خلفه قلبه و ليكون مطّلعاً عليهم و على أحوالهم فلاتفرط منهم التفاتة احتشاماً منه و لا غيرها من الهفوات في تلك الحالة المهولة و لئلّا يتخلّف منهم أحد لغرض فيصيبه العذاب، و ليكون مسيره مسير الهارب الذي يقدّم سربه و يفوت به. و نهوا عن الالتفات ليوطّنوا نفوسهم على المهاجرة و يمضوا غير ملتفتين.(١)

[٦٦] «وَ قَضَيْنَا إِلَيْهِ ذٰلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ».

«و قضينا»؛ أي: أعلمنا لوطاً و أوحينا إليه ما ينزل بهم من العذاب. «أنّ دابر». موضع أنّ نصب بأنّه بدل من ذلك الأمر، لأنّه تفسيره. و يجوز أن يكون نصباً على حذف الجارّ. أي: قضينا إليه بأنّ دابر [هؤلاء مقطوع]؛ يعني أنّ آخر من يبقى منهم يهلك وقت الصبح، و هو قوله: «مصبحين»؛ أي: داخلين في وقت الصبح. أو المراد: انّهم مستأصلون بالعذاب وقت الصباح على وجه لايبقى منهم أثر و لا نسل و لا عقب. «مصبحين». نصب على الحال.(٢)

[٦٧] «وَ جَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ».

«يستبشرون» بنزول الأضياف بلوط طمعاً في أن ينالوا الفجور منهم.(٣)

[٦٨] «قَالَ إِنَّ هٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ».

«فلاتفضحون»؛ أي: لاتلزموني فيهم عاراً بقصدكم إيّاهم بالسوء.(٤)

[٦٩] «وَ اتَّقُوا اللهَ وَ لَا تُخْزُونِ».

١ـ الكشّاف ٢ / ٥٨٣.
٢ـ مجمع البيان ٦ / ٥٢٥ ـ ٥٢٦.
٣ـ مجمع البيان ٦ / ٥٢٦.
٤ـ مجمع البيان ٦ / ٥٢٦.

«و لاتخزون» في ضيفي.[١]

[٧٠] «قَالُوا أَوَ لَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ».

«أو لم‌ننهك» أن تجير أحداً أو تضيف أحداً.[٢]

«عن العالمين»؛ أي: عن أن تمنع بيننا و بينهم. فإنّهم كانوا يتعرّضون لكلّ أحد. و كان صلّى الله عليه و سلّم ينهاهم عن ذلك فأوعدوه و قالوا: لئن لم‌تنته يا لوط لتكونَنّ من المخرجين.[٣]

[٧١] «قَالَ هٰؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ».

«هؤلاء بناتي». أشار إلى بناته لصلبه فتزوّجوهنّ إن كان لكم رغبة في التزويج. «إن كنتم فاعلين»: إن [كان] لكم رغبة في التزويج. و قيل: إنّما قال ذلك للرؤساء الذين يكفّون الأتباع. و قد كان يجوز تزويج المؤمنة من الكافر يومئذ. و قد كان ذلك جائزاً في صدر شريعتنا ثم حرّم. و قيل: إنّهنّ كنّ بنات قومه، عرضهنّ عليهم بالتزويج و الاستغناء بهنّ عن الذكران. و الأوّل أصحّ.[٤]

[٧٢] «لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ».

«لعمرك». أي قالت الملائكة للوط. و قيل: الخطاب لرسول الله.[٥]

«لعمرك»؛ أي: و حياتك ـ يا محمّد ـ و مدّة بقائك حيّاً. و قال المبرّد: هو دعاء. و معناه: أسأل الله عمرك. قال ابن‌عبّاس: ما خلق الله نفساً أكرم عليه من محمّد صلى الله عليه وآله. و ماسمعت الله أقسم بحياة أحد إلّا بحياته فقال: «لعمرك». «سكرتهم»؛ أي: غفلتهم. «يعمهون»؛ أي: يتحيّرون.[٦]

١ـ مجمع البيان ٦ / ٥٢٦.

٢ـ مجمع البيان ٦ / ٥٢٦.

٣ـ الكشّاف ٢ / ٥٨٥.

٤ـ مجمع البيان ٦ / ٥٢٦.

٥ـ الكشّاف ٢ / ٥٨٥.

٦ـ مجمع البيان ٦ / ٥٢٦.

[٧٣] «فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ».

«الصيحة»: صيحة جبرئيل.[١]

«مشرقين»؛ أي: في حال شروق الشمس و بزوغها.[٢]

[٧٤] «فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَ أَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ».

«سجّيل»: طين عليه كتاب. من السجل. كما قال: «مسوّمة عند ربّك»[٣]؛ أي: معلمة [بكتاب].[٤]

«سجيّل»؛ أي: طين متحجّر.[٥]

[٧٥] «إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ»

«في ذلك»: في إهلاك قوم لوط. «لآيات»؛ أي: دلالات. «للمتوسّمين»؛ أي: للمتفكّرين. و قيل: للمتفرّسين. و قد صحّ عن النبيّ ﷺ قال: اتّقوا فراسة المؤمن. فإنّه ينظر بنور الله. [و] قال: إنّ لله عباداً يعرفون الناس بالتوسّم. ثمّ قرأ هذه الآية. و روي عن أبي عبدالله عليه السلام: نحن المتوسّمون. و السبيل فينا مقيم. و السبيل طريق الجنّة.[٦]

«للمتوسّمين»: الناظرين الذين يعرفون حقيقة سمة الشيء.[٧]

«للمتوسّمين». عن أبي جعفر عليه السلام: ليس مخلوق إلّا و بين عينيه مكتوب مؤمن أو كافر. و ذلك محجوب عنكم و ليس محجوباً عن الأئمّة من آل محمّد عليهم السلام. ثمّ ليس يدخل عليهم أحد إلّا عرفوه مؤمن أو كافر. ثمّ تلا هذه الآية: «إنّ في ذلك لآيات للمتوسّمين».[٨]

«للمتوسّمين». عن أبي عبدالله عليه السلام: إذا قام قائم آل محمّد عليهم السلام حكم بين الناس بحكم

١ـ الكشّاف ٢ / ٥٨٦.
٢ـ مجمع البيان ٦ / ٥٢٧.
٣ـ هود (١١) / ٨٣
٤ـ الكشّاف ٢ / ٥٨٦.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٣٤.
٦ـ مجمع البيان ٦ / ٥٢٨.
٧ـ الكشّاف ٢ / ٥٨٦.
٨ـ بصائر الدرجات / ٣٥٤.

داوود لايحتاج إلى بيّنة، يلهمه فيحكم بعلمه، و يخبر كلّ قوم بما استبطنوه و يعرف عدّوه من وليّه بالتوسّم. قال الله: «إنّ في ذلك لآيات للمتوسّمين».[1]

[٧٦] «وَ إِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ».

«و إنّها لبسبيل مقيم». معناه: انّ مدينة لوط له طريق مسلوك يسلكها الناس في حوائجهم فينظرون إلى آثارها و يعتبرون بها. لأنّ الآثار التي يستدلّ بها مقيمة ثابتة. و هي مدينة سدوم. و قيل: إنّ قرى قوم لوط بين المدينة و الشام.[2]

«لبسبيل مقيم». تنبيه لقريش. كقوله: «و إنّكم لتمرّون عليهم مصبحين»[3].[4]

[٧٧] «إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ».

«لآية»؛ أي: لعبرة و دلالة للمؤمنين. لأنّهم المنتفعون بها.[5]

[٧٨] «وَ إِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ».

الأيكة: الشجر الملتفّ. جمعه أيك. «أصحاب الأيكة». هم أهل الشجر الذين أرسل إليهم شعيب. و أرسل إلى [أهل] مدين فأهلكوا بالصيحة. و أمّا أصحاب الأيكة فأهلكوا بالظلّة التي احترقوا بنارها. و معنى الآية أنّه كان أصحاب الأيكة ظالمين في تكذيب رسولهم و كانوا أصحاب [غياض] فعاقبهم الله بالحرّ سبعة أيّام، ثمّ أنشأ سحابة فاستظلّوا بها يلتمسون الروح فيها. فلمّا اجتمعوا تحتها، أرسل منها صاعقة فأحرقتهم جميعاً.

«الأيكة». ورش عن نافع: «أصحاب ليكة» بترك الهمزة و برّد حركتها إلى اللّام.[6]

[٧٩] «فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَ إِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ».

١ـ روضة الواعظين. ٢ / ٢٦٦.

٢ـ مجمع البيان ٦ / ٥٢٨.

٣ـ الصافّات (٣٧) / ١٣٧.

٤ـ الكشّاف ٢ / ٥٨٦.

٥ـ مجمع البيان ٦ / ٥٢٨.

٦ـ مجمع البيان ٦ / ٥٢٧ ـ ٥٢٨.

«و إنّهما لبإمام»؛ أي: مدينتي قوم لوط و أصحاب الأيكة بطريق يؤمّ و يتّبع و يهتدى به. و سمّي الطريق إماماً لأنّ الانسان يؤمّه. و قيل: معناه: و إنّ حديث مدينتهما لمكتوب مذكور في اللّوح المحفوظ، أو حديث لوط و حديث شعيب. فيكون نظير قوله: «و كلّ شيء أحصيناه في إمام مبين»[1].[2]

[٨٠] «وَ لَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ».

«أصحاب الحجر». و هم قوم صالح. و الحجر اسم البلد الذي كان فيه ثمود. سمّوا أصحاب الحجر لأنّهم كانوا سكّانه. و إنّما قال: «المرسلين» لأنّ في تكذيب صالح تكذيب المرسلين. و قيل: بعث الله إليهم رسلاً منهم صالح.[3]

[٨١] «وَ آتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ».

«و آتيناهم»؛ أي: أصحاب الحجر المعجزات الدالّة على صدق الأنبياء. و قيل: آتينا الرسل، فكانوا عن الدلالات ـ أي أصحاب الحجر ـ معرضين.[4]

[٨٢] «وَ كَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً آمِنِينَ».

«و كانوا» ـ أي قوم صالح ـ في القوّة بحيث ينحتون من الجبال بيوتاً يسكنونها و كانوا آمنين من خرابها و سقوطها عليهم. و قيل: آمنين من عذاب الله. و قيل: آمنين من الموت لطول أعمارهم.[5]

[٨٣] «فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ».

«مصبحين»: أي في وقت الصباح.[6]

١ـ يس (٣٦) / ١٢.

٢ـ مجمع البيان ٦ / ٥٢٨.

٣ـ مجمع البيان ٦ / ٥٢٨.

٤ـ مجمع البيان ٦ / ٥٢٨.

٥ـ مجمع البيان ٦ / ٥٢٩.

٦ـ مجمع البيان ٦ / ٥٢٩.

[٨٤] «فَمَا أَغْنىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ».

«فما أغنى»؛ أي: فما دفع عنهم العذاب. «ما كانوا يكسبون» من المال و الأولاد و أنواع الملاذّ.(١)

[٨٥] «وَ مَا خَلَقْنَا السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَ إِنَّ السَّـاعَةَ لَآتِـيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ».

«بالحقّ» لا عبثاً، بل بما اقتضته الحكمة؛ و هي أنّا قد تعبّدنا أهلها ثمّ نجازيهم بما عملوا. «الساعة لآتية»: يوم القيامة آتية بعذابهم. «فاصفح»؛ أي: أعرض ـ يا محمّدﷺ ـ عن مجازاة المشركين و اعف عنهم عفواً جميلاً. قيل: إنّها منسوخة بآية القتال. و قيل: لا نسخ فيه، بل هو هنا عبارة عن الحلم و التواضع، و هو ممدوح في سائر الحالات، و قد يلزمنا الصفح الجميل مع لزوم التشدّد في أمر الجهاد. و حكي عن عليّ؈: انّ الصفح الجميل هو العفو من غير عتاب. و قيل: هو العفو من غير تعنيف و توبيخ.(٢)

[٨٦] «إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ».

«العليم» بتدبير خلقه، فلايخفى عليه ما يجري بينكم. و يجوز أن يريد أنّه علم ما هو الأصلح لكم و قد علم أنّ الصفح [أصلح] الآن إلى أن يؤمر بالسيف.(٣)

[٨٧] «وَ لَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَـثَانِي وَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ».

عن أبي عبدالله؈ في قوله: «و لقد آتيناك سبعاً من المثاني»: ظاهرها الحمد. و باطنها ولد الولد. و السابع منها القائم؈.(٤)

و عن أبي جعفر؈: ليس هكذا تنزيلها. إنّما هي: «و لقد آتيناك سبعاً من المثاني» [نحن

١ـ مجمع البيان ٦ / ٥٢٩.
٢ـ مجمع البيان ٦ / ٥٣٠.
٣ـ مجمع البيان ٦ / ٥٣٠.
٤ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٢٥٠، ح ٣٧.

هم] «و القرآن العظيم» ولد الولد.(١)

و عن أبي جعفر عليه السلام: «سبعاً من المثاني و القرآن العظيم» قال: سبعة أئمّة و القائم.(٢)

و عن أبي الحسن عليه السلام: السبعة الأئمّة السبعة الذين يدور عليهم الفلك. و القرآن العظيم محمّد صلى الله عليه و آله.(٣)

عنه صلى الله عليه و آله: أعطيت السور الطوال مكان التوراة. و أعطيت المئين مكان الإنجيل. و أعطيت المثاني مكان الزبور.(٤)

«سبعاً من المثاني». هي فاتحة الكتاب. و هو قول عليّ و الباقر و الصادق عليهم السلام. و قيل: هي السبع الطوال. و هي السور السبع من أوّل القرآن. و إنّما سمّيت مثاني لأنّه يثنّى فيها الأخبار و القصص. و قيل: المثاني القرآن كلّه. و من قال هي فاتحة الكتاب، اختلفوا في سبب تسميتها مثاني. فقيل: لأنّها تثنّى قراءتها في الصلاة. و قيل: لأنّ فيها الثناء مرّتين و هو «الرحمن الرحيم». و قيل: لأنّها مقسومة بين الله وعبده على ما روي في الخبر. و قيل: لأنّها أنزلت مرّتين تعظيماً و تشريفاً لها. و من قال: المراد من المثاني القرآن كلّه، فمن في قوله «من المثاني» تكون للتبعيض. و من قال إنّها الحمد، تكون للتبيين.(٥)

«سبعاً من المثاني»: سبع آيات. و هي الفاتحة. و المثاني من التثنية و هي التكرير. لأنّ الفاتحة ممّا تكرّر قراءتها في الصلاة و غيرها. أو من الثناء لاشتمالها على ما هو [ثناء] على الله بأفعاله العظمى و صفاته الحسنى.(٦)

«سبعاً من المثاني». عن أبي عبدالله عليه السلام: هي سورة الحمد. و هي سبع آيات منها «بسم الله الرحمن الرحيم». و إنّما سمّيت المثاني لأنّها تثنّى في الركعتين.(٧)

١ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٢٥٠، ح ٣٨.
٢ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٢٥٠، ح ٣٩.
٣ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٢٥١، ح ٤١.
٤ـ الكافي ٢ / ٦٠١، ح ١٠.
٥ـ مجمع البيان ٦ / ٥٣٠.
٦ـ الكشّاف ٢ / ٥٨٧.
٧ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ١٩.

[٨٨] «لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ وَ لَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَ اخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ».

«لاتمدّنّ عينيك». يعني أنّ القرآن يغنيك. و منه الحديث: ليس منّا من لم يتغنّ بالقرآن. يعني: قد أوتيت النعمة العظمى و هي القرآن العظيم. فعليك أن تستغني به و لاتمدّنّ عينيك إلى متاع الحياة الدنيا.(١)

«لاتمدّنّ عينيك»؛ أي: لاتعظمنّ في عينيك و لاتمدّهما إلى ما متّعنا به أصنافاً من المشركين. و الأزواج: الأصناف. فيكون الأزواج مفعولاً به. «و لاتحزن عليهم»؛ أي: على كفّار قريش إن لم يؤمنوا و نزل بهم العذاب. و قيل: لاتحزن لما أنعمت عليهم دونك و ألن جانبك للمؤمنين.(٢)

[٨٩ ـ ٩١] «وَ قُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ * كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ * الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ».

«المبين» لكم ما تحتاجون إليه.(٣)

«كما أنزلنا»؛ أي: أنزلنا القرآن عليك كما أنزلنا «على المقتسمين» و هم اليهود و النصارى. «الذين جعلوا القرآن عضين»؛ أي: فرّقوه و جعلوه أعضاء كأعضاء الجزور فآمنوا ببعضه و كفروا ببعضه؛ آمنوا بما وافق دينهم و كفروا بما خالف دينهم. و قيل: سمّاهم مقتسمين لأنّهم اقتسموا كتب الله فآمنوا ببعضها و كفروا ببعضها. و قيل: معناه: انّي أنذركم عذاباً كما أنزلنا على المقتسمين الذين اقتسموا طريق مكّة يصدّون عن رسول الله ﷺ و الإيمان به. و كانوا ستّة عشر رجلاً بعثهم الوليد بن المغيرة أيّام الموسم يقولون لمن أتى مكّة: لا تغترّوا بالخارج منّا المدّعي النبوّة. فأنزل الله بهم عذاباً فماتوا شرّ ميتة ثم وصفهم فقال: «الذين جعلوا القرآن عضين»؛ أي: جزءاً جزءاً فقالوا سحر و قالوا أساطير الأوّلين و قالوا

١ـ الكشّاف ٢ / ٥٨٨.
٢ـ مجمع البيان ٦ / ٥٣١.
٣ـ مجمع البيان ٦ / ٥٣١.

مفترًى. عن ابن عبّاس.[١]

«جعلوا القرآن»: قسّموا القرآن و لم يؤلّفوه على ما أنزله الله.[٢]

[٩٢ـ ٩٣] «فَوَ رَبِّكَ لَنَسْئَلَـنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ».

«عمّا كانوا يعملون»؛ أي: عمّا عملوا فيما عملوا. و قيل: عن «لا إله إلّا الله» و الإيمان برسله. و قيل: عمّا كانوا يعبدون و بماذا أجابوا المرسلين.[٣]

[٩٤] «فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ».

«بما تؤمر»؛ أي: بالّذي تؤمر به. أو: بالأمر و حكى يونس النحويّ أنّ هذه اللّفظة أفصح ما في القرآن. «فاصدع بما تؤمر»؛ أي: أظهر و أعلن و صرّح بما أمرت به غير خائف. و قيل: معناه: فافرق بين الحقّ و الباطل بما أمرت به. و تأويل الصدع في الزجاج أو في الحائط أن تبين بعض الشيء من بعض. «و أعرض عن المشركين»؛ أي: لا تخاصم إلى أن تؤمر بقتالهم. و قيل: معناه: لا تلتفت إليهم و لا تخف عنهم.[٤]

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: اكتتم رسول الله صلى الله عليه وآله بمكّة مختفياً خائفاً خمس سنين ليس يظهر أمره و عليّ عليه السلام معه و خديجة. ثمّ أمره الله أن يصدع ما أمر فظهر رسول الله صلى الله عليه وآله فأظهر أمره.[٥]

و في خبر آخر أنّه كان مختفياً بمكّة ثلاث سنين.[٦]

عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: «و لا تجهر بصلاتك و لا تخافت بها».[٧] قال: نسختها «فاصدع بما تؤمر» ـ الآية.[٨]

١ـ مجمع البيان ٦ / ٥٣١.
٢ـ تفسير القمّيّ ١ / ٣٧٧.
٣ـ مجمع البيان ٦ / ٥٣٣.
٤ـ مجمع البيان ٦ / ٥٣٣.
٥ـ كمال الدين ٢ / ٣٤٤.
٦ـ كمال الدين ٢ / ٣٤٤.
٧ـ الإسراء (١٧) / ١١٠.
٨ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٢٥٢، ح ٤٥.

[٩٥ ـ ٩٦] «إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ * الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللهِ إِلٰهاً آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ».

«المستهزئين»؛ أي: شرّ المستهزئين بأن أهلكناهم. و كانوا خمسة نفر من قريش رمى الله تعالى كلّ واحد منهم ببلاء فمات. ثمّ وصفهم الله سبحانه بالشرك فقال: «الذين يجعلون» ـ الآية.(١)

«المستهزئين». عن الحسين عليه السلام: هم الوليد بن المغيرة و العاص بن وائل و الأسود بن عبد يغوث و الأسود بن المطّلب و الحارث بن الطلاطلة؛ قتلهم الله في ساعة واحدة. و ذلك أنّهم كانوا بين يدي رسول الله صلى الله عليه و آله فقالوا له: يا محمّد، ننتظر بك إلى الظهر. فإن رجعت عن قولك و إلّا قتلناك. فدخل النبيّ صلى الله عليه و آله منزله فأغلق عليه بابه مغتمّاً. فأتاه جبرئيل عليه السلام من ساعته فقال: يا محمّد، السلام يقرئك السلام و يقول: «اصدع بما تؤمر»؛ يعني: أظهر أمرك لأهل مكّة و ادعهم إلى الإيمان. فقال: يا جبرئيل، كيف أصنع بالمستهزئين و ما أوعدوني؟ فقال: «إنّا كفيناك المستهزئين». يعني في هذه الساعة.(٢)

[٩٧] «وَ لَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ».

«و لقد نعلم». عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه و آله من فضل وصيّه ذكراً فوقع النفاق في قلوبهم فعلم رسول الله صلى الله عليه و آله. فقال الله: يا محمّد «و لقد نعلم أنّك يضيق صدرك» ـ الآية. و كان رسول الله صلى الله عليه و آله يتألّفهم و يستعين ببعضهم على بعض و لا يزال يخرج لهم شيئاً في فضل وصيّه حتّى نزلت هذه السورة فاحتجّ عليهم حين أعلم بموته.(٣)

«بما يقولون» من الشرك و الطعن في القرآن و الاستهزاء بك.(٤)

[٩٨] «فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَ كُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ».

١ـ مجمع البيان ٦ / ٥٣٣ ـ ٥٣٤.
٢ـ الاحتجاج ١ / ٣٢١.
٣ـ الكافي ١ / ٢٩٣ ـ ٢٩٤، ح ١٠.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٣٦.

«فسبّح»؛ أي: فافزع إلى الله فيما نابك بالتسبيح و التحميد، يكفك و يكشف الغمّ عنك. أو: فنزّهه عمّا يقولون حامداً على أن هداك للحقّ. «من الساجدين»؛ أي: المصلّين.[١]

«فسبّح»؛ أي: قل سبحان الله و بحمده. «من الساجدين»؛ أي: المصلّين. قال ابن عبّاس: كان رسول الله ﷺ إذا أحزنه أمر، فزع إلى الصلاة.[٢]

[٩٩] «وَ اعْبُدْ رَبَّكَ حَتّٰى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ».

«اليقين»؛ أي: الخبر اليقين. يعني الموت. أي: اعبد ربّك أبد الآبدين.[٣]

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٣٦.
٢ـ مجمع البيان ٦ / ٥٣٤.
٣ـ مجمع البيان ٦ / ٥٣٤.